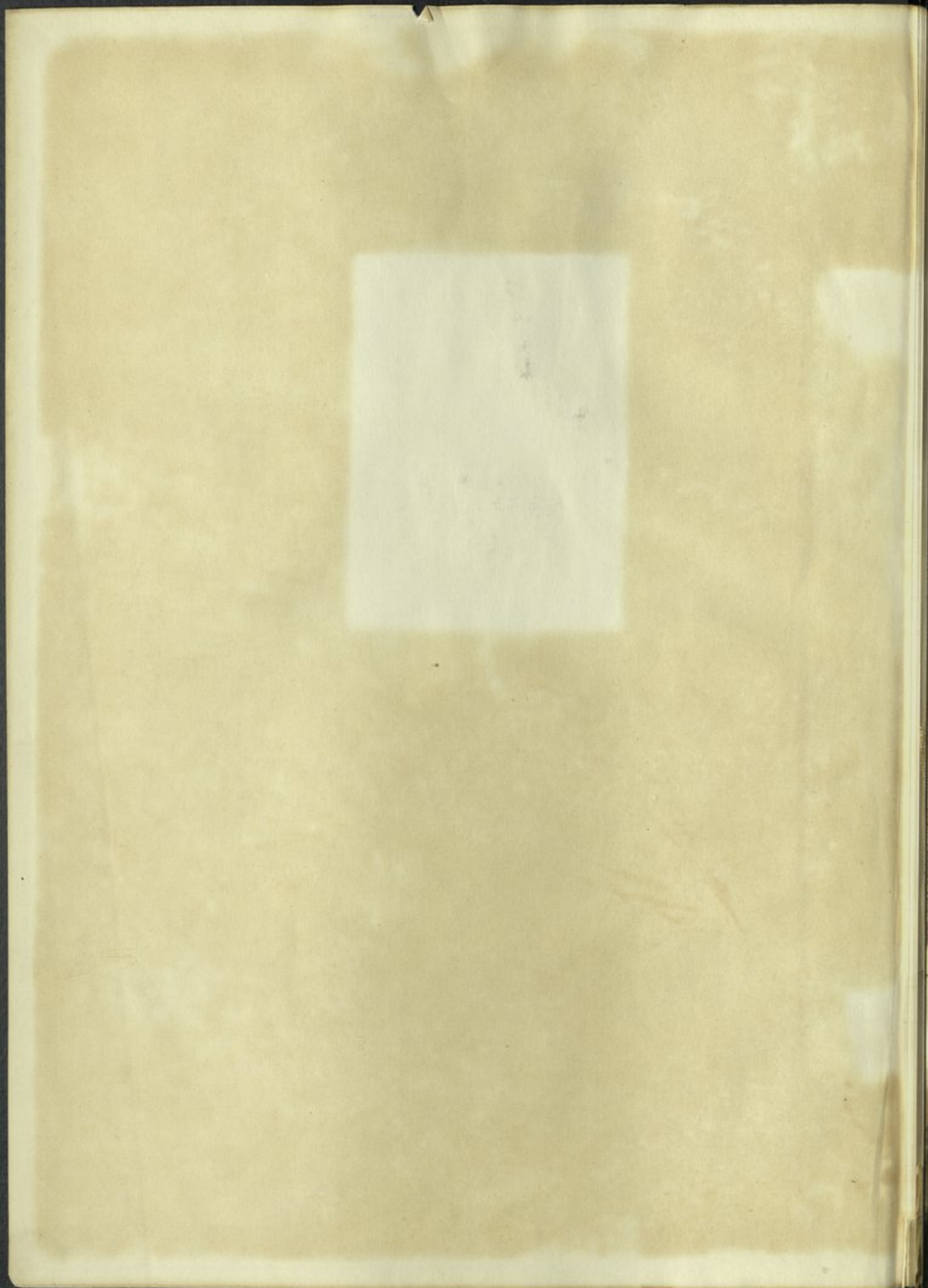


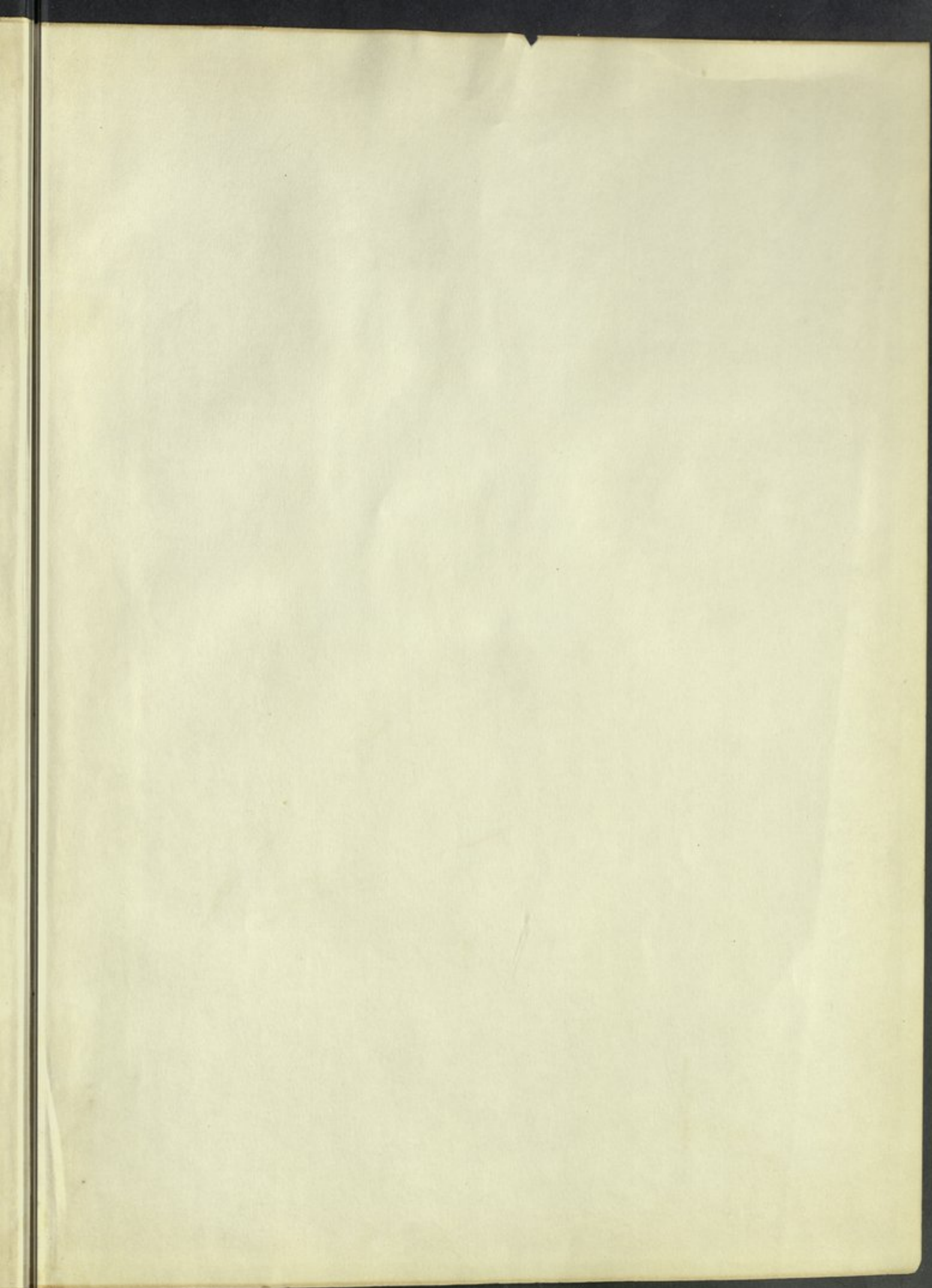
AUB Libraries

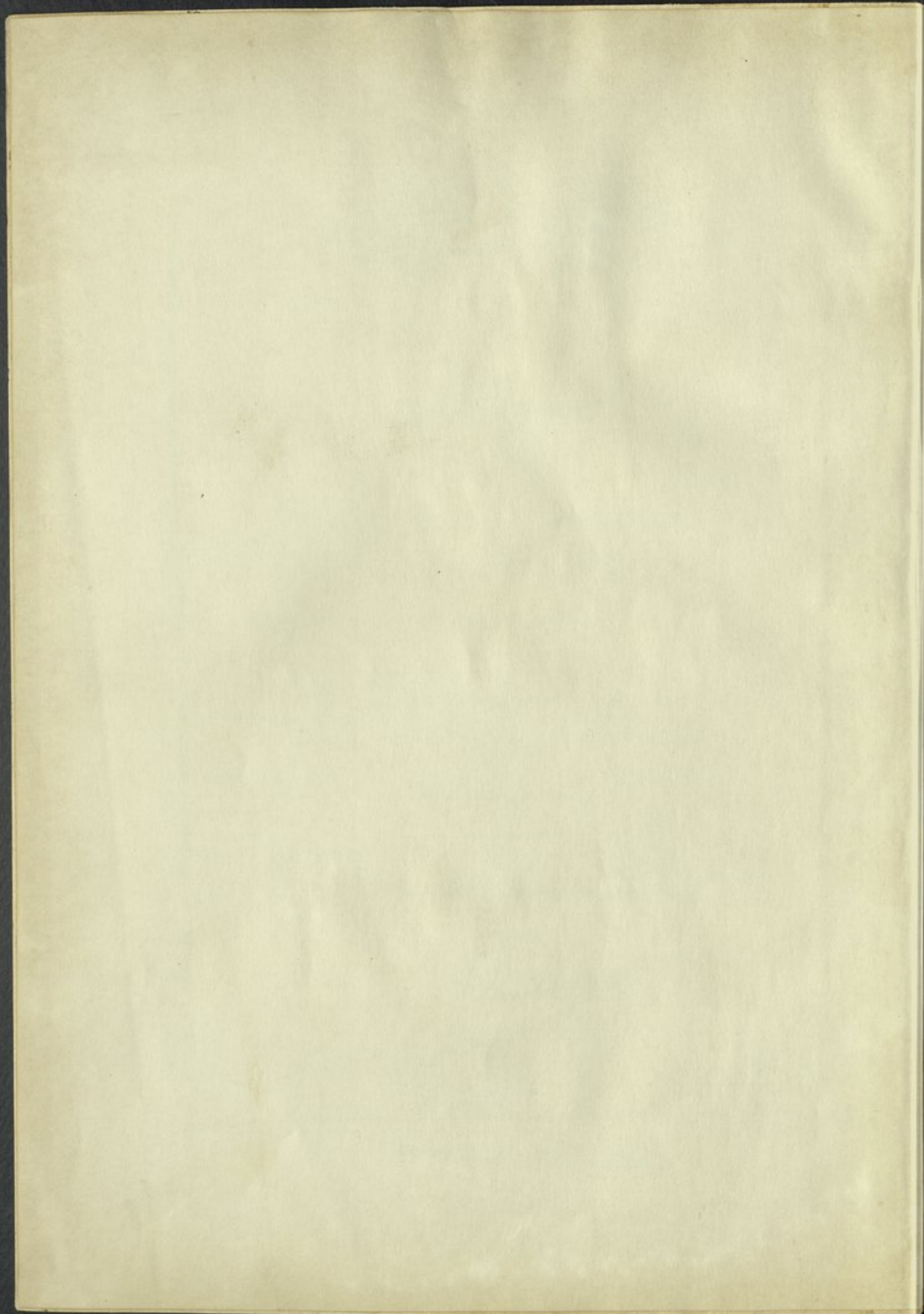
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



مجلد صالح الدكتور
٢٢١٧٧







1887

297.207
T111m A
v.1-2

مَجْمَعُ الْبَيَانِ

فِي

تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

لمؤلفه

الشيخ ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي
من اكابر علماء الامامية في القرن السادس

يقع في خمسة مجلدات

كل مجلد عبارة عن نيف وخمسة صفة بهذا الحجم
ويكون مجموعه مع الفهارس زهاء ثلاثة آلاف صفة

﴿ المجلد الاول ﴾

هذا الجزء جزء من عشرة اجزاء

وقف على تصحيحه فئة من افاضل العلماء

عني بطبعه

احمد عارف الزين

صاحب العرفان

57861

سنة ١٣٣٣
١٩١٦

مطبعة دار المعارف
بيروت

Gift. Cat. Sept. 1939

نقدية الناشر الى مكتبة
جامعة بيروت الاميركية
في عتمة ١٩٢٩
عن صاحب
العرفان

— كلمة الناشر —

بسم الله الرحمن الرحيم

حداني لي طبع هذا التفسير الجليل واستسهال المشاق في سبيل نشره جودة ترتيبه • وحسن
اسلوبه • بحيث لم ينشر له ند قط فضلا عن كونه هو المعول عليه عند الشيعة
الامامية الذين لم يوجد لهم تفسير تتداوله الايدي ويرجع له الباحثون
فعدت العزيمة وصصت النية على طبعه ولو لاقيت من المصاعب
ما لاقيت • وقاسيت من قلة النفقة ما قاسيت •
والله سبحانه هو ولي التوفيق والسداد •
والهادي الى سبيل الرشاد

احمد عارف الزبير

صبرا

﴿ الفهرس ﴾

نشره مع الجزء الثاني ان شاء الله ليكون فهرسا للمجلد كله

ترجمة المؤلف

هو امين الدين وامين الاسلام ابو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الطوسي السبزواري الرضوي او المشهدي رحمه الله تعالى
(اقوال العلماء في حقه)

عن كتاب نقد الرجال للسيد الاجل السيد مصطفي التفرشي وفي تعليقه العلامة الآقا محمد باقر البهبهاني على رجال ميرزا محمد الكبير ثقة فاضل دين عين من اجلاء هذه الطائفة . وعن نظام الاقوال للمولى نظام الدين القرشي تلميذ الشيخ البهائي ثقة فاضل دين عين . وعن فهرست الشيخ منتجب الدين علي بن عبيد الله بن بابويه بعد وصفه بالامام ثقة فاضل دين عين . وفي الوجيزة للعلامة المجلسي ثقة جليل . وفي مستدركات الوسائل فخر العلماء الاعلام وامين الملة والاسلام المفسر الفقيه الجليل الكامل النبيل صاحب تفسير مجمع البيان الذي عكف عليه المفسرون وغيره من المؤلفات الرائقة الشائع جملة منها . وعن رياض العلماء للشيخ الحافظ المتبحر ملا عبد الله الاصفهاني المعروف بالافندي انه وصفه بالشيخ الشهيد الامام وانه قال رأيت نسخة من مجمع البيان بخط الشيخ قطب الدين الكيدي قد قرأها نفسه على نصير الدين الطوسي وعلى ظهرها ايضا بخطه هكذا : تأليف الشيخ الامام الفاضل السعيد الشهيد انتهى قال في مستدركات الوسائل بعد نقل ذلك ولم يذكره ولا غيره كيفية شهادته واعلمها كانت باسم انتهى . وعن صاحب رياض العلماء ايضا انه قال بعد مدحه له عبارات عالية كان قدس سره وولده رضي الدين ابو نصر حسن بن الفضل صاحب كتاب مكارم الاخلاق وسبطه ابو الفضل علي بن الحسن صاحب مشكاة الانوار وسائر سلسلته واقربائه من اكابر العلماء انتهى . وفي الروضات : الشيخ الشهيد السعيد والحبر الفقيه الفريد الفاضل العالم المفسر الفقيه المحدث الجليل الثقة الكامل النبيل ثم حكى عن صاحب رياض العلماء انه ترجمه بنحو ذلك . وفي المقابيس لرئيس المحققين الشيخ اسد الله التستري عند ذكر القاب العلماء ومنها امين الاسلام للشيخ الاجل الاوحد الاكمل الاسعد قدوة المفسرين وعمدة الفضلاء المتبحرين امين الدين ابي علي الخ قدس الله نفسه الزكية وافاض على تربته المراحم السمرمية . وعن مجالس المؤمنين ما ترجمته : ان عمدة المفسرين امين الدين ثقة الاسلام ابو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي كان من نحارير علماء التفسير وتفسيره الكبير الموسوم بمجمع البيان كاف ودليل واف جامعته فنون الفضل والكمال انتهى . وسيأتي عند ذكر جملة من آثاره حكاية وصفه بالشيخ الامام الاجل العالم الزاهد امين الدين ثقة الاسلام امين الروساء . وبالجملة ففضل الرجل وجلالته وتبحره في العلوم ووثاقته امر غني عن البيان واعدل شاهد على ذلك كتابه مجمع البيان كما اشار اليه صاحب مجالس المؤمنين بما جمعه من انواع العلوم واحاط به من الاقوال المتشعبة في التفسير مع الاشارة في كل مقام الى ما روي عن اهل البيت عليهم السلام في تفسير الآيات بالوجوه البينة المقبولة مع الاعتدال وحسن الاختيار في الاقوال والتأديب وحفظ اللسان مع من يخالفه في الرأي بحيث لا يوجد في كلامه شيء ينفر الخصم او يشتمل على التهجين والتقييح وقل ما يوجد في المصنفين من يسلم كلامه من ذلك وانظر الى كلامه في مقدمة جامع الجوامع في حق صاحب الكشاف وما فيه من التعظيم له والثناء البليغ على علمه وفضله تعلم انه من الفضل والانصاف وطهارة النفس في مرتبة عالية
(مشأته)

يروى هذا الشيخ الجليل عن جماعة (١) الشيخ ابو علي بن الشيخ الطوسي (٢) الشيخ ابو الوفاء عبد الجبار ابن علي المقرئ الرازي عن الشيخ الطوسي (٣) الشيخ الاجل الحسن بن الحسين بن الحسن بن بابويه القمي الرازي جد منتجب الدين صاحب الفهرست (٤) الشيخ الامام موفق الدين الحسن بن الفتح الواعظ البكر ابادي عن ابي علي الطوسي (٥) السيد ابو طالب محمد بن الحسين الحسيني القضي الجرجاني (٦) الشيخ الامام السعيد الزاهد ابو الفتح عبد الله بن عبد الكريم بن هوازن القشيري روى عنه صحيفة الرضا المعروفة (٧) الشيخ ابو الحسن عبيد الله

محمد بن الحسين البيهقي الذي قال في حقه صاحب رياض العلماء على ما حكى عنه انه فاضل عالم محدث من كبار الامامية يروي عنه الشيخ ابو علي الطبرسي على ما يظهر من تفسير سورة طه في مجمع البيان انتهى (٨) الشيخ جعفر الدورستي الذي هو من تلامذة المفيد

(تلامذته)

يروى عنه جماعة من افاضل العلماء منهم ولده رضي الدين ابو نصر حسن بن الفضل صاحب كتاب مكارم الاخلاق المشهور الذي طبع مرارا في مصر محررا تحريفاً قبيحاً ثم تصدى بعض اهل الفضل والغيرة لطبعه طبق اصله في بلاد ايران مع التنبيه على مواضع التحريف في الطبعة المصرية وهو من تلامذته ايضا كما في المقابيس . ويروي عنه ايضا رشيد الدين ابو جعفر محمد بن علي بن شهر اشوب وهو من تلامذته ايضا قال في باب الكنى من كتابه معالم العلماء على ما حكى عنه . شيخني ابو علي الطبرسي . والشيخ منتجب الدين صاحب الفهرست وهو من تلامذته ايضا قال في فهرسته شاهدهته وقرأت تفقها عليه . والقطب الراوندي والسيد فضل الله الراوندي صاحب كتاب الخرائج والجرائح (١) والسيد ابو الحمد مهدي بن تاز الحسبي القايي . والسيد شرف شاه بن محمد بن زيادة الافطسي والشيخ عبد الله بن جعفر الدورستي وشاذان ابن جبرئيل القمي وغيرهم . وعن صاحب الواروة انه عد من جملة مشايخ برهان الدين بن محمد بن علي القزويني الهمداني

(مصنفاته)

له مصنفات كثيرة نافعة وجملة منها مشهور . وفي المقابيس له مؤلفات فائقة رائعة وقد سمعت قول الفاضل النوري ان له مؤلفات رائعة وجملة منها شائع . وقال السيد مصطفي التفرشي له مصنفات حسنة . وفي التعليقة له تصانيف حسنة الى غير ذلك من اقوال العلماء . ونحن نذكر اسما ما وصل الينا من مصنفات وهي (مجمع البيان) لعلوم القرآن فسر به القرآن الكريم في عشر مجلدات المستمد من التبيان لشيخ الطائفة محمد بن الحسن بن علي الطوسي كما ألمع الى ذلك في مقدمة مجمع البيان والفائق عليه في الترتيب والتهديب والتحقيق والتمحيق واختصار الفروع الفقهية التي اكثر الشيخ من ذكرها وهو من احسن التفاسير واجمعها لفنون العلم واحسنها ترتيبا فرغ من تأليفه منتصف ذي القعدة سنة ست وثلاثين وخمسمائة . (قال) في كشف الظنون مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ فقيه الشيعة ومصنفهم ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي المتوفى سنة احدى وستين وخمسمائة وهو كبير وقد رأيت تفسيره المسمى مجمع البيان وهو على طريقة الشيعة وقد اختصر الكشاف وسماه جوامع الجوامع (٢) انتهى . وقال في مقام آخر جوامع الجامع في التفسير للشيخ ابي علي الطرطوشي صاحب مجمع البيان انتهى . فقد اشتبه عليه مصنف مجمع البيان بصنف التبيان وجعل جوامع الجامع تارة للشيخ ابي جعفر الطوسي وتارة للشيخ ابي علي الطبرسي مع تصحيف الطبرسي بالطرطوشي والاشتباه في تسميته بجوامع الجوامع مع انه انما يسمى بجوامع الجوامع او جوامع الجامع كما ستعرف وجعل تاريخ وفاة الطبرسي تاريخا لوفاة الشيخ الطوسي فان الطوسي توفي سنة ستين واربعمئة مع ان التاريخ المذكور لا ينطبق على وفاة الطبرسي ايضا كما ستعرف من انه توفي سنة خمسمائة وثمان واربعين او اثنتين وخمسين ولم يذكر احد انه توفي سنة احدى وستين وله في بيان كتب الشيعة اشتباهات كثيرة غير هذا يجدها المتبع . (وانعد) الى ذكر بقية مؤلفات الطبرسي وهي (الكاف الشاف) من كتاب الكشاف (جامع الجوامع) او (جوامع الجامع) صنفه بعد اطلاعه على الكشاف لأنه صنف مجمع البيان قبل ان يطالع على الكشاف فلما اطالع عليه صنف جامع الجوامع ليكون جامعا بين فوائد الكتابين بوجه الاختصار كما صرح به في مقدمته . وعد الشيخ منتجب الدين على ما نقل عنه في الفهرست في مصنفاة (الوسيط) في التفسير اربع مجلدات (الوجيز) مجلدة وعن نقد الرجال عند ذكر مصنفاة الوسيط اربع مجلدات والوجيز مجلدان وفي المقابيس ان جامع الجوامع هو الوسيط الذي في اربع مجلدات او الوجيز الذي في مجلد او مجلدين والظاهر ان الوسيط

(١) وصاحب الشرح الكبير على نهج البلاغة (٢) منحصر الكشاف انما هو الكاف الشاف لجامع الجوامع كما لا يخفى على من رآه ولعل الاسمين لمسى واحد كما ستراه قريبا

هو الكافي الشاف انتهى ويظهر مما تقدم عن كشف الظنون ان الكافي الشاف هو جامع الجوامع (الوافي) في تفسير القرآن ايضا (اعلام الوري) باعلام المهدي في فضائل الائمة (ع) في مجلدين . قيل ومن الغرائب ان السيد رضي الدين بن طاووس الف كتاب ربيع الشيعة على نهج اعلام الوري وقد وافقه في جميع الابواب والفصول والمطالب وبالجملة لا تفاوت بينها اصلا (تاج المواليد) (الآداب الدينية) (الخزانة المعينية) (النور المبين) (الفائق) (غنية العابد) (كنوز النجاح) نسبة اليه فيما قيل رضي الدين بن طاووس في مهج الدعوات والكفعمي في المصباح وحواشيه (عدة السفر وعمدة الحضر) نسبة اليه الكفعمي ايضا على ما قيل (معارج السوءال) (اسرار الائمة) او الامامة نسبها اليه بعض العلماء على ما قيل واستظهر صاحب الروضات ان الاخير اولده الحسن بن الفضل (مشكاة الانوار) في الاخبار نسبة اليه في كتاب دفع المناوأة على ما قيل وفي الروضات الظاهر انه غير مشكاة الانوار في غرر الاخبار التي هي لسبطه الشيخ ابي الفضل علي بن الشيخ رضي الدين ابي النصر وهو كتاب ظريف يشتمل على اخبار غريبة لأن ماله في الاخبار وما لسبطه في الادعية انتهى (رسالة) حقائق الامور (العمدة) في اصول الدين والفرائض والنوافل بالفارسية (كتاب شواهد التنزيل) قواعد التفضيل ذكره في مجمع البيان في ذيل آية يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك (كتاب) الجواهر في النحو ولكن في الروضات ظني انه من مؤلفات الشيخ شمس الدين الطبرسي النحوي الذي قد ينقل عنه الكفعمي في البلد الامين . وينسب اليه كتاب (نثر اللآلي) وربما قيل انه للسيد علي بن فضل الله الحسيني الراوندي وهي رسالة مختصرة مجموعة من كلام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (ع) مرتبة على حروف المعجم على نهج كتاب غرر الحكم ودرر الكلام الذي جمعه عبد الواحد الأمدي التميمي فيما يزيد عن اربعة آلاف بيت (١) ويزيد حجمه عن نهج البلاغة رأيت منه نسخة بمشق بخط جيد وذكر في مقدمته ان الجاحظ جمع مائة حكمة شاردة من كلام امير المؤمنين (ع) وافتخر بذلك فجمع هو ما يزيد عليها اضافة مضاغفة قال في الروضات مع ان ما جمع في كتاب غرر الحكم هو غير المائة كلمة المشهورة وغير الالف كلمة التي جمعها ابن ابي الحديد في آخر شرح النهج . وقال ايضا ان كتاب نثر اللآلي المذكور غير كتاب نثر اللآلي في الاخبار والفتاوى لابن ابي جمهور الاحسائي انتهى وبالمناسبة لابس ان نذكر هنا ما وجدناه منقولاً عن قطب الدين الكيدري في شرح نهج البلاغة عن صاحب النهج انه قال سمعت بعض العلماء بالبحر ذكروا انه وجد بمصر مجموعاً من كلام امير المؤمنين عليه السلام في نيف وعشرين مجلداً انتهى ولا يستغرب ذلك عن باب مدينة العلم . وعد غير واحد من العلماء كتاب الاحتجاج من مصنفاته وهو غلط بل هو من مصنفات احمد بن علي ابن ابي طالب الطبرسي كما صرح به ابن شهر آشوب في معالم العلماء وغيره على ما حكى . وفي الروضات قد يوجد في بعض الفهارس نسبة كتاب (الكافي) اليه ولا يبعد اشتباهه بكتاب الوافي . اقول بل الظاهر انه هو الكافي الشاف الذي تقدم ذكره

(حكاية غريبة عنه)

عن صاحب رياض العلماء انه قال مما اشتهر بين الخاص والعام انه (ره) اصابته السمكة فظنوا به الوفاة ففسلوه وكفنوه ودفنوه وانصرفوا فافاق ووجد نفسه مدفوناً فنذر ان خلاصه الله من هذه البلية ان يؤلف كتاباً في تفسير القرآن وافق ان بعض النباشين كان قد قصد قبره في تلك الحال واخذ في نبشه فلما نبشه وجعل يتزع عنه الاكفان قبض بيده عليه فخاف النباش خوفاً عظيماً ثم كانه فازداد خوف النباش فقال له لا تخف واخبره بقصته فجمعه النباش على ظهره ووصله الى بيته فاعطاه الاكفان ووهب له مالا جزيلاً وتاب النباش على يده ثم وفي بندره والف كتاب مجمع البيان انتهى قال الفاضل النوري في مستدركات الوسائل بعد نقل هذه الحكاية ومع هذا الاشتهار لم اجدها في مؤلف احد قبله وربما نسبت الى العالم الجليل المولى فتح الله الكاشاني صاحب تفسير منج الصادقين وخلصته وشرح النهج المتروفي سنة اتمائة وثمان وثمانين انتهى

(١) يراد بالبيت في اصطلاحهم السطر

اقول ومما يبعد هذه الحكاية مع بعدها في نفسها من حيث استبعاد بقا حياة المدفون بعد الافاقة انها لو صحت لذكرها في مقدمة مجمع البيان لغرابتها ولاشتمالها على بيان السبب في تصنيفه مع انه لم يتعرض لها والله اعلم
(جملة من آثاره)

قال في امل الآمل ومن رواياته صحيفة الرضا (ع) انتهى . قال صاحب رياض العلماء على ما حكى عنه ان في اول بعض نسخ صحيفة الرضا (ع) هكذا : اخبرنا الشيخ الامام الاجل العالم الزاهد امين الدين ثقة الاسلام امين الروسا ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي اطال الله بقاءه يوم الخميس غرة شهر الله الاصح رجب سنة ٥٢٩ قال اخبرنا الشيخ الامام السيد الزاهد ابو الفتح عبد الله بن عبد الكريم وفي بعضها يروي تلك الصحيفة عن ذلك السيد قراءة عليه داخل القبة التي فيها قبر الرضا (ع) غرة شهر الله المبارك سنة احدى وخمسة قال حدثني الشيخ الجليل العالم ابو الحسن علي بن محمد بن علي الحاتمي الزوزني قراءة عليه سنة ٥٧٧ انتهى موضع الحاجة وتفرد بمقالة في الرضا معروفة مذكورة في كتب فقهاتنا وهي قوله بعدم اعتبار اتحاد الفحل في نشر الحرمة . ويحكي عنه القول بأن المعاصي كلها كباثر وانما يكبرن اتصافها بالصغيرة بالنسبة الى ما هو اكبر منها
(مدة عمره ومدفنه)

قبل انه عاش تسعين سنة وولد في عشر سبعين واربعائة وتوفي سنة اثنتين وخمسة انتهى والظاهر سقوط لفظه خمسين من تاريخ الوفاة وكون الولادة في السنة الثانية من عشر السبعين واربعائة ليكون عمره تسعين سنة ولكن عن رجال الامير السيد مصطفى التفريشي انه انتقل من المشهد الرضوي الى سبزوار سنة خمسمائة وثلاث وعشرين وانتقل بها الى دار الخلود سنة خمسمائة وثمان واربعين وقد سمعت عند تعداد مصنفاته قول صاحب كشف الظنون انه توفي سنة احدى وستين وخمسمائة والله اعلم وفي الروضات كانت وفاته ليلة النحر من تلك السنة اي سنة ٥٤٨ ثم نقل نعشه الى المشهد المقدس الرضوي وقبره الآن فيه معروف في موضع يقال له (قتلگاه) اي مكان القتل وذلك لما وقع فيه من القتل العام بأمر عبد الله خان امير الافغان في اواخر دولة الصفوية انتهى وفي المقابيس قال نقل انه دفن في مغتسل الرضا (ع) بطوس انتهى وقال بعضهم ان قبره بطوس معروف مشهور يزار ويتبرك به
(نسبه)

الطبرسي بالطاء المهمة والباء الموحدة المفتوحتين والراء الساكنة بعدها سين مهمة نسبة الى طبرستان بفتح الطاء والباء وكسر الراء كما في معجم البلدان . وعن رياض العلماء هي بلاد مازندران بعينها وقد يعم بلاد جيلان لاشتراكهم في حمل الطبر انتهى وفي معجم البلدان الطبر بالتحريك هو الذي يشق به الاحطاب وماشاكله بلغة الفرس واستان الموضع او الناحية كأنه يقول ناحية الطبر ثم ذكر سبب تسميتها بذلك فقال سببه ان اكثر اهل تلك الجبال كثير الحروب واكثر اسلحتهم بل كلها الاطبار حتى انك قل ان ترى صلوكا او غنيا الا ويبيده الطبر صغيرهم وكبيرهم فكانها لكثرتها فيهم سميت بذلك ومعنى طبرستان من غير تعريب موضع الاطبار والله اعلم انتهى والرضوي والمشهدى نسبة الى مشهد الرضا (ع) لأنه سكن فيه ثم ان الطبرسي حيث يطلق ينصرف الى صاحب الترجمة وان كان يطلق ايضا على ابي منصور احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي مصنف كتاب الاحتجاج والشيخ محمد بن علي بن شهر اشوب فيكون معاصرا لصاحب الترجمة لأن ابن شهر اشوب يروي عن صاحب الترجمة ايضا كما مر عند تعداد تلامذته ويطلق ايضا على ولد صاحب الترجمة رضي الدين ابي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي صاحب كتاب مكارم الاخلاق المار ذكره ويطلق ايضا على ابي علي محمد بن الفضل الطبرسي المذكور بهذا العنوان في امل الآمل والموصوف فيه بانه كان عالما صالحا عبدا يروي ابن شهر اشوب عنه عن تلامذة الشيخ الطوسي انتهى فيكون معاصرا لصاحب الترجمة ايضا . هذا ما تيسر لنا جمعه من ترجمة احواله والحمد لله وصلى الله على محمد وآله وسلم

﴿ كلمة في التفسير ﴾

اللغة فيه

التفسير مأخوذ من فسر المشتق بالاشتقاق الكبير من السفر وهو الكشف والظهور يقال
اسفر الصبح اذا ظهر واسفرت المرأة عن وجهها اذا كشفته
او هو مأخوذ من فسر يفسر كضرب يضرب او كضرب ينصر فسر أو الفسر هو الابانة وكشف
المغطى تقول فسرت الشيء اذا بينته . وقال اللغويون ايضا ان التفسير هو كشف معنى اللفظ
واظهاره قاله في مجمع البحرين

التأويل

التأويل مأخوذ من الأوّل كالقول من آل الأمر الى كذا يؤول اي صار اليه ورجع ومنه
قيل للمرجع مآل . وأول الكلام تأويلا دبره وقدره وفسره قاله في القاموس المحيط . وقال ثعلب
ان التأويل والتفسير واحد . وقال غيره ان التفسير هو كشف المراد عن المشكل والتأويل رد احد
المحتملين الى ما يطابق الظاهر كما في القاموس ومجمع البحرين
ماهيته

استعمل التفسير في اصطلاح العلماء لمعنيين اولهما التفسير الذي هو قسم من اقسام البديع الراجع
الى المحسنات المعنوية ويراد به عندهم ان يأتي المتكلم بمعنى لا يستقل الفهم بادراك خواه ما لم
يفسره كلام آخر بعده كما في قول الشاعر

أراؤهم ووجوههم وسيوفهم في الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصايح تجلوا الدجى والاخريات رجوم

وهذا القسم غير ما زیده الآن

والمعنى الثاني للتفسير فهو ما نعني بالكلام فيه في مقالنا هذا وقد كثر كلام العلماء في شرح
ماهيته فقال بعضهم هو علم بأصول تعرف به معاني كلام الله تعالى من الأوامر والنواهي وغيرها
ومثله قول الرازي وهو ما يبحث فيه عن مراد الله تعالى من قرآنه المجيد وقول التفتازاني وهو
العلم الباحث عن احوال الفاظ كلام الله من حيث الدلالة على مراد الله تعالى وعرفه ابو حيان
وادخل فيه علم التجويد بقوله هو علم يبحث عن كيفية النطق بالفاظ القرآن ومدلولاتها واحكامها
الأفرادية والتركيبية ومعانيها التي هي عنها حالة التركيب وتتمت ذلك . ولكن الزركشي جعل
التعريف موضحا لذكر ما يحتاج اليه علم التفسير فقال هو علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه
محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبيان معانيه واستخراج احكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة
والنحو والتصريف والبيان واحوال الفقه والقرآآت ويحتاج الى معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ

وقد دقق العلامة الفناري في هذه التعريفات ولم يرتضها لعدم جمعها ومنعها واختار للتفسير تعريفاً آخر على ما في كشف الظنون فقال هو معرفة احوال كلام الله تعالى من حيث القرآنية ومن حيث دلالاته على ما يعلم اويظن انه مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية وانت تعلم من اختلاف كلماتهم في التعريفات التي مر بيانها ومن التأمل فيها انهم قد اعملوا الفكر ليكون التعريف جامعاً مانعاً ولكن هذا العلم لكونه يطوي في تضاعيف مسائله مسائل من علوم شتى يدخلها بعضهم فيه ويخرجها بعضهم منه وهي داخلة في حدود غيره من العلوم لا تكاد تجد تعريفاً جامعاً لمسائله مانعاً من دخول غيره فيه ولا تكاد تدلنا على جهة وحدة تضبط مسائله اجمالاً

موضوعه والغرض منه

قالوا ان موضوعه كلام الله تعالى والغرض منه حصول القدرة على استنباط الاحكام الشرعية على وجه الصحة ومعرفة معاني النظم

فائدته

لم يخلق الله تعالى الخلق عبثاً وانما خلقهم ليعملوا بأوامره وطاعته ويحْتَنِبُوا نواهيه ومعاصيه وليتعبده بما اوحاه الى رسله من التكليف لا عن حاجة منه تعالى اليهم بل ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وليفوز المطيع بالطاعة والثواب ويشق العاصي بالمعصية والعقاب ويدلنا بذلك على انه لم يخلق لهم العقول الا ليفكروا ولم يمن عليهم بالجوارح الا ليعملوا واشرف ثمار العقول والاعمال ما اوصل الى السعادة الابدية والفوز الاخروي باتباع اوامره تعالى وتجنب معاصيه سواء في ذلك امر المعاد والمعاش

وقد بين الله تعالى لعباده طرق الفوز ودلهم على ما يرضيه من الاعمال التي تعود عليهم انفسهم بالصالح بما انزله من الشرائع الالهية على لسان انبيائه الكرام عليهم الصلاة والسلام الذين اقام بهم الحجة على العباد فصدعوا بامره وزجروا عن معصيته فانزل الله على كل رسول ذي شريعة كتاباً بلسان قومه ليخرجهم من الظلمات الى النور وليسمعوا كلام ربهم ويعرفوا احكامه والرسول هو الزعيم بتفصيل ما اجمل في الكتاب وتبيان ما ابهم منه فكان من ذلك الكتاب وكان من ذلك السنة النبوية اللذان هما اول الادلة عند علماء اصول الفقه ثم علم الانبياء اوصياهم وامنائهم وخواص اصحابهم ما اليه يرجعون وبه يهتدون من معاني كتاب ربهم وسنة نبيهم ليكونوا بعده مناراً به يهتدى ونبراساً بنوره يستضاء اذا دلهم ليل الجهالة وادجن ظلام الاهواء لئلا تذهب بالامة مذاهب الاهواء فتصرف موارد الشريعة عن مجراها ويتأولون احكام الله على ما يريدون لاعلى ما يريد الله ميلاً مع الشهوات وجرياً مع الاهواء المضلة ويتكلمون بالرأي في القرآن بلا سند اليه يستندون ولا استمسك بكلام الراسخين في العلم اليه يرجعون كما صرف بعض الصوفية معنى قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به الى معنى الحب والعشق وكما ذهب اليه بعض الجاهلين من معنى

قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب فتكلم فيه بالاستحسن ذكره وكما تصرف بعض المنتسبين الى العلم في قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فكتبها ووصل ذا بلام الذي وقطع عين يشفع عنها وجعلها كلمة مستقلة فقال فيها من ذل ذي يشفع وجعل ذي اشارة الى النفس ويشف من الشفاء وع امر من الوعي فكان معناها (واستغفر الله) من ذل هذه النفس يشف رفع هذا الامر وانت خبير بما لهذا الشذوذ من القيمة عند اولي العاقلين نجانا الله من امثال هذه الجهالات ولهذا ورد النهي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم برواية ابن عباس بانه من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وكان الصحابة في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتلقون منه ما يصل بهم الى فهم كتاب ربهم ومعرفة ما يراد منه في كثير من الايات فالتسعة دائرة السنة النبوية والاحاديث الشريفة كل متسع ونشأ من ذلك علم التفسير الذي عني المسلمون به عناية تامة وصرّف جل علمائهم معظم اوقاتهم بحثافيه وتدقيقا فعلم التفسير هو اجل العلوم قدرا لانه الموصل الى فهم مراد الله من كتابه ومعرفة احكام الله في وحيه وما فرضه على عباده وهذه الغاية كما لا يخفى هي اشرف الغايات واحسن الطرق لنيل السعادات وجه الحاجة اليه

انزل القرآن على النبي العربي بلسان عربي مبين فهو عربي الكلام عربي النظم والاسلوب ببلاغة عربية الا ان لغات العرب مختلفة فلغة تميم تخالف لغة قريش ولغة عرب الحجاز تميز عن لغة اهل اليمن والقرآن الكريم وان نزل بلغة قريش قوم النبي وهم افصح العرب على الاطلاق الا انه تضمن بعض الالفاظ من غير اللغة القريشية وعليه حمل كثير من المحققين منهم الامام الطبري في مقدمة تفسيره الكبير معنى قوله عليه الصلاة والسلام نزل القرآن على سبعة احرف كما شاف كاف وفي بعض الروايات ان القرآن نزل على سبعة احرف فلاتاروا في القرآن فان المرء كفر . حملوه على ان المراد بالاحرف السبعة لغات العرب التي نزل بها القرآن وقال بعضهم هم قريش والفاها وقال آخر المراد الحان العرب في اقوالهم واختلاف لهجاتهم فاذا لكل قوم ان يقرأوا بلهجاتهم وحنانهم المعروفة عندهم وقال آخرون هي القرائت السبع وعليه الاكثر وكيفما كان تفسير هذا الحديث فان القرآن الكريم عربي البيان واعجازه وورد في النظم والاسلوب الذي يطلق عليه الشيخ عبد القاهر امام علماء البيان اسم النظم والصور والحواس والمزايا والكيفيات ونحو ذلك وبحكم قطعاً بان الفصاحة من الاوصاف الراجعة اليها وان الفضية التي يستحق بها الكلام ان يوصف بالفصاحة والبلاغة والبراعة وما شاكل ذلك انما هي فيها لا في الالفاظ المنطوقة التي هي الاصوات والحروف ولا في المعاني التي هي الاغراض التي يريد المتكلم اثباتها او نفيها وهي مطروحة في الطريق يعرفها كل احد

وانظم والصور هي التي استحسن السعد المتفاز ان يطلق عليها عند البحث في عبارات الشيخ عبد القاهر اسم الالفاظ والمعاني الاول ولكن مراتب الكلام تتفاوت في البلاغة بحسب تفاوتها في هذه الالفاظ والمعاني الاول وان شئت قل في هذه التراكيب والصور المبنية في الاكثر على المدلولات الاتزامية التي منها البين وغير البين ومع ذلك فانا نجد ان البليغ المتفنن في بيانه قد يسلك لاعتبارات بيانية مسالك الاختصار والايجاز او يرد الاطاب والتلويل او يعتمد على الحذف في بعض الاحوال استنادا الى قرائن ظاهرة او خفية حالية او مقالية او يهمل طريق استنتاج بعض المقدمات او يُغفل بعض العلل اعتمادا على قرائن تتفاوت الافهام في ادراكها ويكون في ذلك جاريا على سنة من الفصاحة ظاهرة فيغلق كلامه على من لا يعرف الدقائق البيانية وكمن اللوازم غير البينة بل ومن البينة ايضا ما لا يتنبه لها الا من راضت البلاغة نفسه وكيفت ذهنه واستم ملكته فالتناس اذا في ادراك ذلك متفاوت الافهام

على ان هذه السنة كانت جارية بين فصحاء العرب وكانوا يأتون بالكلام على وجوه يحتملها ومغازٍ يشير اليها قال ابن قتيبة في كتابه المعروف بمشكلات القرآن ما نصه : «الخطيب من العرب اذا ارتجل كلاما في نكاح او حمة او تحضيض او صلح او ما شبه ذلك لم يأت به من واد واحد بل يتفنن فيختصر تارة ارادة التخفيف ويطيل تارة ارادة الافهام ويكرر ارادة التوكيد ويحني بعض معانيه حتى تعمض على اكثر السامعين ويكشف بعضها حتى يفهمه بعض الاعجمين ويشير الى الشيء ويكني عن الشيء وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال وقد راحل وكثرة الحشد وجلالة المقام ثم لا يأتي بالكلام كله مهذبا كل التهذيب ولا مصنى كل التصفية بل تجده يمزج ويشوب ليدل بالنقص على الوافر وبالعث على السمين ولو جعله كله من بحر واحد لبخسه بهاء وسلبه ماؤه ومثل ذلك الشهاب من القبس يبرزه للشعاع والكوكبان يقتربان فينقص التوازن . والسحاب ينتظم بالياقوت والمرجان والعقيق والعقبان ولا يجعله كله جنسا واحدا من الرفيع الثمين ولا النفيس المصون»

وقد سرت هذه السنة الى المؤلفين فترى بعضهم يتجرى البلاغة مع الاختصار في مؤلفه بحيث يطوي تحت الفاظ قليلة معاني كثيرة وبعضهم يبسط ويطيل وهكذا حتى احتاج كثير من كتب العلم الى شروح وهوامش تفتح ما استغلق وتفصل ما ابهم بل تجد الخلاف قائما بين الشراح على تأويل عبارة او في مؤداها ولذلك عني بعض المؤلفين بشرح كتبهم انفسهم يدلوا على مقاصدهم ومع ذلك قد يعترض عليهم بان شرحهم بعض الجمل لا ينطبق على مؤداها وما كان ذلك الا لاختلاف الافهام في ادراك ماهية النظم والاسلوب وانا نجد عناية العلماء كانت مصروفة لعقد المجالس اللغوية لشرح المعاني البيانية في كلام الخطباء والشعراء شرحا يفتح مغلقها ويبين مجملها

وفي كل ذلك لم يتخذ احد منه قدحا في الكلام المشروح ولا طعنا فيه مادام جاريا على سنة التراكيب العربية وعلى مقتضى الاسلوب البياني بل كان ذلك رافعا من شأن الكلام مظهرا مزيتها في عالم البلاغة وهذا مما امتازت به اللغة العربية وكان من اهم خاصياتها والقرآن الكريم وان كان انزل بألفاظ عربية يفهم معانيها المخاطبون في عصر صاحب الرسالة صلوات الله عليه وآله وكل من عرف اوضاع اللغة في غير ذلك العصر ولكن نظمه المعجز واسلوبه العالي لو كان مغسولا مبدولا لم يكن له قيمة عند العرب الذين كانت تقام اسواقهم وتعمر متدياتهم بالتفاخر في افانين الفصاحة والبلاغة وتبريز الخطباء ونشر شعر الشعراء فاذا كان القرآن مبدول الاسلوب بقصد افهام كل احد ممن سلف وخلف ما يراد منه عارفا بافانين الكلام او غير عارف كان غير جار على سنتهم بل كان دون كلامهم فتصرف عنه القلوب ولا تدعن له تلك الطبايع الجافية ولا تطأطأ له هذه الرووس الشامخة التي اذعت لبلاغته ووقفت حيرى دون اعجازه وخلبت الباهة بقصاحته . وعند ذلك تفوت الفائدة المطلوبة ولا يؤثر الاثر المقصود والله سبحانه انزله على نبيه الكريم وتحقق البلاغ . بمعجز بلاغته فجزوا عن الاتيان بسورة من مثله بل لو

اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا واما كان معجزا في نظمه واسلوبه والنظم في اللغة العربية المتزلة الفريدة في لباس الكلام حلة البهاء والنضرة والرواء والبهجة والتراكيب افانين ومناهج يستطرقها ارباب الفصاحة بما يضارون لها من متخير الالفاظ وبديع الكتابيات ولطائف الاستعارات والمجازات واطافة الاسلوب مما يجذب اليهم القلوب . والعقول متفاوتة فبأرزقته من الادراك قرب مستدل على معنى بجملة يستدل غيره بها على ضده فلا بد اذا من الرجوع الى الراسخين في العلم بعد انحطاط اللغة اتمحيص ذلك وبمثل هذا احتاج الكتاب الكريم الى التفسير والبيان وتفسيره من قبيل بسط الالفاظ الوجيزة وكشف معانيها وترجيح بعض الاحتمالات على بعض

وان في القرآن آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات وفيه ناسخ ومنسوخ ومجمل ومبين وعام وخاص واحكام وفرائض وسنن وقصص ومواعظ وحكم وامثال وما اشبه ذلك فيما كان راجعا الى الاخبار والمواعظ فاللفظ دال بظاهره على معناه وقد كان اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عصره يأخذون منه بما يفهمون

يوم كانت ملكة اللسان عند العرب لا يرجع فيها الى كتاب او نقل بل كانت فطرية حتى اذا فسدت اللغة بمخالطة الاعاجم وبعُد زمن العرب عن اهل اللسان المخاطبين بالقرآن تنوسي ذلك واحتيج في مثله الى علم التفسير وما كان راجعا الى الفرائض والسنن والناسخ والمنسوخ وامثال ذلك فلا بد فيه من الوقف حتى زمن نزوله ليعلم النص من قبل من شرع الله هذا الدين على لسانه وبذلك كانت السنة النبوية شارحة لمعاني الكتاب متممة لما فرضه الله او نذب اليه وكان علم التفسير كافلا بياضاح ذلك

وقد تداوله الصحابة في عصره (ص) حتى دونت العلوم ويوت ابوابها وجعل كل علم اصلا برأسه بعد زمن التابعين وكان دخل في الاسلام جماعة من علماء اهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام وكعب الاحبار ووهب بن منبه وامثالهم وكثير من مشركي العرب الذين اُقتنوا علومهم عن علماء اليهود وهو لا لم تتغير معارفهم فيما يرجع الى الاخبار والمواعظ التي لم يتوقف القول فيها على نص النبي (ص) فكانوا يفصلون مجمل القصص واخبار الملاحم وامثال ذلك بعد عصر النبي على ما هو مغروس في اذهانهم من علومهم الاسرائيلية وكانت العامة يومئذ تنعكف عليهم لاستماع اخبارهم والنفس مولعة بتعلم ما تجهه فكثرت الرويات الاسرائيلية في كتب التفسير واختلط الغث بالسمين ولم يعحصها العلماء بنقدهم لا هو معروف بينهم من التسامح في ادلة السنن وما جرى مجراها ولا انصراف همهم الى نقد ادلة الاحكام التكليفية وتحصيلها اللهم الا قليلا من المحققين لم يفعلوا هذا الأمر ولا يكنهم لم تكن قوتهم هذه لتصد تياره الجارف فلم يوثروا الاثر المطلوب

فانتعت بذلك دائرة علم التفسير وازدادت في الناس الحاجة الى الوقوف على المصني المتقى من الاقوال فيه

اختلاف اذواق المفسرين

قد يتصدى للأمر من لا يحسنه فيعجز عن نيل المراد وقد يتصدى له الضليع فيه ولكنه يغلب على طبعه جهة واحدة منه فيطنب فيها حتى يكاد يهمل ما سواها ويمسك بالمفسر لكتاب الله ان يكون جامعاً للعلوم العربية ولعلوم القرآن قال الزمخشري: «ان العلماء كما بينوا في التفسير شرائط بينوا في المفسر ايضا شرائط لا يحل التعاطي لمن عري عنها او هو فيها ضالغ وهي ان يعرف خمسة عشر علما على وجه الاتقان والكمال (١) اللغة (٢) النحو (٣) التصريف (٤) الاشتقاق (٥) المعاني (٦) البيان (٧) البديع (٨) القراءات (٩) اصول الدين (١٠) اصول الفقه (١١) اسباب النزول والقصص (١٢) الناسخ والمنسوخ (١٣) الفقه (١٤) الاحاديث المبينة لتفسير المجمع والمبهم (١٥) علم الوهبة وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم»

فاذا كان العالم جامعاً لهذه العلوم مع رسوخ قدم فيها وفضل تحقيق وصلح لأن يصحكون مفسراً فربما يغلب عليه الجهة التي هو اليها اميل وبها اعرق فينحو في البحث نحوها ويطنب في امرها اطناباً يكاد يجعل بحجمه مقصوداً عليها والزمخشري نفسه مع سعة باعه وجودة تفسيره المعروف بالكشاف قد نحا فيه منحى الجانب البياني من التفسير اكثر من غيره فكان الكشاف بذلك كتاباً بيانياً اكثر منه تفسيرياً

وقد عني بعض المفسرين بعلوم النحو والاعراب فبحث واطال حتى خرج عن الحد وتمسك بعضهم بعلم الفقه فلم يدع شاردة الا ذكرها وبعضهم نحا منحى الاخباريات وغفل عما عداها وبعضهم شغف بالعلوم الفلسفية فصرف كلامه في التفسير اليها وهكذا حتى اصبحت كتب التفسير كأن كل كتاب منها الف في غير ما الف فيه الآخر بل تكاد تستخرج من مجموعها دائرة معارف عربية قال صاحب كشف الظنون: «ومنهم من ملأ كتابه بما غلب على طبعه من الفن واقتصر على ما تهر فيه كأن القرآن انزل لأجل هذا العلم لا غير مع ان فيه تبيان كل شيء فالنحوي تراه ليس له الا الاعراب وتكثير الالوجه المحتملة فيه وان كانت بعيدة . وينقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كازجاج والواحدي في البسيط واي حيان في البحر والنهر . والاخباري ليس له شغل الا القصص واستيفائها والاخبار عن سلف سواء كانت صحيحة او باطلة ومنهم الثعلبي والفقيه يكاد يسرد فيه

الفقه جميعا وربما استطرد الى اقامة ادلة الفروع الفقهية التي لا تعلق لها بالآية اصلا والجواب عن الادلة للمخالفين كالقرطبي . وصاحب العلوم العقلية وخصوصا الامام الرازي قد ملأ تفسيره باقوال الحكماء والفلاسفة وخرج من شيء الى شيء حتى يقضي الناظر عجباً قال ابو حيان في البحر جمع الامام الرازي في تفسيره اشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ولذلك قال بعض العلماء فيه كل شيء الا التفسير»

اما قدماء المفسرين فقد كانوا على طريقة مولانا في عصرهم من ايراد الاقوال والاحاديث مسندة الى روايتها منقولة بوجوه متعددة واقتصر فيها على شرح العائني وايراد الاحاديث الدالة على ذلك مع بيان الناسخ والمنسوخ واسباب النزول ومقتضيات الحال وما اشبه ذلك مما كان متداولاً في عصر الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله ولم يعنوا بشرح اللغة ودقائق الاعراب ونكات البيان لأن ملكة اللغة كانت في زمنهم لم تنحط الى درجتها التي وصلت اليها بعدهم بل كانت علوم اللسان يومئذ غير مدونة وكانت معرفتها الى السليقة والفترة اقرب منها الى التعلم ولم تكن هذه المباحث يومئذ معدودة في التفسير حتى اذا دونت الكتب وكثر المؤلفون وبعد عصر العربية الفصحى اصبح هذا البحث من اركان علم التفسير وعني به المحققون من المفسرين وظهر في العصر السادس الهجري كتاب الكشاف للعلامة الزمخشري جامعا لعرايب الفنون من علوم اللسان شارحا دقائق البيان ونكات البلاغة شرح خبير علم فكان كتابا ممتعا في باب

ثم ظهر كتاب مجمع البيان للعلامة الطبرسي فكان غاية في الاتقان وحسن الترتيب والتبويب وجمع الى البحث عن اللغة والاعراب بيان النظم وسبب النزول ثم فصل المعنى تفصيلا لم يكن فيه اطناب بل ولا اختصار مخل وهو بذلك من احسن كتب التفسير تنسيقا وتاليفا ومع ذلك فهو يورد الاقوال المختلفة غير متعرض لتقد أو اعتراض بل تراه يسرد الاقوال ويترك الحكم فيها للمطالع ليشحن ذهنه باختيار ما يراه صوابا ويتعود به من لم يتعود ملكة النقد والتمحيص

اقسام التفسير

تقدم معنا البحث انه بعد ان بعد عصر اللغة الفصحى وفسدت الملكات اللسانية من العرب اصبح البحث عن ما يرجع الى اللسان من بيان اللغة والاعراب والبلاغة في تادية المراد وما اشبه جزءا من علم التفسير فكان هذا قسما والتسم الآخر ما كان مستندا الى الآثار المنقولة عن السلف كعرفة الناسخ والمنسوخ واسباب النزول ومقاصد الآي والقرآت وقصص الامم واخبار الملاحم وهذا عزل الرأي عنه وتوقف البحث فيه على ما يرد من الاحاديث المستندة الى النبي المصطفى (ص) وامنائه الكرام وان كان يمكن في القصص والمواعظ الاخذ بظاهر اللفظ دون اعمال الفكر وملكة الاستنباط

ثم ان من التفسير ما يجوز للراسخ في العلم ان يأخذه بطريق النظر والاستدلال ومنه ما لا يجوز مما يتوقف البحث فيه على الآثار النبوية فليس للفكر والاستنباط عليه سبيل لأنه وارد في موارد خاصة لا يعرفها الا من خبرها وليس للرأي فيها مجال البتة ومنه ما لا يتوقف القول فيه على الآثار النبوية وهو ما كان مبنيا على الاقيسة والقواعد العلمية كفنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم في هذا مجال لقوة الاستدلال والاستنباط ومنه استنباط الاحكام الشرعية عما يصلح ان يكون دليلا لها في الكتاب المبين واما الآيات المتشابهات فقد اختلف في جواز اعمال النظر فيها ورجح المحققون ان يرد الحكم فيها الى الله ورسوله

واما ما ورد من النهي عن التفسير بالرأي فقد جعله في كشف الظنون في انواع خمسة اوها التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير وثانيها تفسير المتشابه الذي لا يعلمه الا الله تعالى وثالثها التفسير المقرر للمذاهب الفاسدة بأن يجعل التفسير تابعا للمذهب فيرده اليه بأي طريق كان وان كان ضعيفا واربعا التفسير بأن مراد الله كذا على القطع من غير دليل وخامسها التفسير بالاستحسان وهو النهي عنه وقد قسم ابن عباس (رض) وجوه التفسير الى

اربعة اقسام تفسير لا يعذر احد بجهالته وتفسير تعرفه العرب بكلامها وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله فاما الذي لا يعذر احد بجهالته فهو ما يلزم به الكافة من الشرائع التي في القرآن وجل دلائل التوحيد واما الذي تعرفه العرب بلسانها فهو حقائق اللغة وموضوع كلامهم واما الذي يعلمه العلماء فهو تاويل المتشابه وفروع الاحكام واما الذي لا يعلمه الا الله فهو ما يجري مجرى الغيوب وقيام الساعة

طبقات المفسرين

اول من تكلم في تفسير القرآن من اصحاب رسول الله (ص) مولانا امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) وهو اعلم المسلمين بكتاب الله وتأويله بلا مدافع بل هو باب مدينة العالم قال ابن مسعود ان القرآن نزل على سبعة احرف مامننا حرف الا وله ظهر وبطن وان عليا عنده من الظاهر والباطن ثم عبد الله بن عباس حبر الامة وترجمان القرآن ووارث ثلثي علوم رسول الله وقد دعا له النبي بقوله اللهم فقهم في الدين وعلمه التأويل ولذلك كثرت الرواية في التفسير عنه حتى كان ما يقارب النصف من الاحاديث الواردة في التفسير مستندا اليه

ثم عبد الله بن مسعود ذو المقام العالي بين المفسرين وثاني ابن عباس في كثرة الرواية وابي بن كعب وهو احد الاربعة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي (ص) والمقدم بين القراء وفي الصحابة غير من ذكرنا كثيرون تكلموا في التفسير ولكن الرواية عنهم قليلة وفي التابعين اشتهر علي بن ابي طلحة خريج ابن عباس وقيس بن مسلم الكوفي ومجاهد بن جبر المكي وقتادة بن دعامة السدوسي واسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكوفي وعكرمة مولى ابن عباس وهو لاهم اشهر التابعين في التفسير وطاوس بن كيسان البجلي وعده ابن تيمية من اعلم الناس في التفسير كما في الاتقان وعطاء بن ابي رباح المكي وجابر بن يزيد الجعفي ومحمد بن السائب الكلبي وهو علامة وقته والحسن البصري وهو اشهر من ان يعرف ومالك ابن انس وعامر الشعبي وعطاء بن ابي سلمة وسليمان بن مهران الاعمش وابو العالية رفيع بن مهران الرياحي والضحاك بن مزاحم وعطية بن سعيد العمفي وكثير غيرهم ممن لا يسع المقام تعدادهم وفي زمن التابعين دون التفسير وصنف فيه واول كتاب ظهر في التفسير كان لسعيد بن جبيرة المتوفى سنة ٦٤ وكان اعلم التابعين في التفسير نص على ذلك قتادة وحكاه السيوطي في الاتقان ثم ابو محمد اسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي القرشي المعروف بالسدي المتوفى سنة ١٢٧ قال السيوطي ان تفسيره من امثل التفاسير ثم محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ١٤٦ صاحب التفسير الكبير وابو حمزة الثمالي صاحب الامام ابي محمد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ذكر تفسيره ابن النديم ثم ابو بصير الاسدي صاحب الامام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) وله تفسير جليل وهو من تابعي التابعين ومن صنف في التفسير من التابعين جابر بن يزيد الجعفي المتوفى سنة ١٢٧ ومنهم شعبة بن الحجاج وسفيان ابن عيينة ومجاهد وهو لاهم اهل المائة الثانية للهجرة وعرف بالتصنيف في هذا العلم من اهل هذه المائة عبد الملك بن جريج المكي الاموي بالولاء وزيد بن اسلم العدوي ومقاتل الازدي ووكيعة بن الجراح الكوفي وابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ صاحب كتاب الرغيب في علوم القرآن

وفي المائة الثالثة اشتهر بالتفسير محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير الكبير الذي جمع فاعى وهو البحر الذي ورده اكثر من تأخر عنه من المفسرين ومحمد بن خالد البرقي صاحب كتاب التفسير املا. الامام ابي محمد الحسن العسكري (ع) حكاه ابن شهر اشوب في معالم العلماء. وعلي بن ابراهيم القمي وابن ماجه محمد بن يزيد القزويني المحدث المشهور والاشج ابو سعيد بن راهويه

وفي المائة الرابعة عرف النيسابوري وابو الحسن الاشعري امام اهل السنة وعلي بن عيسى الرماني النحوي المشهور
وابو هلال العسكري وعبد الله بن محمد الكوفي وابن حبان وابن فورك
وفي المائة الخامسة عرف شيخ الطائفة الامامية وقيدها الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي صاحب كتاب
البيان الجامع لكل علوم القرآن ثم السيد الشريف الرضي الموسوي صاحب كتاب حقائق التنزيل ودقائق التأويل
وامام الحرمين ابو العلي الجويني وعبد الملك الثعالبي
وفي المائة السادسة اشتهر جار الله الزمخشري صاحب الكشاف الذي لم يؤلف في بابيه مثله جودة واتقاناً
واشتهر ابو علي الفضل بن الحسن الفاضل الطبرسي صاحب كتاب مجمع البيان وهو التفسير المشهور الذي لم ينسج
على مثواله ابدع منه وابو البقاء العكبري وابو محمد البغوي وابن الدهان
وفي المائة السابعة اشتهر البيضاوي صاحب التفسير المشهور المسمى بانوار التنزيل الذي تناوله العلماء بالشروح
والتعليق واتخذه طلاب التفسير مناراً لهم وعرف ابن زرين والشيخ الاكبر مجي الدين بن العربي صاحب الفتوحات
وابن عقيل النحوي ومحمد بن سليمان البلخي المعروف بابن النقيب
وفي المائة الثامنة عرف الشيخ بدر الدين الزركشي الفقيه الشافعي وابن كثير اسماعيل بن عمر القرشي وابو
حيان الاندلسي صاحب كتابي البحر والنهر في التفسير ومحمد بن عرفة المالكي وابن النقاش
وفي المائة التاسعة عرف البقاعي صاحب نظم الدرر في تناسب الآي والسور والمولى الجامي وبرهان الدين بن
جماعة وعلاء الدين القراماني صاحب بحر العلوم في التفسير والجلال السيوطي صاحب كتاب الاتقان في علوم القرآن
وفي المائة العاشرة عرف الشيخ علي بن يونس النباطي صاحب مختصر مجمع البيان والعلامة ابن كمال باشا
احمد بن سليمان بن كمال الرومي وابو السعود العمادي مفتي القسطنطينية صاحب التفسير الكبير المسمى بارشاد
العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم الذي اشتهر صيته وانتشرت نسخه والشيخ ابو يحيى زكريا بن محمد الانصاري
وفي المائة الحادية عشرة عرف الشيخ علي القاري والشيخ حسن البوريني والشيخ بهاء الدين العاملي الكركي
صاحب التفسير المسمى بعين الحياة وهو مؤلف الكشكول والشيخ خير الدين الرملي والشهاب الخفاجي
وفي المائة الثانية عشرة عرف الشيخ العارف عبد الغني النابلسي صاحب التحرير الحاوي في شرح تفسير
البيضاوي والسيد هاشم البحراني صاحب البرهان في تفسير القرآن
وفي المائة الثالثة عشرة اشتهر الالوسي صاحب التفسير المشهور المسمى روح المعاني والسيد محمود الخزاعي
مفتي دمشق الشام بكتابه در الاسرار وهو تفسير بالحرف المهمل وما اخرج هذا التفسير الى تفسير
وفي المائة الرابعة عشرة اشتهر العلامة المحقق الاستاذ الامام محمد عبده مفتي الديار المصرية بما كان يلقيه من دروس
التفسير المفيدة على طلاب العلوم في الجامع الازهر بالقاهرة سلك فيها مسلكاً عادلاً على مزيد تجرؤ وسلامة ذوق وجامعية
كبيرة وقد اقتبس دروسه هذه العلامة السيد محمد رشيد رضا فنشرها في مجلة المنار التي تصدر عن مصر وزاد
عليها فوائد مهمة في التفسير

وهذا نموذج من كتب التفسير واسماء طائفة من علمائه ذكرناها تكمة للبحث والا فان تعداد مفسري كتاب
الله الكريم في كل عصر ومصر وفي كل لغة من لغات البشر الشائعة لما يفوت الاحصاء والاستقصاء جزى الله
العاملين على اعلاء كلامه واحياء لغة الضاد التي لا حياة لها الا بحياته وهز الكلمة الباقية الخالدة مادامت الارض والسماء



مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ارتفعت عن معارج الفكر جلالاته . وجلت عن مطامح الهمم عزته . وتماثلت عن مشابهة الانام صفته . واعجزت مدارك الافهام حكمته . ووافقت مبالغ الاوهام علمته . الذي له في كل مآثرته الابصار اللاحظة . وذكرته الاسن اللافتة . وبلغته العقول الزاكية . ومرفته القلوب الواعية . آيات واضحة على وحدانيته . ودلالات ناطقة على ربوبيته . الواحد لا ثاني له في القدم . والمحدث للاشياء بعد العدم . انشاها بلا طوية ولا روية آكل اليها . ولا فريضة غريزة اضمر عليها . هو الظاهر عليها بسايطانه وقدرته . الباطن لما بعلمه ولطيف صنمته . الاول الذي لا يتدمه قبل . الاخر الذي لا يقبه بعده لامانع لما اعطى . ولا معطي لما منع . ولا ينفع ذا الجدمنه الجد . احمده على آلالته المتواليه المتظاهرة . ونسبه الباطنة والظاهرة . حمدا يستدرشآيب جوده العاطلة . ويمتري اخلاف فضله الخافلة . حمدا يدوم ولا يبيد . ويستدعي بمثله المزيد . واشهد انه الواحد الاحد الصمد . الذي لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا احد . وأسأله باوضح بيان . وانصح لسان . ان يصلي على نبيه وصفيه . وحبيبه ونجيه . محمد سيد الانبياء والمرسلين . وخير الأولين والاخرين . المودع دعوته بالتأييد . المخصوص شريته بالتأييد . نسخت جاشرائع الماضين . ولا تبي بعده الى يوم الدين . وعلى آله وعترته المتفرعين من نبعته . المستودعين لحكمته . الحافظين لشريعته . اعلام الاسلام . وأئمة الانام . ما اعتقت الليالي والايام . واختلف الضياء والظلام . ثم الحمد لله الذي انزل القران . هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . نورا يتوقد صباحه . وضياء يتلألأ صباحه . ودليلا لا يخمد برهانه . وحقا لا تحذل اعوانه . وحيدا وثيقا عروته . وحيدا منيعا ذروته . وشفا للصدور ليس وراءه شفاء . ودواء للقلوب ليس مثله دواء . واماما يقتدي بسننه المتدون . وعلما يقتدي بجده المتدون . جعله سبحانه لأئمة الاثمة ريبا مربعا . وجنوب ذوي المحارب من الامة جنابا مرعا . ففيه رياض الحكم وانوارها . وينابيع العلوم بل بحارها . واودية الحق وغيظانه . ومراتب العدل وغدرانها . وهو الكتاب العزيز الذي لا ياتي به الباطل من بين يديه ولا من خلفه تتريل من حكيم حميد

«وبعد» فان احق الفضائل بالتنظيم . واسبقها في استحقاق التقدم . هو العلم اذ لا شرف الا وهو نظامه . ولا اكرم الا وهو ملاكته وقوامه . ولا سيادة الا وهو ذروها وسانها . ولا مساعدة الا وهو صحتها وقوامها . به يكسب الانسان رتبة القدر وعلو الامر في حياته . ويموز جزيل الاجر ومجبل الذكر بعد وفاته . هو الصديق اذا خان كل صديق . والشفيق اذا لم يوثق بكل ناصح شفيق . والعلماء ورثة النبيين . وسادة المسلمين . والدعاة الى الدين . وقد صرح عن النبي (ص) فيما رواه لنا الثقات بالاسانيد الصحيحة مرفوعا الى امام الهدى وكيف الوري اليه الحسن علي بن موسى الرضا (ع) عن ابائه سيدنا سيدنا امامنا من امامنا الى ان اتصل به عليه وآله السلام . انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم وسلمة . فاطلبوا العلم من مظانه . واقتبسوه من اهله فان تعلمه لله حسنة . وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح . والعمل به جهاد وتعلية من لا يعلمه صدقة وبذنه لاهله قرابة الى الله تعالى لانه معلم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة . والمؤنس في الوحشة والمصاحب في الغربة والوحدة . والمحدث في الخوة . والدليل على السراء والضراء . والسلاح على الاعداء . والزين عند الاخلاء . يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة يقتبس آثارهم . ويقتدي بفعالهم . وينتهي الى اراهم . ترغب الملائكة في خلتهم . وبأجنتها تحسبهم . وفي صلاحها تبارك عليهم . يستفقر لهم كل رطب ويابس حتى حيطان البحر وعوامه . وسباع البر وانامه . ان العلم حياة القلوب من الجهل . وضياء الابصار من الظلمة . وقوة الابدان من الضعف . يبلغ بالعبد منازل الاخبار . ومجالس الأبرار . والدرجات العلى في الآخرة والأولى . الذكرفيه يعدل بالصيام . ومدارسته بالقيام . بويطاع الرب ويبعد . ويوصل الارحام . ويعرف الحلال والحرام . العلم امام العمل والعمل تابعه . يلهمه السعداء . ويمخرمه الاشقياء . فطوبى لمن لم يحرمه الله منه حظه . وفي امثال هذا من الاخبار كثيرة لا تطول بذكرها

ثم ان اشرف العلوم واسماها . وابرها وابهاها . واجلها وفضلها وانفعها واكملها علم القرآن فانه لجميع العلوم الاصل منه تنفرع افانيتها . والعباد عليه تبنى قوايتها . وقد قال امير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن ابي طالب (ع) . القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق لا تقنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه . وقد روي عن عبد الله بن مسعود انه قال اذا اردتم العلم فائثروا القرآن فان فيه علم الأولين والاخرين وعن سعيد بن قتادة في قوله عز وجل ومن يومت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا . قال هو القرآن وعن رجاء بن حياة قال كنا يوما انا وابي عند معاذ بن جبل فقال من هذا باحياة فقال هذا ابني رجاء فقال معاذ هل علمته القرآن قال لا قال فعلمه القرآن فاني سمعت رسول الله (ص) يقول ما من رجل علم ولده القرآن الا اتوج ابواه يوم القيامة بتاج الملك وكسبا حلتين لمرالناس مثلها ثم ضرب يده على كتفي فقال يا بني اذا استطعت ان تكسو ابويك يوم القيامة حلتين فافعل وروي عن ابن عباس عن النبي (ص) انه قال من قال في القرآن بنير علم فليتبوا مقعده من النار وصح عن النبي (ص) من رواية الام والخاص انه قال اني تارك فيكم ما ان تحسبتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي وانما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض

وانما اخذف اسانيد امثال هذه الاحاديث ايثارا للتخفيف . ولاشتمارها عند اصحاب الحديث .
 وقد خاض العلماء قديما وحديثا في علم تفسير القرآن . واجتهدوا في ابراز مكنونه . واطهار مصونه .
 والفوايه كتبنا جمعة غاصوا في كثير منها الى اعماق لجبهه . وشققوا الشعر في ايضاح حججه . وحققوا في تفتيح
 ابوابه . وتغلغل شعابه . الا ان اصحابنا رضي الله عنهم لم يدونوا في ذلك غير مختصرات نقلوا فيها ما وصل
 اليهم في ذلك من الاخبار . ولم يعنوا ببسط المعاني وكشف الاسرار . الا ما جمعه الشيخ الأجل السعيد ابو جعفر
 محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه من كتاب التبيان . فانه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق ويلوح
 عليه رواء الصدق . قد تضمن من المعاني الاسرار البديعة . واحتضن من الالفاظ اللغة الوسيعة . ولم يقنع بتدوينها
 دون تبيينها . ولا بتتبعها دون تحقيقها . وهو القدوة استضي . بانواره . واطأ مواقع آثاره . غير انه خلط في اشياء مما
 ذكره في الاعراب والنحو الغث بالسين . والحائر بالزيادة . ولم يميز بين الصلاح بما ذكر فيه والفساد . وادى الالفاظ في
 مواضع من متضمناته قاصرة عن المراد . واخلل بحسن الترتيب . وجودة التهذيب . فلم يقع لذلك من القلوب السليمة
 الموقع المرضي . ولم يعمل من الخواطر الكريمة المكان العلي . وقد كنت في عهد ريعان الشباب وحدث السن وريان العيش
 ونضارة العنن . كثير التزاع قلق التشوق . شديد التشوف الى جمع كتاب في التفسير . ينتظم اسرار النحو اللطيفة . ولمع
 اللغة الشريفة . ويفي موارد القرآآت من متوجهاتها . مع بيان حججها الواردة من جميع جهاتها . ويجمع جوامع البيان
 في المعاني المستنبطة من معادنها . المستخرجة من كوامنها . الى غير ذلك من علومه الجملة . مطلة من الغلف والاكمة . فيعرض
 لذلك جوانح الزمان . وعوائق الحدثنان . وواردات المصوم . وهفوات القدر المحتوم . وهلم جرا الى الآن . وقد ذرف
 سني على الستين واشتعل الرأس شيبا . وامتلات العيبة عيبا . خفداني على تصميم هذه العزيمة مارأيت من عناية مولانا
 الأمير السيد الاجل العالم ولي النعم . جلال الدين ركن الاسلام مخلص الملوك والسلاطين سيد نقباء الشرف . تاج
 امراء السادة . فخر آل رسول الله (ص) ابي منصور محمد بن يحيى بن هبة الله الحسيني . ادام الله علاه . وكبت اعداه -
 بهذا العلم وصدق رغبته في معرفة هذا الفن . وقصر همه على تحصيل حقائقه . والاحتراف على جلالة ودقائه . والله عز اسمه
 المسؤول أن يجرس للاسلام والمسلمين رفيع حضرته . ويفيض على الفضل والفضلا . سجال سيادته . ويمد على العلم
 والعلما . امداد سعادته . ويبقي اقباله في دولة شماء السماء لا يرتقي هضباتها . ورفعة سامية البناء لا تتبغى جنباتها . ويوفي
 آماله في ظلال مجد محلول طله مطاول حله . وجلال فضل مزور عليه حله . مضروب عليه كلاله . ويدمج جماله في
 غبطة رفيعة القل . وبسطة مريعة الظلل .

| | | | |
|---------------------------|--------|--------|---------------|
| حتى يحوز من المنى غاياتها | متلقيا | بيمينه | راياتها |
| ويغوز بالآمال غير مدافع | يتلو | عليه | سعدته آياتها |
| وتظل شمس المجد في ساحاته | تجلو | عليه | جرمها باناتها |

وكل غاية في المجد ادنى درجات قدره . وكل نهاية في الشرف ادون طبقات فخره . فأوجبت على نفسي اجابته
 الى مطلوبه . واسعافه بحبويه . واستخرت الله تعالى . ثم قصرت وهمي وهمي على اقتناء هذه الذخيرة الحظيرة .
 واكتساب هذه الفضيلة الثمينة . وشمرت عن ساق الجد وبذلت غاية الجهد والكد . واسهرت الناظر . واتعبت خاطر .
 واطلت التفكير . واحضرت التفاسير . واستمددت من الله سبحانه التوفيق والتيسير . وابتدأت بتأليف كتاب هو في
 غاية التاخيص والتهذيب . وحسن النظم والترتيب . يجمع أنواع هذا العلم وفنونه . ويحوي فصوصه وعيونه . من علم
 قراته واعرابه وانمااته وغوامضه ومشكلاته . ومعانيه وجهاته . ونزوله واخباره . وقصصه وآثاره . وحدوده واحكامه
 وحلاله وحرامه . والكلام على مطاعن المبطلين فيه وذكر ما ينفرد به اصحابنا رضي الله عنهم من الاستدلالات
 بمواضع كثيرة منه على صحة ما يعتقدونه من الأصول والفروع . والمقول والمسموع . على وجه الاعتدال والاختصار

فوق الايجاز ودون الاكثار فان الخواطر في هذا الزمان لا تحتمل أعباء العلوم الكثيرة . وتضعف عن الاجراء في الحلقات الخطيرة . اذ لم يبق من العلماء الا الأسماء . ومن العلوم الالذماء . وقدمت في مطلع كل سورة ذكر مكيتها ومدنيها . ثم ذكر الاختلاف في عدد آياتها . ثم ذكر فضل تلاوتها . ثم اقدم في كل آية الاختلاف في القراءات . ثم ذكر العلل والاحتجاجات . ثم ذكر العربية واللغات . ثم ذكر الاعراب والمشكلات . ثم ذكر الاسباب والتزولات . ثم ذكر المعاني والأحكام والتأويلات . والقصص والجهات . ثم ذكر انتظام الآيات . على اني قد جمعت في عربيته كل غرة لائحة . وفي اعرابه كل حجة واضحة . وفي معانيه كل قول متين . وفي مشكلاته كل برهان مبين . وهو بحمد الله للأديب عمدة . وللنحوي عدة . وللمقري بصيرة وللناسك ذخيرة . وللمتكلم حجة وللمحدث حجة . وللفقيه دلالة . وللواعظ آلة . وسيسته كتاب (مجمع البيان لعلوم القرآن) وارجو ان شاء الله تعالى ان يكون كتابا كثير الدرر . غزير الغرر . متواصف السمات . متناصف الصفات . سيارا في الاجبار والاغوار . طيارا في الآفاق والاقطار . مذهب الترتيب . مذهب التهذيب . احكام الشريعة بمعانيه منوطة . واعلام الحقيقة بمبانيه مربوطة . ومجول الله اعتم . وبقوته وعونه افتتح واختتم . وياه اسأل الهداية التي هي اقوم . وماتوفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب . وقبل ان نشر في تفسير السور والآيات . فنحن نصدر الكتاب بذكر مقدمات . لا بد من معرفتها لمن اراد الخوض في علومه تجتمعها فنون سبعة

﴿ الفن الأول ﴾

في تعداد آي القرآن والفائدة في معرفتها

اعلم ان عدد اهل الكوفة اصح الاعداد واعلاها اسنادا لأنه مأخوذ عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وتعضده الرواية الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال فاتحة الكتاب سبع آيات احدها بن بسم الله الرحمن الرحيم ، وعدد اهل المدينة منسوب الى ابي جعفر يزيد بن القعقاع القاري ، وشيبة بن نصاح وهما المدني الأول والى اسماعيل بن جعفر وهو المدني الاخير وقيل المدني الاول هو الحسن بن علي بن ابي طالب وعبدالله بن عمر والمدني الأخير ابو جعفر وشيبة واسماعيل والأول اشهر وعدد اهل البصرة منسوب الى عاصم ابن ابي الصباح الجحدري وايوب بن التوكل لا يختلفان الا في آية واحدة في (ص) قوله فالحق والحق اقول عددا الجحدري وتركها ايوب وعدد اهل مكة منسوب الى مجاهد بن جبر ، والى اسماعيل المكي ، وقيل لا ينسب عددهم الى احد بل وجد في مصاحفهم على رأس كل آية ثلاث نقط ، وعدد اهل الشام منسوب الى عبد الله بن عامر ، والفائدة في معرفة آي القرآن ان القاري اذا عدّها باصابعه كان اكثر ثوبا لأنه قد شغل يده بالقرآن مع قلبه ولسانه ، وبالبحري ان تشهد له يوم القيامة فانها مسوولة ولأن ذلك اقرب الى التحفظ فإن القاري لا يأمن من السهو ، وقد روى عبد الله بن مسعود عن النبي (ص) انه قال تعاهدوا القرآن فانه وحشي وقال عليه الصلاة والسلام لبعض النساء اعقدن بالانامل فانهن مسوولات ومستنطقات ، قال حمزة بن حبيب وهو احد القراء السبعة العدم سامير القرآن

﴿ الفن الثاني ﴾

في ذكر اسامي القراء المشهورين في الامصار ورواتهم

اما المدني فابو جعفر يزيد بن القعقاع وليس من السبعة وذكر انه قرأ على عبد الله بن عباس وعلى مولاه عبدالله ابن عياش بن ابي ربيعة المخزومي وهما قرأ على ابي بن كعب وقرأ ابي علي النبي (ص) وله رواية واحدة ونافع بن عبد الرحمن وقرأ على ابي جعفر ومنه تعلم القرآن وعلى شيبة بن نصاح وعلى عبد الرحمن بن هرمز الاعرج وقرأ على ابن عباس وله ثلاث روايات رواة ورش وهو عثمان بن سعيد ورواية قالون وهو عيسى بن مينا ورواية اسماعيل بن جعفر واما المكي فهو عبد الله بن كثير لا غير وقرأ على مجاهد وقرأ مجاهد على ابن عباس وله ثلاث روايات رواية البرقي ورواية ابن فليح ورواية ابي الحسين القواس واذا اجتمع اهل مكة والمدينة قيل حجازي

واما الكوفي فالهزم عاصم بن ابي النجود بهدله وله روايتان رواية حفص بن سليمان البزاز ورواية ابي بكر بن عياش
 ولاي بيكر بن عياش ثلاث روايات رواية ابي يوسف الاعشى واي صالح البرجمي ويحيى بن آدم وحلفن اربع
 روايات رواية ابي شعيب القواس وهيرة التمار وعبيد بن الصباح وعمرون الصباح ثم حمزة بن حبيب الزيات وله
 سبع روايات رواية العجلي عبد الله بن صالح ورواية رجا بن عيسى ورواية حماد بن احمد ورواية خلاد بن خالد
 ورواية ابي عمر الدوري ورواية محمد بن سعدان النحوي ورواية خلف بن هشام ثم ابو الحسن علي بن حمزة
 الكسائي وله ست روايات رواية قتيبة بن مهران ورواية نصير بن يوسف النحوي ورواية ابي الحارث ورواية ابي حمدون
 الزاهد ورواية حمدون بن ميمون الزجاج ورواية ابي عمر الدوري ثم خلف بن هشام البزاز وليس من السبعة وله اختيار ،
 فاما عاصم فانه قرأ على ابي عبد الرحمن السلمي وهو قرأ على علي بن ابي طالب (ع) وقرأ ايضا على زرير جيش وهو قرأ
 على عبد الله بن مسعود واما حمزة فقرأ على جعفر بن محمد الصادق (ع) وقرأ ايضا على الاعمش سليمان بن مهران
 وقرأ الاعمش على يحيى بن وثاب وهو قرأ على علقمة ومسروق والاسود بن يزيد وقرأوا على عبد الله بن مسعود
 وقرأ حمزة على حمران بن اعين ايضا وهو قرأ على ابي الاسود الدؤلي وهو قرأ على علي بن ابي طالب عليه السلام
 واما الكسائي فقرأ على حمزة ولقي من مشايخ حمزة ابن ابي ليلى وقرأ عليه وعلى ابان بن تغلب وعيسى بن
 عمر وغيرهم ، واما البصري فابو عمرو بن العلاء وله ثلاث روايات رواية شجاع بن ابي نصير ورواية العباس بن الفضل ورواية
 اليزيدي يحيى بن المبارك ولليزيدي ست روايات رواية ابي حمدون الزاهد واي عمر الدوري وواقية واي نعم غلام شحادة
 واي ايوب الخياط واي شعيب السوسي ومن البصرة يعقوب بن اسحق الحضرمي وابو حاتم سهل بن محمد السجستاني
 وايضا من السبعة فاما يعقوب فله ثلاث روايات رواية روح وزيد ورويس واذا اجتمع اهل البصرة والكوفة قيل
 عراقي ، واما الشامي فهو عبد الله بن عامر اليحصبي لا غير وقرأ على المغيرة بن ابي شهاب المخزومي وقرأ المغيرة
 على عثمان بن عفان وله روايتان رواية ابن ذكوان ورواية هشام بن عمار قالوا وانما اجتمع الناس على قراءة هو لا
 واقتدوا بهم فيها لسبيين ، احدهما انهم تجردوا لقراءة القرآن واشتدت بذلك عنايتهم مع كثرة علمهم ومن كان قبلهم
 او في ازمته ممن نسب اليه القراءة من العلماء وعدت قراءتهم في الشواذ لم يتجرد لذلك تجردهم وكان الغالب على
 اولئك الفقه والحديث او غير ذلك من العلوم والآخرون قراءتهم وجدت مسندة لفظا او سماعا حرفا من اول القرآن
 الى آخره مع ما عرف من فضائلهم وكثرة علمهم بوجوه القرآن فاذا قد تبينت ذلك فاعلم ان الظاهر من مذهب
 الامامية انهم اجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء بينهم من القراءات الا انهم اختاروا القراءة بما جاز بين
 القراء وكروا تجريد قراءة مفردة والشانغ في اخبارهم ان القرآن نزل بحرف واحد ، وما روت العامة عن النبي
 (ص) انه قال نزل القرآن على سبعة احرف كلها شاف كاف اختلف في تاويله فاجرى قوم لفظ الاحرف على ظاهره
 ثم حملوه على وجهين ، احدهما ان المراد سبع لغات مما لا يغير حكما في تحليل ولا تحريم مثل هلم واقبل وتعال
 وكانوا يخبرون في مبتدأ الاسلام في ان يقرأوا بما شاءوا منها ثم اجمعوا على احدها واجماعهم حجة فصار ما اجمعوا عليه
 مانعا مما عرضوا عنه ، والآخرون المراد سبعة اوجه من القراءات وذكروا ان الاختلاف في القراءة على سبعة اوجه احدها
 اختلاف اعراب الكلمة مما لا يزيلها عن صورتها في الكتابة ولا يغير معناها نحو قوله فيضاعفه بالرفع والنصب والثاني
 الاختلاف في الاعراب مما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها نحو قوله اذ تلقونه واذ تلقونه والثالث الاختلاف في حروف الكلمة
 دون اعرابها مما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله كيف نشئنا وننشئها بالزاو والراء والرابع الاختلاف في الكلمة
 مما يغير صورتها ولا يغير معناها نحو قوله ان كانت الاصيحة والازقية ، والخامس الاختلاف في الكلمة مما يزيل صورتها
 ومعناها نحو طلع منضود وطلع ، والسادس الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله وجاءت سكرة الموت بالحق وجاءت سكرة
 الحق بالموت ، والسابع الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله وما عملت ايديهم وما عملته ايديهم

وقال الشيخ السعيد ابو جعفر الطوسي قدس الله روحه هذا الوجه املح لما روي عنهم عليهم السلام من جواز القراءة بما اختلف القراء فيه وحمل جماعة من العلماء الأحراف على المعاني والاحكام التي ينتظمها القرآن دون الالفاظ واختلفت اقوالهم فيها ، فمنهم من قال انها وعدٌ ووعدٌ وامرٌ ونهيٌ وجدلٌ وقصصٌ ومثل ، وروي عن ابن مسعود عن النبي (ص) انه قال نزل القرآن على سبعة احرف زجر وامر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال ، وروي ابو قلابة عن النبي (ص) انه قال نزل القرآن على سبعة احرف امر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل ، وقال بعضهم ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه ومجمل ومفصل وتأويل لا يعلمه الا الله عز وجل

﴿ الفن الثالث ﴾

في ذكر التفسير والتأويل والمعنى وتحرير جملة موجزة اليها ينساق اكثر الكلام فيما يأتي من الكتاب

التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل والتأويل رد احد المحتملين الى ما يطابق الظاهر والتفسير البيان ، وقال ابو العباس المبرد التفسير والتأويل والمعنى واحد ، وقيل الفسر كشف المعطى والتأويل انتهاؤها الشيء ، ومصيره وما يؤول اليه امره والمعنى مأخوذ من قولهم عنيت فلانا اي قصدته فكان المراد من قولهم عنى به كذا قصد بالكلام كذا ، وقيل هو من قولهم عنيت بهذا الامر اي تكلفته ، واعلم ان الخبر قد صح عن النبي (ص) وعن الأئمة القامنين مقامه (ع) ان تفسير القرآن لا يجوز الا بالأثر الصحيح ، والنص الصريح ، وروى العامة ايضا عن النبي (ص) انه قال من فسر القرآن برأيه فاصاب الحق فقد اخطأ ، قالوا وكره جماعة من التابعين القول في القرآن بالرأي كسعيد بن المسيب وعبيدة السلماني ونافع وسالم بن عبد الله وغيرهم والقول في ذلك ان الله سبحانه نذب الى الاستنباط ووضح السبيل اليه ومدح اقوام عليه فقال لعلمته الذين يستنبطونه منهم واذم آخرين على ترك تدبره والاضراب عن التفكير فيه فقال افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفلها واذكر ان القرآن منزل بلسان العرب فقال انا جعلناه قرآنا عربيا ، وقال النبي (ص) اذا جاؤكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبلوه وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط فبين ان الكتاب حجة ومعروض عليه وكيف يمكن العرض عليه وهو غير مفهوم المعنى فهذا وامثاله يدل على ان الخبر متروك الظاهر فيكون معناه ان صح ان من حمل القرآن على رأيه ولم يعمل بشواهد الفاظه فاصاب الحق فقد اخطأ الدليل وقد روي عن النبي (ص) انه قال القرآن ذلول ذو وجه فاحملوه على احسن الوجوه وروي عن عبد الله بن عباس انه قسم وجوه التفسير على اربعة اقسام تفسير لا يعذر احد بجها لته وتفسير تعرفه العرب بكلامها وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعرفه الا الله عز وجل ، فاما الذي لا يعذر احد بجها لته فهو ما يازم الكفاية من الشرائع التي في القرآن وجمل دلائل التوحيد ، واما الذي تعرفه العرب بلسانها فهو حقائق اللغة وموضوع كلامهم ، واما الذي يعلمه العلماء فهو تأويل التشابه وفروع الاحكام واما الذي لا يعلمه الا الله فهو ما يجري مجرى الغيوب وقيام الساعة واقول ان الاعراب اجل عاوم القرآن فان اليه يفتر كل بيان وهو الذي يفتح من الالفاظ الاغلاق ويستخرج من خفاها الاعلاق اذ اغراض كامنة فيها فيكون هو المثير لها والباحث عنها والمشير اليها وهو معيار الكلام الذي لا يبين نقصانه ورجحانه حتى يعرض عليه ، ومقياسه الذي لا يميز بين سقيمه ومستقيمه حتى يرجع اليه ، وقد روي عن النبي (ص) انه قال اعربوا القرآن واتمسوا غرانبه واذا كان ظاهر القرآن طبقا لعناه فكل من عرف العربية والاعراب عرف خفواه ويعلم مراد الله به قطعا هذا اذا كان اللفظ غير مجمل يحتاج الى بيان ولا يحتمل لمعنيين او معان وذلك مثل قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وقوله وإلهم إله واحد وقوله ولا يظلم ربك احدا واشباه ذلك واما ما كان مجملا لا يبيّن ظاهره عن المراد به مفصلا مثل قوله سبحانه اقيموا الصلوة وآتوا الزكاة وآتوا حق يوم حصاده فإنه يحتاج فيه الى بيان النبي (ص) بوحى من الله سبحانه اليه فيبين تفصيل اعيان الصلوات واعداد الركعات ومقادير النصب في الزكاة وامثالها كثيرة والشروع في بيان ذلك من

غير نص وتوقيف ممنوع منه ويمكن ان يكون الخبر الذي تقدم محمولا عليه واما ما كان محتملا لامور كثيرة اولاً مرين فلا يجوز ان يكون الجميع مراداً بل قد دل الدليل على انه لا يجوز ان يكون المراد به الا وجهاً واحداً فهو من باب التشابه لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد فيحمل على الوجه الذي يوافق الدليل وجاز ان يقال انه هو المراد وان كان اللفظ مشتركاً بين معنيين او اكثر ويمكن ان يكون كل واحد من ذلك مراداً فلا ينبغي ان يقدم عليه بجملة فيقال ان المراد به كذا قطعاً الا بقول نبي او امام مقطوع على صدقه بل يجوز ان يكون كل واحد مراداً على التفصيل ولا يقطع عليه ولا يقلد احداً من المفسرين فيه الا ان يكون التأويل مجعاً عليه فيجب اتباعه لانه لا يعقد الاجماع عليه فهذه الجملة التي لخصتها اصل يجب ان يرجع اليه ويعول عليه ويمتد به وجوه التفسير وما اختلف فيه العلماء من نزول القرآن والمعاني والاحكام

﴿ الفن الرابع ﴾

في ذكر اسامي القرآن ومعانيها

القرآن معناه القراءة في الاصل وهو مصدر قرأت اي تلوت وهو المروي عن ابن عباس وقيل هو مصدر قرأت الشيء اي جمعت بعضه الى بعض وقال عمرو بن كلثوم

ذراعي عيطل ادماء بكر هجان اللون لم تقره جنينا

اي لم تضم جنينها في رحمها وهو المروي عن قتادة وانما سمي بالمصدر وهو في الحقيقة المقرو كما سمي المكتوب كتاباً والمصوب حساباً ومن اسمائه الكتاب ايضاً وهو مأخوذ من الجمع ايضاً يقال كتبت السماء اذا جمعتها باخرز ومن اسمائه الفرقان سمي بذلك لانه يفرق بين الحق والباطل بادله الدالة على صحة الحق فبطلان الباطل عن ابن عباس وقيل سمي بذلك لانه يودي الى النجاة والمخرج كقوله سبحانه ويجعل لكم فرقاناً ومن اسمائه الذكر قال سبحانه وتعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له حافظون وهو يحتمل امرين احدهما ان يريد به انه ذكر من الله لعباده بالفرائض والاحكام والآخر انه شرف لمن آمن به وصدق بما فيه كقوله سبحانه وانه لذكرك ولقومك فهذه اربعة اسماء وقد شاع في الخبر عن النبي (ص) انه قال اعطيت مكان التوراة السبع الطوال ومكان الانجيل المثاني ومكان الزبور المثين وفضلت بالفصل ، وفي رواية واثلة بن الاسقع واعطيت مكان الانجيل المثين ومكان الزبور المثاني واعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي واعطاني ربي الفصل نافراً فالسبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والانفال مع التوبة لانها يدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما بسم الله الرحمن الرحيم ، وقيل ان السابعة سورة يونس والطول جمع الطولي تانيث الاطول وانما سميت هذه السور الطول لانها اطول سور القرآن ، واما المثاني فهي السورة التالية للسبع الطول واولها سورة يونس وآخرها النحل وانما سميت مثاني لانها ثنت الطول اي تلتها وكان الطول هي المبادي والمثاني لها ثواني وواحدتها مثني مثل المعنى والمعاني ، وقال الفراء واحدها المثناة وقيل المثاني سور القرآن كلها طولها وقصارها من قوله تعالى كتاباً متشابهاً مثاني وهو قول ابن عباس وانما سميت مثاني لانه سبحانه ثنى فيها الامثال والحدود والفرائض وقيل ان المثاني في قوله ولقد آتيناك سبعاً من المثاني آيات سورة الحمد وهو المروي عن ائمتنا (ع) وبه قال الحسن البصري واما المثون فهي كل سورة تكون نحواً من مائة آية او فويين ذلك او دونه وهي سبع اولها سورة بني اسرائيل وآخرها المؤمنون وقيل ان المثين ما ولي السبع الطول ثم المثاني بعدها وهي التي تقصر عن المثين وتريد على الفصل وسميت المثاني لان المثين مباديها واما الفصل فما بعد الحواميم من قصار السور الى آخر القرآن سميت مفصلاً لكثرة الفصول بين سورها بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الفن الخامس ﴾

في اشياء من علوم القرآن مجال في شرحها وبسط الكلام فيها على المواضع المختصة بها والكتب المولفة فيها من ذلك العلم بكون القرآن معجزا خارقا للعادة والاستدلال به على صدق النبي (ص) والكلام في وجه اعجازه وهل هو ما فيه من الفصاحة المفرطة او ماله من النظم المخصوص والاسلوب البديع والصرفة وهو ان الله تعالى عرف العرب عن معارضته وسلبهم العلم الذي به يتمكنون من مماثلته في نظمه وفصاحته فوضع ذلك اجمع كتب الاصول وقدمت مشايخ المتكلمين في كتبهم لاسيما السيد الاجل المرتضى علم الهدى ذو المجدين ابو القاسم علي بن الحسين الموسوي قدس الله روحه في كتابه الموضح عن وجه اعجاز القرآن فإنه فرع الكلام فيه هناك الى غاية ما يتفرع ، ونهاه الى النهاية ما ينتهي فلا يشق غباره غاية الابد ، اذ استولى فيه على الامد ومن ذلك الكلام في زيادة القرآن ونقصانه فإنه لا يليق بالتفسير فاما الزيادة فيه فجمع على بطلانه واما النقصان منه فقد روى جماعة من اصحابنا وقوم من حشوية العامة ان في القرآن تغييرا ونقصانا والصحيح من مذهب اصحابنا خلافه وهو الذي نصره المرتضى قدس الله روحه واستوى في الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات وذكر في مواضع ان العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة واشعار العرب المسطورة فإن العناية اشددت والدواعي توفرت على نقله وحراسته وبلغت الى حد لم يبلغه فيما ذكرناه لأن القرآن معجزة النبوة وما أخذ العلوم الشرعية والاحكام الدينية وعلما المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته فكيف يجوز أن يكون مغيرا او منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد وقال ايضا قدس الله روحه ان العلم بتفسير القرآن وابعاضه في صحة نقله كالعلم بجملة ما جرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيبويه والمزني فإن اهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها ما يعلمون من جملة ما احتجوا ان مدخلا ادخل في كتاب سيبويه بابا في النحو ليس من الكتاب لعرف وميز وعلم انه ملحق وليس من اصل الكتاب وكذلك القول في كتاب المزني ومعلوم ان العناية بنقل القرآن وضبطه اصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء وذكر ايضا (رض) ان القرآن كان على عهد رسول الله (ص) مجموعا موعظا على ما هو عليه الآن واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له وان كان يعرض على النبي (ص) ويتلى عليه وان جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وابي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي (ص) عدة ختمات وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على انه كان مجموعا مرتب غير متبور ولا ميثوث وذكرا من خالف في ذلك من الامامية والحشوية لا يعتمد بخلافهم فإن الخلاف في ذلك مضاف الى قوم من اصحاب الحديث نقلوا اخبارا ضعيفة ظنوا اصحتها لا يرجع بثلمها عن المعام المقتطوع على صحته . ومن ذلك الكلام في النسخ والناسخ والمنسوخ وحدودها واقسام النسخ وشرايطه والفصل بينه وبين البداء والتخصيص وهل يجوز نسخ العبادة قبل وقت فعلها وهل يجوز نسخ القرآن بالسنة وما يعرف به الناسخ ناسخا والمنسوخ منسوخا فإن ذلك اجمع وان كان من العلوم المتعلقة بالقرآن فإن موضعها الكتب المولفة في اصول الفقه وسيأتي منه ما يليق بالتفسير في مظانه من الكتاب مستوفيا ان شاء الله

﴿ الفن السادس ﴾

في ذكر بعض ما جاء من الاخبار المشهورة في فضل القرآن واهله

انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اهل القرآن هم اهل الله وخاصته ، وعنه انه قال صلى الله عليه وآله وسلم افضل العبادة قراءة القرآن ، وعنه انه قال عليه السلام القرآن غني لا غنى دونه ولا فقر بعده حماد بن سلمة عن ثابت عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حملة القرآن المخصوصون برحمة الله المعلمون كلام الله المقربون الى الله ، من والاهم فقد والى الله ، ومن عاداهم فقد عادى الله ، يدفع الله عن مستمع القرآن بلاء الدنيا ويدفع عن قارى القرآن بلاء الآخرة ، يا حملة القرآن تحببوا الى الله بتوقير كتابه

يزدكم حبا ويحببكم الى عبادته وعن مكحول قال جاء ابو ذر الى النبي (ص) فقال يا رسول الله اني اخاف ان اتعلم القرآن ولا اعمل به فقال لا يعذب الله قلبا اسكنه القرآن وعن عقب بن عامر الجهني ان النبي (ص) قال لو كان القرآن في اهاب مامسته النار وعن عطاء وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله (ص) حملة القرآن عرفاء اهل الجنة يوم القيامة وقال عليه السلام لا ينبغي لحامل القرآن ان يرى ان احدا من اهل الارض اغنى منه ولو ملك الدنيا برحبها وعن عيسى بن قانده قال حدثني من سمع سعد بن عبادَةَ قال قال رسول الله (ص) ما من احد تعلم القرآن ثم نسيه الا لقي الله اجذم . عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله (ص) اشرف امتي حملة القرآن واصحاب الليل عن عبد الله بن مسعود عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال ان هذا القرآن اُدبته الله فتعلموا من اُدبته ما استطعتم ان هذا القرآن جبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعقب ولا يتقضي عجايبه ولا يخلق عن كثرة الرد فأتلوه فان الله يوم يحكم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات اما اني لا اقول المعشر ولكن الف عشر ولام عشر وميم عشر والحديث الحارث بن الاعور عن امير المؤمنين علي عليه السلام قال في حديث طويل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول انها ستكون فتن قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه خير ما قبلكم ونبا ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تشيع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة رد ولا تنقضي عجايبه وهو الذي من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو جبل الله التين وهو الصراط المستقيم هو الذي من عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه دعا الى صراط مستقيم عاصم بن ضمرة عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ القرآن حتى يستظهره ويحفظه ادخله الله الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار عبد الله بن عمر عنه عليه السلام قال يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلت عند آخر آية تقرأها وعنه عليه السلام انه قال صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ القرآن فرأى ان احدا اعطى افضل مما اعطى فقد حقر ما عظمه الله وعظم ما حقره الله وعنه عليه السلام انه قال من قرأ القرآن فكأنما ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه ابو سعيد الخدري عنه عليه السلام قال حملة القرآن في الدنيا عرفاء اهل الجنة يوم القيامة وقال امير المؤمنين عليه السلام من دخل في الاسلام طائعا وقرأ القرآن ظاهرا فله في كل سنة مائتا دينار في بيت مال المسلمين ، ان منع في الدنيا اخذها يوم القيامة وافية اخرج ما يكون اليها ، وهذه الاخبار يسير من كثير ، وغرض من فيض ، وترد من غمر ، اقتصرنا عليها ايثار الاختصار

الفن السابع

في ذكر ما يستحب للقارىء من تحسين اللفظ وتزيين الصوت بقراءة القرآن
البراء بن عازب قال قال رسول الله (ص) زينوا القرآن باصواتكم ، حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله (ص) اقرأوا القرآن بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق واهل الكتابين وسيجيء قوم من بعدي يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مقتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم
علقمة بن قيس قال كنت حسن الصوت بالقرآن فكان عبد الله بن مسعود يرسل الي فاقرأ عليه فاذا فرغت من قراءتي قال زدنا من هذا فذاك ابي وامى فاني سمعت رسول الله (ص) يقول ان حسن الصوت زينة للقرآن ، انس بن مالك عن النبي (ص) ان لكل شي حلية وحلية القرآن الصوت الحسن ، عبد الرحمن بن السائب قال قدم علينا سعد بن ابي وقاص فأتيته مسلما عليه فقال مرحبا يا ابن اخي بلغني انك حسن الصوت بالقرآن قلت نعم والحمد لله قال فاني سمعت رسول الله (ص) يقول ان القرآن نزل بالحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فابتكوا وتغنوا به فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا وتآول بعضهم تغنوا به بمعنى استغنوا به واكثر العلماء على انه تزيين الصوت وتجزئته ، وههنا سياق الكلام في التفسير ، والله سبحانه ولي التسهيل والتيسير ، وعليه التكلان في كل الامور وهو حسبنا واليه المصير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فاتحة الكتاب

مكية عن ابن عباس وقتادة ومدينة عن مجاهد وقيل أنزل مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة

﴿اسماؤها﴾

(فاتحة الكتاب) سميت بذلك لافتتاح المصاحف بكتابتها ولوجوب قراءتها في الصلاة فهي فاتحة لما يتلوها من سور القرآن في الكتاب والقراءة (الحمد) سميت بذلك لان فيها ذكر الحمد (ام الكتاب) سميت بذلك لانها متقدمة على سائر سور القرآن والعرب تسمي كل جامع امر او متقدم لأمر اذا كانت له توابع تتبعه - أما فيقولون أم الرأس للجلدة التي تجمع الدماغ وأم القرى لان الارض دحيت من تحت مكة فصارت لجميعها أما وقيل لانها اشرف البلدان فهي متقدمة على سائرها وقيل سميت بذلك لانها اصل القرآن والام هي الاصل وانما صارت اصل القرآن لان الله تعالى اودعها مجموع ما في السور لان فيها اثبات الربوبية والعبودية وهذا هو المقصود بالقرآن (السبع) سميت بذلك لانها سبع آيات لاخلاف في جماتها (الثاني) سميت بذلك لانها تثنى بقراءتها في كل صلاة فرض ونفل وقيل لانها نزلت مرتين ، هذه اسماؤها المشهورة ، وقد ذكر في اسماؤها (الوافية) لانها لا تقتصر في الصلاة (والكافية) لانها تكفي عما سواها ولا يكفي ما سواها عنها ويويد ذلك ما رواه عبادة بن الصامت عن النبي (ص) أم القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها عوضا عنها و(الاساس) لما روي عن ابن عباس ان لكل شيء اساسا وساق الحديث الى ان قال و اساس القرآن الفاتحة و اساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم و (الشفاء) لما روي عن النبي (ص) فاتحة الكتاب شفاء من كل داء و (الصلاة) لما روي عن النبي (ص) قال قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) يقول الله حمدني عبدي فاذا قال (الرحمن الرحيم) يقول الله اثني علي عبدي فاذا قال العبد (مالك يوم الدين) يقول الله مجدني عبدي فاذا قال (اياك نعبد و اياك نستعين) يقول الله هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال (اهدنا الصراط المستقيم) الى آخره قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل ، اورده مسلم بن الحجاج في الصحيح فهذه عشرة اسماء

﴿فضلها﴾

ذكر الشيخ ابو الحسين البخاري المقي في كتابه في القراءة اخبرنا الامام ابو بكر احمد بن ابراهيم والشيخ عبد الله بن محمد قالا حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن شريك قال حدثنا احمد بن يونس اليربوعي قال حدثنا سلام بن سليمان المدائني قال حدثنا هارون بن كثير عن زيد بن اسلم عن ابيه عن ابي امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله ايا مسلم قرأ فاتحة الكتاب اعطني من الاجر كأنما قرأ ثلثي القرآن واعطني من الاجر كأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وروي من طريق آخر هذا الخبر بعينه الا انه قال كأنما قرأ القرآن ، وروي غيره عن ابي ابن كعب انه قال قرأت على رسول الله (ص) فاتحة الكتاب فقال والذي نفسي بيده ما انزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلاً هي أم الكتاب وهي السبع المثاني وهي مقسومة بين الله وبين عبده ولعبده ما سأل ، وفي كتاب محمد بن مسعود العياشي باسناده ان النبي (ص) قال لجابر بن عبد الله الانصاري يا جابر الا اعلمك افضل سورة انزلها الله في كتابه قال فقال له جابر بلى يا بني انت وامي يا رسول الله علمتها قال فعلمه الحمد ام الكتاب ثم قال يا جابر الا اخبرك عنها قال بلى يا بني انت وامي فاخبرني فقال هي شفاء من كل داء الا

السام والسام الموت ، وعن سلمة بن محرز عن جعفر بن محمد الصادق قال من لم يبره الحمد لم يبره شي . وروي عن امير المؤمنين (ع) قال قال رسول الله (ص) ان الله تعالى قال لي يا محمد ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم فأفرد الامتان علي بفاتحة الكتاب وجعلها بازا القرآن وان فاتحة الكتاب اشرف ما في كنوز العرش وان الله خص محمدا وشرفه بها ولم يشرك فيها احدا من انبيائه ما خلا سليمان فانه اعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم الا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت اني التي الي كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا فمن قرأها معتقدا لموالاة محمد وآله منقادا لامرها . مومنا بظاها وباطنها . اعطاه الله بكل حرف منها حسنة كل واحدة منها افضل له من الدنيا بما فيها من اصناف اموالها وخيراتها ومن استمع الى قاري . يقرؤها كان له قدر ثلث ما للقاري . فليستكثر احدكم من هذا الخير المعروض له فانه غنيمة . لا يذهبن او انه فتق في قلوبكم الحسرة

﴿ الاستعاذة ﴾

اتفقوا على التلفظ بالتعوذ قبل التسمية فيقول ابن كثير وابو عاصم وابو عمرو : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . ونافع وابن عامر والكسائي : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . إنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وحزمة : نستعيزُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، وابو حاتم أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿ اللغة ﴾

الاستعاذة الاستجارة فعناه استجير بالله دون غيره والعوذ والعياذ هو اللجأ وال (الشیطان) في اللغة هو كل متعبد من الجن والانس والدواب ولذلك جاء في القرآن شياطين الانس والجن ووزنه فيعال من شطنت الداراي بعدت وقيل هو فلان من شاط يشيط اذا بطل والاول اصح لانه قد جاء في الشعر شاطن بمعناه قال امية بن ابي الصلت

أَيُّمَا شَاطِنٍ عَصَاهُ عَكَاهُ
ثُمَّ يَلْقَى فِي السِّجْنِ وَالْأَغْلَالِ

والرجيم فعيل بمعنى مفعول من الرجم وهو الرمي

﴿ المعنى ﴾

امر الله بالاستعاذة من الشيطان اذ لا يكاد يجاو من وسوسته الا انسان فقال فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، ومعنى اعوذ الجأ الى الله من شر الشيطان اي البعيد من الخير المفارق اخلاقه اخلاق جميع جنسه وقيل المبعدين رحمة الله (الرجيم) اي المطرود من السماء الرمي بالشهب الثاقبة وقيل المرجوم باللعنة (ان الله هو السميع) - السميع لجميع السموات (العليم) بجميع المعلومات

قوله تعالى (١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اتفق اصحابنا انها آية من سورة الحمد ومن كل سورة وان من تركها في الصلاة بطلت صلاته سواء كانت الصلاة فرضا او نفلا وانه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة ويستحب الجهر بها فيما يخافت فيه بالقراءة وفي جميع ما ذكرناه خلاف بين فقهاء الأمة ولا خلاف في انها بعض آية من سورة النمل وكل من عدّها آية جعل من قوله صراط الذين الى آخر السورة آية ومن لم يعدّها آية جعل صراط الذين انعمت عليهم آية وقال انها افتتاح للتيمن والتبرك واما القراءة فان حمزة وخلفا ويعقوب واليزيدي تركوا الفصل بين السور بالتسمية والباقون يفتلون بينها بالتسمية الا بين الانفال والتوبة

﴿ فضلها ﴾

روي عن علي بن موسى الرضا (ع) انه قال بسم الله الرحمن الرحيم اقرب الى اسم الله الاعظم من سواد العين الى بياضها ، وروي عن ابن عباس عن النبي (ص) انه قال اذا قال المعلم للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم

فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبرائة لابويه وبرائة للمعلم وعن ابن مسعود قال من اراد ان ينجي الله من الزبانية التسعة عشر فليقرء بسم الله الرحمن الرحيم فانها تسعة عشر حرفاً يجعل الله كل حرف منها جنة من واحد منهم وروي عن الصادق (ع) انه قال الملم قاتلهم الله عمدوا الى اعظم آية في كتاب الله فزعموا انها بدعة اذا اظروها وهي بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اللغة﴾

الاسم مشتق من السمر وهو الرفعة اصله سموبالواو لان جمعه اسماً مثل قنو واقنآ وحنو وحنآ وتصفيره سمي قال الراجز (باسم الذي في كل سورة اسمه) وُسِّمَ ايضاً ذكره ابو زيد وغيره وقيل انه مشتق من الوسم والسمه والاول اصح لان المحذوف الفاء نحو صلة ووصل وعدة ووعد لاتدخلة همزة الوصل ولانه كان يجب ان يقال في تصغيره وسم كما يقال وعيدة ووصيلة في تصغير عدة وصلة والامر بخلافه (الله) اسم لا يطلق الا عليه سبحانه وتعالى وذكر سيبويه في اصله قواين (احدهما) انه الاء على وزن فعال فحذفت الفاء التي هي الهمزة وجعلت الالف واللام عوضاً لازماً عنها بدلالة استجازتهم قطع هذه الهمزة الداخلة على لام التعريف في القسم والنداء في نحو قوله افان الله لتفعلن ويان الله اغفر لي ولو كانت غير عوض لم تثبت الهمزة في الوصل كما لم تثبت في غيره هذا الاسم والقول الآخر ان اصله لاه ووزنه فعل فالحق به الالف واللام يدل عليه قول الاعشى

كحَلْفَةٍ مِنْ أَبِي رِبَاحٍ يَسْمَعُهَا لِأَهْلِ الْكِبَارِ

وانما ادخلت عليه الالف واللام للتفخيم والتعظيم فقط ومن زعم انها للتعريف فقد اخطأ لان اسماً الله تعالى معارف والالف من لاه منقلبة عن ياء فاصله ليه كقولهم في معناه لبي ابوك قال سيبويه نقلت العين الى موضع اللام وجعلت اللام ساكنة اذ صارت في مكان العين كما كانت العين ساكنة وتركوها آخر الاسم الذي هو لاه مفتوحاً كما تركوا آخر ان مفتوحاً وانما فعلوا ذلك حيث غيروا لكثرة في كلامهم فغيروا اعرابه كما غيروا بناءه وهذه دلالة قاطعة لظهور الياء في لاه والالف على هذا القول منقلبة كما ترى وفي القول الاول زائدة لانها الف فعال وتقول العرب ايضاً لاه ابوك تريد لله ابوك قال ذو الاصبع العدواني

لَاهِ ابْنُ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبِ عَيْنِي وَلَا أَنْتَ دِيَّانِي فَتَخَزُونِي

اي تسوسني قال سيبويه حذفوا لام الاضافة واللام الأخرى ولم ينكروا عملاً اللام بعد حذفها فقد حكي سيبويه من قولهم الله لاخرجن يريدون والله ومثل ذلك كثير يطول الكلام بذكره فاما الكلام في اشتقاقه فمنهم من قال انه اسم موضوع غير مشتق إذ ليس يجب في كل لفظ ان يكون مشتقاً لانه لو وجب ذلك لتسلسل هذا قول الخليل ومنهم من قال انه مشتق ثم اختلفوا في اشتقاقه على وجوه : فمنها انه مشتق من الالهية التي هي العبادة وانتأله التعبد قال ربيعة

لِلَّهِ دَرُّ الْغَائِيَاتِ الْمُدَّةِ سَبَّحْنَ وَأَسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأْهِمِي

اي تعبدني وقرأ ابن عباس ويذكر وإلهتك اي عبادتك ويقال اله الله فلان إلهة كما يقال عبده عبادة فعلى هذا يكون معناه الذي يحق له العبادة ولذلك لا يسمى به غيره ويوصف فيما لم يزل بأنه آله ﴿ومنها﴾ انه مشتق من الوله وهو التحجير يقال اله ياله اذا تمير - عن ابي عمرو - فمعناه اله الذي تحجير العقول في كنه عظمته ﴿ومنها﴾ انه مشتق من قولهم الهت الى فلان اي فرغت اليه لأن الخلق يلهون اليه اي يفزعون اليه في حوائجهم فقيل للماه اله كما يقال للموتم به امام ﴿ومنها﴾ انه مشتق من الهت اليه اي سكنت اليه عن البرد ومعناه أن الخلق يسكنون الى ذكره ومنها انه من لاه اي احتجب فمعناه انه المحتجب بالكيفية عن الأوهام والظاهر بالدلائل والأعلام ،

(الرحمن الرحيم) اسنان وضعا للعبادة واشتقا من الرحمة وهي النعمة ، الا ان فعلا ان شد مبالغة من فعيل وحكي عن ابي عبيدة انه قال : الرحمن ذو الرحمة والرحيم هو الراحم وكرر لضرب من التأكيد واما ما روي عن ابن عباس انها اسنان رقيقان احدهما ارق من الآخر فالرحمن الرقيق والرحيم العطف على عباده بالرزق والنعم فمحمول على انه يعود عليهم بالفضل بعد الفضل ، والنعمة بعد النعمة ، فعبر عن ذلك بالريقة ، لأنه لا يوصف بالريقة ، وما حكي عن ثعلب ان لفظة الرحمن ليست بعربية وانما هي ببعض اللغات مستدلاً بقوله تعالى (قالوا وما الرحمن) انكاراً منهم لهذا الاسم فليس بصحيح لأن هذه اللفظة مشهورة عند العرب موجودة في أشعارها قال الشنفرى

أَلَا ضَرَبْتَ تِلْكَ الْفَتَاةُ هَجِيئَهَا الْأَقْضَبَ الرَّحْمَنُ رَبِّي يَمِينَهَا

وقال سلامة بن جندل (وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق)

﴿الاعراب﴾

(بسم الله) الباء حرف جرّ اصله الاصلاق والحروف الجارة موضوعة لعنى المفعولية الا ترى انها توصل الافعال الى الاسماء وتوقعها عليها فاذا قلت مررت بزيد او قمت بالباء المروى على زيد فالجواب للباء فعل محذوف نحو ابدأوا بسم الله أو قولوا بسم الله فمحله نصب لانه مفعول به وانما حذف الفعل الناصب لأن دلالة الحال أغنت عن ذكره وقيل ان محل الباء رفع على تقدير مبتدأ محذوف وتقديره ابتدائي بسم الله فالباء على هذا متعلقة بالخبر المحذوف الذي قامت مقامه اي ابتدائي ثابت بسم الله او ثبت ثم حذف هذا الخبر فأفضى الضمير الى موضع الباء وهذا بمنزلة قولك زيد في الدار ولا يجوز ان يتعلق الباء بابتدائي المضمرة لأنه مصدر واذا تعلق به صارت من صلته وبتى المبتدأ بلا خبر واذا سئل عن تحريك الباء مع ان أصل الحروف البناء وأصل البناء السكون فجوابه انه حرك للزوم الابتداء به ولا يمكن الابتداء بالساكن وانما حرك بالكسر ليكون حركته من جنس ما يجده واذا لزم كاف التشبيه في كريد فجوابه ان الكاف لا يلزم الحرفية وقد تكون اسماء في نحو قوله (يضحك عن كابد المنهم) فخولف بينه وبين الحروف التي لاتفارق الحرفية وهذا قول ابي عمرو الجرمي واصحابه فلما ابو علي الحسن بن عبدالغفار الفارسي فقال انهم لو فتحوا او ضموا لجاز لأن الغرض التوصل الى الابتداء فبأي حركة توصل اليه جاز وبعض العرب يفتح هذه الباء وهي لفة ضعيفة وانما حذفت الهمزة من بسم الله في اللفظ لأنها همزة الوصل تسقط في الدرج وحذفت هاهنا في الخط ايضا لكثرة الاستعمال ولوقوعها في موضع معلوم لا يخاف فيه اللبس ولا يحذف في نحو قوله (اقرأ باسم ربك) لفة الاستعمال وانما تغلظ لام الله اذا تقدمته الضمة او الفتحة تقنيا لذكره ، واجلا لا لقدمه ، ويكون فرقا بينه وبين ذكر اللات . (الله) مجرور بالاضافة (الرحمن الرحيم) مجروران لأنها صفتان لله

﴿المعنى﴾

(بسم الله) قيل المراد به تضمين الاستعانة فتقديره استعينا بان تسئوا الله باسمائه الحسنى ، وتصفوه بصفاته العلى ، وقيل المراد استعينا بالله ويلتفت اليه قول ابي عبيدة أن الاسم صلة والمراد هو الله كقول لبيد
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر
اي ثم السلام عليكما والاسم قد يوضع موضع المسمى لما كان المعلق على الاسم ذكراً أو خطاباً معلماً على المسمى تقول رأيت زيدا فتعلق الروية على الاسم وفي الحقيقة تعلقها بالمسمى فان الاسم لا يرى فحسن إقامة الاسم مقام المسمى وقيل المراد به ابتدئ بتسمية الله فوضع الاسم موضع المصدر كما يقال أكرمه كرامة اي اكراماً واهنته هواناً اي اهانة ومنه قول الشاعر

أَكْفَرَا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَانِكَ الْمَانَةَ الرَّتَاعَا

اي بعد اعطائك وقال الآخر

فَإِنْ كَانَ هَذَا الْبُخْلُ مِنْكَ سَجِيَّةً لَقَدْ كُنْتُ فِي طَوْلِي رَجَائِكَ أَشْعَبًا

اراد في اطالتي رجائك فعلى هذا يكون تقدير الكلام ابتداء قراءتي بتسمية الله او اقرأ مبتدئا بتسمية الله وهذا القول اولى بالصواب لاننا انما امرنا بان نفتتح أمورنا بتسمية الله لا بالخبر عن كبريائه وعظمته كما امرنا بالتسمية على الأكل والشرب والذبايح الا ترى ان الذبايح لو قال بالله ولم يقل باسم الله لكان مخالفا لما أمر به ومعنى الله والآله أنه الذي تحق له العبادة وإنما تحق له العبادة لأنه قادر على خلق الاجسام وحياتها والآنعام عليها بما يستحق به العبادة وهو تعالى آله للحيوان والجماد لأنه قادر على أن ينعم على كل منهما بما معه يستحق العبادة فأما من قال معنى الآله المستحق للعبادة يلزمه ان لا يكون إلهاً في الازل لأنه لم يفعل الانعام الذي يستحق به العبادة وهذا خطأ وانما قدم الرحمن على الرحيم لأن الرحمن بمنزلة إسم العلم من حيث لا يوصف به الا الله فوجب لذلك تقديمه بخلاف الرحيم لأنه يطلق عليه وعلى غيره وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله ان عيسى بن مريم قال الرحمن رحمن الدنيا والرحيم رحيم الآخرة وعن بعض التابعين قال الرحمن بجميع الخلق والرحيم بالموءمين خاصة ووجه عموم الرحمن بجميع الخلق موءمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم هو انشاؤه إياهم وخلقهم احياء قادرين ورزقه إياهم ووجه خصوص الرحيم بالموءمين هو ما فعله بهم في الدنيا من التوفيق وفي الآخرة من الجنة والاكرام ، وغفران الذنوب والآثم ، وإلى هذا المعنى يؤول ما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال الرحمن اسم خاص بصفة عامة والرحيم إسم عام بصفة خاصة وعن عكرمة قال الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمائة رحمة وهذا المعنى قد اقتبس من قول الرسول أن الله عز وجل مائة رحمة وأنه أنزل منها واحدة الى الأرض فقسما بين خلقه بها يتعاطفون ويتراحمون وآخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة وروي ان الله قابض هذه إلى تلك فيكملها مائة يرحم بها عباده يوم القيامة

قوله تعالى (٢) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (آية)

﴿القرأة﴾

اجمع القراء على ضم الدال من الحمد وكسر اللام من لله وروي في الشواذ بكسر الدال واللام . ويفتح الدال وكسر اللام . وبضم الدال واللام . واجمعوا على كسر الباء من رب . وروي عن زيد بن علي نصب الباء . ويحمل على انه بين جوازه لانه قرأة

﴿اللغة﴾

الحمد والمدح والشكر متقاربة المعنى والفرق بين الحمد والشكر ان الحمد نقيض الذم كما ان المدح نقيض الهجاء . والشكر نقيض الكفران . والحمد قد يكون من غير نعمة والشكر يختص بالنعمة الا ان الحمد يوضع موضع الشكر ويقال الحمد لله شكرا فينصب شكرا على المصدر ولو لم يكن الحمد في معنى الشكر لا نصبه فإذا كان الحمد يقع موقع الشكر فالشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ويكون بالقلب وهو الاصل ويكون ايضا باللسان وانما يجب باللسان نفي تهمة الجحود والكفران واما المدح فهو القول النبي . عن عظم حال المدوح مع القصد اليه (واما الرب) فله معان (منها) السيد المطاع كقول لبيد

وَأَهْلَكُنْ قَدَمَا رَبُّ كُنْدَةً وَأَبْنَهُ وَرَبِّ مَعْدٍ بَيْنَ خَبْتٍ وَعَرُّعٍ

اي سيد كندة (ومنها) المالك نحو قول النبي لرجل ارب غم ارب ابل فقال من كل ما آتاني الله فاكثروا طيب

(ومنها) صاحب نحو قول ابي ذؤيب

قَدْ نَالَهُ رَبُّ الْكِلَابِ بِكَفِّهِ بَيْضُ رِهَابٍ رَيْشُهُنَّ مَمْرَعٌ

اي صاحب الكلاب (ومنها) الربيب (ومنها) المصلح واشتقاقه من التربية يقال ربيبته ورببته بمعنى وفلان يرب صنيمته اذا كان ينمها ولا يطلق هذا الاسم الا على الله ويقيده في غيره فيقال رب الدار ورب الضيعة و(العالمون) جمع عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه كالنفر والحيش وغيرهما واشتقاقه من العلامة لانه يدل على صانعه وقيل انه من العلم لانه اسم يقع على ما يعلم وهو في عرف اللغة عبارة عن جماعة من العقلاء لانهم يقولون جاءني عالم من الناس ولا يقولون جاءني عالم من البقر وفي المتعارف بين الناس هو عبارة عن جميع المخلوقات وتدل عليه الآية (قال وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما) وقيل انه اسم لكل صنف من الاصناف واهل كل قرن من كل صنف يسمى عالما ولذلك جمع فقيل عالمون لعالم كل زمان وهذا قول اكثر المفسرين كابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم وقيل العالم نوع ما يعقل وهم الملائكة والجن والانس وقيل الجن والانس لقوله تعالى (ليكون للعالمين نذيرا) وقيل هم الانس لقوله تعالى (اتأتون الذكران من العالمين)

الاعراب

الحمد رفع بالابتداء والابتداء عامل معنوي غير ملفوظ به وهو خلو الاسم عن العوامل اللفظية ليسند اليه خبر وخبره في الاصل جملة هي فعل مسند الى ضمير الابتداء وتقديره الحمد حق او استقر لله الا انه قد استغنى عن ذكرها لدلالة قوله لله عليها فانقل الضمير منها اليه حيث سدت مسدتها وتسمى هذه جملة ظرفية هذا قول الاخفش وابي علي الفارسي واصل اللام للتحقيق والملك ، واما من نصب الدال فعلى المصدر تقديره احمد الحمد لله او اجعل الحمد لله الان الرفع بالحمد اقوى وامدح لأن معناه الحمد وجب لله واستقر لله وهذا يقتضي العموم لجميع الخلق واذا نصب الحمد فكان تقديره احمد الحمد كان مدحاً من التكلم فقط فلذلك اختير الرفع ومن كسر الدال واللام اتبع حركة الدال حركة اللام ومن ضمهما اتبع حركة اللام حركة الدال وهذا ايسر من الاول لانه اتبع حركة المبني حركة الاعراب والاول اتبع حركة العرب حركة البناء واتبع الثاني الاول وهو الاصل في الاتباع والذي كسر اتبع الاول الثاني وهذا ليس بأصل واكثر النحويين ينكرون ذلك لان حركة الاعراب غير لازمة فلا يجوز لاجلها الاتباع ولان الاتباع في الكلمة الواحدة ضعيف نحو الحلم فكيف في الكلمتين وقال ابو الفتح بن جني في كسر الدال وضم اللام هنا دلالة على شدة ارتباط الابتداء بالخبر لانه اتبع فيها ما في احد الجزئين ما في الجزء الاخر وجعل بمنزلة الكلمة الواحدة نحو قولك اخوك وابوك واصل هذه اللام الفتح لان الحرف الواحد لاحظ له في الاعراب ولكنه يقع مبتدأ في الكلام ولا يبتدئ بساكن فاختير له الفتح لانه اخف الحركات تقول رأيت زيدا وعمرا قالوا ومن عمرا - مفتوحة - وكذلك الفأمن فعمرا الا انهم كسروها لانهم رادوا أن يفرقوا بين لام الملك ولام التوكيد اذا قلت ان المال لهذا في ملكه وان المال لهذا أي هو هو واذا ادخلوا هذه اللام على مضمحل رادوا إلى أصلها وهو الفتح قالوا لك وله لأن اللبس قد ارتفع وذلك لأن ضمير الجر مخالف لضمير الرفع اذا قلت ان هذا لك وان هذا لانت الا انهم كسروها مع ضمير التكلم نحو لي لأن هذه الباء لا يكون ما قبلها إلا مكسورا نحو غلامي وفرسي وهذا كله قول سيوريه وجميع النحويين المحققين وليس من الحروف المبتدأ بها مما هو على حرف واحد حرف مكسور الا الباء وحدها وقدمضى القول فيه واما لام الجزم في ليفعل فانما كسرت ليفرق بينها وبين لام التوكيد نحو ليفعل فاعلم و(رب العالمين) مجرور على الصفة والعامل في الصفة عند أبي الحسن الاخفش كونه صفة فذلك الذي يرفعه وينصبه ويجرّه وهو عامل معنوي كما أن المبتدأ انما رفعه الابتداء وهو معنى عمل فيه واستدل على أن الصفة لا يعمل فيه ما يعمل في الموصوف بانك تجد في الصفات ما يخالف الموصوف في اعرابه نحو ايازيد العاقل لأن المنادى

مبني والعامل الذي صفته معرب ودليل ثلث وهو أن في هذه التوابع ما يعرب بأعراب ما يتبعه ولا يصح أن يعمل فيه ما يعمل في موصوفه وذلك نحو اجمع وجمع وجمعا. ولا صح وجوب هذا فيها دل على ان الذي يعمل في الموصوف غير عامل في الصفة لاجتماعها في انهما تابعان وقال غيره من النحويين العامل في الموصوف هو العامل في الصفة ومن نصب رب العالمين فانما ينصبه على المدح والثناء. كأنه لما قال الحمد لله استدل بهذا اللفظ على انه ذا كرهه فكانه قال اذكر رب العالمين فعلى هذا لوقرى في غير القرآن رب العالمين مرفوعا على المدح ايضا لكان جائزا على معنى هو رب العالمين قال الشاعر

لَا يَبْعِدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ
سُمُّ الْعِدَاةِ وَأَفَةُ الْجُزُرِ
النَّازِلِينَ لِكُلِّ مُعْتَرِكٍ
وَالطَّيْبُونَ مَعَاقِدُ الْأَزْرِ

وقد روي النازلون والنازلين والطيبون والطيبين والوجه في ذلك ما ذكرناه (العالمين) مجرور بالاضافة والياء. فيه علامة الجر وحرف الأعراب وعلامة الجمع والتون هنا عوض عن الحركة في الواحد وانما فتحت فرقا بينها وبين نون التثنية تقول هذان عالمان فتكسر نون الاثنین لالتقاء الساكنين وقيل لثا فتحت نون الجمع وحقها الكسر لثقل الكسرة بمد الواو كما فتحت الفاء من سوف والنون من اين ولم تكسر لثقل الكسرة بعد الواو والياء

﴿ المعنى ﴾

معنى الآية ان الاوصاف الجميلة والثناء الحسن كلها لله الذي تحو له العبادة لكونه قادر على اصول النعم وفاعلا لها وكونه منشئا للخلق ومرتبيا لهم ومصاحبا لشأنهم ، وفي الآية دلالة على وجوب الشكر لله على نعمه وفيها تعليم للعباد كيف يحمدهم

قوله تعالى (٣) الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (آية)

آية قد مضى تنسيها وانما اعاد ذكر الرحمن والرحيم للمباينة وقال علي بن عيسى الرماني في الاول ذكر العبودية فوصل ذلك بشكر النعم التي بها يستحق العبادة وهاهنا ذكر الحمد فوصله بذكر ما به يستحق الحمد من النعم فليس فيه تكرار

قوله تعالى (٤) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم والكسائي وخاف ويعقوب الحضرمي مالك بالالف والباقون ملك بغير الف ولم يقل احد الف مالك وجر جميعهم الكاف وروي في الشواذ عن الاعمش انه نصبها وربيع بن نزار يخفف فيقول ملك يوم الدين بتسكين اللام

﴿ الحجة ﴾

اختلفوا في أن أي القراءتين امدح فمن قرأ مالك قال ان هذه الصفة امدح لانه لا يكون مالكا للشيء الا هو يملكه وقد يكون ملكا للشيء ولا يملكه كما يقال ملك العرب وملك الروم وان كان لا يملكهم وقد يدخل في المالك ما لا يصح دخوله في الملك يقال فلان مالك الدراهم ولا يقال ملك الدراهم فالوصف بالمالك اعم من الوصف بالملك والله مالك كل شيء وقد وصف نفسه بأنه مالك الملك يوتي الملك من يشاء فوصفه بالمالك ابلغ في الثناء والمدح من وصفه بالملك ومن قرأ الملك قال ان هذه الصفة امدح لانه لا يكون الا مع التعظيم والاحتواء على الجمع الكثير واختاره ابوبكر محمد بن السري السراج وقال ان الملك الذي يملك الكثير من الأشياء ويشارك غيره من الناس في ملكه بالحكم عليه وكل ملك مالك وليس كل مالك ملكا وانما قال تعالى مالك الملك لأنه تعالى يملك ملوك الدنيا وما ملكوا ومعناه انه يملك ملك الدنيا فيوتي الملك فيها من يشاء فاما يوم الدين فليس الاملكه وهو ملك الملوك يملكهم كلهم وقد يستعمل هذا في الناس يقال فلان ملك الملوك وامير الامراء ويراد بذلك ان من دونه ملوكا وامراء ولا يقال ملك الملك ولا امير الامارة لأن اميرا وملكها صفة غير جارية على فعل فلا معنى لاضافتها

الى المصدر فاما إضافة ملك الى الزمان فكما يقال ملك عام كذا وملوك الدهر الأول وملك زمانه وسيد زمانه فهو في المدح ابلغ والآية انما نزلت في الثناء والمدح لله الا ترى الى قوله رب العالمين والربوبية والملك متشابهان وقال ابو علي الفارسي يشهد ان قرأ مالك من التنزيل قوله تعالى والأمر يومئذ لله لأن قولك الامر له وهو مالك الامر بمعنى الا ترى ان لام الجر معناها الملك والاستحقاق وكذلك قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا يقوي ذلك ويشهد لقراءة من قرأ ملك قوله تعالى لمن الملك اليوم لان اسم الفاعل من الملك الملك فاذا قال الملك له ذلك اليوم كان بمنزلة قوله هو ملك ذلك اليوم وهذا مع قوله فتعالى الله الملك الحق والملك القدوس وملك الناس

﴿اللغة﴾

(الملك) القادر الواسع المقدرة الذي له السياسة والتدبير (والمالك) القادر على التصرف في ماله وله أن يتصرف فيه على وجه ليس لأحد منعه منه ويوصف العاجز بأنه مالك من جهة الحكم يقال ملك بين الملك بضم الميم ومالك بين الملك والمك بكسر الميم وفتحها وضم الميم لغة شاذة ويقال طالت ممالكهم بكسر اللام وفتحها ولي في هذا الوادي ملك ومالك وذكرها ابو علي الفارسي وقال الملك للشيء اختصاص من المالك به وخروجه من ان يكون مباحا لغيره ومعنى الاباحة في الشيء كالاتساع فيه وخلاف الحصر او القصر على الشيء الا تراهم قالوا باح السر وباحت الدار وقال ابو بكر محمد بن السري السراج الملك والملك يرجعان الى اصل واحد وهو الربط والشدة كما قالوا ملكت العجين اي شدته قال الشاعر

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَهَا
يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

يقول شددت بهذه الطعنة كفي ومنه الاملاك ومعناه رباط الرجل بالمرأة (الدين) معناه في الآية الجزاء قال الشاعر (واعلم بأنك ماتدين تدان) وهو قول سعيد بن جبير وقتادة وقيل الدين الحساب وهو المروي عن ابي جعفر محمد بن علي الباقر عليها السلام وابن عباس والدين الطاعة قال عمرو بن كلثوم

وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٌّ طَوَّالٍ
عَصَيْتَا الْمَلِكَ فِيهَا أَنْ نَدَيْنَا

والدين العادة قال الشاعر

تَقُولُ إِذَا دَرَأَتْ لَهَا وَضَيْبِي
أَهَذَا دَيْنُهُ أَبَدًا وَدَيْنِي

والدين القهر والاستعلاء قال الاعشى

هُوَ دَانَ الرَّبَابِ إِذْ كَرُّهُوَ الدِّ
ثُمَّ دَانَتْ بَعْدَ الرَّبَابِ وَكَانَتْ
بَيْنَ دِرَاكَا يَغْزَوَةَ وَأَحْتِيَالِ
كَعَذَابِ عُقُوبَةِ الْأَقْوَالِ

ويدل على أن المراد به الجزاء والحساب قوله تعالى «اليوم تجزي كل نفس ما كسبت واليوم تجزون ما كنتم تعملون»

﴿الاعراب﴾

(مالك) مجرور على الوصف لله تعالى وما جاء من النصب فعلى ما ذكرناه من نصب رب العالمين ويجوز ان ينصب رب العالمين ومالك يوم الدين على النداء كأنك قلت لك الحمد يارب العالمين ويامالك يوم الدين ومن قرأ ملك يوم الدين بإسكان اللام واصله ملك فخفضا كما يقال فيخذل فيخذل ومن قرأ ملك يوم الدين جملة فعلاماضيا ويوم مجرور باضافة ملك او مالك اليه وكذلك الدين مجرور باضافة يوم اليه وهذه الاضافة من باب ياسارق الليلة اهل الدار اتسع في الظرف فنصب نصب المفعول به ثم اضيف اليه على هذا الحد كما قال الشاعر انشده سيبويه

وَيَوْمَ شَهِدْنَاهُ سُلَيْمًا وَعَاصِرًا
قَلِيلٌ سِوَى الطَّعْنِ التَّمَالِ نَوَافِلُهُ

فكانه قال هو ملك ذلك اليوم ولا يوم في احد الملك فيه كما آتاه في الدنيا فلا ملك يومئذ غيره ومن قرأ مالك يوم الدين فانه قد حذف المفعول به من الكلام للدلالة عليه وتقديره مالك يوم الدين الاحكام والقضاء لا يملك ذلك ولا يليه سواه اي لا يكون احد واليا سواه وانما خص يوم الدين بذلك لتفرده تعالى بذلك في ذلك اليوم وجميع الخلق يضطرون الى الاقرار والتسليم واما الدنيا فليست كذلك فقد يحكم فيها ملوك وروساء وليست هذه الاضافة مثل قوله تعالى وعنده علم الساعة لأن الساعة مفعول بها على الحقيقة وليست مفعولا بها على السعة لأن الظرف اذا جعل مفعولا على السعة فعناه معنى الظرف ولو كانت الساعة ظرفا لكان المعنى يعلم في الساعة وذلك لا يجوز لأنه تعالى يعلم في كل وقت والمعنى انه يعلم الساعة اي يعرفها

﴿ المعنى ﴾

انه سبحانه لما بين ملكه في الدنيا بقوله رب العالمين بين ايضا ملكه في الآخرة بقوله مالك يوم الدين واراد باليوم الوقت وقيل اراد به امتداد الضياء الى ان يفرغ من القضاء ويستقر اهل كل دار فيها وقال ابو علي الجبائي اراد به يوم الجزاء على الدين وقال محمد بن كعب اراد يوم لا ينفع الا الدين وانما خص يوم القيامة بذكر الملك فيه تعظيما لثبانه وتفخيما لامره كما قال رب العرش وهذه الآية دالة على اثبات المعاد وعلى الترغيب والترهيب لأن المكلف اذا تصور ذلك لا بد ان يوجو ويخاف

قوله تعالى (٥) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (الآية)

﴿ اللفظة ﴾

العبادة في اللغة هي الذلة يقال طريق معبد اي مذل بكثرة الوطء قال طرفه
تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتَبَعْتُ وَظِيْفًا وَظِيْفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدٍ
وبعير معبد اذا كان مطليا بالقطران وسمي العبد عبدا لذته وانقياده لولاه والاستعانة طلب المعونة يقال استعنته واستعنت به

﴿ الاعراب ﴾

قال ابو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج موضع اياك نصب بوقوع الفعل عليه وموضع الكاف في اياك خفض باضافة ايا اليها وايا اسم للضمير المنصوب الا انه ظاهر يضاف الى سائر المضمرات نحو قولك اياك ضربت واياه ضربت واياي حدثت ولو قلت ايازيد حدثت كان قبيحا لأنه خص به المضمر وقد روى الخليل عن العرب اذا بلغ الرجل الستين فايها وايا الشواب وهذا كلام الزجاج ورد عليه الشيخ ابو علي الفارسي فقال ان ايا ليس بظاهر بل هو مضمر يدل على ذلك تغير ذاته وامتناع ثباته في حال الرفع والجر وليس كذلك الاسم الظاهر الا ترى انه يعتب عليه الحركات في آخره ويحكم له بها في موضعه من غير تغير نفسه فمخالفته للمظهر فيما وصفناه يدل على انه مضمر ليس بمظهر قال وحكى السراج عن البرد عن ابي الحسن الاخفش انه اسم مفرد مضمر يتغير آخره كما تتغير اواخر المضمرات لاختلاف اعداد المضمرين والكاف في اياك كالتي في ذلك وهي دالة على الخطاب فقط مجردة عن كونها علامة للمضمر فلا محل لها من الاعراب واقول وهكذا الحكم في اياي واياتا واياه واياها في أنها حروف تلحق ايا فاليا في اياي دليل على التكلم والهاء في اياه تدل على التسمية لا على نفس الغائب ويجري التاكيد على ايا منصوبا تقول اياك نفسك رأيت واياه نفسه ضربت واياهم كلهم عنيت فاعرفه ولا يجيز ابو الحسن اياك وايا زيد ويستقل روايتهم عن العرب اذا بلغ الرجل الستين فايها وايا الشواب ويحمله على الشذوذ لأن الغرض في الاضافة التخصيص والمضمر على نهاية التخصيص فلا وجه اذا لاضاقته والاصل في نستعين نستعون لأنه من المعونة والعون لكن الواو قلبت يا لثقل الكسرة عليها فنقلت كسرتها الى العين قبلها فتصير الياساكنة لأن هذامن

الاعلال الذي يتبع بعضه بعضا نحو اعان يعين وقام يقوم وفي شرحه كلام وربما يأتي مشروحا فيما بعد ان شاء الله وقوله نعبد ونستعين مرفوع لوقوعه موقعا يصلح للاسم الا ترى انك لو قلت انا عبدك وانا مستعينك لقام مقامه وهذا المعنى عمل فيه الرفع واما الاعراب في الفعل المضارع فلمضارعة الاسم لأن الاصل في الفعل البناء وانما يعرب منه ما شابه الاسماء وهو ما حلت اوله زيادة من هذه الزيادات الاربع التي هي الهززة والنون والتاء والياء.

﴿ المعنى ﴾

قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين ادل على الاختصاص من ان نقول نعبدك ونستعينك لأن معناه نعبدك ولا نعبد سواك ونستعينك ولا نستعين غيرك كما اذا قال الرجل اياك اعني فعناه لا اعني غيرك ويكون ابلغ من ان يقول اعنيك والعبادة ضرب من الشكر وغاية فيه لانها الخضوع باعلى مراتب الخضوع مع التعظيم باعلى مراتب التعظيم ولا يستحق الا باصول النعم التي هي خلق الحياة والقدرة والشهوة ولا يقدر عليه غير الله تعالى فلذلك اختص سبحانه بان يعبد ولا يستحق بعضنا على بعض العبادة كما يستحق بعضنا على بعض الشكر وتحسن الطاعة لغير الله تعالى ولا تحسن العبادة لغيره وقول من قال ان العبادة هي الطاعة للمعبود يفسد بان الطاعة موافقة الامر وقد يكون موافقا لامره ولا يكون عابدا له الا ترى ان الابن يوافق امر الاب ولا يكون عابدا له وكذلك العبد يطيع مولاه ولا يكون عابدا له بطاعته اياه والكفار يعبدون الاصنام ولا يكونون مطيعين لم اذلا يتصور من جهتهم الامر ومعنى قوله اياك نستعين اياك نستوفى ونطلب المعونة على عبادتك وعلى امورنا كماها والتوفيق هو ان يجمع بين جميع الاسباب التي يحتاج اليها في حصول الفعل ولهذا لا يقال فيمن اعان غيره وفقه لانه لا يقدر ان يجمع بين جميع الاسباب التي يحتاج اليها في حصول الفعل واما تكرار قوله اياك فلانه لو اقتصر على واحد ربما توهم متوهم انه لا يتقرب الى الله تعالى الا بالجمع بينها ولا يمكنه ان يفصل بينها وهو اذا تفكر في عظمة الله تعالى كان عبادة وان لم يستعن به وقيل انه جمع بينها للتأكيد كما يقال الدار بين زيد وبين عمرو ولو اقتصر على واحد فقيل بين زيد وعمرو كان جازا قال عدي بن زيد

وَجَاعِلُ الشَّمْسِ مِصْرًا لَاحْفَاءَ بِهِ
بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَلَا

وقال اعشى همدان

بَيْنَ الْأَشْجِ وَبَيْنَ قَيْسٍ بِأَذْخٍ
بَخِيخٍ لِرِوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلُودِ

وهذا القول فيه نظر لأن التكرير انما يكون تأكيدا اذا لم يكن محمولا على فعل ثان واياك الثاني في الآية محمول على نستعين ومفعول له فكيف يكون تأكيدا وقيل ايضا انه تعلم لنا في تجديد ذكره تعالى عند كل حاجة فان قيل ان عبادة الله تعالى لا تتأني بغير اعانة منه فكان يجب ان يقدم الاستعانة على العبادة فالجواب انه قدم العبادة على الاستعانة لاعلى الاعانة وقد تأتي بغير استعانة وايضا فان احدهما اذا كان مرتبطا بالآخر لم يختلف التقديم والتأخير كما يقال قضيت حتى فاحسنت الي واحسنت الي فقضيت حتى وقيل ان السؤال للمعونة انما يقع على عبادة مستانفة لاعلى عبادة واقعة منهم وانما حسن طلب المعونة وان كان لا بد منها مع التكليف على وجه الانقطاع اليه تعالى كقوله رب احكم بالحق ولأنه ربما لا يكون اللطف في ادامة التكليف ولا في فعل المعونة به الا بعد تقديم الدعاء من العبد وقد اخطأ من استدل بهذه الآية على ان القدرة مع الفعل من حيث ان القدرة لو كانت متقدمة الا كان لطلب المعونة وجه لأن الرغبة الى الله تعالى في طلب المعونة وجهين احدهما ان يسأل الله تعالى من الطافه وما يقوي دواعيه ويسهل الفعل عليه ما ليس بمحاصل ومتى لطف له بأن يعلمه ان له في فعله الثواب العظيم زاد ذلك في نشاطه ورغبته والثاني ان يطلب بقاء كونه قادرا على طاعته المستقبلة بان تجدد له القدرة حالا بعد حال عند

من لا يقول ببقائها وان لا يفعل ما يضاها وينفيها عند من قال ببقائها واما العدول عن الخبر الى الخطاب في قوله اياك نعبد الى آخر السورة فعلى عادة العرب المشهورة واشعارهم من ذلك مملوءة قال لبيد

بَاتَتْ تَشْكِي إِلَى النَّفْسِ مُجْهِشَةً وَقَدْ حَمَلَتْكَ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعِينَا

وقال ابو كثير الهذلي

يَا لَهْفَ نَفْسِي كَانَ جِدَّةُ خَالِدٍ وَيِيَاضُ وَجْهِكَ لِلتُّرَابِ الْإِعْقَرِ

فرجع من الاخبار عن النفس الى مخاطبتها في البيت الاول ومن الاخبار عن خالد الى خطابه في البيت الثاني وقال الكسائي تقديره قولوا اياك نعبد او قل يا محمد هذا كما قال الله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا اي يقولون ربنا ابصرنا وقال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام اي يقولون سلام

قوله تعالى (٦) إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

﴿ القراءة ﴾

قرا حمزة باشام الصاد والزاي الا العجلي وبرواية خلاد وابن سعدان يشم ههنا في الموضعين فقط وقرأ الكسائي من طريق ابي حمدون باشام السين ويعقوب من طريق رويس بالسين والباقون بالصاد

﴿ الحجة ﴾

الاصل في الصراط السين لانه مشتق من السراط ومستط الطعام ممره ومنه قولهم سرطراط والاصل سريرط فن قرأ بالسين راعى الاصل ومن قرأ بالصاد فلما بين الصاد والطاء من المواجهة بالاستعلاء والاطباق ولكراهة ان يتسفل بالسين ثم يتصعد بالطاء في الصراط واذا كانوا قد ابدلوا من السين الصاد مع القاف في صقب وصويق ليجعلوها في استعلاء القاف مع بعد القاف من السين وقرب الطاء منها فان يبدلوا منها الصاد مع الطاء اجدر من حيث كانت الصاد الى الطاء اقرب الا ترى انها جميعا من حروف طرف اللسان واصول الثنايا وان الطاء تدغم في الصاد ومن قرأ باشام الزاي فليسوا اضافة بين السين والطاء بحرف مجهور من مخارج السين وهو الزاي من غير ابطال الاصل

﴿ اللغة ﴾

الهداية في اللغة الارشاد والدلالة على الشيء يقال لمن يتقدم القوم ويدلهم على الطريق هاد خريت اي دال مرشد قال طرفه

لَلْقَمِي عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ حَيْثُ تَهْدِي سَابِقَهُ قَدَمُهُ

والهداية التوفيق قال

فَلَا تَعْجَبَنَّ هَدَاكَ الْمَلِيكَ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا

اي وفقك والصراط الطريق الواضح المتسع وسمي بذلك لانه يسرط المارة اي يتعلم والمستقيم المستوي الذي لا اعوجاج فيه قال جرير

أَمِيرُ الْمَوَدِّ مَنِ عَلَى صِرَاطٍ إِذَا أَعْوَجَ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمٌ

﴿ الاعراب ﴾

اهدنا مبني على الوقف وفاعله الضمير المستكن فيه لله تعالى والهمزة مكسورة لأن ثالث المضارع منه مكسور وموضع النون والالف من اهدنا نصب لانه مفعول به والصراط منصوب لانه مفعول ثان

﴿ المعنى ﴾

قبيل في معنى اهدنا وجوه (احدها) ان معناه ثبتنا على الدين الحق لأن الله تعالى قد هدى الخلق كلهم الا ان الانسان قد يزل وترد عليه الخواطر الفاسدة فيحسن ان يسأل الله تعالى ان يشته على دينه ويديه عليه ويعطيه

زيادات الهدى التي هي احدى اسباب الثبات على الدين كما قال الله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وهذا كما يقول القائل لغيره وهو يأكل كل اى دم على الاكل (وثانيها) ان الهداية هي الثواب لقوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم فصار معناه اهدنا الى طريق الجنة ثوابا لنا ويؤيده قوله الحمد لله الذي هدانا لهذا (وثالثها) ان المراد دلنا على الدين الحق في مستقبل العمر كما دللتنا عليه في الماضي ويجوز الدعاء بالشيء الذي يكون حاصله لقوله تعالى قل رب احكم بالحق وقوله حكاية عن ابراهيم عليه السلام ولا تحزني يوم يبعثون وذلك ان الدعاء عبادة وفيه اظهار الانتطاق الى الله تعالى فان قيل مامعنى المسألة في ذلك وقد فعله الله جوابه انه يجوز ان يكون لنا في الدعاء به مصلحة في ديننا وهذا كما تعبدنا بان نكرر التسبيح والتحميد والاقرار لربنا عز اسمه بالتوحيد وان كنا معتقدين لجميع ذلك ويجوز ان يكون الله تعالى يعلم ان اشياء كثيرة تكون اصلح لنا اذا سألناه واذا لم نسأله لا تكون مصلحة فيكون ذلك وجها في حسن المسألة ويجوز ان يكون المراد استمرار التكليف والتعريض للثواب لأن ادامته ليس بواجب بل هو تفضل محض فجاز ان يرغب اليه فيه بالدعاء وقيل في معنى الصراط المستقيم وجوه ﴿احدها﴾ انه كتاب الله وهو المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وعن علي عليه السلام وابن مسعود (وثانيها) انه الاسلام وهو المروي عن جابر وابن عباس (وثالثها) انه دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره عن محمد بن الحنفية والرابع انه النبي (ص) والائمة القائمون مقامه وهو المروي في اخبارنا والاولى حمل الآية على العموم حتى يدخل جميع ذلك فيه لأن الصراط المستقيم هو الدين الذي امر الله به من التوحيد والعدل وولاية من اوجب الله طاعته قوله تعالى (٧) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة عليهم بضم الهاء واسكان الميم وكذلك لديهم واليهيم وقرأ يعقوب بضم كل هاء قبلها ياء ساكنة في التثنية والجمع المذكور والمؤنث نحو عليها وفيها وعليهم وفيهم وعلين وفيهن وقرأ الباقون عليهم واخواتها بالكسر وقرى في الشواذ عليهموا قراءة ابن ابي اسحق وعيسى الثقفي وعليهمي قراءة الحسن البصري وعمر بن قايد وعليهم مكسورة الهاء مضمومة الميم بغير واو وعليهم مضمومة الهاء والميم من غير بلوغ واو مرويتان عن الاعرج فهذه سبع قرآت ثم اختلف القراء في الميم فاهل الحجاز وصلوا الميم واو انضمت الهاء قبلها وانكسرت قالوا عليهموا وعلى قلوبهموا وعلى سمعهموا ومنهموا ولهموا الا ان نافعا اختلف عنه فيه والباقون بسكون الميم فاما اذا لقي الميم حرف ساكن فان القراء اختلفوا فاهل الحجاز وعاصم وابن عامر يضمون على كسر الهاء ويضمون الميم نحو عليهم الذلة ومن دونهم امرأتين وابو عمرو يكسر الهاء والميم وحمزة والكسائي يضمنان الهاء والميم معا وكل هذا الاختلاف في الهاء التي قبلها كسرة او ياء ساكنة فاذا جاوزت هذين الامرين لم يكن في الهاء الا الضم وقرأ صراط من انعمت عليهم عمر بن الخطاب وعمرو بن عبد الله الزبيري وروي ذلك عن اهل البيت عليهم السلام وقرى ايضا في الشواذ غير المغضوب عليهم بالنصب وقرأ غير الضالين عمر بن الخطاب وروي ذلك عن علي عليه السلام

﴿ الحجة ﴾

من قرأ عليهم بضم الهاء فانه رده الى الاصل لانه اذا انفرد من حروف يتصل بها قيل هم فعلوا بضم الهاء قال السراج وهي القراءة القديمة ولغة قريش واهل الحجاز ومن حوهم من فصحاء اليمن واناخص حمزة هذه الحروف الثلاثة بالضم لأن الياء قبلها كانت الفاعل على القوم ولدى القوم والى القوم ولا يجوز كسر الهاء اذا كان قبلها الف ومن قرأ عليهم فانه اتبع الهاء ما اشبهها وهو الياء وترك ما لا يشبه الياء والالف على الاصل وهو الميم ومن قرأ عليهم فكسر الهاء واسكن الميم فلأنه امن اللبس اذا كانت الالف في التثنية قد دلت على الاثنى ولا ميم في الواحد فلما لزم الميم الجمع حذفوا الواو واسكنوا الميم طلبا للتخفيف اذا كان ذلك لا يشكل وانا كسر

الهاء مع ان الاصل الضم للياء التي قبلها ومن قرأ عليها فلا نة الاصل لان وسيلة هذه الواو في الجمع وسيلة الالف في التثنية اعني ان ثبات الواو كثبات الالف ومن قرأ عليها فانه كسر الهاء لوقوع الياء قبلها ساكنة وكسر الميم كراهة للخروج من كسرة الهاء الى ضمة الميم ثم انقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ومن كسر الهاء وضم الميم وحذف الواو فانه احتمل الضمة بعد الكسرة لانها غير لازمة اذا كانت الف التثنية تفتحها لكنه حذف الواو تقاديا من ثقلها مع ثقل الضمة ومن قرأ عليهم فانه حذف الواو استخفافا واحتمل الضمة قبلها دليلا عليها واما من ضم الميم اذا لقيها ساكن وكسر الهاء فانما يحتاج بان يقول لما احتجت الى الحركة رددت الحرف الى اصله فضممت وتركت الهاء على كسرها لانه لم تات ضرورة تخرج الى ردها الى الأصل ولأن الهاء انما تبعت الياء لانها شبهت بها ولم يتبعها الميم لبعدها منه واحتج من كسر الميم والهاء بان قال أتبعت الكسر الكسر لثقل الضم بعد الكسر قال سيويه الهاء تكسر اذا كان قبلها ياء او كسرة لانها خفيفة وهي من حروف الزيادة كما ان الياء من حروف الزيادة وهي من موضع الالف وهي شبه الحروف بالياء وكما اماوا الالف في مواضع استخفافا كذلك كسروا هذه الهاء وقلبوها الواو ياء لانه لا تثبت واو ساكنة وقبلها كسرة كقولك مرتت بهي ومررت بدارهي قبل

❖ الاعراب ❖

صراط الذين صفة لقوله الصراط المستقيم ويجوز ان يكون بدلا عنه والفصل بين الصفة والبدل ان البدل في تقديره تكرير العامل بدلالة تكرير حرف الجر في قوله تعالى قال الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم وليس كذلك الصفة فكما اعيدت اللام الجارة في الاسم فكذلك العامل الرفع او الناصب في تقدير التكرير فكأنه قال اهدنا صراط الذين وليس يخرج البدل وان كان كذلك عن ان يكون فيه تبيين للاول كما ان الصفة كذلك ولهذا لم يميز سيويه المسكين في كان الامر ولا بك المسكين كما اجاز ذلك في الغائب نحو مرتت به المسكين والذين موصول وانعمت عليهم صلة وقد تم بها اسما مفردا يكون في موضع جر باضافة صراط اليه ولا يقال في موضع الرفع اللذون لانه اسم غير متمكن وقد حكى اللذون شاذا كما حكى الشياطين في حال الرفع واما غير المغضوب عليهم في الجر فيه ثلاثة اوجه (احدها) ان يكون بدلا من الهاء والميم في عليهم كقول الشاعر

عَلَى حَالَةٍ لَوْ أَنَّ فِي الْقَوْمِ حَاتِمًا عَلَى جُودِهِ لَضُنَّ بِالْمَاءِ حَاتِمًا

جر حاتم على البدل من الهاء في جوده (وثانيها) ان يكون بدلا من الذين (وثالثها) ان يكون صفة للذين وان كان اصل غير ان يكون صفة للتكرير تقول مرتت برجل غيرك كأنك قلت مرتت برجل آخر او برجل ليس بك قال الزجاج وانما جاز ذلك لأن الذين ههنا ليس بمقصود قصدهم فهو بمنزلة قولك اني لأمر بالرجل مثلك فآكرمه وقال علي بن عيسى الرماني انما جاز ان يكون نعتا للذين لأن الذين بصلتها ليست بالمعرفة الموقته كالاعلام نحو زيد وعمرو وانما هي كالتكررات اذا عرفت نحو الرجل والفرس فلما كانت الذين كذلك كانت صفتها كذلك ايضا كما يقال لا اجلس الا الى العالم غير اباهل ولو كانت بمنزلة الاعلام لما جاز كما لم يجر مرتت يزيد غير الظريف بالجر على الصفة وقال ابو بكر السراج والذي عندي ان غير في هذا الموضع مع ما اضيف اليه معرفة لأن حكم كل مضاف الى معرفة ان يكون معرفة وانما تنكرت غير ومثل مع اضافتها الى المعارف من اجل معناها وذلك انك اذا قلت رايت غيرك فكل شي ترى سوى مخاطب فهو غيره كذلك اذا قلت رايت مثلك فاهو مثله لا يحصى فاما اذا كان شيئا معرفة له ضد واحد وارتد اثباته ونفي ضده فعلم ذلك السامع فوصفته بغير واضفت غير الى ضده فهو معرفة وذلك نحو قولك عليك بالحركة غير السكون فغير السكون معرفة وهي الحركة فكأنك كررت الحركة تأكيدا فكذلك قوله تعالى الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم فغير المغضوب هم الذين انعم الله عليهم فتي كانت غير بهذه الصفة فهي معرفة وكذلك اذا عرف انسان بانه مثلك في ضرب من الضروب فقيل فيه قد جاء

مثلك كان معرفة اذا اردت المعروف بشبهك قال ومن جعل غير بدلا استغنى عن هذا الاحتجاج لأن النكرة قد تبدل من المعرفة وفي نصب غير ثلاثة اوجه ايضا (احدها) ان يكون نصبا على الحال من المضمر في عليهم والعامل في الحال انعمت فكأنه قال صراط الذين انعمت عليهم لا مغضوبا عليهم (وثانيها) ان يكون نصبا على الاستثناء المنقطع لأن المغضوب عليهم من غير جنس المنعم عليهم (وثالثها) ان يكون نصبا على اعني كأن قال اعني غير المغضوب عليهم ولم يجوز ان يقال غير المغضوبين عليهم لأن الضمير قد جمع في عليهم فاستغنى عن ان يجمع المغضوب وهذا حكم كل ما تعدى بحرف جر تقول رأيت القوم غير المذهب بهم استغثت بالضمير المجرور في بهم عن جمع المذهب واما لامن قوله ولا الضالين فذهب البصريون إلى انها زائدة لتوكيد النبي وذهب الكوفيون إلى انها بمعنى غير ووجه قول البصريين انك اذا قلت ما قام زيد وعمرو احتمل ان تريد ما قاما معا ولكن قام كل واحد منهما بانفراده فاذا قلت ما قام زيد ولا عمرو زال الاحتمال وغير متضمن معنى النبي ولهذا اجاز النحويون انك زيد اغترضت ضارب لانه بمنزلة قولك انك انك انك زيد لا ضارب ولا يجوزون انك زيد اغترضت ضارب لأن زيد من صلة ضارب ولا يتقدم عليه وقال علي بن عيسى الرماني من نصب على الاستثناء جعل لاصلة كما انشد ابو عبيدة (في بيت لاجور سري وما شعر) اي في بئر هلكة وتقديره غير المغضوب عليهم والضالين كما قال ما منعك ان لا تسجد بمعنى ان تسجد

﴿ المعنى واللغة ﴾

معنى الآية بيان الصراط المستقيم اي صراط من انعمت عليهم بطاعتك وهم الذين ذكركم الله تعالى في قوله من يطع الله والرسول فاو تلك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واصل النعمة المباشرة والزيادة يقال دقت الدواء فانعمت دقه اي بالعت في دقه وهذه النعمة وان لم تكن مذكورة في اللفظ فالكلام يدل عليها لأنه لما قال اهدنا الصراط المستقيم وقد بينا المراد بذلك بين ان هذا صراط من انعم عليهم به ولم يحتج الى اعادة اللفظ كما قال النابتة

كَأَنَّكَ مِنْ جِمالِ بَنِي أَقِيشٍ يُقَعِّعُ خَلْفَ رَجُلَيْهِ بِشَنِّ

اي كأنك من جمالهم جعل يقمع خلف رجليه واراد بالمغضوب عليهم اليهود عند جميع المفسرين الخاص والعام ويدل عليه قوله تعالى من لعنه الله و غضب عليه وجعل منهم القردة والحنازير وهو لاء هم اليهود بدلالة قوله تعالى ولقد علمت الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين واراد بالضالين النصارى بدلالة قوله تعالى ولا تتبعوا الهواهم قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وقال الحسن البصري ان الله تعالى لم يبرء اليهود من الضلالة باضافة الضلالة إلى النصارى ولم يبرء النصارى من الغضب باضافة الغضب إلى اليهود بل كل واحدة من الطائفتين مغضوب عليهم وهم ضالون الا ان الله تعالى يخص كل فريق بسمة يعرف بها ويميز بينه وبين غيره بها وان كانوا مشتركين في صفات كثيرة وقيل المراد بالمغضوب عليهم والضالين جميع الكفار وانما ذكروا بالصفتين لاختلاف الفائدتين واختار الامام عبد القاهر الجرجاني قول آخر قال ان حق اللفظ فيه ان يكون خرج مخرج الجنس كما تقول نعوذ بالله ان يكون حالنا حال المغضوب عليهم فانك لا تقصد به قوما باعيانهم ولكنك تريد ما تريده بقولك اذا قلت اللهم اجعلني ممن انعمت عليهم ولا تجعلني ممن غضبت عليهم فلا تريد ان ههنا قوما باعيانهم قد اختصوا بهذه الصفة التي هي كونهم منعا عليهم وليس ينبغي على من عرف الكلام ان العقلاء يقولون اجعلني ممن تديم له النعمة وهم يريدون ان يقولوا آدم علي النعمة ولا يشك عاقل اذا نظر قول عنتره

وَلَقَدْ تَرَلْتُ فَلَا تَظَنِّي غَيْرَهُ مَنِي بِمَنْزِلَةِ الْمَحَبِّ الْمَكْرَمِ

انه لم يرد ان يشبهها باتسان هو محب مكرم عنده او عند غيره ولكنه اراد ان يقول انك محبة مكرومة عندي واما الغضب من الله تعالى فهو ارادته انزال العقاب المستحق بهم ولعنهم وبراءته منهم واصل الغضب الشدة ومنه الغضبة وهي الصخرة الصلبة الشديدة المركبة في الجبل والغضوب الحية الخبيثة والناقة العبوس واصل

الضلال الهلاك ومنه قوله اذا ضللتنا في الارض اي هلكنا ومنه قوله واضل اعمالهم اي اهلكها والضللال في الدين الذهاب عن الحق وانما لم يقل الذين انعمت عليهم غير الذين غضبت عليهم مراعاة للادب في الخطاب واختياراً لحسن اللفظ المستطاب وفي تفسير العياشي رحمه الله روى محمد بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السلام قال سألته عن قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم قال فاتحة الكتاب يثني فيها القول قال وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تعالى من علي بفاتحة الكتاب من كثر الجنة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الآية التي يقول الله فيها واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا والحمد لله رب العالمين دعوى اهل الجنة حين شكروا لله حسن الثواب ومالك يوم الدين قال جبرائيل عليه السلام ما قالها مسلم الا صدقه الله تعالى واهل سمائه اياك نعبداً خالص للعبادة واياك نستعين افضل ما طلب به العباد حوائجهم اهدنا الصراط المستقيم صراط الانبياء وهم الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم اليهود ولا الضالين النصارى وروى محمد الحلي عن ابي عبد الله عليه السلام انه كان يقرأ مالك يوم الدين ويقرأ اهدنا الصراط المستقيم وفي رواية اخرى يعني امير المؤمنين (ع) وروى جميل عن ابي عبد الله عليه السلام قال اذا كنت خلف امام ففرغ من قراءة الفاتحة فقل انت من خلفه الحمد لله رب العالمين وروى فضيل بن يسار عنه عليه السلام قال اذا قرأت الفاتحة ففرغ من قراءتها فقل الحمد لله رب العالمين

﴿النظم﴾

واما نظم هذه السورة فأقول فيه ان العاقل المميز اذا عرف نعم الله سبحانه بالمشاهدة وكان له من نفسه بذلك اعدل شاهد واصدق رائد ابتدأ بآية التسمية استقتناها باسم النعم واعترافاً بأهليته واسترواحاً الى ذكر فضله ورحمته ولما اعترف بالنعم الفرد اشتغل بالشكر له والحمد فقال الحمد لله ولما رأى نعم الله تعالى على غيره واضحة كما شاهد آثارها على نفسه لانتجته عرف انه رب الخلائق اجمعين فقال رب العالمين ولما رأى شمول فضله للمريبين وعموم رزقه للمرزوقين قال الرحمن ولما رأى تقصيرهم في واجب شكره وتعذيرهم في الاتجار عند زجره واجتناب نهيه وامثال امره وانه تعالى يتجاوز عنهم بالغفران ولا يؤخذهم عاجلاً بالعصيان ولا يسلبهم نعمه بالكفران قال الرحيم ولما رأى ما بين العباد من التباعى والتظالم والتكالم والتلاكم وان ليس بعضهم من شر بعض يسالم علم ان رزاقهم يوماً ينتصف فيه للمظلوم من الظالم فقال مالك يوم الدين واذا عرف هذه الجملة فقد علم ان له خالقاً رازقاً راحياً يحيي ويميت ويبدى ويعيد وهو الحي لا يشبهه شيء والا له الذي لا يستحق العبادة سواه ولما صار الموصوف بهذا الوصف كالمدرك له بالعيان المشاهد بالبرهان تحول عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب فقال اياك نعبد وهذا كما ان الانسان يصف الملك بصفاته فاذا رآه عدل عن الوصف الى الخطاب ولما رأى اعتراض الالهواء والشبهات وتعاور الآراء المختلفة ولم يجد معيناً غير الله تعالى سأله الاعانة على الطاعات بجميع الاسبابها والوصلات فقال واياك نستعين ولما عرف هذه الجملة وتبين له انه بلغ من معرفة الحق المدى واستقام على منهج الهدى ولم يأمن العثرة لارتفاع العصمة سأل الله تعالى التوفيق للدوام عليه والثبات والعصمة من الزلات فقال اهدنا الصراط المستقيم وهذا لفظ جامع يشتمل على مسألة معرفة الاحكام والتوفيق لاقامة شرائع الاسلام والاقتداء بمن اوجب الله طاعته من ائمة الانام واجتناب المحارم والآثام واذا علم ذلك علم ان الله سبحانه عباده اخصهم بنعمته واصطفاهم على بريته وجملهم حججاً على خليقته فسأله ان يلحقه بهم ويسلك به سبيلهم وان يعصمه عن مثل احوال الزالين المزلين والضالين المضلين ممن عاند الحق وعمي عن طريق الرشد وخالف سبيل القصد فغضب الله عليه ولعنه واعد له الحزى المقيم والمعذاب الاليم اوشك في واضح الدليل فضل عن سواء السبيل فقال صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

سورة البقرة

مدنية كلها الآية واحدة منها وهي قوله واثقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية فانها نزلت في حجة الوداع بمكة عدد آياتها مائة وست وعشرون آية في العدد الكوفي وهو العدد الروي عن امير المؤمنين علي عليه السلام وسبع في العدد البصري وخمس حجازي وأربع شامي خلافا احدى عشر آية عد الكوفي لم آية وعد البصري الاثنان آية وقولا معروفا بصري عذاب اليم شامي مصلحون غيرهم يا اولى الابواب عراقى والمدني الاخير من خلاف الثاني غير المدني الاخير يسألونك ماذا ينفقون مكبي والمدني الاول يتفكرون كوفي وشامي والمدني الاخير الحي القيوم مكبي بصري والمدني الاخير من الظلمات الى النور المدني الاول وروي عن اهل مكة ولا يضار كاتب ولا شهيد

﴿ فضلها ﴾

ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأها فصلوات الله عليه ورحمته واعطي من الاجر كالمرباط في سبيل الله سنة لا تسكن روعته وقال لي يا ابي مر المسلمين ان يتعلموا سورة البقرة فان تعلمها بركة وتركتها حسرة ولا يستطيعها البطلة قلت يا رسول الله ما البطلة قال السحرة وروى سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان لكل شيء سناما وسنام القرآن سورة البقرة من قرأها في بيته نهارا لم يدخل بيته شيطان ثلاثة ايام ومن قرأها في بيته ليلا لم يدخله شيطان ثلاث ليال وروي ان النبي صلى الله عليه وآله بعث بعثا ثم تبعهم يستقرنهم فجاء انسان منهم فقال ماذا معك من القرآن حتى اتى على احدهم سنا فقال له ماذا معك من القرآن قال كذا وكذا وسورة البقرة فقال اخرجوا وهذا عليكم امير قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وآله هو احدنا سنا قال معه سورة البقرة وسئل النبي صلى الله عليه وآله اي سور القرآن افضل قال البقرة قيل اي آية البقرة افضل قال آية الكرسي قال الصادق عليه السلام من قرأ البقرة وآل عمران جاء يوم القيامة تظلائه على رأسه مثل الغمامتين او مثل الغيابتين

﴿ تفسيرها ﴾

قوله تعالى (١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (الآية)

(كوفي) اختلف العلماء في الحروف العجيبة المفتحة بها السور فذهب بعضهم الى انها من التشابهات التي استأثر الله تعالى بعلمها ولا يعلم تاويلها الا هو وهذا هو الروي عن ائمتنا عليهم السلام وروت العامة عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وعن الشعبي قال لله في كل كتاب سر وسره في القرآن سائر حروف الهجاء المذكورة في اوائل السور وفدورها الآخرون على وجوه (احدها) انها اسماء السور ومفاتحها عن الحسن وزيد بن اسلم (وثانيها) ان المراد بها الدلالة على اسماء الله تعالى فقوله تعالى لم معناه انا الله اعلم والمر معناه انا الله اعلم وارى والمص معناه انا الله اعلم وأفضل والكاف في كهيص من كاف والهاء من هادى والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق عن ابن عباس وعنه ايضا ان الم الالف منه تدل على اسم الله واللام يدل على اسم جبرائيل والميم يدل على اسم محمد صلى الله عليه وآله وروى أبو اسحاق الثعلبي في تفسيره مسندا الى علي بن موسى الرضا عليه السلام قال سئل جعفر بن محمد الصادق عن قوله لم فقال في الالف ست صفات من صفات الله تعالى (الابتداء) فان الله ابتداء جميع الخلق والالف ابتداء الحروف (الاستواء)

فهو عادل غير جائز والالف مستور في ذاته والانفراد) فانه فرد والالف فرد و(اتصال الخلق بالله) والله لا يتصل بالخلق
وكلهم محتاجون إلى الله والله غني عنهم وكذلك الالف لا يتصل بالحروف والحروف متصلة به وهو منقطع من غيره
والله عز وجل باين بجميع صفاته من خلقه ومعناه من الالف فكما ان الله عز وجل سبب الفة الخلق فكذلك
الالف عليه تألفت الحروف وهو سبب الفتها (وثالثها) انها اسماء الله تعالى منقطعة لو احسن الناس تاليفها لعلوا
اسم الله الاعظم تقول الر وحم ون فيكون الرحمن وكذلك ساثرها الا انا لانقدر على وصلها والجمع بينها عن
سعيد بن جبير (ورابعها) انها اسماء القرآن عن قتادة (وخامسها) انها اقسام اقسام الله تعالى بها وهي من اسمائه عن
ابن عباس وعكرمة قال الاخفش وانما اقم الله تعالى بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها ولأنها مباني كتبه المذلة
بالاسنة المختلفة واسمائه الحسنى وصفاته العليا واصول كلام الامم كلها يهايتعارفون ويذكرون الله عز اسمه ويوحده
فكانه هو اقدم بهذه الحروف ان القرآن كتابه وكلامه (وسادسها) ان كل حرف منها مفتاح اسم من اسماء الله تعالى
وليس فيها حرف الا وهو في آياته وبلانه وليس فيها حرف الا وهو في مدة قوم وآجال آخرين عن ابي العالية وقد
ورد ايضا مثل ذلك في اخبارنا (وسابعها) ان المراد بها مدة بقاء هذه الامة عن مقاتل بن سليمان قال مقاتل حسبنا
هذه الحروف التي في اوائل السور باسقاط المكرر فبلغت سبع مائة واربعاً واربعين سنة وهي بقية مدة هذه الامة
قال علي بن فضال الجاشعي النحوي وحسبت هذه الحروف التي ذكرها مقاتل فبلغت ثلاثة آلاف وخمسة وستين
خذفت المكررات فبقي ستمائة وثلاث وتسعون والله اعلم بما فيها واقول قد حسبتها انا ايضا فوجدتها كذلك
ويروى ان اليهود لما سمعوا الم قالوا مدة ملك محمد صلى الله عليه وآله قصيرة انما تبلغ احدى وسبعين سنة فلما نزلت
الر المر والمص وكهيمص اتسع عليهم الامر هذه اقوال اهل التفسير (وثامنها) ان المراد بها حروف المعجم استغني
بذكرها ذكرتها في اوائل السور عن ذكرها بقاها التي هي تمام الثانية والعشرين حرفاً كما يستغني بذكر قفانك عن ذكر
باقي القصيدة وكما يقال اب في ابجد وفي اب ت ت ولم يذكروا باقي الحروف قال الراجز

لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهَا فِي حَطِيٍّ أَخَذْتُ مِنْهَا بِقُرُونٍ شَمَطِيٍّ

وانما اراد الخبر عن المراة بانها في ابجد فاقام قوله حطي مقامه لدلالة الكلام عليه (وتاسعها) انها تسكيت
للكفار لأن المشركين كانوا تواصلوا فيما بينهم ان لا يستمعوا لهذا القرآن وان يلغوا فيه كما ورد به التنزيل من
قوله لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الآية فربما صفقوا وربما لغطوا ليغطوا النبي صلى الله عليه وآله
فانزل الله تعالى هذه الحروف حتى اذا سمعوا شيئاً غريباً استمعوا اليه وتفكروا واشتغلوا عن تغليطه فيقع القرآن في
مسامعهم ويكون ذلك سبباً موصلاً لم الى درك منافعهم (وعاشرها) ان المراد بها ان هذا القرآن الذي عجزتم عن
معارضته من جنس هذه الحروف التي تتجاوزون بها في خطبكم وكلامكم فاذا لم تقدروا عليه فاعلموا انه من
عند الله لأن العادة لم تجرب ان الناس يتفاوتون في القدر هذا التفاوت العظيم وانما كررت في مواضع استظهارا في
الحجة وهو المحكي عن قطرب واختاره ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني

﴿ اللغة ﴾

اجود هذه الاقوال القول الاول المحكي عن الحسن لأن اسماء الاعلام منقولة الى التسمية عن اصولها للترفة
بين المسميات فتكون حروف المعجم منقولة الى التسمية ولهذا في اسماء العرب نظير قالوا (١) اوس بن حارثة بن لام الطائي
ولا خلاف بين النحويين انه يجوز ان يسمى بحروف المعجم كما يجوز ان يسمى بالجمع نحو تابط شرا وبرق نحوه
وكل كلمة لم تكن على معنى الاصل فهي منقولة الى التسمية للفرق نحو جعفر اذا لم يرد به معنى النهر لم يكن

(١) في بعض النسخ قال وفي مختصر مجمع البيان مانصه وسي في العرب لام الطائي والمناسب كذلك هنا ان تكون قالوا

إلا منقولاً إلى العلمية وكذلك أشباهه ولو سميت بالملك حكيمة جميع ذلك وأما قول ابن عباس أنه اختصار من أسماء يعلم النبي صلى الله عليه وآله تمامها فنحوه قول الشاعر

نَادُوهُمْ إِنْ أَلْجَمُوا أَلَا تَأْتُوا جَمِيعًا كُلُّهُمْ أَلَا فَا

يريد ألا تركبون قالوا لا فاركبوا وقول الآخر

فُلْنَا لَهَا قَفِي قَالَتْ قَافٌ لَا تَحْسَبِي أَنَا نَسِينًا الْإِيحَافُ

يريد قات انواقفة

﴿ الاعراب ﴾

أما موضع الم من الاعراب فمختلف على حسب اختلاف هذه المذاهب أما على مذهب الحسن فوضعها رفع على اضمار مبتدأ محذوف كأنه قال هذه الم واجاز الرماني ان يكون الم مبتدأ وذلك الكتاب خبره وتقديره حروف المعجم ذلك الكتاب وهذا فيه بعد لأن حكمه المبتدأ ان يكون هو الخبر في المعنى ولم يكن الكتاب هو حروف المعجم ويجوز ان يكون الم في موضع نصب على اضمار فعل تقديره اتل الم وأما على مذهب من جعلها قسم فوضعها نصب باضمار فعل لأن حرف القسم اذا حذف يصل الفعل الى المقسم به فينصبه فإن معنى قولك بالله اقسم بالله ثم حذف اقسم فسبق بالله فلو حذف الباء لقلت الله لافعلن وأما على مذهب من جعل هذه الحروف اختصاراً من كلام او حروفاً مقطعة فلاموضع لها من الاعراب لأنها بمنزلة قولك زيد قائم في أن موضعه لاحظ له في الاعراب وانما يكون للجملة موضع اذا وقعت موقع المفرد كقولك زيد ابوه قائم وان زيدا ابوه قائم لأنه بمنزلة قولك زيد قائم وان زيدا قائم وهذه الحروف موقوفة على الحكاية كما يفعل بحروف التهجي لأنها مبنية على السكت كما أن العدد مبني على السكت يدل على ذلك جمعك بين ساكتين في قولك لام ميم وتقول في العدد واحداً ثنائاً ثلاثة اربعة فتقطع الف اثنين والف اثنين الف وصل وتذكر الهاء في ثلاثة واربعة ولولا انك تقدر السكت لقلت ثلاثة بالثاء ويدل عليه قول الشاعر

أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ زَيْدٍ كَالْحَرْفِ تَخَطُّ رِجْلَيْ بَيْخَطٍ مُخْتَلِفٍ تَكْتَبُ بَانَ فِي الطَّرِيقِ لَامِ الْفِ

كأنه قال لام الف ولو لکنه التي حركة همزة الالف على الميم ففتحها واذا اخبرت عن حروف الهجاء او اسما الاعداد اعربتها لأنك ادخلتها بالاخبار عنها في جملة الاسماء المتمكنة واخرجتها بذلك من حيز الاصوات كما قال الشاعر (كما بينت كاف تلوح وميمها) وقال آخر

إِذَا أَجْتَمَعُوا عَلَى الْفِ وَبَاٍ وَوَاوٍ هَاجَ بَيْنَهُمْ جِدَالٌ

وتقول هذا كاف حسن وهذه كاف حسنة من ذكره فعلى معنى الحرف ومن انشء فعلى معنى الكلمة

قوله تعالى (٢) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير فيهي هدى بوصل الهاء بيا في اللفظ وكذلك كل هاء كتابة قبلها ياء ساكنة فإن كان قبلها ساكن غير اليا وصلها بالواو وواقته حفص في قوله فيهي مهانا وقتيبة في قوله فلاقبه وسالديه والباقون لا يشبعون وإذا تحرك ما قبل الهاء فهم مجمعون على اشباعه

﴿ الحجة ﴾

اعلم انه يجوز في العربية في فيه اربعة اوجه فيهي وفيه وفيه والاصل فيهي كما قيل لهو مال فن كسر الهاء من فيه ونحوه مع ان الاصل الضم فلاجل اليا او الكسرة قبل الهاء والهاء تشبه الالف لكونها من حروف

الحلق ولما فيها من الخفاء فكما نحووا بالالف نحو الياء بالامالة لاجل الكسرة او الياء كسروا الهاء للكسرة او الياء ليتجانس الصوتان ومن ترك الاشباع فلكرهه اجتماع المشابهة فإن الهاء حرف خفي فاذا اكتنفها ساكنان من حروف اللين كان كأن الساكنين اتقيا خفاء الهاء فانهم لم يعتدوا بها حاجزا في نحو فيهي وخذو هو كما لم يعتد بها في نحو رد من اتبع الضم الضم اذا وصل الفعل بضمير المؤنث فقال ردها بالفتح لا غير ولم يتبع الضم الضم وجعل الدال كأنها لازقة بالالف واما من اشبع واتبعها الياء قال الهاء وان كانت خفية فليس يخرجها ذلك من ان تكون كغيرها من حروف المعجم التي لاخفاء فيها فاذا كان كذلك كان حجزها بين الساكنين كحجز غيرها من الحروف التي لا خفاء فيها

﴿اللغة﴾

ذلك لفظه يشار بها الى ما بعد وهذا الى ما قرب والاسم من ذلك ذا والكاف زيدت للخطاب ولاحظ لها من الاعراب واللام تراد للتأكيد وكسرت لالتقاء الساكنين وتسقط معها هاء تقول ذلك وذلك وهذا ولا تقول هذا ذلك والكتاب مصدر وهو بمعنى المكتوب كالحساب قال الشاعر

بَشَرْتُ عِيَالِي إِذْ رَأَيْتَ صَحِيفَةً أَتَيْتُكَ مِنَ الْحَجَّاجِ يُتْلَى كِتَابُهَا

اي مكتوبها واصله الجمع من قولهم كتبت القرية اذا خزتها والكتبة الخزوة وكتبت البغلة اذا جمعت بين شفرها بجلقة ومنه قيل للجند كتيبة لانضمام بعضهم الى بعض والريب الشك وقيل هو أسوأ الشك وهو مصدر رابني الشيء من فلان يربيني اذا كنت مستيقنا منه بالريبة فاذا أسأت به الظن ولم تستيقن بالريبة منه قلت ارابني من فلان امر ارابة واراب الرجل اذا صار صاحب ريبة كما قيل الام اي استحق ان يلام والهدى الدلالة مصدر هديته وفعل قليل في المصادر قال ابو علي يجوز ان يكون فعل مصدر اختص به المعتل وان لم يكن في المصادر كما كان كينونة ونحوه لا يكون في الصحيح والفعل منه يتعدى الى مفعولين يتعدى الى الثاني منها باحد حرفي جر الى او اللام كقوله واهدنا الى سواء الصراط والحمد لله الذي هدانا لهذا وقد يحذف منه حرف الجر فيصل الفعل الى المفعول نحو اهدنا الصراط المستقيم اي دلنا عليه واسلكنا فيه وكأنه استجاز لما وعدوا به في قوله يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام اي سبيل دار السلام والاصل في المتقين الموقنين مقتلين من الوقاية فقلبت الواو ناء وادغمها في التاء التي بعدها وحذفت الكسرة من الياء استتقالاتها ثم حذفتها لالتقاء الساكنين فبقي متقين والتقوى اصله وقوى قلبت الواو ناء كالتراث اصله وراث واصل الالتقاء الحجز بين الشينين يقال اتقاء بالترس اي جعله حاجزا بينه وبينه قال الشاعر

فَأَلَّقْتُ قِنَاعًا دُونَهَا الشَّمْسُ وَأَتَّقْتُ بِأَحْسَنَ مَوْصُولَيْنِ كَفِّ وَمِعْصَمٍ

ومنه الوقاية لأنها تمتع روية الشعر

﴿الاعراب﴾

ذلك في موضع رفع من وجوه (احدها) ان تجمله خبرا عن الم كما مضى القول فيه (وثانيها) ان يكون مبتدأ والكتاب خبره (وثالثها) ان يكون مبتدأ والكتاب عطف بيان او صفة له او بدل منه ولا ريب فيه جملة في موضع الخبر (ورابعها) ان يكون مبتدأ وخبره هدى ويكون لا ريب في موضع الحال والعامل في الحال معنى الاشارة (وخامسها) ان يكون لا ريب فيه وهدى جميعا خبرا بعد خبر كقولك هذا حاو حامض اي جمع الطعنين ومنه قول الشاعر

مَنْ يَكُ ذَا بَتٍ فَهَذَا بَتِي مُقِظٌ مُصَيِّفٌ مُشْتِي

(وسادسها) ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا ذلك الكتاب وان حملت على هذا الوجه اوعلى انه مبتدأ ولا ريب فيه الخبر اوعلى انه خبر الم اوعلى ان الكتاب خبر عنه كان قوله هدى في موضع نصب على الحال اي هاديا للمتقين والعامل فيه معنى الاشارة او الاستمرار الذي يتعلق به فيه وقوله لا ريب قال سيوبه لا تعمل فيما بعدها فتنبه بغير تنوين وقال غيره من حذاق النحويين جعل لامع النكرة الشائعة مر كبا فهو اوكد من تضمين الاسم معنى الحرف لأنه جعل جزءاً من الاسم بدلالة انك تضيف اليه مجموعاً وتدخل عليه حرف الجر فتقول جئتك بلا مال ولا زاد فلما صار كذلك بني على الفتح وهما جميعاً في موضع الرفع على الابتداء فوضع خبره موضع خبر المبتدأ وعلى هذا فيجوز ان تجعل فيه خبراً ويجوز ان تجعله صفة فإن جعلته صفة اضمرت الخبر وان جعلته خبراً كان موضعه رفعا في قياس قول سيوبه من حيث يرتفع خبر المبتدأ وعلى قول ابي الحسن الاخفش موضعه رفع والموضع للظرف نفسه لا لما كان يتعلق به لأن الحكم له من دون ما كان يكون الظرف منتصبا به في الاصل الا ترى ان الضمير قد صار في الظرف واما قوله هدى فيجوز ان يكون في موضع رفع من ثلاثة اوجه غير الوجه الذي ذكرناه قبل وهو ان يكون خبراً عن ذلك احدها ان يكون مبتدأ وفيه الخبر على ان تضمنر للاريب خبر كأنك قلت لا ريب فيه فيه هدى والوقف على هذا الوجه يكون على قوله لا ريب فيه ويبتدى هدى للمتقين وان شئت جعلت فيه هذه الظاهرة خبراً عن لا ريب واضمرت لهدى خبراً كأنك قلت لا ريب فيه فيه هدى والوقف على هذا الوجه على قوله لا ريب فيه ويبتدى هدى للمتقين والوجه الثاني ان يكون خبراً عن الم على قول من جعله اسماً للسورة والوجه الثالث ان يكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هو هدى

﴿ المعنى ﴾

المراد بالكتاب القرآن وقال الاخفش ذلك بمعنى هذا لأن الكتاب كان حاضراً وانشد لخفاف بن ندبه

أَقُولُ لَهُ وَالرَّمْحُ يَا طَرُّ مِثْنَهُ
تَأْمَلُ حُخْفَاءً إِنِّي أَنَا ذَلِكَا

اي انا هذا وهذا البيت يمكن اجراؤه على ظاهره اي انني انا ذلك الرجل الذي سمعت شجاعته واذكري للشيء ذكر كيجوز ان يقول السامع هذا كما قلت وذلك كما قلت وتقول انفتت ثلاثة وثلاثة فهذا ستة او فذلك ستة وانما تقول هذا لقربه بالاخبار عنه وتقول ذلك لكونه ماضياً وقيل ان الله وعد نبيه ان ينزل عليه كتاباً لا يحويه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما انزل القرآن قال هذا القرآن ذلك الكتاب الذي وعدتك عن الفراء وابي علي الجبائي وقيل معناه هذا القرآن ذلك الكتاب الذي وعدتك به في الكتب السالفة عن المبرد ومن قال ان المراد بالكتاب التوراة والانجيل فقوله فاسد لأنه وصف الكتاب بأنه لا ريب فيه وانه هدى ووصف ما في أيدي اليهود والنصارى بانه محرف بقوله يحرفون الكلم عن مواضعه ومعنى قوله لا ريب فيه اي انه بيان وهدى وحق ومعجز فمن ههنا استحق الوصف بانه لا شك فيه لا (١) على جهة الاخبار بنبي شك الشاكين وقيل انه على الحذف كأنه قال لاسبب شك فيه لأن الاسباب التي توجب الشك في الكلام هي التلبس والتعقيد والتناقض والدعاوي العارية من البرهان وهذه كلها منفية عن كتاب الله تعالى وقيل ان معناه النهي وان كان لفظه الخبر اي لا ترتابوا ولا تشكروا فيه كقوله تعالى لا رفث ولا فسوق واما تخصيص المتقين بان القرآن هدى لهم وان كان هدى لجميع الناس فلا نهم هم الذين انتفعوا به واهتدوا بهدها كما قال انا انت منذر من يخشاها وان كان صلى الله عليه وآله منذراً لكل مكلف لانه انما انتفع بانذاره من يخشى نار جهنم على انه ليس في الاخبار بانه هدى للمتقين ما يدل على أنه ليس بهدى لغيرهم وبين في آية اخرى أنه هدى للناس

(١) ولا جهة للاخبار كذا في بعض النسخ ولعله انب

﴿ فصل في التقوى والمتقى ﴾

روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وقيل المتقى الذي اتقى ما حرم عليه وفعل ما اوجب عليه وقيل هو الذي يتقى بصالح اعماله عذاب الله وسأل عمر بن الخطاب كعب الاحبار عن التقوى فقال هل اخذت طريقا ذابشوك فقال نعم قال فما عملت فيه قال حذرت ونشمرت فقال كعب ذلك التقوى ونظمه بعض الناس فقال

خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى واصنع كما ش فوق ارض الشوك يجذرها يري لا تحترق صغيرة ان الجبال من الحصى وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال انما سمي المتقون لتركهم ما لا بأس به حذرا للوقوع فيما به بأس وقال عمر بن عبدالعزيز التقي ملجم كالمحرم في الحرم وقال بعضهم التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك

قوله تعالى (٣) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (آية)

قرأ ابو جعفر وعاصم في رواية الاعشى عن ابي بكر بترك كل همزة ساكنة مثل يؤمنون ويأكلون ويوتون وبش ونحوها ويترك كثيرا من المتحركة مثل يؤد ولا يؤادكم ويؤيد بنصره ومذهب ابي جعفر فيه تفصيل يطول ذكره واما ابو عمرو فيترك كل همزة ساكنة الا ان يكون سكونها علامة للجزم مثل ننسها ويسوم ويهي لكم ومن يشأ وينبهم وقرأ كتابك ونحوها فانه لا يترك الهمزة فيها وروي عنه الهمزة ايضا في الساكنة واما نافع فيترك كل همزة ساكنة ومتحركة اذا كانت فاء من الفعل نحو يؤمنون ولا يؤادكم واختلفت قراءة الكسائي وهمزة لكل واحد منهم مذهب فيه يطول ذكره فالهمز على الاصل وتركه للتخفيف

﴿ اللغة والاعراب ﴾

الذين جمع الذي واللائي واللائي جمع التي وتثنيتهما اللذان واللذان في حال الرفع والذين واللتين في حال الجر والنصب وهي من الاسماء التي لا تم الا بصلاتها نحو من وما واي وصلاتها لا تكون الا جملا خبرية يصح فيها الصدق والكذب ولا بد ان يكون فيها ضمير يعود الى الموصول فاذا استوفت الموصولات صلاتها كانت في تأويل اسم مفرد مثل زيد وعمر ويحتاج الى جزء آخر تصير به جملة فقوله الذين موصول ويؤمنون صلته ويحتمل ان يكون محله نصبا وجر او رفعاً فالنصب على المدح تقديره اعني الذين يؤمنون واما الجر فعلى انه صفة للمتقين واما الرفع فعلى المدح ايضا كأنه لما قيل هدى للمتقين قيل من هم قيل هم الذين يؤمنون بالغيب فيكون خبر مبتدئ محذوف ويؤمنون معناه يصدقون والواو في موضع الرفع بكونه ضمير الفاعلين والنون علامة الرفع والاصل في يفعل يؤمنون ولكن الهمزة حذفت لأنك اذا انبأت عن نفسك قلت انا فاعل فكانت تجتمع همزتان فاستثقلتا فحذفت الهمزة الثانية فقيل افعال ثم حذفت من الصيغ الاخرن فعل وتفعل ويفعل كما ان باب يعد حذفت منه الواو لوقوعها بين ياء وكسرة اذ الاصل يعد ثم حذفت في تعد واعد ونعد ليجري الباب على سنن واحد قال الازهري اتفق العلماء على ان الايمان هو التصديق قال الله تعالى وما انت بؤمن لنا اي ما انت بمصدق لنا قال ابو زيد وقالوا ما أمنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فالايان هو الثقة والتصديق قال الله تعالى الذين آمنوا بآياتنا اي صدقوا ووثقوا بها وقال الشاعر اشده ابن الانباري

وَمِنْ قَبْلِ أَمْنًا وَقَدْ كَانَ قَوْمُنَا
يُصَلُّونَ لِلْأَوْتَانِ قَبْلَ مُحَمَّدَا

ومعناه أمانة اي صدقناه ويجوز ان يكون آمن من قياس فعلته فافعل تقول امنتهم فامن مثل كبيتهم فاكب والامن خلاف الخوف والامانة خلاف الحيانة والامون الناقاة القوية كأنها يؤمن عن عثارها وكلاهما ويجوز ان يكون آمن بمعنى صار ذا امن على نفسه باظهار التصديق نحو اجرب واعاء واصح واسلم صار ذاسلم اي خرج عن ان يكون

حزبهذا في اصل اللغة اما في الشريعة فالايان هو التصديق بكل ما يازم التصديق به من الله تعالى وانبيائه وملائكته وكتبه والبعث والنشور والجنة والنار واما قولنا في وصف القديم تعالى المؤمن فانه يحتمل تأويلين احدهما ان يكون من امت المتعدي الى مفعول فنقل بالهمزة فتعدي الى مفعولين فصار من أمن زيد العذاب وآمنته العذاب فعناه المؤمن عذابه من لا يستحقه من اوليائه ومن هذا وصفه سبحانه بالعدل كقوله قائما بالقسط وهذا الوجه مروى في اخبارنا والآخر ان يكون معناه المصدق اي يصدق الموحدون على توحيدهم اياه يدل عليه قوله شهد الله انه لا اله الا هو لان الشاهد مصدق لما يشهده كما انه مصدق من يشهد له فاذا شهد بالتوحيد فقد صدق الموحدون واما الغيب فهو كما غاب عنك ولم تشهده وقوله بالغيب كأنه اجمال لما فصل في قوله كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله اي يؤمنون بما كفربه الكفار من وحدانية الله واتزال كتبه وارسال رسله فكل هذا غيب فعلى هذا يكون الجار والمجرور في موضع نصب بأنه مفعول به وفيه وجه آخر وهو ان يكون اراد يؤمنون اذا غابوا عنكم ولم يكونوا كالمناققين ومثله قوله وخشي الرحمن بالغيب فعلى هذا يكون الجار والمجرور في موضع الحال اي يؤمنون غائبين عن مرآة الناس لا يريدون بايمانهم تصنعا لأحد ولا يمكن يخلصونه لله ويقيمون الصلوة يوم دونها بحدودها وفرائضها يقال اقام القوم سوقهم اذا لم يعطلوها من البيع والشراء وقال الشاعر

أَقَامَتْ غَزَالَةٌ سُوقَ الضَّرَابِ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ حَوْلًا قَيْطًا

وقال ابو مسلم يقيمون الصلاة اي يديمون ادا فرائضها يقال للشيء الراتب قائم ويقال فلان يقيم ارزاق الجنود والصلوة في اللغة الدعاء قال الاعشى

وَأَقْبَلَهَا^(١) الرِّيحُ فِي ظِلِّهَا وَصَلَّى عَلَي دَنِيهَا وَارْتَسَمَ

اي دعا لها ومنه الحديث اذا دعى احدكم الى طعام فليجب وان كان صائما فليصل اي فليدع له بالبركة والخير وقيل اصله رفع الصلوة في الركوع وهو عظم في العجز وقوله وبما رزقناهم ينفقون ما هذه حرف موصول ورزقناهم صلته وهما جميعا بمعنى المصدر تقديره ومن رزقنا اياهم ينفقون او اسم مرصول والعائد من الصلوة الى الموصول محذوف والتقدير ومن الذي رزقناهم ينفقون فيكون ما رزقناهم في موضع جر بن والجار والمجرور في موضع نصب بانه مفعول ينفقون والرزق هو العطا الجاري وهو نقيض الحرمان والانفاق اخراج المال يقال انفق ماله اي اخذه عن ملكه ونفقت الدابة اذا خرج روحها والنافقا جحر اليربوع لانه يخرج منها ومنه النفاق لان المنافق يخرج الى المؤمن بالايمان والى الكافر بالكفر

﴿ المعنى ﴾

لما وصف القرآن بأنه هدى للمتقين بين صفة المتقين فقال الذين يؤمنون بالغيب اي يصدقون بجميع ما اوجبه الله تعالى او نذب اليه او اباحه وقيل يصدقون بالقيامة والجنة والنار عن الحسن وقيل بما جاء من عند الله عن ابن عباس وقيل بما غاب عن العباد علمه عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة وهذا اولى لعمومه ويدخل فيه ما رواه اصحابنا عن زمان غيبة المهدي عليه السلام ووقت خروجه وقيل الغيب هو القرآن عن زر بن حبيش وقال الرماني الغيب خفاء الشيء عن الحس قرب او بعد الا انه كثرت صفة غائب على البعيد الذي لا يظهر للحس وقال الباخي الغيب كل ما ادرك بالدلائل والآيات بما يلزم معرفته وقالت المعتزلة باجمعها الايمان هو فعل الطاعة ثم اختلفوا فتنهم من اعتبر الفرائض والنوافل ومنهم من اعتبر الفرائض حسب واعتبروا اجتناب الكبائر كلها وقد روى الخاص والعالم عن علي بن موسى الرضا عليه السلام ان الايمان هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان وقد روي ذلك على لفظ آخر عنه ايضا الايمان قول مقول وعمل معمول وعرفان بالعقول واتباع الرسول واقول ان اصل الايمان

(١) في لسان العرب وتفسير الطبري (وقابلها) ولعله الأصح (٢) في الشيخ الأخرى زر بن حبيش او جيش فليحجر

هو المعرفة بالله وبرسله وبجميع ما جاءت به رسله وكل عارف بشيء فهو مصدق به يدل عليه هذه الآية فإنه تعالى لما ذكر الايمان علقه بالغيب ليعلم انه تصديق للمخبر فيما اخبر به من الغيب على معرفة وثقة ثم افرد بالذكر عن سائر الطاعات البدنية والمالية وعطفها عليه فقال ويطعمون وينفقون والشئ لا يعطف على نفسه وانما يعطف على غيره ويدل عليه ايضا انه تعالى حيث ذكر الايمان اضافه الى القلب فقال وقلبه مطمئن بالايمان وقال اولئك كتب في قلوبهم الايمان وقال النبي صلى الله عليه وآله الايمان سر و اشار الى صدره والاسلام علانية وقد يسمى الاقرار ايمانا كما يسمى تصديقا الا انه متى صدر عن شك او جهل كان ايمانا لفظيا لا حقيقيا وقد تسمى اعمال الجوارح ايضا ايمانا استعارة وتلويحا كما تسمى تصديقا كذلك فيقال فلان تصدق افعاله مقاله ولاخير في قول لا يصدق الفعل والفعل ليس بتصديق حقيقي باتفاق اهل اللغة وانما استعير له هذا الاسم على الوجه الذي ذكرناه فقد آل الامر مع تسليم صحة الخبر وقبوله الى ان الايمان هو المعرفة بالقلب والتصديق به على نحو ما تقتضيه اللغة ولا يطلق لفظه الا على ذلك الا انه يستعمل في الاقرار باللسان او العمل بالاركان مجازا واتساعا وبالله التوفيق وقد ذكرنا في قوله ويطعمون الصلوة وجهين اقتضاها اللغة وقيل ايضا انه مشتق من القيام في الصلوة ولذلك قيل قد قامت الصلوة وانما ذكر القيام لانه اول ارکان الصلاة وامدها وان كان المراد به هو غيره والصلوة في الشرع عبارة عن أفعال مخصوصة على وجوه مخصوصة وهذا يدل على ان الاسم ينقل من اللغة الى الشرع وقيل ان هذا ليس ينقل بل هو تخصيص لانه يطلق على الذكر والدعاء في مواضع مخصوصة وقوله تعالى وما رزقناهم ينفقون يريد وما اعطيناهم وملكناهم يخرجون على وجه الطاعة وحكي عن ابن عباس انه الزكاة المفروضة وعن ابن مسعود انه نفقة الرجل على اهله لان الآية نزلت قبل وجوب الزكاة وعن الضحاك هو التطوع بالنفقة وروى محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام ان معناه وما علمناهم يبثون والاولى حمل الآية على عمومها وحقيقة الرزق هو ما صح ان ينتفع به المنتفع وليس لاحد منعه منه وهذه الآية تدل على ان الحرام لا يكون رزقا لأنه تعالى مدحهم بالاتفاق مما رزقهم والمنفق من الحرام لا يستحق المدح على الاتفاق بالاتفاق فلا يكون رزقا

﴿ النزول ﴾

قال بعضهم هذه الآية تناوت مؤمني العرب خاصة بدلالة قوله والذين يؤمنون بما انزل اليك الآية فهذا في مؤمني اهل الكتاب اذ لم يكن للعرب كتاب قبل القرآن وهذا غير صحيح لأنه لا يتنع ان تكون الآية الاولى عامة في جميع المؤمنين وان كانت الثانية خاصة في قوم منهم ويجوز ان يكون المراد بالآيات قوما واحدا وصفوا بجميع ذلك بأن جمع بين اوصافهم بواو العطف كقول الشاعر

إلى المَلِكِ القَرَمِ وأبْنِ الهِمَامِ
وَلَيْتِ الكَتِيبَةَ في المَرْدَحِمِ

قوله تعالى (٤) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

اهل الحجاز غير ورش واهل البصرة لا يدون حرفا لحرف وهو ان تكون المدة من كلمة والمهزة من اخرى نحو ما انزل اليك ونحوه واما اهل الكوفة وابن عامر وورش عن نافع فانهم يدون ذلك وورش اطولهم مدا ثم حمزة ثم عاصم برواية الاعشى والباقون يدون مدا وسطا من غير افراط فالمد للتحقيق وحذفه للتخفيف واما السكتة بين المدة والمهزة فمن حمزة وواقه عاصم والكسائي على اختلاف عنهما وكان يقف حمزة قبل المهزة ايضا فيسكت على اللام شيئا من قوله بالآخرة ثم يتدى بالمهزة وكذلك يقطع على اليا من شيء كأنه يقف ثم يهجر والباقون بغير سكتة

﴿ الأعراب ﴾

اليك ولديك وعليك الاصل فيها الاك وءلاك وءلك الا ان الالف غيرت مع المضمر فابدلت يا ليفصل بين الالف في آخر الاسم المتمكن وبينها في آخر غير المتمكن الذي الاضافة لازمة له الا ترى ان الى وعلى ولدى لا تنفرد من الاضافة فشبهت بها كلا إذا اضيفت الى المضمر لأنها لا تنفرد ولا تكون كلاماً الا بالاضافة وما موصول وانزل صلته وفيه ضمير يعود الى ما والموصول مع صلته في موضع جر بالباء والجار والمجرور في موضع نصب بأنه مفعول يومنون ويومنون صلة للذين والذين يومنون في موضع جر بالعطف والعطف فيه على وجهين احدهما ان يكون عطف احد الموصوفين على الآخر والآخر ان يكون جمع الاوصاف لموصوف واحد

﴿ المعنى ﴾

ثم بين تعالى تمام صفة المتقين فقال والذين يومنون بما انزل اليك يعني القرآن وما انزل من قبلك يعني الكتب المتقدمة وقوله وبالآخرة اي بالدار الآخرة لأن الآخرة صفة فلا بد لها من موصوف وقيل اراد به الكرة الآخرة وانما وصفت بالآخرة لتأخرها عن الدنيا وما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق وقيل لدنايتها هم يوقنون يعلمون وسمي العلم يقيناً لحصول القطع عليه وسكون النفس اليه فكل يقين علم وليس كل علم يقيناً وذلك ان اليقين كأنه علم يحصل بعد الاستدلال والنظر لغرض العلوم المنظور فيه اولاشكال ذلك على الناظر ولهذا لا يقال في صفة الله تعالى موقن لأن الاشياء كلها في الجلاء عنده على السواء وانما خصهم بالايقان بالآخرة وان كان الايمان بالغيب قد شملها لما كان من كفر المشركين بها وجحدتهم اياها في نحو ما حكى عنهم في قوله وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا فكان في تخصيصهم بذلك مدح لهم

قوله تعالى (٥) **أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (آية)

او لك اسم مبهم يصلح لكل حاضر تعرفه الاشارة وهو جمع ذلك في المعنى واو لا جمع ذا في المعنى ومن قصر قال او لا والاك واو لاك واذا مد لم يجز زيادة اللام لنلا يجتمع ثقل الزيادة وثقل الهزمة قال الشاعر

أَلَا لَكَ قَوْمٌ لَمْ يَكُونُوا أَشَابَةً
وَهَلْ يَعْظُ الضَّيْلُ إِلَّا أَوْلَا لَكَ

والمفلحون المنجحون الفاترون والفلاح النجاح قال الشاعر

إِعْقَلِي إِنْ كُنْتِ لَمَّا تَعْقِلِي
فَلَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ عَقْلٌ

اي ظفر بجأته والفلاح ايضا البقاء قال لبيد

نَحَلُ بِلَادًا كُلُّهَا حُلٌّ قَبْلَنَا
وَنَزَجُو الْفَلَّاحَ بَعْدَ عَادٍ وَتَبَعَا

واصل الفلاح القطع ومنه قيل الفلاح للأكل الحراث لأنه يشق الارض وفي المثل الحديد بالحديد يفلح فالفلح على هذا كأنه قطع له بالخير

﴿ الأعراب ﴾

موضع أو لك رفع بالابتداء والخبر على هدى من ربهم وهو اسم مبني والكاف حرف خطاب لا محل له من الاعراب وكسرت الهزمة فيه لانتقاء الساكنين وكذلك قوله أو لك هم المفلحون الا ان قوله هم فيه وجهان (احدهما) انه فصل يدخل بين المبتدأ والخبر وما كان في الاصل مبتدأ وخبراً للتأكيد ولا موضع له من الاعراب والكوفيون يسمونه عمادا وانما يدخل ليؤذن أن الاسم بعده خبر وليس بصفة وانما يدخل ايضا اذا كان الخبر معرفة او ما شبه المعرفة نحو قوله تعالى تجودوه عند الله هو خيرا والوجه الآخر ان يكون هم مبتدأ ثانيًا والمفلحون خبره والجملة في موضع رفع بكونها خبر أو لك

﴿ المعنى ﴾

لما وصف المتقين بهذه الصفات بين ما لهم عنده تعالى فقال أو تلك اشارة الى الموصوفين بجميع الصفات المتقدمة وهم جملة المؤمنين على هدى من ربهم اي من دين ربهم وقيل على دلالة وبيان من ربهم وانما قال من ربهم لأن كل خير وهدى فن الله تعالى اما لأنه فعله واما لأنه عرض له بالدلالة عليه والدعاء اليه والاثابة على فعله وعلى هذا يجوز ان يقال الايمان هداية منه تعالى وان كان من فعل العبد ثم كرر تفخيا فقال أو تلك هم المفلحون اي الظافرون بالبيعة والباقون في الجنة

﴿ النزول ﴾

قال مجاهد اربع آيات من اول السورة نزلت في المؤمنين وآياتان بعدها نزلت في الكافرين وثلاث عشرة آية بعدها نزلت في المنافقين (قوله تعالى) (٦) **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** (آية)

﴿ القراءة ﴾

قوله تعالى أنذرتهم فيه ثلاث قراءات قرأ عاصم وحزمة والكسائي اذا خفف بهمزيين وقرأ اهل الحجاز وابو عمرو بالهمز والمد وتلين همزة الثانية والباقون يجعلونها بين بين وكذلك قراءة الكسائي اذا خففت وابو عمرو اطول مدأ من ابن كثير واختلف في المد عن نافع وقرأ ابن عامر بالف بين همزتين ويجوز في العربية ثلاثة اوجه غيرها أنذرتهم بتحقيق همزة الاولى وتخفيف الثانية يجعلها بين بين وأنذرتهم بهمزة واحدة وعليهم أنذرتهم على القا حركة همزة على الميم نحو قد افلح فيما روي عن نافع

﴿ الحجة ﴾

اما وجه همزتين فهو انه الاصل لأن الاولى همزة الاستفهام والثانية همزة افعال واما ادخال الالف بين همزتين فن قرأه اراد ان يفصل بين همزتين استقالاتا لاجتماع المثلين كما فصل بين النونين في نحو اضربنا استقالاتا لاجتماع النونات ومنه قول ذي الرمة

فِيَا ظَبِيَّةَ الْوَعَسَاءِ بَيْنَ جَلَا جِلٍّ وَيَيْنَ النَّقَّاءِ أَنْتَ أُمَّ أُمَّ سَالِمٍ

واما من فصل بين همزتين ولين الثانية فوجه التخفيف من جهتين الفصل والتلئين لأنك اذا لينتها فقد امتأها وصار اللفظ كأنه لاستفهام فيه في المد تؤكد الدلالة على الاستفهام كما في تحقيق همزة واما من حقق الاولى ولين الثانية من غير فصل بالالف فهو القياس لأنه جعل التلئين عوضا عن الفصل واما من اكتفى بهمزة واحدة فإنه طرح همزة الاستفهام وهو ضعيف وقد جاء في الشعر قال عمر بن ابي ربيعة

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا بِسَبْعِ رَمِينَ الْجَمْرِ أَمْ يَثْمَانِ

واما من القى حركة همزة على الميم فإنه على تلئين الاولى وتحقيق الثانية والعرب اذا لينوا الهمزة المتحركة وقبلها ساكن اقوا حركتها على ما قبلها قالوا من بوك ومن مك ومن بك

﴿ اللفظة ﴾

الكفر خلاف الشكر كما ان الحمد خلاف الذم فالكفر ستر التهمة واخفاؤها والشكر نشرها واظهارها وكل ما ستر شيئا فقد كفره قال لبيد (في لية كفر النجوم غماما) اي سترها وسواء مصدر اقيم مقام الفاعل كقولك زور وصوم ومعناه مستو الاستواء الاعتدال والاستواء والسواء العدل قال زهير

أَرُونِي خِطَّةً لَا خَسْفَ فِيهَا يُسَوِّي بَيْنَنَا فِيهَا السَّوَاءُ

وقالوا سي بمعنى سواء كما قالوا قي وقوا وسيان اي مثلان والانذار اعلام معه تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا ويوصف القديم تعالى بانه منذر لأن الاعلام يجوز وصفه به والتخويف ايضا كذلك لقوله ذلك يخوف الله به عباده فاذا جاز وصفه بالمعنيين جاز وصفه بما يشتمل عليها وانذرت يتعدى الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا وقد ورد معدى الى المفعول الثاني بالباء في قوله قل انما انذركم بالوحي وقيل الانذار هو التحذير من مخوف يتسع زمانه للاحتراز منه فان لم يتسع فهو اشعار

﴿ الاعراب ﴾

ان حرف توكيد وهي تنصب الاسم وترفع الخبر وانما نصبت ورفعت لانها تشبه الفعل لكونها على وزنه ولانها توكيد والتوكيد من معاني الفعل وتشبهه في اتصال ضمير المتكلم نحو اني وهي مبنية على الفتح كالفعل الماضي وانما الزمت تقديم المنصوب على المرفوع ليعلم انها انما عملت على جهة التشبيه فجعلت كفعل قدم مفعوله على فاعله والذين كفروا في موضع نصب لكونه اسم ان وكفروا صلة الذين واما خبرها ففيه وجهان (احدهما) ان يكون الجملة التي هي سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم فعلى هذا يكون سواء يرتفع بالابتداء وما بعده مما دخل عليه حرف الاستفهام في موضع الخبر والجملة في موضع رفع بانها خبر ان ويكون قوله لا يؤمنون حال من الضمير المنصوب على حد معه صقر صاندا به غدا وبالغ الكعبة ويستقيم ان يكون ايضا استئنافا والوجه الثاني ان يكون لا يؤمنون خبر ان ويكون قوله سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم اعتراضا بين الخبر والاسم فلا يكون له موضع من الاعراب كما حكم على موضعه بالرفع بالوجه الاول فاما اذا قدرت هذا الكلام على ما عليه المعنى فقلت سواء عليهم الانذار وتركه كان سواء خبر المبتدأ لأنه يكون تقديره الانذار وتركه مستويان عليهم وانما قلنا انه مرتفع بالابتداء على ما عليه التلاوة لأنه لا يجوز ان يكون خبرا فانه ليس في ظاهر الكلام مخبر عنه واذا لم يكن مخبر عنه بطل ان يكون خبرا فاذا فسد ذلك ثبت انه مبتدأ وايضا فانه قبل الاستفهام وما قبل الاستفهام لا يكون داخلا في حيز الاستفهام فلا يجوز اذا ان يكون الخبر عما في الاستفهام متقدما على الاستفهام ونظير ما في الآية من ان خبر المبتدأ ليس المبتدأ ولا له فيه ذكر ما انشده ابو زيد

فَإِنْ حَرَامًا لَا أَرَى الدَّهْرَ بِأَكْبَرًا عَلَى شَجْوَةٍ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى عَمْرٍو

وقوله انذرتهم ام لم تنذرهم لفظ الاستفهام ومعناه الخبر وهذه الهمزة تسمى الف التسوية والتسوية آتيا همزة الاستفهام وام تقول أزيد عندك ام عمرو تريد ايها عندك ولا يجوز في مكانها اولان او لاتكون معادلة الهمزة وتفسير المعادلة ان تكون ام مع الهمزة بمنزلة اي فاذا قلت ازيد عندك او عمرو كان معناه واحد هذين عندك ويدل على ذلك ان الجواب مع ازيد ام عمرو يقع بالتحسين ومع ازيد او عمرو يقع بنعم او لا وانما جرى عليه لفظ الاستفهام وان كان خبرا لأن فيه التسوية التي في الاستفهام الا ترى انك اذا قلت سواء علي اقت ام قعدت فقد سويت الامرين عليك كما انك اذا استفهمت فقلت اقام زيد ام قعدت فقد استوى الامران عندك في الاستفهام وعدم علم احدهما بعينه فلما عمتها التسوية جرى على هذا الخبر لفظ الاستفهام لمشاركته له في الابهام فكل استفهام تسوية وان لم يكن كل تسوية استفهاما وقال النحويون ان نظير سواء في هذا قولك ما ابالي اقبلت ام ادبرت لأنه وقع موقع اي فكانك قلت ما ابالي اي هذين كان منك وما ادري احسنت ام أسأت وليت شعري اقام ام قعد وقال حسان

مَا أَبَالِي أَنْبَ بِالْحَزَنِ تَيْسُ أَمْ لِحَانِي بِظَهْرِ غَيْبِ لَيْمِ

ومثله في انه في صورة الاستفهام وهو خبر قول جرير

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحِ

ولو كان استفهاما لم يكن مدحا وقول الآخر

سَوَاءٌ عَلَيْهِ أَيْ حِينَ آتَيْتَهُ
أَسَاعَةَ نَحْسٍ تُتَمَّى أَمْ يَا سَعْدَ

﴿ النزول ﴾

قيل نزلت في ابي جهل وخمسة من اهل بيته قتلوا يوم بدر عن الربيع بن انس واختاره البلخي وقيل نزلت في قوم باعياهم من اجبار اليهود ممن كفر بالنبي صلى الله عليه وآله عناداً وكم امره حسداً عن ابن عباس وقيل نزلت في اهل الحتم والطبع الذين علم الله انهم لا يؤمنون عن ابي علي الجبائي وقيل نزلت في مشركي العرب عن الاصم وقيل هي عامة في جميع الكفار اخبر تعالى بان جميعهم لا يؤمنون ويكون كقول القائل لا يقدم جميع اخوتك اليوم فلا ينكر ان يقدم بعضهم واختار الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه ان يكون على الاختصاص وتجويز كل واحد من الاقوال الاخر وهذا اظهر واسبق الى الفهم

﴿ المعنى ﴾

لما بين تعالى حال المؤمنين وصله بذكر الكافرين والكفر في الشرع عبارة عن جحد ما اوجب الله تعالى معرفته من توحيده وعدله ومعرفة نبيه وما جاء به من اركان الشرع فمن جحد شيئاً من ذلك كان كافراً وهذه الآية تدل على ان في المكلفين من لا لطف له لانه لو كان لعل ولا آمنوا فلما اخبر انهم لا يؤمنون علم انهم لا لطف لهم وتدل على صدق النبي صلى الله عليه وآله لانه اخبر بانهم لا يؤمنون فكان كما اخبر وتدل ايضا على انه يجوز ان يخاطب الله تعالى بالعام والمراد به الخاص في قول من قال الآية عامة لاننا علم ان في الكفار من آمن وانتفع بالانذار

﴿ سؤال ﴾

ان قال قائل اذا علم الله تعالى بانهم لا يؤمنون وكانوا قادرين على الايمان عندكم فما انكرتم ان يكونوا قادرين على ابطال علم الله بانهم لا يؤمنون

﴿ الجواب ﴾

انه لا يجب ذلك كما انه لا يجب اذا كانوا مأمورين بالايمان ان يكونوا مأمورين بابطال علم الله كما لا يجب اذا كان الله تعالى قادرا على ان يقيم القيامة الساعة ان يكون قادرا على ابطال علمه بانه لا يقيمها الساعة والصحيح ان نقول ان العلم يتناول الشيء على ما هو به ولا يجعله على ما هو به فلا يتبع ان يعلم حصول شيء بعينه وان كان غيره مقدورا

قوله تعالى (٧) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

القراءة الظاهرة غشاوة بكسر العين ورفع الهاء وروي عن عاصم في الشواذ غشاوة بالنصب وعن الحسن بضم العين وعن بعضهم بفتح العين وعن بعضهم غشوة بغير الف وقرأ ابو عمرو والكسائي على ابصارهم بالامالة والباقون بالتفخيم وللقرءاء في الامالة مذاهب يطول شرحها

﴿ الحجة ﴾

حجة من رفع غشاوة انه لم يجعله على ختم كما في الآية الاخرى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فاذا لم يجعلها عليه قطعها عنه فكانت مرفوعة اما بالظرف واما بالابتداء وكذلك قوله ولهم عذاب عظيم فان عند سيويه ترتفع غشاوة وعذاب بانه مبتدأ فكانه قال غشاوة على ابصارهم وعذاب لهم وعند الاخفش

يرتفع بالظرف لأن الظرف يضم في فعل واستعرف فائدة اختلافها في هذه المسألة بعد ان شاء الله تعالى ومن نصب غشاوة فاما ان يحملها على ختم كأنه قال وختم على ابصارهم بغشاوة فلما حذف حرف الجر وصل الفعل اليها فنصبها وهذا لا يحسن لأنه فصل بين حرف العطف والمعطوف به وذلك انما يجوز في الشعر واما ان يحملها على فعل مضمرة كأنه قال وجعل على ابصارهم غشاوة نحو قول الشاعر (وعلفتها بنا وما باردا) اي وسقيتها وقول الآخر

يَأَلَيْتَ بِمَلِكٍ قَدْ عَزَا مُتَمَلِّدًا سَيْفًا وَرُبْحًا

اي وحامل ربحاً وهذا ايضا لا يوجد في حال الاختيار فقد صح ان الرفع اولى وتكون الواو عاطفة جملة على جملة والغشاوة فيها ثلاث لغات فتح العين وضها وكسرها وكذلك الغشاوة فيها ثلاث لغات

﴿اللغة﴾

الحتم نظير الطبع يقال طبع عليه بمعنى ختم عليه ويقال طبعه ايضا بغير حرف ولا يمتنع في ختم ذلك قال

كَانَ قُرَادِي زَوْرِهِ طَبَعْتُهُمَا بَطِينٍ مِنَ الْجَوْلَانِ كِتَابٌ أُعْجِمُ

وقوله ختماه مسك اي آخره ومنه ختم الكتاب لانه آخر حال الفراغ منه وقوله على سمعهم يريد على اسماعهم والسمع مصدر تقول يعجبني ضربكم اي ضربكم فيوجد لانه مصدر ويجوز ان يريد على مواضع سمعهم فحذفت مواضع ودل السمع عليها كما يقال اصحابك عدل اي ذوو عدل ويجوز ان يكون لما اضاف السمع اليهم دل على معنى اسماعهم قال الشاعر

بِهَا حَيْفٌ أَلْحَسَرَى فَمَا عَظَمَها فَيْضٌ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبٌ

وقال الآخر (في حلقكم عظم وقد شجينا) اي في حلو قكم والغشاوة الغطاء وكل ما اشتمل على الشيء بني على فعالة نحو العمامة والقلادة والعصابة وكذلك اسماء الصناعات كالحياطة والقضارة والصبغة لأن معنى الصناعة الاشتمال على كل ما فيها وكذلك كل من استولى على شيء فاسم ما استولى عليه الفعالة كالامارة والخلافة وغير ذلك وسمي القلب قلبا لتقلبه بالخواطر قال الشاعر

مَا سَمِيَ الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ تَقَلُّبِهِ وَالرَّأْيُ يَعْزُبُ وَالْإِنْسَانُ أُطْوَارٌ

والقواء محل القلب والصدر محل القواء وقد يعبر عن القلب بحله كقوله لئن ثبت به فواءك وقال الم شرح لك صدرك يعني به القلب في الموضعين والعذاب استمرار الألم يقال عذبتة تعذيبا وعذابا ويقال عذب الماء اذا استمر في الحلق وحمار عاذب وعذوب اذا استمر به العطش فله يأكل من شدة العطش وفرس عذوب مثل ذلك واعذبتة عن الشيء بمعنى فطمته والعظيم الكبير يقال هو عظيم الجثة وعظيم الشأن ومن الثاني سمي سبحانه عظيما وعظمته كبريائه

﴿المعنى﴾

قيل في معنى الحتم وجوه (احدها) ان المراد بالحتم العلامة واذا انتهى الكافر من كفره الى حالة يعلم الله تعالى انه لا يوم من فانه يعلم على قلبه علامة وقيل هي نكتة سوداء تشاهدها الملائكة فيعلمون بها انه لا يوم من بعدها فيذمونه ويدعون عليه كما انه تعالى يكتب في قلب المؤمن الايمان ويعلم عليه علامة تعلم الملائكة بها انه مؤمن فيمدحونه ويستغفرون له كما طبع على قلب الكافر وختم عليه فوسمه بسمة تعرف بها الملائكة كفره فكذلك وسم قلوب المؤمنين بسماوات تعرفهم الملائكة بها وقد تناول على مثل هذا مناولة الكتاب باليمين والشمال في أنها علامة ان تناول باليمين من اهل الجنة والمناول بالشمال من اهل النار وقوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم يحتل امرين احدهما انه طبع الله عليها جزاء للكفر وعقوبة عليه والآخر انه طبع عليها بعلامة كفرهم كما تقول طبع عليه بالطين وختم عليه بالشمع (وثانيها) ان المراد بالحتم على القلوب ان الله شهد عليها وحكم بانها

لاتقبل الحق كما يقال اراك تحتم على كل ما يقوله فلان اي تشهد به وتصدقه وقد ختمت عليك بانك لاتفعل اي شهدت وذلك استعارة (وثالثها) ان المراد بذلك انه تعالى ذمهم بانها كالختم عليها في انه لايدخلها الايمان ولا يخرج عنها الكفر كقوله صم بكم عمي وكقول الشاعر (اصم عما ساءه سميع) وقول الآخر

لَقَدْ اَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

والعنى ان الكفر تمكن من قلوبهم فصارت كالختم عليها وصاروا بمنزلة من لا يفهم ولا يبصر ولا يسمع عن الاصم وابي مسلم الاصفهاني (ورابعها) ان الله وصف من ذمه بهذا الكلام بان قلبه ضاق عن النظر والاستدلال فلم ينشرح له فهو خلاف من ذكر في قوله افن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ومثل قوله ام على قلوب اقتناها وقوله وقالوا قلوبنا غلف وقلوبنا في اكنة ويقوي ذلك ان المطبوع على قلبه وصف بقلة الفهم بما يسمع من اجل الطبع فقال بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وقال وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ويبين ذلك قوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم فعذل الختم على القلوب باخذه السمع والبصر فدل هذا على ان الختم على القلب هو ان يصير على وصف لا ينتفع به فيما يحتاج فيه اليه كما لا ينتفع بالسمع والبصر مع اخذهما وانما يكون ضيقه بان لا يتسع له ما يحتاج اليه فيه من النظر والاستدلال الفاصل بين الحق والباطل وهذا كما يوصف الجبان بأنه لا قلب له اذا بولغ في وصفه بالجبن لأن الشجاعة محلها القلب فاذا لم يكن القلب الذي هو محل الشجاعة لو كانت فان لا تكون الشجاعة اولى قال طرفه

فَالْهَيْبَةُ لَا فُؤَادَ لَهُ وَالْثَبِيْتُ قَلْبُهُ قِيَمُهُ

وكما وصف الجبان بأنه لا فؤاد له وانه يراعة وانه مجوف كذلك وصف من بعد عن قبول الاسلام بعد الدعاء اليه واقامة الحجية عليه بانه محتوم على قلبه ومطبوع عليه وضيق صدره وقلبه في كتمان وفي غلاف وهذا من كلام الشيخ ابي علي الفارسي وانما قال ختم الله وطبع الله لأن ذلك كان لعصيانهم الله تعالى فجاز ذلك اللفظ كما يقال اهلكته فلانة اذا اعجب بها وهي لاتفعل به شيئا لأنه هلك في اتباعها

﴿سؤال﴾

ان قيل لم خص هذه الاعضاء بالذكر

﴿الجواب﴾

قيل انها طرق العلم فالقلب محل العلم وطريقه اما السماع او الروية

قوله تعالى (٨) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَمُ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (آية)

﴿اللغة﴾

الناس والبشر والأنس نظائر وهي الجماعة من الحيوان المتميزة بالصورة الانسانية واصله أناس من الانس ووزنه فعال فاسقطت الهزة منها لكثرة الاستعمال اذا دخلها الالف واللام للتعريف ثم ادغمت لام التعريف في النون كما قيل لكنا والاصل لكن انا وقيل الناس مأخوذة من النوس وهو الحركة وتصغيره نويس ووزنه فعل وقيل اخذ من الظهور فسمي ناساً وانسانا لظهوره وادراك البصر اياه يقال آنت ببصري شيئا وقال الله سبحانه ايني آنت نارا والانسان واحد والناس جمعه لامن لفظه وقيل اخذ من النسيان لقوله تعالى فسي ولم نجد له عزه واصل الانسان انسيان ولذلك قيل في تحقيره وتصغيره انسيان فرد الى الاصل واليوم الآخر يوم القيامة وانما سمي آخراً لانه يوم لا يوم بعده سواه اذ ليس بعده ليلة وقيل لأنه متأخر عن ايام الدنيا وانما فتح نون من عند التقاء الساكنين استتقالا لتوالي الكسرتين لو قلت من الناس فاما عن الناس فلا يجوز فيه الا الكسر لأن اول عن مفتوح ومن يقول النون تدغم

في اليا. فمنهم من يدغم بغنة ومنهم من يدغم بغير غنة

﴿ الاعراب ﴾

من يقول موصول وصلة وهو مرفوع بالابتداء او بالظرف على ما تقدم بيانه وقوله آما بالله وباليوم الآخر حديث يتعلق بقوله يقول وما حرف شبه بليس من حيث يدخل على المبتدأ والخبر كما يدخل ليس عليهما وفيه نبي الحال كما في ليس فاجري مجراه في العمل في قول اهل الحجاز على ما جاء به التثني وهم مرفوع لانه اسم ما والبا. في قوله بومنين مزيدة دخلت توكيدا للنبي وهو حرف جار ومومنين مجرور به وبومنين في موضع نصب بكونه خبر ما وانفظة من تقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ولذلك عاد الذكر اليه مجموعا على المعنى ومنه قول الفرزدق

تَعَالَى فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونَنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَأْذِيبُ يُصْطَجِبَانِ

فتني الضمير العائد الى من على المعنى

﴿ النزول ﴾

نزلت في المناققين وهم عبد الله بن ابي بن سلول وجد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهم واكثرهم من اليهود

﴿ المعنى ﴾

بين الله تعالى حالهم فاخبر سبحانه انهم يقولون صدقنا بالله وما انزل على رسوله من ذكر البعث فيظهورون كلمة الايمان وكان قصدهم ان يطلعوا على اسرار المسلمين فينقلوها الى الكفار او تقرب الرسول اليهم كما كان يقرب المومنين ثم نفي عنهم الايمان فقال وماهم بومنين وفي هذا تكذيبهم فيما اخبروا عن اعتقادهم من الايمان والاقرار بالبعث فيبين ان ما قالوه بلسانهم يخالف ما في قلوبهم وهذا يدل على فساد قول من يقول الايمان مجرد القول وقوله تعالى (٩) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وما يخادعون الا انفسهم والباقون وما يخدعون

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ يخدعون ان فعل هنا ليق بالموضع من فاعل الذي هو في اكثر الامر يكون لقاءين ويدل عليه قوله في الآية الاخرى يخادعون الله وهو خادعهم وحجة من قرأ يخادعون هو ان يتزل ما يحظر بباله من الخدع منزلة آخر يجازيه ذلك ويعاوضه اياه فيكون الفعل كأنه من اثنين فيلزم ان يقول فاعل كقول الكسيت وذكر حارا اراد الورد تذكر من أنى ومن أين شربه

يَوْمَ أَمِرُ نَفْسِيهِ كَذِي الهَجْمَةِ الْإِبْلِ

فجعل ما يكون منه من وروده الماء او تركه الورد والتشثيل بينها بمنزلة نفسين

﴿ اللفظة ﴾

اصل الخدع الاخفاء والابهام بخلاف الحق والتزوير يقال خدعت الرجل اخذته خدعا بالكسر وخديعة وقالوا انك لا خدع من ضرب حرشته وخادعت فلانا فخدعته والنفس في الكلام على ثلاثة اوجه النفس بمعنى الروح والنفس بمعنى التاكيد تقول جاءني زيد نفسه والنفس بمعنى الذات وهو الاصل ويقال النفس غير الروح ويقال هما اسمان بمعنى واحد ويشعرون يعلمون واصل الشعر الاحساس بالشيء من جهة تدق ومن هذا اشتقاق الشعر لأن الشاعر يظن لما يدق من المعنى والوزن ولا يوصف الله تعالى بانه يشعر لما فيه من معنى التلطف والتخييل

﴿الاعراب﴾

يخادعون فعل وفاعل والنون علامة الرفع والجملة في موضع نصب بكونها حالا وذو الحال الضمير الذي في قوله آمنا العائد الى من والله نصب بيخادعون والذين آمنوا عطف وما نبي والا ايجاب وانفسهم نصب بأنه مفعول يخادعون الثانية وما نبي ويشعرون فعل وفاعل وكل موضع يأتي فيه الا بعد نبي فهو ايجاب ونقض للنبي

﴿المعنى﴾

معنى قوله يخادعون الله اي يعملون عمل المخادع لأن الله تعالى لا يصح ان يخادعه من يعرفه ويعلم انه لا يخنى عليه خافية وهذا كما تقول ابن يزين لنفسه ما يشوبه بالرياء في معاملته ما اجعله يخادع الله وهو اعلم به من نفسه اي يعمل عمل المخادع وهذا يكون من العارف وغير العارف وقيل المعنى يخادعون رسول الله لأن طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وهذا كقوله تعالى وان يريدوا ان يخدعوك والمفاعة قد تقع من واحد كقولهم عافاه الله وعاقبت اللص وطارقت النعل فكذلك يخادعون انما هو من واحد فمعنى يخادعون يظهر غير ما في نفوسهم وقوله والذين آمنوا اي ويخادعون المؤمنين بقولهم اذا رأوهم قالوا آمنا وهم غير مؤمنين او بجالسهم ومخالطتهم اياهم حتى يفشوا اليهم اسرارهم فينقلوها الى اعدائهم والتقية ايضا تسمى خداعا فكانهم لما اظهروا الاسلام وابطنوا الكفر صارت تقيتهم خداعا من حيث انهم نجوا بهامن اجراء حكم الكفر عليهم ومعنى قوله وما يخدعون الا انفسهم انهم وان كانوا يخادعون المؤمنين في الظاهر فهم يخادعون انفسهم لأنهم يظهرون لها بذلك انهم يعطونها ماتمت وهم يوردونها به العذاب الشديد فوبال خداعهم راجع الى انفسهم وما يشعرون اي ما يعلمون انه يرجع عليهم بالعذاب فهم في الحقيقة انما خدعوا انفسهم كما او قاتل انسان غيره فقتل نفسه جازان يقال انه قاتل فلانا ولم يقتل الا نفسه وقوله وما يشعرون يدل على بطلان قول اصحاب المعارف لأنه تعالى اخبر عنهم بالثفاق وبأنهم لا يعلمون ذلك

قوله تعالى (١٠) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (آية)

﴿القرائة﴾

قرأ ابن عامر وحمة فزادهم الله بامالة الزاي وكذلك شاء وجاءوا اهل الكوفة يكذبون بفتح الياء مخففا والباقون يكذبون

﴿الحجة﴾

حجة من امال الالف من زاد انه يريد ان يدل بالامالة على ان العين ياء كما ابدلوا من الضمة كسرة في عين وبيض جمع عين وبيض لتصح الياء ولا تقاب الى الواو وحجة من قرأ يكذبون ان يقول ان ذلك اشبه بما قبل الكلمة وما بعدها لأن قولهم آمنا بالله كذب منهم فلهم عذاب اليم بكذبهم وما وصلته بمعنى المصدر وفي قولهم فيما بعد اذا خلوا الى شياطينهم انا معكم دلالة ايضا على كذبهم فيما ادعوه من ايمانهم واذا كان اشبه بما قبله وما بعده كان اولي وحجة من قرأ يكذبون بالتشديد قوله ولقد كذبت رسل وقوله وان كذبوك قتل لي عملي وقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ونحو ذلك والتكذيب اكثر من الكذب لأن كل من كذب صادقا فقد كذب وليس كل من كذب كان مكذبا فكأنه قال ولهم عذاب اليم بتكذيبهم وادخل كان ليدل على ان ذلك كان فيا مضى

﴿ اللغة ﴾

المرض العلة في البدن ونقيضه الصحة قال سيبويه امرضته جعلته مريضا ومرضته قمت عليه ووليته وزاد فعل يتعدى الى مفعولين قال الله تعالى وزدناهم هدى وزادهم بسطة ومصدره الزيادة والزيد قال (كذلك زيد المرء بعد انتقاصه) والاليم الموجه فعمل بمعنى مفعول كالسميع بمعنى المسمع والتذير بمعنى المنذر والبديع بمعنى المبدع قال ذو الرمة (يصك وجوهها وهج اليم) والكذب ضد الصدق وهو الاخبار عن الشيء لا على ما هو به والكذب ضرب من القول وهو نطق فاذا جاز في القول ان يتسع فيه فيجعل غير نطق في نحو قوله (قد قالت الانساع للبطن الحقي) جاز ايضا في الكذب ان يجعل غير نطق في نحو قوله

وَذِيَابِيَّةٍ وَصَّتْ بَيْنَهَا
بِأَنْ كَذِبَ الْقَرَّاطِفِ وَالْقُرُوفِ

فيكون في ذلك انتفا. لها كما انه اذا اخبر عن الشيء بخلاف ما هو به كان فيه انتفاء للصدق اي كذب القراطيف فاوجدوها بالعادة

﴿ المعنى ﴾

في قلوبهم مرض المراد بالمرض في الآية الشك والافتقار بلا خلاف وانما سمي الشك في الدين مرضا لان المرض هو الخروج عن حد الاعتدال فالبدن ما لم تصبه آفة يكون صحيحا سويا وكذلك القلب ما لم تصبه آفة من الشك يكون صحيحا وقيل اصل المرض الفتور فهو في القلب فتوره عن الحق كما انه في البدن فتور الاعضاء وتقدير الآية في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الله ورسوله مرض اي شك حذف المضاف واقم المضاف اليه مقامه وقوله فزادهم الله مرضا قيل فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه ازدادوا شككا عند ما زاد الله من البيان بالآيات والحجج الا انه لا حصل ذلك عند فعله نسب اليه كقوله تعالى في قصة نوح (ع) لم يزدهم دعائي الا فرارا لما ازدادوا فرارا عند دعاء نوح (ع) نسب اليه وكذلك قوله واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم والآيات لم تردهم رجسا وانما ازدادوا رجسا عندها (وثانيها) ما قاله ابو علي الجبائي انه اراد في قلوبهم غم ينزل النبي صلى الله عليه وآله المدينة وبتمكته فيها وظهور المسلمين وقوتهم فزادهم الله غما بما زاده من التمسكين والقوة وامده به من التأييد والنصرة (وثالثها) ما قاله السدي ان معناه زادتهم عداوة الله مرضا وهذا في حذف المضاف مثل قوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من ترك ذكر الله (ورابعها) ان المراد في قلوبهم حزن ينزل القرآن بفضائحهم ومحازيهم فزادهم الله مرضا بان زاد في اظهار مقابحهم ومساويهم والاخبار عن خبث سرائرهم وسوء خفاياهم وسمي الغم مرضا لانه يضيق الصدر كما يضيقه المرض (وخامسها) ما قاله ابو مسلم الاصفهاني ان ذلك على سبيل الدعاء عليهم كقوله تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم فكانه دعاء عليهم بان يخليهم الله وما اختاروه ولا يعطيهم من زيادة التوفيق والالطاف ما يعطي المؤمنين فيكون خذلانا لهم وهو في الحقيقة اخبار عن خذلان الله اياهم وان خرج في اللفظ مخرج الدعاء عليهم ثم قال ولهم عذاب اليم وهو عذاب النار بما كانوا يكذبون اي بتكذيبهم الله ورسوله فيما جاء به من الدين او بكذبهم في قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وما لهم بمؤمنين

قوله تعالى (١١) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ

(١٢) إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (آيتان)

القراءة

قرأ الكسائي قيل وغيض وسي. وسيت وحيل وسبق وجي. بضم اوائل ذلك كله وروى عن يعقوب مثل ذلك ووافقها نافع في سي. وسيت وابن عامر فيها وفي حيل وسبق والباقيون يكسرون كلها

﴿الحجة﴾

في هذه كلها ثلاث لغات الكسر واشمام الضم وقول بالواو فاما قيل بالكسر فعلى نقل حركة العين الى الفاء لأن اصله قول ثم قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وهو قياس مطرد في كل ما اعتلت عينه واما الاشمام فلاجل الدلالة على الاصل مع التخفيف

﴿اللغة﴾

الافساد احداث الفساد وهو كل ما تغير عن استقامة الحال والصلاح نقيض الفساد والارض مستقر الحيوان ويقال لقوائم الفرس ارض لأنه يستقر عليها قال

إِذَا مَا اسْتَحَمَّتْ أَرْضُهُ مِنْ سَمَانِهِ جَرَى وَهُوَ مَوْدُوعٌ وَوَاعِدٌ مُصَدَّقٌ

﴿الاعراب﴾

اذا لفظة وضعت للوقت بشرط ان يكون ظرفا زمانيا وفيها معنى الشرط وانما يعمل فيها جوابها في هذه الآية اذا في محل نصب لأنه ظرف قالوا لأنه الجواب ولا يجوز ان يعمل فيه قيل لهم لأن اذا في التقدير مضاف الى قيل والمضاف اليه لا يعمل في المضاف وكذلك قوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذمبني وانما بني لتضمنه معنى في ولزومه اياه وقد يكون اذا ظرفا مكانيا في نحو قولك خرجت فاذا الناس وقوف أي في المكان الناس وقوف ويجوز ان ينصب وقوفا على الحال لأن ظرف المكان يجوز ان يكون خبرا عن الجئة وقيل مبني على الفتح وكذلك كل فعل ماض فبني على الفتح ولا حرف نهى وهي تعمل الجزم في الفعل وتفسدوا بحزوم بلا علامة الجزم فيه سقوط النون والواو ضمير الفاعلين وما في قوله انما كافة كفت ان عن العمل فعاد ما بعدها الى ما كان عليه في الأصل من كونه مبتدأ وخبراً وهو قوله نحن مصلحون فنحن مبتدأ ومصلحون خبره وموضع الجملة نصب بقالوا كما تقول قلت حقا وباطلا ونحن مبنية امشابهتها للحروف وبنيت على الضم لأنها من ضمائر الرفع والضممة علامة الرفع لأنها ضمير الجمع والضممة بعض الواو والواو علامة الجمع في نحو ضاريون ويضربون وقوله لا تفسدوا في الأرض جملة في موضع رفع على تقدير قيل لهم شيء فهي اسم مالم يسم وقوله الا كلمة تنبيهه وافتتاح للكلام تدخل على كل كلام مكتف بنفسه نحو قوله الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله واصله لا دخل عليه الف الاستفهام والالف اذا دخل على الجحد اخرجه الى معنى التقرير والتحقيق كقوله ليس ذلك بقادر على ان يجيى الموقى لأنه لا يجوز للمجيب الا الاقرار ببلى وهم في انهم في موضع نصب بان وهم الآخر يجوز ان يكون فصلا على ما فسرناه قبل ويجوز ان يكون مبتدأ والمفسدون خبره والجملة خبر ان وضم الميم من هم لالتقاء الساكنين رده الى الاصل

﴿النزول﴾

الآية نزلت في المنافقين الذين نزلت فيهم الآيات المتقدمة وروي عن سلمان رضي الله عنه ان أهل هذه الصفة لم ياتوا بعد والاول يقتضيه نظم الكلام ويجوز ان يراد بها من صورتهم صورة هؤلاء فيكون قول سلمان محمولا على انه اراد بعد انقراض المنافقين الذين تناولتهم الآية

﴿المعنى﴾

المراد واذا قيل للمنافقين لا تفسدوا في الأرض بعمل المعاصي وصد الناس عن الايمان على ما روي عن ابن عباس او بمبالاة الكفار فان فيه توهين الاسلام على ما قاله ابو علي او بتغيير الملة وتحريف الكتاب على ما قاله الضحاك قالوا انما نحن مصلحون وهو يحتمل امرين احدهما ان الذي يسمونه فسادا هو عندنا صلاح لأننا انما نفعل ذلك كي نسلم من الفريقين والآخر انهم جحدوا ذلك وقالوا اننا لنعمل بالمعاصي ولا نألمى الكفار ولا نجرف

الكتاب وكان ذلك نفاقاً منهم كما قالوا آمنا بالله ولم يؤمنوا ثم قال الا انهم اي اعلما ان هؤلاء المنافقين الذين يعدون الفساد صلاحهم المفسدون وهذا تكذيب من الله تعالى لهم ولكن لا يشعرون اي لا يعلمون ان ما يفعلونه فساد وليس بصلاح ولو علموا ذلك لرجي صلاحهم وقيل لا يعلمون ما يستحقونه من العقاب وهذه الآية تدل على بطلان مذهب اصحاب المعارف لقوله لا يعلمون وانما جاز تكليفهم وان لم يشعروا انهم على ضلال لأن لهم طريقاً الى العلم بذلك

قوله تعالى (١٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

همزوا السفهاء الاله الكوفة وابن عامر حققوا الهمزتين وأهل الحجاز وابوعمر ومهمزوا الاولى ولينوا الثانية وكذا كل همزتين مختلفتين من كاهنتين وقد ذكرنا الوجه فيها حيث ذكرنا اجتماع الهمزتين في كلمة واحدة وهو قوله انذرتهم

﴿ اللمعة ﴾

السفهاء جمع سفية والسفيه الضعيف الرأي الجاهل القليل العرفه بمواضع المنافع والمضار ولذلك سمي الله الصبيان والنساء سفهاء بقوله ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياماً وقال قطرب السفيه العجول الظالم القائل خلاف الحق وقال مورج السفيه الكذاب البهات المتعمد بخلاف ما يعلم وقيل السفه خفة الحلم وكثرة الجهل يقال ثوب سفية اذا كان رقيقاً بالياً وسفته الرياح اي طيرته وقد جاء في الاخبار ان شارب الخمر سفية والالف واللام في الناس وفي السفهاء للعهد لا للجنس والمراد بهم المؤمنون من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وانما سموا الناس لأن الغلبة كانت لهم

﴿ الاعراب ﴾

قوله كما آمن الكاف في موضع نصب بكونه صفة لمصدر محذوف وما مع صلته بمعنى المصدر اي آمنوا اياناً مثل ايمان الناس فحذف الموصوف واقام الصفة مقامه والهمزة في انؤمن للانكار واصلمها الاستفهام ومثله انقطع من لو يشاء الله اطعمه واذا ظرف لقوله قالوا انؤمن وقد مضى الكلام فيه

﴿ المعنى ﴾

المراد بالآية واذا قيل للمنافقين صدقوا بمحمد صلى الله عليه وآله وما انزل عليه كما صدقه اصحابه وقيل كما صدق عبد الله بن سلام ومن آمن معه من اليهود قالوا انصدق كما صدق الجهال ثم كذبهم الله تعالى وحكم عليهم بانهم هم الجهال في الحقيقة لأن الجاهل انما يسمى سفياً لأنه يضيع من حيث يرى انه يحفظ فكذلك المنافق يعصي ربه من حيث يظن انه يطيعه ويكفر به من حيث يظن انه يؤمن به

قوله تعالى (١٤) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

بعض القراء ترك الهمزة من مستهزون وقوله خلوا الى قراءة اهل الحجاز خلوا الى حذفوا الهمزة والقوا حركتها على الواو قبلها وكذلك امثاله والباقون اسكنوا الواو وحققوا الهمزة

﴿ الحجة ﴾

قال سيويوه الهزة المضمومة المكسورة ما قبلها تجعلها اذا خففتها بين بين وكذلك الهزة المكسورة اذا كان ما قبلها مضموما نحو مرتع ابلك تجعلها بين بين وذهب الاخفش الى ان تقلب الهزة ياء في مستهزون قلبا صحيحا من اجل الكسرة التي قبلها ولا تجعلها بين بين ولا تقلبها واوامع تحركها بالضمة لخروجه الى الانظير له الا ترى انه واو مضمومة قبلها كسرة وذلك مرفوض عندهم

﴿ اللغة ﴾

اللقاء نقيض الحجاب قال الخليل كل شيء استقبل شيئا او صادفه فقد لقيه واصل اللقاء الاجتماع مع الشيء على طريق المقاربة والاجتماع قد يكون لا على طريق المجاورة كاجتماع العرضين في محل والخلافة نقيض الملا، ويقال خلوت اليه وخلوت معه ويقال خلوت به على ضربين احدهما بمعنى خلوت معه والاخر بمعنى سخرت منه وقد ذكرنا معنى الشيطان في مفتتح سورة الفاتحة ويستهزى ون اي يهز ون ومثله يستسخرون اي يسخرون وقر واستقر وعلا قرنه واستعلى قرنه ورجل هزاة يهز بالناس وهزاة يهز به الناس وهذا قياس

﴿ الاعراب ﴾

انا اصله اننا لكن النون حذفت لكثرة النونات والمحذوفة النون الثانية من ان لانها التي تحذف في نحو وان كل لما جميع وقد جاء على الاصل في قوله انني معكما ومعكم انتصب انتصاب الظروف نحو انا خلفكم اي انا مستقرون معكم والقراءة بفتح العين ويجوز للشاعر اسكان العين قال

وَرَيْشِي مِنْكُمْ وَهَوَايَ مَعَكُمْ
وَإِنْ كَانَتْ زِيَارَتُكُمْ لِيَأْمَا

﴿ المعنى ﴾

واذا لقوا الذين آمنوا يعني ان المنافقين اذا رأوا المؤمنين قالوا آمنا اي صدقنا نحن بما انزل على محمد صلى الله عليه وآله كما صدقتم انتم واذا خلوا الى شياطينهم قيل روساؤهم من الكفار عن ابن عباس وقيل هم اليهود الذين امرهم بالكذب وروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انهم كهانهم قالوا انامعكم اي على دينكم لانا نحن مستهزون اي نستهزى باصحاب محمد صلى الله عليه وآله ونسخر بهم في قولنا آمنا

قوله تعالى (١٥) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

المد اصله الزيادة في الشيء والمد الجذب لانه سبب الزيادة في الطول والمادة كل شيء يكون مددا لغيره وقال بعضهم كل زيادة حدثت في الشيء من نفسه فهو مددت بغير الف كما تقول مد الثهر ومدته نهر آخر وكل زيادة احدثت في الشيء من غيره فهو امددت بالالف كما يقال امد الجرح لان مدته من غير الجرح وامددت الجيش والطفيان من قولك طغى الماء يطنى اذا تجاوز الحد والطاغية الجبار العنيد والعمه التحير يقال عمده عمه فهو عمه وعمامه قال ربيعة

وَمَهْمَهُ أَطْرَافُهُ فِي مَهْمِهِ
أَعْمَى الْهُدَى بِالْحَاثِرِينَ الْعَمَهُ

﴿ الاعراب ﴾

يعمهون جملة في موضع الحال

﴿ المعنى ﴾

قيل في معنى الآية وتأويلها وجوه احدها ان يكون معنى الله يستهزى بهم مجازيهم على استهزائهم والعرب تسمي
الجزء على الفعل باسمه وفي التنزيل وجزاء سينة سينة مثلها وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به وقال عمرو بن كلثوم

← أَلَا لَا يَجْهَلْنَ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

وانما جاز ذلك لان حكم الجزاء ان يكون على الساواة (وثانيتها) ان يكون معنى استهزاء الله تعالى بهم تحطته
ايامهم وتجهيله لهم في اقامتهم على الكفر واصرارهم على الضلال والعرب تقيم الشيء مقام ما يقاربه في معناه قال الشاعر

إِنْ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِجَمَلٍ لَزَمَانَ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ

وقال آخر

كَمْ أَنَسَ فِي نَعِيمٍ عَمَرُوا فِي ذُرَى مُلْكِ تَعَالَى فَبَسَقَ
سَكَتَ الدَّهْرِ زَمَانًا عَنْهُمْ ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا حِينَ نَطَقَ

والدهر لا يوصف بالسكوت والنطق والهم وانما ذكر ذلك على الاستعارة والتشبيه (وثالثها) ان يكون معنى
الاستهزاء المضاف اليه تعالى ان يستدرجهم ويهلكهم من حيث لا يعلمون وقد روي عن ابن عباس انه قال في
معنى الاستدرج انهم كلما احدثوا خطية جدد الله لهم نعمة وانما سمي هذا الفعل استهزاء لان ذلك في الظاهر
نعمة والمراد به استدراجهم الى الهلاك والعقاب الذي استحقوه بما تقدم من كفرهم (ورابعها) ان معنى استهزائه
بهم انه جعل لهم بما اظهروه من موافقة اهل الايمان ظاهر احكامهم من الموارثة والمناكحة والمدافنة وغير ذلك
من الاحكام وان كان قد اعد لهم في الآخرة اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم وفتح لهم باب آخر
حيث جعل لهم احكام المؤمنين ظاهرا ثم ميزهم منهم في الآخرة (وخامسها) ما روي عن ابن عباس انه قال
يفتح لهم وهم في النار باب من الجنة فيقبلون من النار اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم وفتح لهم باب آخر
في موضع آخر فيقبلون من النار اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم فيضحك المؤمنون منهم فلذلك قال
الله عز وجل فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وهذه الوجوه الذي ذكرناها يمكن ان تذكر في قوله تعالى
ويمكرون ويمكر الله ويخادعون الله وهو خادعهم واما قوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون ففيه وجهان

﴿احدهما﴾ ان يريد ان يعميهم ليومئذ وهم مع ذلك متمسكون بطغيانهم وعمههم والآخر انه يريد ان يتركهم من
فوائده ومنحه التي يودتها المؤمنين ثوابا لهم ويمتعه الكافرين عقابا لهم كشرح الصدر وتنوير القلب فهم في طغيانهم
اي كفرهم وظلالهم يعمهون اي يتحيرون لانهم قد اعرضوا عن الحق فتحيروا وترددوا

قوله تعالى (١٦) **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ** (آية)

قرأ جميع القراء اشتروا الضلالة بضم الواو وفي الشواذ عن يحيى بن يعمر انه كسرها تشبيها بواو لو في قوله
لو استطعنا وروي عن يحيى بن وثاب انه ضم واو لو واو تشبيها بواو الجمع

﴿ الحجة ﴾

الواو في اشتروا ساكنة فاذا سقطت همزة الوصل التقت مع الساكنين البديل من لام المعرفة فالتقت ساكنان فخرك
الاول منهما لا تتقانهما وصار الضم اولى بها ليفصل بالضم بينها وبين واو لو واو يدل على ذلك اتفاقهم على التحريك
بالضم في نحو قوله لتبلون وتلتون الجمع ومصطفو الله للدلالة على الجمع ويدل على تقرير ذلك في هذه الواو انهم

شبهوا بها الواو التي في او ولو فخر كوها بالضم تشبيها بها فكما شبهوا الواو التي في او بالتي تدل على الجمع كذلك شبهوا هذه بها فاجازوا فيها الكسر الا ترى انهم اجازوا الضم في لو استطعنا تشبيها بالتي للجمع ومثل هذا اجازتهم الجر في الضارب الرجل تشبيها بالحسن الوجه واجازتهم النصب في الحسن الوجه تشبيها بالضارب الرجل

﴿ اللغة ﴾

حقيقة الاشتراء الاستبدال والعرب تقول لمن تمسك بشيء وترك غيره قد اشتراه وليس ثم شراء ولا بيع قال الشاعر

أَخَذْتُ بِالْجَمَّةِ رَأْسًا أَزْعَرًا وَيَالْتَنَائِيالْوَأِضْحَاتِ الدَّرْدُرَا
وَيَالطَّوِيلِ العُمَرِ عَمْرًا جِيدَرَا كَمَا أُشْتَرَى المُسْلِمُ إِذْ تَنَصَّرَا

والربح الزيادة على رأس المال ومنه (ومن نجا برأسه فقد ربح) والتجارة التعرض للربح في البيع وقوله فما ربحت تجارتهم اي فما ربحوا في تجارتهم والعرب تقول زبح بيعك وخسر بيعك وخاب بيعك على معنى ربحت في بيعك وانما اضافوا الربح الى التجارة لأن الربح يكون فيها

﴿ الاعراب ﴾

او تلك موضعه رفع بالإبتداء وخبره الذين اشتروا الضلالة بالهدى وما حرف نفي وكان صورته صورة الفعل ويستعمل على نحوين احدهما ان لا يدل على حدث بل يدل على زمان مجرد مثل كان زيد قائما فاذا استعمل على هذا فلا بد له من خبر لأن الجملة غير مكتملة بنفسها فيزاد خبر حديثا عن الاسم ويكون اسمه وخبره في الاصل مبتدأ وخبره فيجب لذلك ان يكون خبره هو الاسم اوفيه ذكر منه كما ان في الآية الواو في موضع الرفع لأنه اسم كان ومهتدين منصوب بانه خبره والياء فيه علامة النصب والجمع وحرف الاعراب والنون عوض من الحركة والتثوين في الواحد وكان في الاصل مهتدين سكنت الياء الاولى التي هي لام الفعل استتقالا للحركة عليها ثم حذفوا للتقاء الساكنين وفتحت النون فرقا بينها وبين نون الثانية والآخر من نحوي كان ما هو فعل حقيقي يدل على زمان وحدث كقوله تعالى الا ان تكون تجارة اي تحدث فاذا استعمل هكذا فهي جملة مستقلة لاتحتاج الى خبر

﴿ المعنى ﴾

اشار الى من تقدم ذكرهم من المنافقين فقال او تلك الذين اشتروا الضلالة بالهدى قال ابن عباس اخذوا الضلالة وتركوا الهدى ومعناه استبدلوا الكفر بالايان ومتى قيل كيف قال ذلك وانما كانوا منافقين ولم يتقدم نفاقهم ايمان فنقول للعلماء فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان المراد باشتروا استحبوا واختاروا لأن كل مشتق مختار ما في يدي صاحبه على ما في يديه عن قتادة (وثانيها) انهم ولدوا على الفطرة كما جاء في الخبر فتركوا ذلك الى الكفر فكانهم استبدلوه به (وثالثها) انهم استبدلوا بالايان الذي كانوا عليه قبل البعثة كفروا لأنهم كانوا يبشرون بمحمد ويؤمنون به صلى الله عليه وآله فلما بعث كفروا به فكانهم استبدلوا الكفر بالايان عن الكلبي ومقاتل وقوله فما ربحت تجارتهم اي خسروا في استبدالهم الكفر بالايان والعذاب بالثواب وقوله وما كانوا مهتدين اي مصيبين في تجارتهم كاصحاب محمد صلى الله عليه وآله وقيل اراد سبحانه ان يني عنهم الربح والهداية فان التاجر قد يخسر ولا يربح ويكون على هدى فان قيل كيف قال فما ربحت تجارتهم في موضع ذهبت فيه رءوس اموالهم فالجواب انه ذكر الضلالة والهدى فكأنه قال طلبوا الربح فلم يربحوا وهلكوا والمعنى فيه انه ذهبت رءوس اموالهم ويحتمل ان يكون ذكر ذلك على التقابل وهو ان الذين اشتروا الضلالة بالهدى لم يربحوا كما ان الذين اشتروا الهدى بالضلالة ربحوا

قوله تعالى (١٧) **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

المثل والمثل والشبه والشبه نظائر وحقبة المثل ما جعل كالعالم على معنى سائر يشبه فيه الثاني بالاول ومثاله قول كعب بن زهير كانت مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ لَنَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهُ إِلَّا الْأَبَاطِيلُ

فواعيد عر قوب علم في كل ما لا يصح من المواعيد ومنه التمثال لأنه يشبه الصورة والذي قد يوضع موضع الجمع كقوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به ثم قال او لك هم المتقون قال الشاعر

وَأَنَّ الَّذِي حَانَتْ يَفْلُجِ دِمَاؤُهُ هُمُ هُمُ الْقَوْمِ كُلِّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ

واستوقد بمعنى اوقد مثل استجاب بمعنى اجاب وقيل استوقد اي طلب الوقود والوقود بفتح الواو الحطب والنار جوهر مضي محار محرق واصله من النور يقال نار وانار واستنار بمعنى والناارات العلامات واضاء يكون لازماً ومتعدياً يقال اضاء الشيء بنفسه واضاء غيره والذي في الآية متعد والترك للشيء والكف عنه والامساك نظائر والظلمات جمع ظلمة وأصلها انتقاص الحق من قوله ولا تظلم منه شيئاً اي لم تنقص ومنه ومن أشبه اباه فما ظلم اي ما انتقص حق الشبه والابصار ادراك الشيء بحاسة البصر يقال ابصر بعينه والابصار بالقلب مشبه به

﴿ الاعراب ﴾

مثلهم مبتدأ ومثل الذي خبره والكاف زائدة تقديره مثلهم مثل الذي استوقد ناراً ونحو قوله ليس كمثلهم اي ليس مثله شيء واستوقد ناراً وما اتصل به من صلة الذي والعائد الى الذي المضمر الذي في استوقد ولا يدل على وقوع الشيء لوقوع غيره وهو بمعنى الظرف والعامل فيه جرابه وتقديره فلما اضاءت ما حوله طفت اي طفت حين اضاءت وما في قوله ما حوله اسم موصول منصوب بوقوع الاضاءة عليه وحوله نصب على الظرف وهو صلة ما يقال هم حوله وحوليه وحواله وقوله ذهب الله بنورهم اي اذهب الله نورهم والفعل الذي لا يتعدى يتعدى الى المفعول بحرف الجر وبهجرة النقل والباء في قوله بنورهم يتعلق بذهب وفي ظلمات يتعلق بتركهم وقوله لا يبصرون في موضع نصب على الحال والعامل فيه تركهم اي تركهم غير مبصرين

﴿ المعنى ﴾

مثلهم اي مثل هؤلاء المنافقين لما اظهروا الايمان وابطنوا الكفر كمثل الذي استوقد اي اوقد ناراً او كمثل الذي طلب الضياء بايقاد النار في ليلة مظلمة فاستضاء بها واستدفأ ورأى ما حوله فاتقى ما يحذر ويخاف وأمن فيبئها هو كذلك اذ طفت ناره فبقي مظلماً خانفاً متحيراً كذلك المنافقون لما اظهروا كلمة الايمان واستناروا بنورها واعتبروا بعزها فناكحوا المسلمين ووارثوهم وأمنوا على اموالهم واولادهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وبقوا في العذاب وذلك معنى قوله فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم هذا هو الروي عن ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي وكان يجب في حق النظم ان يكون اللفظ فلما اضاءت ما حوله اطفأ الله ناره ليشاكل جواب لما معنى هذه القضية ولكن لما كان اطفاء هذه النار مثلاً لاذهاب نورهم اقيم اذهاب الثور مقام الاخفاء وحذف جواب لما ايجازاً واختصاراً لدلالة الكلام عليه كما قال ابو ذؤيب

دَعَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِتَى لِأَمْرِهِ مَطِيعٌ فَمَا أَدْرِي أَرشِدُ طَلَابِهَا

وتقديره ارشد ام غي طلابها فحذف للايجاز ومعنى اذهاب الله نورهم هو ان الله تعالى يسابهم ما اعطوا من النور مع المؤمنين في الآخرة وذلك قوله تعالى فيما اخبر عنهم انظرونا نقبس من نوركم قيل ارجعوا ورايتكم فالتمسوا

نورا وقيل في معنى اذهب نور المنافقين وجه آخر وهو اطلاع الله المؤمنين على كفرهم فقد ذهب منهم نور الاسلام بما اظهر الله من كفرهم وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وعطا الآية نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي صلى الله عليه وآله وایمانهم به واسفاحتهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به وذلك ان قريظة والضير وبني قينقاع قدموا من الشام الى يثرب حين انقطعت النبوة من بني اسرائيل وافضت الى العرب فدخلوا المدينة يشهدون ل محمد صلى الله عليه وآله بالنبوة وان امته خير الامم وكان يغشاهم رجل من بني اسرائيل يقال له عبد الله بن هيبان قيل ان يرحى الى النبي (ص) كل سنة فيحضهم على طاعة الله عز وجل واقامة التوراة والايمان ب محمد صلى الله عليه وآله ويقول اذا خرج فلا تفرقوا عليه وانصروه وان كنت اطمع ان ادركه ثم مات قبل خروج النبي صلى الله عليه وآله قبلوا منه ثم لما خرج النبي صلى الله عليه وآله كفروا به ف ضرب الله لهم هذا المثل

﴿سؤال﴾

كيف الله شبه المنافقين او اليهود وهم جماعة بالذي استوقد نارا وهو واحد

﴿الجواب﴾

على وجوه ﴿احدها﴾ ان الذي في معنى الجمع كما قيل في الآية الاخرى والذي جاء بالصدق وصدق به (وثانيها) ان يقال النون محذوفة من الذي كما جاء في قول الاخطل

أَبْنِي كَلْبِيبٍ إِنَّ عَمِّيَ اللَّذَا قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَكَّا الْأَغْلَالَ

(وثالثها) ان يكون الكلام على حذف كانه قال ان مثلهم كمثل اتباع الذي استوقد نارا ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه كما قال الجعدي

وَكَيْفَ تُوَاصِلُ مَنْ أَصْبَحَتْ حِلَالَتُهُ كَأَبِي مَرْحَبٍ

يريد كحلالته اي مرحب (ورابعها) ان يقال اراد بالمستوقد الجنس لما في الذي من الابهام اذ ليس يراد به تعريف واحد بعينه وعلى هذا يكون جواب لما اضافت ما حوله محذوفا كان قال طفتت والضير في قوله ذهب الله بنورهم يعود الى المنافقين (وخامسها) ان يقال هذا تشبيه الحال بالحال فتقديره حال هو لا المنافقين في جهلهم كحال المستوقد نارا وتشبيه الحال بالحال جاز كما يقال بلادة هو لا كبلادة الحمار ولو قلت هو لا كالحمار لم يجز ومعنى قوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون معناه لم يفعل الله لهم النور اذ الترك هو الكف عن الفعل بالفعل وهذا انما يصح فيمن حله فعله والله سبحانه متزه عن ان يحلله فعله فعناه انه لم يفعل لهم النور حتى صاروا في ظلمة اسد مما كان قبل الايقاد وقوله لا يبصرون اي لا يبصرون الطريق

قوله تعالى (١٨) صم بكم عمي فهم لا يرجعون (آية)

﴿اللغة﴾

الاصم هو الذي ولد كذلك وكذلك الابكم هو الذي ولد اخرس واصل الصم السد والصمم سد الاذن بالا يقع منه سماع وقناة صماء صابة مكتنزة الجوف لسد جو فيها بامتلائها وحجر اصم صلب وفتنة صماء شديدة والصمام ما يشد به رأس القارورة واصل البكم الاعتقال في اللسان وهو آفة تمنع من الكلام واصل العمى ذهاب الادراك بالعين والعمى في القلب مثل العمى في العين آفة تمنع من الفهم ويقال ما اعماه من عمى القلب ولا يقال ذلك في العين وانما يقال ما اسد عماء وما جرى مجراه والعماية التغطية والعماء السحاب الكثيف المطبق والرجوع قد يكون عن الشيء والى الشيء فالرجوع عن الشيء هو الانصراف عنه والرجوع الى الشيء هو الانصراف اليه بعد الذهاب عنه

﴿الاعراب﴾

صم بكم عمي رفع على خبر مبتدأ محذوف اي هو لاء الذين قصتهم هذه صم بكم عمي

﴿المعنى﴾

قال قتادة صم لا يسمعون الحق بكم لا ينطقون به عمي لا يبصرونه فهم لا يرجعون عن ضلالتهم ولا يتوبون وانما شبههم الله بالصم لأنهم لم يحسنوا الاصغاء الى ادلة الله تعالى فكانهم صم واذا لم يقرؤا بالله وبرسوله فكانهم بكم واذا لم ينظروا في ملكوت السماوات والارض فكانهم عمي لما لم تصل اليهم منفعة هذه الاعضاء فكانهم ليس لهم هذه الاعضاء وهذا يدل على ان معنى الحتم والطبع ليس على وجه الحيلولة بينهم وبين الايمان لانه جعل الفهم بالكفر واستتغالهم للحق بمنزلة الصمم والبكم والعمى مع صحة حواسهم وكذلك قوله طبع الله على قلوبهم واضلهم واصمهم واعمى ابصارهم وازاغ الله قلوبهم فان جميع ذلك اخبار عما حدثه عند امتحان الله اياهم وامرهم بالطاعة والايمان لانه فعل بهم ما امنهم به عن الايمان وهذا كما قيل في المثل جبك الشيء يعمي ويصم قال مسكين الدارمي

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي الْخِذْرُ
وَتَصْمُ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا أَذْنِي وَمَا فِي سَمْعِهَا وَقَرُّ

وفي التزويل وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقوله فهم لا يرجعون يحتمل امرين احدهما انه على الذم والاستبطاء عن ابن عباس والثاني انهم لا يرجعون الى الاسلام عن ابن مسعود

قوله تعالى (١٩) أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (آية)

﴿القراءة﴾

ظلمات اجمع القراءة على ضم اللام منه على الاتباع وروي في الشواذ عن الحسن وابي السماك بسكون اللام وعن بعضهم بفتح اللام وابو عمرو ويميل الكاف من الكافرين في موضع الخفض والنصب وروي ذلك عن الكسائي والباقون لا يميلون

﴿الحجة﴾

الوجه في ذلك انهم كرهوا اجتماع الضميتين فتارة عدلوا الى الفتح فقالوا ظلمات وتارة عدلوا الى السكون فقالوا ظلمات وكلا الامرين حسن في اللغة وانما املوا الكاف من الكافرين لزوم الكسرة الراء بعد الفاء المكسورة والراء لما فيها من التكرير تجري مجرى الحرفين المكسورين وكما كثرت الكسرات غلبت الامالة وحسنها والقراء في الامالة مذاهب واختلافات يطول استقصاؤها وابو علي الفارسي رحمه الله قد بلغ الغاية وجاوز النهاية في احتجاجاتهم وذكر من التحقيق فيها والتدقيق ما ينبو عنه فهم كثير من علماء الزمان فالتعمق في ايراد ابوابها وحججها والغوص الى لججها لا يليق بتفسير القرآن وكذلك ما يتعلق بفن القراءة من علوم الهمزة والادغام والمد فان لذلك كتباً مؤلفة يرجع اليها ويعول عليها فالرأي ان نلم باطرافها ونقتصر على بعض اوصافها فيما يأتي من الكتاب ان شاء الله تعالى

﴿اللغة﴾

الصيب المطرا صله صيوب فيعمل من الصواب لكن اجتمعت الواو والياء واولاهما ساكنة فصارتا ياء مشددة ومثله سيد وجيد والسماء المعروف وكل ما علاك واطللك فهو سماء وسماء البيت سقفه واصابهم سماء اي مطر واصله سما ومن سموت فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا بعد الف زائدة وجعل يكون على وجوه

﴿احدها﴾ ان يتعدى الى مفعولين نحو جعلت الطين خرقاً اي صيرت (وثانيها) ان يأتي بمعنى صنع يتعدى الى مفعول واحد نحو قوله وجعل الظلمات والنور (وثالثها) ان يأتي بمعنى التسمية كقوله تعالى وجعلوا لله اندادا اي سمواله (ورابعها) ان يأتي بمعنى افعال المقاربة نحو جعل زيد يفعل كذا والصواعق جمع صاعقة وهي الواقع الشديد من السحاب يسقط معه نار تحرق والصاعقة صيحة العذاب والحذر طلب السلامة مما يخاف

﴿الاعراب﴾

او ههنا للاباحة اذا قيل لك جالس الفقهاء او المحدثين فكلا الفريقين اهل ان يجالس فان جالست احدهما فانت مطيع وان جالست الآخر فانت مطيع وان جالستها فانت مطيع فكذلك ههنا ان مثلت المناققين بالمستوقد كنت مصيبا وان مثلتهم باصحاب الصيب فانت مصيب وان مثلتهم بكلا الفريقين فانت مصيب وتقديره او كاصحاب صيب حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه لأن هذا عطف على قوله كمثل الذي استوقد ناراً والصيب ليس بعامل فلا يعطف على العاقل ويجهلون في موضع الحال من اصحاب الصيب وقوله فيه ظلمات جملة في موضع الجر بانها صفة صيب والضمير المتصل بني عائد الى صيب او الى السماء وحذر الموت منصوب بأنه مفعول له لأن المعنى يجهلون ذلك لحذر الموت قال الزجاج وانما نصبه الفعل لأنه في تأويل مصدره لأن جعلهم اصابعهم في آذانهم يدل على حذرهم الموت قال الشيخ ابو علي المفعول له لا يكون الا مصدراً لأنه يدل على انه فعل لاجل ذلك الحدث والحدث مصدر لكنه ليس مصدراً عن هذا الفعل بل عن فعل آخر

﴿المعنى﴾

مثل هو لا المناققين في جهلهم وشدة تحيرهم «كصيب» اي كاصحاب مطر «من السماء» اي منزل من السماء «فيه» اي في هذا المطر او في السماء لأن المراد بالسماء السحاب فهو مذكر «ظلمات» لأن السحاب يعشي الشمس بالنهار والنجوم بالليل فيظلم الجو «ورعد» قيل ان الرعد صوت ملك يزرع السحاب وقيل الرعد هو ملك موكل بالسحاب يسبح روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وقيل هو ريح تحتق تحت السماء رواه ابو الجلد عن ابن عباس وقيل هو صوت اصطكاك اجرام السحاب ومن قال انه ملك قدر فيه صوت كأنه قال فيه ظلمات وصوت رعد لأنه روي انه يزعق كما يزعق الراعي بغنمه وقوله «وبرق» قيل انه محاريق الملائكة من حديد تضرب به السحاب فتندح عنه النار عن علي (ع) وقيل انه سوط من نور يزرع به الملك السحاب عن ابن عباس وقيل هو مصع ملك عن مجاهد والمصاع المجالدة بالسيوف وغيرها قال الاعشى

إِذَا هُنَّ نَازِلْنَ أَقْرَانَهُنَّ كَانَ الْمِصَاعُ بِمَا فِي الْجُوءِ

وقيل انه نار تندح من اصطكاك الاجرام وفي تأويل الآية وتشبيه المثل اقوال ﴿احدها﴾ انه شبه المطر المنزل من السماء بالقرآن وما فيه من الظلمات بما في القرآن من الابتلاء وما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر وما فيه من البرق بما فيه من البيان وما فيه من الصواعق بما في القرآن من الوعيد آجلاً والدعاء الى الجهاد عاجلاً عن ابن عباس (وثانيها) انه مثل للدنيا شبه ما فيها من الشدة والرخاء بالصيب الذي يجمع نفعاً وضرراً وان المناقق يدفع عاجل الضرر ولا يطلب آجل النفع (وثالثها) انه مثل للاسلام لأن فيه الحياة كما في القيث الحياة وشبه ما فيه من الظلمات بما في اسلامهم من ابطان الكفر وما فيه من الرعد بما في الاسلام من فرض الجهاد وخوف القتل وبما يخافونه من وعيد الآخرة لشكهم في دينهم وما فيه من البرق بما في اظهار الاسلام من حتم دمانهم ومناكحتهم وموارثتهم وما فيه من الصواعق بما في الاسلام من الزواجر بالعقاب في العاجل والآجل ويقوي ذلك ماروي عن الحسن انه قال مثل اسلام المناقق كصيب هذا وصفه (ورابعها) ماروي عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة ان رجلين من المناققين من اهل المدينة هربا من رسول الله (ص) فاصابها المطر الذي ذكره

الله تعالى فيه رعد شديد وصواعق وبرق وكلما اضاء لها الصواعق جعلوا اصابعهما في آذانها مخافة ان تدخل الصواعق في آذانها فتقتلها واذا لمع البرق مشيا في ضوئه واذا لم يلمع لم يبصر افاقا فجعلوا يقولون يا ليتنا قد اصبحنا فتأتي محمدا فنضع ايدينا في يديه فاصبحا فاتياه فاسلما وحسن اسلامهما فضرب الله شأن هذين الرجلين مثلا لنا في المدينة وانهم اذا حضروا النبي جعلوا اصابعهم في آذانهم فرقا من كلام النبي (ص) ان ينزل فيهم شيئا كما كان ذاك الرجلان يجعلان اصابعهما في آذانها وكلما اضاء لهم مشوا فيه يعني اذا كثرت اموالهم واصابوا غنيمة او فتحا مشوا فيه وقالوا دين محمد صحيح واذا اظلم عليهم قاموا يعني اذا هلكت اموالهم واصابهم البلا قالوا هذا من اجل دين محمد فارتدوا كما قام ذاك الرجلان اذا اظلم البرق عليهما وقوله «والله محيط بالكافرين» يحتمل وجوها

﴿احدها﴾ انه عالم بهم فيعلم سرايرهم ويطلع نبيه على ضمايرهم عن الاحصاء (وثانيها) انه قادر عليهم لا يستطيعون الخروج عن قدرته قال الشاعر

أَحْطْنَا بِهِمْ حَتَّى إِذَا مَا تَيَقَّنُوا بِمَا قَدَرُوا مَا لَوْ أَجْمَعًا إِلَى السَّلَامِ

اي قدرنا عليهم (وثالثها) ما روي عن مجاهد انه جامعهم يوم القيامة يقال احاط بكذا اذا لم يشذ منه شيئا ومنه احاط بكل شيئا علما اي لم يشذ عن علمه شيئا (ورابعها) انه مهلكهم يقال احيط بفلان فهو محاط به اذا دنا هلاكه قال سبحانه واحيط بشمره اي اصابه ما اهلكه وقوله الا ان يحاط بكم معناه ان تهلكوا جميعا قوله تعالى (٢٠) يَكَادُ الْبَرْقُ يُخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (آية)

﴿اللغة﴾

الخطف اخذ في استلاب يقال خطف يخطف وخطف يخطف لغتان والثاني افصح وعليه القراءة ومنه الخطف ويقال للذي يخرج به الدلو من البئر خطف لا خطفاه قال النابغة

خَطَّاطِيفٌ حُجْنٌ فِي جِبَالٍ مَتِينَةٍ تُمَدُّ بِهَا أَيْدِي إِلَيْكَ فَوَازِعُ

وقاموا اي وقفوا والمشيئة الارادة والثبي ما يصح ان يعلم ويخبر عنه قال سيديويه هو اول الاسماء واعماها وابهما لانه يقع على المدوم والموجود وقيل انه لا يقع الا على الموجود والصحيح الاول وهو مذهب المحققين من المتكلمين ويومئذيه قوله تعالى في هذه الآية ان الله على كل شيئا قدير فان كل شيئا سواه محدث وكل محدث فله حالتان حالة عدم وحالة وجود واذا وجد خرج عن ان يكون مقدورا للقادر لان من المعلوم ضرورة ان الموجود لا يصح ان يوجد فعلمنا انه انما يقدر عليه في حال عدمه ليخرجه من العدم الى الوجود وعلى هذه المسألة يدور اكثر مسائل التوحيد

﴿الاعراب﴾

كاد من افعال المقاربة ولا يتم بالفاعل ويحتاج الى خبر وخبره الفعل المضارع فقوله يكاد فعل والبرق مرفوع بأنه اسم يكاد وفاعله ويخطف ابصارهم في موضع نصب بانه خبر يكاد وكلما اصله كل وضم اليه ما الجزاء وهو منصوب بالنظر والعامل فيه اضاء ومعناه متى ما اضاء لهم مشوا فيه واء في موضع جزم بالشرط ومشوا في موضع الجزاء واذا اظلم قد تقدم اعراب مثله ولو حرف معناه امتناع الشيء لا امتناع غيره واذا وقع الفعل بعده وهو منفي كان مثبتا في المعنى واذا وقع مثبتا كان منفيا في المعنى فقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم قد انتفى فيه ذهاب السمع والابصار بسبب انتفاء المشيئة

﴿المعنى﴾

«يكاد البرق يخطف ابصارهم» المراد يكاد ما في القرآن من الحجب النيرة يخطف قلوبهم من شدة اذعاجها الى النظر في امور دينهم

كما أن البرق يكاد يخطف ابصاراً أو تلك كما اضاهم مشوا فيه لاهتدائهم الى الطريق بضوء البرق كذلك المنافقون كلادعوا الى خير وغثيمة اسرعوا واذا وردت شدة على المسلمين تحيروا لكفرهم ووقفوا كما وقف اولئك في الظلمات متحيرين وقيل اذا آمنوا صار الايمان لهم نوراً فاذا ماتوا عادوا الى ظلمة العقاب وقيل هم اليهود لما نصر المسلمون ببدر قالوا هذا الذي بشر به موسى فلما نكبوا باحد ووقفوا وشكروا وقوله «واو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم» انما خص السمع والبصر بالذكر لما جرى من ذكرهما في الآيتين فقال ولو شاء الله اذهبهما من المنافقين عقوبة لهم على نفاقهم وكفرهم وهذا وعيد لهم بالعقاب كما قال في الآية الاولى والله محيط بالكافرين وقوله بسمعهم مصدر يدل على الجمع او واحد موضوع للجمع كقول الشاعر

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعِيشُوا فَإِنْ زَمَانِكُمْ زَمَنْ تَخِيصُ

اي بطونكم والمعنى ولو شاء الله لاظهر على كفرهم فاهلكهم ودمر عليهم لأنه على كل شي . قد يروى وهو مبالغة القادر وقيل ان قوله سبحانه ان الله على كل شي . قدير عام فهو قادر على الاشياء كلها على ثلاثة اوجه على المدومات بأن يوجدتها وعلى الموجودات بان يغنيها وعلى مقدور غيره بأن يقدر عليه وينع منه وقيل هو خاص في مقدوراته دون مقدور غيره فان مقدورا واحداً بين قادرين لا يمكن ان يكون لأنه يو . دي الى ان يكون الشيء . الواحد موجوداً معدوماً ولغظة كل قد يستعمل على غير عموم نحو قوله تعالى تدمر كل شي . بامر ربها

قوله تعالى (٢١) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الخلق النعل على تقدير وخلق السموات فاعها على تقدير ما تدعو اليه الحكمة من غير زيادة ونقصان والخلق الطبع والخلقة الطبيعة والخلق النصب

﴿ الاعراب ﴾

يا حرف ندا واي اسم مبهم يقع على اجناس كثيرة لأنه لا يتم بأن يوصف وصفته تكون باسم الجنس لأنه لا كان لا يتم الا بصفة وهي لفظة دالة على ما دل اي عليه مخصصة له وكان التخصيص في الاشارة يقع بالجنس ثم بالوصف وصف باسماء الاجناس كالناس في قوله يا ايها الناس فاي منادى مفرد معرفة مبني لأنه وقع موقع حرف الخطاب وهو الكاف وانما بني على الحركة مع ان الاصل في البناء السكون ليعلم انه ليس بعريق في البناء والبناء عارض فيه وانما حرك بالضم لأنه كان في اصله التنوين فلما سقط التنوين في البناء اشبه قبل وبعد الذي قطع عنه الغاية فارتفع وقد ذكر فيه وجوه اخر توجد في مظانها والناس مرفوع لأنه صفة لأي فتبعه على حركة لفظه ولا يجوز هنا النصب وان كانت الاسماء المناديات المفردة المعرفة يجوز في صفاتها النصب والرفع لأن هنا الصفة هو المنادى في الحقيقة واي صلة اليه ويدل على ذلك لزومها وهو حرف التنبيه قبل الناس وثباتها وامتناعهم من حذفها وصار ذلك كالإيدان باستئناف نداء العلم لأنه لا يجوز الاقتصار على المنادى قبله كما جاز في سائر المناديات واجاز المازني في يا ايها الرجل النصب وذلك فاسد لما ذكرناه ولأنه لا مجاز لذلك في كلام العرب ولم يرو عنها غير الرفع والذين من قبلكم في موضع نصب لأنه عطف على الكاف والميم في قوله خلقكم وهو مفعول به ومن قبلكم صلة الذين ولعل حرف ناصب من اخوات ان وقد ذكرنا القول في مشابهته الفعل وعمله النصب والرفع فيما تقدم وكذلك حكم لعل وشبه لعل بالفعل اظهر لأن معناه الترجي وكم في موضع نصب بكونه اسم لعل وتتمون جملة في موضع الرفع بأنه خبره

﴿ المعنى ﴾

هذا الخطاب متوجه الى جميع الناس موهمهم وكافرهم الا من ليس بمكلف من الاطفال والمجانين وروي عن ابن عباس والحسن ان مافي القرآن من «يا ايها الناس» فانه نزل بمكة وما فيه من يا ايها الذين آمنوا فانه نزل بالمدينة «اعبدوا ربكم» اي تقربوا اليه بفعل العبادة وعن ابن عباس انه قال معناه وحدوه وقوله «الذي خلقكم» اي اوجدكم بعد ان لم تكونوا موجودين واوجد من تقدم زمانكم من الخلائق والبشر بين سبحانه نعمه عليهم وعلى آباؤهم لان نعمه عليهم لاتم الا بنعمه على آباؤهم «لعلكم تتقون» اي خلقكم لتتقوه وتعبده كقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقيل معناه اعبده لتتقوا وقيل معناه لعلكم تتقون الحرمان بينكم وتكفون عما حرم الله وهذا كما يقول القائل اقبل قولي لعلك ترشد فليس انه من ذلك على شك وانما يريد اقبله ترشد وانما ادخل الكلام لعل ترفيقا للموعظة وتهذيبا لها من قلب الموعوظ ويقول القائل لا أجيره اعمل لعلك تأخذ الأجرة وليس يريد بذلك الشك وانما يريد لتأخذ اجرتك ومثله قول الشاعر

وَقُلْتُمْ لَنَا كُفُّوا أَلْحُرُوبَ لَعَلَّنَا
نَكْفُ وَوَقَّعْتُمْ لَنَا كُلَّ مَوْثِقٍ
فَلَمَّا كَفَفْنَا الْحَرْبَ كَانَتْ عَنْهُدُمْ
كَلْمَحِ سَرَابٍ فِي الْمَلَأِ مُتَأَلِقٍ

اراد قلتم لنا كفوا لنكف لأنه لو كان شا كما قال وثقتم كل موثق وقال سيويه انما وردت لفظه لعل على انه ترج للمخاطبين كما قال فقولاله قولا لنا لعله يتذكر او يحنى اراد بذلك الابهام على موسى وهارون فكانه قال اذهب انما على رجائكما وطمعكما والله عز وجل من وراء ذلك وعالم بما يؤول اليه امر فرعون وقيل فائدة اراد لفظه لعل هي ان لا يحل العبد ابدا محل الآمن المدل بعده بل يزداد حالا بعد حال حرصا على العمل وحذرا من تركه واكثر ما جاءت لفظه لعل وغيرها من معاني الشك فيما يتماق بالآخرة في دار الدنيا فاذا ذكرت الآخرة مفردة جاء اليقين وقيل معناه لعلكم توقون النار في ظنكم ورجائكم واجري لعل على عبادته دون نفسه وهذا قريب مما قاله سيويه

قوله تعالى (٢٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

ادغم جماعة من القراء قوله جعل لكم فقالوا جعلكم والباقيون يظهرون

﴿ الحجة ﴾

فن ادغم فلاجتماع حرفين من جنس واحد وكثرة الحركات ومن اظهر وعليه اكثر القراء فلأنهما منفصلان من كلمتين وفي الادغام واختلاف القراء فيه والاحتجاجات لهم كلام كثير خارج عن الغرض بعارم تفسير القرآن فن اراد ذلك فيطلبه من الكتب الواردة لفة فيه

﴿ اللفظة ﴾

الجعل والخلق والاحداث نظائر والارض هي المعروفة والارض قوام الدابة ومنه قول الشاعر

وَأَخْرَجَ كَالدِّيَابِجِ أَمَّا سَمَاوَهُ
فَرِيًّا وَأَمَّا أَرْضُهُ فَمَحُولٌ

والارض الرعدة وفي كلام ابن عباس أنزلت الارض ام بي ارض والفرش والبساط والمهاد نظائر وسمي السماء سما لعلوها على الارض وكل شي كان فوق شي فهو لما تحته سما وسما فلان للان اذا قصد نحوه عاليا عليه قال الفرزدق

سَمُونَا لِنَجْرَانَ الْيَمَانَ وَأَهْلِهِ
وَنَجْرَانَ أَرْضُ لَمْ تُدَيْثْ مَقَاوِلُهُ

قال الزجاج كل ما علا الارض فهو بناء والماء اصله موه وجمعه امواه وتصغيره مويه وانزل من السماء اي من ناحية السماء قال الشاعر (امنك البرق ارقبه فهاجا) اي من ناحيتك والتد المثل والعدل قال حسان بن ثابت
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِنْدٍ فَشَرُّهُ كَمَا لِخَيْرِ كَمَا الْفِدَاءُ

وقال جرير

أَتِيًّا تَجْعَلُونَ إِلِيَّ نِدًّا وَمَا تَيْمٌ لِذِي حَسَبٍ نَدِيدٌ

وقيل الند الضد

﴿ المعنى ﴾

معنى هذه الآية يتعلق بما قبلها لأنه تعالى امرهم بعبادته والاعتراف بنعمته ثم عدد لهم صنوف نعمه ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته فإن العبادة لما تجب لأجل النعم المخصوصة فقال سبحانه «الذي جعل لكم الارض فراشا» اي بساطا يمكنكم ان تستقروا عليها وتفترشوها وتتصرفوا فيها وذلك لا يمكن الا بان تكون مبسوطه ساكنة دائمة السكون «والسما بناء» اي سقفا مرفوعا مبنيا «وانزل من» نحو «السماء» اي من السحاب «ماء فأخرج به» اي بالماء «من الثمرات رزقا لكم» اي عطاكم لكم وملكا لكم وغذا لكم وهذا تنبيه على انه هو الذي خلقهم والذي رزقهم دون من جعلوه ندا له من الاوثان ثم زجرهم عن ان يجعلوا له ندا مع علمهم بان ذلك كما اخبرهم به بقوله «فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون» وقوله يحتمل وجوها ﴿ احدها ﴾ ان يريد انكم تعلمون ان الاصنام التي تعبدونها لم تنعم عليكم بهذه النعم التي عددناها ولا بما مثلها وانها لاتضر ولا تنفع (وثانيها) ان يريد انكم تعقلون وتميزون ومن كان بهذه الصفة فقد استوفى شرائط التكليف وزمته الحجة وضاق عذره في التخلف عن النظر واصابة الحق (وثالثها) ما قال مجاهد وغيره ان المراد بذلك اهل التوراة والانجيل دون غيرهم اي تعلمون ذلك في الكتابين وقال الشريف الاجل المرتضى قدس الله روحه استدلال ابو علي الجبائي لقوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا وفي آية اخرى بساطا على بطلان ما يقوله المنجمون من ان الارض كرية الشكل قال وهذا القدر لا يدل لأنه يكفي في النعمة علينا ان يكون في الارض بساط وموضع مفروشة ومسطوحة وائس يجب ان يكون جميعها كذلك ومعلوم ضرورة ان جميع الارض ائس مسطوحا مبسوطة وان كان موضع التصرف فيها بهذه الصفة والمنجمون لا يدفون ان يكون في الارض سطوح يتصرف فيها ويستقر عليها وانما يذهبون الى ان جملة كرية الشكل

قوله تعالى (٢٣) وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ
وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

ان دخلت ههنا لغير شك لأن الله تعالى علم انهم مرتابون ولكن هذا على عادة العرب في خطابهم كقولهم ان كنت انسانا فافعل كذا وان كنت ابني فاطمني وان كان كونه انسانا وابنا معلوما وانما خاطبهم الله تعالى على عادتهم في الخطاب والريب الشك مع تهمة والعبد المملوك من جنس ما يعقل ونقيضه الحر من التعبيد وهو التذليل لأن العبد يذل مولاه والعبودية من احكام الشرع لأنه بمنزلة ذبح الحيوان ويستحق عليها العوض وليست بعقوبة ولذلك يسترق المومن والصبي والسورة غير مأموزة مأخوذة من سور البناء وكل منزلة رفيعة فهي سورة ومنه قول النابغة

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ

هذا قول ابى عبيدة وابن الاعرابي في تفسير السورة فكل سورة من القرآن بمنزلة درجة رفيعة ومنزل عال

رفيع يرتفع القارى منها الى منزلة اخرى الى ان يستكمل القرآن وقيل السورة مهموزة والمراد بها القطعة من القرآن انفصلت عما سواها وابقيت وسور كل شي بقيقته واسأرت في الاناء ابقيت فيه قال الاعشى يصف امرأة
فَبَانَتْ وَقَدْ أَسَارَتْ فِي الثَّوَاءِ دِ صَدْعًا عَلَي نَائِيهَا مُسْتَطِيرَا

﴿ الاعراب ﴾

ان حرف شرط تجزم الفعل المضارع وتدخل على الفعل الماضي فتصرفه الى معنى الاستقبال ولا بدل للشرط من جزاء. وهما جملتان ربطت احدهما بالآخرى نحو إن تفعل أفعل فقولك إن تفعل شرط وهو مجزوم بأن وقولك أفعل جزاء. وهو مجزوم بالشرط لا بأن وحدها ولا بالفعل فإن كان الجزاء جملة من فعل وفاعل كان مجزوما وان كان جملة من مبتدأ وخبر فلا بد من الفاء وكانت الجملة في موضع الجزم فقوله كنتم في موضع الجزم بأن وقوله فأتوا بسورة أتوا مبني على الوقف لأنه امر المخاطبين والواو فاعل والفاء وما بعده في موضع جزم بأنه جزاء وما قبل الفاء لا يعمل فيما بعده ومن يقع على اربعة اوجه ﴿ احدها ﴾ ان يكون بمعنى ابتداء الشيء من مكان ما كقولك خرجت من البصرة (وثانيها) بمعنى التبعض كقولك اخذت من الطام قفيزا (وثالثها) بمعنى التبيين كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وهي في التبيين تخصص الجملة التي قبلها كما انها في التبعض تخصص الجملة التي بعدها (ورابعها) أن تقع مزيدة نحو ما جاءني من رجل فاذا قد عرفت هذا فقوله تعالى من مثله قال بعضهم ان من بمعنى التبعض وتقديره فأتوا ببعض ما هو مثل له وهو سورة وقيل هو لتبيين الصفة وقيل ان من مزيدة لقوله في موضع آخر بسورة مثله اي مثل هذا القرآن وتعود الها في مثله الى ما من قوله بما نزلنا على عبدنا في الاقوال الثلاثة وقيل ان من بمعنى ابتداء الغاية والها من مثله يعود الى عبدنا فيكون معناه بسورة من رجل مثله والاول أقوى لما ذكره بعد

﴿ المعنى ﴾

لما احتج الله تعالى للتوحيد عقبه من الاحتجاج للنبوة بما قطع عذرهم فقال «وان كنتم في» شك من صدق هذا الكتاب الذي انزلناه على محمد صلى الله عليه وآله وقلتم لا ندري هل هو من عند الله ام لا «فأتوا بسورة من مثله» أي من مثل القرآن وعلى قول من يقول الضمير في مثله عائد الى عبدنا فالعنى فأتوا بسورة من بشر من مثله لا يحسن الخط والكتابة ولا يدري الكتب والصحيح هو الاول لقوله تعالى في سورة اخرى فليأتوا بحديث مثله وقوله فأتوا بسورة مثله وقوله لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله يعني فأتوا بسورة مثله ما اتى به محمد في الاعجاز من حسن النظم وجزالة اللفظ والفصاحة التي اختصت به والاخبار عما كان وما يكون دون تعلم الكتب ودراسة الاخبار وقوله «وادعوا شهداءكم» قال ابن عباس يعني اعوانكم وانصاركم الذين يظهرونكم على تكذيبكم وسمي اعوانهم شهداء لانهم يشاهدونهم عند المعاونة والشهيد يكون بمعنى الشاهد كالجلس والاكيل ويسمى الشاهد على الشيء لغيره بما يحقق دعواه بأنه شهيد أيضا وقوله «من دون الله» أي من غير الله كما يقال مادون الله مخلوق يريد وادعوا من اتخذتهم معاونين من غير الله «إن كنتم صادقين» في أن هذا الكتاب يقوله محمد من نفسه وقال القراء اراد وادعوا أمتكم وقال مجاهد وابن جريج اراد قوما يشهدون لكم بذلك ممن يقبل قولهم وقول ابن عباس أقوى لأن معناه استنصروا اعوانكم على أن يأتوا بمثله لأن الدعاء بمعنى الاستعانة كما قال الشاعر

فَلَمَّا أَلْتَمْتُ فُرْسَانَنَا وَرَجَالَنَا دَعَوَا يَالْكَعْبِ وَأَعْتَزَيْنَا لِعَامِرِ

وقال آخر

وَقَبْلَكَ رَبِّ خَضَمٌ قَدْ تَمَالُوا عَلَيَّ فَا جَزَعْتُ وَلَا دَعَوْتُ

واما قول مجاهد فلاوجه له لأن الشاهدين لا يخلو اما ان يكونوا مؤمنين او كفارا فالؤمنون لا يكونون شهداء للكفار والكفار لا بد ان يسارعوا الى ابطال الحق او تحقيق الباطل اذا دعوا اليه فمن اي الفريقين يكون شهداء وهم ولكن ينبغي ان يجري ذلك مجرى قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال قوم ان هذا الوجه جاز ايضا صحته لأن العقلاء لا يجوز ان يحملوا نفوسهم على الشهادة بما يقتضون به في كلام انه مثل القرآن ولا يكون مثله كما لا يجوز ان يحملوا نفوسهم على ان يعارضوا ما ليس بمعارض على الحقيقة وهذه الآية تدل على صحة نبوة نبينا محمد (ص) وان الله تعالى تحدى بالقرآن وببعضه ووجه الاستدلال بها انه تعالى خاطب قوما عقلاء فصحاء قد بلغوا الغاية القصوى من الفصاحة وتسنوا الذروة العليا من البلاغة فانزل اليهم كلاما من جنس كلامهم وتحداهم بالآتيان بمثله او ببعضه بقوله فاتوا بعشر سور مثله بسورة مثله وجعل عجزهم عن ذلك حجة عليهم ودلالة على صدق رسوله (ص) وهم اهل الحمية والانفة فبدلوا امولهم ونفوسهم في اطفاء امره ولم يتكلفوا في معارضة القرآن بسورة ولا خطبة فعلما ان المعارضة كانت متعذرة عليهم فدل ذلك على ان القرآن معجز دال على صحة نبوته

قوله تعالى (٢٤) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (آية)

﴿ الاعراب ﴾

ان حرف شرط ولم حرف يدخل على الفعل المضارع فينفيه ويجعله بمعنى الماضي ويعمل فيه الجزم وتفعلوا فعل وفاعل وهو مجزوم بلم وعلامة الجزم فيه سقوط النون ولم تفعلوا في موضع جزم ايضا بان ولن حرف يدخل على الفعل المضارع فيخصه بالاستقبال وينفيه ويعمل فيه النصب وعلامة النصب في تفعلوا سقوط النون ايضا وقال سيويه في ان زعم الخليل انها لا ان ولكنهم حذفوا لكثرتهم في كلامهم كما قالوا ويأيه وجعلت بمنزلة حرف واحد كما جعلوا هلا بمنزلة حرف واحد وانما هي هل ولا قال وهذا ليس بجيد لأنه لو كان كذلك لم يميز زيد الناضب واقول ان معنى هذا القول هو انه لو كان اصل لن لا ان وما بعد ان يكون صلة لها ولا يجوز تقديم معمول ما في الصلة على الموصول فكان يجب ان لا يجوز تقديم زيد في قولك لن اضرب زيدا على ان كالم يميز تقديمه على أن فلا تقول زيدا أن أضرب وزيدا لان أضرب ولا خلاف بين النحويين في جواز التقديم هناك وقوله ولن تفعلوا لا موضع له من الاعراب لأنه اعتراض وقع بين الشرط والجزاء كما يقع بين المبتدأ والخبر في قولك زيد فافهم ما اقول لك عالم والاعتراض غير واقع موقع المفرد فيكون له موضع اعراب

﴿ المعنى ﴾

«فإن لم تفعلوا» اي فإن لم تأتوا بسورة من مثله وقد تظاهرتم انتم وشركاؤكم عليه واعوانكم وتبين لكم عجزكم وعجز جميع الخلق عنه وعلمتم انه من عندي فلا تقيموا على التكذيب به ومعنى «ولن تفعلوا» اي ولن تأتوا بسورة مثله أبدا لأن لن تنفي على التأييد في المستقبل وفيه دلالة على صحة نبوة نبينا محمد (ص) لأنه يتضمن الاخبار عن حالهم في مستقبل الاوقات بأنهم لا يأتون بمثله فوافق الخبر عنه الخبر وقوله «فاتقوا النار» اي فاتخذوا ان تصلوا النار بتكذيبكم وانما جاز ان يكون قوله فاتقوا النار جواب الشرط مع لزوم اتقاء النار كيف تصرفتم الحال لأنه لا يلزمهم الاتقاء الا بعد التصديق بالنبوة ولا يصح العلم بالنبوة الا بعد قيام المعجزة فكانه قال فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فقد قامت الحجة ووجب اتقاء النار التي «وقودها» اي حطبها «الناس والحجارة» وهي جمع حجر وقيل أنها حجارة الكبريت لأنها احرق شيئا اذا احميت عن ابن مسعود وابن عباس والظاهر ان

الناس والحجارة وقود النار اي حطبها يريد بها اصنامهم المنحوتة من الحجارة كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقيل ذكر الحجارة دليل على عظم تلك النار لأنها لا تأكل الحجارة الا وهي في غاية الفظاعة والهول وقيل معناه ان اجسادهم تبقى على النار بقاء الحجارة التي توقد بها النار بتبقيته الله اياها ويؤيد ذلك قوله كما نضجت جلودهم الآية وقيل معناه انهم يعذبون بالحجارة المحمية بالنار وقوله تعالى اعدت للكافرين معناه خلقت وهيئت للكافرين لأنهم الذين يخلدون فيها ولأنهم اكثر اهل النار فاضيف اليهم وقيل انما خص النار بكونها معدة للكافرين وان كانت معدة للفاسقين ايضا لأنه يريد بذلك نارا مخصوصة لا يدخلها غيرهم كما قال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهذه الآية تدل على بطلان قول من حرم النظر والحجاج العقلي لأن الله عز اسمه احتج على الكفار بما ذكره في هذه الآية والزهم به تصديق نبيه عليه الصلاة والسلام وقررههم بأن القرآن كلامه اذ قال ان كان هذا القرآن كلام محمد فاتوا بسورة من مثله لأنه لو كان كلام البشر لتبأ لكم مع تقدمكم في البلاغة والفصاحة الأتيان بمثله او بسورة منه مع قوة دواعيكم اليه فاذا لم يتأت لكم ذلك فاعلموا بمقولكم أنه كلام الله تعالى وهذا هو المراد بالاحتجاج العقلي واستدل بقوله اعدت للكافرين على ان النار مخلوقة الآن لأن المعد لا يكون الا موجودا وكذلك الجنة بقوله اعدت للمتقين والفائدة في ذلك اننا وان لم نشاهدهما فان الملائكة يشاهدونها وهم من اهل التكليف والاستدلال فيعرفون ثواب الله للمتقين وعقابه للكافرين

قوله تعالى (٢٥) **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنْتُمْ بِمَثَابِعِهَا وَمَتَّابُونَ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

البشارة هي الاخبار بما يسر المخبر به اذا كان سابقا لكل خبر سواء لان الثاني لا يسمى بشارة وقد قيل للاخبار بما يعم ايضا بشارة كقوله تعالى وبشرهم بعذاب اليم وذلك على سبيل التوسع وهي مأخوذة من البشرة وهي ظاهر الجلد لتغيرها بأول خبر وتبشير الصبح اوله والجنات جمع الجنة وهي البستان والمراد بذكر الجنة ما في الجنة من اشجارها ونهارها دون ارضها فلذلك قال تجري من تحتها الانهار لأن من المعلوم أنه اراد الخبر عن ما انهارها بانها جار تحت الاشجار لأن الماء اذا كانت تحت الارض فلاحظ فيها للعيون على انه روي عن مسروق ان انهار الجنة جارية في غير اخلايد رواه عنه ابو عبيدة وغيره واصلاها من الجن وهو السر ومنه الجن لتسهرها عن عيون الناس والجنون لأنها تستر العقل والجنة لأنها تستر البدن والجنين تستره بالرحم قال الفضل البستان اذا كان فيه الكرم فهو فردوس سواء كان فيه شجر غيره او لم يكن والجنة كل بستان فيه نخل وان لم يكن فيه غيره والأزواج جمع زوج والزوج يقع على الرجل والمرأة ويقال للمرأة زوجة ايضا وزوج كل شيء شكله والجنود الدوام والبقاء.

﴿ الاعراب ﴾

موضع ان مع اسمه وخبره نصب معناه بشر المؤمنين بأن لهم جنات فلما سقطت الباء افضى الفعل الى ان فنصبه وعلى قول الخليل يكون ان في موضع جر وإن سقطت الباء وجنات منصوب بأنه اسم ان ولهم الجبار والمجرور في موضع خبره والتاء جماعة المونث تكون في حال النصب والجر على صورة واحدة كما أن ياء جماعة الذكور في الزيدتين ونحوه يكون في حال النصب والجر على صورة واحدة وقوله تجري مع ما اتصل به جملة منصوبة الموضع بكونها صفة لجنات وكلما ضم كل الى ما الجزاء فصارا اداة للتكرار وهو منصوب على الظرف والعامل فيه رزقوا منها من ثمرة من ثمرة اي ثمرة وقال علي بن عيسى هي بمعنى التبويض لأنهم يرزقون

بعض الثمرات في كل وقت ويجوز أن يكون بمعنى تبين الصفة وهو أن يبين الرزق من أي جنس هو ومن قبل تقديره أي من قبل هذا الزمان أو هذا الوقت فحذف المضاف اليه منه لفظاً مع أن الأضافة مرادة معنى فبني لأجل مشابهته الحرف وإنما بني على الحركة ليدلوا على تمكنه في الأصل وإنما خص بالضم لأن أعرابه عند الأضافة كان بالفتح أو الجرح نحو من قبلك وقبلك لكونه ظرفاً فبني على حركة لم تكن تدخلها في الأعراب وهي الضمة وموضعه نصب على الظرف ومتشابهها نصب على الحال وازواج رفع أما بالابتداء أو بالظرف

﴿ المعنى ﴾

قرن الله تعالى الوعد في هذه الآية بالوعيد فيما قبلها ليحصل الترغيب والترهيب فقال «وبشر» أي أخبر بما يسر «الذين آمنوا» أي صدقوا «وعملوا الصالحات» أي ما يبينهم وبين ربهم عن ابن عباس بأن لهم «جنت تجري من تحتها» أي من تحت أشجارها ومسكنها «الأنهار» والنهر لا يجري وإنما يجري الماء فيه ويستعمل الجري فيه توسعاً لأنه موضع الجري وقوله «كلما رزقوا منها» أي من الجنة والمعنى من أشجارها وتقديره كلما رزقوا من أشجار البساتين التي أعدها الله للمؤمنين «من ثمرة رزقاً» أي أعطوا من ثمارها عطاءً واطعموا منها طعاماً لأن الرزق عبارة عما يصح الانتفاع به ولا يكون لأحد المنع منه «قالوا هذا الذي رزقنا من قبل» فيه وجوه ﴿ أحدها ﴾ أن ثمار الجنة إذا جثت من أشجارها عاد مكانها مثلها فيشبه عليهم فيقولون هذا الذي رزقنا من قبل هذا قول أبي عبيدة ويحيى بن كثير (وثانيها) أن معناه هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا عن ابن عباس وابن مسعود وقيل هذا الذي وعدنا به في الدنيا (وثالثها) معناه هذا الذي رزقناه من قبل في الجنة أي كالذي رزقنا وهم يعلمون أنه غيره ولكنهم شبهوه به في طعمه ولونه وريحه وطيبه وجودته عن الحسن وواصل قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله وأقوى الأقوال قول ابن عباس لأنه تعالى قال كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل فعم ولم يخص فأول ما أتوا به لا يتقدر فيه هذا القول إلا بأن يكون إشارة إلى ما تقدم رزقه في الدنيا ويكون التقدير هذا مثل الذي رزقناه في الدنيا لأن ما رزقوه في الدنيا قد عدم فاقام المضاف إليه مقام المضاف كما أن القائل إذا قال لغيره أعددت لك طعاماً ووصفه له يحسن أن يقول هذا طعامي في منزلي يريد مثله ومن جنسه وقوله «وأتوا به» أي جيئوا به وليس معناه أعطوه وقوله «متشابهاً» فيه وجوه ﴿ أحدها ﴾ أنه أراد متشابهاً في اللون مختلفاً في الطعم عن ابن عباس ومجاهد (وثانيها) أن كلها متشابهة في الجودة خيار لا رذل فيه عن الحسن وقناة واختاره الاخفش قال وهذا كما يقول القائل وقد جيء بأشياء فاضة فاشتبهت عليه في الفضل لا أدري ما اختار منها كلها عندي فاضل كقول الشاعر

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَأَقِيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ أَلْتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي

يعني أنهم قد تساوا في الفضل (وثالثها) أنه يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أطيب عن عكرمة (ورابعها) أنه يشبه بعضه بعضاً في اللذة وجميع الصفات عن أبي مسلم (وخامسها) أن التشابه من حيث الموافقة فالخادم يوافق المسكن والمسكن يوافق الفرش وكذلك جميع ما يليق به وقوله «ولهم فيها أزواج» قيل هن الحور العين وقيل هن من نساء الدنيا قال الحسن هن عجائزكم العصب الرمص العمش طهرن من قدرات الدنيا «مطهرة» قيل في الأبدان والأخلاق والأعمال فلا يحضن ولا يلدن ولا يتغوطن ولا يبلن قد طهرن من الأقدار والآثام وهو قول جماعة المفسرين «وهم فيها» أي في الجنة «خالدون» يعني دائمون يبقون بقاء الله لا انقطاع لذلك ولا نفاذ لأن النعمة تتم بالخلود والبقاء كما تنتقص بالزوال والفناء والخلود هو الدوام من وقت مبتداً ولهذا لا يقال لله تعالى خالد

قوله تعالى (٢٦) إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ

بهذا مثلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (آية)

﴿ القراة ﴾

يستحي بيانين وروي عن ابن كثير يستحي بيا واحدة ووجه هذه القراة أنه استقل اجتماع اليائين حذف احداهما وهي لغة بني تميم

﴿ اللغة ﴾

الاستحياء من الحياء ونقيضه القحة والضرب يقع على جميع الاعمال الا قليلا يقال ضرب في التجارة وضرب في الارض وضرب في سبيل الله وضرب بيده الى كذا وضرب فلان على يد فلان اذا فسد عليه امر اخذ فيه وضرب الامثال اغاها وجعلها تسير في البلاد يقال ضربت القول مثلا وارسلته مثلا وما اشبه ذلك والبعض الترقس وهو صغار البق الواحدة بعوضة والمثل والمثل كالشبه والشبه قال كعب بن زهير

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ لَنَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهُ إِلَّا الْأَبَاطِيلُ

والفسق والفسوق الترك لأمر الله وقال الفراء الفسق الخروج عن الطاعة تقول العرب فسقت الرطبة عن قشرها اذا

خرجت ولذلك سميت الفارة فويسقة لخروجها من جحرها

﴿ الاعراب ﴾

ما في قوله ما بعوضة بالنصب فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ أن تكون ما مزيدة ومماها التوكيد كما في قوله فبارحمة من الله لنت لهم وتقديره ان الله لا يستحي ان يضرب بعوضة مثلا او مثلا بعوضة فيكون بعوضة مفعولا ثانيا يضرب (وثانيتها) ان يكون ما نكرة مفسرة بعوضة كما يكون نكرة موصوفة في قوله تعالى هذا ما لدي عتيد فيكون تقديره لا يستحي أن يضرب مثلا شيئا من الأشياء بعوضة فتكون بعوضة بدلا من شيئا (وثالثها) ما يحكى عن الفراء أن معناه ما بين بعوضة الى ما فوقها كما يقال مطرنا ما زبالا الى التغلية وله عشرون ما ناقة جحلا وهي احسن الناس ما قرنا فقدمنا يعنون ما بين في جميع ذلك والاختيار عند البصريين الوجه الاول وانما اختير هذا الوجه لأن ضرب ههنا بمعنى جعل جاز أن يتعدى الى مفعولين ويدخل على المبتدأ والخبر وفي التنزيل ما يدل عليه وهو قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء فمثل الحياة مبتدأ وكاء خبره وفي موضع آخر واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما فدخل اضرب على المبتدأ والخبر فصار بمنزلة قولك ظننت زيدا كعمرو ويجوز في الأعراب الرفع في بعوضة وإن لم تجز القراة به وفيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ أن يكون خبرا للمبتدأ محذوف في صلة ما فكأنه قال الذي هو بعوضة كقراة من قرأ تماما على الذي احسن بالرفع وهذا عند سيويه ضعيف وهو في الذي أقوى لأن الذي اطول وليس الذي مذهب غير الاسماء (والثاني) على الجواب كأنه لما قيل ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما قيل ما هو فقيل بعوضة اي هو بعوضة كما تقول مررت برجل زيد اي هو زيد فتكون ما على هذا الوجه نكرة مجردة من الصفة والصلة وقوله فأما الذين آمنوا لغة العرب جميعا بالتشديد وكثير من بني تميم يقولون ايا فلان فيفعل كذا وانشد بعضهم

مُبْتَلَةٌ هَيْفًا أَيْمًا وَشَاحُهَا فَيَجْرِي وَأَيْمًا الْجَلُّ مِنْهَا فَلَا يَجْرِي

وهي كلمة تجي في شئين او اشياء يفصل القول بينهما كقولك اما زيد فحسن واما عمرو فسي فزيد مبتدأ وحسن خبره وفيها معنى الشرط والجزاء وتقديره مها يكن من شيء فزيد محسن ثم اقيم امام مقام الشرط فيحصل اما فزيد محسن ثم اخر الفاء الى الخبر لاصلاح اللفظ ولكراهة ان تقع الفاء التي للتعقيب في اول الكلام فقوله الذين آمنوا على هذا يكون مبتدأ ويعملون خبره وكذلك الذين كفروا مبتدأ ويقولون خبره وقوله ماذا اراد الله بهذا مثلا ما استفهام وهو اسم في موضع الرفع بالابتداء وذا بمعنى الذي وصلته ما بعده وهو في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ

تقديره اي شي . الذي اراد الله فعلى هذا يكون الجواب رفعا كقولك البيان لعال الذي ضرب له المثل ويمتثل ان يكون ما وذا بمنزلة اسم واحد تقديره اي شي . اراد الله فيكون في موضع نصب بانه مفعول اراد فعلى هذا يكون الجواب نصبا كقولك البيان لخال من ضرب له المثل ومثال الأول قوله تعالى ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ومثال الثاني قوله ماذا انزل ربكم قالوا خيرا ومثلامنصوب على الحال وقيل على القطع وقيل على التفسير

﴿ النزول ﴾

روي عن ابن مسعود وابن عباس ان الله تعالى لا ضرب المثلين قبل هذه الآية للمتأفقين يعني قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقوله او كصيب من السماء قال المنافقون الله اعلى واجل من ان يضرب هذه الامثال فانزل الله تعالى هذه الآية وروي عن قتادة والحسن لا ضرب المثل بالذباب والعنكبوت تكلم فيه قوم من المشركين وعابوا ذكره فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

«ان الله لا يستحي» اي لا يدع وقيل لا يمتنع لان احدنا اذا استحيى من شي . تركه وامتنع منه ومعناه ان الله لا يدع ضرب المثل بالاشياء الحقيرة لحقارتها اذا رأى الصلاح في ضرب المثل بها وقيل معناه هو ان الذي يستحيى منه ما يكون قبيحا في نفسه ويكون لفاعه عيب في فعله فأخبر الله تعالى ان ضرب المثل ليس بقبيح ولا عيب حتى يستحيى منه وقيل معناه انه لا يخشى أن يضرب مثلا كما قال وتخشى الناس والله احق أن تخشاه اي تستحيى الناس والله احق ان تستحييه فالاستحيا بمعنى الحشية هنا كما ان الحشية بمعنى الاستحيا هناك واصل الاستحيا الانقباض عن الشي . والامتناع منه خوفا من موقعة القبيح قال علي بن عيسى معناه انه ليس في ضرب المثل بالحقير للحقير عيب يستحيى منه فكأنه قال لا يجمل ضرب المثل بالبعوض محل ما يستحيى منه فوضع قوله إن الله لا يستحيى موضعه وقوله «مابعوضة فما فوقها» اي ما هو اعظم منها عن قتادة وابن جريج وقيل فما فوقها في الصغر والقة لان الغرض ههنا الصغر وقال الربيع بن أنس ان البعوضة تحي ماجعت فاذا سمعت ماتت فكذلك القوم الذين ضرب لهم هذا المثل اذا امتلأوا من الدنيا ريا اخذهم الله عند ذلك ثم تلا حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وروي عن الصادق عليه السلام انه قال انما ضرب الله المثل بالبعوضة لان البعوضة على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق في الفيل مع كبره وزيادة عضوين آخرين فاراد الله تعالى ان ينبه بذلك المؤمنين على لطيف خلقه وعجيب صنعه وقد استشهد على استحسان ضرب المثل بالشيء الحقير في كلام العرب بقول الفرزدق

ضَرَبْتَ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ يَنْسَجِهَا وَقَضَى عَلَيْكَ بِه الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ

ويقوله ايضا

وَهَلْ شَيْءٌ يَكُونُ اَدْلَ بَيِّنًا مِنْ الْيَرْبُوعِ يَحْتَفِرُ التُّرَابَا

وقوله «فأما الذين آمنوا» اي صدقوا محمدا والقرآن وقبلوا الاسلام «فيعلمون انه الحق من ربهم» مدحهم الله تعالى بأنهم تدبروا حتى علموا انه من ربهم وان المثل وقع في حقه «واما الذين كفروا» بالقرآن «فيقولون» اي فلا عراضهم عن طريق الاستدلال وانكارهم الحق قالوا «ماذا اراد الله بهذا مثلا» اي ماذا اراد الله بهذا المثل فحذف الالف واللام وقوله «يضل به كثير ويهدي به كثيرا» فيه وجهان ﴿احدهما﴾ حكى عن الفراء انه قال انه حكاية عن قال ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به قوم ويهدي به قوم ثم قال الله تعالى «وما يضل به الا الفاسقين» بين تعالى انه لا يضل الا فاسقا ضالا وهذا وجه حسن والاخر انه كلامه تعالى ابتداء وكلاهما محتمل فاذا كان محمولا على هذا فمعنى قوله يضل به كثيرا ان الكفار يكذبون به وينكرونه ويقولون ليس هو من عند الله فيضلون بسببه واذا حصل الضلال بسببه اضيف اليه وقوله ويهدي به كثيرا يعني

الذين آمنوا به وصدقوه وقانوا هذا في موضعه فلما حصلت الهداية بسببه اضيف اليه فعنى الاضلال على هذا تشديد الامتحان الذي يكون عنده الضلال وذلك بأن ضرب لهم الأمثال لأن الحنة اذا اشتدت على الممتحن فضل عندها سميت اضلالا واذا سهلت فاهتدى سميت هداية فالعنى ان الله تعالى يمتحن بهذه الامثال عباده فيضل بها قوم كثير ويهتدي بها قوم كثير ومثله قوله رب انهن أضللن كثيرا من الناس اي ضلوا عندها وهذا كما يقال الرجل اذا ادخل القضة النار لينظر فسادها من صلاحها فظهر فسادها افسدت فضتك وهو لم يفعل فيها الفساد وانما يراد ان فسادها ظهر عند محنته وقرب من ذلك قولهم فلان اضل ناقته ولا يريدون انه اراد ان يضل وانما يريدون ضلت منه لامن غيره وقولهم افسدت فلانة فلانا واذهبت عقله وهي ربما لم تعرفه ولكن لما ذهب عقله وفسد من اجلها اضيف الفساد اليها وقد يكون الاضلال بمعنى التخلية على جهة العقوبة وترك المنع بالقهر ومنع اللطاف التي تفعل بالمومنين جزاء على ايمانهم وهذا كما يقال ان لا يصلح سيفه افسدت سيفك اريد به انك لم تحدث فيه الاصلاح في كل وقت بالصقل والاحداد وقد يكون الاضلال بمعنى التسمية بالاضلال والحكم به كما يقال اضله اذا نسبه الى الضلال واكفره اذا نسبه الى الكفر قال الكمي

فَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرُوا نِيَّيْكُمْ وَيُحِجُّكُمْ
وَطَائِفَةٌ قَالُوا مَسِيءٌ وَمُنْذِبٌ

وقد يكون الاضلال بمعنى الاهلاك والعذاب والتدمير ومنه قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعي يوم يسحبون في النار على وجوههم ومنه قوله تعالى انذا ضللنا في الأرض اي هلكنا وقوله والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم اي لن يبطل سيديهم ويصلح بهم فعلى هذا يكون المعنى ان الله تعالى يهلك ويعذب بالكفر به كثيرا بأن يضلهم عن الثواب وطريق الجنة بسببه فيهلكوا ويهدي الى الثواب وطريق الجنة بالايان به كثيرا عن ابي علي الجبائي ويدل على ذلك قوله وما يضل به الا الفاسقين لانه لا يخلو من ان يكون اراد به العقوبة على التكذيب كما قلناه او يكون اراد به التحجير والتشكيك فإن اراد الحيرة فقد ذكر انه لا يفعل الا بالفاسق المتحير الشاك فيجب ان لا تكون الحيرة المتقدمة التي بها صاروا فاسقا من فعله الا اذا وجدت حيرة قبلها ايضا وهذا يوجب وجود ما لا نهاية له من حيرة قبل حيرة لا الى اول او ثبوت اضلال لا اضلال قبله واذا كان ذلك من فعله فقد اضل من لم يكن فاسقا وهو خلاف قوله وما يضل به الا الفاسقين وعلى هذا الوجه فيجوز ان يكون حكم الله تعالى عليهم بالكفر وبرائته منهم ولعنته عليهم اهلاكا لهم ويكون اهلاكا اضلالا وكل ما في القرآن من الاضلال المنسوب الى الله تعالى فهو بمعنى ما ذكرناه من الوجوه ولا يجوز ان يضاف الى الله تعالى الاضلال الذي اضافه الى الشيطان والى فرعون والسامري بقوله ولقد اضل منكم جبلا كثيرا وقوله واضل فرعون قومه وقوله واضلهم السامري وهو ان يكون بمعنى التليس والتغليط والتشكيك والايقاع في الفساد والضلال وغير ذلك مما يورث الى التظلم والتجوير على ما يذهب اليه المجبرة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

﴿ فصل في حقيقة الهداية والهدى ﴾

واذ قد ذكرنا اقسام الاضلال وما يجوز اضافته الى الله تعالى منها وما لا يجوز فلنذكر اقسام الهداية التي هي ضده اعلم ان الهداية في القرآن تقع على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان تكون بمعنى الدلالة والارشاد يقال هداه الطريق وللطريق والى الطريق اذا دل عليه وهذا الوجه عام لجميع المكلفين فإن الله تعالى هدى كل مكلف الى الحق بأن دله عليه وارشده اليه لانه كلفه الوصول اليه فالولم يدل عليه لكان قد كلفه بما لا يطيق ويدل عليه قوله تعالى ولقد جاءهم من ربهم الهدى وقوله انا هدينا السبيل وقوله انزل فيه القرآن هدى للناس وقوله واما ثود فهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى وقوله انك تهدي الى صراط مستقيم وقوله وهدينا النجدين وما اشبه ذلك من الآيات (وثانيها) ان يكون بمعنى زيادة اللطاف التي بها يثبت على الهدى ومنه قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى

اي شرح صدورهم وثبتها (وثالثها) أن يكون بمعنى الاثابة ومنه قوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم وقوله والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيديهم ويصلح بالهم والهداية التي تكون بعد قتلهم هي اثابتهم لا محالة لأنه ليس بعد الموت تكليف (ورابعها) الحكم بالهداية كقوله تعالى ومن يهد الله فهو المهتد وهذه الوجوه الثلاثة خاصة بالمؤمنين دون غيرهم لأنه تعالى انما يثيب من يستحق الاثابة وهم المؤمنون ويزيدهم بايمانهم وطاعتهم الطافا ويحكم لهم بالهداية لذلك ايضا (وخامسها) ان تكون الهداية بمعنى جعل الانسان مهتديا بان يخلق الهداية فيه كما يجعل الشيء متحركا بخلق الحركة فيه والله تعالى يفعل العلوم الضرورية في القلوب فذلك هداية منه تعالى وهذا الوجه ايضا عام لجميع العقلاء كالوجه الاول فاما الهداية التي كلف الله تعالى العباد فعلها كالايان به وبانيائه وغير ذلك فانها من فعل العباد ولذلك يستحقون عليها المدح والثواب وان كان الله سبحانه قد انعم عليهم بدلاتهم على ذلك وارشادهم اليه ودعائهم الى فعله وتكليفهم اياه وامرهم به فهو من هذا الوجه نعمة منه سبحانه عليهم ومنه واصله اليهم وفضل منه واحسان لديهم فهو سبحانه مشكور على ذلك محمود اذ فعل بتمكينه والطاقه وضروب تسهلاته ومعوناته

قوله تعالى (٢٧) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

النقض نقيض الابرام والعهد العقد والعهد الموثق والعهد الالتقاء وهو قريب العهد بكذا وعهد الله وصيته وامره يقال عهد الخليفة الى فلان بكذا اي امره واوصاه به ومنه قوله تعالى لم اعهد اليكم يا بني آدم والميثاق ما وقع التوثيق به كما ان الميثاق ما وقع التوقيت به ويقال فلان ثقة يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويقال ثقات في الرجال والنساء والقطع الفصل بين الشئين واصل ذاك في الاجسام ويستعمل ذلك ايضا في الاعراض تشبيها به يقال قطع الجبل وقطع الكلام والامر هو قول القائل لمن دونه افعل هذه صيغته ثم يصير امرا بارادة الامر للمأمور به وصيغة الامر تستعمل في الاباحة نحو قوله فاصطادوا وفي التهديد نحو قوله اعلموا ما شئتم وفي التحدي نحو قوله فأتوا بسورة من مثله وفي التكوين كقوله كن فيكون والاصل في الجميع الطلب والوصل نقيض الفصل وهو الجمع بين شئين من غير حاجز والخسران النقصان والخسار الهلاك والخاسرون الهالكون واصل الخسران ذهاب رأس المال

﴿ الاعراب ﴾

الذين ينقضون في موضع النصب لأنها صفة الفاسقين واولئك مبتدأ والخاسرون خبره وهم فصل ويجوز أن يكون مبتدأ والخاسرون خبره والجملة خبر اولئك وقوله من بعد ميثاقه من مزيدة وقيل معناه ابتداء الغاية والهاء في ميثاقه عائد الى العهد ويجوز أن يكون عائداً الى اسم الله تعالى وقوله ان يوصل بدل من الهاء التي في به اي ما امر الله بأن يوصل فهو في موضع جر به

﴿ المعنى ﴾

ثم وصف الله الفاسقين المذكورين في الآية فقال هم «الذين ينقضون عهد الله» اي يهدمونه لايقون به وقيل في عهد الله وجوه ﴿ احدها ﴾ انه ما ركب في عقولهم من ادلة التوحيد والعدل وتصديق الرسل وما احتج به لرسله من المعجزات الشاهدة لهم على صدقهم ونقضهم لذلك تركهم الاقرار بما قد بُيئت لهم صحته بالأدلة (وثانيها) انه وصية الله الى خلقه على لسان رسوله بما أمرهم به من طاعته ونهاهم عنه من معصيته فنقضهم لذلك تركهم العمل به (وثالثها) ان المراد به كفار اهل الكتاب وعهد الله الذي نقضوه «من بعد ميثاقه» هو ما اخذه عليهم

في التوراة من اتباع محمد (ص) والتصديق بما جاء به من عند ربه ونقضهم لذلك هو وجودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وكنانهم ذلك عن الناس بعد ان اخذ الله ميثاقهم ليبيئته للناس ولا يكتفونهم وانهم ان جاءهم نذير آمنوا به فلما جاءهم النذير ازدادوا نفورا ونبذوا العهد وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا واختار هذا الوجه الطبري (ورابعها) انه العهد الذي اخذه عليهم حين اخرجهم من صلب آدم كما وردت به القصة وهذا الوجه ضعيف لأنه لا يجوز ان يحتج على عباده بعهد لا يذكرونه ولا يعرفونه ولا يكون عليه دليل وقوله تعالى «ويقطعون ما امر الله به ان يوصل» معناه امروا بصله النبي (ص) والمؤمنين فقطعوه عن الحسن وقيل امروا بصله الرحم والقراية فقطعوها عن قتادة وقيل امروا بالايمان بجميع الانبياء والكتب ففروا وقطعوا ذلك وقيل امروا بان يصلوا القول بالعمل ففروا بينهما بان قالوا ولم يعملوا وقيل معناه الامر بوصل كل من امر الله بصلته من اوليائه والقطع والبراءة من أعدائه وهذا اقوى لأنه أهم ويدخل فيه الجميع وقوله «ويفسدون في الارض» قال قوم استدعواهم إلى الكفر هو الفساد في الارض وقيل اخافتهم السبيل وقطعهم الطريق وقيل نقضهم العهد وقيل اراد كل معصية تعدى ضررها إلى غير فاعلها والأولى جملة على العموم «او تلك هم الخاسرون» اي اهلكوا انفسهم فهم بمنزلة من هلك رأس ماله وروي عن ابن عباس ان كل ما نسب الله تعالى من الخسار إلى غير المسلمين فإنما عني به الكفر وما نسب إلى المسلمين فإنما عني به الدنيا

قوله تعالى (٢٨) كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء على ان الفعل لهم والباقون بضم التاء وفتح الجيم على ما لم يسم فاعله

﴿ الاعراب ﴾

كيف في الاصل سؤال عن الحال ويتضح ذلك في الجواب اذا قيل كيف رايت زيدا فتقول مسرورا أو مهسوما وما اشبه ذلك فتجيب باحواله فكيف ينتظم جميع الاحوال كما انكم ينتظم جميع العدد وما ينتظم جميع الجنس واين ينتظم جميع الاماكن ومن ينتظم جميع العقلا ومعناه في الآية التوبيخ وتقديره امتعلقين بحجة تكفرون فيكون منصوب الموضع على الحال والعامل فيه تكفرون وقال الزجاج هو استفهام في معنى التعجب وهذا التعجب انما هو للخلق او للمؤمنين اي اعجبوا من هولاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم ومعنى وكنتم وقد كنتم والواو واو الحال واضمار قد جاز اذا كان في الكلام دليل عليه ومثله قوله تعالى اوجاؤكم حصرت صدورهم اي قد حصرت صدورهم وهي جملة في موضع الحال وانما وجب اظهار قد في مثل هذا او تقديرها لأن الماضي لا يكون حالا وقد انا يكون لتقريب العهد ولتقريب الحال فبدخوله يصلح ان يكون الفعل الماضي حالا

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد الله تعالى إلى الاحتجاج على الكفار في انكارهم البعث ووجودهم لرسله وكتبه بما انعم به عليهم فقال «كيف تكفرون بالله» ومن قال هو توبيخ قال معناه ويحكم كيف تكفرون كما يقال كيف تكفر نعمة فلان وقد احسن اليك ومن قال هو تعجب قال تقديره عجايب منكم على اي حال يقع منكم الكفر بالله مع الدلائل الظاهرة على وحدانيته والمعجزات القاهرة على صدق من اختصه برسالاته وقيام الحجج الباهرة على وجوب طاعته وشكر نعمته ثم ذكر سبحانه بعض نعمه عليهم فقال «وكنتم امواتا فأحياكم» اي وحالكم انكم كنتم امواتا وفيه وجوه ﴿ احدها ﴾ انهم كانوا امواتا في اصلا بآبائهم يعني نطفة فأجابهم الله ثم اماتهم المروثة التي لا بد منها

ثم احياهم بعد الموت فهما حياتان وموتتان عن قتادة (وثانيها) ان معناه لم تكونوا شيئاً فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة عن ابن عباس وابن مسعود (وثالثها) ان معناه كنتم امواتا يعني خاملي الذكر فاحياكم بالظهور ثم يميتكم عند تقضي آجالكم ثم يحييكم بالبعث والعرب تسمي كل امرئ «خامل ميتاً وكل امرئ مشهور حياً» كما قال ابو نخيلة السعدي

فَأَحْيَيْتَ مِنْ ذِكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلاً وَلَكِنْ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

(ورابعها) ان معناه كنتم نطفة في اصلاب آبائكم وبطون امهاتكم والنطفة موت فخرجكم الى دار الدنيا احياء «ثم يميتكم ثم يحييكم» في القبر للمساءلة «ثم اليه ترجعون» اي يميتكم يوم الحشر للحساب والمجازاة على الاعمال وسمي الحشر رجوعاً الى الله تعالى لانه رجوع الى حيث لا يكون احد يتولى الحكم فيه غير الله كما يقال رجوع امر القوم الى الامير ولا يراد به الرجوع من مكان الى مكان وانما يراد به ان النظر صار له خاصة دون غيره وانما بدأ الله تعالى بذكر الحياة من بين سائر النعم التي انعم بها على العبد لان اول نعمة انعم الله بها عليه خلقه اياه حياً لينفعه وبالحياة يتمكن الانسان من الانتفاع والالتذاذ وانما عد الموت من النعم وهو يقطع النعم في الظاهر لان الموت يقطع التكليف فيصل المكلف بعده الى الثواب الدائم فهو من هذا الوجه نعمة وقيل انما ذكر الموت لتام الاحتجاج لا لكونه نعمة وفي هذه الآية دلالة على انه تعالى لم يرد من عباده الكفر ولا خلقه فيهم لانه لو اراده منهم ان يخلقهم لم يجز ان يضيفه اليهم بقوله كيف تكفرون بالله كما لا يجوز ان يقول لهم كيف اولم كنتم طوالاً او قصاراً وما اشبه ذلك مما هو من فعله تعالى فيهم

قوله تعالى (٢٩) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (آية)

﴿اللغة﴾

اصل الخلق التقدير والجمع الضم ونقيضه الفرق وسميت الجمعة جمعة لاجتماع الناس والاستواء الاعتدال والاستقامة ونقيضه الاعوجاج والسبع للمونث والسبعة للمذكر والسبع مشتق من ذلك لانه مضاعف القوى كانه ضعف سبع مرات والعليم في معنى العالم قال سيويه اذا ارادوا المبالغة عدلوا الى فيعل نحو عليم ورحيم

﴿المعنى﴾

قال المفسرون لما استعظم المشركون امر الاعداء عرفهم الله تعالى خلق السموات والارض ليدلهم بذلك على قدرته على الاعداء فقال «هو الذي خلق لكم» اي لا جلكم «ما في الارض جميعاً» ما في موضع نصب بأنه مفعول بها ومعناه ان الارض وجميع ما فيها نعم من الله تعالى مخلوقة لكم اما دينية فتستدلون بها على معرفته واما دنيوية فتنتفعون بها بضر وبالنفع عاجلاً وقوله «ثم استوى الى السماء» فيه وجوه ﴿احدها﴾ ان معناه قصد للسماء ولتسويتها كقول القائل كان الامير يدير امر الشام ثم استوى الى اهل الحجاز اي تحول تدبيره وفعله اليهم (وثانيها) انه بمعنى استوى على السماء بالقهر كما قال لتستوا على ظهوره اي تقهره ومنه قوله ولما بلغ اشده واستوى اي تمكن من امره وقهره واه بعمقه فعلى هذا يكون معناه ثم استوى الى السماء في تفرد به ملكها ولم يجعلها كالارض ملكاً خلقه ومنه قول الشاعر

فَلَمَّا عَلَوْنَا وَأَسْتَوَيْنَا عَلَيْهِمْ
تَرَكْنَاهُمْ صَرَعى لِنَسْرِ وَكَايِرِ

وقال آخر

ثُمَّ أَسْتَوَى بِشَرِّهِ عَلَى الْعِرَاقِ
مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقِ

(وثالثها) ان معناه ثم استوى امره وصعد الى السماء لان اوامره وقضايه تنزل من السماء الى الارض عن ابن عباس (ورابعها) ماروي عن ثعلب احمد بن يحيى انه سئل عن معنى الاستواء في صفة الله عز وجل فقال

الاستواء الاقبال على الشيء. يقال كان فلان مقبلا على فلان يشتمه ثم استوى علي والي يكلمني على معنى اقبل الي وعلي فهذا معنى قوله ثم استوى الى السماء وقوله «فسويهن سبع سماوات» التسوية جعل الشئين او الاشياء على استواء. يقال سويت الشئين فاستويا وانما قال فسويهن لجمع الضمير العائد الى السماء لأن السماء اسم جنس يدل على القليل والكثير كقولهم اهلك الناس الدينار والدرهم وقيل السماء جمع سماوة وسماة ولذلك يؤنث مرة ويذكر اخرى فقيل السماء منظر به كما يفعل ذلك بالجمع الذي بينه وبين واحده الها. نحو نخل ونخلة وبقرة وبقرة وقيل ان السماوات كانت سما فوق سما. فهي في التقدير واحدة ويكون واحده جماعة كما يقال ثوب اخلاق واسمال وبرقة اعشار وارض اعقال والمعنى ان كل ناحية منها كذلك فجمع على هذا والمعنى جعلهن سبع سموات مستويات بلا فطور ولا امت قال علي بن عيسى ان السموات غير الافلاك لأن الافلاك تتحرك وتدور والسموات لا تتحرك ولا تدور لقوله ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا وهذا قول ضعيف لأن قوله ان تزولا معناه لا تزول عن مراكزها التي تدور عليها ولولا امساكها لزلت عنها

﴿سؤال﴾

ظاهر قوله تعالى ثم استوى الى السماء يوجب انه خلق الارض قبل السماء لأن ثم للتعقيب والتراخي وقوله في سورة اخرى والارض بعد ذلك دحاها بخلافه فكيف يجمع بينهما الجواب معناه ان الله خلق الارض قبل السماء غير انه لم يدحاها فلما خلق السماء دحاها بعد ذلك ودحاها بسطها ومدحا عن الحسن وعمر بن عبيد وقد يجوز أيضا ان لا يكون معنى ثم وبعد في هذه الآيات الترتيب في الاوقات وانما هو على جهة تعداد النعم والتنبية عليها والاذكار لها كما يقول القائل لصاحبه اليس قد اعطيتك ثم رفعت منزلتك ثم بعد هذا كله فعلت بك وفعلت وربما يكون بعض ما ذكره متقدما في اللفظ كان متأخرا لأن المراد لم يكن الاخبار عن اوقات الفعل وانما المراد التذكير كما ذكرناه وقوله «وهو بكل شيء عليم» ولم يقل قدير لأنه لما وصف نفسه بالقدرة والاستيلاء وصل ذلك بالمعلم اذ بهما يصح وقوع الفعل على وجه الاتقان والاحكام وايضا فإنه اراد ان يبين انه عالم بما يؤول اليه حاله وحال المنعم به عليه فتحقق بذلك النعمة وفي هذه الآية دلالة على ان صانع السماء والارض قادر وعالم وانه تعالى انما يفعل الفعل لغرض وان له تعالى على الكفار نعمما يجب شكره عليهم بها وفيها ايضا دلالة على ان الاصل في الاشياء الاباحة لأنه ذكر انه خلق ما في الارض لنعمة العباد ثم صار حظا لكل واحد منهم فما يتفرد كل منهم بالتصرف فيه يحتاج الى دليل

قوله تعالى (٣٠) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (آية)

﴿اللفظة﴾

القول موضوع في كلام العرب للحكاية نحو قولك قال زيد خرج عمرو والرب السيد يقال رب الدار ورب الفرس ولا يقال الرب بالالف واللام الا الله تعالى واصله من ربيته اذا قت بأمره ومنه قيل للعالم رباني لأنه يقوم بأمر الامة والملائكة جمع ملك واختلف في اشتقاقه فذهب اكثر العلماء الى انه من اللوكة وهي الرسالة وقال الخليل اللوكة الرسالة وهي المألكة والمالكة على مفعلة وقال غيره انما سميت الرسالة الوكا لأنها تولك في النعم اي تضع والفرس تألك اللجام وتعلك قال عدي بن زيد

أَبْلَغًا النَّعْمَانَ عَنِّي مَأْلَكًا أَنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَأَنْتَظَارُ
وَيُرَى مَلِكًا وَقَالَ لَيْدِي وَغُلَامٌ أَرْسَلْتَهُ أُمَّهُ
بِأَلْوَكٍ فَبَدَّلْنَا مَا سَأَلَ

وقال الهذلي الكني إليهما وخير الرسول أعلمهم ينوحي الخبر

فالملائكة على هذا وزنها معافله لأنها مفاعلة مقاربة جمع ملاك في معنى مالك قال الشاعر

فَلَسْتُ لِأَنْسِي وَلَكِنْ لِلْمَلَائِكِ تَنْزَلُ مِنْ جِوَاءِ السَّمَاءِ يَصُوبُ

فوزن ملاك معفل مقلوب مالك مفعول ومن العرب من يستعمله مهوزا والجمهور منهم على القاء حركة الهمزة على اللام وحذفها فيقال ملك وذهب ابو عبيدة الى ان اصله من لاء اذا ارسل فملاك على هذا القول مفعول وملائكة مفاعلة غير مقاربة والميم في هذين الوجيهين زائدة وذهب ابن كيسان الى انه من الملك وان وزن ملاك فعال مثل شمال وملائكة فعائلة فالميم على هذا القول اصلية والهمزة زائدة والملك وان كان اصله الرسالة فقد صار صفة غالبية على صنف من رسل الله غير البشر كما ان السماء وان كان اصله الارتفاع فقد صار غالبا على السماوات المعروفة وقال اصحابنا رضي الله عنهم ان جميع الملائكة ليسوا برسول الله بدلالة قوله تعالى الله يصطني من الملائكة رسلا ومن الناس فلو كانوا كلهم رسلا لكان جميعهم مصطفين فعلى هذا يكون الملك اسم جنس ولا يكون من الرسالة والجمل والخلق والفعل والاحداث نظائر الا ان جعل قد يتعلق بالشيء لاعلى سبيل الابداع بخلاف الفعل والاحداث تقول جعلته متحركا وحقيقة الجعل تغيير الشيء عما كان عليه وحقيقة الفعل والاحداث الابداع والخليفة والامام واحدي الاستعمال الا ان بينهما فرقا فالحليفة من استخلف في الأمر مكان من كان قبله فهو مأخوذ من انه خلف غيره وقام مقامه والامام مأخوذ من التقدم فهو المتقدم فيا يقضي وجوب الاقتداء به وفرض طاعته فيا تقدم فيه والسفك صب الدم والدم قد اختلف في وزنه فقال بعضهم دمي على وزن فعل قال الشاعر

فَلَوْ أَنَا عَلَى حَجَرٍ ذُبِحْنَا جَرَى الدَّمِيَانِ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ

وقيل اصله دمي على وزن فعل والشاعر لما رد الياء في التثنية لقة الاسم حركة يعلم انه كان متحركا قبل ذلك والتسبيح التزيه لله تعالى عن سوء وعما لا يليق به والسبوح المستحق للتزيه والتعظيم والقدوس المستحق للتطهير والتقديس التطهير ونقيضه التنجيس والقدس السطل الذي يتطهر منه وقد حكى سيويه ان منهم من يقول سبوح قدوس بالفتح والضم اكثر في الكلام والفتح اقيس لانه ليس في الكلام فعول الاذوروح وسبحان اسم المصدر وقال سيويه سبحان الله معناه براءة الله من كل سوء وتزيه الله قال الاعشى

أَقُولُ لَمَّا جَاءَ فِي فَخْرِهِ سُبْحَانَ مِنْ عَاقِمَةِ الْفَآخِرِ

اي براءة منه قال وهو معرفة علم خاص لا ينصرف للتعريف والزيادة وقد اضطر الشاعر فنونه قال امية

سُبْحَانَهُ ثُمَّ سُبْحَانًا يَعُودُ لَهُ وَقَبْلَهُ سُبْحُ الْجُودِيِّ وَالْجُمُودِ

وهو مشتق من السبح الذي هو الذهاب ولا يجوز ان يسبح غير الله وان كان مازها لأنه صار علما في الدين على اعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها سواه كما ان العبادة هي غاية في الشكر لا يستحقها سواه

الاعراب

قال ابو عبيدة اذ هبنا زائدة وانكر الزجاج وغيره عليه هذا القول وقالوا ان الحرف اذا افاد معنى صحيحا لم يجز العاوة قال الزجاج ومعناها الوقت ولما ذكر الله تعالى خلق الناس وغيرهم فكانه قال ابتداء خلقكم اذ قال ربك للملائكة وقال علي بن عيسى تقديره اذ قال ربك للملائكة فوضع اذ نصب على اضمار فعل والواو عاطفة جملة على جملة واني جاعل في الارض خليفة جملة في موضع نصب بقال وقوله اتجعل فيها الى قوله ونقدس لك في موضع نصب بقالوا والواو في قوله ونحن واو الحال وتسمى واو القطع وواو الاستئناف وواو الابتداء وواو اذ كذا كان يمثلها سيويه ومثله الواو في قوله يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم

(*) هكذا في النسخ المخطوطة والمطبوعة وفي لسان العرب وقبلنا ولعله الاصح

اي اذ طائفة وكذا ههنا اذ نحن نسبح والعامل في الحال ههنا اتجمل كأنه قال اتجمل فيها من يفسد فيها وهذه حالنا والباء في بحمدك تتعلق بنسبح واللام من لك تتعلق بنقدس وما موصولة وصلته لا تعلمون والعاقد ضمير المفعول حذف لطول الكلام اي لا تعلمونه وهو في موضع النصب باعلم

﴿ المعنى ﴾

اذ كرامحمد «اذ قال ربك للملائكة» قيل انه خطاب لجميع الملائكة وقيل خطاب لمن اسكنه الارض بعد الجان من الملائكة عن ابن عباس «اني جاعل في الارض خليفة» اي خالقي في الارض خليفة اراد بالخليفة آدم (ع) فهو خليفة الله في ارضه يحكم بالحق الا انه تعالى كان اعلم ملائكته انه يكون من ذريته من يفسد فيها عن ابن عباس وابن مسعود وقيل انما سمي الله تعالى آدم خليفة لأنه جعل آدم وذريته خلفاء للملائكة لأن الملائكة كانوا من سكان الارض وقيل كان في الارض الجن فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فاهلكوا فجعل آدم وذريته بدلهم عن ابن عباس وقيل عني بالخليفة ولد آدم يخلف بعضهم بعضا وهم خلفوا اباهم آدم في اقامة الحق وعمارة الارض عن الحسن البصري وقيل اراد بالارض مكة لأن النبي (ص) قال دحيت الارض من مكة ولذلك سميت ام القرى وروي ان قبر نوح وهود وصالح وشعيب بين زمزم والركن والمقام والظاهر انها الارض المعروفة وهو الصحيح وقوله قالوا يعني الملائكة لله تعالى اتجمل فيها اي في الارض من يفسد فيها بالكفر والمعاصي ويسفك الدماء بغير حق وذكر فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ أن خلقا يقال لهم الجان كانوا في الارض فافسدوا فيها فبعث الله ملائكة اجلثهم من الارض وكان هو لاء الملائكة سكان الارض من بعدهم فقالوا ياربنا «اتجمل فيها من يفسد فيها» كما فعل بنو الجان قاسوا بالشاهد على الغائب وهو قول كثير من المفسرين (وثانيها) ان الملائكة انما قالت ذلك على سبيل الاستفهام وعلى وجه الاستخبار والاستعلام عن وجه المصلحة والحكمة لاعلى وجه الانكار ولا على سبيل الاخبار فكانهم قالوا يا الله ان كان هذا كما ظننا فعرفنا ما وجه الحكمة فيه (وثالثها) ان الله تعالى اخبر الملائكة بأنه سيكون من ذرية هذا الخليفة من يعصي ويسفك الدماء على ما روي عن ابن عباس وابن مسعود والغرض في اعلامه اياهم ان يزيدهم يقينا على وجه علمه بالغيب لأنه وجد بعد ذلك على ما اخبرهم به وقيل ليعلم آدم أنه خلق للأرض وللجنة فقالت الملائكة اتجمل فيها من يفعل كذا وكذا على وجه التعرف لما في هذا من التدبير والاستفادة لوجه الحكمة فيه وهذا الوجه يقتضي ان يكون في اول الكلام حذف ويكون التقدير اني جاعل في الارض خليفة واني عالم بانها سيكون في ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء حذف اختصارا وكذلك قوله «اتجمل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك» في ضمنه اختصار شديد اي فنحن على ما نظنه ويظهر لنا من الامر اولي بالخلافة في الارض لأننا نطيع وغيرنا يعصي وفي قوله «اني اعلم ما لا تعلمون» اختصار ايضا لأنه يتضمن اني اعلم من مصالح المكلفين ما لا تعلمونه وما يكون مخالفا لما تظنون على ظواهر الامور ومثل هذه الحذوف العجيبة والاختصارات البديعة كثيرة في القرآن والحذف معدود في انواع الفصاحة اذا كان فيها ابقى دليل على ما لقي وما جاء منه في الشعر قول الشنفرى

وَلَا تَقْبِرُونِي اِنْ قَبْرِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ خَامِرِي اَمْ عَامِر

اي لا تدفنونني بل دعوني تاكلني التي يقال لها خامري ام عامر يعني الضبع وقول ابي داود

اِنْ مِنْ شَيْمَتِي لَبَسْدُلٌ تِلَادِي دُونَ عَرَضِي فَاِنْ رَضِيَتْ فَكُونِي

اي فكوني على ما نت عليه وان سخطت فيني حذف وقال عنبرة

هَلْ تُبْلِغُنِي دَارَهَا شَدَقِيَّةٌ لَعِنْتَ بِمَجْرُومِ الشَّرَابِ مُصَرَّمٌ

اي دعى عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها فصارت كذلك والناقاة اذا كانت لا تنتج كانت اقوى على السير وانما ارادت الملائكة بقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ولد آدم الذين ليسوا بأنبياء ولا معصومين لا آدم

نفسه ومن يجري مجراه من الانبياء والمعصومين ومعنى قولهم ونحن نسبح بحمدك تشكلم بالحمد لك والنطق بالحمد لله تسبيح له كقوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم وانما يكون حمد الحامد لله سبحانه تسيحا لأن معنى الحمد لله الشاء عليه والشكر له وهذا تزيه له واعتراف بأنه اهل لأن يقره ويمعظم ويشئ عليه عن مجاهد وقيل معنى تسبح بحمدك نصلي لك كقوله فلولا انه كان من السبحين اي من المصلين عن ابن عباس وابن مسعود وقيل هو رفع الصوت بذكر الله عن الفضل ومنه قول جرير

قَبِّحَ الْإِلَٰهَ وَجُوهَ تَغَلَّبَ كُلَّمَا
سَبَّحَ الْحَجِيحُ وَكَبَّرُوا إِهْلَالَ

وقوله ونقدس لك اي نزهك عما لا يليق بك من صفات النقص ولا نضيف اليك القبائح فاللام على هذا زائدة اي نقديك وقيل نقدي لك اي نصلي لاجلك وقيل نظهر انفسنا من الخطايا والمعاصي قوله «اني اعلم ما لا تعلمون» قيل اراد ما اضره ابليس من الكبر والعجب والمعصية لا امره الله سبحانه بالسجود لا دم عن ابن عباس وابن مسعود وقيل اراد اعلم من في ذرية آدم من الانبياء والصالحين عن قتادة وقيل اراد به ما اختص الله تعالى بعلمه من تدبير الصالح وروي عن ابي عبد الله قال ان الملائكة سألت الله تعالى ان يجعل الخليفة منهم وقالوا نحن نقديك ونطيعك ولا نعصيك كغيرنا قال فلما اجيبوا بما ذكر في القرآن علموا انهم تجاوزوا ما لهم فلاذوا بالعرش استغفارا فامر الله تعالى آدم بعد هبوطه ان يبني له في الارض بيتا يلوذ به المخطئون فالاذ بالعرش الملائكة المقربون فقال الله تعالى للملائكة اني اعرف بالصلحة منكم وهو معنى قوله اعلم ما لا تعلمون وهذا يدل على انه تعالى لا يفعل التسبيح لأنه لو كان يحسن منه كل شيء لم يكن لهذا الكلام معنى لانه انما يفيد في الجواب متى حمل على انه اراد اني اعلم بالمصالح فافعل ما هو الاصلح

﴿النظم﴾

واتصال هذه الآية بما قبلها ان الله تعالى ذكر اول النعم له علينا وهي نعمة الحياة ثم ذكر بعده انعامه علينا بخلق الأرض وما فيها وبخلق السماء ثم اراد ان يذكر نعمته علينا بخلق ابناء آدم عليه السلام وما اعطاه من الفضيلة فكانه قال اذكر لهم كيف تكفرون بالله وقد فعل بكم كذا وكذا وانعم عليكم بكذا وكذا

قوله تعالى (٣١) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (آية)

﴿القراءة﴾

قرأ أهل المدينة وأهل البصرة هو لا بمدة واحدة ولا يدونها الاعلى قدر خروج الالف ويمدون اولاً كأنهم يجعلونه كلمتين والباقيون يمدون مدتين في كل القرآن فاما الهمزتان من كلمتين نحو هو لا ان كنتم صادقين ونحوها فايو جعفر ونافع برواية ورش وابن كثير برواية القواس ويعقوب يهمزون الاولى ويخففون الثانية ويشيرون بالكسرة اليها وكذلك يفعلون في كل همزتين متفتحتين تلتقيان من كلمتين مكسورتين كانتا او مضومتين او مفتوحتين فالمكسورتان على البغاء ان اردن والمضومتان او لياء او لثك ليس في القرآن غيره والمفتوحتان جاء احدكم وشاء أنشده وابو عمرو والبيزي يهمزون واحدة فيكون احديها اصلا اذا كانتا متفتحتين ونافع برواية اسماعيل وابن كثير برواية ابن فليح بتلين الاولى وتحقيق الثانية واذا اختلفتا فاتفتحا على همز الاولى وتلين الثانية نحو السفهاء الا والبغضاء الى يوم القيامة فاما ابن عامر وعاصم والكسائي فانهم يهمزون همزتين في جميع ذلك متفتحتين كانتا او مختلفتين اما الحذف والتلين فالتخفيف واما الهمز فلا حمل على الأصل

﴿اللغة﴾

في اشتقاق آدم قولان ﴿احدهما﴾ انه مأخوذ من اديم الارض فاذا سميت به في هذا الوجه ثم نكرته

صرفته (والثاني) أنه مأخوذ من الأدمة على معنى اللون والصفة فإذا سميت به في هذا الوجه ثم نكرته لم تصرفه والادمة والسمره والدكنة والورقة متقاربة المعنى وآدم ابو البشر عليه السلام قال صاحب العين الادمة في الناس شربة من سواد وهي السمرة وفي الابل والظباء بياض وكل لفظه عموم على وجه الاستيعاب وحقيقته للأحاطة بالأبغاض يقال ابغض القوم جاءك ام كلهم ويكون تأكيداً مثل اجمعون الا أنه يبدأ في الذكور بكل كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون لأن كلا قد يلي العوامل واجمعون لا يكون الا تلبعا والعرض من قولم عرضت الشيء عليه وعرضت الجند قال الزجاج اصله في اللغة الناحية من نواحي الشيء فمن ذلك العرض خلاف الطول وعرض الرجل ما يدح به او يذم ويقال عرضه خليفته المحمودة ويقال عرضه حسبه وقال علي بن عيسى هو ناحيته التي يصونها عن المكروه والسب والعرض ما يعرض في الجسم ويغير صفته ويقال عرضت المتاع على البيع عرضا اي اظهرته حتى عرفت جهته والانباء والاعلام والأخبار واحد والنبأ الخبر ويقال منه انبأته ونبأته وانبأوني باسماء هو لاء اي اخبروني بها وأما المتعدي الى ثلاثة مفاعيل نحو انبأت زيدا عمراً خير الناس وكذلك نبأت فهو هذا في الاصل الا أنه حمل على المعنى فعدي الى ثلاثة مفاعيل لأن الانباء بمعنى الاعلام ودخول هذا المعنى فيه وحصول مشابهته للاعلام لم يخرجها عن الاصل الذي هو له من الاخبار وعن أن يتعدى الى منغولين احدهما بالباء او بمن نحو نبئهم عن ضيف ابراهيم والنبوة اذا اخذت من الانباء فهي مهوزة فقد روي عن النبي (ص) انه قال لا تنبئن باسمي لرجل قال له يا نبي الله مهوزا والنبي بغير همز الطريق الواضح يأخذ بك الى حيث تريد والفرق بين الاعلام والأخبار ان الاعلام قد يكون بخلق العلم الضروري في القلب كما خلق الله من كمال العقل والعلم بالمشاهدات وقد يكون بنصب الأدلة على الشيء والاخبار هو اظهار الخبر علم به او لم يعلم ولا يكون مخبراً بما يحدثه من العلم في القلب كما يكون معلماً بذلك

﴿ المعنى ﴾

ثم ابان سبحانه وتعالى للملائكة فضل آدم عليهم وعلى جميع خلقه بما خصه به من العلم فقال سبحانه وتعالى «وعلم آدم الاسماء كلها» اي علمه معاني الاسماء بلا معان لا فائدة فيها ولا وجه لاشارة الفضية بها وقد نبه الله تعالى الملائكة على ما فيها من لطيف الحكمة فاقروا عند ما سئلوا عن ذكرها والاخبار عنها انه لا علم لهم بها فقال الله تعالى «يا آدم انبئهم باسمائهم» عن قتادة وقيل انه سبحانه علمه جميع الاسماء والصناعات وعمارة الارضين والاطعمة والادوية واستخراج المعادن وغرس الاشجار ومنافعها وجميع ما يتعلق بعمارة الدين والدنيا عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعن اكثر المتأخرين وقيل انه علمه اسماء الاشياء كلها ما خلق وما لم يخلق بجميع اللغات التي يتكلم بها ولده بعده عن ابي علي الجبائي وعلي بن عيسى وغيرهما قالوا فاخذ عنه ولده اللغات فلما تفرقوا تكلم كل قوم بلسان القوم واعتادوه وتطاول الزمان على ما خالف ذلك فسوه ويجوز ان يكونوا عالمين بجميع تلك اللغات الى زمن نوح (ع) فلما اهلك الله الناس الانوحا ومن تبعه كانوا هم العارفين بتلك اللغات فلما كثروا وتفرقوا اختار كل قوم منهم لغة تكلموا بها وتركوا ما سواه ونسوه وقد روي عن الصادق (ع) انه سئل عن هذه الآية فقال الارضين والحيال والشعاب والادوية ثم نظر الى بساط تحته فقال وهذا البساط بما علمه وقيل انه علمه اسماء الملائكة واسماء ذريته عن الربيع وقيل انه علمه القاب الاشياء ومعانيها وخواصها وهو ان الفرس يصلح لماذا والحمار يصلح لماذا وهذا ابلغ لأن معاني الاشياء وخواصها لا تتغير بتغير الازمنة والاقوات والقاب الاشياء تتغير على طول الازمنة وقال بعضهم انه تعالى لم يعلمه اللغة العربية فإن أول من تكلم بالعربية اسماعيل (ع) وقالوا ان الله جعل الكلام معجزة لثلاثة من الانبياء آدم واسماعيل ومحمد (ص) ثم اختلف في كيفية تعليم الله تعالى آدم الاسماء فقيل علمه بأن اودع قلبه معرفة الاسماء وفتق لسانه بها فكان يتكلم بتلك الاسماء كلها وكان ذلك معجزة له

لكونه ناقضا للعادة وقيل علمه اياها بأن اضطره الى العلم بها وقيل علمه لغة الملائكة ثم علمه بتلك اللغة سائر اللغات وقيل انما علمه اسماء الاشخاص بأن احضر تلك الاشياء وعلمه اسماءها في كل لغة وأنه لأي شيء يصلح واي نفع فيه واي ضرر وقوله «ثم عرضهم على الملائكة» روي عن ابن عباس انه قال عرض الخلق وعن مجاهد قال عرض اصحاب الاسماء وعلى هذا فيكون معناه ثم عرض المسميات على الملائكة وفيهم من يعقل وفيهم من لا يعقل فقال عرضهم غلب العقلاء فأجرى على الجميع كناية من يعقل كقوله والله خاق كل دابة من ماء فمنهم من يشي على بطنه ومنهم من يشي على رجلين ومنهم من يشي على اربع اجرى عليهم كناية من يعقل في قراءة ابي ثم عرضها وفي قراءة ابن مسعود ثم عرضهن وعلى هاتين القراءتين يصلح ان يكون عبارة عن الاسماء دون المسميات واختلف في كيفية العرض على الملائكة فقيل إننا عرضها على الملائكة بأن خلق معاني الاسماء التي علمها آدم حتى شاهدتها الملائكة وقيل صور في قلوبهم هذه الاشياء فصارت كأنهم شاهدوها وقيل عرض عليهم من كل جنس واحدا واراد بذلك تعجزهم فإن الانسان اذا قيل له ما اسم شيء صفته كذا وكذا فلم يعلم كان ابلغ عذرا من عرض عليه شيء بعينه وسئل عن اسمه فلم يعرفه وبين بذلك ان آدم عليه السلام اصلى لكخدائية الارض وعمارته لاهتدائه الى مالاتهمدي الملائكة اليه من الصناعات المختلفة وحوث الارض وزراعتها وانباط الماء واستخراج الجواهر من المعادن وقعر البحار بطائف الحكمة وهذا يقوي قول من قال انه علمه خواص الاشياء واراد به انكم اذا عجزتم عن معرفة هذه الاشياء مع مشاهدتكم لها فأنتم عن معرفة الامور الغيبية عنكم اعجز فقال «انبتوني بأسماء هولاء ان كنتم صادقين» ان سئل فقيل ما الذي ادعت الملائكة حتى خوطبوا بهذا وكيف امرهم الله سبحانه ان يخبروا بما لا يعلمون فالجواب ان العلماء فيه وجوها من الكلام ﴿احدها﴾ ان الله تعالى لما اخبر الملائكة بأنه جعل في الارض خليفة هجس في نفوسها انه إن كان الخليفة منهم بدلا من آدم وذريته لم يكن في الارض فساد ولا سفك دم كما يكون في ولد آدم وان كان الله لا يفعل الا ما هو الاصلح في التدبير والاصوب في الحكمة فقال الله تعالى «انبتوني بأسماء هولاء ان كنتم صادقين» فيما ظنتم من هذا المعنى ليدلهم على انهم اذا لم يعلموا باطن ما شاهدوا فهم من ان يعلموا باطن ما غاب عنهم ابعده (وثانيتها) انهم خطر ببالهم انه لن يخلق الله خلقا الا وهم اعلم منه وافضل في سائر انواع العلم فقيل «ان كنتم صادقين» في هذا الظن فاخبروا بهذه الاسماء (وثالثها) ان المراد ان كنتم صادقين في انكم تعلمون لم اجعل في الارض خليفة فانبتوني بأسماء هولاء ان كنتم صادقين لأن كل واحد من المرين من علم الغيب فكما لم تعلموا احدهما لتعلمون الآخر عن ابن عباس (ورابعها) ما قاله الاخفش والجبائي وعلي بن عيسى وهو ان المراد «ان كنتم صادقين» فيما تخبرون به من اسمائهم فاخبروا بها وهذا كقول القائل لغيره (اخبر بما في يدي ان كنت صادقا) اي ان كنت تعلم فانخبر به لأنه لا يمكن ان يصدق في مثل ذلك الا اذا اخبر عن علم منه ولا يصح ان يكلف ذلك الامع العلم به ولا بد اذا استدعوا الى الاخبار عما لا يعلمون من ان يشترط هذا الشرط وعلى هذا فيكون لفظه الأمر ومعناه التثنية او يكون امرا مشروطا كما يقول العالم للمتعلم ما تقول في كذا ويعلم انه لا يحسن الجواب لينبهه عليه ويحثه على طلبه والبحث عنه ولو قال له اخبر بذلك ان كنت تعلم او ان كنت صادقا لكان حسنا فاذا تنبه على انه لا يمكنه الجواب اجابه حينئذ فيكون جوابه بهذا التدرج اثبت في قلبه وواقع في نفسه ولا يجوز ان يكون ذلك تكليفا لأنه لو كان تكليفا لم يكن تبيينا لهم ان آدم يعرف اسماء هذه الاشياء بتعريف الله اياه وتخصيصه من ذلك بما لا يعرفونه هم فلما اراد تعريفهم ما خص به آدم من ذلك علمنا انه ليس بتكليف وفي هذه الآية دلالة على شرف العلم واهله من حيث ان الله سبحانه لما اراد تعريف آدم (ع) اختصه بعلم ابانه به من غيره وفضله به على من سواه

قوله تعالى (٣٢) قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (آية)

﴿ اللغة ﴾

الحكمة نقيض السفه والاحكام الاتقان والحكيم المانع من الفساد ومنه حكمة اللجام لانها تمنع الفرس من الجري الشديد قال جرير

أَبْنِي حَقِيقَةً أَحْكِمُوا سَفَهَاءَكُمْ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا

اي امنعهم والحكمة هي التي تقف بك على امر الحق الذي لا يخلطه باطل والصدق الذي لا يشوبه كذب ومنه قوله حكمة بالغة ورجل حكيم اذا كان ذلك شأنه وكانت معه اصول من العلم والمعرفة ويقال حكم يحكم في الحكم بين الناس وحكم يحكم اذا صار حكيما والحكمة في الانسان هي العلم الذي يمنع صاحبه من الجهل

﴿ الاعراب ﴾

سبحانك نصب على المصدر قال سيويوه سبحت الله تسديحا وسبحانا فالمصدر تسبيح وسبحان اسم يقوم مقام المصدر واللام من قوله لنا يتعلق بمحذوف فيكون جملة ظرفية في موضع رفع بالخبر لان لا علم في موضع رفع بالابتداء وما علمتنا موصول وصلة والضمير من علمتنا العائد اليه محذوف تقديره ما علمتنا وهو في موضع رفع بدل من موضع لا علم وانت يجوز ان يكون فصلا فيكون لاموضع له من الاعراب وخبر ان العليم الحكيم ويؤيد ان يكون مبتدأ والجملة خبر ان

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن الملائكة بالرجوع اليه والتسليم لامره فقال «قالوا» اي الملائكة «سبحانك» اي تنزيها لك وتعظيما عن أن يعلم الغيب احد سواك عن ابن عباس وقيل تنزيها لك عن الاعتراض عليك في حكمك وقيل أنهم اردوا ان يخرجوا الجواب مخرج التعظيم فقالوا تنزيها لك عن فعل كل قبيح وان كنا لا نعلم وجه الحكمة في افعالك وقيل انه على وجه التعجب بسواهم عما لا يعلمونه وقوله «لاعلم لنا الا ما علمتنا» معناه انا لانعلم الا بتعليمك وليس هذا فيما علمتنا ولو أنهم اقتصروا على قولهم لا علم لنا لكان كافي في الجواب لكن اردوا ان يضيفوا الى ذلك التعظيم له والاعتراف بانعامه عليهم بالتعليم وان جميع ما يعلمونه انما يعلمونه من جهته وان هذا ليس من جملة ذلك وانما سألهم سبحانه عما علم انهم لا يعلمونه ليقررهم على انهم لا يعلمون الا ما علمهم الله ويرفع به درجة آدم عندهم بأنه علمه ما لم يعلموه وقوله «انك انت العليم» اي العالم بجميع المعلومات لأنه من صفات ذاته وهو مبالغة العالم وقيل أنهم اثبتوا له ما نفوه عن انفسهم اي انت العالم من غير تعليم ونحن العلوم وقوله «الحكيم» يحتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ أنه بمعنى العالم لأن العالم بالشيء يسمى بأنه حكيم فعلى هذا يكون من صفات الذات مثل العالم ويوصف بها فيما لم يزل لأن ذلك واجب في العالم لنفسه (والثاني) أن معناه المحكم لأفعاله ويكون فعلا بمعنى مفعول وعلى هذا يكون من صفات الافعال ومعناه ان افعاله كلها حكمة وصواب وليس فيها تفاوت ولا وجه من وجوه القبح وعلى هذا فلا يوصف بذلك فيما لم يزل وروي عن ابن عباس أنه قال «العليم» الذي كمل في علمه «والحكيم» الذي كمل في حكمته وفي هذه الآية دلالة على ان العلوم كلها من جهته تعالى وانما كان كذلك لأن العلوم لا تخلو اما ان تكون ضرورية فهو الذي فعلها واما ان تكون استدلالية فهو الذي اقام الأدلة عليها فلا علم لأحد الا ما علمه الله تعالى

قوله تعالى (٣٣) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ
إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

روي عن ابن عامر انبئهم بالهمزة وكسر الهاء والباقون بضم الهاء.

﴿الحجة﴾

من ضم الهاء حملها على الاصل لأن الاصل أن تكون هاء الضمير مضمومة وانما تكسر الهاء اذا وليها كسرة او ياء نحو بهم وعليهم ومع هذا فقد ضمه قوم حملا على الاصل ومن كسر الهاء التي قبلها همزة مخففة فإن لذلك وجهها من القياس وهو انه اتبع كسرة الهاء الكسرة التي قبلها ولم يعتد بالحاجز الساكن كما حكى عنهم هذا المرء ورأيت المرء ومررت بالمرء فاتبعوا مع هذا الفصل كما اتبعوا في اللغة الاخرى هذا امرؤ ورأيت امرأ ومررت بامرؤ وحكى ابو زيد عن بعض العرب اخذت هذا منه ومنها ومنهم من فكسر المضمرة في الادراج والوقف ولم اعرفه ولم اضربه

﴿اللغة﴾

الابداء والاظهار والاعلان بمعنى واحد وضد الابداء الكتمان وضد الاظهار الابطان وضد الاعلان الاسرار ويقال بديايد وبدوا من الظهور وبدوا بديا بالهمزة بمعنى استأنف وقال علي بن عيسى الرماني حد الظهور والاحصول على حقيقة يمكن ان تعلم بسهولة والله سبحانه ظاهر بأداته باطن عن احساس خلقه وكل استدلال فانما هو ليظهر شي . بظهور غيره

﴿الاعراب﴾

آدم منادى مفرد معرفة مبني على الضم وحله النصب لأن المنادى مدعو والمدعو مفعول

﴿المعنى﴾

ثم خاطب الله تعالى آدم فقال «يا آدم انبئهم» اي اخبر الملائكة «بأسمائهم» يعني بأسماء الذين عرضهم عليهم وهم كناية عن المرادين بقوله اسماء هو لاء . وقدمضي بيانه «فلما انبأهم» يعني اخبرهم آدم «بأسمائهم» اي بإسم كل شي . ومنافعه ومضاره قال الله تعالى للملائكة «الم اقل لكم» الالف للتثنية وان كان اصلها الاستفهام كقول القائل (اما ترى اليوم ما اطيبه) لمن يعلم ذلك وحكى سيويه اما ترى اي برق ههنا ومن الناس من قال ان هذه الالف منها التوبيخ ومن لم يجز على الملائكة المعصية منع من ذلك «اني اعلم غيب السماوات والارض» اي اعلم ما غاب فيها عنكم فلم تشاهدوه كما اعلم ما حضركم فشاهدتموه «واعلم ما تبون وما كنتم تكتمون» قيل فيه اقوال ﴿احدها﴾ أنه اراد اعلم سركم وعلايتكم وذكر ذلك تنبيها لهم على ما يحيلهم عليه من الاستدلال لأن الاصول الاول التي يستدل بها انما تذكر على وجه التنبيه ليستخرج بها غيرها فيستدل بعلمه الغيب على انه خلق عباده على ما خلقهم عليه للاستصلاح في التكليف وما توجه الحكمة (وثانها) انه اراد اعلم «ما تبون» من قولكم التجمل فيها من يفسد فيها «وما كنتم تكتمون» من اضمار ابليس المعصية والمخالفة قال علي بن عيسى وهذا ليس بالوجه لأن الخطاب للملائكة وليس ابليس منهم ولأنه عام فلا يخص الا بدليل وجوابه ان ابليس لا دخل معهم في الامر بالوجود جاز ان يذكر في جملتهم وقد رويت روايات تؤيد هذا القول واختاره الطبري (وثالثها) ان الله تعالى لا خلق آدم مرت به الملائكة قبل أن ينفخ فيه الروح ولم تكن رأت مثله فقالوا ان يخلق الله خلقا الاكنا اكرم منه وفضل عنده فهذا ما اخفوه وكنموه واما ما ابدوه فقولهم «التجمل فيها من يفسد فيها» روي ذلك عن الحسن والاول اقوى لأنه اعم وبما يسأل في هذه الآية ان يقال ما وجه ذكره تعالى لهم الاسرار من علم الغيب والجواب أنه على معنى الجواب فيما سألوها عنه من خلق من يفسد ويسفك الدماء على وجه التعريض دون التصريح لأنه او صرح بذلك لقال خلقت من يفسد ويسفك الدماء لا اعلم في ذلك من الصلحة اعبادي فيما كلفتهم اياه فدل سبحانه بالاحالة في الجواب على العلم بباطن الأمور وظاهرها أنه خلقهم لأجل علمه بالصلحة في ذلك ودلهم بذلك على أن عليهم الرضا بأمر الله والتسليم لقضاء الله لأنه يعلم من الغيب ما لا يعلمونه ويعلم من مصالحهم في دينهم ودنياهم ما لا يطعمون عليه فإن قيل واي شي . في تعليم الله تعالى آدم الاسماء كلها بما يدل على علمه بالغيب فالجواب قيل انه تعالى علمه الاسماء كلها بما فيها من المعاني التي تدل عليها على جهة فتق لسانه بذلك

والهامه اياها فهي معجزة اقامها الله تعالى للملائكة تدل على نبوته وجلالة قدره وارتقاع شأنه بما اختصه الله به من العلم الذي لا يوصل اليه إلا بتعليم الله عز وجل ودلهم على ذلك بأن قرره لهم اولاً فاقروا بأن لا علم لهم به ثم اظهر لهم ان آدم يعلمه بتعليم الله اياه فبان بذلك الاعجاز بالاطلاع على ما لا سبيل الى علمه الا من علام الغيوب وفيه من المعجزة انه فتق لسانه على خلاف مجرى العادة وانه علمه من لطائف الحكمة ما لا تعلمه الملائكة مع كثرة علومها وانه اعرف الخلق بربها فعرفوا ما دلهم على علم الغيب بالمعجزة مرة كذا لما يعلمونه من ذلك بالادلة العقلية ولذلك نههم فقال «الم اقل لكم اني اعلم غيب السماوات والارض» اي قد دللتكم على ذلك قبل وهذه دلالة بعد وقد افتتح الله تعالى الدلالة على الاعجاز بالكلام في آدم ثم ختم به في محمد (ص) قال السيد الاجل المرتضى قدس الله روحه وفي هذه الآية سورال لم اجد احدا من مفسري القرآن تعرض له وذلك ان يقال من اين علمت الملائكة صحة قول آدم ومطابقة الاسماء المسميات وهي لم تكن عالمة بذلك من قبل والكلام يقتضي انهم لما انباهم آدم بالاسماء علموا صحتها ولو لا ذلك لم يكن لقوله تعالى «الم اقل لكم اني اعلم غيب السماوات والارض» معنى ولما كانوا ايضا مستفيدين نبوته وتمييزه واختصاصه بما ليس لهم لأن كل ذلك انما يتم مع العلم والجواب انه غير ممتنع ان يكون الله تعالى جعل لهم العلم الضروري بصحة الاسماء ومطابقتها للمسميات اما عن طريق او ابتداء بلا طريق فعملوا بذلك تمييزه واختصاصه وليس في علمهم بصحة ما اخبر به ما يقتضي العلم بنبوته ضرورة قبل بعده درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها حتى يحصل العلم بنبوته ضرورة ووجه آخر وهو انه لا يمتنع ان يكون للملائكة لغات مختلفة وكل قبيل منهم يعرف اسماء الاجناس في لغته دون لغة غيره الا أنه يكون احاطة عالم واحد بأسماء الاجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما اراد الله تعالى التنبيه على نبوة آدم علمه جميع تلك الاسماء فلما اخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ما اخبر به من الاسماء لغته وعلم مطابقة ذلك لباقي اللغات بنجر كل قبيل وعلى هذا الجواب فيكون معنى انبثوني باسماء هو لا ليخبرني كل قبيل منكم بجميع الاسماء وهذا الجوابان مبنيان على انه لم يتقدم لهم العلم بنبوة آدم وان اخبره بالاسماء كان مفتتح بمعجزاته لأنه لو كان نبيا قبل ذلك وكانوا قد علموا نبوته بمعجزات تقدم ظهورها على يده لم يمتنع الى هذين الجوابين لأنهم يعلمون مطابقة الاسماء للمسميات بعد أن لم يعلموا بقوله الذي علموا انه حق وصدق

قوله تعالى (٣٤) **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ**
وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (آيَة)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وحده للملائكة اسجدوا بضم التاء حيث وقع وكذلك قل رب احكم بضم الباء.

﴿ الحجة ﴾

اتبع التاء ضمة الجيم وقيل انه نقل ضمة الهزرة لو ابتدئ بها والاول اقوى لأن الهزرة تسقط في الدرج فلا يبقى فيها حركة تنقل

﴿ اللغة ﴾

السجود الخضوع والتذلل في اللغة وهو في الشرع عبارة عن عمل مخصوص في الصلاة كالركوع والقنوت وغيرها وهو وضع الجبهة على الارض ويقال سجدوا سجدوا اذا خضع قال الاعشى

من يلقى هودّة يسجد غير متّسبب
 إذا تعمم فوق الرأس أو خضعاً
 وقال آخر فكُلناهما خرت وأسجد رأسيها
 كما سجّدت نصرانه لم تحنّف

ونسأ سجد اذا كن فترات العين قال (ولهي الى حور المدامع سجدا) و الاسجد الاطراق وادامة النظر في

فتور وسكون قال **أَعْرَكَ مِنِّي أَنْ دَلَّكَ عِنْدَنَا وَإِسْجَادَ عَيْنِكَ الصُّوْدَيْنِ رَاحٍ**

والى معناه ترك الطاعة وامتنع والاباء والتك والامتناع بمعنى ونقيض ابى اجاب ورجل ابى من قوم اباء وليس الاباء بمعنى الكراهة لأن العرب تتمدح بانها تأبى الضيم ولا مدح في كراهية الضيم وانما المدح في الامتناع منه كقوله تعالى ويأبى الله الان يتم نوره ولو كره الكافرون اى يمنع الكافرين من اطفاء نوره والاستكبار والتكبر والتعظيم والتعجب نظائر وضده التواضع وحقيقة الاستكبار الالفه مما لا ينبغي ان يؤمنه وقيل حده الرفع للنفس الى منزلة لا تستحقها فأصل الباب الكبر وهو العظم ويقال على وجهين كبر الجثة وكبر الشأن والله سبحانه الكبير من كبر الشأن وذلك يرجع الى سعة مقدوراته ومعلوماته فهو القادر على ما لا يتناهى من جميع اجناس المقدورات والعالم بجميع المعلومات وابليس اسم اعجمي لا ينصرف في العرفة للتعريف والعجبة قال الزجاج وغيره من النحويين هو اسم اعجمي معرب واستدلوا على ذلك بامتناع صرفه وذهب قوم الى انه عربي مشتق من الابلاس ووزنه افعيل وانشدوا للعجاج

يَا صَاحِبَ هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسًا قَالَ نَعَمْ أَعْرِفُهُ وَأَبْلَسًا

وزعموا انه لم ينصرف استئقالا له من حيث انه اسم لا نظيره في اسماء العرب فشبهته العرب باسماء العجم التي لا تنصرف وزعموا ان اسحاق من اسحقه الله تعالى اسحاقا وايوب من اب يوب وادريس من الدرر في اشباه ذلك وغلطوا في جميع ذلك لأن هذه الالفاظ معربة وافقت الالفاظ العربية وكان ابو بكر السراج يمثل ذلك على جهة التبعيد بن زعم ان الطير ولد الحوت وغلطوا ايضا في انه لا نظير له في اسماء العرب لأنهم يقولون ازميل للشفرة واغريض للطلع واخريض لصبغ احمر ويقال هو العصفر وسيف اصلت ماض كثير الماء وثوب اضريح مشبع الصبغ وقالوا هو من الصفرة خاصة ومثل هذا كثير وسبيل ابليس سبيل الخيل في انه معرب غير مشتق

﴿ الاعراب ﴾

قوله واذا في موضع نصب لانها معطوفة على اذ الاولى وقوله لآدم آدم في موضع جر باللام لا ينصرف لانه على وزن افعال قلت مررت بآدم وآدم آخر فان سيويه والخليل يقولان انه لا ينصرف في النكرة لأنك اذا نكرته فقد اعدته الى حال كان فيها لا ينصرف قال الاخفش اذا سميت به فقد اخرجته من باب الصفة فيجب اذا نكرته ان تصرف فتقول وآدم آخر وقوله اسجدوا الاصل في همزة الوصل ان تكسر لا لتقاء الساكتين ولكنها ضمت لاستئصال الضمة بعد الكسرة وكذلك كل ما كان ثالثة مضموما في الفعل المستقبل نحو قوله انظروا واقتلوا يوسف وليس في كلام العرب فعل لكرهتهم الضمة بعد الكسرة وابليس نصب على الاستثناء المتصل من الكلام الموجب وهو في مذهب من جعله من الملائكة وعلى الاستثناء المتقطع على مذهب من جعله من غير الملائكة

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما آناه آدم عليه السلام من الاعظام والاجلال والاركام فقال واذا ذكر يا محمد «اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» والظاهر يقتضي ان الأمر بالسجود له كان لجميع الملائكة حتى جبرائيل وميكائيل لقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وفي هذا تأكيد للعموم وقال قوم ان الأمر كان خاصا لطائفة من الملائكة كانوا مع ابليس طهر الله بهم الأرض من الجن واختلف في سجد الملائكة لآدم على اى وجه كان فالروى عن أئمتنا عليهم السلام انه على وجه التكرمة لآدم والتعظيم لشأنه وتقديمه عليهم وهو قول قتادة وجماعة من اهل العلم واختاره علي بن عيسى الرمانى ولهذا جعل اصحابنا رضي الله عنهم هذه الآية دلالة على ان الانبياء افضل من الملائكة من حيث انه امرهم بالسجود لآدم وذلك يقتضي تعظيمه وتفضيله عليهم واذا كان المفضل لا يجوز تقديمه على الفاضل علمنا انه افضل من الملائكة وقال الجبائي وابو القاسم البلخي وجماعة انه جعله قبة لهم فامرهم بالسجود الى قبلتهم وفيه ضرب من التعظيم وهذا غير صحيح لأنه لو كان على هذا الوجه لا امتنع ابليس من ذلك

ولما استعظمتها الملائكة وقد نطق القرآن بان امتناع ابليس عن السجود انما هو لاعتقاده تفضيله به وتكبرته
 مثل قوله ارايتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرجتني وقوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولو لم يكن الأمر على
 هذا الوجه لوجب ان يعلمه الله تعالى بانه لم يامر بالسجود على جهة تعظيمه وتفضيله عليه وانما امره على الوجه
 الآخر الذي لا تفضيل فيه ولم يجز اغفال ذلك فإنه سبب معصية ابليس وضلالتة فلما لم يقع ذلك علمنا ان الأمر
 بالسجود له لم يكن الا على وجه التعظيم والتفضيل والاكرام والتبجيل ثم اختلف في ابليس هل كان من الملائكة
 ام لا فذهب قوم انه كان منهم وهو المروي عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة واختاره الشيخ السعيد ابو جعفر
 الطوسي قدس الله روحه قال وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) والظاهر في تفاسيرنا ثم اختلف من قال انه من
 الملائكة فمنهم من قال انه كان خازنا على الجنان ومنهم من قال كان له سلطان سما الدنيا وسلطان الأرض
 ومنهم من قال انه كان يسوس ما بين السماء والأرض وقال الشيخ المفيد ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان
 قدس الله روحه انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قال وقد جاءت الاخبار بذلك متواترة عن ائمة الهدى
 عليهم السلام وهو مذهب الامامية وهو المروي عن الحسن البصري وهو قول علي بن عيسى والبلخي وغيره
 واحتجوا على صحة هذا القول باشياء **● احدها** قوله تعالى الا ابليس كان من الجن ومن اطلق لفظ الجن
 لم يجز ان يعني به الا الجنس المعروف وكل ما في القرآن من ذكر الجن مع الانس يدل عليه (وثانيها) قوله تعالى
 لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون ففي المعصية عنهم نفي عاما (وثالثها) ان ابليس له نسل وذرية قال
 الله تعالى اقتنذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو وقال الحسن ابليس اب الجن كما ان آدم اب الانس
 وابليس مخلوق من النار والملائكة روحانيون خلقوا من الريح في قول بعضهم ومن النور في قول الحسن لا يتناسلون
 ولا يطعمون ولا يشربون (ورابعها) قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا ولا يجوز على رسل الله الكفر ولا التسق
 ولو جاز عليهم الفسق لجاز عليهم الكذب وقالوا ان استثناء الله تعالى اياه منهم لا يدل على كونه من جملتهم وانما
 استثناءهم لانه كان مأمورا بالسجود معهم فلما دخل معهم في الأمر جاز اخراجه بالاستثناء منهم وقيل ايضا
 ان الاستثناء هنا منقطع بكوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن وانشد سيويه

وَالْحَرْبُ لَا يَبْقَى لِجَا
 إِلاَّ الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النَّدِّ
 جِهْمَا التَّخِيلُ وَالْمِرَّاحُ
 جَدَاتِ وَالْفَرَسُ لِلْمَوَاقِحِ

وكتول النابغة (وما بالربع من احد) (الا الأوراي) ويوميد هذا القول ما رواه الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه
 الله في كتاب النبوة باسناده عن ابن ابي عمير عن جميل بن دراج عن ابي عبد الله (ع) قال سألته عن ابليس اكان من الملائكة
 او كان يلي شيئا من امر السماء فقال لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي شيئا من امر السماء وكان من الجن وكان
 مع الملائكة وكانت الملائكة ترى انه منها وكان الله سبحانه يعلم انه ليس منها فلما امر بالسجود لآدم كان
 منه الذي كان وكذا رواه العياشي في تفسيره واما من قال انه كان من الملائكة فانه احتج بأنه لو كان من غير
 الملائكة لما كان ملوما بترك السجود فان الأمر انما يتناول الملائكة دون غيرهم وقد مضى الجواب عن هذا ويزيده
 بيانا قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك فعلمنا انه من جملة المأمورين بالسجود وان لم يكن من جملتهم
 وهذا كما قيل امر اهل البصرة بدخول الجامع فدخلوا الا رجلا من اهل الكوفة فانه يعلم من هذا ان غير اهل
 البصرة كان مأمورا بدخول الجامع غير ان اهل البصرة خصوصا بالذكر لكونهم الاكثر فكذلك القول في الآية
 واجاب القوم عن الاحتجاج الاول وهو قوله تعالى كان من الجن بان الجن جنس من الملائكة سموا بذلك لاجتنانهم
 عن العيون قال الاعشى قيس بن ثعلبة

وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ خَالِدًا وَمُعَمَّرًا
 لَكَانَ سُلَيْمَانَ الْبَرِّيَّ مِنَ الدَّهْرِ

بَرَاهُ إِلَهِي وَأَصْطَفَاهُ عِبَادَةً
وَسَخَّرَ مِنْ جَنِّ الْمَلَائِكَةِ تَسَعَةً
وَمَلَائِكُهُ مَا بَيْنَ نُونًا إِلَى مِصْرَ
قِيَامًا لَدَيْهِ يَعْمَلُونَ بِلَا أُجْرٍ

وقد قال الله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا لانهم قالوا للملائكة بنات الله واجابوا عن الثاني وهو قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم الآية بأنه صفة حُرنة النيران لجميع الملائكة فلا يوجب عصمة لغيرهم من الملائكة واجابوا عن الثالث بأنه يجوز أن يكون الله تعالى ركب في ابليس شهوة التكاح تغليظا عليه في التكليف وان لم يكن ذلك في باقي الملائكة ويجوز ان يكون الله تعالى لما اهبطه الى الأرض تغيرت حاله عن حال الملائكة قالوا واما قولكم ان الملائكة خلقوا من الريح وهو مخلوق من النار فان الحسن قال خلقوا من النور والنار والنور سواه وقولكم ان الجن يطعمون ويشربون فقد جاء عن العرب ما يدل على انهم لا يطعمون ولا يشربون انشد ابن دريد قال انشد ابو حاتم

وَنَارٍ قَدْ حَضَّتْ بُعِيدَ وَهْنٍ
سِوَى تَرْحِيلِ رَاحِلَةٍ وَعَيْنٍ
أَتَوْا نَارِي فَقُلْتُ مَنُونَ أَنْتُمْ
فَقُلْتُ إِلَى الطَّعَامِ فَقَالَ مِنْهُمْ
بِدَارٍ مَا أُرِيدُ بِهَا مُقَامًا
أَكَالِيهَا مَخَافَةَ أَنْ تَنَامَا
فَقَالُوا الْجِنُّ قُلْتُ عَمُوا ظَلَامًا
زَعِيمٌ يَجْسُدُ الْإِنْسَانَ الطَّعَامَا
وَلَكِنْ ذَلِكَ يُعْقِبُكُمْ سِقَامَا

فهذا يدل على انهم لا يأكلون ولا يشربون لانهم روحانيون وقد جاء في الأخبار النهي عن التمسح بالعظم والروث لأن ذلك طعام الجن وطعام دوابهم وقد قيل انهم يتشمون ذلك ولا يأكلونه واجابوا عن الرابع وهو قوله جاعل الملائكة رسلا بان هذه الآية معارضة بقوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس لأن من للتبويض وكلا القولين مروى عن ابن عباس وروى عنه انه قال ان الملائكة كانت تقاوت الجن فسي ابليس وكان صغيرا وكان مع الملائكة فتعبد معها بالأمر بالسجود لآدم فسجدوا وابى ابليس فلذلك قال الله تعالى الا ابليس كان من الجن وروى مجاهد وطاوس عنه ايضا انه قال كان ابليس قبل ان يرتكب المعصية ملكا من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الارض وكان سكان الأرض من الملائكة يسمون الجن ولم يكن من الملائكة اشد اجتهادا ولا اكثر علما منه فلما تكبر على الله وابتغى السجود لآدم وعصاه لعنه وجعله شيطانا وسماه ابليس واما قوله تعالى وكان من الكافرين قيل معناه كان كافرا في الأصل وهذا القول يوافق مذهبا في الموافاة وقيل اراد كان في علم الله تعالى من الكافرين وقيل معناه صار من الكافرين كقوله تعالى فكان من المفرقين واستدل بعضهم بهذه الآية على ان افعال الجوارح من الايمان فقال لو لم يكن كذلك لوجب ان يكون ابليس مؤمنا بما معه من المعرفة بالله تعالى وان فسق باياته وهذا ضعيف لأننا اذا علمنا كفره بالاجماع علمنا انه لم يكن معه ايمان اصلا كما انا اذا رأيتنا من يسجد للصم علمنا انه كافر وان كان نفس السجود ليس بكفر واختلفوا في صفة امر الله سبحانه الملائكة بالسجود فقيل كان بخطاب من الله تعالى للملائكة ولأبليس وقيل بوحي من الله الى من بعثه اليهم من رسله لأن كلام الرسول كلام المرسل وقيل ان الله تعالى اظهر فعلا دلهم به على انه امرهم بالسجود فإن قيل لم يحكم الله بكفره مع ان من ترك السجود الآن لا يكفر قلنا لأنه جمع الى ترك السجود خصالا من الكفر منها انه اعتقد ان الله تعالى امره بالتبويض ولم يأمره بالسجود بحكمة ومنها انه امتنع من السجود تكبرا وردا على الله تعالى أمره ومن تركه الآن كذلك يكفر ايضا ومنها انه استخف بنبي الله وازدراه وهذا لا يصدر الا من معتقد الكفر وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب الجبر من وجوه منها قوله ابى فدل على قدرته على السجود الذي اباه وتركه والالم يصح وصفه بالإبائه ومنها قوله فسجدوا فدل على ان السجود فعلهم ومنها انه مدح الملائكة بالسجود وذم ابليس

بترك السجود وعندهم انما لم يسجد لأنه لم يخلق فيه السجود ولا القدرة الموجبة له
قوله تعالى (٣٥) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

السكون والاطمئنان والهدو نظائر والسكن بسكون الكاف العيال واهل البيت والسكن بالفتح المنزل
والسكن الرحمة والبركة في قوله ان صلاتك سكن لهم والزوج بطرح الهاء قال الاصمعي هو اكثر كلام العرب
والاكل والمضغ واللقم متقارب وضد الاكل الأزم وسأل عمر بن الخطاب الحرث بن كعدة طيب العرب فقال
ياحار ما الدواء فقال الأزم اي ترك الاكل والرغد النفع الواسع الكثير الذي ليس فيه عناء قال ابن دريد الرغد
السعة في العيش والمشيمة من قبيل الارادة وكذلك المحبة والاختيار والايثار وان كان لها شروط ذكرت في اصول
الكلام والقرب الدنو قرب الشيء يقرب قريبا وقرب فلان اهله يقرب قربانا اذا غشيها وما قربت هذا الامر قربانا
وقربا والشجرة ما قام على ساق وجمعها اشجار وشجرات وشجر وتشاجر القوم اختلفوا اخذوا من الشجر لاشتباك
اغصانه والظلم والجور والعدوان متقارب وضد الظلم الانصاف وضد الجور العدل واصل الظلم انتقاص الحق قال
الله تعالى كلنا الجنتين اتت اكلامها ولم تظلم منه شيئا اي لم تنقص وقيل اصله وضع الشيء في غير موضعه من قولهم من اشبه
اباه فما ظلم اي فوضع الشبه في غير موضعه وكلامه مطرد وعلى الوجهين فالظلم اسم ذم لا يجوز اطلاقه على الانبياء والمعصومين

﴿ الاعراب ﴾

قوله اسكن انت وزوجك استفتح عطف الظاهر على الضمير المستكن والمتصل فقال اسكن انت وزوجك
الجنة فانت تأكيد للضمير المستكن في اسكن الذي هو فاعله وزوجك معطوف على موضع انت فلو عطفه على
الضمير المستكن لكان اشبه في الظاهر عطف الاسم على الفعل فاتى بالضمير المنفصل فعطفه عليه ورغدا منصوب
لأنه صفة لمصدر محذوف كأنه قال اكلا رغدا اي واسعا كثيرا ويجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال من
قوله كلا قال الخليل يقال قوم رغد ونساء رغد وعيش رغد ورغيد قال امرؤ القيس

بَيْنَمَا الْمَرْءُ تَرَاهُ نَاعِمًا يَا مَنْ الْأَحْدَاثِ فِي عَيْشٍ رَغَدٍ

فعلى هذا يكون تقديره وكلا منها متوسعين في العيش وحيث مبني على الضم كما تبني الغاية نحو من قبل
ومن بعد لأنه منع من الاضافة الى مفرد كما منعت الغاية من الاضافة وانما يأتي بعده جملة اسمية او فعلية في
تقدير المضاف اليه ولا تقريبا مجزوم بالنهاي والالف ضمير الفاعلين وقوله فتكونا يحتمل امرين احدهما ان يكون
جوابا للنهي فيكون منصوبا باضمار أن وأن مع الفعل في تاويل اسم مفرد واذا قدر اضمار أن بعد الفاء كان
ذلك عطفا على مصدر الفعل المتقدم فيكون تقديره لا يكن منكما قرب لهذه الشجرة فتكونا من الظالمين
فيكون الكلام جملة واحدة لأن المعطوف يكون من جملة المعطوف عليه وانما سميته جوابا لمشابهة الجزاء
في ان الثاني سببه الاول لأن معنى الكلام ان تقربا هذه الشجرة تكونا من الظالمين والثاني ان يكون معطوفا
على النهي فيكون مجزوما وتكون الفاء عاطفة جملة على جملة فكانه قال فلا تكونا من الظالمين

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر الله سبحانه ما امر به آدم (ع) بعد ان انعم عليه بما اختصه من العلوم بما اوجب له به من الاعظام واسجد
له الملائكة الكرام فقال عز اسمه «وقلنا» وهذه نون الكبرياء والعظمة لانون الجمع «يا آدم اسكن انت وزوجك
الجنة» اي اتخذت و امرتلك الجنة مسكنا وماوى لتاوي اليه وتسكن فيه انت وامراتك واختلف في هذا الامر

ف قيل انه امر تعبد وقيل هو اباحة لانه ليس فيه مشقة فلا يتعلق به تكليف وقوله «وكلا» اباحة وقوله «ولا تقربا» تعبد بالاتفاق وروي عن ابن عباس وابن مسعود انه لما اخرج ابليس من الجنة ولعن وبقي آدم وحده استوحش اذ ليس معه من يسكن اليه فخلقت حواء ليسكن اليها وروي ان الله تعالى التي على آدم النوم واخذ منه ضلعا فخلق منه حواء فاستيقظ آدم فاذا عند راسه امرأة فسألها من انت قالت امرأة قال لمن خلقت قالت لتسكن الي فقالت الملائكة ما اسمها يا آدم قال حواء قالوا ولم سميت حواء قال لأنها خلقت من حي فعندها قال الله تعالى «اسكن انت وزوجك الجنة» وقيل انها خلقت قبل ان يسكن آدم الجنة ثم ادخلا معا الجنة وفي كتاب النبوة ان الله تعالى خلق آدم من الطين وخلق حواء من آدم فهمة الرجال الماء والطين وهمة النساء الرجال قال اهل التحقيق ليس يمتنع ان يخلق الله حواء من جملة جسد آدم بعد ان لا يكون مما لا يتم الحي حيا الا معه لأن ما هذه صفة لا يجوز ان ينقل الى غيره او يخلق منه حي آخر من حيث هو، دي الى ان لا يمكن ايصال الثواب الى مستحقه لأن المستحق لذلك هو الجملة باجمعها وانما سميت حواء لأنها خلقت من حي على ما ذكرناه قبل وقيل لأنها ام كل حي واختلف في الجنة التي اسكن فيها آدم فقال ابو هاشم هي جنة من جنات السماء غير جنة الخلد لأن جنة الخلد اكها دائم ولا تكليف فيها وقال ابو مسلم هي جنة من جنات الدنيا في الأرض وقال ان قوله اهبطوا منها لا يقتضي كونها في السماء لأنه مثل قوله اهبطوا مصر واستدل بعضهم على انها لم تكن جنة الخلد بقوله تعالى حكاية عن ابليس هل ادلك على شجرة الخلد فلو كانت جنة الخلد لكان آدم عالما بذلك ولم يحتج الى دلالة وقال اكثر المفسرين والحسن البصري وعمر بن عبيد وواصل بن عطاء وكثير من المعتزلة كالجبائي والرماني وابن الاخشيد انها كانت جنة الخلد لأن الألف واللام للتعريف وصارا كالعلم عليها قالوا ويجوز ان تكون وسوسة ابليس من خارج الجنة من حيث يسمعان كلامه قالوا وقول من يزعم ان جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها غير صحيح لأن ذلك انما يكون اذا استقر اهل الجنة فيها للثواب فاما قبل ذلك فانها تفتى لقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وقوله «وكلا منها رغدا» اي كلا من الجنة كثيرا واسما لاعتناء فيه «حيث شئتما» من بقاع الجنة وقيل منها اي من ثمارها الا ما استثناه «ولا تقربا هذه الشجرة» اي لا تأكل منها وهو المروي عن الباقر (ع) فعنه لا تقرباها بالاكل ويدل عليه ان المخالفة وقعت بالاكل بلا خلاف لا بالدنو منها ولذلك قال فاكلا منها فبدت لها سواتها واختلف في هذا النهي فقيل انه نهى التحريم وقيل انه نهى التحريم دون التحريم كمن يقول لغيره لا تجلس على الطرق وهو قريب من مذهبنا فان عندنا ان آدم كان مندوبا الى ترك تناول من الشجرة وكان بالتناول منها تاركا نفلا وفضلا ولم يكن فاعلا لتبحيح فان الانبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم القبائح لا صغيرها ولا كبيرها وقالت المعتزلة كان ذلك صغيرة من آدم (ع) على اختلاف بينهم في أنه وقع منه على سبيل العمد او السهو او التأويل وانما قلنا انه لا يجوز واقعة الكبائر على الانبياء عليهم السلام من حيث ان التبحيح يستحق فاعله به الذم والعقاب لأن المعاصي عندنا كلها كبائر وانما تسمى صغيرة باضافتها الى ما هو اكبر عقابا منها لأن الاحباط قد دل الدليل عندنا على بطلانه واذا بطل ذلك فلا معصية الا ويستحق فاعلها الذم والعقاب واذا كان الذم والعقاب منفيين عن الانبياء عليهم السلام وجب ان ينتفي عنهم سائر الذنوب ولأنه لو جاز عليهم شي من ذلك لفرغ عن قبول قولهم والمراد بالتبحيح ان النفس الى قبول قول من لا تجوز عليه شيئا من المعاصي اسكن منها الى قول من يجوز عليه ذلك ولا يجوز عليهم كل ما يكون منفرا عنه من الخلق المشوهة والهينات المستكورة واذا صح ما ذكرناه علمنا ان مخالفة آدم (ع) لظاهر النهي كان على الوجه الذي بيناه واختلف في الشجرة التي نهى عنها آدم فقيل هي السنبلية عن ابن عباس وقيل هي الكرمية عن ابن مسعود والسدي وقيل هي التينة عن ابن جريج وقيل هي شجرة الكافور يروي عن علي (ع) وقيل هي شجرة العلم علم الخير والشر عن الكلبي وقيل هي شجرة الخلد التي كانت تأكل منها الملائكة عن ابن جردان وقوله «فتكونا من الظالمين» اي تكونا بأكلها من الظالمين لانفسكما ويجوز ان يقال ان يحس نفسه الثواب انه ظالم لنفسه كقوله تعالى حكاية عن ايوب اني

كنت من الظالمين حيث نجس نفسه الثواب بترك التدبؤ اليه واختلقوا هل كان يجوز ابتداء الخلق في الجنة فجوز البصريون من اهل العدل ذلك قالوا يجوز ان يشعهم الله في الجنة مو.بدا تفضلا منه لاعلى وجه الثواب لأن ذلك نعمة منه تعالى كما ان خلقهم وتعريضهم للثواب نعمة وقال ابو القاسم البلخي لا يجوز ذلك لأنه لو فعل ذلك لا يخلو إما ان يكونوا متعبدين بالمعرفة اولا يكونوا كذلك فلو كانوا متعبدين لم يكن بد من ترغيب وترهيب ووعد ووعيد وكان يكون لا بد من دار اخرى يجازون فيها ويخلدون وان كانوا غير متعبدين كانوا مهملين وذلك غير جائز وجوابه انه سبحانه لو ابتداء خلقهم في الجنة لكان يضطرهم الى المعرفة ويلجئهم الى فعل الحسن وترك القبسح ومتى راموا القبسح منعوا منه فلا يودي الى ما قاله وهذا كما يدخل الله الجنة الاطفال وغير المكلفين لاعلى وجه الثواب قوله تعالى (٣٦) فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة فأزلهما بالألف والباقون فأزلهما

﴿ الحجة ﴾

من قرأ أزلهما قال ان قوله اسكن انت وزوجك معناه اثبتا فثبتنا فأزلهما الشيطان فقابل الثبات بالزوال الذي هو خلافه وحجة من قرأ فأزلهما انه يحتمل تأويلين احدهما كسبها الزلة والآخر ازل من زل اي عثر ويدل على الوجه الأول ما جاء في التنزيل من قوله ما نها كما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين و تكونا من الخالدين وقاسمها اني لكما لمن الناصحين وقوله فوسوس لها الشيطان الآية وقد نسب كسب الشيطان الزلة الى الشيطان في قوله انما استلهما الشيطان واستزل وازل بمعنى واحد ويدل على الوجه الثاني قوله فأخرجهما مما كانا فيه فكما ان خروج الانسان عن الموضوع الذي هو فيه انتقال منه الى غيره كذلك عثاره وزله

﴿ اللفظة ﴾

الزلة والخطيئة والمعصية والسينة بمعنى واحد وضد الخطيئة الإصابة يقال زلت قدمه زلا وزل في مقاتله زلة والزلة المكان الدحض والزلة الزلل في الدحض وازلت الى فلان نعمة اي اسديت وفي الحديث من أزلت اليه نعمة فليشكرها قال كثير

وَإِنِّي وَإِنْ صَدَّتْ لَمْثُنْ وَصَادِقٌ عَلَيْهَا بِمَا كَانَتْ إِنَّا أَزَلْتِ

والأصل في ذلك الزوال والزلة زوال عن الحق وازله الشيطان اذا ازاله عن الحق والهبوط والتزول والوقوع نظائر وهو التحرك من علو الى سفلى ويقال هبطته واهبطته والهبوط كالحذور وهو الموضوع الذي يهبطك من اعلى الى اسفل وقد يستعمل الهبوط بمعنى الحلول في المكان والتزول به قال الله تعالى اهبطوا مصر ويقول القائل هبطنا بلد كذا يريد حللنا قال زهير

مَا زَلْتِ أَرْمُهُمْ حَتَّى إِذَا هَبَطَتْ أَيْدِي الرِّكَابِ بِهِمْ مِنْ رَأْسِ قَلْبًا

والعدو نقيض الولي والعداوة المصدر واصله من المجاوزة والقرار الثبات والبقاء. وضد القرار الاتزاع وضد الثبات الزوال وضد البقاء الفناء والاستقرار الكون اكثر من وقت واحد على حال والمستقر يحتمل ان يكون بمعنى الاستقرار ويحتمل ان يكون بمعنى المكان الذي يستقر فيه والمتاع والتمتع والمتعة والتلذذ متقاربة المعنى وكل شي تتمتع به فهو متاع والحين والمدة والزمان متقارب والحين في غير هذا الموضوع ستة اشهر يدل عليه قوله تعالى توتى اكلها كل حين بإذن ربها والحين يصلح للأوقات كلها الا انه في الاستعمال في الكثير منها اكثر

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حال آدم عليه السلام قال «فأزلهما الشيطان» أي حملهما على الزلة نسب الازلال الى الشيطان
 لا وقع بدعائه ووسوسته واغوائه عنها أي عن الجنة وما كانا فيه من عظيم الرتبة والمنزلة والشيطان المراد به ابليس
 فأخرجهما مما كانا فيه من النعمة والدعة ويحتمل ان يكون اراد اخراجها من الجنة حتى اهبطا ويحتمل ان يكون
 اراد من الطاعة الى المعصية واطراف الاخراج اليه لأنه كان السبب فيه كما يقال صرفني فلان عن هذا الأمر ولم
 يكن اخراجها من الجنة واهباطها الى الارض على وجه العقوبة لأن الدليل قد دل على ان الانبياء عليهم السلام
 لا تجوز عليهم القباح على حال ومن اجاز العقاب على الانبياء فقد اساء عليهم الثناء واعظم القرية على الله سبحانه وتعالى
 واذا صح ما قلناه فانما اخرج الله آدم من الجنة لأن المصلحة قد تغيرت بتناوله من الشجرة فاقتضت الحكمة
 والتدبير الالهي اهباطه الى الأرض وابتلاءه بالتكليف والمشقة وسلبه ما ألبسه اياه من ثياب الجنة لأن انعامه عليه
 بذلك كان على وجه التفضل والامتنان فله ان يمنع ذلك تشديدا للبلوى والامتحان كما له ان يفقر بعد الاغناء
 ويميت بعد الاحياء ويسقم بعد الصحة ويعقب المحنة بعد المنحة واختلف في كيفية وصول ابليس الى آدم وحواء
 حتى وسوس اليهما ابليس كان قد اخرج من الجنة حين ابى السجود وهما في الجنة فقيل ان آدم كان يخرج الى باب
 الجنة وابليس لم يكن ممنوعا من الدنو منه فكان يكلمه وكان هذا قبل ان اهبط الى الارض وبعد ان اخرج من
 الجنة عن ابى علي الجبائي وقيل انه كلمهما من الأرض بكلام عرفاه وفهماه منه وقيل انه دخل في فقم الحية وخطبها
 من فقمها والفقهاء جانب الشدق وقيل انه راسلها بالخطاب وظاهر القرآن يدل على انه شافها بالخطاب وقوله «وقلنا
 اهبطوا» خاطب بخطاب الجمع وفيه وجوه ﴿ احدها ﴾ انه خاطب آدم وحواء وابليس وهو اختيار الزجاج
 وقول جماعة من المفسرين وهذا غير منكر وان كان ابليس قد اخرج قبل ذلك بدلالة قوله اخرج منها فانك
 رجيم لجمع الخبر للثاني (ص) لانهم قد اجتمعوا في الهبوط وان كانت اوقاتهم متفرقة فيه كما يقال اخرج جميع من
 في الحبس وان اخرجوا متفرقين والثاني انه اراد آدم وحواء والحية وفي هذا الوجه بعد لأن خطاب من لا يفهم
 الخطاب لا يحسن ولأنه لم يتقدم للحية ذكر والكناية عن غير مذكور لا تحسن الا بحيث لا يقع ليس مثل قوله حتى
 توارت بالحجاب وقوله ما ترك على ظهرها من دابة وقول حاتم

أماوي ما يُغني الثراءُ عن الفتي إذا حشرت يوماً وضاقت بها الصدورُ

(والثالث) انه اراد آدم وحواء وذريتهما لأن الوالدين يدلان على الذرية ويتعلق بهما (والرابع) ان يكون
 الخطاب يختص بآدم وحواء عليهما السلام وخاطب الاثني عشر على الجمع على عادة العرب وذلك لأن الاثني عشر اول
 الجمع قال الله تعالى اذ نفثت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين اراد حكم داود وسليمان وقد تأول قوله تعالى
 ان كان له اخوة على معنى فإن كان له اخوان (والخامس) آدم وحواء والوسوسة عن الحسن وهذا ضعيف وقوله
 «بعضكم لبعض عدو» يعني آدم وذريته وابليس وذريته ولم يكن من آدم اليه ما يوجب عداوته اياه ولكن حسده
 للمعون وخالفه فنشأت بينهما العداوة ثم ان عداوة آدم له ايمان وعبادة ابليس له كفر وقال الحسن يريد بني آدم
 وبني ابليس وليس ذلك بأمر بل هو تمذير يعني ان الله تعالى لا يأمر بالعداوة فالأمر يختص بالهبوط والمعادة يجري
 مجرى الحال لأن الظاهر يقتضي انه امرهما بالهبوط في حال عداوة بعضهم بعضا فاما على الوجه الذي يتضمن أن
 الخطاب يختص بآدم وحواء فالمراد به ان ذريتهما يعادي بعضهم بعضا وعلق الخطاب بهما للاختصاص بين الذرية
 وبين اصلها وقوله «ولكم في الارض مستقر» أي مقر ومقام وثبوت بان جعل الارض قرارا لكم «ومتاع» أي استمتاع
 «الى حين» الى وقت الموت وقيل الى يوم القيامة وقيل الى فناء الآجال أي كل امرئ مستقر إلى فناء اجله وقال
 ابو بكر السراج لو قال ولكم في الارض مستقر ومتاع لظن انه غير منقطع فقال «الى حين» أي الى حين

انقطاعه والفرق بين قول القائل ان هذا لكم حيناً وبين قوله الى حين ان الى يدل على الانتهاء ولا بد أن يكون له ابتداء. وليس كذلك الوجه الآخر وفي هذه الآية دلالة على ان الله تعالى لا يريد المعصية ولا يصد احداً عن الطاعة ولا يخرجها عنها ولا يسبب المعصية لانه نسب ذلك الى الشيطان جل ربنا وتقدس عما نسبته الى ابليس والسايطين ويدل ايضا على ان اوسوسة ابليس تأثيراً في المعاصي

قوله تعالى (٣٧) فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير آدم بالنصب وكلمات بالرفع وقرأ الباقون برفع آدم ونصب كلمات

﴿ الحجة ﴾

حجة ابن كثير في نصب آدم انه في المعنى كالقراءة الاخرى فان الافعال المتعدية على ثلاثة اضرب منها ما يجوز فيه ان يكون الفاعل له مفعولاً به والمفعول فاعلاً نحو ضرب زيد عمرواً ومنها ما لا يجوز ذلك فيه نحو اكلت الخبز ونحوه ومنها ما يكون اسناده الى الفاعل في المعنى كاسناده الى المفعول به نحو نلت واصبت وتلقيت تقول نالني خير ونلت خيراً واصابني شيء واصبت شيئاً وتلقاني زيد وتلقيت زيدا ومثل هذه الآية قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين وفي حرف عبد الله فيا قيل لا ينال عهدي الظالمين

﴿ اللغة ﴾

التلقي نظير التلقن يقال تلقيت منه اي اخذت وقبلت واصله من لقيت خيراً فتعدى الى مفعول واحد ثم يعدى الى مفعولين بتضعيف العين نحو تلقيت زيداً خيراً كقوله تعالى ولقاها من نضرة وسرورا ومطاعة تلقيته بالقبول اي قبلته منه ومن ذلك قول ابي مهدية في آيات من القرآن تلقيتها من عمي تلقاها من ابي هريرة تلقاها من رسول الله وتلقيت الرجل استقبلته وتلقاني استقبلني وكلمات جمع كلمة والكلمة اسم جنس لوقوعها على الكثير من ذلك والقليل قالوا قال امرؤ القيس في كلمته يعنون في قصيدته وقال قس في كلمته يعنون خطبته فقد وقعت على الكثير وقيل لكل واحد من الكلم الثلاث كلمة فوقعت على القليل من الاسم المفرد والفعل المفرد والحرف المفرد واما الكلام فان سيويه قد استعمله فيما كان مؤلفاً من هذه الكلم وعلى هذا جاء التنزيل قال الله تعالى يريدون ان يبذلوا كلام الله يعني به قوله تعالى فان رجعت الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابداً الا ترى الى قوله كذلك قال الله من قبل يقال كلمه تكليماً وكلاماً وتكلم تكليماً والكلم الجرح يقال كلمته اكلمه واصل الباب الناثير والكلم اثر دال على الجراح والكلام اثر دال على المعنى الذي تحته والذي حوره المتكلمون في حد الكلام هو انه ما انتظم من حرفين فصاعداً من هذه الحروف المعقولة اذا وقع بمن يصح منه او من قبيله الافادة وقال بعضهم هو ما انتظم من الحروف المسبوقة المتميزة ليعتبر من الكتابة التي ليست بمسبوقة ويتميز من اصوات كثير من الطيور لانها ليست بتميزة وينقسم الكلام الى مهمل ومستعمل وانما اراد سيويه بقوله ان المهمل لا يكون كلاماً لانه لا يكون مفيداً اذ الكلام عنده لا يقع الا على المفيد وبه قال ابو القاسم البلخي والتوبة والاقلاع والانابة في اللغة نظائر وضد التوبة الاصرار والله تعالى يوصف بالتوابع ومعناه انه يقبل التوبة عن عباده واصل التوبة الرجوع عما سلف والندم على ما فرط فانه تعالى تائب على العبد بقبول توبته والعبد تائب الى الله تعالى بندمه على معصيته

﴿ المعنى ﴾

قوله «فتلقى آدم» اي قبل واخذ وتناول على سبيل الطاعة «من ربه» ورب كل شيء «كلمات» وانما قوله

فتلقى عن ان يقول فرغب الى الله بهن او سأل بهن لأن معنى التلقي يفيد ذلك وينبى عما حذف من الكلام اختصارا ولهذا قال تعالى «فتاب عليه» لأنه لا يتوب عليه الا بأن سأل بتلك الكلمات وعلى قراءة من قرأ فتلقى آدم من ربه كلمات لا يكون معنى التلقي القبول بل معناه ان الكلمات تداركته بالنجاة والرحمة واختلف في الكلمات ماهي فقيل هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا الآية عن الحسن وقتادة وعكرمة وسعيد بن جبير وان في ذلك اعترافاً بالخطيئة فلذلك وقعت موقع الندم وحقيقة الانابة وقيل هي قوله اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فافقر لي انك خير العافرين اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فارجمني انك خير الراحمين اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فتاب علي إني أنت التواب الرحيم عن مجاهد وهو المروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام وقيل بل هي سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله اكبر وقيل وهي رواية تختص بأهل البيت عليهم السلام ان آدم رأى مكتوباً على العرش اسما عظيمة مكرمة فسأل عنها فقيل له هذه اسما اجل الخلق منزلة عند الله تعالى والاسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فتوسل آدم عليه السلام الى ربه بهم في قبول توبته ورفع منزلته قوله «فتاب عليه» فيه حذف اي تاب آدم فتاب الله عليه اي قبل توبته وقيل تاب عليه أي وفقه للتوبة وهداه اليها بأن لفته الكلمات حتى قالها فلما قالها قبل توبته «انه هو التواب» اي كثير القبول للتوبة يقبل مرة بعد مرة وهو في صفة العباد الكثير التوبة وقيل ان معناه انه يقبل التوبة وان عظمت الذنوب فيسقط عقابها وقوله «الرحيم» انما ذكره ليدل به على انه متفضل بقبول التوبة ومنعم به وان ذلك ليس على وجه الوجوب وانما قال فتاب عليه ولم يقل عليها لأنه اختصر وحذف للايجاز والتغليب كقوله سبحانه وتعالى والله ورسوله أحق ان يرضوه ومعناه ان يرضوه ما واوله واذا رأوا تجارة اولهوا انفضوا اليها وكقول الشاعر

رَمَانِي بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيًّا وَمِنْ جَوْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي

وقال الآخر

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلَفٌ

فكذلك معنى الآية فتاب عليها وقال الحسن البصري لم يخلق الله آدم الا للأرض ولو لم يعص لأخرجه الى الارض على غير تلك الحال وقال غيره يجوز ان يكون خلقه للأرض ان عصى وغيرها ان لم يعص وهو الاقوى

فصل مختصر في التوبة وشروطها والاختلاف فيها

اعلم ان من شروط التوبة الندم على ما مضى من القبيح والعزم على ان لا يعود الى مثله في القبح فإن هذه التوبة اجمع المسلمون على سقوط العقاب عندها واختلفوا فيما عداها وكل معصية لله تعالى فانه يجب التوبة منها والطاعة لا يصح التوبة منها وعندنا يصح التوبة اذا كانت من ترك الندب ويكون ذلك على وجه الرجوع الى فعله وعلى هذا يحمل توبة الانبياء عليهم السلام في جميع ما نطق به القرآن وقبول التوبة واسقاط العقاب عندها تفضل من الله تعالى غير واجب عليه عندنا وعند جميع المعتزلة واجب وقد وعد الله تعالى بذلك وان كان تفضلا وعلما انه لا يخلف الميعاد واما التوبة من قبيح مع الإقامة على قبيح آخر يعلم او يعتقد قبحه فعند اكثر المتكلمين هي صحيحة وعند ابي هاشم واصحابه لا يصح واعتمد الاولون على ان قالوا كما يجوز ان يمتنع عن قبيح بقبحه مع انه يفعل قبيحاً آخر وان علم قبحه كذلك يجوز أن يندم من قبيح مع المقام على قبيح آخر يعلم قبحه واختلفوا في التوبة عند ظهور اشراط الساعة هل تصح ام لا فقال الحسن يجب عنها عند الآيات الست وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال بادروا بالاعمال ستاً طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الارض وخويصة احدكم يعني الموت وامر العامة يعني القيامة وقيل لا شك ان التوبة عند بعض هذه الآيات يجب وعند بعضها يجوز أن لا يجب والله اعلم

قوله تعالى (٣٨) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب فلا خوف بنصب الفاء في جميع القرآن وقرأ الباقون بالرفع والتنوين واجمعوا على اثبات الالف
في هداي وتحريك اليا وروي عن الاعرج بسكون اليا وهو غلط الا ان يكون نوى الوقف وروى بعضهم
هدى وهي لغة هذيل يقبلون الالف الى اليا ليا التي بعدها لأن شأن ياء الاضافة ان يكسر ما قبلها فجعل
قلب الالف ياء بدل كسرها اذ الالف لا يتحرك فهو مثل على ولدى وقالوا هوي قال ابو ذؤيب
سَبُّوا هَوِيًّا وَأَعْنَقُوا السَّبِيلِيهِمْ^(١) فَتَخَّرَ مَوَا وَكَلَّ جَنْبٍ مَضْجَعٌ

﴿ اللفظة ﴾

المهبط النزول من موضع عالي الى استفال وقد يستعمل في هبوط المتزلة قال لبيد

كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرٌ هُمْ قُلْ وَإِنْ أَكْثَرُوا مِنَ الْعَدَدِ
إِنْ يُعْبَطُوا يَهْبِطُوا وَإِنْ أُمِرُوا يَوْمًا فَهُمْ لِلْقَنَاءِ وَالنَّفَدِ

والايتان والمجي والاقبال نظائر ونقيضه الذهاب والانصراف والاتباع والاقداء والاحتذاء نظائر والتابع
التالي وفي الحديث القادة والاتباع فالقادة السادة والاتباع الذين يتبعونهم والتبعية ولدالبقرة وثلاثة اتبعت والجمع
اتباع والتبع الظل والخوف والجزع والفرع نظائر ونقيض الخوف الأمن وطريق مخوف تخافه الناس ومخيف
يخيف الناس والحزن والنم والهمل نظائر ونقيض السرور يقال حزن حزناً وحزناه حزناً ويقال حزناه وهو
حزون وحزن وقال قوم لا يقولون حزناه الأمر ويقولون يحزناه فاذا صاروا الى الماضي قالوا احزنه وهذا شأنه لانه
استعمل احزن واهمل يحزن واستعمل يحزن واهمل حزن واصل الباب غلظ الهمل مأخوذ من الحزن وهو اغلظ من الارض

﴿ الاعراب ﴾

إما هو ان الجزاء دخلت عليها ما ليصح دخول نون التأكيد في الفعل ولو اسقطت لم يجوز دخول النون لأنها
لا تدخل في الخبر الواجب الا في القسم او ما أشبه القسم كقولك زيد ليأتينك ولو قلت بغير لام لم يجوز وكذلك
تقول بعين ما اريدك ويجهد ما تبلغنا وفي عطية ما يبتن بشكرها ولو قلت بعين اريدك بغير ما لم يجوز فدخول ما هاهنا
كدخول اللام في انها توء كداول الكلام وتوء كد النون آخره والامر والنهي والاستفهام تدخل النون فيه وان لم
يكن معه ما اذا كان الامر والنهي مما يشتد الحاجة الى التوكيد فيه والاستفهام مشبهه اذ كان معناه اخبرني فالنون
انما تلحق للتوكيد فلذلك كان من مواضعها قال الله تعالى ولا تقولن شيئا اني فاعل ذلك غدا قال الزجاج وانما فتح ما قبل
النون في قوله يأتينكم لسكون اليا وسكون النون الاولى قال ابو علي ولو كان كذلك لما حرك في نحو هل تضربن ونحوه
من الصحيح لأن الساكنين لا يلتقيان في هذا النحو وفي هذا ما يدل على ان هذه الحركة للبناء دون ما ذكره من
التقاء الساكنين وجواب الشرط في الفاء مع الشرط الثاني وجزائه لأن الشرط وجوابه بمنزلة المبتدا والخبر فكما
ان المبتدا لا يتم الا بخبره فكذلك الشرط لا يتم الا بجزائه ولك ان تجعل خبر المبتدا جملة هي مبتدا وخبر كقولك
زيد ابوه منطلق فكذلك ان التي للجزاء اذا كان جوابه بالفاء ووقع بعد الفاء الكلام مستأنفاً صالح ان يكون
جزاء وغير جزاء تقول ان تأتني فانت مكرم ولك أن تقول ان تأتني فن يكرمك اكرمه ف قوله اما يأتينكم
شرط ويأتينكم في موضع الجزم بأن وجزاؤه الفاء وما بعده من قوله فن تبع هداي الآية ومن في موضع

(١) هكذا في النسخ والمخطوط كما في لسان العرب وغيره لهوامم وبدل مضجع مصرع

الرفع بالابتداء وتبع في موضع الجزم بالشرط وجزاؤه الفاء وما بعده وهو قوله فلا خوف عليهم ولا خوف عليهم جملة اسمية ولا هم يجزنون جملة اسمية معطوفة على الجملة التي قبلها والفاء مع ما بعده في موضع جزم بالجزء لقوله من تبع هداي والشرط والجزاء مع معنى حرف الشرط الذي تضمنته من في موضع رفع بأنها خبر المبتدا الذي هو من ثم الفاء وما بعده من قوله فمن تبع هداي الآية في موضع جزم بأنه جزء لقوله اما يأتينكم وهذا في المقدمات القياسية يسمى الشرطية المركبة وذلك ان المقدم فيها اذا وجب وجب التالي المترتب عليه

﴿ المعنى ﴾

ثم بين تعالى اهباطهم الى الارض فقال «اهبطوا» أي انزلوا والخطاب لآدم وحواء على ما ذكرناه من الاختلاف فيه فيا تقدم واختلف في تكرار الهبوط فقيل الهبوط الاول من الجنة الى السماء وهذا الهبوط من السماء الى الارض عن ابي علي وقيل انما ذكره للتأكيد وقيل انما ذكره لاختلاف الحالين فقد بين بقوله «وقلنا اهبطوا بعضهم لبعض عدو» ان الاهباط انما كان في حال عداوة بعضهم لبعض وبين بقوله «قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى» ان الاهباط انما كان للابتلاء والتكليف كما يقال اذهب سالما معافى اذهب مصاحباً وان كان الذهاب واحدا لاختلاف الحالين فإما يأتينكم مني هدى أي بيان ودلالة وقيل أنبياء ورسل وعلى هذا القول الاخير يكون الخطاب في قوله اهبطوا لآدم وحواء وذريتهما كقوله تعالى فقال لها وللأرض أيتيما طوعاً او كرهاً قالتا أيتينا طائعين اي أيتينا بما فينا من الخلق طائعين «فمن تبع هداي» اي اقتدى برسلي واحذني ادلتي فلا يلحقهم خوف من أهوال يوم القيامة من العقاب ولا هم يجزنون على فوات الثواب فاما الخوف والحزن في الدنيا فانه يجوز ان يلحقهم لأن من المعلوم ان المؤمنين لا ينفكون منه وفي هذه الآية دلالة على ان الهدى قد ثبتت ولا اهتداء وان الاهتداء لفايقع بالاتباع والقبول

قوله تعالى (٣٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الكفر والتكذيب قد مضى معناهما فيما تقدم ذكره والآيات جمع آية ومعنى الآية في اللغة العلامة ومنه قوله تعالى عيدا لا ولنا وآخرا وآية منك اي علامة لانجابتك دعانا وكل آية من كتاب الله علامة ودلالة على المضمون فيها وقال ابو عبيدة معنى الآية انها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها وانقطاعه من الذي بعدها وقيل ان الآية القصة والرسالة قال كعب بن زهير

أَلَا أَيْلَعًا هَذَا الْمَعْرُضَ آيَةً أَيْقِظَانَ قَالَ الْقَوْلَ إِذْ قَالَ أُمِّ حِلْمٍ

أي رسالة فعلى هذا يكون معنى الآيات النص اي قصة تتلو قصة وقال ابن السكيت خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم لم يدعوا وراهم شيئا وعلى هذا يكون معنى الآية من كتاب الله جماعة حروف دالة على معنى مخصوص والاصحاب جمع الصاحب وهو القرين واصل الصحبة المقارنة فالصاحب هو الحاصل مع آخر مدة لأنه اذا اجتمع معه وقتاً واحداً لم يكن صاحباً له لكن يقال صحبه وقتاً من الزمان ثم فارقه

﴿ الاعراب ﴾

موضع اولئك يمتثل ثلاثة أوجه ﴿احدها﴾ أن يكون بدلا من الذين او عطف بيان واصحاب النار بيان عن اولئك مجراه مجرى الوصف والخبر هم فيها خالدون والثاني أن يكون ابتداء وخبراً في موضع الخبر الاول والثالث ان يكون على خبرين بنزلة خبر واحد كقولك هذا حلر حامض فإن قيل فلم دخلت الفاء في موضع آخر مثل قوله فاولئك لهم عذاب مهين ولم يدخلها هنا قلنا لأن ما دخل فيه الفاء من خبر الذي وأخواته مشبه بالجزء

وما لم يكن فيه فاء فهو على أصل الخبر واذا قلت مالي فهو لك ان اردت ما بمعنى الذي جاز وان اردت به المال لم يجز

﴿ المعنى ﴾

«الذين كفروا» أي جحدوا «وكذبوا بآياتنا» أي دلالاتنا وما أنزلناه على الانبياء «ف» أو لك اصحاب النار «أي الملازمون للنار» هم فيها خالدون «أي دلقون وفي هذه الآية دلالة على أن من مات مصراً على كفره غير نائب منه وكذب بآيات ربه فهو مضلد في نار جهنم وآيات الله دلالة وكتبه المذلة على رسله والآية مثل الحجية والدلالة وان كان بينهما فرق في الاصل يقال دلالة هذا الكلام كذا ولا يقال آيته ومن استدلل بهذه الآية على أن عمل الجوارح قديكون من الكفر بقوله وكذبوا بآياتنا فقولهم يفسد بأن التكذيب نفسه وان لم يكن كفراً فهو دلالة على الكفر لأنه لا يقع الا من كافر كالسجود للشمس وغيره

قوله تعالى (٤٠) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (آية)

﴿ القراءة ﴾

القراءة المشهورة اسرائيل مهموز ممدود مشبع وهو الفصحى وروي في الشواذ عن الحسين والزهرى اسرائيل بلا همز ولا مد وعن الاعمش وعيسى بن عمر كذلك وحكي عن الاخفش اسرائيل بكسر الهمزة من غير ياء وحكي قطرب اسرائيل من غير همز ولا ياء واسرئيل بالنون قال ابو علي العرب اذا نطقت بالا عجمي خاطت فيه وأنشد

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ لِأَمِّ الْخَزْرَجِ مِنْهَا فَظَلَّتْ الْيَوْمَ كَالْمَرْجِ

يريد المرجن وهو الخمر من الزرجون قال والنون في زرجون اصل كالسين في قريوس فاذا جاز للعرب أن تخلط فيما هو لغتها فكيف فيما ليس من لغتها واختير تحريك الياء في قوله نعمتي التي أنعمت لأنه لغتها ألف الوصل واللام فلم يكن بد من إسقاطها أو تحريكها فكان التحريك أولى لأنه أدل على الاصل واشكل بما يلحق اللام في الاستئناف من فتح الف الوصل واسكان الياء من قوله يا عبادي الذين اسرفوا أي الاسقاط ههنا أجود لأن من حق ياء الأضافة لا تثبت في النداء واذا لم تثبت فلا طريق إلى تحريكها والاختيار في قوله فبشر عبادي الذين يستمعون القول حذف الياء لأنه رأس آية وروى وس الآي لا تثبت فيها الياء لأنها فواصل ينوي فيها الوقت كما يفعل ذلك في التوقيف وأنجموا على إسقاط الياء من قوله فارهبون الا ابن كثير فإنه أثبت في الوصل دون الوقف والوجه حذفها لكراهية الوقف على الياء وفي كسر النون دلالة على ذهاب الياء

﴿ اللفظة ﴾

الأبن والولد والنسل والذرية متقاربة المعاني الا أن الأبن للذكر والولد يقع على الذكر والانثى والنسل والذرية يقع على جميع ذلك وأصله من البناء وهو وضع الشيء على الشيء فالأبن مبني على الأب لأن الأب أصل والأبن فرع والبنوة مصدر الابن وان كان من الياء كالفتوة مصدر الفتى وتثنيته فتيان واسرائيل هو يعقوب بن اسحاق ابن ابراهيم وقيل أصله مضاف لأن أسر معناه عبد وإيل هو الله بالعبرانية فصار مثل عبد الله وكذلك جبرائيل وميكائيل والذكر الحفظ للشيء بذكره وضده النسيان والذكر جوي الشيء على لسانك والذكر الشرف في قوله وانه لذكرك ولقومك والذكر الكتاب الذي فيه تفصيل الدين وكل كتاب من كتب الانبياء ذكر والذكر الصلاة والدعاء وفي الأثر كانت الانبياء اذا أحزنهم أمر فزعوا الى الذكر أي الى الصلاة وأصل الباب التنبية على الشيء قال صاحب العين تقول وفيت بمهدك وفاء وأوفيت لغة تهامه قال الشاعر في الجمع بين اللغتين

أَمَا بِنُ عَوْفٍ فَقَدْ أَوْفَى بِذِمَّتِهِ كَمَا وَفَى بِقِلَاصِ النَّجْمِ حَادِيهَا

يعني به الديار وهو التالي والعهد الامر والعهد الوصية والرهب الخوف وضدها الرغبة وفي المثل رهبت خير من رحمت أي لأن ترهب خير من أن ترحم

﴿ الاعراب ﴾

يا حرف النداء وهي في موضع نصب لأنه منادى مضاف واسرائيل في موضع جر لأنه مضاف اليه وفتح لأنه غير منصرف وفيه بيان العجمة والتعريف وقوله واياي ضمير منصوب ولا يجوز أن يكون منصوبا بقوله فارهبون لأنه مشغول كما لا يجوز أن يقول ان زيدا في قواك زيدا فاضربه منصوب باضربه لكنه يكون منصوبا بفعل يدل عليه ما هو مذكور في اللفظ وتقديره واياي ارهبوا فارهبون ولا يظهر ذلك لأنه استغني عنه بما يفسره وان صح تقديره ولا يجوز في مثل ذلك الرفع على أن يكون الخبر فارهبون الا على تقدير محذوف كما أنشد سيويه

وَقَائِلَةٌ خَوْلَانُ فَاَنْكَحَ فَتَاتَهُمْ وَأَرْوَمَةُ الْحَيِّنِ خَلَوْ كَمَا هِيَ

تقديره هو لا. خولان فانكح فتاتهم وعلى ذلك حمل قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة تقديره وفيما يتلى عليكم السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما وفيما فرض عليكم الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما

﴿ المعنى ﴾

لما عمَّ الله تعالى جميع الخلق بالحبج الواضحة على توحيدهم وذكرهم ما أنعم به عليهم في ابيهم آدم عليه السلام خص بني اسرائيل بالحبج وذكرهم ما اسدى اليهم والى آبائهم من النعم فقال «يا بني اسرائيل» يعني بابني بمقبوب نسبهم الى الأب الأعلى كما قال يا بني آدم والخطاب لليهود والنصارى وقيل هو خطاب لليهود الذين كانوا بالمدينة وما حولها عن ابن عباس «اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم» اراد بذلك النعم التي انعم بها على أسلافهم من كثرة الانبياء. فيهم والكتب والنجائهم من فرعون ومن العرق على أعجب الوجوه وانزال المن والساوى عليهم وكون الملك فيهم في زمن سليمان عليه السلام وغير ذلك وعد النعمة على آبائهم نعمة عليهم لأن الاولاد يتشرفون بفضيلة الآباء. وهذا كما يقال في المفاخرة قتلناكم يوم الفجار وهزمنناكم يوم ذي قار وغلبناكم يوم النصارى وذكر النعمة بلفظ الواحد والمراد بها الجنس كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والواحد لا يمكن عده وقيل المراد بها النعم الواصلة اليهم بما اختصوا به دون آبائهم او اشتروا فيه مع آبائهم فكان نعمة على الجميع فن ذلك تبقية آبائهم حتى تناسلوا فصاروا من اولادهم ومن ذلك خلقه إياهم على وجه يمكنهم معه الاستدلال على توحيدهم والوصول الى معرفته فيشكروا نعمه ويستحقوا ثوابه ومن ذلك ما يوصل اليهم حالا بعد حال من الرزق ويدفع عنهم من المكاراه والأسواء وما يسبغ عليهم من نعم الدين والدنيا فعلى القول الاول تكون الآية تذكيرا بالنعم عليهم في اسلافهم وعلى القول الثاني تكون تذكيرا بالنعم عليهم ومن النعم على اسلافهم في ما ذكره في قوله واذ قال موسى لقومه يا قومي اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وقال ابن الانباري اراد اذكروا ما انعمت به عليكم فيما استودعتكم من علم التوراة وبينت لكم من صفة محمد صلى الله عليه وآله والزمتكم من تصديقه واتباعه فلما بعث ولم يتبعوه كانوا كالتاسين لهذه النعمة وقوله «واوفوا بعدي اوف بعهدكم» قيل فيه وجوه ﴿احدها﴾ ان هذا العهد هو ان الله تعالى عهد اليهم في التوراة انه باعث نبيا يقال له محمد فن تبعه كان له اجران اثنان اجر باتباعه موسى وإيمانه بالتوراة واجر باتباعه محمدا وإيمانه بالقرآن ومن كفر به تكاملت اوزاره وكانت النار جزاءه فقال اوفوا بعدي في محمد اوف بعهدكم ادخلكم الجنة عن ابن عباس فسمى ذلك عهدا لأنه تقدم به اليهم في الكتاب السابق وقيل انما جعله عهدا لتأكيد بجزلة العهد الذي هو اليمين كما قال سبحانه واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبينته

للناس ولا تكتمونه (وثانيها) انه العهد الذي عاهدكم عليه حيث قال خذوا ما آتيناكم بقوة اذكروا ما فيه اي ما في الكتاب عن الحسن (وثالثها) انه ما عهد اليهم في سورة المائدة حيث قال ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي الآية عن قتادة (ورابعها) انه اراد جميع الأوامر والنواهي (وخامسها) انه جعل تعريفه اياهم نعمة عهدا عليهم وميثاقا لأنه يلزمهم القيام بما يأمرهم به من شكر هذه النعم كما يلزمهم الوفاء بالعهد والميثاق الذي يوءخذ عليهم والاول اقوى لأن عليه اكثر المفسرين وبه يشهد القرآن وقوله «وإياي فارهبون» اي خافوني في نقض العهد وفي هذه الآية دلالة على وجوب شكر النعمة وفي الحديث التحدث بالنعم شكر وفيها دلالة على عظم المعصية في جحود النعم وكفرانها وحق الوعيد الشديد بكتابتها ويدل ايضا على ثبوت افعال العباد اذ لو لم تكن لهم افعال لما صح العهد والأمر والنهي والوعد والوعيد ولأدى الى بطلان الرسل والكتب

قوله تعالى (٤١) **وَأٰمَنُوا بِمَا اُنزَلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُوْنُوْا اَوَّلَ كٰفِرٍ بِهٖ وَلَا تَشْتَرُوْا بِآيٰتِيْ ثَمٰنًا قَلِيْلًا وَّآيٰتِيْ فَاَتَقُوْنَ** (آية)

﴿اللغة﴾

قوله اول كافر قال الزجاج يعني اول الكافرين وفيه قولان قال الأخفش معناه اول من كفر به وقال غيره من البصريين معناه اول فريق كافر به اي بالنبي صلى الله عليه وآله قال وكلا القولين صواب حسن ونظير قوله اول كافر به قال الشاعر

وَإِذَا هُمْ طَعِمُوا فَلَا مُمْ طَاعِمٍ
وَإِذَا هُمْ جَاعُوا فَشَرُّ جِيَاعٍ

والثمن والعرض والبدل نظائر وبينها فروق فالثمن هو البدل في البيع من العين او الورق واذا استعمل في غيرهما كان مشبهاً بهما ومجازاً والعرض هو البدل الذي ينتفع به كأننا ما كان البدل هو الشيء الذي يجعل مكان غيره وثوب ثمين كثير الثمن والثمين الثمن والفرق بين الثمن والقيمة ان الثمن قد يكون وفقاً وقد يكون بخساً وقد يكون زائداً والقيمة لا تكون الا مساوية المقدار للثمن من غير نقصان ولا زيادة

﴿الاعراب﴾

مصدقاً نصب لأنه حال من الهاء المحذوفة من أنزلت كأنه قال أنزلته مصدقاً ويصلح ان ينتصب بآمنوا كأنه قال آمنوا بالقرآن مصدقاً ومعكم صلة لما والعامل فيه الاستقرار اي الذي استقر معكم والهاء في به عائد الى ما في قوله بما أنزلت او الى ما من قوله لما معكم ونصب اول كافر لأنه خبر كان

﴿المعنى﴾

ثم قال مخاطباً لليهود «وآمنوا» اي صدقوا «بما أنزلت» على محمد صلى الله عليه وآله من القرآن لأنه منزل من السماء الى الارض «مصدقاً لما معكم» من التوراة امرهم بالتصديق بالقرآن وأخبرهم ان في تصديقهم بالقرآن تصديقا منهم للتوراة لأن الذي في القرآن من الأمر بالاقرار بالنبوة لمحمد صلى الله عليه وآله وتصديقه نظير الذي في التوراة والانجيل فإن فيهما البشارة بمحمد وبيان صفته فالقرآن مصدق لهما وقيل معناه انه يصدق بالتوراة لأن فيه الدلالة على انه حق وانه من عند الله والاول اوجه لأنه يكون حجة عليهم بأن جاء القرآن بالصفة التي تقدمت بها بشارة موسى وعيسى عليهما السلام وقوله «ولا تكونوا اول كافر به» اي بالقرآن من اهل الكتاب لأن قريشا قد كانت كفرت به بمكة قبل اليهود وقيل المعنى ولا تكونوا السابقين الى الكفر به فيتبعكم الناس أي لا تكونوا أئمة في الكفر به عن ابي العالية وقيل المعنى ولا تكونوا اول جاحدين صفة النبي في كتابكم

فعلى هذا تعود الهماء في به الى النبي صلى الله عليه وآله عن ابن جريج وقيل المعنى ولا تكونوا اول كافر بما معكم من كتابكم لانكم اذا جحدتم ما فيه من صفة النبي (ص) فقد كفرتم به قال الزجاج وقواه بان الخطاب وقع على علماء اهل الكتاب فاذا كفروا كفر معهم الاتباع فلذلك قيل لهم ولا تكونوا اول كافر به قال ولو كان الهماء في به للقرآن فلا فائدة فيه لانهم كانوا يظهرون انهم كافرون بالقرآن وقال علي بن عيسى يحتمل ان يكونوا اول كافر بالقرآن انه حق في كتابكم وانما عظم اول الكفر لانهم اذا كانوا ائمة لهم وقدوة في الضلالة كانت ضلالتهم اعظم نحو ما روي عن النبي (ص) من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وليس في نهيه عن ان يكونوا اول كافر به دلالة على انه يجوز ان يكونوا آخر كافر لان المقصود النهي عن الكفر على كل حال وخص اولا بالذكر لما ذكرناه من عظم موقعه كما قال الشاعر

مِنَ اُنَّاسٍ لَيْسَ فِي اَخْلَاقِهِمْ عَاجِلُ الْفُحْشِ وَلَا سُوءُ الْجَزَعِ

وليس يريدان فيهم فحشاً آجلاً وقوله «ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً» روي عن ابي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال كان حبي بن أخطب وكعب بن الأشرف وآخرون من اليهود لهم مأكلة على اليهود في كل سنة فكرهوا بطلانها بأمر النبي (ص) فحرفوا لذلك آيات من التوراة فيها صفة وذكره فذلك الثمن الذي اريد في الآية قال القراء انما ادخل الباء في الآيات دون الثمن وفي سورة يوسف ادخله في الثمن في قوله وشروه بشمن نجس دراهم معدودة لان العروض كلها انت محير فيها ان شئت قلت اشترت الثوب بكساء وان شئت قلت اشترت بالثوب كساء ايها جعلت ثمناً لصاحبه جازفاذا جئت الى الدراهم والدنانير وضعت الباء في الثمن كقوله وشروه بشمن نجس دراهم لان الدراهم ثمن ابدا والمعنى لا تستبدلوا بآياتي اي بما في التوراة من بيان صفة محمد ونعته ثمناً قليلاً اي عرضاً يسيراً من الدنيا «واياي فاتقون» فآخشيوني في امر محمد (ص) لا ما يفوتكم من المآكل والرئاسة وتقييده الثمن بالقله لا يدل على انه اذا كان كثيراً يجوز شراؤه به لان المقصود منه ان اي شيء باعوا به آيات الله كان قليلاً وانه لا يجوز ان يكون ثمن يساويه كقوله ومن يدع مع الله شيئاً آخر لا برهان له به وانما اراد بذلك نفي البرهان عنه على كل حال وانه لا يجوز ان يكون عليه برهان ومثله قوله ويقتلون النبيين بغير حق وانما اراد ان قتلهم لا يكون الا بغير حق ونظائر ذلك كثيرة ومنه قول امرئ القيس

عَلَى لَاحِبٍ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ إِذَا سَافَهُ الْعُودُ الدِّبَاقِيَّ جَرَّجَرًا

وانما اراد انه لا منار هناك فهتدى به وفي هذه الآية دلالة على تحريم اخذ الرشى في الدين لانه لا يخلو ايماناً ان يكون امراً يجب اظهاره او يحرم اظهاره فالأخذ على مخالفة كلا الوجهين حرام وهذا الخطاب يتوجه ايضا على علماء السوء من هذه الامة اذا اختاروا الدنيا على الدين فتدخل فيه الشهادات والقضاة والفتاوى وغير ذلك

قوله تعالى (٤٢) وَلَا تَأْسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

اللبس والتغطية والتعمية نظائر والفرق بين التغطية والتعمية ان التغطية تكون بالزيادة والتعمية قد تكون بالنقصان والزيادة وضد اللبس الايضاح واللباس ما اريت به جسدك ولباس التقوى الحياء واللبس خلط الامور بعضها ببعض والفعل لبس الامر يابس لبساً ولبس الثوب يلبسه لبساً والفرق بين اللبس والاختفاء ان الاختفاء يمكن ان يدرك معه المعنى ولا يمكن مع اللبس ادراك المعنى والاشكال قد يدرك معه المعنى الا انه بصعوبة لأجل التعقيد وقال امير المؤمنين عليه السلام للحوث بن حوط يا حار انه ملبوس عليك ان الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله والباطل

والبطل واحد وهو ضد الحق والبطلان والفساد والكذب والزور والبهتان نظائر وابطلت الشيء جعلته باطلا
وابطل الرجل جاء بباطل

﴿ الاعراب ﴾

قوله وتكتموا الحق يشمل وجهين من الاعراب احدهما الجزم على النهي كأنه قال لا تابسوا الحق ولا
تكتموا فيكون عطف جملة على جملة والآخر التصب على الظرف باضمار ان فيكون عطف الاسم
على مصدر الفعل الذي قبله وتقديره لا يمكن منكم لبس الحق وكتامنه ودل تلبسوا على لبس كما يقال من كذب
كان شرا له فكذب يدل على الكذب فكأنه قال من كذب كان الكذب شرا قال الشاعر في مثله

لَا تَنْتَهَ عَنْ خَلْقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ عَارُ عَالِيكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

اي لا تجمع بين النهي عن خلق والاتيان بمثله

﴿ المعنى ﴾

«لاتبسوا» اي لا تخلطوا «الحق بالباطل» ومعنى ابسهم الحق بالباطل انهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض
لأنهم جحدوا صفة النبي صلى الله عليه وآله فذلك الباطل واقروا بغيره بما في الكتاب وقيل معناه لا تحرفوا
الكلم عن موضعه فالتحريف هو الباطل وتركهم على ما هو به هو الحق وقال ابن عباس لا تخلطوا
الصدق بالكذب وقيل الحق التوراة التي انزلها الله على موسى والباطل ما كتبوه بأيديهم وقيل الحق اقرارهم
ان محمداً مبعوث الى غيرهم والباطل إنكارهم ان يكون بعث اليهم وقوله « وتكتموا الحق وانتم تعلمون »
اي لا تكتموا صفة النبي (ص) في التوراة وانتم تعلمون انه حق والحطاب متوجه الى رؤساء اهل الكتاب كما
وصفهم بأنهم يحرفون الكلم عن موضعه للتبليس على اتباعهم وهذا تقييح لا يفعلونه اي يجحدون ما يعلمون
وجحد العالم اعظم من جحد الجاهل وقيل معناه وانتم تعلمون البعث والجزاء وقيل معناه وانتم تعلمون ما انزل ببني اسرائيل
وما سئزل بن كذب على الله تعالى وقيل معناه وانتم تعلمون ما نزل ببني اسرائيل من المسخ وغيره فان قيل كيف
يجوز ان يكون هو لا عارفين بنبوته محمد وذلك مبني على معرفة الله وعندكم ان من عرف الله لا يجوز ان
يكفر وهو لا صاروا كفارا وما اتوا على كفرهم قلنا لا يمتنع ان يكونوا عرفوا الله على وجه لا يستحقون به
الثواب لأن الثواب انما يستحق بأن ينظروا من الوجه الذي يستحق به الثواب فاذا نظروا على غير ذلك الوجه
لا يستحقون الثواب فعلى هذا يجوز ان يكونوا عارفين بالله والتوراة وبصفات النبي (ص) وان لم يستحقوا
الثواب فلا يمتنع ان يكفروا وقال بعض اصحابنا استحقاقهم الثواب على ايمانهم مشروط بالموافاة فاذا لم يوافقوا
بالايمان لم يستحقوا الثواب فعلى هذا يجوز ان يكونوا عارفين وان لم يكونوا مستحقين لثواب يبطل بالكفر والمتمتع الاول
قوله تعالى (٤٣) وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

أصل الصلاة عند أكثر اهل اللغة الدعاء على ما ذكرناه قبل ومنه قول الاعشى

تَقُولُ بِنْتِي وَقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَجِلًا يَا رَبِّ جَنِّبْ أَبِي الْأَوْصَابَ وَالْوَجَمَا
عَلَيْكَ مِثْلَ الَّذِي صَلَّيْتُ فَأَغْتَمِضِي نَوْمًا فَإِنَّ لِحْجَبِ الْمَرْءِ مُضْطَجِمًا

اي دعوت وقيل اصلها الزوم من قول الشاعر

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَالِمَ اللَّهِ وَإِنِّي لِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِدٌ

اي ملازم لحرها فكان معنى الصلاة ملازمة العبادة على الحد الذي امر الله تعالى به وقيل اصلها من الصلاة وهو عظم العجز لرفعه في الركوع والسجود ومنه قول النابغة

فَأَبَ مَصْلُوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ وَغُودِرَ بِالْجَوْلَانِ حَزْمٌ وَنَائِلٌ

اي الذين جاؤا في صلا السابق وعلى القول الاول اكثر العلماء وقد بينا معنى اقامة الصلاة فيما مضى والزكاة والنا. والزيادة نظائر في اللغة وقال صاحب العين الزكاة زكاة المال وهو تطهيره وزكا الزرع وغيره يزكو زكا بمدودا اي نما وازداد وهذا لا يزكو بفلان اي لا يلبق به والزركا الشفع والحسا الترواحله تشهير المال بالبركة التي يجعلها الله فيه والركوع والانحناء والانخفاض نظائر في اللغة وقال ابن دريد الراعي الذي يكبو على وجهه ومنه الركوع في الصلاة قال الشاعر

وَأَفَلَتْ حَاجِبٌ فَوْقَ الْعَوَالِي عَلَى شَقَاءَ تَرَكَعُ فِي الظَّرَابِ

وقال صاحب العين كل شي ينكب لوجهه فتشمس ركبته الأرض أو لا تمس بعد أن يطلأطى رأسه فهو راكع قال الشاعر

وَلَسِكِنِي أَنْصُ الْعَيْسُ تُدْمِي أَيَاطِلَهَا وَتَرَكَعُ بِالْحَزُونِ

وقال لبيد

أَخْبَرُ أَخْبَارَ الثُّرُونِ أَلْتِي مَضَتْ

أدبٌ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعٌ

وقيل انه مأخوذ من الخضوع قال الشاعر

لَا تَهِينِ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ

تَرَكَعَ يَوْمًا وَالِدَهُرُ قَدْ رَفَعَهُ

والاول اقوى وانما يستعمل في الخضوع مجازا وتوسعا

﴿ المعنى ﴾

«واقموا الصلاة» أي أدوها بأركانها وحدودها وشرانطها كما بينها النبي (ص) « وآتوا الزكاة » أي أعطوا ما فرض الله عليكم في أموالكم على ما بينه الرسول لكم وهذا حكم جميع ما ورد في القرآن مجملا فإن بيانه يكون موكولا الى النبي (ص) كما قال سبحانه وتعالى « وآتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلذلك امرهم بالصلاة والزكاة على طريق الاجمال واحال في التفصيل على بيانه وقوله « واركعوا مع الراكعين » انما خص الركوع بالذكر وهو من افعال الصلاة بعد قوله واقموا الصلاة لأحد وجوه ﴿ احدها ﴾ أن الخطاب لليهود ولم يمكن في صلاتهم ركوع وكان الاحسن ذكر المختص دون المشترك لأنه ابعد من اللبس (وثانيها) أنه عبر بالركوع عن الصلاة يقول القائل فرغت من ركوعي اي صلاتي وإنما قيل ذلك لأن الركوع اول ما يشاهد من الافعال التي يستدل بها على أن الانسان يصلي فكانه ذكر الصلاة تأكيدا عن ابي مسلم ويمكن ان يكون فيه فائدة تزيد على التاكيد وهو أن قوله اقيموا الصلاة انما يفيد وجوب اقامتها ويحتمل أن يكون إشارة الى صلاتهم التي يعرفونها وأن يكون الصلاة إشارة الى الصلاة الشرعية وقوله واركعوا مع الراكعين يكون معناه صلوا مع هؤلاء المسلمين الراكعين فيكون متخصصا بالصلاة المقررة في الشرع فلا يكون تكرارا بل يكون بيانا (وثالثها) أنه حث على صلاة الجماعة تتقدم ذكر الصلاة في اول الآية

قوله تعالى (٤٤) أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

البر في اللغة والاحسان والصلة نظائر يقال فلان بار وصول بحسن وضد البر العقوق ورجل بر وبار وبرت يمينه

صدقت وبر حجه وبر لغتان وقولهم فلان لا يعرف المر من البر قال الاخفش معناه لا يعرف من يهر عليه من يبره وقال المازني المر السنور والبر الفارة اودوية تشبهها والفرق بين البر والخير ان البر يدل على قصد والخير قد يقع على وجه السهو والنسيان والسهو والغفلة نظائر وضد النسيان الذكر وحقيقتة غروب الشيء عن النفس بعد حضوره وهو عدم علم ضروري من فعل الله تعالى والسهو قد يقع عما كان الانسان عالماً به وعما لم يكن عالماً به وقد يكون النسيان بمعنى الترك نحو قوله نسوا الله فأنسوا اي تركوا ذكر الله فخذلوهم والتلاوة القراءة تلا يتلو تلاوة اي قرأ وتلا يتلو تلاوا اي تبع واصل التلاوة منه لاتباع بعض الحروف فيها بعضها والفرق بين التلاوة والقراءة ان اصل القراءة جمع الحروف واصل التلاوة اتباع الحروف والعقل والفهم والمعرفة واللب نظائر ورجل عاقل فهم لبيب ذو معرفة وضد العقل الحمق يقال عقل الشيء عقلا واعقله غيره وقيل لابن عباس اني لك هذا العلم قال قلب عقول ولسان سوء ول وقال صاحب كتاب العين العقل ضد الجهل يقال عقل الجاهل اذا علم وعقل المريض بعد ان اهجر وعقل المعتوه ونحوه والعقال الرباط يقال عقلت البعير اعقله عقلا اذا شددت يده بالعقال والعقل مجموع علوم لأجلها يتنوع الحلي من كثير من القبحات ويفعل كثيراً من الواجبات وانما سميت تلك العلوم عقلا لأنها تعقل عن القبيح وقيل لأنها تعقل العلوم المكتسبة ولا يوصف القديم تعالى بأنه عاقل لأنه لا يعقله شيء عن فعل القبيح وانما لا يختاره لعلمه بقبحه وبأنه غني عنه ولأنه لا يكتسب علماً بشيء فيثبت بعض عاومه ببعض وقال علي بن عيسى العقل هو العلم الذي يزجر عن قبيح الفعل ومن كان زاجره اقوى فهو اعقل وقيل العقل معرفة يفصل بها بين القبيح والحسن في الجملة وقيل هو التمييز الذي به فارق الانسان جميع الحيوان وهذه العبارات قريبة معاني بعضها من بعض والفرق بين العقل والعلم ان العقل قد يكمل لمن فقد بعض العلوم ولا يكمل العلم لمن فقد بعض عقله فان قيل اذا كان العقل مختلفاً فيه فكيف يجوز ان يستشهد به قلنا ان الاختلاف في ماهية العقل لا يوجب الاختلاف في قضاياه الا ترى ان الاختلاف في ماهية العقل حتى ان بعضهم قال معرفة وبعضهم قال قوة لا يوجب الاختلاف في ان المائة اكثر من واحد وان الكل اعظم من الجزء وغير ذلك من قضايا العقول

﴿ المعنى ﴾

هذه الآية خطاب لعلماء اليهود وكانوا يقولون لأقربانهم من المسلمين اثبتوا على ما انتم عليه ولا يؤمنون هم والالف للاستفهام ومعناه التوبيخ والمراد بالبر الايمان بحمد (ص) وبجهدهم الله تعالى على ما كانوا يفعلون من امر الناس بالايمان بحمد (ص) وترك انفسهم عن ذلك قال ابو مسلم كانوا يأمرون العرب بالايمان بحمد (ص) اذا بعث فلما بعث كفروا به وروي عن ابن عباس ان المراد انهم كانوا يأمرون اتباعهم بالتمسك بالثروة وتركوا هم التمسك به لأن جدهم النبي (ص) وصفته فيه ترك التمسك به وعن قتادة كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وهم يخالفونه وروي انس بن مالك قال قال رسول الله (ص) مرت لية اسري بي على اناس تقرض شفاهم بمقاريض من نار ققلت من هؤلاء يا جبرائيل فقال هؤلاء خطباء من اهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم وقال بعضهم اتأمرون الناس بالصدقة وتتركونها انتم واذا اتاكم الضعفاء بالصدقة لتفرقوها على المساكين خنتم فيها وقوله «وانتم تتلون الكتاب» معناه وانتم تقرأون التوراة وفيها صفتة ونعته عن ابن عباس وقوله «افلا تعقلون» افلا تفقهون ان ما تفعلونه قبيح في العقول وعن ابي مسلم ان معناه هذا ليس بفعل من يعقل وقيل معناه افلا تعلمون ان الله يعذبكم ويماقبكم على ذلك وقيل افلا تعلمون ان ما في التوراة حق فتصدقوا محمداً وتبعوه فان قيل اذا كان فعل البر واجباً والأمر به واجباً فلماذا وبجهدهم الله تعالى على الأمر بالبر قلنا لم يوجبهم الله على الأمر بالبر وانما وبجهدهم على ترك فعل البر المضموم الى الأمر بالبر لأن ترك البر من أمر به اقبح من تركه من لا أمر به فهو كقول الشاعر
لَاتَهُ عَنِ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ
عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

ومعلوم انه لم يرد به النهي عن الخلق المذموم وانما اراد النهي عن اتيان مثله
قوله تعالى (٤٥) وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الصبر منع النفس عن محابها وكفها عن هواها ومنه الصبر على المصيبة لكف الصابر نفسه عن الجزع ومنه
جاء في الحديث وهو شهر الصبر لشهر رمضان لأن الصائم يصبر نفسه ويكفها عما يفسد الصيام وقتل فلان صبرا
وهو ان ينصب للقتل ويحبس عليه حتى يقتل وكل من حبسته لقتل او يمين يقال فيه قتل صبر ويمين صبر وصبرته
اي حلفته بالله جهد القسم وفي الحديث اقتلوا القاتل واصبروا الصابر وذلك فيمن امسكه حتى قتله آخر فأمر
بقتل القاتل وحبس المسك والخشوع والخضوع والتذلل والإخبات نظائر وضد الخشوع الاستكبار وخشع
الرجل اذا رمى ببصره الى الأرض واختشع اذا طأطأ رأسه كالمتواضع والخشوع قريب المعنى من الخضوع الا ان
الخضوع في البدن والأقرار بالاستخدام والخشوع في الصوت والبصر قال سبحانه خاشعة ابصارهم وخشعت
الاصوات اي سكنت اصل الباب من اللين والسهولة والخاشع والمتواضع والتذلل والمستكين بمعنى قال الشاعر
لَمَّا أَتَى خَبْرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ
سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَعُ

﴿ الاعراب ﴾

قوله وانها لكبيرة اللام تدخل في خبر ان ولا تدخل في خبر اخواتها لأنها لام التأكيد فهي شبيهة بأن في
انها تدخل على المبتدأ وخبره كما تدخل ان وتدخل بمعنى القسم كما تدخل ان تقول والله لتخرجن كما تقول والله انك
خارج فإذا كان بينهما هذه المجانسة فإذا دخلت على أن في نحو لأنها كبيرة كرهوا أن يجمعوا بين حرفين متشاكلين
متفقين في المعنى فأخر اللام الى الخبر ليفصل بين اللام وبين ان بالاسم نحو إنها لكبيرة فاما سائر اخوات ان فتفي
تركب مع المبتدأ وخبره خرج المبتدأ من صورة المبتدأ ويصير قسما آخر فلا يدخل اللام عليه وإذا لم يدخل عليه
كان بالحري ان لا يدخل على خبره

﴿ النزول ﴾

قال الجبائي انه خطاب للمسلمين دون اهل الكتاب وقال الرماني وغيره هو خطاب لأهل الكتاب ويتناول
المؤمنين على وجه التأديب والاولى ان يكون خطابا لجميع المكلفين لفقد الدلالة على التخصيص ويومد قول
من قال انه خطاب لاهل الكتاب ان ما قبل الآية وما بعدها خطاب لهم

﴿ المعنى ﴾

من قال انه خطاب لليهود قال ان حب الرياسة كان يمنع علماء اليهود عن اتباع النبي (ص) لانهم خافوا زوال
الرياسة اذا اتبعوه فأمرهم الله تعالى فقال «استعينوا» على الوفاء بعهدي الذي عاهدتكم في كتابكم عليه من
طاعتي واتباع امري وترك ما نهيتكم عنه والتسليم لامري واتباع رسولي محمد بالصبر على ما انتم فيه من ضيق
المعاش الذي تأخذون الاموال من عوامكم بسببه وروي عن ائمتنا عليهم السلام ان المراد بالصبر الصوم فيكون
فائدة الاستعانة به انه يذهب باشره وهواء النفس كما قال الصوم وجاء وفائدة الاستعانة بالصلاة انه يتلى فيها
ما يرغب فيما عند الله تعالى ويزهده في الدنيا وحب الرياسة كما قال سبحانه ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
ولانها تتضمن التواضع لله تعالى فيدفع حب الرياسة و كان النبي (ص) اذا حزنه امر استعان بالصلاة والصوم
ومن قال انه خطاب للمسلمين قال المراد به استعينوا على تيجز ما وعدته لمن اتبع النبي (ص) او على مشقة
التكليف بالصبر اي بحبس النفس على الطاعات وحبسها عن المعاصي والشهوات وبالصلاة لما فيها من تلاوة القرآن

والتدبر لمعانيه والاتعاظ بمواعظه والانتثار بأوامره والالتزاج عن نواهيه ووجه آخر أنه ليس في أفعال القلوب اعظم من الصبر ولا في أفعال الجوارح اعظم من الصلاة فأمر بالاستعانة بهما وروي عن الصادق عليه السلام انه قال ما ينفع احدكم اذا دخل عليه غم من غموم الدنيا ان يتوضأ ثم يدخل المسجد فيركع ركعتين يدعو الله فيها ما سمعت الله تعالى يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقوله تعالى «وانها لكبيرة» قيل في الضمير في وانها وجوه ﴿احدها﴾ أنها عائد الى الصلاة لانها الاغلب والافضل وهو قول اكثر المفسرين وعلى هذا في عود الضمير الى واحد وقد تقدم ذكر اثنين قولان ﴿احدهما﴾ ان المراد به الصلاة دون غيرها وخصها بالذكر لقبها منه ولانها الاعم والافضل ولتاكيد حالها وتفخيم شأنها وعموم فرضها (والآخر) ان المراد الاثنان وان كان اللفظ واحدا ويشهد لذلك قوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وإذ أروا تجارة اولهوا انفضوا اليها والله ورسوله احق ان يرضوه وقول الشاعر

وَدَّ مَا لَمْ يُعَاصِ كَانَ جُنُونًا إِنَّ شَرَّخَ الشَّبَابِ وَالشَّعْرِ الْأَسْه
ولم يقل يعاصيا وقول الآخر
فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّي وَقَيَّارًا بِهَا لَغَرِيبُ
ويروي قيار وقول آخر
نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَ دَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ
وقول الآخر

أَمَا الْوَسَامَةُ أَوْ حَسَنُ الْمَسَاءِ فَقَدْ أُوتِيَتْ مِنْهُ أَوْ أَنَّ الْعَقْلَ مُحْتَبِكُ

ونحو ذا كثير في الكلام (وثانيها) انه عائد الى الاستعانة يعني ان الاستعانة بهما لكبيرة وقوله استعينوا يدل على الاستعانة ومثله قول الشاعر

إِذَا نُجِيَ السَّفِينَةُ جَرَى إِلَيْهِ وَخَالَفَ وَالسَّفِينَةُ إِلَى خِلَافِ

اي جرى الى السفه ودل السفه على السفه (وثالثها) ان الضمير عائد الى محذوف وهو الاجابة للنبي (ص) عن الاعم او مو- اخذة النفس بها او تأدية ما تقدم او تأدية الصلاة وضروب الصبر عن المعاصي او هذه الخطيئة عن ابي مسلم وهذه الوجوه الاخيرة كلها ضعيفة لانها لم يجر لها ذكر وقوله لكبيرة اي لتقلية عن الحسن وغيره والاصل فيه ان كل ما يكبر يتقل على الانسان حمله فيقال لكل ما يصعب على النفس وان لم يكن من جهة الحمل يكبر عليها تشبيها بذلك وقوله «الاعلى الخاشعين» اي على المتراضعين لله تعالى فانهم قد وطنوا أنفسهم على فعلها وعودوها اياها فلا يتقل عليهم وايضا فإن المتواضع لا يبالي بزوال الرياسة اذا حصل له الايمان وقال مجاهد اراد بالخاشعين المؤمنين فانهم اذا علموا ما يحصل لهم من الثواب بفعلها لم يتقل عليهم ذلك كما ان الانسان يتجرع مرارة الدواء لما يرجوه من نيل الشفاء وقال الحسن اراد بالخاشعين الخائفين

قوله تعالى (٤٦) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (آية)

﴿اللمة﴾

الظن المذكور في الآية بمعنى العلم واليقين كما قال دريد بن الصمه

فَقُلْتُ لَهُمْ ظَنُّوا بِالْقِيَامِ مَدَجَجٌ سَرَاتُهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمَسْرَدِ
وقال ابو داود رَبُّهُمْ فَرَجَّتْهُ بِعَزِيمِ
وُغُيُوبِ كَشَفَتْهَا بِظُنُونِ

وقال المبرد ليس من كلام العرب اظن عند زيد ما لا بمعنى اعلم لان العلم المشاهد لا يناسب باب الظن وقد افصح عن ذلك اوس بن حجر في قوله

قال آخر
 الألمعي الذي يظن بك الظن
 كأن قد رأى وقد سمعا
 فالأيا تكلم خبر يقين
 فإن الظن ينقص أو يزيد

وقال بعض المحققين اصل الظن ما يجول في النفس من الخاطر الذي يغلب على القلب كأنه حديث النفس بالشيء ويورول جميع ما في القرآن من الظن بمعنى العلم على هذا والظن والشك والتجوز نظائر الآن الظن فيه قوة على احد الأمرين دون الآخر وحده ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه ان يكون على خلافه فبالتجوز ينفصل من العلم وبالقوة ينفصل من الشك والتقليد وغير ذلك وهو من جنس الاعتقاد عند ابي هاشم و جنس برأسه سوى الاعتقاد عند ابي علي والقاضي واليه ذهب المرتضى قدس الله روحه وضد الظن اليقين والظنين المتهم ومصدره الظنة والظنون الرجل السيء الظن بكل احد والظنون البئر التي يظن ان بها ماء ولا يكون ومظنة الرجل حيث يألفه ويكون فيه وأصل الملاقة الملاصقة من قولك التقي الخطان اذا تلاصقا ثم كثر حتى قيل التقي الفارسان اذا تحاذيا ولم يتلاصقا ويقال رجع الرجل ورجعته انالازم ومتعد وأصل الرجوع العود الى الحال الاولى

﴿ الاعراب ﴾

الذين يظنون في موضع الجر صفة للخاشعين وأنهم بفتح الالف لا يجوز غيره لأن الظن فعل واقع على معنى انه متعد يتعلق بالغير فما يليه يكون مفعولا له وأن الفتوحة الهزئة يكون مع الاسم والخبر في تأويل اسم مفرد وها هنا قد سد مسد مفعولي يظن ويكون المفعول الثاني مستغنى عنه مختلا من الكلام غير مضمير كما ان الفاعل في اقائم الزيدان سد مسد الخبر لطول الكلام والاستغناء به عنه وهذا القول هو المختار عند ابي علي وفيه قول آخر وهو أن مسع الاسم والخبر في موضع المفعول الأول والمفعول الثاني مضمير محذوف لعلم المخاطب به فكانه قال الذين يظنون ملاقة ربهم واقعة وحذفت النون من ملاقو ربهم تخفيفا عند البصريين والمعنى على اثباتها فإن المضاف اليه هنا وان كان مجرورا في اللفظ فهو منصوب في المعنى فهي اضافة لفظية غير حقيقية ومثله قوله انا مرسلو الناقة وكل نفس ذائقة الموت وقال الشاعر

هل أنت باعث دينار لِحَاجَتِنَا
 أو عبد رب أخاعون بن مخرآق

ولو اردت معنى الماضي لتعرف الاسم بالاضافة لم يجز فيه اظهار النون البتة وقوله وأنهم اليه راجعون في موضع النصب عطفا على الأول

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الخاشعين بين صفتهم فقال «الذين يظنون» اي يوقنون «انهم ملاقو» ما وعدهم «ربهم» عن الحسن وبجاهد وغيرهما ونظيره قوله ايني ظننت اني ملاق حسابيه وقيل انه بمعنى الظن غير اليقين والمعنى أنهم يظنون أنهم ملاقو ربهم بذنوبهم لشدة اشفاقهم من الاقامة على معصية الله قال الرماني وفيه بعد لكثرة الحذف وقيل الذين يظنون انقضاء آجالهم وسرعة موتهم فيكونون ابدا على حذر ووجل ولا يركنون الى الدنيا كما يقال لمن مات لتي الله ويدل على أن المراد بقوله ملاقو ربهم ملاقون جزاء ربهم قوله تعالى في صفة المنافقين فاعقبتهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه ولاخلاف في أن المنافق لا يجوز أن يرى ربه وكذلك قوله ولوترى اذ وقفوا على ربهم قال ليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كتمتم تكفرون وجاء في الحديث من حلف على مال امرى مسلم كاذبا لتي الله وهو عليه غضبان وليس اللقاء من الرواية في شيء يقال لقالك الله محابك ولا يراد به ان

يرى اشخاصاً وانما يراد لقاء ما يسره وقوله «وانهم اليه راجعون» يسأل هنا فيقال ما معنى الرجوع في الآية وهم ما كانوا قط في الآخرة فيعودوا اليها وجوابه من وجوه ﴿احدها﴾ انهم راجعون بالاعادة في الآخرة عن ابي العالية (وثانيها) أنهم يرجعون بالموت كما كانوا في الحال التقدمة لأنهم كانوا امواتاً فاحيوا ثم يموتون فيرجعون امواتاً كما كانوا (وثالثها) انهم يرجعون الى موضع لا يملك احد لهم ضراً ولا نفعاً غيره تعالى كما كانوا في بدء الخلق لأنهم في ايام حياتهم قد يملك غيرهم الحكم عليهم والتدبير لتفهمهم وضرهم يبين ذلك قوله مالك يوم الدين وتحقيق معنى الآية أنهم يقرون بالنشأة الثانية لجعل رجوعهم بعد الموت الى المحشر رجوعاً اليه

قوله تعالى (٤٧) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (آية)

﴿ المعنى ﴾

قد مضى تفسير اول الآية فيما تقدم وقوله «واني فضلتكم على العالمين» قال ابن عباس اراد به عالمي اهل زمانهم لأن امتنا افضل الأمم بالاجماع كما ان نبينا عليه افضل الصلاة والسلام افضل الانبياء. وبدليل قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس وقيل المراد به تفضيلهم في اشياء مخصوصة وهي ازال المن والسلوى وما رسل الله فيهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب الى غير ذلك من النعم العظيمة من تعريق فرعون والآيات الكثيرة التي يخف معها الاستدلال ويسهل بها الميثاق وتفضيل الله اياهم في اشياء مخصوصة لا يوجب أن يكونوا افضل الناس على الاطلاق كما يقال حاتم افضل الناس في السخاء ونظير هذه الآية قوله واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب الى قوله وانتم تنظرون فإن قيل فما الفائدة في تكرار قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم قلنا لأنه لا كانت نعم الله هي الاصل فيما يجب شكره احتيج الى تأكيدها كما يقول القائل اذهب اذهب عجل عجل وقيل أيضاً ان التذكير الاول ورد مجزئاً والثاني ورد مفصلاً وقيل أنه في الاول ذكرهم نعمه على انفسهم وفي الثاني ذكرهم نعمه على آباؤهم

قوله تعالى (٤٨) وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل مكة والبصرة لا تقبل بالباء والباقون بالياء

﴿ الحجة ﴾

فمن قرأ بالباء الحق علامة التانيث لتو ذنبان الاسم الذي اسند اليه الفعل وهو الشفاعة موءنث ومن قرأ بالياء فلان التانيث في الاسم ليس بحقيقي فحمل على المعنى فذكر لأن الشفاعة والتشفع بمنزلة كما ان الرعدة والموعظة والصيحة والصوت كذلك وقد قال تعالى فمن جاءه موعظة واخذ الذين ظلموا الصيحة ويقوي التذكير ايضاً انه فصل بين الفعل والفاعل بقوله منها والتذكير يحسن مع الفصل كما يقال في التانيث الحقيقي حضر القاضي اليوم امرأة

﴿ اللغة ﴾

الجزاء والكفاة والمقابلة نظائر يقال جرى يجزي جزاءً وجازاه مجازاة وفلان ذو جزاء اي ذو غنا فكان قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئاً اي لا تقابل مكروهاً بشيء يدرأه عنها ومنه الحديث انه قال لا يبردة في الجذعة التي امره الله أن يضحى بها ولا تجزي عن احد بعدك وقال البقرة تجزي عن سبعة اي تقضي وتكفي قال ابو عبيدة هو مأخوذ من قولك جزا عني هذا الامر فاما قولهم جزاني الشيء اي كفاني فهموز وقبول الشيء هو

تلقية والاخذ به خلاف الاعراض عنه ومن ثم قيل لتجاه الشيء قبائله وقالوا اقبلت المكواة الداء اي جعلتها قبائله قال «واقبلت افواه العروق المكاويا» والقبول والانقياد والطاعة والاجابة نظائر وتقيضه الامتناع والشفاعة مأخوذة من الشفع فكأنه سواء من الشفيع يشفع سواء المشفوع له والشفاعة والوسيلة والقربة والوصلة نظائر والشفعة في الدار وغيرها معروفة وانما سميت شفعة لأن صاحبها يشفع ماله بها ويضعها الى ملكه والعدل والحق والإنصاف نظائر وتقيض العدل الجور والعدل المرضي من الناس الذكر والانثى والجمع والواحد فيه سواء والعدل الغدية في الآية والفرق بين العدل والعدل ان العدل هو مثل الشيء من جنسه والعدل هو بدل الشيء وقد يكون من غير جنسه قال سبحانه او عدل ذلك صياما والنصرة والمعونة والتقوية نظائر وفي الحديث انصر انك ظالما أو مظلوما اي امنعه من الظلم ان كان ظالما وامنع عنه الظلم إن كان مظلوما وانصار الرجل اعوانه ونصرت السماء اذا امطرت

الاعراب

يوما إنتصابه انتصاب المفعول لا انتصاب الظروف لأن معناه اتقوا هذا اليوم واحذروه وليس معناه اتقوا في هذا اليوم لأن ذلك اليوم لا يوم مر فيه بالالتقاء وانما يوم مر في غيره من اجله وموضع لا تجزي نصب لأنه صفة يوم والعائد الى الموصوف فيه اختلاف ذهب سيبويه الى ان فيه محذوف من الكلام اي لا يجزي فيه وقال آخرون لا يجوز اضمار فيه لأنك لا تقول هذا رجل قصدت أو رغبت وانت تريد اليه اوفيه فهو محمول على المفعول على السعة كأنه قيل واتقوا يوما لا تجزيه ثم حذف الهاء كما يقال رأيت رجلا احب اي احبه وهو قول السراج قال ابو علي حذف الهاء من الصفة كما يحذف من الصلة لما بينهما من المشابهة فإن الصفة يخص الموصوف كما ان الصلة يخص الموصول ولا يعمل في الموصوف ولا يتسلط عليه كما لا يعمل الصلة في الموصول ومرتبها ان تكون بعد الموصوف كما ان مرتبة الصلة ان تكون بعد الموصول وقد يلزم الصفة في اماكن كما يلزم الصلة وذلك اذا لم يعرف الموصوف الا بها ولا تعمل الصلة فيما قبل الموصول كما لا تعمل الصفة فيما قبل الموصوف فاذا كان كذلك حسن الحذف من الصفة كما يحسن من الصلة في نحو قوله اهذا الذي بعث الله رسولا وقال الاخفش شيئا في موضع المصدر كأنه قال لا تجزي جزاء ولا تعني غناء وقال الرماني الاقرب ان يكون شيئا في موضع حقا كأنه قال لا يوم دي عنها حقا وجب عليها وقوله لا يقبل منها شفاعه موضع هذه الجملة نصب بالعطف على الجملة التي هي وصف قبلها ومن ذهب الى انه حذف الجار واصل الفعل الى المنعول ثم حذف الراجع من الصفة كان مذهبه في لا يقبل ايضا مثله فما حذف منه الراجع الى الصفة قول الشاعر (وما شيء حميت بمسبحاح) والضمير في منها عائد الى نفس على اللفظ وفي قوله ولا هم ينصرون على المعنى لأنه ليس المراد به المفرد فلذلك جمع

المعنى

لا بين سبحانه نعمه العظام عليهم انذرهم في كفرانها بيوم القيامة فقال «واتقوا» اي احذروا واخشوا «يوما لا تجزي» اي لا تعني او لا تقضي فيه «نفس عن نفس شيئا» ولا تدفع عنها مكروها وقيل لا يوم دي احد عن احد حقا وجب عليه الله او غيره وانما نكر النفس لبيان ان كل نفس فهذا حكمها وهذا مثل قوله سبحانه واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وقوله «ولا يقبل منها شفاعه» قال المفسرون حكم هذه الآية مختص باليهود لأنهم قالوا نحن اولاد الانبياء وآباؤنا يشفعون لنا فأيأسهم الله عن ذلك فخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص ويدل على ذلك ان الامة اجتمعت على ان للنبي (ص) شفاعه مقبولة وان اختلفوا في كيفية فنحن هي المختصة بدفع المضار واسقاط العقاب عن مستحقه من مذنبين المؤمنين وقالت المعتزلة هي في زيادة المنافع للمطيعين والتائبين دون العاصين وهي ثابتة عندنا للنبي (ص) ولاصحابه المنتجبين

والأئمة من اهل بيته الطاهرين ولصاحبي المؤمنين وينجي الله تعالى بشفاعتهم كثيرا من الخطئين ويؤيده الخبر الذي تلقته الامة بالقبول وهو قوله ادخرت شفاعتي لاهل الكبائر من امي وما جاء في روايات أصحابنا رضي الله عنهم مرفوعا الى النبي (ص) أنه قال إني اشفع يوم القيامة فاشفع ويشفع علي فيشفع اهل بيتي فيشفعون وان ادنى المؤمنين شفاعته ليشفع في اربعين من اخوانه كل قد استوجب النار وقوله تعالى مخبرا عن الكفار عند حسراتهم على التائبين لهم مما حصل لاهل الايمان من الشفاعات فالنا من شافعين ولاصديق حميم وقوله «ولا يؤخذ منها عدل» اي فدية وإنما سمي الفداء عدلا لأنه يعادل الفدي ويأثله وهو قول ابن عباس ومعناه لا يؤخذ من احد فداء يكفر عن ذنوبه وقيل لا يؤخذ منه بدل بذنوبه واما ما جاء في الحديث لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا فلا خلتف في معناه قال الحسن الصرف العمل والعدل الفدية وقال الاصمعي الصرف التطوع والعدل الفريضة وقال ابو عبيدة الصرف الحيلة والعدل الفدية وقال الكلبي الصرف الفدية والعدل رجل مكانه وقوله «ولا هم ينصرون» اي لا يعاونون حتى ينجوا من العذاب وقيل ليس لهم ناصر ينتصر لهم من الله اذا عاقبهم

قوله تعالى (٤٩) وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قرأ ابن محيص يذبجون ابناكم

﴿ الحجية ﴾

قال ابن جني وجه ذلك ان فعلت بالتخفيف قد يكون فيه معنى التكثير وذلك لدلالة الفعل على مصدره والمصدر اسم الجنس وحسبك بالجنس سعة وعموما وانشد ابو الحسن

أَنْتِ الْفِدَاءُ لِقَبْلَةٍ هَدَمْتَهَا وَنَقَرْتَهَا بِيَدَيْكَ كُلِّ مَنْقَرٍ

فكانه قال ونقرتها لأن قوله كل منقر عليه جاء. والى في الفعل من معنى المصدر الدال على الجنس لم يجز تثنيته ولا جمعه لاستحالة كل واحد من التثنية والجمع في الجنس

﴿ اللغة ﴾

الانجاء والتنجية والتغليس واحد والنجاة والخلاص والسلامة والتخلص واحد ويقال للمكان المرتفع نجوة لأن الصائر اليه ينجو من كثير من المضار وفرق بعضهم بين الانجاء والتنجية فقال الانجاء يستعمل في الخلاص قبل وقوعه في المهلكة والتنجية يستعمل في الخلاص بعد وقوعه في المهلكة والآل والاهل واحد وقيل اصل آل اهل لأن تصغيره اهيل وحكى الكسائي اويل فزعموا انها ابدت كما قالوا هيات وايهات وقيل لابل هو اصل بنفسه والفرق بين الآل والاهل ان الأهل اعم منه يقال اهل البصرة ولا يقال آل البصرة ويقال آل الرجل قومه وكل من يؤول اليه بنسب او قرابة مأخوذ من الأول وهو الرجوع واهله كل من يضمه بيته وقيل آل الرجل قرابته واهل بيته وآل البعير الواحه وآل الخيمة عمده وآل الجبل اطرافه ونواحيه وقال ابن دريد آل كل شي شخصه وآل الرجل اهله وقرابته قال الشاعر

وَلَا تَبْكُ مَيْتًا بَعْدَ مَيْتٍ أَجَنَّهُ عَلِيٌّ وَعَبَّاسٌ وَآلُ أَبِي بَكْرٍ

وقال ابو عبيدة سمعت اعرابيا فصيحا يقول اهل مكة آل الله فقلنا ما تعني بذلك قال اليسوا مسلمين المسلمون آل الله قال وانما يقال آل فلان الرئيس المتبع وفي شبه مكة لأنها ام القرى ومثل فرعون في الضلال واتباع قومه له فاذا جاوزت هذا فإن آل الرجل اهل بيته خاصة فقلنا له ايقول لقبيلته آل فلان قال لا الا اهل بيته خاصة

وفرعون اسم لملك العمالة كما يقال لملك الروم قيصر وملك الفرس كسرى وملك الترك خاقان وملك اليمن تبع فهو على هذا بمعنى الصفة وقيل ان اسم فرعون مصعب بن الريان وقال محمد بن اسحق هو الوليد بن مصعب يسومونكم يكلفونكم من قولهم سامه خطه خسف اذا كلفه اياه وقيل يولونكم سوء العذاب وسامه خسفا اذا اولاه ذلا قال الشاعر (ان سيم خسفا وجهه تربدا) وقيل يمشونكم وقيل يعذبونكم واصل الباب السوم الذي هو ارسال الابل في الرعي وسوء العذاب واليم العذاب وشديد العذاب نظائر قال صاحب العين سوء اسم العذاب الجامع للآفات والداة يقال سوءت فلانا اسووه مساة ومسانية واستاء فلان من سوء مثل اهتم من الهم والسوءة النعمة القبيحة والسوءة الفرج والسوءة ايضا كل عمل شين وتقول في النكرة رجل سوء كما يقال رجل صدق فإذا عرفت قلت الرجل سوء فلا تضيفه ولا تقول الرجل الصدق وقوله بيضاء من غير سوء اي من غير برص والذبح والنحر والشق نظائر والذبح فري الاوداج والتذبيح التكثير منه واصله الشق يقال ذبحت المسك اذا فتقت عنه قال

كَانَ بَيْنَ فِكِّهَا وَالفِّكَ فَارَةً رِمْسِكَ ذِيحَتْ فِي سَكِّ

والذبح الشيء المذبح والذباح والذبيحة بفتح الباء وتسكينها داء يصيب الانسان في حلقه ويستحيون اي يستبقون ومنه قول النبي (ص) اقتلوا شيوخ الشركين واستحيوا شرخهم اي استبقوا شبابهم والنساء والنسوة والنسوان لا واحد لها من لفظها والبلاء والنعمة والاحسان نظائر في اللغة والبلاء يستعمل في الخير والشر قال سبحانه ونبلوكم بالشر والخير والابلاء في الانعام قال وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا وقال زهير

جَزَى اللهُ بِالْإِحْسَانِ مَا أَفْعَلَا بِكُمْ وَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو

فالبلاء يكون بالانعام كما يكون بالانتقام واصل البلاء الامتحان والاختبار قال الاحنف البلاء ثم الشناء

الاعراب

العامل في إذ من قوله واذ نجيناكم قوله اذكروا من قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي فهو عطف على ما تقدم وقوله يسومونكم يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال من آل فرعون والعامل فيه نجيناكم ويجوز أن يكون للأستئناف والابناء جمع ابن واصل ابن بنو بفتح الفاء والعين ويدل على أن الفاء كانت مفتوحة قولهم في جمعه ابنا على وزن افعال وافعال بابه أن يكون لفعل نحو جبل واجبال كما كان فعل بتسكين العين بابه افعال نحو فرخ وافرغ والمعدوف من الأبن الواو على ما قلناه لأنها أثقل فهي بالحذف اولى واليه ذهب الاخفش وابو علي النسوي

المعنى

ثم فصل سبحانه في هذه الآية النعم التي اجمها فيا قبل فقال واذكروا «اذ نجيناكم» اي خلاصناكم من قوم «فرعون» وأهل دينه «يسومونكم» يلزمونكم «سوء العذاب» وقيل يذيقونكم ويكلفونكم ويعذبونكم والكل متقارب واختلفوا في العذاب الذي نجاهم الله تعالى منه فقال بعضهم ما ذكر في الآية من قوله يذبحون ابناكم ويستحيون نساءكم وهذا تفسيره وقيل اراد به ما كانوا يكلفونهم من الاعمال الشاقة فنها انهم جعلوهم اصنافا فصنف يخدمونهم وصنف يحرثون لهم ومن لا يصلح منهم للعمل ضربوا عليهم الجزية وكانوا يذبحون ابناهم ويستحيون نساءهم مع ذلك ويدل عليه قوله تعالى في سورة ابراهيم يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناكم فعطفه على ذلك يدل على انه غيره وقوله «يذبحون ابناكم ويستحيون نساءكم» معناه يقتلون ابناكم ويستحيون نساءكم يستبقونهم ويدعونهم احياء ليستعبدن ويشكعن على وجه الاسترقاق وهذا اشد من الذبح وانما لم يقل بناتكم لأنه سماهن بالاسم الذي يوهول حالهن اليه وقيل انما قال نساءكم على التقليل فإنهم كانوا يستبقون الصغار والكبار يقال اقبل الرجال وان كان فيهم صبيان ويجوز ايضا أن يقع اسم النساء

على الصغار والكبار كالأبناء قوله «وفي ذلكم» اي وفي سومكم العذاب وذبح الأبناء «بلا من ربكم عظيم» اي لما خلق بينكم وبينه حتى فعل بكم هذه الافايل وقيل في نجاةكم من فرعون وقومه نعمة عظيمة من الله عليكم

﴿ القصة ﴾

والسبب في قتل الابناء ان فرعون رأى في منامه كأن نارا اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقتها واحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فهاله ذلك ودعا السحرة والكهنة والقافة فسألهم عن روياه فقالوا أنه يولد في بني اسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك وتبديل دينك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل وجمع القوابل من اهل مملكته فقال لمن لا يسقط على ايديكم غلام من بني اسرائيل الا قتل ولا جارية الا تركت وولكل بهن فكن يفعلن ذلك وامرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رءوس القبط على فرعون فقالوا له ان الموت قد وقع في بني اسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فأمر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها فترك وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها

قوله تعالى (٥٠) وَإِذْ فَרَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قرأ الزهري واذ فرقنا بكم مشددة قال ابن جني فرقنا اشد تفريقا من فرقنا فعنى فرقنا بكم البحر جعلناه فرقا ومعنى فرقنا بكم البحر شققنا بكم البحر

﴿ اللغة ﴾

الفرق هو الفصل بين شيئين اذا كانت بينهما فرجة والفرق الطائفة من كل شي ومن الماء اذا انفرد بعضه عن بعض فكل طائفة من ذلك فرق ومنه كل فرق كالطود العظيم والفرق الحرف وفي الحديث ما اسكر الفرق فالجرعة منه حرام وهو مكيال يعرف بالمدينة والبحر يسمى بحرا لاستبحاره وهو سعة وانبساطه يقال استبحر في العلم وتبحر فيه وتبقر اذا اتسع وتمكن والباحر الاحمق الذي اذا كلم بتي كالمهوت والعرب تسمي الماء الملع والعذب بحرا اذا كثر ومنه قوله مرج البحرين يلتقيان يعني الملح والعذب واصل الباب الاتساع واما اللج فهو الذي لا يرى حافته من في وسطه لكثرة مائه وعظمه ودجلة بالاضافة الى الساقية بحر وبلاضافة الى جدة ونحوها ليست ببحر والفرق الرسوب في الماء والنجاة ضد الفرق كما انها ضد الهلاك واغرق في الأمر إذا جاوز الحد فيه واصل من نزع السهم حتى يخرج من كبد القوس واغرورقت عينه شرقت بدمعها والنظر النظر بالعين يقال نظرت الى كذا ونظرت في الكتاب وفي الأمر وقول القائل انظر الى الله ثم اليك معناه اتوقع فضل الله ثم فضلك ونظرته وانتظرته بمعنى واحد والنظر التفكير واصل الباب كماه الاقبال نحو الشيء بوجه من الوجوه فالنظر بالعين الاقبال نحو المبصر والنظر بالقلب الاقبال بالفكر به نحو الفكر فيه والنظر بالرحمة هو الاقبال بالرحمة وحقيقة النظر هو تليب الحدقة الصحيحة نحو المرثي طلبا لرويته

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه نعمة اخرى فقال واذكروا «اذ فرقنا بكم البحر» اي فرقنا بين المائين حتى مررتهم فيه فكنتم فرقا بينهما تمرون في طريق يبس وقيل معناه فرقنا البحر بدخولكم اياه فوقع بين كل فريقين من البحر طائفة منكم يسلكون طريقا يابس فوقع الفرق بينكم وقيل فرقنا بكم اي بسبيكم البحر لتعمروا فيه «فانجيناكم» يعني من البحر والفرق وقوله «واغرقنا آل فرعون» ولم يذكر غرق فرعون لأنه قد ذكره في مواضع

كقوله فأغرقناه ومن معه فاخصر لدلالة الكلام عليه لأن الغرض مبني على اهلاك فرعون وقومه ونظيره قول القائل (دخل جيش الأمير البادية) ويكون الظاهر أن الأمير معهم ويجوز أن يريد بأل فرعون نفسه كقوله مما ترك آل موسى وآل هارون يعني موسى وهارون وقوله «وانتم تنظرون» معناه وانتم تشاهدون انهم يفرقون وهذا أبلغ في الثماتة واطهار المعجزة وقيل معناه وانتم بتنظر ومشهد منهم حتى لو نظرتهم اليهم لا يمكنكم ذلك لأنهم كانوا في شغل من ان يروههم كما يقال دور بني فلان تنظر الى دور آل فلان اي هي بأزائها وبحيث لو كان مكانها ما ينظر لأنهم ان ينظر اليه وهو قول الزجاج وقريب مما قاله الفراء والأول أصح لأنهم لم يكن لهم شغل شاغل عن الروية فانهم كانوا قد جازوا البحر وتظاهرت اقوال المفسرين على أن اصحاب موسى (ع) رأوا انفرق البحر والتظام امواجه بأل فرعون حتى غرقوا فلا وجه للعدول عن الظاهر

﴿ القصة ﴾

وجملة قصة فرعون مع بني اسرائيل في البحر ما ذكره ابن عباس ان الله تعالى اوحى الي موسى أن يسري ببني اسرائيل من مصر فسرى موسى ببني اسرائيل ليلا فاتبعهم فرعون في الف الف حصان سوى الاناث وكان موسى في ستانة الف وعشرين الفا فلما عينهم فرعون قال ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجمع حاذرون فسرى موسى ببني اسرائيل حتى هجموا على البحر فالتفتوا فاذا هم برهج دواب فرعون فقالوا يا موسى اوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا هذا البحر امامنا وهذا فرعون قدرهقتنا بين معه فقال موسى (ع) عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون فقال له يوشع بن نون بم امرت قال امرت أن اضرب بعصاي البحر قال اضرب وكان الله تعالى اوحى الي البحر أن اطع موسى اذا ضربك قال فبات البحر له افكل اي رعدة لا يدري في اي جوانبه يضربه فضرب بعصاه البحر فانفلق وظهر اثنا عشر طريقا فكان لكل سبط منهم طريق يأخذون فيه فقالوا انا لانسلك طريقا نديا فأرسل الله ريح الصبا حتى جفت الطريق كما قال فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا فجزوا فيه فلما اخذوا في الطريق قال بعضهم لبعض مالنا لا نرى اصحابنا فقالوا لموسى اين اصحابنا فقال في طريق مثل طريقكم فقالوا لا نرضى حتى نراهم فقال (ع) اللهم أعني على اخلاقهم السيئة فأوحى الله تعالى اليه ان مل بعصاك هكذا وهكذا بينا وشمالا فأشار بعصاه بينا وشمالا فظهر كالكرى ينظر منها بعضهم الى بعض فلما انتهى فرعون الى ساحل البحر وكان على فرس حصان ادهم فهاب دخول الماء فتمثل له جبريل على فرس اثني وديت وتقمع البحر فلما رآها الحصان تقمعه خلفها ثم تقمعه قوم فرعون فلما خرج آخر من كان مع موسى من البحر ودخل آخر من كان مع فرعون البحر اطبق الله عليهم الماء ففرقوا جميعا ونجا موسى ومن معه وبما يسأل عن هذا ان يقال كيف لم يعط الله تعالى كل نبي مثل ما أعطى موسى من الآيات الباهرات لتكون الحججة اظهر والشبهة ابعد والجواب أن الله ينصب الأعلام الباهرة والمعجزات القاهرة لاستصلاح الخلق وعلى حسب ما يرى لهم من الصلاح وقد كان في قوم موسى من بلادة النفس وكلاله الحدس ما لم يمكنه معه الاستدلال بالآيات الحقيقية الا ترى انهم لما عبروا البحر وأتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا بعد ما شاهدوه من هذه الآيات اجمل لنا ألها كما لهم ألهة قال انكم قوم تجهلون وكان في العرب وأمة نبيا (ص) من جودة التريخة وحدة الفطنة وذكاء الذهن وقوة الفهم ما كان يمكنهم معه الاستدلال بما يحتاج فيه الى التأمل والتدبر والاستضاءة بنور العقل في التفكير فجاءت آياتهم مشاكلة لطباعهم المتوقدة ومجانسة لما ركب في اذهانهم من الدقة والحدة على ان في جميعها من الحججة الظاهرة والبينة الزاهرة ما ينني خلاج الشك عن قلب الناظر المستبين ويفضي به الى فضاء العلم اليقين ويوضح له مناهج الصدق ويوجه موالح الحق وما يستوي الاعى والبصير ولا يبتك مثل خبير

قوله تعالى (٥١) وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ اَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل البصرة وابو جعفر هاهنا واعدنا بغير الف وفي الاعراف وطه وقرأ الباقون واعدنا بالالف وقرأ ابن كثير وحفص والبرجمي ورويس اتخذتم واخذتم وما جاء منه باظهار الذال ووافقهم الاعشى فيما كان على اقتعلت والباقون يدغمون

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ بآيات الألف انه قال لا يخلو ان يكون قد كان موسى وعد أولم يكن فإن كان منه وعد فلا اشكال في وجوب القراءة بواعدنا وان لم يكن منه وعد فان كان ما كان منه من قبول الوعد والتحري لانجازه والوفاء به يقوم مقام الوعد فالقراءة بواعدنا دلالة من الله على وعده وقبول موسى ولأنه اذا حسن في مثل قوله بما اختلفوا الله ما وعدوه الاخبار بالوعد منهم لله تعالى كان هنا الاختيار واعدنا ومن قرأ واعدنا بغير الف قال هو اشد مطابقة للمعنى اذ كان القبول ليس بوعده في الحقيقة اذ الوعد انما هو اخبار الموعود بما يفعل فيه من خير وعلى هذا فيكون قوله بما اختلفوا الله ما وعدوه مجازا حقيقة بما اخبروا انهم فاعلوه وقال بعضهم ان المواعدة في الحقيقة لا تكون الا بين البشر والله تعالى هو المتفرد بالوعد والوعيد كما قال وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم والقراءتان جميعا قويتان وحجة من ادغم الذال في التاء من اتخذتم ان مخرج الذال قريب من مخرج التاء وحجة من لم يدغم ان مخرجيهما متغايران

﴿ اللفظة ﴾

الوعد والموعد والوعيد والعدة والموعدة مصادر وعدته اعده ووعدت يتعدى الى مفعولين يجوز فيه الاقتصار على احدهما كاعطيت قال وواعدناكم جانب الطور الايمن لجانب مفعول ثان والعدة والوعد قد يكونان اسمين ايضا والوعد في الخير والوعيد في الشر ويجمع العدة على العدات ولا يجمع الوعد والموعد قديكون موضعا ووقتا ومصدرا والميعاد لا يكون الا وقتا او موضعا وقد يقال وعدته في الشر كقوله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا واعدته لا يكون الا في الشر والمكراه ويقال وعدته بالشر ولا يقال اوعده الشر وحقيقة الوعد هو الخبر عن خيرته بالخبر في المستقبل او شره وموسى اسم مركب من اسمين بالقبضية فهو الماء وسى الشجر وسمي بذلك لأن التابوت الذي كان فيه موسى وجد عند الماء والشجر وجده جوارى آسية امرأة فرعون وقد خرجن ليقتلن بالمكان الذي وجد فيه عن السدي وهو موسى بن عمران بن يصر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عن محمد بن اسحاق بن يسار وانما قال اربعين ليلة ولم يقل اربعين يوما لتضمن الليالي الايام على قول للبرد عني بذلك انك اذا ذكرت الليالي دخل فيها الايام واذا ذكرت الايام لا يدخل فيها الليالي والصحيح ان العرب كانت تراعي في حسابها الشهور والايام والالهة فاول الشهر الليالي فلذلك ارخت بالليالي وغلبتها على الايام واكتفت بذكر الليالي عن الايام فقالت لشر خلون وخمس بقين جريا على الليالي واللية الوقت من غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني واليوم من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس وليلة ليلا اذا اشتدت ظلمتها وليلة تصغير لية اخرجوا الياء الاخيرة مخرجها في الليالي وقسال بعضهم اصل لية ليلاه فقصر واتخذ اقتعل وفعلت فيه اتخذت وقال وقد اتخذت رجلي الى جنب غرزيها نسيفا كأفحوص القطاة المطرق قال ابو علي وليس اتخذت من اخذت لأن الهززة لا تبدل من التاء ولا تبدل منها التاء والمعجل البقرة

الصغيرة يقال عجل وعجول وهو من العجلة لأن قصر المدة كالعجل في الشيء. وقال بعضهم انا سمي عجلا لأنهم عجلوا فاتخذوه اهلأقبل أن يأتيهم موسى

﴿ الاعراب ﴾

قوله واذا واعدنا موسى اربعين ليلة لا يخلو تعلق الاربعين بالوعد من ان يكون على أنه ظرف او مفعول ثان فلا يجوز أن يكون ظرفا لأن الوعد ليس فيها كلها فيكون جواب كم ولا في بعضها فيكون جوابا لمتى وانما الموعدة تقتضي الاربعين فإذا لم يكن ظرفا كان انتصابه بوقوعه موقع المفعول الثاني والتقدير واعدنا موسى انتضاء اربعين ليلة او تسعة اربعين ليلة كحذف المضاف كما تقول اليوم خمسة عشر من الشهر اي تمام خمسة عشر فاما انتصاب اربعين في قوله فتم ميقات ربه اربعين ليلة فالميقات هو الاربعون وانما هو ميقات وموعد فيكون كقولك تم القوم عشرين رجلا والمعنى تم القوم معدودين هذا العدد وتم الميقات معدودا هذا العدد وقد جاء الميقات في موضع الميعاد كما جاء الوقت موضع الوعد في قوله الى يوم الوقت المعلوم وفي موضع آخر واليوم الموعد ويبين ذلك قوله فتم ميقات ربه اربعين ليلة وفي الآية واذا واعدنا موسى اربعين ليلة وليلة تنصب على التبيين والتمييز للعدد والأصل في بيان العدد ان يبين بذكر المعدود وانما انتصب بالاسم التام الذي هو اربعون وهو مشبه بالكلام التام الذي ينتصب بعده ما يكون فضلا عنه ومعنى تمام الاسم هاهنا هو تركيب هذه النون الذي يتمه معه فاشبه الجملة المركبة من فعل وفاعل من جهة انه متمم بشي. آخر وبينها شبه آخر وهو أن في الجملة التي من فعل وفاعل معنى يقتضي المفعول وهو ذكر الفعل وفي العدد ابهام يقتضي التفسير والبيان ليفيد اي نوع من الانواع هو فينتصب على هذا المعنى ولذلك قال سيويه ان في هذا الضرب وهو تمام الاسم معنى يحجز بين الاسم الاول وما يجيء بعد التام فالنون في اربعين هو بمنزلة الفاعل الذي يحجز من ان يسند الفعل الى المفعول فيسند الى الفاعل وينتصب المفعول لذلك والنون يتم الاسم الاول فينتصب الاسم الذي بعده واما قوله اتخذتم فان اتخذت على ضربين احدهما يتعدى الى مفعول واحد كقوله واتخذوا من دون الله آلهة وقوله ام اتخذ مما يخلق بنات والآخر يتعدى الى مفعولين كقوله تعالى اتخذوا ايانهم جنة فاتخذتهم سخرى لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا. فقوله ثم اتخذتم العجل من بعده تقديره اتخذتم العجل اهلا لحذف المفعول الثاني لأن من صاغ عجلا وعمله لا يستحق الوعيد والغضب من الله تعالى

﴿ المعنى ﴾

واذكروا «اذا واعدنا موسى» أن نوثيه الألواح فيها التوراة والبيان والشفا على رأس «اربعين ليلة» او عند انتضاء اربعين ليلة او عند تمام اربعين ليلة وانما قلنا ان قوله اذكروا مضمرة فيه لأن الله تعالى قال قبل هذا يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم فإذها هنا معطوفة على الآيات المتقدمة وهذه الأربعة ليلة هي التي ذكرها الله في سورة الاعراف فقال وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر وهي ذوالقعدة وعشر من ذي الحجة قال المنسرون لما عاد بنو اسرائيل الى مصر بعد انجائهم من البحر وهلاك فرعون وقومه وهدم الله ازال التوراة والشرايع فخلف موسى اصحابه واستخاف هارون عليهم فكش على الطور اربعين ليلة وانزل عليه التوراة في الألواح وقوله «ثم اتخذتم العجل» اي اتخذتموه اهلا لأن بنفس فعلهم لصورة العجل لا يكونون ظالمين لأن فعل ذلك ليس بمحظور وانما هو مكروه واما الخبر الذي روي انه (ص) لعن المصورين فالمراد به من شبه الله بخلقه او اعتقد فيه انه صورة وقوله «من بعده» اي من بعد غيبة موسى وخروجه وقيل من بعد وعد الله اياكم بالتوراة وقيل من بعد غرق فرعون وما رأيت من الآيات والكل محتمل «وانتم ظالمون» اي مضررون بانفسكم بما استحقتم من العقاب على اتخاذكم العجل اهلا

﴿ القصة ﴾

روي عن ابن عباس قال كان السامري رجلا من اهل باجرمى قيل كان اسمه ميعا وقال ابن عباس اسمه موسى

ابن ظفر وكان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر في نفسه وقد كان اظهر الاسلام في بني اسرائيل فاما
 قصد موسى الى ربه وخلف هارون في بني اسرائيل قال هارون قوم قد حملتم اوزار من زينة القوم يعني آل فرعون
 فتطهروا منها فإنها نجس يعني انهم استعاروا من القبط حلما واستبدوا بها فقال هارون طهروا انفسكم منها فإنها نجسة
 واوقد لهم نارا فقال اقدفوا ما كان معكم فيها فجعلوا اياتون بما كان معهم من تلك الامتعة والحلي فيقدفون به فيها قال
 وكان السامري رأى اثر فرس جبرائيل (ع) فاخذ ترابا من اثر حافره ثم اقبل الى النار فقال لهارون ياني الله التي
 ماني يدي قال نعم وهو لا يدري ماني يده ويظن أنه مما يحيي به غيره من الحلي والامتعة فقدف فيها وقال كن عجلا
 جسدا له خوار فكان البلاء والفتنة فقال هذا الهكم وآله موسى فعكفوا عليه واجبه حبالا لم يجبو امثاله شيئا قط
 قال ابن عباس فكان البلاء والفتنة ولم يزد على هذا وقال الحسن صار العجل لحما ودما وقال غيره لا يجوز ذلك
 لأنه من معجزات الانبياء ومن وافق الحسن قال ان القبضة من اثر الملك كان الله قد اجري العادة بانها اذا طرحت
 على اي صورة كانت حيت فليس ذلك بمعجزة اذ سبيل السامري فيه سبيل غيره ومن لم يجز انقلابه حياتا وول الخوار
 على ان السامري صاغ عجلا وجعل فيه خروقا يدخلها الريح فيخرج منها صوت كالخوار ودعاهم الى عبادته فاجابوه
 وعبدوه عن ابي علي الجبائي

قوله تعالى (٥٢) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الغفر والصفح والغفرة والتجاوز نظائر قال ابن الانباري عفا الله عنك معناه محا الله عنك مأخوذ من قولهم
 عفت الريح الاثر اذا درستته ومحته فعفو الله محوه الذنوب عن العبد وقال الرماني اصل الغفر الترك ومنه قوله فن
 عني له من اخيه شي . اي ترك فالغفر ترك العقوبة والغفر احل المال وأطيبه والغفر المعروف والعفاة والمتغفون طلاب
 المعروف والعافية من الطير والدواب طلاب الرزق ومنه الحديث من غرس شجرة مشمرة فما اكلت العافية منها
 إلا كتب له صدقة والعافية دفاع الله عن العبد والعناء التراب قال زهير (على آثار من ذهب العفاء) والشكر الاعتراف
 بالنعمة مع ضرب من التعظيم قال الرماني الشكر هو الاظهار للنعمة

﴿ المعنى ﴾

«ثم عفونا عنكم» اي وضعنا عنكم العقاب الذي استحقتموه بقبول توبتكم من عبادة العجل من بعد ذلك
 اي من بعد اتخاذكم اياه االهًا وقيل معناه تركنا معاجلتكم بالعقاب من بعد اتخاذكم العجل االهًا «لعلكم تشكرون»
 لكي تشكروا الله على عفوه عنكم وسائر نعمه عليكم وقيل معناه التعريض اي عرضناكم للشكر وفي هذه
 الآية دلالة على وجوب شكر النعمة وعلى ان الغفر عن الذنب بعد التوبة نعمة من الله على عباده ليشكروه ومعنى
 قولنا في الله انه غفور شكور انه يجازي العبد على طاعته من غير ان ينقصه شيئا من حقه فجعل المجازاة على الطاعة
 شكرا في مجاز اللغة ولا يستحق الانسان الشكر على نفسه لأنه لا يكون منعا على نفسه فالنعمة تقتضي منعا غير
 المنعم عليه كما ان القرض يقتضي مستقرضا غير المقرض وقد يصح ان يحسن الانسان الى نفسه كما يصح ان يسي
 اليها لأن الاحسان من الحسن فاذا فعل بها فعلا حسنا ينتفع به كان محسنا اليها بذلك الفعل واذا فعل بها فعلا
 قبيحا تستضر به كان مسينا اليها ولا يستحق الكافر الشكر على الوجه الذي يستحقه المؤمن لأن المؤمن يستحق
 الشكر على وجه الاجلال والاعظام والكافر لا يستحقه كذلك وانما يجب له مكافاة نعمته كما يجب قضاء دينه
 على وجه الخروج منه اليه من غير تعظيم له والفرق بين الشكر والمكافاة ان المكافاة من التكافي وهو التساوي
 وليس كذلك الشكر ففي المكافاة للنعمة دلالة على انه قد استوفى حقها وقد يكون الشكر مقصرا عنها وان
 كان ليس على المنعم عليه اكثر منه الا انه كلما ازداد من الشكر حسن الازداد وان لم يكن واجبا لأن الواجب

لا يكون الامتنانها وذلك كالشكر لنعمة الله تعالى او استكثر به غاية الاستكثار لم يكن لينتهي الى حد لا يجوز له الازيد لعظم نعمة الله سبحانه وصغر شكر العبد

قوله تعالى (٥٣) وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (آية)

﴿اللغة﴾

الفرقان مصدر فرقت بين الشئين افرق فرقا وفرقانا ويسمى كل فارق فرقانا كما سمي كتاب الله فرقانا لفصله بين الحق والباطل وسمى الله تعالى يوم بدر الفرقان لانه فرق في ذلك اليوم بين الحق والباطل وقال ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا اي يفرق بينكم وبين ذنوبكم

﴿المعنى﴾

«و» اذكروا «اذ آتينا» اي اعطينا «موسى الكتاب» وهو التوراة «والفرقان» اختلفوا فيه على وجوه (احدها) وهو قول ابن عباس ان المراد به التوراة ايضا وانما عطفه عليه لاختلاف اللغتين كقول عنتره (اقوى واقفر بعد ام الهيثم) وقال عدي بن زيد

وَقَدَدَتِ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ وَأَلْنِي قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِينًا

والين الكذب (وثانيها) ان الكتاب عبارة عن التوراة والفرقان انفراق البحر الذي اتاه موسى عليه السلام (وثالثها) ان المراد بالفرقان الفرق بين الحلال والحرام والفرق بين موسى واصحابه المؤمنين وبين فرعون واصحابه الكافرين بأشياء كثيرة منها انه نجى هو لاه واغرق هو لاه (ورابعها) ان المراد بالفرقان القرآن ويكون تقديره وآتينا موسى التوراة وآتينا عمدا الفرقان فحذف ما حذف لدلالة ما ابقاه عليه كما حذف الشاعر في قوله

تَرَاهُ كَأَنَّ اللَّهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ وَعَيْنِيهِ إِنْ مَوْلَاهُ كَانَ لَهُ وَفِرُّ

يريد وتفقأ عينيه لأن الجدع لا يكون للعينين واكتفى بجدع عن يفقأ وقال آخر

يَأْتِيَتْ بَعْلَكَ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُحْمًا

اراد وحاملا ربحا وهو قول الفراء وقطرب وشعاب وضعف قوم هذا الوجه لأن فيه حمل القرآن على المجاز من غير ضرورة مع انه تعالى اخبر انه آتى موسى الفرقان في قوله ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وقوله «لعلكم تهتدون» اي لكي تهتدوا بما في التوراة من البشارة بحمد (صلى الله عليه وآله) وبيان صفته

قوله تعالى (٥٤) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَذَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (آية)

﴿القراءة﴾

قرا ابو عمرو وبارئكم ويأمركم وينصركم باختلاس الحركة وروي عنه السكون ايضا والباقون بغير اختلاس ولا تخفيف

﴿الحجة﴾

قال ابو علي حروف المعجم على ضربين ساكن ومتحرك والساكن على ضربين ﴿احدهما﴾ ما اصله الساكن في الاستعمال والآخر ما اصله الحركة فما اصله الحركة يسكن على ضربين (احدهما) ان تكون حركة بناء والآخر ان تكون حركة اعراب وحركة البناء تسكن على ضربين (احدهما) ان يكون الحرف المسكن من كلمة مفردة نحو فخذ وسبع وبيل وضرب وعلم فمن خفف قال فخذ وسبع وابل وضرب وعلم والآخر ان يكون من كلمتين فيسكن

على تشبيه المنفصل بالمتصل نحو قراءة من قرأ ويخش الله ويتقه ومنه قول العجاج (فات منتصاً وماتكردسا) الا ترى ان تقه من يتقه مثل كنف ومنه قول الشاعر (قالت سليمان اشتر لنا سويقاً) ولا خلاف في تجويز اسكان حركة البناء في نحو ما ذكرناه من قول العرب والنحويين واما حركة الاعراب فمختلف في تجويز اسكانها فن الناس من يقول ان اسكانها لا يجوز من حيث كان علماً للاعراب واما سيويه فيجوز ذلك لا يفصل بين القبيلتين وروي قول امرئ القيس

فَالْيَوْمَ أَشْرَبُ غَيْرَ مُسْتَحْبِبٍ
إِنَّمَا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَأَعْلٍ

وقول الآخر (وقد بداهنك من الميزر) ومن هذا النحو قول جرير

سِيرُوا بَنِي الْعَمِّ قَالَا هُوَ أَزْ مَنْزِلِكُمْ
وَنَهْرُ تَيْرِي وَلَا يُفْرِكُكُمْ الْعَرَبُ (١)

فشبه ما يدخل على العرب بما يدخل على المبني كما شبهوا حركات البناء بحركات الاعراب فمن ثم ادغم نحو رد وفر وعض كما ادغموا نحو يرد ويفر ويعض واعلم أن الحركات التي تكون للبناء والاعراب قد يستعملون في الضمة والكسرة منها الاختلاس والتخفيف كما يستعملون الاشباع والتعطيط فأما الفتحة فليس فيها الا الاشباع فقط ولم يخفف نحو جبل كما خفف مثل سبع وكنف وعلى هذا المذهب حمل سيويه قول ابي عمرو الى بارئكم فذهب الى انه اختلس الحركة ولم يشبهها فهو بزنة حرف متحرك فمن روى عن ابي عمرو الاسكان في هذا النحو فله سمعه يختلس حسبها اسكاناً لضمف الصوت به والحقاء وعلى هذا وقوله ولا يأمركم وغيره

﴿ اللغة ﴾

البارى هو الخالق الصانع وبراؤه الخلق يبروهم براً أي خلقهم قال امية بن الصلت

أَلْخَالِقُ الْبَارِي الْمَصُورُ فِيهَا
أَرْحَامُ مَاءٍ حَتَّى يَصِيرَ دَمًا

والفرق بين البارى والخالق ان البارى هو البدى المحدث والخالق هو المقدر الناقل من حال الى حال ويرى من المرض يبرأ برأ فهو بارى والبراءة من العيب والمكروه لا يقال منه الابري بالكسر وقاعله يرى ورجل براً بمعناه وامرأة برا ونسوة براء واما قوله انا براء فهو جمع بري وأصل الباب انفصال الشئ من الشئ ومنه برأ الله الخلق أي فطرهم كأنهم انفصلوا من العدم الى الوجود والبرية فعيلة بمعنى مفعول ولا تهمز كما لا يهمز ملك وان كان أصله الممزة وقيل البرية مشتقة من البري وهو الرب فلذلك لم يهمز وقيل مأخوذة من بريت العود فلذلك لم يهمز والقتل والذبح والموت نظائر والفرق بينهما ان القتل نقض بنية الحياة والذبح فري الأوداج والموت عند من اثبتته عرض يضاد الحياة والقتل العدر وجمعه اقتال والقتال النفس وناقته ذات قتال اذا كانت وثيقة وقتلت الشئ. علما اذا ايقنته وتحققتة وفي المثل قتلت ارض جاهلها وقتل ارض علمها وقتلت الجارية للفتى حتى عشقها كأنها خضعت له قال

تَقَتَّتْ لِي حَتَّى إِذَا مَا قَتَلْتَنِي
تَلَسَّكَتْ مَا هَذَا يَفْعَلُ النَّوَاسِكُ

﴿ الاعراب ﴾

القراءة بكسر الميم وهو الاختيار لأنه منادى مضاف والتدا باب حذف الحذف اليا. لأنه حرف واحد وهو في آخر الاسم كما ان التنوين في آخره وبقية الكسرة تدل عليه ولما كان ياء الاضافة قد تحذف في غير النداء لزم حذفه في النداء ويجوز في الكلام اربعة وجوه يا قوم كما قرئ. ولا يجوز غيره في القرآن لأن القراءة سنة متبعة ويجوز يا قومي انكم بأثبات اليا. واسكانه ويجوز يا قومي بأثبات اليا. وتجويزه فلهذه ثلاثة اوجه في الاضافة ويجوز يا قوم على انه منادى مفرد واما قوله يا ليت قومي فإين اليا ثبت فيه لأنه لم يلحقه ما يوجب حذفه كما لحق في النداء

(١) هكذا في النسخ وفي مجمع البلدان (ولم يعرفكم العرب) فليصح

﴿ المعنى ﴾

«و» اذكروا «اذ قال موسى لقومه» الذين عبدوا العجل عند رجوعه اليهم «يا قوم انكم ظلمتم انفسكم» اي اضررتم بانفسكم ووضعتم العبادة غير موضعها «باتخاذكم العجل» معبودا وظلمتم اياها فعلهم بها ما لم يكن لهم ان يفعلوه مما يستحق به العقاب وكذلك كل من فعل فعلا يستحق به العقاب فهو ظالم لنفسه «فتوبوا الى بارئكم» اي ارجعوا الى خالقكم ومنشئكم بالطاعة والتوحيد وجعل توبتهم الندم مع العزم وقتل النفس جميعا وهنا اضمار اختصار كأنه لما قال لهم فتوبوا الى بارئكم قالوا كيف قال «فاقتلوا انفسكم» اي ليقتل بعضهم بعضا يقتل البري المجرم عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم وهذا كقوله سبحانه فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم أي ليسلم بعضهم على بعض وقيل معناه استسلموا للقتل فجعل استسلامهم للقتل قتلا منهم لأنفسهم على وجه التوسع عن ابن ابي اسحاق واختاره الجبائي واختلفوا في الأمور بالقتل فروي أن موسى امرهم أن يقوموا صفيين فاغتسلوا وابسوا اكفانهم وجاء هارون باثني عشر الفا ممن لم يعبدوا العجل ومعهم الشفار المرهفة وكانوا يقتلونهم فلما قتلوا سبعين الفا تاب الله على الباقيين وجعل قتل الماخذين شهادة لهم وقيل أن السبعين الذين كانوا مع موسى في العجور هم الذين قتلوا ممن عبد العجل سبعين الفا وقيل انهم قاموا صفيين فجعل يطعن بعضهم بعضا حتى قتلوا سبعين الفا وقيل غشيتهم ظلمة شديدة فجعل بعضهم يقتل بعضها ثم انجلت الظلمة فاجلوا عن سبعين الف قتل وروي أن موسى وهارون وقفا يدعوان الله ويتضرعان اليه وهم يقتل بعضهم بعضا حتى نزل الرحي برفع القتل وقيل توبة من بقي وذكر ابن جريج ان السبب في امرهم بقتل انفسهم ان الله تعالى علم ان ناسا منهم ممن لم يعبدوا العجل لم يبنكروا عليهم ذلك مخافة القتل مع علمهم بأن العجل باطل فلذلك ابتلاهم الله بأن يقتل بعضهم بعضا وانما امتحنهم الله تعالى بهذه المحنة العظيمة لكفرهم بعد الدلالات والآيات العظام وقال الرماني لا بد أن يكون في الأمر بالقتل لطف لهم وتغييرهم كما يكون في استسلام القاتل لطف له وتغييره فان قيل كيف يكون في قتلهم نفوسهم لطف لهم ولا تكليف عليهم بعد القتل واللفظ لا يكون لطفًا فيما مضى ولا فيما يقارنه فالجواب ان القوم اذا كفوا ان يقتل بعضهم بعضا فكل واحد منهم يقصد قتل غيره ويجوز ان يبقى بعده فيكون القتل لطفًا له فيما بعد ولو كان بمقدار زمان يفعل فيه واجبا ويمتنع عن قبيح وهذا كما تقول في عبادتنا بقتال المشركين وان الله تعبدنا بأن نقاتل حتى نقتل او نقتل ومدحنا على ذلك وكذلك روى اهل السير ان الذين عبدوا العجل تعبدوا بأن يصبروا على القتل حتى يقتل بعضهم بعضا فكان القتل شهادة لمن قتل وتوبة لمن بقي وانما كانت تكون شبهة لو امروا بأن يقتلوا نفوسهم بأيديهم او صح ذلك لم يمتنع أن يكونوا امرؤا بان يفعلوا بنفوسهم الجراح التي تفضي الى الموت وان لم يزل معها العقل فينفي التكليف واما على القول الآخر انهم امروا بالاستسلام للقتل والصبر عليه فلامسألة لأنهم ما امروا بقتل نفوسهم فعلى هذا يكون قتلهم حسنا لأنه لو كان قبيحا لما امروا بالاستسلام له ولذلك تقول لا يجوز ان يتعبد نبي ولا امام بأن يستسلم للقتل مع قدرته على الدفع عن نفسه فلا يدفعه لأن في ذلك استسلاما للقيح مع القدرة على دفعه وذلك لا يجوز وانما كان يقع قتل الأنبياء والأئمة عليهم السلام على وجه الظلم وارتقاع التمكن من المنع غير أنه لا يمتنع من أن يتعبد بالصبر على الدفاع وتحمل المشقة في ذلك وان قتله غيره ظلما والقتل وان كان قبيحا بحكم العقل فهو مما يجوز تغييره بأن يصبر حسنا لأنه جار مجرى سائر الآلام وليس يجري ذلك مجرى الجهل والكذب في أنه لا يصبر حسنا قط ووجه الحسن في القتل أنه لطف على ما قلناه وايضا فكما يجوز من الله تعالى ان يبت الحبي فكذلك يجوز ان يأمرنا بأمانته وبعرضه على الآلام التي تدخل عليه ويكون فيه لطف على ما ذكرناه وقوله «ذالكم خير لكم عند بارئكم» اشارة الى التوبة مع القتل لأنفسهم على ما امرهم الله به بدلالة قوله فتوبوا الى بارئكم فاقبلوا انفسكم فقوله توبوا دال على التوبة فكانها مذكورة وقوله فاقبلوا دال على القتل فكانه

قال ان التوبة وقتل النفس في مرضاة الله كما امركم به وان كان فيه مشقة عظيمة خير لكم عند خالقكم من ايثار الحياة الدنيا لأن الحياة الدنيا لا تبقى بل تفتى وتحصلون بعد الحياة على عذاب شديد واذا قلتم انفسكم كما امركم الله به زالت مشقة القتل عن قريب وبعيتم في نعيم دائم لا يزول ولا يبديد وكرر ذكر بارئكم تعظيماً لما اتوا به مع كونه خالقاً لهم وقوله «فتاب عليكم» هاهنا اضمار تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم او فقتلتم انفسكم فتاب عليكم اي قبل توبتكم «انه هو التواب» اي قابل التوبة عن عباده مرة بعد مرة وقيل معناه قابل التوبة عن الذنوب العظام «الرحيم» يرحمكم اذا تبتهم ويدخلكم الجنة وفي هذه الآية دلالة على أنه يجوز ان يشترط في التوبة سوى الندم ما لا يصح التوبة الا به كما امروا بالقتل

قوله تعالى (٥٥) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (آية)

﴿ اللغاة ﴾

لن يؤمن لك اي لن نصدقك يقال آمن به وامن له بدلالة قوله تعالى قال فرعون آمنتم به وفي موضع آخر امنتهم له والروية الادراك بالبصر ثم يستعمل بمعنى العلم يقال رأى ببصره روية ورأى من الرأي رأياً ورأيت روية حسنة والرواء المنظر في البهاء والجمال والمرأة التي ينظر فيها وجمها المراني وترايت بالمرأة اذا نظرت فيها وجاء في الحديث لا يتراوى احدكم بالمال اي لا ينظر فيه وتراوى القوم اذا رأى بعضهم بعضاً وتراوى فلان لفلان اذا تصدى له ليراه ويحذفون الهزة من رأيت في كل كلمة يكون راوها ساكنة تقول رأيت اري والأصل ارأى وارت فلاناً اريه فاننا مرني وهو مرني والأصل ارايته ارايه واثبتوها في موضعين مرني وارت الناقة والشاة اذا عرف في لون ضرعها انها قد اقربت والرأي حسن الشارة والهينة قال جرير

وَكُلُّ قَوْمٍ لَهُمْ رَأْيٌ وَمُخْتَبَرٌ
وَلَيْسَ فِي تَغْلِبِ رَأْيٍ وَلَا خَبْرٍ

والجهر والعلامة والمعينة نظائر يقال جهر بكلامه وبقراته جهرأ اذا اعلن ورجل جهير ذو رواء وكلام جهير وصوت جهير اي عال والفعل منه جهر جهارة وجره في الرجل اي راعني جماله وضد الجهر السر واصل الباب الظهور وحقبة الجهر ظهور الشيء . معاينة والفرق بين الجهر والمعاينة ان المعاينة ترجع الى حال المدرك والجهرة ترجع الى حال المدرك وقد تكون الروية غير جهرة كالروية في النوم والروية بالقلب فاذا قال جهرة لم يكن الروية العين على التحقيق دون التخيل والصاعقة على ثلاثة اوجه ﴿ احدها ﴾ نار تسقط من السماء كقوله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء (والثاني) الموت في قوله فصمق من في السماوات وقوله فأخذتكم الصاعقة و (الثالث) العذاب في قوله انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود

﴿ الاعراب ﴾

حتى نرى حتى بمعنى الى وهي الجارة للأسم وانتصب نرى بعدها باضمار ان كما ينتصب الفعل بعد اللام باضمار ان وان مع الفعل في تأويل المصدر في موضع جر مجتى كما أن الجار والمجرور في موضع نصب بأنه مفعول لن نؤمن و جهرة مصدر وضع موضع الحال

﴿ المعنى ﴾

«واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك» اي لن نصدقك في قولك انك نبي مبعوث «حتى نرى الله جهرة» اي علانية فيخبرنا بأنك نبي مبعوث وقيل معناه انا لا نصدقك فياخبار به من صفات الله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه حتى نرى الله جهرة اي علانية وعياناً فيخبرنا بذلك وقيل انه لا جاءهم بالالواح وفيها التوراة قالوا لن نؤمن

بأن هذا من عند الله حتى زاه عياناً وقال بعضهم ان قوله جبهة صفة لخطابهم لموسى انهم جهروا به وعلنوه وتقديره واذ قلتهم جبهة لن نوم من لك حتى نرى الله والاول اقوى «فاخذتكم الساعة» اي الموت «وانتم تنظرون» الى اسباب الموت وقيل الى النار وانما قرع الله سبحانه اليهود بسوء ال اسلافهم الروية من حيث انهم سلكوا طريقتهم في المخالفة للنبي الذي لزمهم اتباعه والتصديق بجميع ما اتى به فجروا على عادة اسلافهم الذين كانوا يسألون تارة نبيهم ان يجعل لهم لها غير الله ومرة يعبدون العجل من دون الله وطورا يقولون لن نوم من لك حتى نرى الله جبهة واستدل ابو القاسم البلخي بهذه الآية على ان الروية لا تجوز على الله تعالى قال لانها انكار تضمن امرين ردهم على نبيهم وتجويزهم الروية على ربهم ويؤيد ذلك قوله تعالى فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جبهة فدل ذلك على ان المراد انكار الامرين وتدل هذه الآية ايضا على ان قول موسى رب ارني انظر اليك كان سوء الا لقومه لانه لا خلاف بين اهل التوراة ان موسى عليه السلام لم يسأل الروية الا دفعة واحدة وهي التي سألتها لقومه

قوله تعالى (٥٦) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

البعث اثاره الشيء من محله ومنه يقال بعث فلان راحلته اذا اثارها من مبركها للسير وبعثت فلان حاجتي اذا اقمته من مكانه الذي هو فيه للتوجيه اليها ومنه يقال ليوم القيامة يوم البعث لانه يوم يثار الناس فيه من قبورهم لموقف الحساب وبعثته من نومه فانبعث اي نبهته فانبعثه بالبعث الجنديبعثون الى وجهه او في امر واصل البعث الإرسال

﴿ المعنى ﴾

« ثم بعثناكم » اي ثم احييناكم « من بعد موتكم » لاستكمال آجالكم عن الحسن وقتادة وقيل انهم سألوا بعد الافاقة أن يعثوا نبياً فبعثهم الله انبياء عن السدي فيكون معناه بعثناكم انبياء واجمع المفسرون الاشرذمة يسيرة ان الله لم يكن امات موسى كما امات قومه ولكن غشي عليه بدلالة قوله فلما افاق قال سبحانه تبث اليك والافاقة انما تكون من النسيان وقوله « لعلكم تشكرون » اي لكي تشكروا الله على نعمه التي منها رده الحياة اليكم وفي هذا اثبات لمعجزة نبينا محمد (ص) واحتجاج على مشركي العرب الذين كانوا غير مؤمنين بالبعث لانه كان يذكر لهم من اخبار الذين بعثهم الله في الدنيا فكان يوافقهم على ذلك من يخالفه من اليهود والنصارى ويجب أن يكون هو لاء القوم وان اماتهم الله ثم احياهم غير مضطرين الى معرفة الله عند موتهم كما يضطر الواحد منا اليوم الى معرفته عند الموت بدليل أن الله أعادهم الى التكليف والمعرفة في دار التكليف لا تكون ضرورية بل تكون مكتسبة ولكن موتهم انما كان في حكم النوم فاذهب الله عنهم الروح من غير مشاهدة منهم لأحوال الآخرة وليس في الاحياء بعد الاماتة ما يوجب الاضطرار الى المعرفة لأن العلم بأن الاحياء بعد الاماتة لا يقدر عليه غير الله طريقه الدليل وليس الاحياء بعد الاماتة الا قريبا من الانتباه بعد النوم والافاقة بعد الانعام في أن ذلك لا يوجب علم الاضطرار واستدل قوم من اصحابنا بهذه الآية على جواز الرجعة وقول من قال ان الرجعة لا تجوز الا في زمن النبي (ص) لتكون معجزته ودلالة على نبوته باطل لأن عندنا بل عند اكثر الامم يجرؤا اظهار المعجزات على ايدي الأئمة والأولياء والأدلة على ذلك المذكورة في كتب الأصول وقال ابو القاسم البلخي لا تجوز الرجعة مع الاعلام بها لأن فيها اغراء بالمعاصي من جهة الاتكال على التوبة في الكرة الثانية وجوابه ان من يقول بالرجعة لا يذهب الى ان الناس كلهم يرجعون فيصير اغراء بأن يقع الاتكال على التوبة فيها بل لا احد من المكلفين الا ويجوز أن لا يرجع وذلك يكفي في باب الزجر

قوله تعالى (٥٧) وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمُنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُوا فَآوَلِكِن كَانَوَا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (آية)

﴿ اللغاة ﴾

الظلال والغمامة والسترة نظائر يقال ظللت تظليلا والظل ضد الضح ونقيضه وظل الشجرة سترها ولا ازال الله عنا ظل فلان اي ستره ويقال لسواد الليل ظل لانه يستر الاشياء قال الله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل والغمام السحاب والقطعة منها غمامة وانما سمي غماما لانه يغمم السماء اي يسترها وكل ما يستر شيئا فقد غمه وقيل هو ما ابيض من السحاب والنعمة العطاء على القلب من النعم وفلان في غمة من امره اذا لم يهتد له والمن الاحسان الى من لا يستثيه والاسم المنة والله تعالى هو المنان علينا والرحيم بنا والمن قطع الخير ومنه قوله اجر غير ممنون اي غير مقطوع والمنة قوة القلب وفلان ضعيف المنة واصل الباب الاحسان فان الذي كان يسقط على بني اسرائيل هو ممنان الله به عليهم اي احسن به اليهم والسلوى طائر كالجاني قال الاخفش هو الواحد والجمع كقولهم دفلى وقال الخليل واحده سلوة قال (كما انتفض السلوة من بلل القطر) قال الزجاج غلط خالد بن زهير في قوله

وَقَاَسَمَهَا بِاللَّهِ جَهْدًا لِأَنْتُمْ أَلَدُّ مِنَ السَّلْوَىٰ إِذَا مَا نَشُورُهَا

فظن ان السلوى العسل وانما هو طائر قال ابو علي الفارسي وقرى على الزجاج في مصنف ابي عبيد انه العسل قال والذي عندي فيه ان السلوى كانه ما يسلي عن غيره لفضيلة فيه من فرط طيبه اوقلة معانة وعلاج في اقتنائه فالعسل لا يمتنع ان يسمى سلوى لجمعه الامرين كما سمي الطائر الذي كان يسقط مع المن به ويقال سلا فلان عن فلان يسلو سلوا اذا تسلى عنه وفلان في سلوة من العيش اذا كان في رغد يسليه الهم والسلوان ماء من شربه ذهب همه فيا زعموا قال (لو اشرب السلوان ماسليت)

﴿ الاعراب ﴾

موضع كلوا نصب بمحذوف كانه قال وقلنا لهم كلوا وموضع السلوى نصب لانه معطوف على المن وقوله وما ظلمونا انما يتصل بما قبله ايضا بتقدير محذوف كانه قال فخالقوا ما امروا به وكفروا هذه النعمة وما ظلمونا

﴿ المعنى ﴾

«وظللنا عليكم الغمام» اي جعلنا لكم الغمام ظلة وسترة تقيكم حر الشمس في التيه عن جماعة المفسرين «واثرنا عليكم المن» فيه وجوه ﴿احدها﴾ انه المن الذي يعرفه الناس يسقط على الشجر عن ابن عباس و (ثانيها) انه شي كالصمغ كان يقع على الاشجار وطعمه كالشهد والعسل عن مجاهد و (ثالثها) انه الخبز المرقق عن وهب و (رابعها) انه جميع النعم التي اتهم بها من الله به عليهم بما لا تعب فيه ولا نصب وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال الكفاة من المن وماؤها شفاء للعين «والسلوى» قيل هو السمان وقيل هو طائر ابيض يشبه السمان عن ابن عباس وقوله «كلوا من طيبات ما رزقناكم» معناه قلنا لهم كلوا من الشيء اللذيذ وقيل المباح الحلال وقيل المباح الذي يستلذ اكله الذي رزقناكم اي اعطيناكم وجعلناه رزقا لكم وقوله «وما ظلمونا» اي فكفروا هذه النعمة وما نقصونا بكفرتهم انعمنا «ولكن كانوا انفسهم يظلمون» اي يتقصون وقيل معناه وما ضررنا ولكن كانوا انفسهم يضررون وهذا يدل على ان الله تعالى لا ينفعه طاعة من اطاعه ولا يضره معصية من عصاه وانما تعود منفعه الطاعة الى الطبع ومضرة المعصية الى العاصي

﴿ القصة ﴾

وكان سبب اثرال المن والسلوى عليهم انه لما ابتلاهم الله بالتيه اذ قالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا

انا هاهنا قاعدون حين امرهم بالمسير الى بيت المقدس و حرب العمالة بقوله ادخلوا الارض المقدسة فوقعوا في التيه فصاروا كلها ساروا تاهوا في قدر خمسة فراسخ او ستة فكلما اصبحوا ساروا غادين فامسوا فإذا هم في مكانهم الذي ارتحلوا منه كذلك حتى تمت المدة وبقوا فيها اربعين سنة وفي التيه توفي موسى وهارون ثم خرج يوشع بن نون وقيل كان الله تعالى يرد الجانب الذي انتهوا اليه من الارض الى الجانب الذي ساروا منه فكانوا يضلون عن الطريق لأنهم كانوا خلقا عظيما فلا يجوز ان يضلوا كلهم عن الطريق في هذه المدة المديدة في هذا المقادير من الارض ولما حصلوا في التيه ندموا على ما فعلوا فالطف الله لهم بالعام لما شكوا حر الشمس وانزل عليهم المن والسلى فكان يسقط عليهم المن من وقت طلوع الفجر الى طلوع الشمس فكانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليومهم وقال الصادق عليه السلام كان ينزل المن على بني اسرائيل من بعد الفجر الى طلوع الشمس فمن نام في ذلك الوقت لم ينزل نصيبه فذلك يكره النوم في هذا الوقت الى بعد طلوع الشمس قال ابن جرير وكان الرجل منهم اذا اخذ من المن والسلى زيادة على طعام يوم واحد فسد الا يوم الجمعة فانهم اذا اخذوا طعام يومين لم يفسد وكانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليوم الجمعة والسبت لأنه كان لا يأتيهم يوم السبت وكانوا يجزونه مثل القرصة ويوجد له طعم كالشهد المعجون بالسنن وكان الله تعالى يعث لهم السحاب بالنهار فيدفع عنهم حر الشمس وكان ينزل عليهم في الليل من السماء عمود من نور يضيء لهم مكان السراج واذا ولد فيهم مولود يكون عليه ثوب يطول بطوله كالجلد

قوله تعالى (٥٨) وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا
الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر ونافع ينفرد بالياء مضمومة والباقون نغفر لكم بالنون وهو الاختيار لأنه اشبه بما تقدم من قوله وظللنا وانزلنا ولأن أكثر القراء عليه واجمع القراء على اظهار الراء عند اللام الا ما روي عن ابي عمرو وفي رواية اليزيدي الاستجادة من ادغام الراء في اللام واتفق القراء على خطاياكم هنا وان اختلفوا في الاعراف ونوح فقرأ بعضهم هناك خطيئاتهم وذلك لأن اللتين في الاعراف ونوح كتبتا في المصحف بغير الف وهاهنا كتبت بالالف

﴿ اللغة ﴾

الدخول والولوج والاقترام نظائر والفرق بين الدخول والاقترام ان الاقترام دخول على صعوبة وفي الأمر دخل اي فساد ودخل امره اذا فسد وفلان دخيل في بني فلان اذا كان من غيرهم واطلعت على دخة امري اذا بثته مكتومك وفلان مدخول اذا كان في عقله او في حسبه دخل القرية والبلدة والمدينة نظائر قال ابو العباس واصله الجمع وقرية الماء في الحوض اقربه قريبا وقرية الضيف اقربه قري والمقراة الحفنة التي يعد فيها الطعام للاضياف قال (عظام المقاري جارهم لا يفرغ) وقال الخليل القرية والقرية لغتان والكسر لغة يمانية والقرى الظهر من كل شيء وجمعه الاقراء والسجود وشدة الانحناء ومنه السجد من النساء وهن الفاترات الاعين قال الشاعر (ولهوي الى حور المدامع سجد) وقال الآخر ترى الأم فيه سجد الحوافر) وحطة مصدر مثل ردة وجدة من رددت وجددت قال الخليل الحط وضع الاحمال عن الدواب والحط والوضع والحفض نظائر والحط الحذر من العلو قال امرؤ القيس

(كجلمودٍ صخرٍ حطه السيلُ من علٍ)

وجارية محطولة المتين ممدودة حسنة والغفران والعفر والصفح نظائر يقال غفر الله له غفرانا اي ستر الله على ذنوبه والغفر التغطية وثوب ذو غفر اذا كان له زبر يستر نسجه ويقال المغفر لتغطيته العنق والغفيرة والمغفرة بمعنى والغفارة خرقة تلتف على سية القوس والمغفور والمغفار صمغ العرفط وغفر الشجر اذا ظهر ذلك فيه ومنه الحديث انه (ص) دخل على عائشة

فقلت يا رسول الله اكلت مغاير يعني هذا الصنع ومنهم من يقول مغاير كما قيل جدث وجدف ويقال جاء والجاه الغفير وجاءوا جاغفيرا وجماء الغفير اي مجتمعين جمعا يغطي الارض والغفر ولد الارويه لانه ياوي الجبال ويتستر عن الناس ويقال اصبح ثوبك فانه اغفر للوسخ اي استر له واصل الباب الستر وحد المغفرة سترا الخطيئة برفع العقوبة والخطيئة والزلة والمعصية نظائر يقال خطا الشيء خطأ اذا لم يردده واصابه واخطاه اخطاء اذا اراده فلم يصبه والاول خاطى والثاني مخطى والخطيئات جمع خطيئة مثل صحيفات جمع صحيفة وسفينات جمع سفينة والخطايا ايضا جمع خطيئة والمحسن الفاعل الاحسان او الفاعل للحسن يقال احسن الى غيره واحسن في فعله والفرق بينها ان احسن اليه لا يقال الا في النفع فلا يقال احسن الله الى اهل النار بتعذيبهم ويقال احسن في تعذيبهم بالنار يعني احسن في فعله وتدبيره ويقال امرأة حسناء ولا يقال رجل احسن وحد الحسن من طريق الحكمة هو الفعل الذي يدعو اليه العقل وضده القبيح وهو الفعل الذي يزجر عنه العقل وحد الاحسان هو النفع الحسن وحد الاساءة هو الضرر القبيح وهذا انما يصحح على مذهب من يقول ان الانسان يكون محسنا الى نفسه ومسيئا اليها ومن لم يذهب اليه يزيد فيه الواصل الى الغير مع قصده الى ذلك والاولى في حد الحسن ان يقال هو الفعل الذي اذا فعله العالم به على وجه لم يستحق الذم

﴿ الاعراب ﴾

حيث ظرف مكان مبني على الضم وذكرنا في بيانه فيما قبل والجملة بعده في تقدير المضاف اليه وبما يسأل فيه ان يقال كيف بني على الضم وهو مضاف الى الجملة على التشبيه بما حذف منه الاضافة وهو قبل وبعد وجوابه ان حيث مع اضافته الى الجملة لا يتنع ان يكون شبه قبل ونحوه فانما فيه لأنه قد منع الاضافة الى المفرد وان كان قد اضيف الى الجملة وحق الاضافة ان تقع الى المفرد واذا كان كذلك فكان المضاف اليه محذوف منه كقبل وبعد هذا على قول من بناء على الضم ومن بناء على غير الضم فقال حيث فلا يدخل عليه هذا السوءال ولا يجوز في القرآن الا الضم واما حطة فانما ارتفع على الحكاية وقال الزجاج تقديره مسألنا حطة اي حط ذنوبنا عنا وقيل تقديره دخولنا الباب سجدا حطة لذنوبنا ولو جاز قراءته بالنصب لكان وجهه في العربية حط عنا ذنوبنا حطة كما يقال سمعا وطاعة اي اسمع سمعا واطيع طاعة ومعاذ الله ان نعوذ بالله معاذا وقوله نغفر لكم مجزوم لأنه جواب الأمر وانما الجزم بالشرط فان المعنى ان تقولوا نغفر لكم حذف الشرط لدلالة الجزاء عليه ووقوع الامر في الكلام وطوله به وحسن حذفه معه لأنه صار كالماقب له من حيث اجتماعه في انهما غير موجبين وغير خبيرين وهذا كما يحذف المبتدا لدلالة الخبر عليه وقد يحذف الجزاء ايضا لدلالة الشرط عليه في نحو قولهم انت ظالم ان فعلت كما يحذف خبر المبتدا لدلالة المبتدا عليه قال سيبويه كان اصل خطايا خطائي مثل خطائع فابدل من اليااء همزة فصار خطائي مثل خطائع فتجتمع همزتان فقلبت الثانية ياء فصار خطائي مثل خطاعي ثم قلبت اليااء والكسرة الى الالف والفتحة فقلبت خطاوا مثل خطاوا كما فعل بمداري فقلبت الثانية ياء فقلبت الالف الى اليااء فقلبت الى الالف فقلبت الى الالف فكانت ثلاث الفات فابدلت همزة ياء فقلبت خطايا وقال الخليل اصل خطايا فعايل فقلبت الى فعالى ثم قلب بعد على ما تبين في المذهب الاول وانما اعل هذا الاعلال لأن همزة التي بعد الالف عارضة غير اصلية وتقول في جمع مرآة مرأى فلا تعلم لأن همزة عين الفعل

﴿ المعنى ﴾

اجمع المفسرون على ان المراد بالقرية هاهنا بيت المقدس ويؤيده قوله في موضع آخر ادخلوا لارض المقدسة وقال ابن زيد انها اريحا قرية قرب بيت المقدس وكان فيها بقايا من قوم عاد وهم العماقة وراسهم عوج بن عتق يقول اذكروا «اذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم اي اين شئتم» رغدا اي موسعا عليكم مستمتعين

يا شتم من طعام القرية بعد المن والسلوى وقد قيل ان هذه اباحة لهم منه لغنائمها وتملك اموالها اتماما للنعمة عليهم
«وادخلوا الباب» يعني الباب الذي امر وابدخلوه وقيل هو باب حطة من بيت المقدس وهو الباب الثامن عن مجاهد وقيل
باب القبة التي كان يصلي اليها موسى وبنو اسرائيل وقال قوم هو باب القرية التي امر وابدخلوها قال ابو علي الجبائي
والآية على قول من يزعم انه باب القبة ادل منها على قول من يزعم انه باب القرية لانهم لم يدخلوا القرية في
حياة موسى وآخر الآية يدل على انهم كانوا يدخلون هذا الباب على غير ما امروا به في ايام موسى لانه قال
فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم والعطف بالقاء التي هي للتعقيب من غير تراخيدل على ان هذا التبديل
منهم كان في اثر الامر فدل ذلك على انه كان في حياة موسى وقوله «سجدا» قيل معناه ركعا وهو شدة الانحناء.
عن ابن عباس وقال غيره ان معناه ادخلوا خاضعين متواضعين يدل عليه قول الاعشى

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِكِ طَوْرًا سُجُودًا وَطَوْرًا جُوعًا

وقيل معناه ادخلوا الباب فإذا دختموه فاسجدوا لله سبحانه شكرا عن وهب وقوله «حطة» قال الحسن وقتادة
واكثر اهل العلم معناه حط عنا ذنوبنا وهو امر بالاستغفار وقال ابن عباس امروا أن يقولوا هذا الامر حق وقال
عكرمة امروا أن يقولوا لا إله إلا الله لأنها تحط الذنوب وكل واحد من هذه الاقوال مما يحط الذنوب فيصح أن
يترجم عنه بحطة وروي عن الباقر (ع) أنه قال نحن باب حطتكم وقوله «نغفر لكم خطاياكم» اي نصفح ونعف عن
ذنوبكم «وسنزيد المحسنين» اي وسنزيدهم على ما يستحقونه من الثواب تفضلا كقوله تعالى ليوفيهم اجرهم ويزيدهم
من فضله وقيل أن المراد به ان يزيدهم الاحسان على ماسلف من الاحسان بانزال المن والسلوى وتظليل الغمام وغير ذلك

قوله تعالى (٥٩) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ يَمَا كَانُوا يُفْسِقُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

التبديل تغيير الشيء الى غير حاله والرجز بكسر الراء المذاب في لغة اهل الحجاز وهو غير الرجز لأن الرجز
النق وقال النبي صلى الله عليه وآله في الطاعون انه رجز عذب به بعض الأمم قبلكم وقال ابو عبيدة الرجز والرجز
اثنان مثل البزاق والبساق والزرع والسرع والرجز بضم الراء عبادة الاوثان وفسق يفسق والضم اشهر وعليه القراءة
ومعنى الفسق في اللغة الخروج من العقيدة وكل من خرج عن شيء فقد فسق الا انه في الشرع مخصوص بالخروج
عن امر الله تعالى او طاعته

﴿ الاعراب ﴾

غير الذي انتصب غير بأنه صفة لقول واصل غير ان يكون صفة تجري مجرى مثل وان اضيف الى المعارف لم
يتعرف لما فيها من الابهام لأن مثل الشيء يكون على وجوه كثيرة وكذلك غير الشيء يكون اشياء كثيرة غير مختلفة

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه انهم قد عصوا فيما امروا به فقال «فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم» اي فخالف الذين
عصوا والذين فعلوا ما لم يكن لهم ان يفعلوه وغيروا ما امروا به فقالوا غير ذلك واختلف في ذلك الغير فقيل انهم قالوا
بالسريانية هاطا سباقانا وقال بعضهم حطا سباقاتا ومعناه حنطة حمراء فيها شعيرة وكان قصدهم في ذلك الاستهزاء
ومخالفة الأمر وقيل انهم قالوا حنطة تجاهلا واستهزاء وكانوا قد امروا ان يدخلوا الباب سجدا وطوطى لهم
الباب ليدخلوه كذلك فدخلوه زاحفين على استاهمهم فخالفوا في الدخول ايضا وقوله «فانزلنا على الذين ظلموا»
اي فعلوا ما لم يكن لهم فعله من تبديلهم ما أمر الله به بالقول والفعل «رجزا» اي عذابا من السماء عن ابن عباس وقتادة

والحسن «بما كانوا يفسقون» اي بكونهم فاسقين او بقسوتهم كقوله ذلك بما عصوا اي بعصيانهم وقال ابن زيد اهلكوا بالطاعون فمات منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا من كبارهم وشيوخهم وبقى الابناء فانتقل عنهم العلم والعبادة كأنه يشير الى انهم عوقبوا باخراج الافاضل من بينهم

قوله تعالى (٦٠) وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْسُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الاستسقاء طلب السقية ويقال سقيته واسقيته بمعنى وقيل سقيته من سقي الشفة واسقيته دلته على الماء ويقال عصا وعصوان وثلاثة اعص وجعمه عصي والانفجار الانشقاق والانبجاس اضيق منه فيكون اولاً انبجاساً ثم يصير انفجاراً والعين والعين من الاسماء المشتركة فالعين من الماء مشبهة بالعين من الحيوان خروج الماء منها كخروج الدمع من يبكي وبلد قليل العين اي قليل الناس وما بالدار عين متحركة الياء والعين مطر أيام لا يقلع والعين الذهب والعين الميزان والعين الشمس والعين المتجسس للأخبار وقد تقدم ذكر اناس وانه لا واحد له من لفظه ولا تعسوا اي ولا تفسدوا ولا تطغفوا والعنى شدة الفساد يقال عثايعشوا وعشى يعشي عشي وعاش يعيث عيثا وعيوثا وعاياثا قال روضة (وعاش فينا مستحل عايث)

﴿ الاعراب ﴾

اذ متعلق بكلام محذوف فكانه قال واذكروا اذا استسقى ويجوز ان يكون معطوفاً على ما تقدم ذكره في الآيات المتقدمة وقواه اثنتا عشرة عينا الشين ساكنة عند جميع القراء وكان يجوز كسرها في اللغة والكسر لغة ربيعة وتميم والاسكان لغة اهل الحجاز قال ابن جنبي ان الفاظ العدد قد كثرت فيها الانحرافات وذلك ان لغة اهل الحجاز في غير العدد في نظير عشرة عشرة فيقولون نبقة وفخذ يكسرون الثاني وبنو تميم يسكنون فيقولون نبقة وفخذ فلما كب الاسنان استحال الوزن فقال بنو تميم احدى عشرة واثنى عشرة بكسر الشين وقال اهل الحجاز عشرة بسكونها وعينا منصوب على التمييز والاسم الثاني من اثنتا عشرة قام مقام النون في عشرون بدلالة سقوط النون من اثنان وان عشرة تعاقبها وكذلك التقدير في جميع ذلك وهو الثلاثة والثلاث من ثلاثة عشر وثلاث عشرة الى تسعة عشر وتسع عشرة ان يكون فيها نون مقام عشرة فلذلك لم يدخلها التنوين واذا لم يدخلها تنوين لم تبين ومفسدين منصوب على الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم عد سبحانه وتعالى على بني اسرائيل نعمة اخرى إضافة الى نعمه العلى الاولى فقال «واذا استسقى موسى» اي سأل موسى قومه ماء والسين سين الطلب وترك ذكر المسؤول ذلك اذا كان فيا ذكر من الكلام دلالة على معنى ما ترك وكذلك وقوله «فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت» لأن معناه فضربه فانفجرت فترك ذكر الحجر عن ضرب موسى الحجر لأن فيا ابقاه من الكلام دلالة على ما القا وهذا كما يقال امرت فلانا بالتجارة فاكتسب مالا أي فاتجر واكتسب مالا وقوم موسى هم بنو اسرائيل ولما استسقى لهم ربه الما في الحال التي تاهوا فيها في التيه فشكوا اليه الظلم فأوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك وهو عصاه المعروفة وكان من آس الجنة دفعها اليه شيب وكان آدم حمله من الجنة معه الى الارض وكان طوله عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة نورا وبه ضرب البحر فانفلق وهو الذي صار ثمانا واما الحجر فاختلف فيه فقيل كان يقرع لهم حجرا من عرض الحجارة فينفجر عيوننا لكل سبط عينا وكانوا اثني عشر سبطا ثم يسير كل عين في جدول الى السبط الذي امر بسقيهم عن وهب بن منبه

وقيل كان حجرا بعينه خفيفا اذا رحلوا حمل في متلافة فاذا تزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجر منه الماء عن ابن عباس وهذا اولى لدلالة الالف واللام للعهد عليه وقيل كانت حجرة فيها اثنتا عشرة حفرة وكان الحجر من الكلدان وكان يخرج من كل حفرة عين ماء عذب فوات يأخذونه فاذا فرغوا واراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان يسقي كل يوم ستمائة الف عن ابي مسروق وروي انه كان حجرا مربعا وروي انه كان مثل شكل الرأس وكان موسى اذا ضربه بعصاه انفجرت منه في كل ناحية ثلاث عيون لكل سبط عين وكانوا لا يرتحلون مرحلة الا وجدوا ذلك الحجر بالمكان الذي كان به منهم في المنزل الاول وقوله «فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا» لا ينافي قوله في سورة الاعراف فانفجرت لان الانفجار هو الانفجار الا انه اقل وقيل انه لا يمتنع ان يكون اول ما يضرب عليه العصا كان ينبس ثم يكثرت حتى يصير انفجارا وقيل كان ينبس عند الحاجة وينفجر عند الحاجة وقيل كان ينبس عند الحمل وينفجر عند الوضع وقوله «قد علم كل اناس مشربهم» اي قد علم كل سبط وفريق منهم موضع شربهم وقوله «كلوا واشربوا» اي وقلنا لهم كلوا واشربوا وهذا كلام مبتدأ وقوله «من رزق الله» اي كلوا من النعم التي من الله بها عليكم من المن والسلوى وغير ذلك واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذي ياتيكم بلا مشقة ولا مؤنة ولا تبعه فان الرزق ما المرزوق ان ينفع به وليس لاحد منعه منه وقوله «ولا تعشوا» اي لا تسعوا في الارض فسادا وانما قال «لا تعشوا في الارض مفسدين» وان كان العشي لا يكون الا فسادا لانه يجوز ان يكون فعل ظاهره الفساد وباطنه المصلحة فبين ان فعلهم هو العيث الذي هو الفساد ظاهرا وباطنا ومتى سئل قليل كيف يجتمع ذلك الماء الكثير في ذلك الحجر الصغير وهل يمكن ذلك فالجواب ان ذلك من آيات الله الباهرة والاعاجيب الظاهرة الدالة على انها من فعل الله تعالى المتشبه بالاشياء القادر على ما يشاء الذي تذلل له الصعاب ويتسبب له الاسباب فلا بدع من كمال قدرته وجلال عزته ان يبدع خلق المياه الكثيرة في ابتداء معجزة لموسى ونعمة عليه وعلى قومه ومن استبعد ذلك من الملاحدة الذين ما قدروا الله حق قدره ولم يعرفوه حقيقة معرفته فالكلام عليهم انما يكون في وجود الصانع واثبات صفاته واتساع مقدوراته ولا معنى للتشاغل بالكلام معهم في الفرع مع خلافهم في الاصل

قوله تعالى (٦١) واذا قائم يا موسى لن نعبد على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال استبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الدلة والمسكنة وبآوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (آية)

﴿ القراة ﴾

قرأ اهل المدينة النبيين بالهمزة والباقون بغير همز

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الحججة ان همز النبي ان يقول هو اصل الكلمة الا ترى ان ناسا من اهل الحجاز حققوا الهمزة في الكلام ولم يبدلوه فلم يكن كماضي يدع ونحوه مما رفض استعماله فاما ما روي في الحديث من ان بعضهم قال يا نبي الله فقال (ص) لست نبي الله ولكني نبي الله فأظن ان من اهل النقل من ضعف اسناد هذا الحديث ويقوي ضعفه ان من مدح النبي (ص) فقال

يَا خَاتَمَ النَّبِيَّاءِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ بِالْحَقِّ خَيْرٌ هُدَى الْآلِ لَهُ هُدَاكَ
لم يورثه انكار عليه فيما علمنا ولو كان في واحد فكيف لكان الجمع كالأحد وحجة من ابدل ولم يحقق محي الجمع

في التنزيل على انبياء الذي هو في اكثر الامر للمعتل اللام نحو صني واصفيا وغني واغنيا فدل على ان الواحد قد الزم فيه البدل
 واذ ازم فيه البدل ضعف فيه التحقيق ولا يجوز أن يكون اشتقاق النبي من النبوة التي هي الارتفاع او من النبوة لان
 سيبويه حكى ان جميع العرب يقولون تنبأ مسيلمة بالهزمة فدل على أن اصله الهمز وقال الزجاج يجوز أن يكون
 نبي من انبأت فترك همزته لكثرة الاستعمال ويجوز أن يكون من نبا ينبو اذا ارتفع فيكون فيعلا من الرفع

اللغة

الطعام ما يتغذى به والطعم بضم الطاء الاكل والطعم عرض يدرك بجاسة الذوق والطعام من قبيل الاجسام
 والواحد اول عدد الحساب وحده مالا يتجزى والله تعالى واحد لتفرده بصفاته الحسنى والدعاء اصله النداء عن
 ابن السراج وكل من يدعو ربه فهو يناديه وحقيقة الدعاء قول القائل لمن فوقه افعل والفرق بينه وبين الامر
 يظهر بالرتبة والانبأت اخراج النبات واصله من الظهور فكأنه ظهر اذا نبت والبقل ما ينبت الربيع يقال بقلت
 الارض وابتقت لغتان فصيحتان اذا انبت البقل فالبقل كل نبات ليس له ساق وفي القثاء لغتان ضم القاف وكسرها والكسر
 اجود وهي لغة القرآن وقد روي عن عيسى الثقفى في الشواذ بالضم والقوم هو الحنطة عن ابن عباس وقناة والسدي
 وهو المروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام وانشد ابن عباس قول ابي حنيفة بن الجلاح

قَدْ كُنْتُ أَغْنَى النَّاسِ شَخْصًا وَاحِدًا وَرَدَّ الْمَدِينَةَ عَنْ زَرَاةٍ قَوْمٍ

وقال الفراء والازهري هو الحنطة والخبز تقول العرب قوموا لنا اي اختبزوا وقال قوم هو الجبوب التي تخبز
 وقال الكسائي هو الثوم ابدل من الثاء فاء كما قالوا جدت وجدف قال الفراء وهذا أشبه بما ذكره بعده من البصل
 قال الزجاج وهذا بعيد لأنه لا يعرف الثوم بمعنى القوم لأن القوم لا يجوز ان يطلبوا الثوم ولا يطلبون الخبز الذي
 هو الاصل وهذا ضعيف لأنه قد روي في الشواذ عن ابن مسعود وابن عباس وثومها بالثاء والعدس حب معروف
 وقوله ادنى اي اقرب وادون كما تقول هذا شي مقارب او دون ويجوز أن يكون ادنى من الدناءة وهي الحسة يقال
 دنأ دناءة فهو دنى وهو ادنى منه فتركت همزتها وهو اختيار الفراء وحكى الازهري عن ابن زيد الذي بلا همز
 الحسيس والذني بالهزمة الماجن واما اشتقاق مصر فقال بعضهم هو من القطع لانقطاعه بالهامة عما سواه ومنهم من قال
 هو مشتق من الفصل بينه وبين غيره وقال عدي بن زيد

وَجَاعِلُ الشَّمْسِ مِصْرًا لَا خَفَاءَ بِهِ بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَّلَا

وضربت عليهم الذلة اي فرضت ووضعت عليهم الذلة والزمها من قولهم ضرب الامام الجزية على أهل الذمة
 وضرب الامير على عبيده الخراج وقيل ضربت عليهم الذلة اي حلوا بمنزل الذل والمسكنة مأخوذ من ضرب القباب قال الفرزدق

ضَرَبْتَ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتَ بِنَسِجِهَا وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابَ الْمُنْزَلُ

واما الذلة فمشتقة من قولهم ذل فلان يذل ذلا وذلة والمسكنة مصدر المسكين يقال ما فيهم أسكن من فلان
 وما كان مسكينا ولقد تمسكن تمسكنا ومنهم من يقول تسكن تسكنا والمسكنة هاهنا مسكنة الفاقة والحاجة
 وهي خشوعها وذلها وقوله بوا وبغضب اي انصرفوا ورجعوا ولا يقال باء الا موصولا اما بخر واما بشروا كثير
 ما يستعمل في الشر ويقال بواء بذنبه يبو به قال المبرد واصله المتزلة اي تزولوا منزلة غضب الله وروي ان رجلا جاء
 برجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال هذا قاتل اخي وهو بوا به اي مقتول به ومنه قول لبي الاخيلية

فَإِنْ تَكُنِ الْقَتْلَى بَوَاءً فَإِنَّكُمْ قَتَى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفِ بْنِ عَامِرٍ

وقال الزجاج اصل ذلك التسوية ومنه ما روي عن عبادة بن الصامت قال جعل الله تعالى الانفال الى نبيه
 فقسما بينهم على بواء اي على سواء بينهم في القسم ومنه قول الشاعر

فَيَقْتُلُ صَبْرًا بِأَمْرِي لَمْ يَكُنْ لَهُ
بَوَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَكَايِلَ بِالِدَمِّ

وقال قوم هو الاعتراف ومعناه انهم اعترفوا بما يوجب غضب الله ومنه قول الشاعر
إِنِّي أَبُو بَعَثَرِي وَخَطِيئِي
رَبِّي وَهَلْ إِلَّا إِلَيْكَ الْمَهْرَبُ

والغضب ارادة ايصال الضرر الى من غضب عليه فاذا اضيف الى الله تعالى فالمراد به انه يريد ازالة العقوبة
بالغضب عليه نعوذ بالله من غضبه والنبي اشتقاقه من النبا الذي هو الخبر كانه المخبر عن الله سبحانه فان قلت لم
لا يكون من النباوة ومما انشده ابو عثمان قال انشدني كيسان

مَحْضُ الضَّرْبِيَّةِ فِي الْبَيْتِ الَّذِي وَضَعَتْ
فِيهِ النَّبَاؤَةَ حُلُومًا غَيْرَ مَمْدُوقِ

فالقول فيه انه لا يجوز ان يكون منها لأن سيويه زعم انهم يقولون في تحقير النبوة كان مسيلمة نباته سوء
وكلمهم يقول تنبأ مسيلمة فلو كان يحتمل الامرين لما اجتمعوا على ذلك قال ابو علي ومما يقوي انه من النبا الذي
هو الخبر ان النباوة الرفعة وكأنه قال في البيت الذي وضعت فيه الرفعة وليس كل رفعة نبوة وقد يكون في البيت
رفعة ليست بنبوة والخبر عن الله تعالى المبلغ عنه نبي ورسول فهذا الاسم اخص به واشد مطابقة للمعنى المقصود
اذا اخذ من النبا والاعتداء تجاوز الحد الذي حده الله لعباده الى غيره وكل مجاوز حديثي الى غيره فقد تعداه الى ما تجاوز اليه

﴿ الاعراب ﴾

قوله يخرج لنا مجزوم لانه جواب امر محذوف لأن تقديره ادع لتاربك وقل له اخرج لنا يخرج لنا وقد ذكرنا فيما
قبل ان الاصل فيه انه مجزوم بالشرط وحذف الشرط لأن الكلام يدل عليه وقيل ان تقديره ان يكون يخرج مجزوما
باضمار الامر اي ليخرج لنا نحو قوله قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة اي لقيموا لحذف اللام وانشد ابو زيد
فَيَضْحَى صَرِيحًا مَا يَفُومُ حَاجَةً
وَلَا يَسْمَعُ الدَّاعِيَ وَيُسْمِعُكَ مِنْ دَعَا

وانشد غيره

فَقُلْتُ أَدْعِي وَأَدْعُ فَإِنْ أُنْدَى
لِصَوْتِ أَنْ يُنَادِيَ دَاعِيَانِ

اي ولا دع وقال آخر

مُحَمَّدٌ تَقْدِرُ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ
إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ أَمْرِ تَبَالَا

اي لتقد قال المبرد حدثني المازني قال جلست في حلقة الفراء فسمعتهم يقول لأصحابه لا يجوز حذف لام
الأمر الا في الشعر ثم انشد

مَنْ كَانَ لَا يَزْعَمُ أَنِّي شَاعِرٌ
فَيَدْنُ مِنِّي يَنْهَى الزَّاجِرُ

فقلت له لم جاز في الشعر ولم يجز في الكلام قال لأن الشعر يضطر فيه الشاعر فيحذف قال فقلت فما اضطره
هاهنا وهو يمكنه ان يقول فليدن مني قال فسأل عني فقيل المازني فوسع لي وقوله مما تنبت الارض من هنا للتبويض
لأن المراد يخرج لنا بعض ما تنبته الارض وقال بعضهم ان من هنا زائدة نحو قولهم ما جاءني من احد والصحيح
الاول لأن من لا تراد في الايجاب ولما تراد في النفي ولأن من المعلوم انهم لم يريدوا جميع ما تنبته الارض ونون
جميع القراء مصرا لأنه اراد مصرا من الامصار بغير تعيين لأنهم كانوا في تيه ويجوز ان يكون المراد مصر بعينها
البلدة المعروفة وصرفه لأنه مذكور وروي عن ابن مسعود انه قرأ بغير الف ويجوز ان يكون المراد مصر هذه
بعينها كما قال ادخلوا مصرا شاء الله آمين وانما لم يصرفه لأنه اسم المدينة فهو مذكور سمي به موثقا ويمكن ان
يكون انما نونه من نونه اتباعا للمصحف لأنه مكتوب في المصحف بألف وقوله ذلك بأنهم كانوا يكفرون
قال الزجاج معناه والله اعلم الغضب حل بهم بكفرهم واقول في بيانه ان ذلك اشارة الى الغضب في قوله وباءوا

بغضب فهو في موضع الرفع بالابتداء وان مع صلته من الاسم والخبر في موضع جر بالباء والجار يتعلق بخبر المبتدا وهي جملة من الفعل والفاعل حذف لدلالة ما يتصل بها عليها وكذلك قوله ذلك بما عصوا فإن ما مع صلته في تأويل المصدر

المعنى

لما عدد سبحانه فيما قبل ما اسداه اليهم من النعم والاحسان ذكر ما قابلوا به تلك النعم من الكفران وسوء الاختيار لنفوسهم بالعصيان فقال «واذ قلتم» اي قال اسلافكم من بني اسرائيل «يا موسى ان نصبر على طعام واحد» اي لن نطيق حبس انفسنا على طعام واحد وانما قال على طعام واحد وان كان طعامهم المن والساوى وهما شيان لأنه أراد به أن طعامهم في كل يوم واحد اي يأكلون في اليوم ما كانوا يأكلونه في الأمس كما يقال ان طعام فلان في كل يوم واحد وان كان يأكل الوانا اذا حبس نفسه على الوان من الطعام لا يعدوها الى غيرها وقيل انه كان ينزل عليهم المن وحده فملوه فقالوا ذلك فنزل عليهم الساوى من بعد ذلك وقوله «فادع لنا ربك» اي فاسأل ربك وادعه لأجلنا «يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها» اي مما تنبتة الأرض من البقل والقثاء. ومما سماه الله مع ذلك وكان سبب مسألتهم ذلك ما رواه قتادة قال كان القوم في البرية قد ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والساوى فملوا ذلك وذكروا عيشا كان لهم بمصر فسألوا موسى فقال الله اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وتقديره فدعا موسى فاستجبنا له فقلنا لهم اهبطوا مصرا وقيل أنهم قالوا لا نصبر على الغنى بأن يكون جميعنا اغنيا فلا يقدر بعضنا على الاستعانة ببعض فلذلك قالوا يخرج لنا مما تنبت الأرض ليحتاجوا فيه الى اعوان فيكون الفقير عوناً للغني وقوله «استبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير» معناه قال لهم موسى وقيل بل قال الله لهم اتركوا ما اختار الله لكم وتوثروا ما هو ادنى وادى على ذلك وقيل انه اراد استبدلون ما تبدلون في زراعته وصناعته بما اعطاه الله اياكم عفوا من المن والساوى وقيل المراد تختارون الذي هو اقرب اي اقل قيمة على الذي هو اكثر قيمة والذواختلف في سوء الهم هذا هل كان معصية فقيل لم يكن معصية لأن الاول كان مباحا فسالوا مباحا آخر وقيل بل كان معصية لأنهم لم يرضوا بما اختاره الله لهم ولذلك ذمهم على ذلك وهو اوجه وقوله «اهبطوا مصرا» اختلف فيه فقال الحسن والربيع اراد مصر فرعون الذي خرجوا منه وقال ابو مسلم اراد بيت المقدس وروي ذلك عن ابن زيد وقال قتادة والسدي ومجاهد اراد مصرا من الامصار يعني ان ما تسألونه انما يكون في الامصار ولا يكون في المفاوز أي اذا نزلتم مدينة ذات طول وعرض «فإن لكم» فيها «ما سألتم» من نبات الأرض وقد تم الكلام هاهنا ثم استأنف حكم الذين اعتدوا في السبت ومن قتل الأنبياء فقال «وضربت عليهم الذلة والمسكنة» اي الزموا الذلة الزاما لا يبرح عنهم كما يضرب الممار على الشبي. فيلزمه وقيل المراد بالذلة الجزية لقوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون عن الحسن وقتادة وقيل هو الكسبيج وزي اليهود عن عطا وقوله والمسكنة يعني زي الفقر فترى المثري منهم يتباس مخالفة أن يضاعف عليه الجزية وقال قوم هذه الآية تدل على فضل الغنى لأنه ذمهم على الفقر وليس ذلك بالوجه لأن المراد به فقر القلب لأنه قد يكون في اليهود مياسير ولا يوجد يهودي غني النفس وقال النبي (ص) الغنى غنى النفس وقال ابن زيد ابدل الله اليهود بالقر ذلا وبالنعمة بومسا وبالرضا عنهم غضبا جزاء لهم بما كفروا بآياته وقتلوا انبياءه ورسله اعتداء وظلما «وباوا بغضب من الله» اي رجعوا متصرفين متحملين غضب الله قد وجب عليهم من الله الغضب وحل بهم منه السخط وقال قوم الغضب هو ما حل بهم في الدنيا من البلاء والنقمة بدلا من الرضا والنعمة وقال آخرون هو ما ينالهم في الآخرة من العقاب على معاصيهم ثم اشار الى ما تقدم ذكره فقال «ذلك» اي ذلك الغضب وضرب الذلة والمسكنة حل بهم لأجل «أنهم كانوا يكفرون بآيات الله» اي يحسدون حجج الله وبيئاته وقيل اراد بآيات الله الانجيل والقرآن ولذلك قال فباوا بغضب على غضب الأول لكفرهم

بعيسى والانجيل والثاني لكفرهم بحمد والقرآن وقيل آيات الله صفة محمد (ص) وقوله «ويقتلون النبيين بغير الحق» اي بغير جرم كزكريا ويحيى وغيرهما وقوله بغير الحق لا يدل على انه قد يصح ان يقتل النبيون بحق لأن هذا خرج مخرج الصفة لقتلهم وانه لا يكون الا ظلم بغير حق كقوله تعالى ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به ومعناه ان ذلك لا يمكن أن يكون عليه برهان وكقول الشاعر (على لاحب لا يهتدى بمناره) ومعناه ليس هناك منار يهتدى به وفي امثاله كثرة وقوله «ذلك بما عصوا وكانو يعتدون» ذلك اشارة الى ما تقدم ايضا بعضيائهم في قتل الانبياء وعدوهم السبت وقيل بنقضهم العهد واعتدائهم في قتل الانبياء والمراد اني فعلت بهم ما فعلت من ذلك بعضيائهم امري وتجاوزهم حدي الى ما نهيتهم عنه

﴿سؤال﴾

ان قيل كيف يجوز التخلية بين الكفار وقتل الانبياء ﴿فالجواب﴾ انما جاز ذلك لتثال انبياء الله سبحانه من رفع المنازل والدرجات مالا ينالونه بغير القتل وليس ذلك بجذلان لهم كما ان التخلية بين المؤمنين والاولياء والمطيعين وبين قاتليهم ليست بجذلان لهم وقال الحسن ان الله تعالى لم يأمر نبياً بالقتال فقتل فيه وانما قتل من الانبياء من قتل في غير قتال والصحيح ان النبي ان كان لم يؤد الشرع الذي امر بتأديته لم يجز أن يمكن الله سبحانه من قتله لأنه لو مكن من ذلك لأدى الى ان يكون المكلفون غير مزاحي العلة في التكليف وفيما لهم من الالطاف والمصالح فاما اذا أدى الشرع فينبذ يجوز أن يخلي الله بينه وبين قاتليه ولم يجب عليه المنع من قتله وروى ابو هريرة عن النبي (ص) انه قال اختلفت بنو اسرائيل بعد موسى بنحو مائة سنة حتى صكرو فيهم اولاد السبايا واختلفوا بعد عيسى باثني سنة

قوله تعالى (٦٢) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ مِنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** (آية)

﴿القراءة﴾

قرأ نافع بتلك الهمزة من الصابئين والصابثون في كل القرآن والباقون يهمزون

﴿الحجة﴾

ترك الهمزة يحتمل وجهين (احدهما) أن يكون من صبا يصبو اذا مال الى الشيء والاخر قلب الهمزة قال ابو علي ولا يسهل أن يأخذه من صبا يصبو لأنه قد يصبو الانسان الى الدين فلا يكون منه تدين به مع صبه اليه فإذا بعد هذا وكان الصابثون منتقلين من دينهم الذي أخذ عليهم الى سواه لم يستقم ان يكون الا من صبات الذي معناه انتقال من دينهم الى دين لم يشرع لهم فيكون على قلب الهمز وقلب الهمز على هذا الحد لا يجيزه سيويه الا في الشعر فدل على ان القائل لذلك غير فصيح وانه مخاطب في لغته فالإختيار الهمز ولأنه قراءة الاكثر والى التفسير اقرب

﴿اللغة﴾

هادوا اي صاروا يهودا ودانوا باليهودية وهاد يهود هودا اي تاب واختلف في اشتقاق اسم اليهود فقيل هو من اليهود اي التوبة ومنه قوله انا هدنا اليك عن ابن جريج وسموا بذلك لتوبتهم عن عبادة العجل وقال زهير
سوى صرّبع لم يأت فيه مخافة ولا رهقا من عابده متهود
اي تاب وقيل انما سمو يهودا لأنهم نسبوا الى يهوذا اكبر ولد يعقوب فعربت الذال دالا وقيل انما سمو يهودا لأنهم هادوا اي مالوا عن الاسلام وعن دين موسى وقيل سمو بذلك لأنهم يتهودون اي يتحركون عند

قراءة التوراة ويقولون ان السماوات والارض تحركت حين آتى الله موسى (ع) التوراة واليهود اسم جمع واحدهم يهودي كالزنجي والزنج والرومي والروم والنصارى جمع نصران كقولهم سكران وسكاري وندمان وندامي هذا قول سيويه قال الشاعر

رَأَاهُ إِذَا كَانَ الْعَيْبُ مُحْتَفًا يُضْحِي لَدَيْهِ وَهُوَ نَصْرَانُ شَامِسُ

وهو الممتلى . نصران كما ان الغضبان هو الممتلى . غضبا وقيل في موته نصرانة كما قال (كما سجدت نصرانة لم تحنف) وقيل ان واحد النصارى نصرى مثل مهري ومهاري واختلفوا في اشتقاق هذا الاسم فقال ابن عباس هو من ناصرة قرية كان يسكنها عيسى (ع) فنسبوا اليها وقيل سموا بذلك لتناصرهم اي نصرته بعضهم بعضا وقيل انما سموا بذلك لقوله من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله والصابئون جمع صابى . وهو من انتقل الى دين آخر وكل خارج من دين كان عليه الى آخر غيره سمي في اللغة صابئا قال ابو علي قال ابو زيد صبا الرجل في دينه يصبأ صبوا اذا كان صابئا وصبأ ناب الصبي يصبأ صبأ اذا طلع وصبأت عليهم تصبا صبأ وصبوا اذا طلعت عليهم وطرات مثله فكان معنى الصابى . التارك دينه الذي شرع له الى دين غيره كما ان الصابى . على القوم تارك لارضه ومنتقل الى سواها والدين الذي فارقه هو تركهم التوحيد الى عبادة النجوم او تعظيمها قال قتادة وهم قوم معروفون ولهم مذهب يتفردون به ومن دينهم عبادة النجوم وهم يقرون بالصابع وبالماعاد وبيعض الانبياء . وقال مجاهد والحسن الصابئون بين اليهود والمجوس لا دين لهم وقال السدي هم طائفة من اهل الكتاب يقرأون الزبور وقال الخليل هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى الا ان قبلتهم نحو مهب الجنوب حيال منتصف النهار يزعمون انهم على دين نوح وقال ابن زيد هم اهل دين من الاديان كانوا بالجزيرة جزيرة الموصل يقولون لا اله الا الله ولم يؤمنوا برسول الله فن اجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي (ع) ولاصحابه هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم وقال آخرون هم طائفة من اهل الكتاب والفقهاء بأجمعهم يميزون اخذ الجزية منهم وعندنا لا يجوز ذلك لانهم ليسوا باهل كتاب

﴿الاعراب﴾

خبر ان جملة قوله من آمن بالله واليوم الآخر الآية لأن معناه من آمن منهم بالله واليوم الآخر فترك ذكر منهم دلالة الكلام عليه وقوله فلهم اجرهم عند ربهم الى آخر الآية في موضع الجزاء وانما رفع ولا خوف لتكرير لا تقول الشاعر

وَمَا صَرَّمْتُكَ حَتَّى قُلْتَ مُعَلَّنَةً لَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمْلُ

وهذا كأنه جواب لمن قال اناقة لك في هذا ام جمل فاما التكررة المفردة فيه الفتح لا غير نحو لا رجل في الدار وهو جواب هل من رجل في الدار وانما قال من آمن فوجد ثم قال فلهم اجرهم فجمع لأن من موحد اللفظ مجموع المعنى على ما تقدم بيانه

﴿المعنى﴾

«ان الذين آمنوا» اختلف في هؤلاء المؤمنين من هم فقال قوم هم الذين آمنوا بعيسى ثم لم يتهودوا ولم يتنصروا ولم يصبأوا وانتظروا خروج محمد صلى الله عليه وآله وقيل هم طلاب الدين منهم حبيب النجار وقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والبراء الشني وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي وبيير الراهب ووفد النجاشي آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله قبل مبعضه فنههم من ادركه وتابعه ومنهم من لم يدركه وقيل هم مؤمنوا الامم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الامة وقال السدي هو سلمان الفارسي واصحابه النصارى الذين

كان قد تنصر على ايديهم قبل مبعث رسول الله وكانوا قد اخبروه بأنه سيبعث وانهم يؤمنون به ان ادركوه واختلّفوا في قوله من آمن بالله واليوم الآخر فقال قوم هو خبر عن الذين هادوا والنصارى والصابئين والضمير يرجع اليهم لأن الذين آمنوا قد كانوا مؤمنين فلا معنى ان يشترط فيهم استئذان الايمان فكأنه قال ان الذين آمنوا ومن آمن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الآخر فلهم اجرهم وقال آخرون من آمن منهم الضمير راجع الى الكل ويكون رجوعه الى الذين آمنوا بمعنى الثبات منهم على ايمانهم والاستقامة وترك التبديل والى الذين هادوا والنصارى والصابئين بمعنى استئذان الايمان بالنبي (ص) وما جاء به وقال بعضهم اراد من آمن بعمد (ص) بعد الايمان بالله وبالكاتب المتقدمة لأنه لا يتم احدهما الا بالآخر ونظيره قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما انزل على محمد وروي عن ابن عباس انه قال انها منسوخة بقوله ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهذا بعيد لأن النسخ لا يجوز ان يدخل الخبر الذي هو متضمن للوعد وانما يجوز دخوله في الاحكام الشرعية التي يجوز تغييرها وتبديلها بتغير المصلحة فالاولى ان يحمل على انه لم يصح هذا القول عن ابن عباس وقال قوم ان حكمها ثابت والمراد بها ان الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم من المنافقين واليهود والنصارى والصابئين اذا آمنوا بعد النفاق واسلموا بعد العناد كان لهم اجرهم عند ربهم كمن آمن في اول استدعائه الى الايمان من غير نفاق ولا عناد لأن قوماً من المسلمين قالوا ان من اسلم بعد نفاقه وعناده كان ثوابه انقص واجره أقل فأخبر الله بهذه الآية انهم سواء في الاجر والثواب وقوله «بالله» اي بتوحيد الله وصفاته وعدله «واليوم الآخر» يعني يوم القيامة والبعث والنشور والجنة والنار «وعمل صالحاً» اي عمل ما أمره الله به من الطاعات وانما لم يذكر ترك المعاصي لأن تركها من الاعمال الصالحة «فلهم اجرهم» اي جزاؤهم وثوابهم «عند ربهم» اي معد لهم عنده وقوله «ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» مضى تفسيره قبل وقيل معناه لا خوف عليهم فيما قدموا ولا هم يحزنون على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم في العقبي ولا يحزنون على الدنيا وفي هذه الآية دلالة على ان الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب لأنه تعالى قال من آمن بالله ثم عطف عليه بقوله وعمل صالحاً ومن حمل ذلك على التأكيد والفضل فقد ترك الظاهر وكل شيء يذكره مما عطف على الاول بعد دخوله فيه مثل قوله فيها فاكهة ونخل ورمان واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فان جميع ذلك على سبيل المجاز والاتساع ولو خيلنا والظاهر قلنا انه ليس بداخل في الاول

قوله تعالى (٦٣) وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الميثاق هو مفعول من الوثيقة اما يمين او عهد او غير ذلك من الوثائق والطور الجبل في اللغة قال المعجاج دَانِي جَنَاحِيهِ مِنَ الطُّورِ فَمَرَّ تَقْضِي البَازِي إِذِ البَازِي كَسَرَ وقيل انه اسم جبل بعينه ناجى الله عليه موسى عليه السلام عن ابن عباس والقوة القدرة وهي عرض يصير به الحي قادراً وكل جسم قادر بقدرته لا يصح منه فعل الجسم والاخذ ضد الاعطاء واصل خذ اوخذ وكذا كل اصله اوكل وانما لزم الحذف فيها تخفيفاً لكثرة الاستعمال وكذلك مر وقد جاء فيه اوور على الاصل

﴿ الاعراب ﴾

خذوا ما آتيناكم محله نصب على تقدير وقلنا لكم خذوا كما تقول اوجبت عليه ثم اي اوجبت عليه فقلت ثم قال القراء اخذ الميثاق قول ولا حاجة بالكلام الى اضرار القول فيه غير انه ينبغي لكل ما خالف القول من الكلام

الذي هو معنى القول ان يكون معه ان كقوله انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك قال ويجوز حذف ان وموضع ماها هنا نصب

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد الى خطاب بني اسرائيل فقال «و» اذكروا «اذ اخذنا ميثاقكم» اي عهدكم والعهد هو الذي فطر الله الخلق عليه من التوحيد والعدل ونصب لهم من الحجج الواضحة والبراهين الساطعة الدالة على ذلك وعلى صدق الانبياء والرسل وقيل انه اراد به الميثاق الذي اخذه الله على الرسل في قوله واخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به وتتصرنه الآية وقيل هو اخذ التوراة عن موسى «ورفعنا فوقكم الطور» قال ابو زيد هذا حين رجع موسى من الطور فأتى بالالواح فقال لقومه جئتكم بالالواح وفيها التوراة والحلال والحرام فاعملوا بها قالوا ومن يقبل قولك فارسل الله عز وجل الملائكة حتى نتقوا الجبل فوق رؤوسهم فقال موسى عليه السلام ان قبلتم ما آتيتكم به والا ارسلوا الجبل عليكم فاخذوا التوراة وسجدوا لله تعالى ملاحظين الى الجبل فن ثم يسجد اليهود على احد شقي وجوههم قيل وهذا هو معنى اخذ الميثاق وكان في حال رفع الجبل فوقهم لأن في هذه الحال قيل لهم «خذوا ما آتيناكم» يعني التوراة «بقوة» اي يجد ويقين لا شك فيه وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي وقريب منه ما روى العياشي انه سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل خذوا ما آتيناكم بقوة ابقوة بالابدان ام بقوة بالقلوب فقال بهما جميعا وقيل اخذه بقوة هو العمل بما فيه بعزيمة وجد وقيل بقدره وانتم قادرون على اخذه عن ابي علي والاصم «واذكروا ما فيه» يعود الضمير من فيه الى ما من قوله ما آتيناكم وهو التوراة يعني احفظوا ما في التوراة من الحلال والحرام ولا تنسوه وقيل معناه اذكروا ما في تركه من العقوبة وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل معناه اعملوا بما فيه ولا تتركوه وقيل المعنى في ذلك ان ما آتيناكم فيه من وعد ووعد وترغيب وترهيب تدبروه واعتبروا به واقبلوه «لعلكم تتقون» اي كي تتقوني اذا فعلتم ذلك وتحافوا عقابي وتنتهوا الى طاعتي وتزعموا عما انتم عليه من المعصية

قوله تعالى (٦٤) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ قَالُوا لَا فَضْلَ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (آية)

﴿ اللمعة ﴾

توليتهم اعرضتم وهو مطاوع قولهم ولاء فلان دبره اذا استدبر عنه وجعله خلف ظهره ثم يستعمل ذلك في كل تارك طاعة أمر ومعرض بوجهه عنه فيقال تولى فلان عن طاعة فلان وتولى عن صداقته ومنه قوله فلما آتاهم من فضله يجلبوا به وتولوا اي خالفوا ما وعدوا الله من قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين والخاصر هو الذي ذهب رأس ماله ورأس مال الانسان نفسه وما سواها مما يحصل له من المنافع فهو كاه ربح

﴿ المعنى ﴾

معنى الآية ثم نبذتم العهد الذي اخذناه عليكم بعد اعطائكم المواثيق وراوا ظهوركم واعرضتم عنه «فلولا فضل الله عليكم» اي فلولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة بعد نكثكم الميثاق الذي واثقتموه اذ رفع فوقكم الطور وانعم عليكم بالاسلام ورحمته التي رحمكم بها فتجاوز عنكم خطيئتهم بمراجعتكم طاعة ربكم «لكنتم من الخاسرين» وقال ابو العالية فضل الله الايمان ورحمته القرآن فيكون معناه لولا اقداري لكم على الايمان وازاحة علتكم فيه حتى فعلتم الايمان لكنتم من الخاسرين وانما جعل الايمان فضلا وتوبته التي بها نجوا ولم يكونوا بها خاسرين فضلا منه من حيث كان هو الداعي اليه والمقدر عليه والمرغب فيه ويحتمل ان يكون المعنى ولولا فضل الله عليكم بامهاله اياكم بعد توليتكم عن طاعته حتى تاب عليكم برجوع بعضكم عن ذلك وتوبته لكنتم من

الخاسرين ويحتمل ان يريد فلولا فضلي عليكم في رفع الجبل فوقكم للتوفيق واللفظ الذي تبتم عنده حتى زال العذاب عنكم وسقوط الجبل لكنتم من الخاسرين

قوله تعالى (٦٥) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

علمتم اي عرفتم هنا تقول علمت اخاك ولم اكن اعلمه اي عرفته ولم اكن اعرفه كقوله تعالى وآخري من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم اي لا تعرفونهم الله يعرفهم والذين اعتدوا في موضع نصب لأنه مفعول به والفرق بينه وبين ما يتعدى الى مفعولين ان المعرفة تنصرف الى ذات المسمى والعلم ينصرف الى احواله فاذا قلت علمت زيدا فالمراد عرفت شخصه واذا قلت علمت زيدا كريبا او ثنيا فالعلم يتعلق باحواله من فضل ونقص واعتدوا اي ظلموا وجاوزوا ما حد لهم والسبت من ايام الاسبوع قال الزجاج السبت قطعة من الدهر فسمي بذلك اليوم وقال ابو عبيدة سمي بذلك لأنه يوم سبت فيه خلق كل شيء اي قطع وفرغ قوله منكم في موضع نصب حالا من الذين اعتدوا اي المعتدين كائنين منكم في قوله في السبت فتعلق باعتدوا واصل السبت مصدر يقال يسبت سبتا اذا قطع ثم سمي اليوم سبتا وقد يقال يوم السبت فيخرج مصدرا على اصله وقد قالوا اليوم السبت فجعلوا اليوم خبرا عن السبت كما يقال اليوم القتال فعلى ما ذكرنا يكون في الكلام حذف تقديره في يوم السبت وقال قوم انما سمي بذلك لأن اليهود يسبتون فيه اي يقطنون فيه الاعمال وقال آخرون سمي بذلك لما هم فيه من الراحة لأن اصل السبت هو السكون والراحة ومنه قوله وجعلنا نومكم سباتا ويقال للنائم مسبوت لاستراحته وسكون جسده والقردة جمع قرد والأنثى قردة والخاسي المبعد المطرود يقال خسأت الكلب أخسأ وخسأ الكلب يخسوء خسا تقول خسأته وخسأه والخسأ قال الرازي (كالكلب ان قلت له اخسأ اخسأ) اي ان طردته انطرد

﴿ المعنى ﴾

خاطب اليهود فقال «ولقد علمتم» اي عرفتم «الذين اعتدوا منكم في السبت» اي الذين جاوزوا ما امروا به من ترك الصيد يوم السبت وكان الحيتان تجتمع في يوم السبت لأنها نجسوها في السبت واخذوها في الأحد فاعتدوا في السبت اي ظلموا وتجاوزوا ما حد لهم لأن صيدها هو حبسها وروي عن الحسن انهم اصطادوا يوم السبت مستحلين بعد ما نهوا عنه «فقلنا لهم كونوا قردة» وهذا اخبار عن سرعة فعله ومسخه ايام لا ان هناك امرا ومعناه جعلناهم قردة كقوله تعالى فقال لها وللارض أنتيا طوعا اوكرها قالتا أتينا طائعين ولم يكن هناك قول وانما اخبر عن تسهل الفعل عليه وتكويره بلا مشقة قال ابن عباس فسخرهم الله تعالى عقوبة لهم وكانوا يتعاونون وبقوا ثلاثة ايام لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا ثم اهلكهم الله تعالى وجاءت ريح فهببت بهم والقتهم في الماء وماسخ الله امة الا اهلكها وهذه القردة والحنازير ليست من نسل اولئك ولكن مسخ اولئك على صورة هولاء يدل عليه اجماع المسلمين على أنه ليس في القردة والحنازير من هو من اولاد آدم ولو كانت من اولاد المسوخين لكانت من بني آدم وقال مجاهد لم يسخوا قردة وانما هو مثل ضربه الله كما قال كمثل الحمار يحمل اسفارا وحكي عنه ايضا انه مسخت قلوبهم فجعلت قلوب القردة لا تقبل وعظا ولا تتقي زجرا وهذان القولان يخالفان الظاهر الذي اكثر المفسرين عليه من غير ضرورة تدعو اليه وقوله «خاسين» اي مبعدين عن الخير وقيل اذلاء صاغرين مطرودين عن مجاهد وفي هذه الآيات احتجاجات من الله تعالى على اليهود بنعمه المترادفة على ابائهم واخبار الرسول (ص) عن عناد اسلافهم مرة بعد اخرى وكفرانهم وعصيانهم ثانية بعد اولي مع ظهور الآيات الالطحة

والمعجزات الواضحة تعزية له (ص) وتثبيتاً لقواده وتسليته اياه عما يقاسيه من مخالفة اليهود وكيدهم وبرائة من جحودهم وكفرهم وعنادهم وليكون وقوفه على ما وقف عليه من اخبار ساقهم تنبيها لهم وحجة عليهم في اخلاصهم الى الهوى والحادهم وتحذيراً لهم من ان يحل بهم ما حل بائتهم واجدادهم

قوله تعالى (٦٦) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

النكال الارهاب للغير واصله المنع لانه ماخوذ من النكل وهو القيد وهو ايضا اللجام وسميت العقوبة نكالا لانها تمنع عن ارتكاب مثل ما ارتكبه من نزلت به ونكل فلان يفلان تنكيلا ونكالا والموعظة الوعظ واصله التخويف يقال وعظت فلانا موعظة وعظة

﴿ المعنى ﴾

«فجعلناها» الضمير يعود الى الامة التي مسخت وهم اهل اية قرية على شاطئ البحر وهو المروي عن ابي جعفر (ع) او الى المسخة عن الزجاج او الى العقوبة اي جعلنا تلك العقوبة عن ابن عباس او الى القرية التي اعتدى اهلها فيها «نكالا» اي عقوبة وقيل اشتها او فضيحة وقيل تذكرة وعبرة وقوله «لما بين يديها وما خلفها» ذكر فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ما روي عن ابن عباس رواه الضحاك عنه لما بين يديها الامم التي تراها وما خلفها ما يكون بعدها وهو يقارب المأثور المروي عن الباقر والصادق عليها السلام انها قالا لما بين يديها اي لما معها ينظر اليها من القرى وما خلفها نحن ولنا فيها موعظة فعلى هذا يكون ما بمعنى من اي نكالا للخلق الذين كانوا معهم ولجميع من يأتي بعدهم الى يوم القيامة لئلا يفعلوا مثل فعلهم (وثانيها) ان يكون معناه جعلناها عقوبة للذنوب التي تقدمت على الاصطياد والذنوب التي تأخرت عنه وهذا يقتضي ان يكون الله تعالى لم يعاجلهم بالعقوبة عقيب الاصطياد عن ابن عباس ايضا فيكون اللام بمعنى السبب اي بسبب ذلك (وثالثها) ان يكون المراد لما بين يديها من القرى وما خلفها من القرى عن عكرمة عن ابن عباس (ورابعها) ان يكون المراد لما بين يديها ما مضى من خطاياهم وما خلفها خطاياهم التي اهلكوا بها «وموعظة للمتقين» معناه انه انما يتعظبها المتقون وكانها موعظة لهم دون غيرهم وهذا كقوله سبحانه هدى للمتقين وفي هذه الآية دلالة على ان من فعل مثل افعال هؤلاء ممن تقدمهم او تأخر عنهم يستحق من العقاب مثل ما حل بهم من التشويه وتغيير الخلقة اذ كان نكالا لهم جميعا وتحذيرا وتنبيها للمتقين لكي لا يواقعوا من المعاصي ما واقع اولئك فيستحقوا ما استحقوه نعوذ بالله من سخطه

قوله تعالى (٦٧) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً قَالُوا

أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالُوا أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * (٦٨) قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ

يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضَ وَلَا بَكْرَ عِوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا ما تؤمرون * (٦٩)

قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْ هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ

لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظْرِينَ * (٧٠) قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهَا بَقَرَةٌ تَشَابَهَ

عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * (٧١) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ

الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا أَسِيبَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا

وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرا حمزة واسماعيل عن نافع وعباس (١) عن ابي عمرو هزوا وكفوا بالتخفيف والهمز في كل القرآن وقرا حفص عن عاصم بضم الزاي والفاء غير مهموز وقرا يعقوب هزوا بضم الزاي كفوا بسكون الفاء والباقون بالتثنية والهمز

﴿ الحجة ﴾

قال ابو الحسن زعم عيسى ان كل اسم على ثلاثة احرف اوله مضموم فن العرب من يثقله ومنهم من يخففه نحو العسر واليسر والحلم ومما يقوي هذه الحكاية ان ما كان على فعل من الجموع مثل كتب ورسل قد استمر فيه الوجهان حتى جاء ذلك في المعتل العين الواوي نحو سوك الاسجل قال (وفي الاكف اللامعات سور) وحكى ابو زيد قول قوم واما فعل في جمع افعال نحو احمر وحمز فكانتهم الزموا الاسكان للفصل بين الجمعين وقد جاء فيه التحريك في الشعر فاذا كان الامر على هذا وجب ان يكون ذلك مستترا في نحو الكف والهز. فاذا خفف الهمزة وثقل العين لزم ان تقلب الهمزة واوا فيقول هزوا ولم يكن له كفوا أحد وان خفف فاسكن العين قال هزوا فابقي الواو التي انقلبت عن الهمزة لانضمام ما قبلها وان لم تكن ضمة العين في اللفظ لانضمامها في المعنى كما قالوا لقضوا (٢) الرجل فابقوا الواو ولم يردوا اللام التي هي ياء من قضيت لان الضمة مرادة في المعنى وكذلك قالوا رضي زيد فيمن قال علم زيد فلم يردوا الواو التي هي لام لزال الكسرة لانها مقدرة مرادة وان كانت محذوفة من اللفظ وكذلك تقول هزوا وكفوا فتثبت الواو وان كنت حذفت الضمة الواجبة لاجتلابها واذا كان الامر على هذا فقراءة من قرأ بالضم وتحقيق الهمز في الجواز والحسن كقراءة من قرأ بالاسكان وقلب الهمزة واوا لانه تخفيف قياسي وقد روى ابو زيد عن ابي عمرو انه خير بين التخفيف والتثنية

﴿ اللغة ﴾

البقرة اسم للموئنت من هذا الجنس واسم الذكر منه الثور وهذا يخالف صيغة الذكر منه صيغة الانثى كالجمل والناقة والرجل والمرأة والجدي والعناق واصل البقر الشقيق يقال بقرت بطنه اي شققته وسمي البقر بقرا لان من شأنه شق الارض بالكرباب والهمز واللعب والسخرية يقال هزأت به هزوا ومهزاة واعوذ بالله الجأ الى الله عودا وعبادا وحقيقة العياذ استدفاع ما يخاف من شره بما يطمع ذاك منه والجهل نقيض العلم وقيل هو نقيض الحلم والصحيح انه اعتقاد الشيء على خلاف ما هو به كما ان العلم اعتقاد الشيء على ما هو والتبيين التعريف واصله من البين وهو الفراق فكل من بين شيئا فقد ميزه عما يلبس به حتى يعرفه غيره قال سيويه ابان الشيء وابنته وبين وبينته واستبان واستبينت والمعنى واحد والفارض الكبيرة المسنة يقال فرضت البقرة تفرض فروضا اذا اسنت قال الشاعر

كَعْمَرِي قَدْ اَعْطَيْتَ جَارَكَ فَارِضًا تُسَاقُ اِلَيْهِ مَا تَقُومُ عَلَى رِجْلِي

وقيل ان الفارض التي ولدت بطونا كثيرة فيتسع لذلك جوفها لان معنى الفارض في اللغة الواسع الضخم وهو قول بعض المتأخرين واستشهد بقول الراجز

يَأْرُبُ ذِي ضَعْنٍ عَلِيَّ فَارِضٍ لَهُ قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الْحَائِضِ

ويقال لحيته فارضة اي عظيمة والبكر الصغيرة التي لم تحمل والبكر من بني آدم ومن البهائم ما لم يفتح له الفحل والبكر من كل شيء اوله والبكر التي ولدت واحدا وبكرها اول اولادها قال

يَا بَكْرَ بَكْرَيْنِ وَيَا خَلْبَ الْكَيْدِ أَصْبَحْتَ مِنِّي كَذْرَاعٍ مِنْ عَضُدِ

وضربة بكر اي قاطعة لا تشني وحدث ابن عائشه عن ابيه عن جده قال كانت ضربات علي بن ابي طالب

(١) كذا في بعض النسخ وفي بعضها عياش ولعلها ابن عياش فلتراجع (٢) كذا ولم تثنين معناها

عليه السلام ابيكاراً كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط ذكره ابن فارس في مجمل اللغة والبكر بفتح الباء الفتي من الابل والعوان دون المسنة وفوق الصغيرة وهي النصف التي ولدت بطنا او بطنين قال القراء يقال من العوان عونت المرأة تعويثا اذا بلغت ثلاثين سنة ومنه قيل للحرب عوان اذا لم يكن اول حرب بين القوم وكانوا قدقاتلوا قبله وبين اسم يستعمل على ضربين مصدر وظرف قال ابو علي وهما عندي وجميع بابهما يرجعان الى اصل واحد وهو الافتراق والانكشاف وسيأتي بيانها في الاعراب ان شاء الله واللون عرض يتعاقب على الجوهر تعاقب المتضاد وهو عبارة عما اذا وجد حصلت به الجواهر على هيئة مخصوصة لولاه لما حصلت على تلك الهيئة ولا يدخل تحت مقدور العباد وفاقع لونها اي شديدة الصفرة يقال اصفر فاقع واحمر ناصع واخضر ناضر واحمر قاني وابيض يقق ولحق ولهاق واسود حاله وحلوك وحلكوك وغريب ودجوجي فهذه كلها صفات مبالغة في الالوان وقيل انه اراد بصفراء هاهنا سفراء شديدة السواد كما يقال صفراء اي سوداء وقال الشاعر

تَلَكْ خَيْلِي مِنْهُ وَتَلَكْ رِكَابِي هُنَّ صَفْرٌ أَوْلَادُهَا كَالزَّيْبِ

والاول اصح فان الابل ان وصفت به فلا يوصف البقر به وايضا فان السواد لا يوصف بالفقوع وانما يوصف بالحلوة وغيرها على ما ذكرناه والبقر جمع بقرة وكذلك البقر جمع كالجامل جمع جمل قال الاعشى

وَمَا ذَنْبُهُ إِنْ عَافَ الْمَاءَ بِأَقْرُ وَمَا إِنْ يَعَافُ الْمَاءَ إِلَّا لِيُضْرَبَا

وقال آخر (لهم جامل لا يهدأ الليل سامره) اي جمال ونحو هذا عندهم اسم مفرد ومصوغ للكثرة كاسم الجنس ومثله العبيد والكلب والضنين في جمع عبد وكب وضأن وقوله لا ذلول يقال للدابة قد ذلها الركوب والعمل دابة ذلول بين الذل بكسر الذال ويقال في مثله من بني آدم رجل ذليل بين الذل بضم الذال والذلة تكسرها والمذلة والاثارة اظهار الشيء بالكشف واثار الارض اي كربيها وقلبها والحراث كل ارض ذلته للزرع قال الحليل الحراث قذف البذر في الارض للازداع والزرع الانبات والاثناء قال عز اسمه افرايم ما تحرثون انتم تزرعونه ام نحن الزارعون مسلمة مبرأة من العيوب مفعلة من السلامة الشية اللون في الشيء يخالف عامة لونه والوشي خلط اللون باللون ولا شية فيه اي لا واضح فيها يخاف لون جلدها يقال وشيت الثوب اشيه شية ووشيا ومنه قيل ان يسعى بالرجل الى السلطان واش لكذبه عليه عنده وتحسينه كذبه بالباطيل ويقال منه وشيت به وشاية قال كعب بن زهير

تَسَعَى الْوَرِشَاةُ بِجَبَنَيْهَا وَقَوْلُهُمْ إِنَّكَ يَا بَنِي أَبِي سَلْمَى لَمَقُولُ

يعني انهم يتقولون بالباطيل ويقولون انه ان لحق بالنبي صلى الله عليه وآله قتله والذبح فري الاوداج وذلك في البقر والغنم والنحر في الابل ولا يجوز فيها عندنا غير ذلك وفيه خلاف بين الفقهاء وقيل للصادق عليه السلام ان اهل مكة يذبحون البقرة في اللبة فما ترى في اكل لحومها فسكت هنيئة ثم قال قال الله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون لا تأكل الا ما ذبح من مذبحه

﴿ الاعراب ﴾

حذفت الفاء من قوله قالوا اتخذنا هزوا لاستغناء ما قبله من الكلام عنه وحسن الوقف على قوله ان تذبجوا بقرة كما حسن اسقاطها من قوله قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا ولم يقل فقالوا ولوقيل بالفاء لكان حسنا ولوقلت قمت ففعلت لم يجز اسقاط الفاء لأنها عطف لاستفهام يحسن السكوت عليه وقوله هزوا لا يخلو من احد امرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون المضاف محذوفا لأن الهزء حدث والمفعول الثاني من يتخذ يكون الاول نحو قوله لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء (والثاني) ان يكون الهزء بمعنى المهزوء به مثل الصيد في قوله تعالى احل لكم صيد البحر ونحوه وكما يقال رجل رضى اي مرضى اقام المصدر مقام المفعول واما قوله تعالى لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا فلا يحتاج فيه الى تقدير محذوف لأن الدين ليس بعين وقوله اعوذ بالله اصله اعوذ

فقلت الضمة من الواو الى الساكن قبلها من غير استتقال لذلك غير انه لما اعلت عين الماضي لتحركها وانفتاح ما قبلها اعلت عين المضارع ايضا ليجري الباب على سنن واحد وكذلك القول في اعاد ويعيد واستعاذ ويستعيد والأصل اعوذ يعوذ واستعوذ يستعوذ وقوله لا يفرض ولا يفرض ولا يفرض قال الاخفش ارتفع ولم ينتصب كما ينتصب المنني لأنه صفة لبقرة وقوله عوان مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف كأنه قال هي عوان وقال الزجاج ارتفع فافرض باضمار هي اي هي لا يفرض ولا يفرض قال وانما جاز بين ذلك وبين لا يكون الا مع اثنين او اكثر لأن ذلك ينوب عن الجمل تقول ظننت زيدا قائما فيقول القائل قد ظننت ذلك وظننت ذلك قال ابو علي لا يخلو ذلك فيما ذكره من قولهم ظننت ذلك من ان يكون اشارة الى المصدر كما ذهب اليه سيويه او يكون اشارة الى احد مفعولي ظننت وان تكون نائبة عن الجملة كما قاله ابو اسحاق ولا يجوز ان يكون اشارة الى احد المفعولين لأنه لو كان كذلك للزم ان يذكر الآخر كما لو انك ذكرت اسم المشار اليه للزم فيه ذلك وكما انك اذا ذكرت المبتدأ لزمك ذكر الخبر او يعلم من الحال ما يقوم مقام ذكره له ولا يجوز ان تكون نائبة عن الجملة هنا ولا اشارة اليها كما لم ينب عن الجملة في غير هذا الموضع من المواضع التي تقع فيها الجملة نحو صلة الذي ووصف النكرات فثبت أن ذلك في قولهم ظننت ذلك اشارة الى المصدر الذي هو الظن ولا يجوز ان يقع اسم مفرد موقع جملة ولو كان سائغا ان ينوب ذلك عن الجمل لما جاز وقوعه هنا لأن هذا الموضع ليس من مواضع الجمل الا ترى ان ذلك اشارة الى ما تقدم مما دل عليه قوله لا يفرض ولا يفرض وهو البكارة والفروض فإنما يدل قوله ذلك عليهما فلو كان واقعا موقع جملة ما دل عليهما لأن الجملة يسند فيها الحدث الى المحدث عنه وليس واحد من الفروض والبكارة يسند الى الآخر الا ترى ان المعنى بين هذين الوصفين وهذا واضح واعلم ان الاسم الذي يضاف اليه بين لا يخلو من ان يكون دالا على واحد او على اكثر من الواحد فاذا كان دالا على الواحد غير دال على اكثر منه عطف عليه اسم آخر لما ذكرنا من ان اصله الافتراق فكما يمتنع ان يقول فراق واجتماع زيد حتى تضيف اليه ما يزيد به على الافراد لذلك لا تقول بين زيد حتى تضيف اليه آخر بالواو دون غيرها من الحروف العاطفة واذا كان الاسم دالا على الكثرة وان كان مفردا جاز ان يضاف بين اليه واما قوله عوان بين ذلك فإنما اضيف فيه بين الى ذلك من حيث جاز اضافته الى القوم وما اشبه ذلك من الاسماء التي تدل على الكثرة وانما جاز ان يكون قولنا ذلك يراد به مرة الانفراد ومرة الجمع والكثرة لمشابهته الموصولة كالذي وما الا ترى ان البابين يشتهان في دلالة كل واحد منهما على غير شيء بعينه فجاز ان يراد به الواحد مرة واكثر من الواحد مرة ويدل على ما ذكرناه من قصدهم بذلك الجمع وما زاد على الواحد ان روية لما قال له ابو عبيدة في قوله

فِيهِ خَطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقٌ كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَلَّيعُ الْبَهَقِ

ان اردت الخطوط وجب ان تقول كأنها وان اردت السواد والبلق وجب ان تقول كأنهما قال اردت كان ذلك فعلم به انهم يقصدون بذلك غير المفرد ويدل عليه ايضا قول القائل

إِنَّ لِلْخَيْرِ وَاللَّشْرِ مَدَى وَكَلَّا ذَلِكَ وَجْهٌ وَقَبْلٌ

الا ترى ان كلا لا تضاف الى المفرد فلولا ان المراد بذلك غير الافراد لما اضيف كلا اليه فكذلك القول في عوان بين ذلك والمراد بذلك الزيادة على الواحد الا ترى انه اشارة الى ما تقدم من قوله مما دل على الفروض والبكارة وموضع ما من قوله ما هي وما لونها رفع لأنه خبر المبتدأ لأن تأويله الاستفهام اي اي شيء هي واي لونها قال انه يقول انها ما بعد القول من باب ان مكسورة ابدا كأنك لم تذكر القول في صدر كلامك وانما وقعت قلت في كلام العرب على ان يحكى بها ما كان كلاما يقوم بنفسه قبل دخولها فيوذي مع ذكرها ذلك اللفظ تقول قلت زيد منطلق كأنك حكيت زيد منطلق وكذلك ان زيدا منطلق اذا حكيت تقول قلت ان زيدا منطلق

وقوم من العرب وهم بنو سليم يجعلون باب قلت كباب ظننت ويقولون قلت زيدا منطلقاً وقوله فاقع لونها ارتفع لونها بأنه فاعل فاقع وهو صفة البقرة مثل صفراء. وكذلك تسر الناظرين جملة مرفوعة الموضع بكونها صفة لبقرة ويقال فقع لونه يفقع فقوعاً وفقع يفقع اذا خلصت صفته وقوله ان البقر تشابه علينا كل جمع يكون واحده بالهاء نحو البقر والنخل والسحاب فانه يؤنث ويذكر قال الله تعالى كأنهم اعجاز نخل خاوية وفي موضع آخر نخل منقعر والتذكير الغالب وقوله تثير الارض في موضع رفع بكونه صفة لذلول وهو داخل في معنى النبي اي بقرة ليست بذلول مثيرة للارض ولا ساقية للحرث ومسلمة صفة لبقرة ايضاً ولا شية فيها جملة في موضع رفع ايضاً بأنها صفة لبقرة وشية مصدر من وشيت واصاها وشي فلما اسقطت الواو منها عوضت الهاء في آخرها قالوا وشيته شية كما قالوا وزنته زنة ووصلته صلة فوزنها علة قالوا الآن فيه وجوه اجودها اسكان اللام من الآن وحذف الواو من اللفظ ويجوز قال لان على الغاء المهزلة وفتح اللام من الآن وترك الواو محذوفة لالتقاء الساكنين ولا يعتد بفتح اللام ويجوز قالوا لان باظهار الواو لحركة اللام لأنهم انما حذفوا الواو لسكونها فلما تحركت ردها والاجود في العربية حذفها ولا ينبغي ان يقرأ الابا وردت به رواية صحيحة فان القراءة سنة متبعة قال ابو علي انما بني الآن لتضمنه معنى الحرف وهو تضمن معنى التعريف لأن التعريف حكمه ان يكون مجرف وليس تعرفه بما فيه من الالف واللام لأنه لو كان كذلك للزم ان يكون قبل دخول اللام عليه نكرة كرجل والرجل وكذلك الذي فإن فيه الالف واللام وليس تعرف الاسم بها انما تعرفه بغيرهما وهو كونه موصولاً مخصوصاً ولو كان تعرفه باللام لوجب ان يكون سائر الموصولات المعرفة بالصلوات نحو من وما غير متعرفة ويقوي زيادة اللام مارواه المبرد عن المازني قال سألت الاصمعي عن قول الشاعر

وَلَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمُوءًا وَعَسَاقِلًا وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنِ بَنَاتِ الْأَوْبَرِ

لم ادخل اللام قال ادخله زيادة للضرورة كقول الآخر (باعدأم العبروعن اسيرها) وانشد ابن الاعرابي

يَا لَيْتَ أُمَّ الْعَمْرِ وَكَانَتْ صَاحِبِي مَكَانَ مَنْ أَنْشَأَ عَلَى الرَّكَائِبِ

فكما ان اللام في الذي وفي هذه الحكاية زائدة كذلك في الآن زائدة وقوله وما كادوا يفعلون كاد يدل على مقاربة مباشرة ويفعلون في موضع نصب بأنه خبر كاد والنصيح لا يدخل عليه ان لأن ان حرف يركب مع الفعل فيقوم مقام المصدر وانما يسند الى ان افعال غير ثابتة ولا مستقرة مثل الطمع والرجا نحو عسى ان تفعل ودليل ذلك ان ان لا تدخل على فعل الحال بل على ما يتوقع في المستقبل فلها كانت ان لازمة بعسى ولا يلزم كاد لأن كاد قريب من الحال وقد استعمل كاد مع ان في الشعر انشد الاصمعي

كَادَتِ النَّفْسُ أَنْ تَقِيضَ عَلَيْهِ إِذْ تَوَى حَشَوَ رَيْطَةَ وَبُرُودِ

❖ القصة ❖

كان السبب في امر الله تعالى بذبح البقرة فيما رواه العياشي مرفوعاً الى الرضا (ع) ان رجلاً من بني اسرائيل قتل قرابة له ثم اخذه وطرحه على طريق افضل سبط من اسباط بني اسرائيل ثم جاء يطلب بدمه فقالوا موسى سبط آل فلان قتل فاخبرنا من قتله قال انتوني ببقرة قالوا انتخذنا هزوا الآية ولو انهم عمدوا الى بقرة اجزتهم ولكن شددوا فشد الله عليهم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك اي لاصغيرة ولا كبيرة الى قوله قالوا الآن جثت بالحق فطلبوها فوجدوها عند فتى من بني اسرائيل فقال لا ابيها الا بل . مسكها ذهباً فجاءوا الى موسى فقالوا له قال فاشتروها قال وقال لرسول الله (ص) بعض اصحابه ان هذه البقرة ما شأنها فقال إن فتى من بني اسرائيل كان باراً بابيه وانه اشترى سلعة فجاء الى ابيه فوجده تاماً والاقليد تحت رأسه فكره ان يوقظه فترك ذلك واستيقظ ابوه فاخبره فقال له احسنت خذ هذه البقرة فهي

لك عوض لما فاتك قال فقال رسول الله (ص) انظروا الى البر ما بلغ بأهله وقال ابن عباس كان القليل شيئا كثيرا قتله بنو اخيه والقوم على باب بعض الاسباط ثم ادعوا عليهم القتل فاحتكموا الى موسى (ع) فسأل من عنده في ذلك علم فقالوا انت نبي الله وانت اعلم منا فادعى الله تعالى اليه أن يأمرهم بذبح بقرة فامرهم موسى (ع) ان يذبحوا بقرة ويضرب القليل ببعضها فيجبي الله القليل فيبين من قتله وقيل قتله ابن عمه استبطاء لموته فقتله ليشره وقيل انما قتله ليتزوج بنته وقد خطبها فلم ينعم له وخطبها غيره من خيار بني اسرائيل فانعم له فحسده ابن عمه الذي لم ينعم له فتعد له قتله ثم حمله الى موسى فقال يا نبي الله هذا ابن عمي قد قتل فقال موسى من قتله قال لا ادري وكان القتل في بني اسرائيل عظيما فعظم ذلك على موسى (ع) وهذا هو المروي عن الصادق (ع)

﴿ المعنى ﴾

هذه الآيات معطوفة على ما تقدمها من الآيات الواردة في البيان لنعم الله تعالى على بني اسرائيل ومقابلتهم لها بالكفران والعصيان فقال واذكروا ايضا من نكثكم ميثاقى الذي اخذته عليكم بالطاعة «اذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتخذنا هزوا» قال قوم موسى له اتسخر بنا حيث سألتناك عن القليل فتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لتباعد ما بين الامرين في الظاهر مع جهلهم بوجه الحكمة فيما امرهم به لأن موسى عليه السلام امرهم بالذبح ولم يبين لهم ان الذبح لاني معنى فقالوا اي اتصال لذبح البقرة بما ترفعنا فيه اليك فهذا استهزاء بنا «قال اعوذ بالله أن أكون من الجاهلين» اي معاذ الله أن أكون من المستهزئين وانما قال من الجاهلين ليدل على ان الاستهزاء لا يصدر الا عن جاهل فإن من استهزأ بغيره لا يخلو اما ان يستهزى بخلقته او بفعله من افعاله فاما الخلقه فلا معنى للاستهزاء بها واما الفعل فإذا كان قبيحا فالواجب ان ينبه فاعله على قبحه ليتبرج عنه فاما ان يستهزى به فلا فالاستهزاء على هذا يكون كبيرة لا يقع الا عن جاهل به او محتاج اليه فاذا قيل لم امروا بذبح البقرة دون غيرها فقد قيل فيه لأنها من جنس ما عبده من العجل يهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه فيزول ما كان في نفوسهم من عبادته وانما احيا الله القليل بقتل حي ليكون اظهر لقدرة في اختراع الاشياء من اضدادها فلما علموا ان ذبح البقرة فرض من الله تعالى سألو عنها فبدأوا بسنها فقالوا «ادع لنا ربك» اي سل من اجلتنا ربك «يبين لنا ما هي» ولم يظهر في السؤال ان المسؤول عنه سن البقرة وانما ظهر ذلك في الجواب «قال» موسى عليه السلام «انه يقول» اي ان الله عز اسمه «يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر» اي ليست بكبيرة هرمة ولا صغيرة «عوان بين ذلك» اي هي وسط بين الصغيرة والكبيرة وهي اقوى ما يكون واحسن من البقر والدواب عن ابن عباس وقيل وسط ولدت بطننا او بطنين عن مجاهد «فافعلوا ما تؤمرون» اي اذبحوا ما امرتم بذبحه فلما بين سبحانه سن البقرة سألو عن لونها «قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها» اي سل ربك يبين لنا ما لون البقرة التي امرنا بذبحها «قال» موسى «انه» سبحانه وتعالى «يقول انها بقرة صفراء» حتى قرن لها وظافها اصفران عن الحسن وسعيد بن جبير «فاقع لونها» اي شديد صفرة لونها وقيل خالص الصفرة وقيل حسن الصفرة وقوله «تسر الناظرين» اي تعجب الناظرين وتفرحهم بحسنها عن قتادة وغيره وروي عن الصادق (ع) انه قال من لبس نعلا صفراء لم يزل مسرورا حتى يبليها كما قال الله تعالى صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ولما بين سبحانه سن البقرة ولونها سالوا عن صفتها «فقالوا» يا موسى «ادع لنا ربك يبين لنا ما هي» اي امن العوامل ام من السواخ «ان البقر تشابه علينا» اي اشتبه علينا صفة البقرة التي امرنا الله بذبحها «وانا ان شاء الله لمهتدون» الى صفة البقرة بتعريف الله ايانا وما يشاوه لان من اللطف والزيادة في البيان وروي ابن جريج وقتادة عن ابن عباس عن النبي (ص) أنهم امروا بأذني بقرة ولكنهم لما شددوا على انفسهم شدد الله عليهم وامن الله اولم يستثنوا ما بينت لهم الى آخر الأبد قال يعني موسى (ع) انه يعني الله تعالى يقول انها بقرة اي البقرة التي امرتم بذبحها «لاذلول تشير الارض» اي لم يذللها العمل

بإثارة الأرض بأظلافها «ولا تسقى الحرث» اي لا يستقى عليها الماء قسقى الزرع «مسلمة» اي بريئة من العيوب عن قتادة وعطاء. وقيل مسلمة من الشية ليس لها لون يخالف لونها عن مجاهد وقيل سليمة من آثار العمل لأن ما كان من العوامل لا يخلو من آثار العمل في قوائمه وبدنه وقال الحسن انها كانت وحشية «لا شية فيها» قال اهل اللغة لا وضح فيها يخالف لون جلدها وقيل لا لون فيها سوى لونها عن قتادة ومجاهد «قالوا الآن جنت بالحق» اي ظهر لنا الحق الآن وهي بقرة فلان وهذا يدل على انهم جوزوا انه قبل ذلك لم يحيى. بالحق على التفصيل وانما اتى به على وجه الجملة وقال قتادة الآن بينت الحق وهذا يدل على انه كان فيهم من يشك في ان موسى (ع) ما بين الحق «فذبجوها» يعني ذبحوا البقرة على ما امروا به «وما كادوا يفعلون» اي قرب ان لا يفعلوا ذلك مخافة اشتها رفضيحة القاتل وقيل كادوا لا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها فقد حكى عن ابن عباس انهم اشتروها بثلثة دنانير وذكروها فضلاً موجزاً ينجذب الى الكلام في اصول الفقه اختلف العلماء في هذه الآيات فمنهم من ذهب الى ان التكليف فيها متغاير وانهم لما قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم الا ذبح اي بقرة شاءوا من غير تعيين بصفة ولو انهم ذبحوا اي بقرة اتفقت لهم كانوا قد امتثلوا الامر فلما لم يفعلوا كان المصلحة ان يشدد عليهم التكليف ولما راجعوا المرة الثانية تغيرت مصلحتهم الى تكليف ثالث ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر فمنهم من قال في التكليف الاخير انه يجب ان يكون مستوفياً لكل صفة تقدمت فعلى هذا القول يكون التكليف الثاني والثالث ضم تكليف الى تكليف زيادة في التشديد عليهم لما فيه من المصاحبة ومنهم من قال انه يجب ان يكون بالصفة الاخيرة فقط دون ما تقدم وعلى هذا القول يكون التكليف الثاني نسباً للأول والتكليف الثالث نسباً للثاني وقد جوز نسخ الشيء قبل الفعل لأن المصلحة تجوز ان يتغير بعد فوات وقته وانما لا يجوز نسخ الشيء قبل وقت الفعل لأن ذلك يودي الى البداء وذهب آخرون الى ان التكليف واحد وان الاوصاف المتأخرة هي للبقرة المتقدمة وانما تأخر البيان وهو مذهب المرتضى قدس الله روحه واستدل بهذه الآية على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب الى وقت الحاجة قال انه تعالى لما كلمهم ذبح بقرة قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يبين لنا ما هي فلا يخلو قولهم ما هي من ان يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها او عن التي امروا بها ثانياً والظاهر من قولهم ما هي يقتضي ان يكون السؤال عن صفة البقرة الأمور بذبحها لأنه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة اخرى فيستعملونها عنها واذا صح ذلك فليس يخلو قوله انها بقرة لا يفرض ولا بكر من ان يكون الهاء فيه كناية عن البقرة الاولى او عن غيرها وليس يجوز ان يكون كناية عن بقرة ثانية لأن الظاهر يقتضي ان تكون الكناية متعلقة بما تضمنه السؤال ولأنه لو لم يكن الامر على ذلك لم يكن جواباً لهم وقول القائل في جواب من سأل ما كذا وكذا انه بالصفة الفلانية صريح في ان الهاء كناية عما وقع السؤال عنه هذا مع قولهم ان البقر تشابه علينا فانهم لم يقولوا ذلك الا وقد اعتدوا ان خطابهم مجمل غير مبين ولو كان الامر على ما ذهب اليه القوم فلم لم يقل لهم واي تشابه عليكم وانما امرتم في الابتداء بذبح بقرة اي بقرة كانت وفي الثاني بما يختص بالسؤال بخصوص وفي الثالث بما يختص باللون بخصوص من اي البقر كان قال واما قوله «فذبجوها وما كادوا يفعلون» فالظاهر ان ذمهم مصروف الى تصييرهم او تأخيرهم امتثال الامر بعد البيان التام وهو غير مقتضٍ ذمهم على ترك المبادرة في الاول الى ذبح بقرة فلا دلالة في الآية على ذلك

قوله تعالى (٧٢) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ

(٧٣) قُلْنَا أضرِبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُجِيبِي اللَّهُ الْمُوتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (آيتان)

﴿ اللغة ﴾

ادارأتم اختلغتم واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال بعد ان سكنت ثم جعلوا قبلها همزة الوصل ليمسكن
النتق بالساكن واصل الدرء الدفع ومنه الحديث ادروا الحدود بالشبهات ومنه قوله ويذراً عنها العذاب وقال ربيعة

أذْرَكْتَهَا قَدَامَ كُلِّ مِدْرَةٍ
بِالدَّفْعِ عَنِ ذَرَأَةِ كُلِّ عُنْجَةٍ

وقيل الدرأ العوج ومنه قول الشاعر

فَنَكَبَ عَنْهُمْ دَرُءُ الْأَعَادِي
وَدَاوُوا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ

﴿ المعنى ﴾

ثم بين الله سبحانه المقصود من الامر بالذبح فبدأ بذكر القتل وقال «واذا قتلتم نفساً» ذكر فيه وجهان
(احدهما) انه متقدم في المعنى على الآيات المقدمة في اللفظ فعلى هذا يكون تأويله واذا قتلتم نفساً «فادارأتم
فيها» فسألتم موسى فقال لكم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة فقدم المؤخر وأخر المقدم ونحو ذلك كثير في القرآن
والشعر قال سبحانه الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً فيما تقديره انزل على عبده الكتاب فيما
ولم يجعل له عوجاً وقال الشاعر

إِن أَلْفَرَزْدَقَ صَخْرَةً مَّامُومَةً
طَالَتْ فَلَيْسَ يَنَالُهَا الْأَوْعَالُ

اي طالت الاوعال (والوجه الآخر) ان الآية قد تعلقت بما هو متأخر في الحقيقة وهو قوله فقلنا اضربوه ببعضها
الآية فكانه قال فذبحوها وما كادوا يفعلون ولأنكم قتلتم نفساً فادارأتم فيها امرناكم ان تضربوه ببعضها ليكشف
امره والمراد اذكروا اذ قتلتم نفساً وهذا خطاب لمن كان على عهد النبي (ص) والمراد به اسلافهم على عادة العرب
في خطاب الابناء والاحفاد بخطاب الاسلاف والاجداد وخطاب العشيرة بما يكون من احدها فقالت فبنو قيس كذا
وان كان الفاعل واحداً ويحتمل ان يكون خطاباً لمن كان في زمن موسى (ع) وتقديره وقتلناهم واذا قتلتم نفساً وقيل
ان اسم المتقول عاميل فادارأتم فيها الهاء من فيها يعود الى النفس اي كل واحد دفع قتل النفس عن نفسه وقيل
انها تعود الى القتل اي اختلغتم في القتل لأن قوله قتلتم يدل على المصدر وعودها الى النفس اولى واشبه بالظاهر
«والله مخرج ما كنتم تكتمون» اي مظهر ما كنتم تسرون من القتل وقيل معناه انه مخرج من غامض اختياركم
ومطلع من معايكم ومعايب اسلافكم على ما تكتمونه انتم وهو خطاب لليهود في زمن النبي (ص) «فقلنا اضربوه
ببعضها» اي قلنا لهم اضربوا القتييل ببعض البقرة واختلفوا في البعض من البقرة المضروب به القتييل فقيل ضرب ببضخذ
البقرة فقام حيا وقال قتلي فلان ثم عاد ميتاً عن مجاهد وقتادة وعكرمة وقيل ضرب بذنبها عن سعيد بن جبير
وقيل بلسانها عن الضحاك وقيل ضرب بعظم من عظامها عن ابي العالية وقيل بالبضعة التي بين الكتفين عن السدي
وقيل ضرب ببعض اربها عن ابي زيد وهذه الاقوال كلها محتملة الظاهر والمعلوم ان الله سبحانه وتعالى امر ان
يضرب القتييل ببعض البقرة ليحيا القتييل اذا فعلوا ذلك فيقول فلان قتلي ليذول الخلف والتدار وبين القوم والصانع
عز اسمه وان كان قادراً على احيائه من دون ذلك فانما امرهم بذلك لانهم سألوا موسى ان يبين لهم حال القتييل
وهم كانوا يعدون القربان من اعظم القربات وكانوا جعلوا له بيتاً على حدة لا يدخله الاخييارهم فامرهم الله بتقديم
هذه القرية تعالماً منه لكل من اعتاص عليه امر من الامور ان يقدم نوعاً من القرب قبل ان يسأل الله تعالى كشف
ذلك عنه ليكون اقرب الى الإجابة وانما امرهم بضرب القتييل ببعضها بعد ان جعل اختيار وقت الاحياء اليهم
ليعلموا ان الله سبحانه وتعالى قادر على احياء الاموات في كل وقت من الاوقات والتقدير في الآية فقلنا اضربوه
ببعضها فضره لخي كما قال سبحانه اضرب بعصاك البحر فانفلق تقديره فضره فانفلق وقوله «كذلك يحيي

الله الموتى» يحتمل أن يكون حكاية عن قول موسى (ع) لقومه اي اعلمو بما عاينتموه ان الله تعالى قادر على احياء الموتى للجزاء. ويحتمل أن يكون خطابا من الله تعالى لمشركي قريش والاشارة وقعت الى قيام المقتول عند ضربه ببعض اعضاء البقرة لأنه روي انه قام حيا واوداجه تشخب دما فقال قتلتني فلان ابن عمي ثم قبض «ويربكم آياته» يعني المعجزات الباهرة الخارقة للعادة من احياء ذلك الميت وغيره وقيل اراد الاعلام الظاهرة الدالة على صدق محمد (ص) «لعلكم تعقون» اي لكي تستعملوا عقولكم فإن من لم يستعمل عقله ولم يبصر رشده فهو كمن لا عقل له وقيل لكي تعقلوا ما يجب عليكم من امور دينكم واحتج الله تعالى بهذه الآيات على مشركي العرب فيما استبعدوه من البعث وقيام الاموات بقولهم إذا كنا عظاما ورفانا إنا لمبعوثون خلقا جديدا فأخبرهم سبحانه بأن الذي انكروه واستبعدوه لا يتعذر في اتساع قدرته ونبيهم على ذلك بذكر المقتول وحياته بعد خروجه من الحياة وابطنوا خبر قتله وكيفيته وقيامه بعد القتل حيا مخاطبا باسم قتلته مؤذنا لهم ان احياء جميع الاموات بعد أن صاروا عظاما باليات لا يصعب عليه ولا يتعذر بل يهون عنده ويتيسر وفيها دلالة على صدق نبوة نبينا محمد (ص) حيث اخبرهم بغوامض اخبارهم التي لا يجوز ان يعلمها الا من قرأ كتب الأولين او اوحى اليه من عند رب العالمين وقد صدقه مضافوه من اليهود فيما اخبر به من هذه الاقاصيص وقد علموا انه امي لم يقرأ كتابا ولم يرتابوا في ذلك وهذه آية صادقة وحجة ساطعة في تثبيت نبوته (ص)

قوله تعالى (٧٤) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (آية)

﴿القرائة﴾

قرأ ابن كثير وحده هاهنا عما يعملون بالياء، والباقون بالتاء. واختلفوا في قوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون وما ربك بغافل عما تعملون قرأهما ابو جعفر وحده بالتاء. في كل القرآن الا في الأنعام وقرأ ابن عامر بالياء. في كل القرآن وقرأ حمزة والكسائي الاول بالتاء والثاني بالياء. في كل القرآن واختلف عن ابن كثير ونافع وعاصم وابي عمرو

﴿الحجة﴾

قال ابو علي القول في ذلك ان ما كان قبله خطاب جعل بالتاء. ليكون الخطاب معطوفا على خطاب كقوله ثم قست قلوبكم ثم قال عما تعملون بالتاء. ولو كان بالياء على لفظ الغيبة اي وما الله بغافل عما يعمل هو لاء ايها المسلمون لكان حسنا وان كان الذي قبله غيبة حسن ان يجعل على لفظ الغيبة ويجوز فيه الخطاب ايضا ووجه ذلك ان يجمع بين الغيبة والخطاب فيغلب الخطاب على الغيبة ككفليب المذكور على الموندث الا ترى أنهم قدموا الخطاب على الغيبة في باب الضمير وهو موضع ترد فيه الاشياء الى اصولها نحو نوحك في نحو قوله (فلا تلك ما أسأل ولا انما) فلما قدموا المخاطب على الغائب فقالوا اعطاكه ولم يقولوا اعطاهوك علم انه اقدم في الرتبة فإذا كان الامر على هذا فالخطاب في هذا التحريمي به الغيب والمخاطبون فيغلب الخطاب على الغيب ويجوز فيه وجه آخر وهو ان يراد به وقل لهم ايها النبي ما الله بغافل عما تعملون والله اعلم

﴿اللغة﴾

القسوة ذهاب اللين والرحمة من القلب يقال قسا قلبه يقسو قسوا وقسوة وقساوة والقسوة الصلابة في كل شيء. ونقيضه الرقة والشدة القرة في الجسم والشدة صعوبة الأمر والشدة العقد والنهر الجري الواسع من مجاري الماء والجدول والسري دون ذلك يقال نهر ونهر والفتح افصح قال سبحانه في جنات ونهر وجمعه نُهر ونهار والتفجير

التفعل من جُر الماء، وذلك اذا انزل خارجا من منبعه وكل سائل شخص خارجا من موضعه ومكانه فقد انفجر ما كان او دما او غير ذلك قال عمرو بن لحيان

وَلَمَّا أَنْ قَرَّتْ إِلَى جَرِيرٍ أَبِي ذُو بَطْنِهِ إِلَّا أَنْفَجَارًا

اي خروجاً وسيلاناً واصل يشقق يتشقق ادغمت التاء في الشين وهو ان ينقطع من غير ان يبين والغفلة السهو عن الشيء وهو ذهاب المعنى عن النفس بعد حضوره ويقال تغافلت على عمد اي عملت عمل الساهي

المعنى والاعراب

لما قدم سبحانه ذكر المعجزات القاهرة والاعلام الظاهرة بين ما فعلوا بعدها من العصيان والظغيان فقال عز اسمه «ثم قست قلوبكم» اي غلظت ويست وعتت وقست «من بعد ذلك» اي من بعد آيات الله كلها التي اظهرها على يد موسى عليه السلام وقيل انه اراد بني اخي المقتول حين انكروا قتله بعد ان سمعوه منه عند احياء الله تعالى اياه انه قتله فلان عن ابن عباس فيكون ذلك اشارة الى الاحياء اي من بعد احياء الميت لكم ببعض من اعضاء البقرة بعد ان تدارأتم فيه فاخبركم بقاتله والسبب الذي من اجله قتله وكان يجب من شاهد هذه الآية العجيبة والمعجزة الخارقة للعادة ان يخضع ويلين قلبه ويحتمل ان يكون ذلك اشارة ايضا الى الآيات الاخر التي تقدمت كسبح القردة والختازير ورفع الجبل فوقهم وانجاس الماء من الحجر وانفراق البحر وغير ذلك وانما جاز ان يقول ذلك وان كانوا جماعة ولم يقل ذلكم لأن الجماعة في معنى الجمع والفريق فلفظ الخطاب مفرد في معنى الجمع ولو قال ذلكم جاز وقوله «فهي كالحجارة» شبه قلوبهم بالحجارة في الصلابة واليبس والغلظ والشدة وقد ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله تقسي القلب وان ابعد الناس من الله القاسي القلب «او اشد قسوة» اي او هي اشد قسوة ويجوز ان يكون عطفاً على موضع الكاف وكأنه قال فهي مثل الحجارة او اشد قسوة اي اشد صلابة لامتناعهم عن الاقرار اللازم بقيام حجته والعمل بالواجب من طاعته بعد مشاهدة الآيات وقيل في تأويل اوها هنا وجوه ﴿احدها﴾ ما ذكره الزجاج ان معناها الاباحة كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين فان جالست احدهما او حمت بينهما فانت مصيب فيكون معنى الآية على هذا ان قلوبهم قاسية فإن شبهت قسوتها بالحجر اصبحت وان شبهتها بما هو اشد اصبحت وان شبهتها بما جميعا اصبحت كما مر نحو هذا في قوله سبحانه او كصيب من السماء (ثانيها) ان يكون او دخلت للتفصيل والتمييز فيكون معنى الآية ان قلوبهم قاسية فبعضها كالحجارة وبعضها اشد قسوة من الحجارة وقد يحتمل قوله تعالى او كصيب من السماء هذا الوجه ايضا (ثالثها) ان يكون او دخلت على سبيل الابهام فيما يرجع الى المخاطب وان كان تعالى عالماً بذلك غير شك فيه فاخبر ان قسوة قلوب هؤلاء كالحجارة او اشد قسوة والمعنى انها كأحد هذين لا يخرج عنها كما يقال اكلت بصرة او تمره وهو يعلم ما أكمله على التفصيل الا انه ابهم على المخاطب وكما قال لبيد

تَعْنَى أَبْتَنَّاكَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ زَبِيْعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ

اراد وهل انا الا من احد هذين الجنسين فسيلي ان افنى كما فنيا وانما حسن ذلك لأن غرضه الذي نحاه هو ان يخبر بكونه ممن يموت ويفنى ولم يخجل بقصده الذي اجري اليه اجمال ما اجمل من كلامه فكذلك هنا الغرض الاخبار عن شدة قسوة قلوبهم وانها كما لا يصغى الى وعظ ولا يعرج على خير فسواء كانت كالحجارة او اشد منها في انه لا يحتاج الى ذكر تفصيله (رابعها) ان يكون او بمعنى بل كما قال الله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ومعناه بل يزيدون وروي عن ابن عباس انه قال كانوا مائة الف وبضعا واربعين الف وأنشد الفراء

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْتِقِ الضَّحَى وَصُورَتَهَا أَوْ أَنْتَ فِي الْعَيْنِ أَمَلَحُ

كما تكون ام المنقطعة في الاستفهام بمعنى بل يقول القائل اضربت عبد الله ام انت متعنت اي بل انت وقال الشاعر
 قَوْلَ اللَّهِ مَا أَذْرِي أَسْلَمِي تَعَوَّلْتُ أَمْ النَّوْمُ أَمْ كُلُّ إِلَيَّ حَيْبٌ

معناه بل كل وقد طعن على هذا الجواب فقيل كيف يجوز ان يخاطبنا الله عز اسمه بلفظة بل وهي تقتضي الاستدراك والنقض للكلام الماضي والاضراب عنه وهذا غير سديد لأن الاستدراك ان اريد به الاستفادة والتذكّر لا لم يكن معلوماً فلا يصح وان اريد به الأخذ في الكلام الماضي واستئناف زيادة عليه فهو صحيح فالقائل اذا قال اعطيته القابل الفين لم ينقض الاول وكيف ينقضه والاول داخل في الثاني وانما زاد عليه وانما يكون ناقضاً للثاني لو قال لقيت رجلا بل حمرا لأن الاول لا يدخل في الثاني على وجه وقوله تعالى او اشد قسوة غير ناقض للاول لأنها لا تزيد على الحجارة الا بأن يساويها وانما يزيد عليها بعد المساواة (و خامسها) ان يكون بمعنى الواو كقوله تعالى او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم معناه وبيوت آبائكم قال جرير

أَتَعْلَبَةُ الْفَوَارِسَ أَوْ رِيحًا عَدَلْتُ بِهِمْ طَهِيَّةً وَالْخِشَابَا

اراد وريحا وقال ايضا

نَالَ الْخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا كَمَا أَتَى رَبُّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ

وقال توبة بن الحمير

وَقَدَّرَ عَمَتٌ لَيْلِي بِأَنِّي فَاجِرٌ لِنَفْسِي تُقَاهَا أَوْ عَلَيَّهَا فُجُورُهَا

فان قيل كيف يكون او في الآية بمعنى الواو والجمع والشيء اذا كان على صفة لم يجز ان يكون على خلافها اجيب عنه بانه ليس يمتنع ان تكون قلوبهم كالحجارة في حالة واشد من الحجارة في حالة اخرى فيصح المعنى ولا يتنافى وفائدة هذا الجواب ان قلوبهم هو لامع قساوتها ربما لانت بعض اللين وكادت تصغى الى الحق فتكون في هذا الحال كالحجارة التي ربما لانت وتكون في حال اخرى في نهاية البعد عن الخير فتكون اشد من الحجارة وجواب آخر هو ان قلوبهم لا تكون اشد من الحجارة الا بعد ان يكون فيها قسوة الحجارة لأن قولنا فلان اعلم من فلان اخبار بأنه زائد عليه في العلم الذي اشتركا فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فلا تنافي هاهنا ثم فضل سبحانه الحجارة على القلب القاسي فقال «وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار» معناه ان من الحجارة ما هو انفع من قلوبكم القاسية فيتفجر منه انهار الماء واستغنى بذكر الانهار عن ذكر الماء وقيل المراد منه الحجر الذي كان يتفجر منه اثنتا عشرة عينا وقيل هو عام «وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء» يعني ومن الحجارة ما يخرج منه الماء فيكون عينا نابعة لا انهارا جارية حتى يكون مخالفاً للاول وقال الحسين بن علي المغربي الحجارة الاولى حجارة الجبال منها تتفجر الانهار والثانية حجر موسى عليه السلام الذي كان يضربه فيخرج منه العيون فلا يكون تكرارا وقوله «وان منها لما يهبط من خشية الله» الضمير في منها يرجع الى الحجارة اي ومن الحجارة ما يهبط من خشية الله وعليه اكثر اهل التفسير وقيل يرجع الى القلوب اي ومن القلوب ما يهبط من خشية الله اي تخشع وهي قلوب من آمن من اهل الكتاب فيكونون مستثنين من القاسية قلوبهم عن اي مسلم ومن قال ان الضمير يرجع الى الحجارة فانهم اختلفوا في تأويله على وجه ﴿احدها﴾ ما روي عن مجاهد وابن جريج ان كل حجر تردى من رأس جبل فهو من خشية الله فعنه ان الحجارة قد تصير الى الحال التي ذكرها من خشية الله وقلوب اليهود لا تخشى ولا تخشع ولا تلين لأنهم عارفون بصدق محمد ثم لا يؤمنون به فقلوبهم اقسى من الحجارة و (ثانيها) ما قاله الزجاج ان الله تعالى اعطى بعض الجبال المعرفة فعقل طاعة الله نحو الجبل الذي تجلّى الله عز وجل له حين كلم موسى فصار دكا و كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال حجرا (١) كان يسلم علي في الجاهلية واني لأعرفه

الآن وهذا الوجه ضعيف لأن الجبل اذا كان جمادا فحال ان يكون فيه معرفة الله وان كان بنيتة بشية الحي فانه لا يكون جبلا وما الخبر فان صح فان معناه انه سبحانه احياء فسلم على النبي صلى الله عليه وآله ثم اعاده حجرا ويكون معجزا له عليه السلام (ثالثها) انه يدعو المتفكر فيه الى خشية الله او يوجب الخشية له بدلالته على صانعه لما يرى فيه من الدلالات والعجائب وازاد الخشية اليه لان التفكير فيه هو الداعي الى الخشية كما قال جرير بن عطية
وَأَعْوَرٌ مِنْ نَبْهَانَ أَمَا نَهَارُهُ فَاعْمَى وَأَمَا لَيْلُهُ فَصَبِيرٌ

فجعل الصفة لليل والنهار وهو يريد صاحبه النهائي الذي يهجو به بذلك من اجل أنه كان فيها على ما وصفه به (رابعها) انه انما ذكر ذلك على سبيل ضرب المثل اي كأنه يخشى الله سبحانه في المثل لان قيادته لا امره ووجد منه ما لو وجد من حي عاقل لكان دليلا على خشيته كقوله سبحانه فوجدا فيها جدارا يريد ان يتقض اي كأنه يريد لانه ظهر فيه من الميل ما اظهر من حي لدل على ارادته الانقضاء ومثله قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وكما قال زيد الخيل

يَجْمَعُ تَضِلُّ الْبَاقُ فِي حَجْرَاتِهِ تَرَى الْأَكْمَ فِيهِ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ
فجعل ما ظهر في الاكم من آثار الحوافر وقلة مدافعتها لها كما يدافع الحجر الصلد سجودا لها ولو كانت الاكم في صلابة الحديد حتى يمتنع على الحوافر لم يقل انها تسجد للحوافر قال جرير

لَمَّا أَتَى خَبْرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَعُ
اي كأنها كذلك وقال جرير ايضا

وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومُ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا
وكما قال سبحانه لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله اي لو كانت الجبال بما يخشع لشيء ما لرأيته خاشعا ويؤدي هذا الوجه قوله سبحانه وتلك الامثال نضربها للناس (خامسها) ان هبط يجوز ان يكون متعديا قال الشاعر

مَا رَأَعْنِي إِلَّا جَنَاحُ هَاطِطًا عَلَى الْبُيُوتِ قَوَّطُهُ الْعَالِطَا
فاعمله بالقوط كما ترى ويكون على هبطت الشيء فهبط فعناه يهبط غيره من خشية الله اي اذا رآه الانسان خشع لطاعة خالقه الا انه حذف المفعول تخفيفا لدلالة الكلام عليه ونسب الفعل الى الحجر لأن طاعة رأيه خالقه سببها النظر اليه اي منها ما يهبط الناظر اليه اي يخضمه ويخشعه وقوله «وما الله بغافل عما تعملون» ايها المكذوبون بآياته الجاحدون نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وقد ذكرناه قبل

قوله تعالى (٧٥) أَفَظْتَمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرُفُونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (آية)
﴿اللغة﴾

الطمع تعليق النفس بما تظنه من النفع ونظيره الامل والرجاء ونقيضه اليأس والفريق جمع كاطرافنة لا واحد له من لفظه وهو فاعل من التفريق كما سميت الجماعة بالحزب من التحزب قال الاعشى بن ثعلبة
أَجِدُوا فَلَمَّا خَفْتُ أَنْ يَتَّقُوا فَرِيقَيْنِ مِنْهُمْ مُصْعِدٌ وَمُصَوِّبٌ
والتحريف في الكلام يغير الكلمة عن معناها

﴿الاعراب﴾

افتطمعون الف استخبار تجري في كثير من المواضع مجرى الانكار اذا لم يكن معها نفي فاذا جاءت مع النفي فانكار

التي تثبتت ويكون بمعنى الاستدعاء الى الاقرار نحو اليس الله بكاف عبده فجوابه بلى كقوله ألم يأتكم نذير قالوا بلى وجواب افتطمعون لا على ما ذكرناه

﴿ المعنى ﴾

هذا خطاب لامة نبينا محمد صلى الله عليه وآله يقول «افتطمعون» ايها المؤمنون «ان يومئذ لكم» من طريق النظر والاعتبار والانقياد للحق بالاختيار «وقد كان فريق منهم» اي بمن هو في مثل حالهم من اسلافهم «يسمعون كلام الله» ويعلمون انه حق ويعاندون فيحرفونه ويتأولونه على غير تأويله وقيل انهم علماء اليهود الذين يحرفون التوراة فيجعلون الحلال حراماً والحرام حلالاً لاتباء الأهلوتهم واعانة لمن يرشوهم عن مجاهد والسدي وقيل انهم السبعون رجلاً الذين اختارهم موسى من قومه فسمعوا كلام الله فلم يمثلوا أمره وحرفوا القول في اخبارهم لقومهم حين رجعوا اليهم عن ابن عباس والربيع فيكون على هذا كلام الله معناه كلام الله لموسى وقت المناجاة وقيل المراد بكلام الله صفة محمد (ص) في التوراة وقوله «ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه» قيل فيه وجهان ﴿احدهما﴾ أن يكون معناه انهم غيروه من بعد ما فهموه فانكروه عنادا «وهم يعلمون» انهم يحرفونه أي يغيرونه (والثاني) ان معناه من بعد ما تحققوه وهم يعلمون ما عليهم في تحريفه من العقاب والاول اليتق بذهبتنا في الموافاة وانما اراد الله سبحانه بالآية ان هؤلاء اليهود الذين كانوا على عهد النبي (ص) إن لم يؤمنوا به وكذبوه وجحدوا نبوته فلمهم بأبائهم واسلافهم الذين كانوا في زمان موسى (ع) اسوة اذا جروا على طريقتهم في الجحد والعناد وهؤلاء الذين عاندوا وحرفوا كانوا معدودين يجوز على مثلهم التواطؤ والاتفاق في كتمان الحق وان كان يتنوع ذلك على الجمع الكثير والجمل التغيير لأمر يرجع الى اختلاف الدواعي ويبتل قول من قال انهم كانوا اكلمهم عارفين معاندين لأن الله سبحانه انما نسب فريقاً منهم الى المعاندة وان كانوا بأجمعهم كافرين وفي هذه الآية دلالة على عظم الذنب في تحريف الشرع وهو عام في اظهار البدع في الفتاوى والقضايا وجميع امور الدين

قوله تعالى (٧٦) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (آية)

﴿ اللمعة ﴾

الحديث والخبر والنبأ نظائر مشتق من الحدوث وكأنه اخبار عن حوادث الزمان والفتح في الاصل فتح العناق وقد يستعمل في مواضع كثيرة فنما الحكم يقال اللهم افتح بيني وبين فلان اي احكمم يقولون متى هذا الفتح اي متى هذا القضاء ويوم الفتح يوم القضاء وقال الشاعر

أَلَا أَبْلَغُ بَنِي عَصْمٍ رُسُولًا فَإِنِّي عَنْ قُتَابِكُمْ غَنِيٌّ

ويقال للقاضي الفتح ومنها التعام يقال افتح علي هذا اي علمني ما عندك فيه ومنها النصرة يقال استفتحه اي اطلب منه النصرة ومنه قوله ان تستفتحو فقد جاءم الفتح ويستعمل في فتح البلدان يقال فتح المسلمون ارض كذا والمحااجة والمجادلة والمناظرة نظائر فالمحااجة ان يحتاج كل واحد من الحُصنين على صاحبه والحجة الوجه الذي به يكون الظفر عند الحجاج ويقال حاججته فحججته وفي الحديث فحج آدم موسى اي غلبه في الحجة وأصله من التصدومنه الحج وهو التصد الى بيت الله الحرام على وجه مخصوص فالحجة هي النكته المقصودة في تصحيح الامور

﴿ النزول ﴾

روي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انه قال كان قوم من اليهود وليسوا من العاندين المتواطئين اذا لقوا المسلمين حدثوهم بما في التوراة من صفة محمد فنهاهم كباروهم عن ذلك وقالوا لا تخبروهم بما في التوراة من صفة

محمد فيحاجوكم به عند ربكم فزلت هذه الآية وقال مجاهد نزلت في بني قريظة لما قال لهم النبي صلى الله عليه وآله يا اخوة القردة والخنازير قالوا من اخبر محمدا بهذا ما خرج الا منكم وقال السدي هو لاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا فكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذب به اسلافهم فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به فيقولون نحن اكرم على الله منكم

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر الله سبحانه خصلة اخرى من خصالهم الذميمة فقال «و» هم الذين «اذا لقوا الذين آمنوا» اي رؤوهم «قالوا آمنا» اي صدقنا بمحمد انه نبي صادق نجده في كتابنا بنعته وصفته وبما صدقتم به واقربنا بذلك اخبر الله تعالى عنهم انهم تخلقوا بأخلاق المنافقين وتحاوروا بجليتهم واستنوا بسنتهم «واذا خلا بعضهم الى بعض» اي اذا خلا بعض هؤلاء اليهود الذين وصفهم الله الى بعض منهم فصاروا في خلاء وهو الموضع الذي ليس فيه غيرهم «قالوا» يعني قال بعضهم لبعض «اتحدثونهم بما فتح الله عليكم» قال الكلبي بما قضى الله عليكم في كتابكم ان محمدا حق وقوله صدق وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان معناه قالوا لا تحدثوا العرب بهذا فانكم قد كنتم تستفتجون به عليهم اي لا تقرؤا بانته نبي وقد علمت انه قد اخذ له الميثاق عليكم باتباعه وانه النبي الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا اججدوه ولا تقرؤا لهم به وقال الكسائي اتحدثونهم بما بينه الله لكم في كتابكم من العلم ببعث محمد صلى الله عليه وآله والبيشارة وببعض الاقوال فيه ذكرناه في التزول واقرى التأويلات قول من قال اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اي حكم الله به عليكم وقضاه فيكم ومن حكمه عليكم ما اخذ به ميثاقكم من الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وصفته الموصوفة لكم في التوراة ومن قضاه فيكم انه جعل منكم القردة والخنازير وقوله ليحاجوكم به عند ربكم اي ليكون لهم الحجة عليكم عند الله في الدنيا والآخرة في ايمانهم بالنبي صلى الله عليه وآله اذ كنتم مقرين به ومخبرين بصدقه امره من كتابكم فهذا يبين حجتهم عليكم عند الله وقيل معناه ليجادوكم ويقولوا لكم قد اقررتم انه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه وقوله «عند ربكم» قال ابن الانباري معناه في حكم ربكم كما يقال هذا حلال عند الشافعي اي في حكمه وهذا يجمل عند الله اي في حكمه وقوله «افلا تعقلون» اي افلا تفقهون ايها القوم ان اخباركم محمدا واصحابه بما تخبرونهم به من وجود نعت محمد في كتبكم حجة عليكم عند ربكم يحتاجون بها عليكم وقيل معناه افلا تعقلون ايها المؤمنون انهم لا يؤمنون فلا تطمعوا في ذلك عن الحسن وقيل انه خطاب لليهود اي فلا تعقلون ايها اليهود اذ تقبلون من رؤسائكم مثل هذا وهذا تحذير لهم عن الرجوع الى قول رؤسائهم

قوله تعالى (٧٧) **أَوَّلًا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ** (آية)

﴿ المعنى ﴾

«اولاً يعلمون» يعني اليهود ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فكيف يستجيزون ان يسروا الى اخوانهم النهي عن التحدث بما هو الحق وهم مقرون بذلك غير جاحدين بأن الله يعلم سرهم وجهرهم كالكفار والمنافقين فهم من هذه الجبة ألوم والمذمة لهم الزم عن اكثر المفسرين وقيل معناه اولاً يعلمون ان الله يعلم ما يسرون من كفرهم وتكذيبهم محمدا اذا خلا بعضهم الى بعض وما يعلنون من قولهم آمنا اذا لقوا اصحاب محمد ليرضوهم بذلك عن قتادة واي العالمة

قوله تعالى (٧٨) **وَمِنْهُمْ أَمْيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ** (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وشيبة والحسن امانى محففة والباقون بالتشديد وكذلك في قوله ليس بأمانىكم ولا امانى اهل الكتاب

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني الاصل فيه التثميل امانى في جمع امنية والتخفيف في هذا النحو كثير والمحذوف منه الياء الاولى التي هي نظيرة ياء المد مع غير الادغام نحو ياقراطيس وحوامين وارجيح جمع حومانة وارجوحة الا تراها قد حذفت في نحو قوله (والبكرات الفسح العظامسا) وقوله (وغير سفع مثل يحام) يريد عظاميس ويحاميم على ان حذف الياء مع الادغام اسهل من حذفه ولا ادغام معه وذلك ان هذه الياء لما ادغمت خفيت وكادت تستهلك فاذا انت حذفها فكأنك انما حذفت شيئا هو في حال وجوده في حكم المحذوف

﴿ اللغة ﴾

الامى الذي لا يحسن الكتابة ولما سمي اميا لاحد وجوه ﴿ احدها ﴾ ان الامة الخلقه فسمي اميا لانه باق على خلقته ومنه قول الاعشى

وَأَنَّ مَعَاوِيَةَ الْأَكْرَمِينَ حَسَانَ الْوُجُوهِ طَوَالَ الْأُمَمِ

(وثانيها) انه مأخوذ من الامة التي هي الجماعة اي هو على اصل ما عليه الامة في انه لا يكتب لانه يستفيد الكتابة بعد ان لم يكن يكتب (وثالثها) انه مأخوذ من الام اي هو على ما ولدته امه في انه لا يكتب وقيل انما نسب الى امه لان الكتابة انما تكون في الرجال دون النساء والامنية ذكر فيها وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناها التلاوة يقال تمني كتاب الله اي قرأ وتلا وقال كعب بن مالك

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوْلَ لَيْلَةٍ وَأَخْرَهُ لَأَقِي حِمَامَ الْمَقَادِرِ

وقال آخر

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ بِاللَّيْلِ خَالِيًا تَمَنَّى دَاوُدَ الزُّبُورَ عَلَى رُسُلِ

(وثانيها) ان المراد بالاماني الاحاديث المختلفة عن الفراء والعرب تقول أنت افاتتني هذا القول اي تحتلقه وقال بعضهم ما تمنيت مذ اسلمت اي ما كذبت (وثالثها) ان المراد بالاماني انهم يتمنون على الله ما ليس لهم مثل قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقوله نحن ابنا لله واجباؤه وقال الزجاج اذا قال القائل ما لا يعلمه فكأنه انما يتمناه وهذا مستعمل في كلام الناس تقول للذي يقول ما لا حقيقة له وهو يحبه هذا المنيقي وهذه امنية والظن هو ترجيح احد الجانبين على الآخر لا مارة صحيحة وليس هو من قبيل الاعتقادات على الصحيح من المذهب وفي الناس من قال هو اعتقاد

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج يرتفع اميون بالابتداء ومنهم الخبر وفي قول الاخفش يرتفع اميون بفعلهم كان المعنى واستقر منهم قال ابو علي ليس يرتفع اميون عند الاخفش بفعلهم وانما يرتفع بالظرف الذي هو منهم ومذهب سيبويه انه يرتفع بالابتداء ففي منهم عنده ضمير لقوله اميون وموضع منهم على مذهبه رفع لوقوعه موقع خبر الابتداء فاما على مذهب الاخفش فلا ضمير لقوله اميون في منهم ولا موضع له عنده كما لا موضع لذهب في قولك ذهب زيد وانما رفع الاخفش الاسم بالظرف لانه نظر الى هذه الظروف فوجدتها تجري مجرى الفعل في مواضع وفي انها تحتل الضمير كما يحتلها الفعل وما قام مقامه من اسماء الفاعلين وما شبه به ويؤكدها فيها كما يؤكده ما في الفعل وما قام مقامه في نحو مررت بقوم لك اجمعون وينصب عنها الحال كما ينصب بالفعل ويوصل بها الاسماء الموصولة كما يوصل بالفعل والفاعل فيصير فيها ضمير الموصول كما يصير ضميره في الفعل ويوصف به النكرة كما يوصف بالفعل والفاعل فلما رآها في هذه المواضع تقوم مقام الفعل اجراها ايضا مبتدا مجرى الفعل فرفع بها الاسم كما رفع بالفعل

اذ قامت هذه الظروف مقام الفعل في هذه المواضع فقال في عندك زيد وفي الدار عمرو ومنهم اميون ونحو ذلك انه يرتفع بالظرف اذ كان الظرف قد اقيم مقام الفعل في غير هذه المواضع والدليل على ان الاسم هاهنا يرتفع بالظرف دون الفعل الذي هو استقر ونحوه انه لو كان مرتفعا بالفعل لجاز قائما في الدار زيد كما يجوز قائما استقر زيد فامتناع تقديم الحال هنا يدل على انه لا عمل للفعل هنا وقوله الا امانى نصب على الاستثناء المتقطع كقولهم ما لهم به من علم الا اتباع الظن وكقول الشاعر

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ قَيْسٍ عِتَابٌ غَيْرَ طَعْنِ الْكَلْبِيِّ وَضَرْبِ الرَّقَابِ
وقول النابغة

حَلَقْتُ يَمِينًا غَيْرَ ذِي مَشْنُونِيَّةٍ وَلَا عَلِمَ إِلَّا حَسَنَ ظَنِّ بَصَاحِبِ

وإن في قوله ان هم بمعنى ما اي ما هم الا ظانون فهم مبتدأ ويظنون خبره

﴿ المعنى ﴾

«ومنهم» يعني ومن هو لا اليهود الذين قص الله قصصهم في هذه الآيات وقطع الطمع عن ايمانهم «اميون» اي غير عالين بمعاني الكتاب يعلمونها حفظا وتلاوة لا رعاية ودراية وفهما لما فيه عن ابن عباس وقتادة وقال ابو عبيدة الاميون هم الامم الذين لم ينزل عليهم كتاب والنبي الامي الذي لا يكتب وانشد تبع

لَهُ أُمَّةٌ سُمِّيَتْ فِي الزُّبُو رِ أُمَّةٌ هِيَ خَيْرُ الْأُمَّةِ

وقوله «لا يعلمون الكتاب» اي لا يعلمون ما في الكتاب الذي انزل الله عز وجل ولا يدرون ما اودعه الله اياه من الحدود والاحكام والقرائن فهم كهيشة البهائم مقلدة لا يعرفون ما يقولون والكتاب المعني به التوراة ادخل عليه لام التعريف «الا» بمعنى لكن «اماني» اي قولايه قولونه بافواههم كذبوا عن ابن عباس وقيل احاديث يحدثهم بها علماءهم عن الكافي وقيل تلاوة يتلونونها ولا يدرونها عن الكسائي والفراء وقيل امانى يتمنون على الله الرحمة ويخطر الشيطان بباهم ان لهم عند الله خيرا ويتمنون ذهاب الاسلام بموت الرسول (ص) وعود الرياسة اليهم وقيل امانى يتخرصون الكذب ويقولون الباطل والتمني في هذا الموضوع هو تخلق الكذب وتخرصه ويقوي ذلك قوله وان هم الا يظنون فبين انهم يخلعون ما يخلعون من الكذب ظنا لا يقينا ولو كان المعنى انهم يتلونونه لا كانوا ظانين وكذلك لو كانوا يتمنونونه لأن الذي يتلوه اذا تدبره علمه ولا يقال للمتمني في حال وجود تمنيه انه يظن تمنيه ولا أنه شاك فيما هو عالم به واليهود الذين عاصروا النبي لم يشكوا في ان التوراة من عند الله وقوله «وان هم الا يظنون» معناه انهم يشكون وفي هذه الآية دلالة على أن التقليد في معاني الكتاب وفيما طريقه العلم غير جائز وان الاقتصار على الظن في ابواب الديانات لا يجوز وان الحججة بالكتاب قائمة على جميع الخلق وان لم يكونوا عالين اذا تمكنوا من العلم به وان من الواجب ان يكون التعويل على معرفة معاني الكتاب لا على مجرد تلاوته

قوله تعالى (٧٩) قَوْلِ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلِ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

الويل في اللفظة كلمة يستعملها كل واقع في هلكة واصله العذاب والهلاك ومثله الويح والويس وقال الاصمعي هو التقيح ومنه ولكم الويل مما تصفون وقال الفضل معناه الحزن وقال قوم هو الهوان والحزني ومنه قول الشاعر

يَا زَبْرَقَانَ أَخَا بَنِي خَلْفٍ مَا أَنْتَ وَبَيْلَ أَيْبِكَ وَالْفَخْرُ

واصل الكسب العمل الذي يجلب به نفع او يدفع به ضرر وكل عامل عملا يباشرة منه له ومعاناة فهو كاسب له قال لبيد
 لمُعْتَرٍ قَهْدٍ يُنَازِعُ شُلُوهُ عُبْسٌ كَوَاسِبٌ مَا يُمْنُ طَعَامُهَا
 وقيل الكسب عبارة عن كل عمل بجارحة يجتلب به نفع او يدفع به مضرة ومنه يقال للجوارح من الطير كواسب

﴿ الاعراب ﴾

ويل رفع بالابتداء وخبره للذين قال الزجاج ولو كان في غير القرآن لجاز فويلا للذين على معنى جعل الله ويلا
 للذين والرفع على معنى ثبوت الويل للذين وقال غيره اذا اضفت ويل وويح وويس نصبت من غير تنوين فقلت
 ويح زيد وويل زيد واما التعس والبعد وما اشبهها فلا يحسن فيها الاضافة بغير لام فلذلك لم ترفع وانما يقال في
 نحوها تعسا له وبعدا له وتبا له وقد نصب ايضا ويل وويح مع اللام فقالوا ويلا زيد وويجا له قال الشاعر

كَسَا الْاَوْمُ تَيْمًا خُضْرَةً فِي جُلُودِهَا فَوَيْلًا لِتَيْمٍ مِنْ سَرَائِيلِهَا الْخُضْرُ

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد سبحانه الى ذكر علماء اليهود فقال «فويل للذين يكتبون الكتاب» قال ابن عباس الويل في الآية
 العذاب وقيل جبل في النار وروى الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله انه واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين
 خريفا قبل ان يبلغ قعره والاصل فيه ما ذكرناه من انه كلمة التحسر والتفجع والتلهف والتوجع يقولها كل
 مكروب هالك وفي التنزيل ياويلتنا ما لهذا الكتاب وقوله «الذين يكتبون الكتاب بأيديهم» ثم يقولون هذا من
 عند الله «معناه يتولون كتابته ثم يضيفونه الى الله سبحانه كقوله سبحانه مما علمتنا الله سبحانه انهم يكتبونه
 نكاه الى احد من عبادنا ومثله خلقت بيدي ويقال رأيت به بعيني وسمعت به بأذني ولقيته بنفسي والمعنى في جميع ذلك
 التأكيد وايضا فقد يضيف الانسان الكتاب الى نفسه وقد امر غيره بالكتابة عنه فيقول انا كتبت الى فلان
 وهذا كتابي الى فلان وكقوله سبحانه يذبح ابناهم وانما امر به فاعلمنا الله سبحانه انهم يكتبونه بأيديهم
 ويقولون هو من عند الله وقد علموا يقينا انه ليس من عنده وقيل معناه انهم فعلوا ذلك من تلقاء انفسهم
 كالرجل اذا اخترع مذهبا او قولا لم يسبق اليه يقال له هذا مذهبك وهذا قولك وان كان جميع ما يؤخذ عنه من
 الاقوال قوله والمراد ان هذا من تلقاء نفسك وانك لم تسبق اليه وقيل كتابتهم بأيديهم انهم عمدوا الى التوراة
 وحرفوا صفة النبي صلى الله عليه وآله ليقعوا الشك بذلك للمستضعفين من اليهود وهو المروي عن ابي جعفر الباقر
 عليه السلام وعن جماعة من أهل التفسير وقيل كانت صفة في التوراة اسم ربعة فجعلوه ادم طويلا وفي رواية
 عكرمة عن ابن عباس قال ان احبار اليهود وجدوا صفة النبي صلى الله عليه وآله مكتوبة في التوراة اكحل عين
 ربعة حسن الوجه فمحوه من التوراة حسدا وبغيا فأتاهم نفر من قريش فقالوا اتجدون في التوراة نبيا منا قالوا
 نعم نجده طويلا ازرق سبط الشعر ذكره الواحدي بإسناده في الوسيط وقيل المراد بالآية كاتب كان يكتب
 للنبي فيغير ما يبلي عليه ثم ارتد وات فلفظته الارض والاول اوجه لأنه أليق بنسق الكلام وقوله «ليشتروا به ثمنا
 قليلا» يريد ليأخذوا به ما كانوا يأخذونه من عوامهم من الاموال وانما ذكر لفظ الاشتراء توسعا والمراد انهم تركوا
 الحق واظهروا الباطل ليأخذوا على ذلك طريقة معروفة يعرفها من تصفح كلامهم وقيل انما وصفه بالقلعة لأنه عرض
 لا يكون الا قليلا والعرب في ذلك طريقة معروفة يعرفها من تصفح كلامهم وقيل انما قال قليل لأنه حرام وقوله «فويل
 الدنيا وهو قليل المدة كقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل عن ابي العالية وقيل انما قال قليل لأنه حرام وقوله «فويل
 لهم مما كتبت ايديهم» اي عذاب لهم وخزي لهم وقبح لهم مما فعلوا من تحريف الكتاب «وويل لهم مما يكسبون»
 من المعاصي وقيل مما يجمعون من المال الحرام والرشي التي يأخذونها عن العوام

قوله تعالى (٨٠) وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ اِلَّا اَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ اَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ اَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

المس نظير اللبس والفرق بينهما ان مع اللبس احساسا واصله اللصوق وحده الجمع بين الشئين على نهاية القرب والاختلاف نقض ماتقدم من العهد بالفعل

﴿ الاعراب ﴾

اياما انتصب على الظرف واصل اتخذتم اتخذتم دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل ومن اقراء من ادغم الذال في التاء من اتخذتم وفيهم من لم يدغم وام هاهنا يحتمل أن تكون متصلة على المعادلة لهمزة الاستفهام كأنه قال على اي الحالتين انتم اتقولون على الله ما تعلمون ام تقولون عليه ما لاتعلمون ويحتمل أن تكون منقطعة على تقدير تمام الكلام قبله فيكون بمعنى بل والهمزة كأنه استأنف فقال بل اتقولون

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس ومجاهد قدم رسول الله (ص) المدينة واليهود ترعم أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما يعذب بكل الف سنة يوما واحدا ثم ينقطع العذاب فانزل الله هذه الآية وقال ابو العالية وعكرمة وقتادة هي اربعون يوما لأنها عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل

﴿ المعنى ﴾

«وقالوا» اي قالت اليهود «لن تمسنا النار» أي لن تصيبنا «الا اياما معدودة» معناه اياما قلائل كقوله دراهم معدودة وقيل معدودة محصاة والمعدودة اذا اطلقت كان معناها القليلة قال الله سبحانه قل يا محمد لهم «اتخذتم عند الله عهدا» اي موثقا انه لا يعذبكم الا هذه المدة وعرفتم ذلك بوجوه وتزييل فان كان ذلك قاله سبحانه لا ينقض عهده وميثاقه «ام تقولون على الله» الباطل جهلا منكم به وجرأة عليه

قوله تعالى (٨١) بَلَىٰ مِنْ كَسْبِ سَيِّئَةٍ وَاحْطَأْتِ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل المدينة خطيباته على الجمع والباقون على التوحيد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي يجوز ان يكون من للجزاء الجازم ويجوز ان يكون للجزاء غير الجازم فتكون السينة وان كانت مفردة يراد بها الكثرة وكذلك تكون خطيئة مفردة وانما حسن ان يفرد لأنه مضاف الى ضمير مفرد وان كان يراد به الكثرة كما قال تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه فافرد الوجه والاجروان كان في المعنى جمعا في الموضوعين فكذلك المضاف اليه الخطيئة لا لم يكن جمعا لم يجمع كما جمعت في قوله نفقر لكم خطاياكم وليغفر لنا خطايانا لأن ذلك مضاف الى جمع ومن قال خطيباته فجمع حمله على المعنى والمعنى الجمع والكثرة ويدل عليه قوله فاولئك اصحاب النار فاولئك خبر المبتدأ الذي هو من في قول من جعله جزاء غير مجزوم كقوله وما بكم من نعمة فمن الله او مبتدأ في قول من جعله جزاء مجزوما وفي كلا الوجهين يراد به من في قوله بلى من

كسب سيئة ومما يدل على أن من يراد به الكثرة فيجوز لذلك أن يجمع خطيئة لأنها مضافة الى جمع في المعنى قوله بعد هذه والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون الا ترى ان الذين جمع وهو معادل به فكذلك المعادل به يكون جمعا مثل ما عودل

﴿ الاعراب ﴾

بلى جواب قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة والفرق بين بلى ونعم ان بلى جواب النفي ونعم جواب الايجاب قال القراء انما امتنعوا من استعمال نعم في جواب الجحد لأنه اذا قال لغيره مالك علي شي . فقال له نعم فقد صدقه وكأنه قال نعم ليس لي عليك شي . واذا قال بلى فإنما هو رد لكلامه اي لي عليك شي . وقوله هم فيها خالدون عطف هذه الجملة على الاولى بغير حرف العطف لأن في الجملة الثانية ذكرا بمن في الاولى والضمير يربط الكلام الثاني بالاول كما ان حرف العطف يربطه به مثل قوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجمون وقال في موضع آخر وكانوا يصرون بالواو وقال سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجبا بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم خذفت الواو من قوله رابعهم وسادسهم استغناء عنها بما في الجملة من ذكر ما في الاول لأن الحرف يدل على الأتصال وما في الجملة من ذكر ما تقدمها اتصال ايضا فاستغنى به عنه

﴿ المعنى ﴾

رد الله تعالى على اليهود قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة فقال «بلى» اي ليس الامر كما قالوا ولكن «من كسب سيئة» اختلف في السيئة فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم السيئة هاهنا الشرك وقال الحسن هي الكبيرة الموجبة للنار وقال السدي هي الذنوب التي اوعده الله عليها النار والقول الاول يوافق مذهبنا لأن ما عدا الشرك لا يستحق به الخلود في النار عندنا وقوله «احاطت به خطيئته» يشتمل امرين (احدهما) انها احذقت به من كل جانب كقوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين والثاني ان المعنى اهلكته من قوله الا ان يحاط بكم وقوله وظنوا انهم احيط بهم وقوله واحيط بشمره وهذا كله بمعنى البوار والهلكة فالمراد انها سدت عليهم طريق النجاة وروي عن ابن عباس والضحاك وابي العالية ان المراد بالخطيئة الشرك وعن الحسن انها الكبيرة وعن عكرمة ومقاتل انها الاصرار على الذنب وانما قال من كسب سيئة واحاطت به خطيئته ولم يقل واحاطت به سيئته خالف بين اللفظين ليكون ابلغ وافصح «فاولئك اصحاب النار» اي يصحبون النار ويلاذونها «هم فيها خالدون» اي داعون ابدان عن ابن عباس وغيره والذي يليق بمذهبنا من تفسير هذه الآية قول ابن عباس لأن اهل الايمان لا يدخلون في حكم هذه الآية وقوله واحاطت به خطيئته يقوي ذلك لأن المعنى ان خطاياهم قد اشتملت عليه واحذقت به حتى لا يجدها مخلصا ولا مخرجا ولو كان معه شي . من الطاعات لم تكن السيئة محيطة به من كل وجه وقد دل الدليل على بطلان التحايط ولأن قوله تعالى «والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون» فيه وعد لأهل التصديق والطاعة بالثواب الدائم فكيف يجتمع الثواب الدائم مع العقاب الدائم ويدل ايضا على ان المراد بالسيئة في الآية الشرك فيبطل الاحتجاج بالآية على دخول العمل في الايمان على ما ذكره اهل التفسير ان سيئة واحدة لا تحبط جميع الاعمال عند أكثر الخصوم فلا يمكن اذا اجراء الآية على العموم فيجب ان يحمل على أكبر السيئات واعظم الخطيئات وهو الشرك ليتمكن الجمع بين الآيتين

قوله تعالى (٨٣) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهََ وَإِنَّا لَنَدِينُكُمْ
إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
فَمَنْ تَوَلَّىٰكُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وحزمة والكسائي لا يعبدون بالياء والباقون بالثاء وقرأ حمزة والكسائي وقولوا للناس حسنا بفتح الحاء والسين والباقون حسنا بضم الحاء واسكان السين

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ لا تعبدون بالثاء على الخطاب قوله وإذا اخذنا ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم إلى آخر الآية ويقويه قوله وقولوا وقوله ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون فاذا كان هذا خطابا وهو عطف على ما تقدم وجب ان يكون المعطوف عليه في حكمه وحجة من قرأ بالياء قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وحمله على لفظ الغيبة واما قوله حسنا فمن قرأه بضم الحاء ففيه ثلاثة اوجه ﴿ احدها ﴾ ان يكون الحسن بمعنى الحسن كالنجل والنجل والرشد والرشد وجاز ذلك في الصفة كما جاز في الاسم قالوا العرب والعرب وهو صفة بدلالة قولهم مرتت يقوم عرب اجتمعين فعلى هذا يكون الحسن صفة كالحلو والمر و (ثانيها) ان يكون الحسن مصدرا كالشكر والكفر وحذف المضاف معه اي قولوا قولوا ذا حسن و (ثالثها) ان يكون منصوبا على انه مصدر الفعل الذي دل عليه الكلام اي ليحسن قولكم حسنا ومن قرأه حسنا جعله صفة وتقديره وقولوا للناس قولوا حسنا كقوله تعالى فامتعه قليلا اي متاعا قليلا

﴿ اللغة ﴾

الاخذ ضد الاعطاء والقربى مصدر قولهم قربت مني رحم فلان قرابة وقربى وقربا واليتامى جمع يتيم مثل نديم وندامي واليتيم الذي مات ابوه الى ان يبلغ الحلم ولا يقال لمن ماتت امه يتيم يقال يتيم يتيم يتيم اذا فقد اباه هذا في الانسان فاما في غير الانسان فيتمه من قبل امه قال الاصمعي ان اليتيم في الناس من قبل الأب وفي غير الناس من قبل الأم والمسكين هو المتخشح المتذلل من الحاجة مأخوذ من السكون كأنه قد اسكنه الفقر

﴿ الاعراب ﴾

قوله لا تعبدون لا يخلو اما ان يكون حالا او يكون تليقي القسم او يكون على لفظ الخبر والمعنى معنى الامر او يكون على تقدير ان لا تعبدوا فتحذف ان فيرتفع الفعل فان جعلته حالا فالاولى ان يكون بالياء ليكون في الحال ذكر من ذي الحال وكأنه قال اخذنا ميثاقهم موحدين وان جعلته تليقي قسم وعطفت عليه الامر وهو قوله وقولوا كنت قد جمعت بين امرين لا يجمع بينهما فإن لم تحمل الامر على القسم واضمرت القول كأنه قال وإذا اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وقلنا واحسنوا بالوالدين احسانا فيكون وقلنا على هذا معطوفا على اخذنا جاز لأن اخذ الميثاق قول فكأنه قال قلنا لهم كذا وكذا وان حملته على ان اللفظ لفظ خبر والمعنى معنى الامر يكون مثل قوله توؤمنون بالله ورسوله ويدل على ذلك قوله يغفر لكم ويؤكده ذلك انه قد عطف عليه بالامر وهو قوله وبالوالدين احسانا وقولوا واقموا الصلاة وان حملته على ان المعنى اخذنا ميثاقهم بأن لا تعبدوا فلما حذف ان ارتفع الفعل كما قال طرفه

أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرُ الْوَعْيِ وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي

فان هذا قول ان حملته عليه كان فيه حذف بعد حذف وزعم سيويه ان حذف ان من هذا النحو قليل وقوله وبالوالدين احسانا الحرف الجار يتعلق بفعل مضمر ولا يجوز ان يتعلق بقوله احسانا لأن ما تعلق بالمصدر لا يجوز ان يتقدم عليه . واحسن يصل الى المفعول بالياء كما يصل بالي يدل على ذلك قوله وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن فتعدى بالياء كما تعدى بالي في قوله واحسن كما احسن الله اليك وقوله ثم توليتم الا قليلا منكم قال

الزجاج نصب قليلا على الاستثناء المعنى استثنى قليلا منكم قال ابو علي ان في هذا التمثيل ايها ما ان الاسم المستثنى ينتصب على معنى استثنى او بالاً وليس كذلك بل ينتصب الاسم المستثنى عن الجملة التي قبل الا بتوسط الاكبر ينتصب الطياسة ونحوها في قولك جاء البرد والطياسة وما صنعت وابلك عن الجملة التي قبل الراو بتوسط الراو ويدل على ذلك قولهم ما جاءني الا زيد فلو كان لا لاً او لا يدل عليه عمل في المستثنى لجاز نصب هذا كما انك لو قلت استثنى زيدا لنصبته فان قيل لا يجوز النصب هنا لأن الفعل يبقى فارغا بلا فاعل قيل فهلا ذلك امتناع هذا من الجواز على ان ما بعد الا متصل بما قبلها وانه ليس لا لاً فيه عمل ولا اثر الاما يدل عليه من معنى الاستثناء

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد سبحانه الى ذكر بني اسرائيل فقال «و» اذكروا «اذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل» اي عهدهم وقيل الميثاق الادلة من جهة العقل والشرع وقيل هو موثيق الانبياء على امهم والعهد والميثاق لا يكون الا بالقول فكانه قال امرناهم ووصيناهم واكدنا عليهم وقتلنا لهم والله «لاتعبدون» اذا حملناه على جواب القسم واذا حملناه على الحال او على أن معناه الامر فكما قلناه قبل واذا حملناه على حذف ان فتقديره واذا أخذنا ميثاق بني اسرائيل بأن لا تعبدوا «الا الله» وحده دون ما سواه من الابدان وبأن تحسنوا الى «الوالدين احسانا» والاحسان الذي اخذ عليهم الميثاق بأن يفعلوه الى الوالدين هو ما فرض على امتنا ايضا من فعل المعروف بها والقول الجميل وخفض جناح الذل لها والتحنن عليها والرافة بها والدعاء بالخير لها وما أشبه ذلك وقوله «وذى القربى» اي وبذى القربى ان تصلوا قرايبه ورحمه «واليتامى» اي وباليتامى ان تعطفوا عليهم بالرافة والرحمة «والمساكين» اي وبالمساكين ان تؤموا حقوقهم التي اوجبها الله عليهم في اموالهم وقوله «وقولوا للناس حسنا» فيه عدول الى الخطاب بعد الخبر وانما استجازت العرب ذلك لأن الخبر انما كان عن مخاطبه بعينه لا عن غيره وقد يخاطبون ايضا ثم يصيرون بعد الخطاب الى الخبر فثالث الاول قول عنزة

شَطَّتْ مَرْأَرَ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ
عَسِيراً عَلَى طُلَّابِكِ ابْنَةَ مَخْرَمٍ

ومثال الثاني قول كثير عزة

أَسِئِنِي بِنَا أَوْ أَسِئِنِي لِمَلُومَةٍ
لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتْ

وقيل معناه قلنا لهم قولوا واختلف في معنى قوله حسنا فقيل هو القول الحسن الجميل والخلق الكريم وهو ما ارتضاه الله واحبه عن ابن عباس وقيل هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عن سفيان الثوري وقال الربيع بن انس قولوا للناس حسنا اي معروفاً وروى جابر عن ابي جعفر الباقر عليه السلام في قوله وقولوا للناس حسنا قال قولوا للناس احسن ما تحبون ان يقال لكم فان الله يبغض اللعان السباب الطعان على المؤمنين الفاحش المتفحش السائل الملحف ويجب الحليم العفيف المتعفف ثم اختلف فيه من وجه آخر فقيل هو عام في المؤمن والكافر على ما روي عن الباقر عليه السلام وقيل هو خاص في المؤمن واختلف من قال انه عام فقال ابن عباس وقتادة انه منسوخ بآية السيف وبقوله عليه السلام قاتلوهم حتى يقولوا لا اله الا الله او يقرؤا بالجزية وقد روي ذلك ايضا عن الصادق عليه السلام وقال الاكثرون انها ليست بمنسوخة لأنه يمكن قتالهم مع حسن القول في دعائهم الى الايمان كما قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وقال في آية اخرى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقوله «واقبوا الصلوة» اي ادوها بمجدودها الواجبة عليكم «وأآتوا الزكوة» اي اعطوها اهلها كما اوجبها الله عليكم روي عن ابن عباس ان الزكاة التي فرضها الله على بني اسرائيل كانت قربانا تهبط اليه نار من السماء فتحمله فكان ذلك تقبله ومتى لم تفعل النار به ذلك كان غير مقبل وروي عنه ايضا ان المعنى به طاعة الله والاخلاص وقوله «ثم توليتم» اي اعرضتم «الا قليلا منكم وانتم معرضون» اخبر الله سبحانه

عن اليهود انهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه وخالفوا امره وتولوا عنه معرضين الا من عصمه الله منهم فوفى الله بعهده وميثاقه ووصفهم لاء بانهم قليل بالاضافة الى اولئك واختلف فيه فقيل انه خطاب لمن كان بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله من يهود بني اسرائيل وذم لهم بنقضهم الميثاق الذي اخذ عليهم في التوراة وتبديلهم امر الله وركوبهم معاصيه وقيل انه خطاب لاسلافهم المذكورين في اول الآية وانما جمع بين التولي والاعراض وان كان معناهما واحدا تأكيدا وقيل معنى تولوا فعلوا الاعراض وهم معرضون اي مستمرين على ذلك وفي هذه الآية دلالة على ترتيب الحقوق فبدأ الله سبحانه بذكر حقه وقدمه على كل حق لانه الخالق المنعم بأصول النعم ثم ثنى بحق الوالدين وخصها بالمزية لكونها سببا للوجود وانعامها بالتربية ثم ذكر ذوي القربى لانهم اقرب الى المكلف من غيرهم ثم ذكر حق اليتامى لضعفهم والفقراء لفقرتهم

قوله تعالى (٨٤) وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

السفك الصب سفكت الدم اسفكه سفكا وواحد الدماء دم واصله دمي في قول اكثر النحويين ودليل من قال ان اصله دمي قول الشاعر

قَلَوُ أَنَا عَلَى حَجَرٍ ذُبِحْنَا جَرَى الدَّمِيَانِ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ

وقال قوم اصله دمي الا انه لا حذف ورد اليه ما حذف منه حركة الميم لتدل الحركة على انه استعمل محذوفا والنفس مأخوذة من النفاسة وهي الجلالة فنفس الانسان نفس ما فيه والدار هي المنزل الذي فيه ابنية المقام بخلاف منزل الارتحال وقال الخليل كل موضع حله قومه فهو دار لهم وان لم يكن فيه ابنية والاقرار الاعتراف والشهادة اخذ من المشاهدة وهو الاخبار عن الشيء بما يقوم مقام المشاهدة في المعرفة

﴿ الاعراب ﴾

تقدير الاعراب في هذه الآية مثل الذي قلناه في الآية الاولى على السواء

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الاخبار عن اليهود بنقض المواثيق والعهود بقوله «واذا اخذنا ميثاقكم» اي ميثاق اسلافكم الذين كانوا في زمن موسى والانبياء الماضين صلوات الله على نبينا وعليهم اجمعين وانما اضاف الميثاق اليهم لكانوا اخلافا لهم على ما سبق الكلام فيه وقوله «لا تسفكون دماءكم» معناه لا يقتل بعضهم بعضا لان في قتل الرجل منهم الرجل قتل نفسه اذا كانت ملتصقا واحدة ودينها واحدا واهل الدين الواحد بمنزلة الرجل الواحد في ولاية بعضهم بعضا قال النبي صلى الله عليه وآله انا المؤمنون في تراحمهم وتعاطفهم بمنزلة الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو واحد تداعى له سائر الجسد بالحسنى والسهر هذا قول قتادة واي العالية وقيل معناه لا يقتل الرجل منكم غيره فيقاربه قصاصا فيكون بذلك قاتلا لنفسه لانه كاسبب فيه وقوله «ولا تخرجون انفسكم من دياركم» معناه لا يخرج بعضهم بعضا من دياركم بأن تغلبوا على الدار وقيل معناه لا تستحقون به الاخراج من دياركم كما فعله بنو النضير وقوله «ثم اقررتم وانتم تشهدون» اي اقررتم بذلك وانتم شاهدون على من تقدمكم باخذنا منهم الميثاق وبما بسذوره من انفسهم من القبول والالزام وقيل معنى اقرارهم هو الرضا به والصبر عليه كما قال الشاعر

أَلَسْتُ كَلْبِيًّا إِذَا سِمْ خِطَّةً أَقْرَ كَأَقْرَارِ الْحَلِيلَةِ لِبَلْبُلٍ

واختلف في الخطاب بقوله وانتم تشهدون فقيل اليهود الذين بين ظهرائي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله أيام هجرته اليهم ونجهم الله تعالى على تضييعهم احكام ما في ايديهم من التوراة التي كانوا يقرنون بحكمها وقال لهم ثم اقررتم يعني اقرأ أولكم وسلفكم وانتم تشهدون على اقرارهم بأخذي الميثاق عليهم بأن لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا أنفسكم من دياركم وتصدقون بذلك عن ابن عباس وقيل انه خبر من الله عز وجل عن اوانلهم ولكنه اخرج الخبر بذلك مخرج المخاطبة لهم على النحو الذي تقدم في الآيات وانتم تشهدون اي وانتم شهد عن ابي العالية ويحتمل قوله وانتم تشهدون امرين ﴿احدهما﴾ ان معناه وانتم تشهدون على أنفسكم بالاقرار و (الثاني) ان معناه وانتم تحضرون سفك دماءكم واخراج أنفسكم من دياركم وقال بعض المفسرين نزلت الآية في بني قريظة والنضير وقيل نزلت في اسلاف اليهود

قوله تعالى (٨٥) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهِرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تَفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَقْتُوهُمْ أَوْ قَتُلُوهُمْ أَوْ تُسَلِّمُوهُمْ فَبِئْسَ الَّذِي كَفَرُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِنَّا نَجْزِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (آية)

﴿القرأة﴾

قرأ اهل الكوفة تظاهرون بتخفيف الظاء هاهنا وفي التحريم والباقون بالتشديد فيها وقرأ ابو جعفر ونافع وعاصم والكسائي ويعقوب اسارى تفادوهم بالالف فيها وقرأ حمزة وحده اسرى تفادوهم بغير الف فيها وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو اسارى بالف تفادوهم بغير الف وكان ابو عمرو وحمزة والكسائي يعلون الراء من اسارى ونافع يقرأ بين بين والباقون يفتحون

﴿الحجة﴾

من قرأ تظاهرون بالتخفيف فالاصل فيه تتظاهرون لحذف التاء الثانية لاجتماع التامين ومن قرأ تظاهرون بالتشديد فالاصل فيه ايضا تتظاهرون فادغم التاء بالظاء لقرب المخرجين وكل واحد من الفريقين كره اجتماع الامثال ففريق خفف بالادغام وفريق خفف بالحذف فالتاء التي اعتلت بالادغام هي التاء التي اعتلت بالحذف ووجه قول من قرأ اسرى انه جمع اسير فعيل بمعنى مفعول نحو قتيل بمعنى مقتول وقتلى وجريح وجرحى وهو اقيس من اسارى ووجه قول من قال اسارى انه شبهه بكسالى وذلك ان الاسير لما كان محبوسا عن كثير من تصرفه للاسر كما ان الكسلان محتبس عن ذلك لعادته السيئة شبه به فاجرى عليه هذا الجمع كما قيل مرضى وموتى وهلكى لا كانوا مبتلين بهذه الاشياء المصابين بها فاشبه في المعنى فعيل بمعنى مفعول فاجرى عليه في الجمع اللفظ الذي لفعيل بمعنى مفعول وكما شبه اسارى بكسالى شبه كسلى بأسرى ومن قرأ تفادوهم فلان لكل واحد من الفريقين فعلا فن الاسر دفع الاسير ومن الأسور منهم دفع فدائه فوجه تفادوهم على هذا ظاهر ومن قرأ تفادوهم فالمعنى فيه مثل المعنى في تفادوهم وهذا الفعل يتعدى الى مفعولين الى الاول بنفسه الى الثاني بالجار كقوله وفديناه بذبح عظيم وقول الشاعر

يُودُونَ لَوْ يَفْدُونَنِي بِنَفْسِهِمْ وَمَنْنِي الْأَوَّاقِي وَالْقِيَانِ التَّوَاهِدِ

وقال الاعشى في فادي

عِنْدَ ذِي تَاجٍ إِذَا قِيلَ لَهُ فَادِ بِالْمَالِ تَرَخِي وَمَرَحِ

المفعول الاول محذوف والتقدير فاد الاسرى بالمال وفي الآية المفعول الثاني الذي يصل اليه الفعل بالحرف محذوف

﴿ اللغة ﴾

تظاهرون تعاونون والظهير المين وقوله والملائكة بعد ذلك ظهير التقدير فيه الجمع واللفظ على الافراد ومثله قول روبة (دعها فما النجوم من صديقها) اي من اصدقائها وظاهر بين درعين لبس احدهما فوق الاخرى والاثم الفعل القبيح الذي يستحق بها اللوم ونظيره الوزر وقال قوم معنى الاثم هو ما تنفر منه النفس ولم يطمئن اليه القلب ومنه قول النبي (ص) لنواس بن سمرعان حين سأله عن البر والاثم فقال البر ما اطأنت اليه نفسك والاثم ما حك في صدرك والعدوان الافراط في الظلم يقال عدا فلان في ظلمه عدوا وعدوا أوعدونا وعداء وقيل العدوان مجاوزة الحد والاسر الأخذ بالقهر واصله الشد والحبس واسره اذا شده وقال ابو عمرو بن العلاء الاسارى الذين هم في الوثاق والاسرى الذين هم في اليد وإن لم يكونوا في الوثاق والحري السوء والذل يقال خزري الرجل خزرا يقال في الحيا خزري خزاية

﴿ الاعراب ﴾

قوله ثم انتم هو لاء فيه ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ ان انتم مبتدأ وهو لاء منادى مفرد تقديره يا هو لاء وتقتلون خبر المبتدأ (وثانيتها) ان هو لاء تأكيد لانتم (وثالثها) انه بمعنى الذين وتقتلون صلة له اي انتم الذين تقتلون انفسكم فعلى هذا يكون تقتلون لا موضع له من الاعراب ومثله في الصلة قوله وما تلك بيمينك يا موسى اي وما التي بيمينك وانشد النحويون في ذلك

عَدَسٌ مَا لِعَبَادِ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ نَجَوْتُ وَهَذَا تَحْمِيلِينَ طَلِيقٌ

وقوله تظاهرون عليهم في موضع نصب على الحال من يخرجون وقوله وهو محرم عليكم اخراجهم هو على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون اضرار الاخراج الذي تقدم ذكره في قوله وتخرجون فريقا منكم ثم بين ذلك بقوله اخراجهم تأكيدا لتراخي الكلام (والآخر) أن يكون هو ضمير القصة والحديث فكانه قال والحديث محرم عليكم اخراجهم كما قال الله قل هو الله احد اي الامر الذي هو الحق الله احد

﴿ المعنى ﴾

«ثم انتم» يا معشر يهود بني اسرائيل بعد اقراركم بالميثاق الذي اخذته عليكم ان لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا انفسكم من دياركم وبعد شهادتكم على انفسكم بذلك انه واجب عليكم ولازم لكم الوفاء به «تقتلون انفسكم» اي يقتل بعضهم بعضا كقوله سبحانه فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اي ليسلم بعضهم على بعض وقيل معناه تتعرضون للقتل «وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم» اي متعاونين عليهم في اخراجكم اياهم «بالاثم والعدوان وان يأتوك اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم» اي وانتم مع قتلهم من تقتلون منكم اذا وجدتم اسيرا في ايدي غيركم من اعدائكم تفدونهم وقتلهم اياهم واخراجكم من ديارهم حرام عليكم كما ان تركهم اسرى في ايدي عدوهم حرام عليكم فكيف تستجيزون قتلهم ولا تستجيزون ترك فدائهم من عدوهم وهما جميعا في حكم اللازم لكم فيهم سواء لأن الذي حرمت عليكم من قتلهم واخراجهم من دورهم نظير الذي حرمت عليكم من تركهم اسرى في ايدي عدوهم «افتوه ممنون ببعض الكتاب» الذي فرضت عليكم فيه فرائض وبيئتكم فيه حدودي واخذت عليكم بالعمل بما فيه ميثاق فتصدقون به فتفادون اسراكم من ايدي عدوهم وتكفرون ببعضه فتجدونه تقتلون من حرمت عليكم قتله من اهل دينكم وقومكم وتخرجونهم من ديارهم وقد علمتم ان الكفر منكم ببعضه نقض منكم لهدي وميثاق واختلف فيمن عنى بهذه الآية فروى عكرمة عن ابن عباس ان قريظة والنضير كانا اخوين كالاوس والخزرج فافتروا فكانت النضير مع الخزرج وكانت قريظة مع الاوس فاذا اقتتلوا عاونت كل فرقة حلفاءها فاذا وضعت الحرب اوزارها فدوا اسراها تصديقا لما في التوراة والاوس والخزرج اهل شرك يعبدون الاوثان لا يعرفون الجنة ولا نارا ولا قيامة ولا كتابا فأنبأ الله

تعالى اليهود بما فعلوه وقال ابو العالية كان بنو اسرائيل اذا استضعف قوم قوماً اخرجوهم من ديارهم وقد اخذ عليهم الميثاق ان لا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا انفسهم من ديارهم واخذ عليهم الميثاق ان اسر بعضهم بعضا ان يفادوهم فاخرجوهم من ديارهم ثم فادوهم فأمنوا بالفداء ففدوا وكفروا بالاخراج من الديار فاخرجوهم وقيل ليس الذين اخرجوهم الذين فدوا ولكنهم قوم آخرون على ملتهم فانبأهم الله تعالى على ذلك وقال ابو مسلم الاصهاني ليس المراد بقوله افتومنون الآية انهم يخرجون وهو محرم ويفدون وهو واجب ولما يرجع ذلك الى بيان صفة محمد صلى الله عليه وآله وغيره وقوله «فاجزاء من يفعل ذلك منكم الا خزفي في الحياة الدنيا» اختلف في الخزفي الذي خزاهم الله اياه بما سلف منهم من المعصية فقيل هو حكم الله الذي انزله على نبيه محمد (ص) من اخذ القاتل بن قتل والتود به قصاصا والانتقام من الظالم للمظلوم وقيل بل هو اخذ الجزية منهم ما اقاموا على ذمتهم على وجه الذل والصغار وقيل الخزفي الذي خزوا به في الدنيا هو اخراج رسول الله صلى الله عليه وآله بني النضير من ديارهم لأول الحشر وقتل بني قريظة وسي ذراريهم وكان ذلك خزيا لهم في الدنيا ثم اعلم الله سبحانه ان ذلك غير مكفر عنهم ذنوبهم وانهم صائرون بعده الى عذاب عظيم فقال «ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب» اي الى اشد العذاب الذي اعده الله لأعدائه وهو العذاب الذي لا روح فيه مع اليأس من التخلص «وما الله بغافل عما تعملون» اي وما الله بساه عن اعمالهم الحبيثة بل هو حافظ لها ويجاز عليها ومن قرأه بالتاء رده الى المواجهين بالخطاب في قوله افتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وبما يسأل في هذه الآية ان ظاهرها يقتضي صحة اجتماع الايمان والكفر وذلك مناف للصحيح من المذهب والقول فيه ان المعنى انهم اظهروا التصديق ببعض الكتاب والانكار للبعض ويحتمل ان يكون المراد بذلك انكم اذا اعتقدتم جميع ذلك ثم عملتم ببعضه دون بعض فكأنكم آمنتم ببعض دون بعض وهذا يدل على انهم لا ينفهم الايمان بالبعض مع الكفر بالبعض الآخر وفي هذه الآية تسلية لتبيننا عليه السلام في ترك قبول اليهود قوله وانحيازهم عن الايمان به فكأنه يقول كيف يقبلون قولك ويسلمون لأمرك ويؤمنون بك وهم لا يعملون بكتابهم مع اقرارهم به وبأنه من عند الله تعالى

قوله تعالى (٨٦) **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

الحقة نقيض الثقل والتخفيف والتسهيل والتهوين نظائر واختلف في الحقة والثقل فقيل انه يرجع الى تناقض الجواهر وتزايدها وقيل ان الاعتماد اللازم سفلا يسمى ثقلا والاعتماد اللازم المختص لجهة العلوي يسمى حقة

﴿ المعنى ﴾

اشار الى الذين اخبر عنهم بانهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فقال «اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا» اي ابتاعوا رياسة الدنيا «بالآخرة» اي رضوا بها عوضا من نعيم الآخرة التي اعدها الله تعالى للمؤمنين جعل سبحانه تركهم حظوظهم من نعيم الآخرة بكفرهم بالله ثم لما ابتاعوه به من خسيس الدنيا ثم اخبر انهم لا حظ لهم في نعيم الآخرة بقوله «فلا يخفف عنهم العذاب» اي لا ينقص من عذابهم ولا يهون عنهم «ولا هم ينصرون» اي لا ينصروهم احد في الآخرة فيدفع عنهم بنصرته عذاب الله تعالى

قوله تعالى (٨٧) **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَإَيْدِنَاهُ يَرْوُحَ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ وَفَرِّقُوا تَفْتُلُونَ** (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير القدس بسكون الدال في جميع القرآن والباقون بضم القاف والدال وروي في الشواذ عن ابي عمرو وأيدناه على زنة افعلناه والقراءة ايدناه بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

التخفيف والتثقيل في القدس وكذلك فيما كان مثله نحو الحلم والحلم والعنق والعنق وايدناه انما كانت القراءة المشهورة فيه فعلنه لا يعرض من تصحيح العين مخافة توالي اعلالين في ايدناه على افعلناه ومعنى هذا انه لو اعلت عينه كما يجب اعلال عين افعلت من الاجوف كأقت وابتعت لتتابع فيه اعلالان لأن اصل ايدت .أيدت كما ان اصل أمن .أمن فانقلبت الهمزة الثانية ألفا لاجتماع همزتين في كلمة واحدة والاولى منها مفتوحة والثانية ساكنة وكان يجب ايضا أن تلتقي حركة العين على الفاء وتحذف العين كما القيت حركة الواو من اقومت على القاف قبلها فصار اقت وكان يجب على هذا ان تقلب الفاء هنا واوا لأنها قد تحركت وانفتح ما قبلها ولا بد من قبلها الوقوع الهمزة الاولى قبلها كما قلبت في تكسير آدم اوادم فكان يجب أن تقول اودته كاقته فتحذف العين كما ترى وتقلب الفاء التي هي في الاصل همزة واوا فيعتل الفاء والعين جميعا واذا كان يودي القياس الى هذا رفض وكثيره فعلت ليوم من الاعلالان وجاء ايدت قليلا شاذا على الأصل واذا كانوا قد اخرجوا عين افعلت وهي حرف علة على الصحة في نحو قوله صَدَدَتْ فَأَطَوَلَتْ الصُّدُودَ وَقَلَمًا وَصَالَ عَلَى طُولِ الصُّدُودِ يَدُومُ واعوز القوم واغيمت السماء ولو اعلت لم يخف فيه توالي اعلالين كان خروج ايدت على الصحة لئلا يجتمع اعلالان اولى واحرى

﴿ اللغة ﴾

قفينا اي اردفنا واتبعنا بعضهم خلف بعض واصله من القفا يقال قفوت فلانا اذا صرت خلف قفاه كما يقال دبرته قال امرؤ القيس

وَقَفَى عَلَى آثَارِهِنَّ بِحَاصِبٍ وَعَيْتَهُ شَوْبُ بُوْبٍ مِنَ الشَّدِّ مُلَهَبٍ

والرسل جمع رسول كالصبر والشكر في جمع صبور وشكور وايدناه قويناه من الايد والاد وهما القوة ومثلها في البناء على فعل وفعل الذيم والذام والعيب والعباب قال العجاج (من ان تبدلت بأدي آدا) اي بقوة شباني قوة الشيب والقدس الطهر والتقديس التطهير وقولنا في صفة الله تعالى القدوس اي الطاهر المتزه عن ان يكون له ولد اويكون في فعله وحكمه ما ليس بعدل وبيت المقدس لا يدخلو المقدس فيه اما ان يكون مصدرا او مكانا فإن كان مكانا فالمعنى بيت المكان الذي فعل فيه الطهارة واطيف الى الطهارة لأنه منسك كما جاء أن طهرا بيتي للطائفتين وتطهيره اخلاؤه من الصنم وابعاده منه فعلى هذا يكون معناه بيت مكان الطهارة وان كان مصدرا كان كقوله الي مرجعكم ونحوه من المصادر التي جاءت على هذا المثال والمهورى مقصورا والشهوة نظيران هوى يهوى هوى

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه انعامه عليهم بارسال رسله اليهم وما قبلوه به من تكذيبهم فقال «ولقد آتينا موسى الكتاب» أي اعطيناه التوراة وانزلناه اليه «وقفينا من بعده» اي اتبعنا من بعد موسى «بالرسل» رسولا بعد رسول يتبع الآخر الأول في الدعاء الى وحدانية الله تعالى والقيام بشرائعه على منهاج واحد لأن كل من بعثه الله تعالى نبيا بعده موسى الى زمن عيسى عليهما السلام فإنما بعثه باقامة التوراة والعمل بما فيها والدعاء الى ذلك «وآتينا عيسى بن مريم البيئات» اي اعطيناه المعجزات والدلالات على نبوته من احياء الموتى وإبراء الأكمه والابصر ونحو ذلك من الآيات الدالة

على صدقه وصحة نبوته وقال بعضهم اراد بالبينات الانجيل وما فيه من الاحكام والآيات الفاصلة بين الحلال والحرام «وايدناه بروح القدس» أي قويناه واعناه بجبريل (ع) عن قتادة والسدي والضحاك والربيع واختلف في سبب تسمية جبرائيل عليه السلام روحا على وجوه ﴿احدها﴾ أنه يجي بما يأتي به من الينيات الاديان كما يجي بالارواح الأبدان (وثالثها) انه سمي بذلك لأن الغالب عليه الروحانية وكذلك سائر الملائكة وانما خص بهذا الاسم تشريفا له (وثالثها) أنه سمي به واضيف الى القدس لأنه كان بتكوين الله تعالى اياه روحا من عنده من غير ولادة والد ولده وقال ابن زيد المراد بروح القدس الانجيل كما سمي الله تعالى القرآن روحا فقال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا فكذلك سمي الانجيل روحا وروى الضحاك عن ابن عباس ان الروح الاسم الذي كان عيسى (ع) يجي به الموتي وقال الربيع هو الروح الذي نفخ فيه فاضافه الى نفسه تشريفا كما قال بيت الله وناقه الله واقرى الاقوال والوجوه قول من قال هو جبرائيل (ع) واذا قيل لم خص عيسى (ع) من بين الانبياء بأنه موميد بجبرائيل وكل نبي موميد به فالقول فيه انه انما خص بذلك لثبوت اختصاصه به من صغره الى كبره فكان يصير معه حيث سار ولما هم اليهود بقتله لم يفارقه حتى صعد به الى السماء وكان تمثل لمريم عند حملها به وبشرها به ونفخ فيها واختلف في معنى القدس فقيل هو الطهر وقيل هو البركة عن السدي وحكي قطرب انهم يقولون قدس عليه الانبياء اي بركوا وعلى هذا فإنه كدعاء ابراهيم (ع) للحرم رب اجعل هذا بلدا آمنا وكقول زكريا واجعله رب رضيا وقيل القدس هو الله تعالى عن الحسن والربيع وابن زيد وقالوا القدوس والقدس واحد وقوله «افكلها جامكم رسول بما لاتهوى انفسكم استكبرتم» خطاب لليهود فكانه قال يامعشر يهود بني اسرائيل اكلمها جامكم رسول من رسلي بغير الذي تهواه انفسكم تعظمت وتجبرت وانتم من قبول قوله «ففرقا كذبتهم وفرقا قتلون» اي فكذبتهم منهم بعضا ممن لم تقدروا على قتله مثل عيسى (ع) ومحمد (ص) وقتلتهم بعضا مثل يحيى وزكريا وغيرهما وظاهر الخطاب وان خرج مخرج التقرير فهو بمعنى الخبر وانما اضاف هذا الفعل اليهم وان لم يباشروه بنفسهم لأنهم رضوا بفعل اسلافهم فاضيف الفعل اليهم وإن فعله اسلافهم

قوله تعالى (٨٨) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

القراءة المشهورة غلف بسكون اللام وروي في الشواذ عن ابي عمرو غلف بضم اللام

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالتسكين فهو جمع الاغلف مثل احمر وحمر ويقال للسيف اذا كان في غلاف اغلف وقوس غلغا، وجمعها غلف ولا يجوز تثنيه الا في ضرورة الشعر نحو قول طرفه

أَيُّهَا الْقَتِيَانُ فِي مَجْلِسِنَا جَرَدُوا مِنْهَا وُرَادًا وَشُفْرًا

فخرت لضرورة الشعر فن قرأ غلف مثقلا فهو جمع غلاف نحو مثال ومثل وحمر فيكون معناه ان قلوبنا اوعية للعلم فما بالها لا تقم ويجوز ان يكون التسكين عن التثنية مثل رسل ورسل

﴿ اللغة ﴾

اللعن هو الاقصاء والابعاد يقال لعن فلان فلان فهو ملعون ثم يصرف مفعول منه الى فيعل فقيل لعين قال الشاعر

وَمَا قَدَّوَرَدَتْ لَوْصَلِ أَرْوَى عَلَيْهِ الطَّيْرُ كَالْوَرَقِ اللَّجِينِ

ذَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ مَقَامَ الذَّنْبِ كَالرُّجْلِ اللَّعِينِ

﴿ الاعراب ﴾

قليلاً منصوب بانه صفة مصدر محذوف وانما حذف لأن الصفة تقوم مقامه وتدل عليه اي فايما قليلا ما يوء منون وقيل انه منصوب على الحال اي يوء منون وهم قليل وقيل تقديره بقليل ما يوء منون حذف الجار فوصل العمل اليه فنصبه وما هاهنا مزيدة للتوكيد ولا معنى لها كما في قوله فبا رحمة من الله وتقدير الكلام قليلا يوء منون وكما في قول الشاعر

لَوْ بَأْبَانِينَ جَاءَ يَخْطِبُهَا خَضَّبَ مَا أَنْفَ خَا ضَبَّ يَدَمِ

وقيل ان معنى ما هاهنا هو ان يدل على غاية التشكير في الاسم وفرط الابهام فيه كما يقال امر ما وشي ما اذا اريد المبالغة في الابهام

﴿ المعنى ﴾

«وقالوا لقلبنا غلف» رجع الكلام الى الحكاية عن اليهود وعن سوء مقالهم وفعالهم فالعنى على القراءة الاولى انهم ادعوا ان قلوبهم ممنوعة من القبول فقالوا اي فائدة في انذارك لنا ونحن لا نفهم ما تقول اذ ما تقوله ليس مما يفهم كقوله تعالى وقالوا لقلبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر وقال ابو علي الفارسي ما يدرك به المعلومات من الحواس وغيرها من الاعضاء اذا ذكر بأنه لا يعلم وصف بان عليه مانعا من ذلك ودونه حائلا فمن ذلك قوله تعالى افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفلها لا كان القفل حاجزا بين القفل عليه وحائلا من ان يدخله ما يدخل اذا لم يكن مقفلا جعل مثلا للقلوب بانها لا تعي ولا تفقه وكذلك قوله لقالوا انما سكرت ابصارنا والذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكرى وقوله بل هم منها عمون كأن شدة عنادهم تجعلهم على الشك في المشاهدات ودفع المعلومات واما المعنى على القراءة الثانية من تحريك العين في غلف فهو على ان المراد ان قلوبنا اوعية للعلم ونحن علماء ولو كان ما تقوله شيئا يفهم اوله طائل لفهمناه او يكون المراد ليس في قلوبنا ما تذكره فلو كان علماء لكان فيها وقوله «بل لعنهم الله بكفرهم» رد الله سبحانه عليهم قولهم اي ليس ذلك كما زعموا لكن الله سبحانه قد اقصاهم وابعدهم من رحمته وطردهم عنها بجحودهم به ورسله وقيل معنى لعنهم طبع على قلوبهم على سبيل المجازاة لهم بكفرهم وقوله «قليلاً ما يوء منون» معناه ان هؤلاء الذين وصفهم قليلوا الايمان بما انزل على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وان كان معهم بعض الايمان من التصديق بالله وبصفاته وغير ذلك مما كان فرضاً عليهم وذلك قليل بالاضافة الى ما جحدوه من التصديق بنبوته نبينا صلى الله عليه وآله وبما جاء به والذي يليق بمذهبنا ان يكون المراد به لا ايمان لهم اصلا وانما وصفهم بالقليل كما يقال قل ما رأيت هذا قط اي ما رأيت هذا قط وان جعلت قليلا نصبا على الحال اي يوء منون قليلا فمعناه لا يوء من به الا نفر قليل كعبد الله بن سلام واصحابه وفي هذه الآية رد على المجبرة لأن هؤلاء اليهود قالوا مثل ما يقولونه من ان على قلوبهم ما يمنع من الايمان ويجول بينها وبينه فكذبهم الله تعالى في ذلك بأن لعنهم وذمهم ولو كانوا صادقين لما استحقوا اللعن والطرود ولكان الله سبحانه قد كلفهم ما لا يطيقونه

قوله تعالى (٨٩) وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (آية)

﴿ الاعراب ﴾

مصدق رفع لأنه صفة لكتاب ولو نصب على الحال لكان جازا لكنه لم يقرأ به في المشهور وقيل ضم على الغاية وقد ذكرنا الوجه فيه فيما تقدم من قوله قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واما جواب لما في قوله ولما جاءهم

كتاب من عند الله فعند الزجاج والاختش محذوف لأن معناه معروف يدل عليه قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا
به كما حذف جواب لو من نحو قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى وتقديره
ولو ان قرآنا سوى هذا القرآن سيرت به الجبال لسيرت بهذا القرآن وقيل ان قوله كفروا جواب لقوله ولما جاءهم
كتاب من عند الله ولقوله فلما جاءهم ما عرفوا وانما كررنا لطول الكلام عن المبرد

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس كانت اليهود يستفتحون اي يستصرون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وآله
قبل مبعضه فلما بعثه الله من العرب ولم يكن من بني اسرائيل كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم
معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن اهل
الشرك وتصفونه وتذكرون انه مبعوث فقال سلام بن مسلم اخو بني النضير ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي
كنا نذكر لكم فاتزل الله تعالى هذه الآية وروى العياشي باسناده رفعه الى ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام
قال كانت اليهود تجدي في كتبها ان مهاجر محمد رسول الله (ص) ما بين عير واحد فخرجوا يطلبون الموضع فمروا بجبل يقال
له حداد فقالوا حداد واحد سواء فنفروا عنده فنزل بعضهم بتيا وبعضهم بفدك وبعضهم بجير فاشتاق الذين بتيا
الى بعض اخوانهم فر بهم اعرابي من قيس فتكادوا منه وقال لهم امر بكم ما بين عير واحد فقالوا له اذا مررت
بها فأذن لها فلما توسط بهم ارض المدينة قال ذلك عير وهذا احد فنزلوا عن ظهر ابله وقالوا له قد اصبنا بغيتنا فلا
حاجة بنا الى ابلك فاذهب حيث شئت وكتبوا الى اخوانهم الذين بفدك وخير انا قد اصبنا الموضع فسلموا اليها
فكتبوا اليهم انا قد استقرت بنا الدار واتخذنا بها الاموال وما اقربنا منكم فاذا كان ذلك فما اسرعنا اليكم
واتخذوا بارض المدينة اموالا فلما كثرت اموالهم بلغ ذلك تبع (١) فغزاهم فتحصنوا منه فحصرهم ثم امنهم فنزلوا
عليه فقال لهم اني قد استطبت بلادكم ولا اراني الا مقيا فيكم فقالوا له ليس ذلك لك انهما مهاجر نبي وليس ذلك
لاحد حتى يكون ذلك فقال لهم فاني مخلف فيكم من اسرتي من اذا كان ذلك ساعده ونصره فخلف حين
تراهم الاوس والخزرج فلما كثروا بها كانوا يتناولون اموال اليهود فكانت اليهود تقول لهم اما لو بعث محمد لنخر جنكم
من ديارنا واموالنا فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله آمنتم به الانصار وكفرت به اليهود وهو قوله تعالى
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا الى آخر الآية

﴿ المعنى ﴾

«ولما جاءهم» اي جاء اليهود من بني اسرائيل الذين وصفهم الله «كتاب من عند الله» يعني به القرآن الذي
انزله على نبيه محمد (ص) «مصدق لما معهم» اي الذي معهم من الكتب التي انزلها الله تعالى قبل القرآن من التوراة
والانجيل وغيرهما وفيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان معناه انه مصدق لما تقدم به الاخبار في التوراة والانجيل فهو
مصدق لذلك من حيث كان مخبره على ما تقدم الخبر به (والآخر) انه مصدق لها اي بأنها من عند الله تعالى
وانها حق «وكانوا» يعني اليهود «من قبل» اي من قبل مبعث النبي (ص) ونزول القرآن «يستفتحون» فيه وجوه
﴿ احدها ﴾ ان معناه يستصرون اي يقولون في الحروب اللهم افتح علينا وانصرنا بحق النبي الامي اللهم انصرنا
بحق النبي المبعوث اليها فهم يسألون عن الفتح الذي هو النصر (وثانيها) انهم كانوا يقولون لمن ينابذهم هذا نبي
قد اطل زمانه ينصرنا عليكم (وثالثها) ان معنى يستفتحون يستعلمون من علمهم صفة نبي يبعث من العرب
فكانوا يصفونه لهم فلما بعث انكروه (ورابعها) ان معنى يستفتحون يستحكمون ربههم على كفار العرب كما قال

أَلَا أُبَلِّغُ بَنِي عُسْمٍ رَسُولًا
فَإِنِّي عَنْ قَتَا حَتِّمْ غَنِي

(١) كذا في النسخ ولكن الصواب تبعا لأنه مفعول بلغ

اي حاكمكم به وقوله «على الذين كفروا» اي مشركي العرب «فلما جاءهم ما عرفوا» يعني محمدا (ص) اي عرفوا صفته ومبعثه «كفروا به» حسدا وبغيا وطلباً للرئاسة «فلعنة الله» اي غضبه وعقابه «على الكافرين» وقد فسرنا معنى اللعنة والكفر فيما مضى

قوله تعالى (٩٠) **يُنَسِّمًا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (آيَةٌ)**

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو ان ينزل خفيفة كل القرآن الا في الانعام ان ينزل آية فإنه شديدا وقرأ ابن كثير بالتخفيف كل القرآن الا في سبحان وينزل من القرآن وحتى تنزل فإنه شديدا وقرأ حمزة والكسائي كل القرآن بالتشديد الا في الم وحم عسق ينزل الغيث فانهما قرأها بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد كل القرآن واتفقوا في الحجر وما نزله انه مشدد

﴿ الحجة ﴾

نزل فعل غير متعد ويعدى بالاضراب الثلاثة وهي النقل بالهمزة وتضعيف العين وحرف الجر فانزل ونزل لغتان وما عدي بالحرف قوله تعالى نزل به الروح الامين فيسبغ روحه وقد كثر مجيئ التنزيل في القرآن فهذا يقوي نزول ولم يعلم فيه الانزال وكثر فيه مجيئ انزل

﴿ اللغة ﴾

بنس ونعم فعلان ماضيان اصلهما على وزن فعل وفيها اربع لغات نعم وبنس مثل حمد ونعم وبنس يسكون العين ونعم وبنس بكسر الفاء والعين ونعم وبنس واشتروا افتعلوا من الشراء واكثر الكلام شريت بمعنى بعت واشتريت بمعنى ابتعت قال يزيد الحميري

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لِيَتَّبِعِي
مِنْ بَعْدِ بُرْدِ كُنْتُ هَامَةً

وربما استعمل اشتريت بمعنى بعت وشريت بمعنى ابتعت والاكثر ما تقدم والبعي اصله الفساد مأخوذ من قولهم بغي الجرح اذا فسد وقيل اصله الطلب لأن الباغي يطلب التطاول والذي ليس له ذلك وسميت الزانية بغيا لأنها تطالب والاهانة الاذلال

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج بنس اذا وقعت على ما جعلت معها ما بمنزلة اسم منكور وانما كان ذلك في نعم وبنس لأنها لا يعملان في اسم علم انما يعملان في اسم منكور دال على جنس او اسم فيه الف ولا م يدل على جنس وانما كانت كذلك لأن نعم مستوفية لجميع المدح وبنس مستوفية لجميع الذم فاذا قلت نعم الرجل زيد فقد قلت استحق زيد المدح الذي يكون في سائر جنسه وكذا اذا قلت بنس الرجل زيد دللت على انه قد استوفى الذم الذي يكون في سائر جنسه فلم يجوز ان يستوفي مدح الاجناس ان يعمل من غير لفظ جنس فاذا كان معها اسم جنس بغير الف ولا م فهو نصب ابدا واذا كانت فيه الف ولا م فهو رفع ابدا نحو نعم الرجل زيد ونعم رجلا زيد وانما نصبت رجلا للتمييز وفي نعم اسم مضمحل على شريطة التفسير ولذلك كانت ما في نعم بغير صلة لأن الصلة توضح وتخصص والقصد في نعم ان يليها اسم منكور او اسم جنس فقوله بنسما اشتروا به انفسهم تقديره بنس شينا اشتروا به انفسهم قال ابو علي قوله ولذلك كانت ما في نعم بغير صلة يدل على ان ما اذا كانت موصولة لم يجوز عنده ان تكون فاعلة نعم وبنس وذلك عندنا لا يمتنع وجهة جوازه ان ما اسم مبهم يقع على الكثيرة ولا يخص واحدا بعينه فان اسماء الاجناس تكون للكثيرة وذلك في نحو قوله تعالى ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم

ويقولون هو لاء شفعوا. ناعند الله فالقصد به هنا الكثرة وان كان في اللفظ مفردا بدلالة قوله ويقولون هو لاء. وتكون معرفة ونكرة كما ان اسما الاجناس تكون معرفة ونكرة وقد اجاز ابو العباس المبرد في الذي ان تلي نعم وبئس اذا كان عاما غير مخصوص كما في قوله والذي جاء بالصدق واذا جاز في الذي كان في ما اجوز فقوله بشما اشتروا به انفسهم يجوز عندي ان تكون ما موصولة وموضعها رفع بكونها فاعلة لبئس ويجوز ان تكون منكرة فتكون اشتروا صفة غير صلة ويدل على صحة ما رأيت قول الشاعر

وَكَيْفَ أَرَهَبُ أَحْرَأَ أَوْ أَرَاعُ لَهُ وَقَدْ زَكَتُ إِلَى بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ
فَنِعْمَ مَزَكًا مِنْ ضَاقَتِ مَذَاهِبُهُ وَنِعْمَ مِنْ هُوَ فِي سِرِّ وَأَعْلَانِ

الا ترى انه جعل مزكا فاعل نعم لما كان مضافا الى من وهي تكون عامة غير معينة واما قوله ان يكفروا بما انزل الله فوضعه رفع وهو المخصوص بالذم فان شئت رفعته على انه مبتدأ مؤخر وان شئت على انه خبر مبتدأ

محذوف اي هذا الشيء المذموم كفروا بما انزل الله وقوله بغيا نصب بأنه مفعول له كقول حاتم
وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ إِدْخَارَهُ وَأَعْرِضُ عَنْ شَتْمِ اللَّئِيمِ تَكْرُمًا

المعنى اغفر عوراءه لا دخاره واعرض عن الشتم للتكرم وموضع ان الثانية نصب على حذف حرف الجر يعني بغيا لأن ينزل الله اي من اجل ان ينزل الله

﴿ المعنى ﴾

ثم ذم الله سبحانه اليهود بايثارهم الدنيا على الدين فقال «بشما اشتروا به انفسهم» اي بنس شيئا باعوا به انفسهم او بنس الشيء باعوا به انفسهم «ان يكفروا» اي كفروهم «بما انزل الله» يعني القرآن ودين الاسلام المنزل على محمد (ص) فاذا سئل كيف باعت اليهود انفسها بالكفر فالجواب ان البيع والشراء إزالة ملك المالك الى غيره بعوض يمتاضه منه ثم يستعمل ذلك في كل معراض من عمله عوضا خيرا كان او شرا فاليهود لما اوبقوا نفوسهم بكفرهم بمحمد (ص) واهلكوها خاطبهم الله بما كانوا يعرفونه فقال بنس الشيء رضوا به عوضا من ثواب الله وما اعده لهم لو كانوا آمنوا بالله وما انزل الله على نبيه النار وما اعد لهم بكفرهم ونظير ذلك الآيات في سورة النساء من قولهم لم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجحيت والطاغوت الى قوله وآتيناهم ملكا عظيما وقوله «بغيا» اي حسد المحمد (ص) اذ كان من ولد اسماعيل وكانت الرسل قبل من بني اسرائيل وقيل طلبا لشيء ليس لهم ثم فسر ذلك بقوله «ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده» وهو الوحي والنبوة وقوله «وباوا بغضب على غضب» معناه رجعت اليهود من بني اسرائيل بعد ما كانوا عليه من الانتصار بمحمد والاستفتاح به والاخبار بانه نبي مبعوث مرتدين ناكسين على اعقابهم حين بعث الله نبيا بغضب من الله استحقوه منه بكفرهم وقال مودج معنى باوا بغضب استوجبوا اللعنة بلغة جرهم ولا يقال باوا مفردة حتى يقال اما بخير واما بشر وقال ابو عبيدة فباوا بغضب احتملوه واقروا به واصل البوء التقرير والاستقرار وقوله على غضب فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان الغضب الاول حين غيروا التوراة قبل مبعث النبي والغضب الثاني حين كفروا بمحمد (ص) عن عطاء وغيره (وثانيتها) ان الغضب الاول حين عبدوا العجل والثاني حين كفروا بمحمد عن السدي (وثالثها) ان الاول حين كفروا بعيسى (ع) والثاني حين كفروا بمحمد (ص) عن الحسن وعكرمة وقتادة (ورابعها) ان ذلك على التوكيد والمبالغة اذ كان الغضب لازما لهم فيتكرر عليهم عن اي مسلم والأصم «وللكافرين عذاب مهين» معناه للجاحدين بنبوة محمد عذاب مهين من الله اما في الدنيا واما في الآخرة والمهين هو الذي يذل صاحبه ويخزيه ويلبسه الهوان وقيل المهين الذي لا ينتقل منه الى اعزاز واکرام وقد يكون غير مهين اذا كان تمحيضا وتكفيرا ينتقل بعده الى اعزاز وتعظيم فعلى هذا من ينتقل من عذاب النار الى الجنة لا يكون عذابه مهينا

قوله تعالى (٩١) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ قَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

ما وراءه اي ما بعده قال الشاعر
تَمَنِّي الأَمَانِي لَيْسَ شَيْءٌ وَرَاءَهَا
كَمَوْعِدِ عُرْقُوبِ أَخَاهُ يَشْرِبُ
قال الفراء معنى وراءه سوى كما يقال للرجل تكلم بالكلام الحسن ما وراء هذا الكلام شي . يراد ليس عند المتكلم به شي . سوى ذلك الكلام

﴿ الاعراب ﴾

قوله مصدقاً نصب على الحال وهذه حال مؤهدة قال الزجاج زعم سيبويه والحليل وجميع النحويين الموشق بعلمهم ان قولك هو زيد قائماً خطأ لأن قولك هو زيد كناية عن اسم متقدم فليس في الحال فائدة لأن الحال يوجب هاهنا انه اذا كان قائماً فهو زيد واذا ترك القيام فليس بزيد فهذا خطأ فاما قولك هو زيد معروفًا وهو الحق مصدقاً في الحال هنا فائدة كأنك قلت اثبتته له معروفًا وكأنه مبتدأ قولك هو زيد حقًا فمعروف حال لأنه انما يكون زيداً بأنه يعرف بزيد وكذلك القرآن هو الحق اذا كان مصدقاً لكتب الرسل عليهم السلام وقوله فلم تقتلون وان كان بلفظ الاستقبال فالمراد به الماضي وانما جاز ذلك لقوله من قبل وان بمعنى الشرط ويدل على جوابه ما تقدم وتقديره ان كنتم مؤمنين فلم تقتلتم انبياء الله وقيل ان بمعنى ما النافية اي ما كنتم مؤمنين

﴿ المعنى ﴾

«وإذا قيل لهم» يعني اليهود الذين تقدم ذكرهم «آمنوا» اي صدقوا «بما أنزل الله» من القرآن على محمد (ص) والشرايع التي جاء بها «قالوا نؤمن بما أنزل علينا» يعنون التوراة «ويكفرون بما وراءه» اي يجحدون بما بعده يريد الانجيل والقرآن او بما سوى التوراة من الكتب المنزلة كقوله سبحانه واحل لكم ما وراء ذلكم وقال ابن الانباري تم الكلام عند قوله بما أنزل علينا ثم ابتداء الله بالاخبار عنهم فقال ويكفرون بما وراءه اي بما سواه «وهو الحق» يعني القرآن «مصدقاً لما معهم» يعني التوراة لأن تصديق محمد وما انزل معه من القرآن مكتوب عندهم في التوراة قال الزجاج وفي هذا دلالة على انهم قد كفروا بما معهم اذ كفروا بما يصدق ما معهم ثم رد الله تعالى عليهم قولهم نؤمن بما أنزل علينا فقال «قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل» اي قل يا محمد لهم فلم تقتلتم انبياء الله وقد حرم الله في الكتاب الذي انزل عليكم قتلهم وامرهم فيه باتباعهم وفرض عليكم طاعتهم وتصديقهم «ان كنتم مؤمنين» بما انزل عليكم وقال الزجاج ان بمعنى ما هاهنا كأنه قال ما كنتم مؤمنين وهذا وجه بعيد وانما قال تقتلون بمعنى قتلتم لأن لفظ المستقبل يطلق على الماضي اذا كان ذلك من الصفات اللازمة كما يقال انت تسرق وتقتل اذا صار ذلك عادة له ولا يراد بذلك ذم ولا توبيخه على ذلك الفعل في المستقبل وانما يراد به توبيخه على ما مضى وانما اضاف اليهم فعل آبائهم واسلافهم لأحد امرين ﴿ احدهما ﴾ ان الخطاب لمن شهد من اهل ملة واحدة ومن غاب منهم واحد فاذا قتل اسلافهم الانبياء وهم مقيمون على مذهبهم وطريقتهم فقد شركوهم في ذلك والآخر انهم رضوا بأفعالهم والراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم وهذا المعنى قريب من الأول وفي هذه الآية دلالة على ان الايمان بكتاب من كتب الله لا يصح اذا لم يحصل الايمان بما سواه من كتب الله المنزلة التي هي مثله في اقتتان المعجزة به

قوله تعالى (٩٢) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (آية)

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه عنهم ما يدل على قلة بصيرتهم في الدين وضعفهم في اليقين فقال «ولقد جاءكم موسى بالبينات» الدالة على صدقه والمعجزات المويده لنبوته كاليد البيضاء وانبعاس الماء من الحجر وفاق البحر وقلب العصا حية والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وسماها بينات لظهورها وتبينها للناظرين اليها انها معجزة يتعذر الاتيان بها على كل بشر وقوله «ثم اتخذتم العجل» يعني اتخذتم العجل ألها وعبدتموه «من بعده» اي من بعد موسى لفارقكم ومضى الى ميقات ربه ويجوز ان يكون الماء كناية عن المجي فيكون التقدير ثم اتخذتم العجل من بعد مجي البينات «وانتم ظالمون» لأنفسكم بكفركم وعبادتكم العجل لأن العبادة لا تكون لغير الله

قوله تعالى (٩٣) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِنَسْمَا يَأْمُرُكُمْ
بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

اسمعوا معناه اقبلوا ومنه قوله سمع الله لمن حمده اي قبل الله حمد من حمده وقوله واشربوا اصله من الشرب يقال شرب واشرب غيره اذا حمه على الشرب واشرب الزرع اي سقي واشرب قلبه حب كذا قال زهير
فَصَحَوْتُ عَنْهَا بَعْدَ حَبِّ دَاخِلٍ وَالْحَبُّ يَشْرَبُهُ فَوْادُكَ دَاءُ

﴿ الاعراب ﴾

قوله العجل اي حب العجل حذف المضاف واقم المضاف اليه مقامه ومثله قول الشاعر
حَسِبْتُ بَغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقًا وَمَا هِيَ وَوَيْبُ غَيْرِكِ بِالْعَنَاقِ
اي حسبت بغام راحلتي بغام عناق وقال طرفه
أَلَا إِنِّي سَقَيْتُ أُسُودًا حَالِكًا
يريد سقيت سم اسود قال آخر
وَشَرُّ الْمَنَائِمِ مَيْتٌ وَسَطَ أَهْلِهِ
كَهَلِكِ النَّفْيِ قَدْ أَسْلَمَ الْحَيَّ حَاضِرُهُ

اي منية ميت وقوله بنسما يأمركم به ايمانكم فقد تقدم ذكر اعرابه وان يجوز ان يكون بمعنى ما اي ما كنتم مؤمنين وجاز ان يكون تقديره ان كنتم مؤمنين بنسما يأمركم به ايمانكم هذا

﴿ المعنى ﴾

قوله «واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة» قد فسرناه فيما مضى والفائدة في تكرير هذا وامثاله التأكيد وايجاب الحجة عليهم على عادة العرب في مخاطباتها وقيل انه سبحانه لما عد فضائح اليهود اعاد ذكر رفع الجبل وقيل انه تعالى انا ذكر الاول للاعتبار بأخبار ما مضى والثاني للاحتجاج عليهم وقوله «واسمعوا» اي اقبلوا ما سمعتم واعملوا به واطيعوا الله وقيل معناه اسمعوا ما يتلى عليكم اي اسمعوا لتسمعوا وهذا اللفظ يحتمل الاستماع والقبول ولا تنافي بينهما فيحمل عليها فكانه قيل اسمعوا لتسمعوا ثم اقبلوا واطيعوا ويدل عليه انه قال في الجواب عنهم قالوا سمعنا وعصينا وفيه قولان ﴿ اخذهما ﴾ انهم قالوا هذا القول في

الحقيقة استهزاء ومعناه سمعنا قولك وعصينا امرك (والثاني) أن حالهم كحال من قال ذلك اذ فعلوا ما دل عليه كما قال الشاعر (قالت جناحاه لرجليه الخي) وان كان الجناح لا يقول ذلك وانما رجع سبحانه عن لفظ الخطاب الى الخبر عن الغائب على عادة العرب المألوفة واختلف في هذا الضمير الى من يعود فقيل الى اليهود الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وآله فانهم قالوا ذلك ثم رجع الى حديث او انهم فقالوا واشربوا وقيل الى اليهود الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام اذ ردوا عليه قوله وقابلوه بالعصيان وقوله «واشربوا في قلوبهم» فعناه دخل قلوبهم حب «العجل» وانما عبر عن حب العجل بالشراب دون الاكل لأن شرب الماء يتغلغل في الاعضاء حتى يصل الى بواطنها والطعام يجاوز الاعضاء ولا يتغلغل فيها قال الشاعر

تَغَلَّلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنَ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورٌ

وليس المعنى في قوله واشربوا ان غيرهم فعل ذلك بهم بل هم الفاعلون لذلك كما يقول القائل انسيت ذلك من النسيان وليس يريد ان غيره فعل ذلك به ويقال اوتي فلان علما جما وان كان هو المكتسب له وقوله «بكفرهم» ليس معناه انهم اشربوا حب العجل جزاء على كفرهم لأن محبة العجل كفر قبيح والله سبحانه لا يفعل الكفر في العبد لا ابتداء ولا جزاء بل معناه انهم كفروا بالله تعالى بما اشربوه من محبة العجل وقيل انما اشرب حب العجل قلوبهم من زينة عندهم ودعاهم اليه كالسامري وشياطين الجن والانس فقلوه بكفرهم معناه لاعتقادهم التشبيه وجهلهم بالله تعالى وتجريزهم العبادة لغيره اشربوا في قلوبهم حب العجل لأنهم صاروا الى ذلك بهذه المعاني التي هي كفر وقول من قال فعل الله ذلك بهم عقوبة ومجازاة غلط فاحش لأن حب العجل ليس من العقوبة في شيء ولا ضرر فيه وقوله «قل بنما يأمركم به ايمانكم» معناه قل يا محمد لهؤلاء اليهود بنس النبي الذي يأمركم به ايمانكم ان كان يأمركم بقتل انبياء الله ورسله والتكذيب بكتبه ووجد ما جاء من عنده ومعنى ايمانهم تصديقهم بالذي زعموا انهم مصدقون به من كتاب الله بقولهم نؤمن بما انزل علينا وقوله «ان كنتم مؤمنين» اي مصدقين كما زعمت بالتوراة وفي هذا نبي عن التوراة ان يكون يأمر بشيء يكرهه الله من افعالهم واعلام بأن الذي يأمرهم بذلك هو اوههم ويحملهم عليه اراؤهم

قوله تعالى (٩٤) قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (آية)

﴿اللغة﴾

الخالصة الصافية يقال خالص لي هذا الامر اي صار لي وعدي وصفالي يخلص خلوصا وخالصة والخالصة مصدر كالعافية واصل الخلوص ان يصفو الشيء من كل شائبة ودون يستعمل على ثلاثة اوجه ان يكون الشيء دون الشيء في المكان وفي الشرف وفي الاختصاص وهو المراد في الآية والتعني من جنس الاقوال عند اكثر المتكلمين وهو ان يقول القائل لما كان ليته لم يكن ولا لم يكن ليته كان وقال ابو هاشم هو معنى في القلب ولا خلاف في أنه ليس من قبيل الشهوة

﴿الاعراب﴾

خالصة نصب على الحال

﴿المعنى﴾

ثم عاد سبحانه الى الاحتجاج على اليهود بما فضع به اجبارهم وعلماءهم ودعاهم الى قضية عادلة بينه وبينهم فقال قل يا محمد لهم ان كانت الجنة خالصة لكم دون الناس كلهم او دون محمد واصحابه كما ادعيت بقولكم

لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وكنتم صادقين في قولكم نحن ابناؤه وان الله لا يعذبنا فتمنوا الموت لأن من اعتقد انه من اهل الجنة قطعاً كان الموت احب اليه من حياة الدنيا التي فيها انواع المشاق والمهموم والآلام والعموم ومن كان على يقين انه اذا مات تخلص منها وناز بالنعيم المقيم فانه يوتر الموت على الحياة الا ترى الى قول أمير المؤمنين عليه السلام وهو يطوف بين الصفيين بصفين في غلالة لما قال له الحسن ابنه ما هذا زي الحرب . يابني ان اباك لا يبالي وقع على الموت او وقع الموت عليه وقول عمار بن ياسر بصفين ايضا الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه واما ماروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به ولكن ليقل اللهم احيني ما دامت الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي فلما نهى عن تمني الموت لأنه يدل على الجزع والمأمور به الصبر وتقويض الامور اليه تعالى ولانا لانامن وقوع التصدير فيا امرنا به وزجو في البقاء التلافي

قوله تعالى (٩٥) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ اَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (آية)

﴿ الاعراب ﴾

ابدا نصب على الظرف اي طول عمرهم يقول القائل لا اكلمك ابدا يريد ماعشت وما معنى الذي اي بالذي قدمت ايديهم ويجوز ان يكون ما بمعنى المصدر فيكون المراد بتقدمة ايديهم

﴿ المعنى ﴾

اخبر الله سبحانه عن هؤلاء الذين قيل لهم فتمنوا الموت ان كنتم صادقين بانهم لا «يتمنون» ذلك ابدا بما قدموه من المعاصي والقبايح وتكذيب الكتاب والرسول عن الحسن وابي مسلم وقيل بما كتبتوا من صفة النبي (ص) عن ابن جريج واطاف ذلك الى اليد وان كانوا انما فعلوا ذلك باللسان لأن العرب تقول هذا ما كسبت يداك وان كان ذلك حصل باللسان والوجه فيه ان الغالب ان تحصل الجنابة باليد فيضاف بذلك اليها ما يحصل بغيرها وقوله «والله عليم بالظالمين» خصص الظالمين بذلك وان كان عليا بهم وبغيرهم بأن الغرض بذلك الرجز والتهديد كما يقول الانسان لغيره اني عارف بصير بعمالك وقيل معناه ان الله عليم بالاسباب التي منعتهم عن تمني الموت وبما اضروه واسروه من كتاب الحق عنادا مع علم كثير منهم انهم مبطلون وروى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لو أن اليهود تمنوا الموت لما اتوا أو رأوا مقاعدهم من النار فقال الله سبحانه انهم لن يتمنوه ابدا تحقيقاً لكذبهم وفي ذلك اعظم دلالة على صدق نبينا وصحة نبوته لأنه اخبر بالشيء قبل كونه فكان كما اخبر وأيضا فانهم كفوا عن التمني للموت لعلمهم بأنه حق وانهم لو تمنوا الموت لما اتوا وروى الكلبي عن ابن عباس انه قال كان رسول الله (ص) يقول لهم ان كنتم صادقين في مقاتلتكم فقولوا اللهم امتنا فوالذي نفسي بيده لا يقولها رجل الا غص بريقه فبات مكانه وهذه القصة شبيهة بقصة المباحة وان النبي صلى الله عليه وآله لما دعا النصارى الى المباحة امتنعوا لقلّة ثقتهم بها هم عليه وخوفهم من صدق النبي (ص) في قوله لو ياهلوني لرجعوا لا يجدون اهلا ولا مالا فلما لم يتمن اليهود الموت افتضحوا كما ان النصارى لما احجموا عن المباحة افتضحوا وظهر الحق فان قيل من اين علمتم انهم لم يتمنوا الموت بقلوبهم فالجواب ان من قال التمني هو القول بالسوءال ساقط عنه ومن قال هو معنى في القلب قال لو تمنوه بقلوبهم لأظروه بالسنتهم حرصا منهم على تكذيبه في اخباره ولأن تحديدهم بتمني الموت انما وقع بما يظهر على اللسان وكان يسهل عليهم ان يقولوا ليت الموت نزل بنا فلما عدلوا عن ذلك ظهر صدقه (ص) ووضحت حجته

قوله تعالى (٩٦) وَلَتَجِدَنَّهْم اَحرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِيْنَ اَشْرَكَوا يُودُّ اَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ اَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمَزْحِرٍ مِّنَ الْعَذَابِ اِنَّ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيْرٌ بِمَا يَعْمَلُوْنَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

وجده وصادفه والغاء نظائر يقال وجدت الشيء وجدانا اذا اصبته ويقال وجدت بمعنى علمت والحرص شدة الطلب ورجل حريص وقوم حراص والمودة المحبة يقال وددت الرجل اوده ودا وودا وودادا وودادة ومودة والتعمير طول العمر والعمر والعمر لغتان واصله من العمارة الذي هو ضد الخراب فالعمر المدة التي يعمر فيها البدن بالحياة والالف من التأليف سمي بذلك العدد لأنه ضم مائة عشر مرات والزحزحة التنحية يقال زحزحته فتزحزح وقال الشاعر

وَقَالُوا تَرَحَّزَحْ لَا بِنَا فَضْلُ حَاجَةِ إِلَيْكَ وَلَا مِنَّا لَوْ هَيْكَ رَاقِعُ

والبصير بمعنى المبصر كما ان السميع بمعنى السمع ولكنه صرف الى فعيل ومثله بديع السموات بمعنى المبدع والعذاب الأليم بمعنى الموملم هذا في اللغة وعند المتكلمين المبصر هو المدرك للمبصرات والبصير هو الحلي الذي لا آفة به فهو بمن يجب ان يبصر المبصرات اذا وجدت وليس احدهما هو الآخر وكذلك القول في السميع والسماع

﴿ الاعراب ﴾

لتجدنهم اللام لام القسم والنون للتأكيد وتقديره والله لتجدنهم قال سيويه سألت الخليل عن قوله لتفعلن اذا جاءت مبتدأ فقال هي على نية القسم وهذه اللام اذا دخلت على المستقبل لزمته في الامر الاكثر بالتون واذا كان وجدت بمعنى وجدان الضالة يعدى الى مفعول واحد كفقدت الذي هو ضده فينصب احرص على الحال واذا كان بمعنى علمت تعدى الى مفعولين ثانيهما عبارة عن الاول فيكون احرص هو المفعول الثاني وهو الاصح وقوله ومن الذين اشركوا قال الفراء يريد واحرص من الذين اشركوا ايضا كما يقال هو اسخى الناس ومن حاتم ومن هرم لأن تأويل قولك اسخى الناس انما هو اسخى الناس وقال الزجاج تقديره ولتجدنهم احرص من الذين اشركوا وقيل انما دخلت من في قوله ومن الذين اشركوا ولم يدخل في قوله احرص الناس لأنهم بعض الناس والاضافة في باب افعال لا يكون الا كذلك تقول الياقوت افضل الحجارة ولا تقول الياقوت افضل الزجاج بل تقول افضل من الزجاج فلذلك قال ومن الذين اشركوا لأن اليهود ليسوا هم بعض المجوس وهم بعض الناس وقوله وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان هو كناية عن احدهم الذي جرى ذكره وان يعمر في موضع رفع بأنه فاعل تقديره وما احدهم بمزحزحه من العذاب تعبيره كما يقال مرتت برجل معجب قيامه (وثالثها) انه كناية عما جرى ذكره من طول العمر وقوله ان يعمر بيان لقوله هو وتقديره وما تعبيره بمزحزحه من العذاب وكأنه قيل وما هو الذي ليس بمزحزحه فقيل هو التعبير (وثالثها) انه عماد وان يعمر في موضع الرفع بأنه مبتدأ وبمزحزحه خبره ومنع الزجاج هذا القول الاخير قال لا يخبر البصريون ما هو قائما زيد وما هو بقائم زيد بمعنى الامر والشان وقال غيره اذا كانت ما غير عاملة في الباء جاز كقولهم ما بهذا باس

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن احوال اليهود فقال «ولتجدنهم» اي ولتعلمن يا محمد هؤلاء اليهود وقيل يعني به علماء اليهود «احرص الناس على حيوة» اي احرصهم على البقاء في الدنيا اشد من حرص سائر الناس «ومن الذين اشركوا» اي ولتجدنهم احرص من الذين اشركوا وهم المجوس ومن لا يؤمن بالبعث وقال ابو علي الجبائي ان الكلام تم عند قوله على حيوة وقوله ومن الذين اشركوا تقديره ومن اليهود الذين اشركوا من يود احدهم لو يعمر الف سنة فحذف من وقال علي بن عيسى هذا غير صحيح لأن حذف من لا يجوز في مثل هذا الموضع وقال ابو مسلم الاصفهاني ان في هذا الكلام تقدما واثخيرا وتقديره ولتجدنهم وطائفة من الذين اشركوا احرص الناس على حيوة واقول اذا جاز هاهنا ان يحذف الموصوف الذي هو طائفة وتقام الصفة مقامه وهو قوله من الذين اشركوا فليجز على ما ذهب

اليه الجبائي أن يكون تقديره ومن الذين اشركوا طائفة يود احدهم فيحذف الموصوف ويقام صفته الذي هو يود احدهم لو يعمرالف سنة مقامه فيصح على هذا التقدير الحذف ويستوي القولان من حيث الصورة والصفة ويختلفان من حيث المعنى ويكون من هنا هي الموصوفة لا الموصولة كما قدره الجبائي وقوله «يود احدهم لو يعمرالف سنة» ذكر الالف لأنها نهاية ما كانت المجوس يدعو به بعضهم لبعض وتحيي به الملوك يقولون عش الف نوروز والف مهرجان قال ابن عباس هو قول احدهم لمن عطس هزار سال بزي يقال فهو لا. الذين يزعمون ان لهم الجنة لا يستمنون الموت وهم احرص ممن لا يؤمن بالبعث وكذلك يجب أن يكون هو لا. لعلمهم بما اعد الله لهم في الآخرة من الجحيم والعذاب الايم على كفرهم وعنادهم مما لا يقرب به اهل الشرك فهم للموت اكره من اهل الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث وعلى الحياة احرص لهذه العلة وقوله «وما هو بمزحزحه» اي وما احدهم بمنجيته من عذاب الله ولا ببعده منه تعميده وهو أن يطول له البقاء لأنه لا بد للعمر من الفناء هذا هو احسن الوجوه التي تقدم ذكرها «والله بما تعملون بصير» أي علم بأعمالهم لا يخفى عليه شيء منها بل هو محيط بجميعها حافظ لها حتى يذيقهم بها العذاب وفي هذه الآية دلالة على ان الحرص على طول البقاء لطلب الدنيا ونحوه مذموم وانما المحمود طلب البقاء للازدیاد في الطاعة وتلافي الفاتئ بالتوبة والاثابة ودرك السعادة بالاخلاص في العبادة والى هذا المعنى اشار اميرالمؤمنين (ع) في قوله في بقية عمر المؤمن لاقيمة له يدرك بها ما فات ويحيي بها ما امات

قوله تعالى (٩٧) قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٨) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (آيتان)

﴿القرأة﴾

قرأ ابن كثير جبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر الايجي جبرئيل بفتح الجيم والراء مهموزا على زنة جبرئيل وروى يحيى كذلك الا أنه حذف الياء بعد الهمز فصار مثل جبرعل والباقون بكسر الجيم والراء وبعدها ياء من غير همزة وقرأ اهل المدينة ميكايل بهمزة مكسورة بعد الالف على زنة ميكايل وقرأ اهل البصرة ميكال بغير همز ولا ياء والباقون باثبات ياء ساكنة بعد الهمزة على زنة ميكايل

﴿الحجة﴾

قال ابو علي روينا عن ابي الحسن أنه قال في جبريل ست لغات جبرائيل وجبرائيل وجبرئيل وجبرال وجبرئيل وجبريل فمن قال جبريل كان على لفظ قنديل وبرطيل ومن قال جبرئيل كان على وزن عندليب ومن قال جبرئيل كان على وزن جحمرش ومن قال ميكال على وزن قنطار وميكايل وجبرائيل خارج عن كلام العرب وهذه الاسماء معربة فإذا اتى بها على ما في ابنية العرب مثله كان اذهب في باب التعريب وقد جاء في اشعارهم ما هو على لفظ التعريب وما هو خارج عن ذلك قال

عَبَدُوا الصَّلِيبَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ
وَجِبْرِيلَ وَكَذَّبُوا مِيكَالًا

وقال حسان

وَجِبْرِيلُ رُسُولُ اللَّهِ مَنَّا
وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

﴿اللغة﴾

جبرئيل وميكايل اسمان اعجميان عربيا وقيل جبر في اللغة السريانية هو العبد وإيل هو الله وميك هو عبيد فمعنى جبرئيل عبد الله ومعنى ميكايل عبيد الله وقال ابو علي الفارسي هذا لا يستقيم من وجبهن احدهما ان ايل

لا يعرف من اسماء الله تعالى في اللغة العربية والآخر انه لو كان كذلك لكان آخر الاسم مجرورا ابدا كقولهم عبد الله والبشرى والبشارة الخبر السار اول ما يرد فيظهر ذلك في بشرة الوجه

﴿الاعراب﴾

جواب الشرط محذوف تقديره من كان عدوا لجبرائيل فليمت غيظا فإنه نزل الوحي على قلبك بأذن الله والهاء في قوله فانه تعود الى جبريل والهاء في نزله تعود الى القرآن وان لم يجز له ذكر كما ان ها في قوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة تعود الى الارض ويجوز ان يكون على معنى جبرئيل وتقديره فان الله نزل جبريل على قلبك لأنه نزل بنفسه والاول اصح ونصب مصدقا على الحال من الهاء في نزله وهو ضمير القرآن او جبريل عليه السلام

﴿النزول﴾

قال ابن عباس كان سبب نزول هذه الآية ما روي ان ابن سوريا وجماعة من يهود اهل فدك لما قدم النبي (ص) المدينة سألوه فقالوا يا محمد كيف نومك فقد اخبرنا عن نوم النبي الذي يأتي في آخر الزمان فقال تنام عيناى وقلبي يقظان قالوا صدقت يا محمد فأخبرنا عن الولد يكون من الرجل او المرأة فقال اما العظام والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة قالوا صدقت يا محمد فما بال الولد يشبه اعمامه ليس فيه من شبه اخواله شي. او يشبه اخواله وليس فيه من شبه اعمامه شي. فقال ايها علاموه كان الشبه له قالوا صدقت يا محمد قالوا فإخبرنا عن ربك ما هو فأنزل الله سبحانه قل هو الله احد الى آخر السورة فقال له ابن سوريا خصه واحدة ان قاتها آمنت بك واتبعتك اى ملك يأتيك بها ينزل الله عليك قال فقال جبريل قال ذلك عدونا يتزل بالقتال والشدة والحرب وميكائيل يتزل باليسر والرخاء فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك لآمتنا بك

﴿المعنى﴾

فانزل الله تعالى هذه الآية جواباً لليهود وردا عليهم فقال «قل» لهم يا محمد «من كان عدوا لجبريل» اذا كان هو المنزل للكتاب عليك «فانه» انما «نزله على قلبك بأذن الله» لا من تلقاء نفسه وانما اضافته الى قلبه لأنه اذا انزل عليه كأن يحفظه ويفهمه بقلبه ومعنى قوله بأذن الله بامر الله وقيل اراد بعلمه او بأعلام الله اياه ما ينزل على قلبك وقوله «مصدقا لما بين يديه» معناه موافقا لما بين يديه من الكتب ومصدقا له بأنه حق وبأنه من عند الله لا مكذبا لها «وهدى وبشرى للمؤمنين» معناه ان كان فيما انزله الامر بالحرب والشدة على الكافرين فانه هدى وبشرى للمؤمنين وانما خص الهدى بالمؤمنين من حيث كانوا هم المهتدين به العالمين بما فيه وان كان هدى لتغيرهم ايضا وقيل اراد بالهدى الرحمة والثواب فلذلك خصه بالمؤمنين ومعنى البشرى ان فيه البشارة لهم بالنعيم الدائم وان جعلت مصدقا وهدى وبشرى حالاً لجبريل فالمعنى بانه يصدق بكتب الله الاولى ويأتي بالهدى والبشرى وانما قال سبحانه على قلبك ولم يقل على قايى على العرف المألوف كما تقول لمن تخاطبه لا تقل للقوم ان الخير عندك ويجوز ان تقول لا تقل لهم ان الخير عندي وكما يقول قال القوم جبريل عدونا ويجوز ان يقول قالوا جبريل عدوهم واما قوله تعالى «من كان عدوا لله وملائكته ورسله» فمعناه من كان معاديا لله اى يفعل فعل المعادي من المخالفة والعصيان فإن حقيقة العداوة طلب الاضرار به ولهذا يستحيل على الله تعالى وقيل المراد به معاداة اوليائه كقوله ان الذين يؤذون الله وقوله وملائكته اى ومعاديا للملائكته ورسله «وجبريل وميكائيل» وانما اعاد ذكرهما لفضلها وميزتها كقوله تعالى فيها فاكهة ونخل ورمون وقيل انما اعاد ذكرهما لأن اليهود قالت جبريل عدونا وميكائيل ولينا فخصها الله بالذكر لأن النزاع جرى فيها فكان ذكرهما أهم ولتأثرهم اليهود انها مخصوصان من جملة الملائكة وليسا بداخلين في جملتهم فنص الله تعالى عليهما ليبتل ما يتأولونه من التخصيص ثم قال «فان الله عدو للكافرين» ولم يقل فانه وكرر اسم الله لئلا يظن ان الكتابة راجعة الى جبرائيل او ميكائيل ولم يقل لهم لأنه قد يجوز ان

ينتقلوا عن العداوة بالايان وقد طعن بعض الملحدة في هذا فقال كيف يجوز ان يقول عاقل انا عدو جبريل وايس هذا القول من اليهود يستنكر ولا عجب مع ما اخبر الله تعالى عن قولهم بعد مشاهدتهم فلق البحر والآيات الحارقة للعادة اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة وقولهم ارنا الله جبرة وعبادتهم العجل وغير ذلك من جهالاتهم

قوله تعالى (٩٩) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الآية العلامة التي فيها عبرة وقيل العلامة التي فيها الحجة والبينة الدلالة الفاصلة الواضحة بين القضية الصادقة والكاذبة مأخوذة من ابانة احدى الشيتين من الآخر فيزول التباسه به

﴿ الاعراب ﴾

قد تدخل في الكلام لأحد امرين أحدهما لقوم يتوقعون الخبر والآخرة لتقريب الماضي من الحال تقول خرجت وقد ركب الأمير وهي هنا مع لام القسم على تقدير قوم يتوقعون الخبر لأن الكلام اذا خرج ذلك المخرج كان او كدوا ببلغ

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس ان ابن صوريا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله يا محمد ما جئتنا بشي . نعرفه وما انزل الله عليك من آية بيينة فنتبعك لها فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

يقول «ولقد انزلنا إليك» يا محمد «آيات» يعني سائر المعجزات التي اعطياها النبي صلى الله عليه وآله عن الباخي وقيل هي القرآن وما فيها من الدلالات عن ابي مسلم وابي علي وقيل هي علم التوراة والانجيل والاعراب عما مضى مما في كتب الله السالفة عن الاصم كقوله تعالى يبين لكم كثيرا مما كنتم تحفون من الكتاب «بينات» اي واضحات تقص بين الحق والباطل «وما يكفر بها الا الفاسقون» ومنه الكافرون وانما سمي الكفر فسقا لأن الفسق خروج من شي . الى شي . واليهود خرجوا من دينهم وهو دين موسى بتكذيب النبي صلى الله عليه وآله وانما لم يقتل الكافرون وان كان الكفر اعظم من الفسق لأحد امرين ﴿ أحدهما ﴾ ان المراد انهم خرجوا عن امر الله الى ما يعظم من معاصيه والثاني ان المراد به انهم الفاسقون المتمردون في كفرهم لأن الفسق لا يكون الا اعظم الكبائر فان كان في الكفر فهو اعظم الكفر وان كان فيا دون الكفر فهو اعظم المعاصي

قوله تعالى (١٠٠) أَوْ كَلِمًا عَاهَدَ وَعَاهِدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

النبت طرحك الشي . عن يدك امامك او خلفك والمناذرة انتباز الفريقين للحرب وناذرتهم الحرب والمنبذون هم الاولاد الذين يطرحون والمناذرة في البيع منهى عنها وهو كالرمي كأنه اذا رمى به وجب البيع له وسمي النبت نبيدا لأن التمر كان يلقى في الجرة وغيرها وقيل معنى نبذه تركه وقيل ألقاه قال ابو الاسود الدؤلي
نَظَرْتُ إِلَى عُنْوَانِهِ فَنَبَذْتُه
كَنْبَذْتُكَ نَعْلًا خَلَقْتُ مِنْ نَعَالِكَا

﴿ الاعراب ﴾

الروا في قوله او كما عند سيبويه واكثر النحويين واو العطف الا ان الف الاستفهام دخلت عليها لأن لها صدر الكلام وهي ام حروف الاستفهام بدلالة ان هذه الروا تدخل على هل تقول وهل زيد عالم لأن الالف اقوى منها وقال بعضهم يحتمل ان تكون زائدة كزيادة الفاء في قواك افا الله ليفعلن والاول اصح لأنه لا يحكم على الحرف

بازيادة مع وجود معنى من غير ضرورة ونصب كما على الظرف والعامل فيه نبذ ولا يجوز ان يعمل فيه عاهدوا لأنه متعمم لما اما صلة واما صفة

﴿ المعنى ﴾

اخبر الله سبحانه عن اليهود ايضا فقال « او كلما عاهدوا » الله « عهدا » اراد به العهد الذي اخذه الانبياء عليهم ان يؤمنوا بالنبي الامي عن ابن عباس وكما لفظ يقتضي التكرار فيقتضي تكرار النقص منهم وقال عطاء هي العهود التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين اليهود فنقضوها كفعل قريظة والنضير عاهدوا ان لا يعينوا عليه احدا فنقضوا ذلك واعانوا عليه قريشاً يوم الخندق «نبذ فريق منهم» اي نقضه جماعة منهم «بل اكثرهم» اي اكثر المعاهدين «لا يؤمنون» ولا تعود الهاء والميم الى فريق اذ كانوا كلهم غير مؤمنين فاما المعاهدون فمنهم من آمن كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وغيرهما فاما وجه دخول بل على قوله بل اكثرهم فانه لا مرين ﴿احدهما﴾ انه لما نبذ فريق منهم دل على ان ذلك الفريق كفر بالنقض فقال بل اكثرهم كفار بالنقض الذي فعلوه وان كان بعضهم نقضه جهلا وبعضهم نقضه عنادا والثاني انه اراد كفر فريق منهم بالنقض وكفر اكثرهم بالجدد للحق وهو امر النبي صلى الله عليه وآله وما يلزم من اتباعه والتصديق به

قوله تعالى (١٠١) وَمَلَأْجَاهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَوْا ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (آية)

﴿ الاعراب ﴾

لما في موضع نصب بأنه ظرف ويقع به الشيء . بوقوع غيره والعامل فيه نبذ ومصدق رفع لأنه صفة لرسول لأنها نكرتان ولو نصب لكان جائزا لأن رسول قد وصف بقوله من عند الله فلذلك يحسن نصبه على الحال الا انه لا يجوز في القراءة الا الرفع لأن القراءة سنة متبعة وموضع ما جر باللام ومع صلة لها والثائب لمع معنى الاستقرار والمعنى لما استقر معهم

﴿ المعنى ﴾

« ولا جاءهم » اي ولما جاء اليهود الذين كانوا في عصر النبي (ص) « رسول من عند الله » يعني محمدا (ص) عن اكثر المفسرين وقيل اراد بالرسول الرسالة كما قال كثير

فَتَدَّ كَذِبَ الْوَأَشُونَ مَا بَحَثُ عِنْدَهُمْ يَلِيْلِي وَمَا أَرَسَلْتَهُمْ بِرَسُولٍ

قال علي بن عيسى وهذا ضعيف لأنه خلاف الظاهر قليل في الاستعمال وقوله «مصدق لما معهم» يحتمل امرين ﴿احدهما﴾ انه مصدق لكتبهم من التوراة والانجيل لأنه جاء على الصفة التي تقدمت بها البشارة (والثاني) انه مصدق للتوراة بأنها حق من عند الله لأن الاخبار هاهنا انا هو عن اليهود دون النصارى والاول احسن لأن فيه حجة عليهم وقوله «نبذ فريق من الذين اتوا الكتاب» اي ترك والتي طائفة منهم وانما قال من الذين اتوا الكتاب ولم يقل منهم وقد تقدم ذكرهم لأنه يريد به علماء اليهود واعاد ذكرهم لاختلاف المعنى وقيل انه لم يكن عندهم للبيان لما طال الكلام وقوله «كتاب الله» يحتمل ان يريد به التوراة ويحتمل ان يريد به القرآن وقوله «ورا ظهورهم» كناية عن تركهم العمل به قال الشعبي هو بين ايديهم يقرونه ولكن نبذوا العمل به وقال سفيان بن عيينة ادرجوه في الحرير والديباغ وحلوه بالذهب والفضة ولم يخلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ هذا اذا حمل الكتاب على التوراة وقال ابو مسلم لما جاءهم الرسول بهذا الكتاب فام يقبلوه صاروا نابذين للكتاب الاول ايضا الذي فيه البشارة به وقال السدي نبذوا التوراة واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت يعني انهم

تركوا ما تدل عليه التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وآله وقال قتادة وجماعة من اهل العلم ان ذلك الطريق كانوا معاندين وانما ذكر فريقاً منهم لأن الجمع العظيم والجمل الغفير والعدد الكثير لا يجوز عليهم كتمان ما علموه مع اختلاف المهم وتشتت الآراء وتباعد الاهواء لأنه خلاف المألوف من العادات الا اذا كانوا عدداً يجوز على مثلهم التواطؤ على الكتمان وقوله «كانهم لا يعلمون» اي لا يعلمون انه صدق وحق والمراد انهم علموا وكنتموا بغيا وعنادا وقيل المراد كانهم لا يعلمون ما عليهم في ذلك من العقاب وقيل المراد كانهم لا يعلمون ما في كتابهم اي حلوا محل الجاهل بالكتاب

قوله تعالى (١٠٢) وَأَتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وحزمة والكسائي ولكن الشياطين كفروا ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف التون من لكن ورفع الاسم بعدها والباقون بالتشديد وروي في الشواذ على الملكين بكسر اللام عن ابن عباس والحسن

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي اعلم ان لكن لانعلم شيئا على مثاله في الاسماء ولا في الافعال وهي مثل ان في أنها مثقفة ثم تخفف الا ان إن وان اذا خففتا فقد ينصب بهما كما كان ينصب بهما مثقلتين وإن كان غير الاعمال اكثر ولم نعلم ان احداحكى النصب في لكن اذا خففت فيشبهه ان والنصب لم يجيء في هذا الحرف مخففا ليكون ذلك دالة على ان الاصل في هذه الحروف ان لا تعمل اذا خففت لزوال اللفظ الذي به شابه الفعل في التخفيف ولكن وان لم يشابه الفعل فإن فيه ما يشبه الفعل اذا فصلته كقولهم اراك منتفخا اريد أن تفتح مثل كتف فقدر منفصلا ثم خفف كذلك يقدر في لكن الانفصال فيشبهه ليت وان

﴿ اللمة ﴾

اتبعه اقتدى به وتتلو معناه تتبع لأن التالي تابع وقيل معناه تقرأ من تلوت كتاب الله اي قرأته قال الله تعالى هنالك تتلوا كل نفس ما اسلفت اي تتبع وقال حسان بن ثابت

نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ

والسحر والكهانة والحلية نظائر يقال سحره يسحره سحرا وقال صاحب العين السحر عمل يقرب الى الشياطين ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن ان الأمر كما ترى وليس الأمر كما ترى والجمع الأخذ فالسحر عمل خفي خفاء سببه يصور الشيء بخلاف صورته ويقبله عن جنسه في الظاهر ولا يقبله عن جنسه في الحقيقة الا ترى الى قوله سبحانه وتعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى والسحر الغذاء قال امرؤ القيس

أَرَأَيْتَ مَا وَرَضَعِينَ لِحَمِّ غَيْبٍ وَنُسَجَّرَ بِالطَّعَامِ وَيَا شَرَّابِ

والسحر ايضا الرثة يقال للجبان انتفخ سحره والفتنة والامتحان والاختبار نظائر يقال فتنته فتنة وافتنته

قال اعشى همدان بخاء في اللغتين

لَقَدْ قَتَنَتْنِي وَهِيَ بِالْأَمْسِ أَقْتَنَتْ سَعِيداً فَأَمْسَى قَدْ قَلَا كُلُّ مُسْلِمٍ

وفتت الذهب في النار اذا اختبرته فيها لتعلم اخالص هو ام مشوب فقيل لكل ما احميته في النار فتنة وفتنت الحبرة في النار انضجتها ومنه قوله يوم هم على النار يفتنون اي يشوون وتعلم قد تكون بمعنى اعلم كما قيل علمت واعلمت بمعنى وكذلك فهمت وافهمت قال كعب بن زهير

تَعَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي وَأَنْ وَعَيْدًا مِنْكَ كَأَلَا خَذٍ بِالْيَدِ

وقيل ان بينهما فرقا فعنى تعلم تسبب الى ما به تعلم من النظر في الادلة وليس في اعلم هذا المعنى فقديقال ذلك لما يعلم بلا تأمل كقولك اعلم ان الفعل يدل على الفاعل وان لم يسبق الحدثُ مُحدث وتقول في الاول تعلم النحو والفقه والمرء تأنيثه المرأة ويقال مرة بلا الف والضرر والالم والاذى نظائر والضرر نقيض النفع يقال ضره يضره ضرا واضر به اضرا واضطره اليه اضطارا قال صاحب العين الضر والضر لغتان فاذا ضمنت اليه النفع فتحت الضاد والضرير الذهاب البصر من الناس يقال رجل ضرير بين الضراوة وفي الحديث لا ضرر ولا ضرار وضرير الوادي جانبه وكل شيء دنا منك حتى يزحمك فقد اضر بك واصل الباب الانتقاص والاذن في اللغة على ثلاثة اقسام ﴿احدها﴾ بمعنى العلم كقوله فاذنوا بجرى من الله اي فاعلموا وقال الخطيب

أَلَا يَا هِنْدُ إِنْ جَدَدْتِ وَصَلَاً وَإِلَّا فَأَذِنِي يَا نَصْرَامَ

و (الثاني) بمعنى الاباحة والاطلاق كقوله تعالى فانكحوهن باذن اهلن والثالث بمعنى الامر كقوله نزل على قلبك باذن الله والنفع والمنفعة واللذة نظائر وحد النفع هوكل ما يكون به الحيوان ملتذا اما لانه لذة او يودي الى لذة وحد الضرر كل ما يكون به الحيوان اما لانه ألم او يودي الى ألم والخلقا النصيب من الخير قال امية بن ابي الصلت

يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ فِيهَا لَا خَلْقَ لَهُمْ إِلَّا سَرَائِيلَ مِنْ قَطْرِ وَأَغْلَالِ

﴿الاعراب﴾

قوله ما تتلو فيه وجهان احدهما ان تكون تتلو بمعنى تلت وانما جاز ذلك لما علم من اتصال الكلام بعهد سليمان فيمن قال ان المراد على عهد ملك سليمان او في زمن ملك سليمان او بملك سليمان فيمن لم يقدر حذف المضاف فدل ذلك على ان مثال المضارع اريد به الماضي قال سيبويه قد تقع يفعل في موضع فعل كقول الشاعر

وَلَقَدْ أَمْرٌ عَلَى اللَّيْمِ يَسْنِي فَمَضَيْتُ نَمَةً قُلْتُ لَا يَعْنِينِي

والوجه الآخر ان يكون يفعل على بابه لا يريد به فعل ولكنه حكاية حال وان كان ماضيا كقوله واذا نجيناكم من آل فرعون يسومونكم فيسومونكم حكاية للحال في الوقت الذي كانت فيه وان كان آل فرعون منقرضين في وقت هذا الخطاب ومن هذا ما انشده ابن الاعرابي

جَارِيَةٌ فِي رَمَضَانَ الْمَاضِي تَقَطَّعَ الْحَدِيثَ بِالْإِيمَانِ

وقوله وما انزل ذكر في ما ثلاثة اقوال ﴿احدها﴾ انه بمعنى الذي وانزل صلته وموضعه نصب بكونه معطوفاً على السحر وقيل انه معطوف على قوله ما تتلو الشياطين و(ثانيها) انه بمعنى الذي ايضا وموضعه جويكون معطوفاً بالواو على ملك سليمان و(ثالثها) انه بمعنى الجحد والنبي وتقديره وما كفر سليمان ولم ينزل الله السحر على الملوكين وبابل اسم بلد لا ينصرف للتعريف والتأنيث وقوله فيتعلمون لا يخلو من احد امرين اما ان يكون الفعل معطوفاً بالفاء على فعل قبله او يكون خبر مبتدأ محذوف والفعل الذي قبله لا يخلو اما ان يكون كفروا من قوله ولكن الشياطين كفروا فيجوز ان يكون فيتعلمون معطوفاً عليه لأن كفروا في موضع رفع بكونه خبر لكن

فعطف عليه بالرفوع وهو قول سيويه فاما يعلمون فيجوز ان تكون في موضع نصب على الحال من كفروا اي كفروا في حال تعليمهم ويجوز ان يكون بدلا من كفروا لأن تعليم الشياطين كفر في المعنى واذا كان كذلك جاز البدل فيه اذا كان اياه في المعنى كما كان مضاعفة العذاب لما كان لتي الآثام في قوله ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب جاز ابداله منه واما ان يكون الفعل الذي عطف عليه يتعلمون قوله يعلمون وهو قول الفراء وانكر الزجاج هذا القول قال لأن قوله منها دليل على التعلم من الملكين خاصة قال ابو علي فهذا يدخل على قول سيويه ايضا كما يدخل على قول الفراء لأنها جميعاً قالوا بعطفه على فعل الشياطين قال وهذا الاعتراض ساقط من جهتين احدهما ان التعلم وان كان من الملكين خاصة فلا يتنع ان يكون قوله فيتعلمون عطف على كفروا وعلى يعلمون وان كان متعلقاً بهما وكان الضمير في منهما راجعاً الى الملكين فان قلت كيف يجوز هذا وهل يسوغ ان يقدر هذا التقدير ويلزمك ان يكون النظم ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر فيتعلمون منهما فتضمير الملكين قبل ذكرهما والاضمار قبل الذكر غير جائز واذا لزمك في هذا القول الاضمار قبل الذكر وكان ذلك غير جائز لزم ان لا تجيز العطف على واحد من الفعلين اللذين هما كفروا ويعلمون بل تعطفه على فعل مذكور بعد ذكر الملكين كما ذهب اليه ابو اسحاق الزجاج فانه عطف على ما يوجبه معنى الكلام عند قوله فلا تكفر اي فيأبون فيتعلمون او على يعلمان من قوله وما يعلمان من احد لا نهما فعلان مذكوران بعد الملكين فالجواب اما النظم فانه على ما ذكرته وهو صحيح واما الاضمار قبل الذكر فإن منه في قوله فيتعلمون منهما اذا كان ضميراً عائداً الى الملكين فان اضمارهما بعد تقدم ذكرهما وذلك سائغ جائز ونظيره قوله تعالى واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات لما تقدم ذكره اضمر اسمه ولو قال ابتلى ربه ابراهيم لم يجز لكونه اضماراً قبل الذكر وهذا بين جدا فالاعتراض بذلك على سيويه والفراء ساقط واما الجهة الاخرى التي يسقط منها ذلك فهي انه قد قيل في قوله تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولوا انما نحن فتننة فلا تكفر ثلاثة اقوال يأتي شرحها في المعنى قولان منها تعلم السحر فيهما من الملكين وقول منها تعلمه من الشياطين فيكون نظم الكلام على هذا ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا يعلمون الناس السحر فيتعلمون منهما وما انزل على الملكين ببابل اي لم ينزل وما يعلمان من احد اي وما يعلم هاروت وماروت من احد فنهما على هذا القول لا يرجع الى الملكين انما يرجع الى هاروت وماروت اللذين هما الشياطين في المعنى فاما حمل الكلام على التثنية والشياطين جمع فسائغ يجوز ان يحمل على المعنى فيجمع وعلى لفظ هاروت وماروت فيثنى ونظيره قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ثم قال فاصلحوا بينهما فإن بغت احدهما على الاخرى ويجوز ان يكون يتعلمون معطوفاً على يعلمان من قوله وما يعلمان من احد فيكون الضمير الذي في يتعلمون لاحد الا انه جمعه لما حمل على المعنى كقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين فاما جواز عطفه على ما ذكره الزجاج من قوله وقيل ان يتعلمون عطف على ما يوجبه معنى الكلام لأن المعنى انما نحن فتننة فلا تكفر فيأبون فيتعلمون وهذا قول حسن فهو قول الفراء قال ابو علي وهو عندي جائز لأنه من المضمرة الذي فهم للدلالة عليه واما كونه خبراً للمبتدأ المحذوف فعلي ان تقديره فهم يتعلمون منهما وذلك غير ممتنع وقد قيل في قوله منهما ان الضمير عائداً الى السحر والكفر قاله ابو مسلم قال لأنه تقدم الدليل عليها في قوله كفروا وهذا كقوله سبحانه سيذكر من يخشى ويتجنبها الا شقى اي يتجنب الذكرى وقوله ولقد علموا لمن اشتراه قال الزجاج دخول اللام على قد على جهة القسم والتوكيد وقال النجويون في قوله لمن اشتراه قولان جعل بعضهم من بمعنى الشرط وجعل الجواب ماله في الآخرة من خلاق وهذا ليس بموضع شرط وجزاء ولكن المعنى ولقد علموا الذي اشتراه ماله في الآخرة من خلاق كما تقول والله لقد علمت للذي جاءك ما له من عقل انتهى كلام الزجاج واقول فموضع من رفع بالابتداء وموضع ماله في الآخرة من خلاق رفع على انه خبر المبتدأ وهذا قول سيويه فاللام في قوله لمن اشتراه لام الابتداء دون القسم لأن هذه اللام قد تكون تأكيداً لغير القسم واللام مع الجملة التي بعدها في موضع نصب بعلموا كما ان

الاستفهام كذلك في نحو علمت أزيد في الدار ام عمرو وهذا هو المسمى تعليقا قال ابو علي قول من قال ان من جزء بعيد لأنه اذا كان جزءا فاللام في لمن اشتراه سبب دخوله القسم كالتي في قوله ولن اتيت الذين اتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك وان شئنا لنذهبن فيقتضي ذلك قسما والقسم الذي يقتضيه قوله لمن اشتراه اذا حملت من على انه جزء لا يخالو من ان يكون علموا لأن العلم والظن قد يقامان مقام القسم كما في قوله

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ مَنِّي
إِنَّ الْمُنَايَا لَا تَطِيَّشُ سَهْمَهَا

وقوله وظنوا ما لهم من محيص او يكون مضمر بين قوله علموا وقوله لمن اشتراه ويبعد ان يكون علموا قسما وقوله لمن اشتراه جوابها هنا لأنه في هذا الموضع محلوف عليه مقسم والقسم عليه لا يكون قسما لأنه يازم من هذا ان يدخل قسم على قسم لأن في اول الكلام قسما وهو المضمرة الجالب للام في لقد فهذا هو القسم الاول والثاني هو الذي يدل عليه هذا القسم الاول المضمرة وهو قد علموا اذا اجبته باللام فيمن جعله ابتداء وبالثنى فيمن جعل من جزءا ودخول القسم على القسم يبعد عند سيويه ولا يسوغ فن اجل هذا بعد عنده ان يكون علموا هنا بمنزلة القسم وان يجاب بجوابه قال سيويه والخليل لا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد لا فعلن والواو الثاني واو قسم لا يجوز الا مستكرها لأنه لا يجوز هذا في محلوف عليه الا ان يضم الآخر الى الاول ويحلف بهما على المحلوف عليه ولهذا جعل هو والخليل الحرف في قوله والليل اذا يفتى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى للعطف دون القسم فلماذا حمل اللام في لمن اشتراه على انها لام ابتداء دون قسم وليست كاللام الاخرى في انها تقتضي قسما لا محالة في نحو قولهم لعمرك لا فعلن كذا فلا يازم على ما تأوله دخول قسم على قسم ويبعد ايضا ان يكون القسم مضمر بين قوله ولقد علموا وبين ان اشتراه لأن علموا يقتضي مفعوليه واذا وقع قسم بينه وبين مفعوليه لم يجب وكان لغوا كما انه في نحو قولك زيد والله منطلي وان تأتني والله آتيتك لغوا لجواب له ولأنه لو اجيب للزم اعتماد علمت عليه فصار القسم في موضع نصب لوقوعه موقع مفعولي علمت وذلك يمتنع لأنك لو جعلته في موضع مفعوليه لأخرجته عما وضع له لأنه اذا وضع ليوم كد به غيره فلو جعلته في موضع المفعولين لأخرجته عن ان يكون تأكيدا لغيره ولجعله قائما بنفسه ولو جاز ان يكون في موضع مفعولي علمت لجاز ان يوصل به ويوصف به النكرة وهذا يمتنع فمعلوم اذا ان القسم بعد علمت لا يازم ان يكون له جواب فاضمار القسم بعد علموا غير جائز لأنه ليس يجوز الا ان يكون له جواب يدل عليه اذا حذف كما يدل ليفعلن ونحوه من الجواب على القسم المحذوف فاذا لم يجز ان يكون له جواب لم يجز حذفه وارادته فقد بعد ايضا ان يكون القسم مضمر بعد علمت فلما كان علموا مقسما عليه في هذا الموضع فاذا جعلت من بغير معنى الذي لزم ان تكون علمت قسما ويكون قوله ما لهم في الآخرة من خلاق جوابه وكان دخول القسم على القسم غير سائغ عند سيويه وحمل اللام في لمن على انه لام الابتداء ومن بمعنى الذي لتلا يازم ما لا يستحسنه ولا يستجيزه من دخول قسم على قسم فيمذهب سيويه في هذا هو البين

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من انه نبذ فريق من اليهود كتاب الله الذي في ايديهم وراء ظهورهم فقال «واتبعوا ما تتلوا الشياطين» واختلف في المعنى بقوله واتبعوا على ثلاثة اقوال ﴿احدها﴾ انهم اليهود الذين كانوا على عهد النبي (ص) عن الربيع وابن اسحاق والسدي (وثانيها) انهم اليهود الذين كانوا في زمن سليمان عن ابن عباس وابن جريج (وثالثها) ان المزاد به الجميع لأن متبعي السحر لم يزالوا منذ عهد سليمان الى أن بعث محمد (ص) وزوي عن الربيع أن اليهود سألوا محمدا (ص) زمانا عن التوراة لايسألونه عن شي من ذلك الا انزل الله عليه ما سألوا عنه فيخصمهم فلما رأوا ذلك قالوا هذا اعلم بما انزل علينا منا وانهم سألوه عن السحر وخاصموا به فانزل الله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين الآية اي اقتدوا بما كانت تتلو الشياطين اي تتبع وتعمل به عن ابن عباس

وقيل معناه تقرأ عن عطا وقتادة وقيل معناه تكذب عن ابي مسلم يقال تلا عليه اذا كذب قال سبحانه وتعالى ويقولون على الله الكذب وأتقولون على الله مالا تعلمون فاذا صدق قيل تلاعنه واذا ابهم جاز الامران واختلف في قوله الشياطين فقيل هم شياطين الجن لأنه المستفاد من اطلاق هذه اللفظة وقيل هم شياطين الانس المتمردون في الضلالة كما قال جرير

أَيَّامَ يَدْعُونَنِي الشَّيْطَانَ مِنْ غَزَلِي وَكُنْ يَهْوَيْنِي إِذْ كُنْتُ شَيْطَانًا

وقيل هم شياطين الجن والانس وقوله «على ملك سليمان» قيل معناه في ملك سليمان كقول ابي النجم (فهو على الافق كعين الأحول) اي في الافق ثم ان هذا يحتمل معنيين ﴿احدهما﴾ في عهد ملك سليمان (والثاني) في نفس ملك سليمان كما يقال فلان يطعن في ملك فلان وفي نفس فلان وقيل معناه على عهد ملك سليمان وقال ابو مسلم معناه ما كانت تكذب الشياطين على ملك سليمان وعلى ما أنزل على الملكين واما قوله «وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر» بين بهذا أن ما كانت تتلوه الشياطين وتوثره وترويه كان كفرا اذ برأ سليمان (ع) منه ولم يبين سبحانه بقوله ما تتلو الشياطين على ملك سليمان انها اي شي كانت تتلو الشياطين ثم لم يبين بقوله سبحانه وما كفر سليمان ان ذلك الكفر اي نوع من انواع الكفر حتى قال ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر فبين سبحانه ان ذلك الكفر كان من نوع السحر فان اليهود اضافوا الى سليمان السحر وزعموا أن ملكه كان به فبرأه الله منه وهو قول ابن عباس وابن جبير وقتادة واختلف في السبب الذي لأجله اضافت اليهود السحر الى سليمان (ع) فقيل ان سليمان كان قد جمع كتب السحرة ووضعها في خزانته وقيل كتبها تحت كرسية ثلاثا يطلع عليها الناس ولا يعلموا بها فلما مات سليمان استخرجت السحرة تلك الكتب وقالوا انما تم ملك سليمان بالسحر وبه سخر الانس والجن والطير وزيتوا السحر في عين الناس بالنسبة الى سليمان (ع) وشاع ذلك في اليهود وقبلوه لعداوتهم لسليمان عن السدي وروى العياشي باسناده عن ابي بصير عن ابي جعفر (ع) قال لما هلك سليمان وضع ابليس السحر ثم كتبه في كتاب وطواه وكتب على ظهره هذا ما وضع آصف بن برخيا من ملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم من اراد كذا وكذا فليقل كذا وكذا ثم دفنه تحت السرير ثم استثاره لهم فقال الكافرون ما كان يغلبنا سليمان الا بهذا وقال المؤمنون هو عبد الله ونبيه فقال الله في كتابه واتبعوا ما تتلو الشياطين الآية وفي قوله ولكن الشياطين كفروا ثلاثة اقوال ﴿احدها﴾ انهم كفروا بما استخرجوه من السحر (وثانيها) انهم كفروا بما نسبوه الى سليمان من السحر (وثالثها) انهم سحروا فعبثوا عن السحر بالكفر وفي قوله يعلمون الناس السحر قولان ﴿احدهما﴾ انهم القوا السحر اليهم فتعلموه (والثاني) انهم دلوه على استخراجهم من تحت الكرسى فتعلموه وقوله «وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت» فيه وجوه

﴿احدها﴾ ان المراد أن الشياطين يعلمون الناس السحر والذي انزل على الملكين واما انزل على الملكين وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتياال فيه ليعرفا ذلك ويعرفاه الناس فيجتنبوه غير ان الشياطين لا عرفوه استعملوه وان كان المؤمنون اذا عرفوه اجتنبوه وانتفعوا بالاطلاع على كيفية (وثانيها) ان يكون المراد على ما ذكرناه قبل من ان معناه واتبعوا ما كذبت به الشياطين على ملك سليمان وعلى ما انزل على الملكين اي معها وعلى الستها كما قال سبحانه ما وعدتنا على رسلك اي معهم وعلى الستهم (وثالثها) ان يكون ما بمعنى النبي والمراد وما كفر سليمان ولا انزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ويكون قوله ببابل هاروت وماروت من الموضع الذي معناه التقديم ويكون في هذا التاويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس ويكون الملكان اللذان نفي عنهما السحر جبرئيل وميكائيل عليهما السلام لأن سحرة اليهود فيما ذكر كانت تدعي ان الله عز وجل انزل السحر على لسان جبرئيل وميكائيل على سليمان فاكذبهم الله في ذلك

ويجوز ان يكون هاروت وماروت يرجعان إلى الشياطين كأنه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك كما ساغ في قوله وكنا حكمهم شاهدين يعني حكم داود وسليمان ويكون على هذا قوله «وما يعلمان من احد حتى يقولوا انما نحن قننة» راجعا الى هاروت وماروت ومعنى قولها انما نحن قننة «فلا تكفر» يكون على طريق الاستهزاء والتأجيز لا على سبيل النصيحة والتحذير ويجوز على هذا التأويل ايضا الذي يتضمن النبي والجعد ان يكون هاروت وماروت اسمين للملكين ونبي عنهما انزال السحر ويكون قوله وما يعلمان راجعا الى قبيلتين من الجن والانس او إلى شياطين الجن والانس فيحسن التثنية لهذا وروي هذا التأويل في حمل ما على النبي عن ابن عباس وغيره من المفسرين وحكي عنه ايضا انه كان يقرأ على الملكين بكسر اللام ويقول متى كان العلجان ملكين انما كنا ملكين وعلى هذه القراءة لا ينكر أن يرجع قوله وما يعلمان من احد اليهما ويمكن على هذه القراءة في الآية وجه آخر وان لم يحمل قوله وما انزل على الملكين على الجعد والنبي وهو أن يكون هو لولا الذين اخبر عنهم اتبعوا ما تتلو الشياطين وتدعيه على ملك سليمان واتبعوا ما انزل على الملكين من السحر ولا يكون الا انزال مضافا الى الله تعالى وان اطلق لأنه جل وعز لا يتزل السحر بل يكون انزله اليه بعض الضلال ويكون معنى انزل وان كان من الارض حمل اليها لامن السماء انه اتي به من نجود البلاد واعاليها فإن من هبط من النجد الى الغور يقال نزل واختلف في بابل فقيل هي بابل العراق لأنه تبلبت بها الألسن عن ابن مسعود وقيل هي بابل دماوند عن السدي وقيل هي من نصيبين الى راس العين وماروت وقيل هما رجلان على ما تقدم بيانه وقيل هما ملكان من الملائكة اهبطهما الله الى الارض على صورة الانس لثلاثينف الناس منها اذا كانا على صورة الملائكة واختلف في سبب هبوطهما فقيل ان الله اهبطهما ليأمر بالدين وينها عن السحر ويفرقا بينه وبين المعجز لأن السحر كان كثيرا في ذلك الوقت ثم اختلف في ذلك فقال قوم كانا يعلمان الناس كيفية السحر وينهايان عن فعله ليكون النهي بعد العلم فان من لا يعرف الشيء لا يمكنه اجتنابه وقال آخرون لم يمكن لهما تعليم السحر لما في ذلك من الاغراء بفعله وانما اهبطا لمجرد النهي اذ كان السحر فاشيا وقيل ايضا في سبب هبوطهما ان الملائكة تعجبت من معاصي بني آدم مع كثرة نعم الله عليهم فقال طائفة منهم ياربنا انما تفضب بما يعمل خلقك في ارضك وما يفترون عليك من الكذب والزور ويرتكبونه من المعاصي وقد نهيتهم عنها وهم في قبضتك وتحت قدرتك فأحب الله سبحانه ان يعرفهم ما من به عليهم من عجب خلقهم وما طبعهم عليه من الطاعة وعصمهم به من الذنوب فقال لهم انذبوا منكم ملكين حتى اهبطهما الى الارض واجعل فيهما من طبائع الطعام والشرب والشهوة والحرص والامل مثل ما جعلت في ولد آدم ثم أختبرهما في الطاعة لي قال فندبوا لذلك هاروت وماروت وكانا من اشد الملائكة قولاً في العيب لولد آدم واستجار عتب الله عليهم قال فاحي الله اليهما ان اهبطا الى الارض فقد جعلت فيكما من طبائع الطعام والشرب والشهوة والحرص والامل مثل ما جعلت في ولد آدم وانظرا ان لا تشركا بي شيئا ولا تقتلا النفس التي حرم الله قتلها ولا تزنيا ولا تشربا الخمر ثم اهبطهما الى الارض على صورة البشر ولباسهم فرفع لهما بناء مشرف فاقبلنا نحوه فاذا امرأة جميلة حسناء اقبلت نحوهما فوقت في قلوبهما موقعا شديدا ثم انهما ذكرا ما نهيا عنه من الزنا فضايا ثم حركتهما الشهوة فرجعا اليها فراودها عن نفسها فقالت ان لي ديننا ادين به ولسنت اقدر في ديني على ان اجيبكما الى ما تريدان الا ان تدخلا في ديني فقالا وما دينك فقالت لي إله من عبده وسجد له كان لي السبيل الى ان اجيبه الى كل ما سأني قالا وما أهلك قالت هذا الصم قال فانتسرا بينهما فغلبتهما الشهوة التي جعلت فيهما فقالا لها نجيبك الى ما سألت قالت فدونيكما فاشربا الخمر فإنه قربان لكما عنده وبه تصلان الى ما تريدان فقالا هذه ثلاث خصال وقد نهانا ربنا عنها الشرك والزنا وشرب الخمر فانتسرا بينهما ثم قالا لها ما اعظم البلية بك قد اجبناك قال فشربا الخمر وسجدا للصم ثم راودها عن نفسها فلما تهيأت لهما دخل عليهما سائل يسأل فلما رآه فرعا منه فقال لهما انكما لمريبان قد خلوتما بهذه المرأة الحسناء انكما

لرجلا سوء وخرج عنهما فقالت لهما بادرا الى هذا الرجل فاقتلاه قبل ان يفضحكما ويفضحنى ثم دونكما فاقضيا حاجتكما وانما مطمئنان آمنان قال فقاما الى الرجل فادركاه فقتلاه ثم رجعا اليها فلم يرياها وبدت لهما سواتهما ونزع عنهما ريشهما وسقط في ايديهما فاوحى الله تعالى اليهما انما اهبطتكما الى الارض ساعة من نهار فعصيتاني باربع معاص قد نهيتكما عنها وتقدمت اليكما فيها فلم تراقباني ولم تستحياني وقد كنتا اشد من ينقم على اهل الارض من المعاصي فاخترنا عذاب الدنيا او عذاب الآخرة قال فاخترنا عذاب الدنيا فكانا يعلمان الناس السحر بارض بابل ثم لما علمنا الناس رفعا من الارض الى الهواء فهما معذبان منكسان معلقان في الهواء الى يوم القيامة هذا الخبر رواه العياشي مرفوعا الى ابي جعفر الباقر (ع) ومن قال بعصمة الملائكة عليهم السلام لم يجز هذا الوجه وقوله «وما يعلمان من احد حتى يقولوا انما نحن فتنه فلا تكفر» يعني الملكين ما يعلمان احدا والعرب تستعمل لفظة علم بمعنى اعلم اي لا يعرفان صفات السحر وكيفيته حتى يقولوا اي الأبعد ان يقولوا انما نحن فتنه اي محنة لأن الفتنه بمعنى المحنة والاختبار والابتلاء وانما كانا محنة من حيث القيا الى المكلفين امرا ليترجروا عنه ويمتنعوا من مواقعتهم وهم اذا عرفوا ممكن ان يستعملوه ويرتكبوه فقالوا لمن يطعانه على ذلك لا تكفر باستعماله ولا تعدل عن الغرض في القائه اليك فإنه انما التي اليك لتجنبه لا لتفعله ولا يكون على هذا التأويل تعلم السحر كفرا ومعصية كما ان من عرف الزنا لم يأثم بأنه عرفه وانما يأثم بالعمل وقيل ان المراد به نبي تعليمهما السحر والتقدير ولا يعلمان احداً السحر فيقولان انما نحن فتنه فعلى هذا يكون تعليم السحر من الشياطين والنهي عنه من الملكين وقوله فلا تكفر يعني به احد ثلاثة اشياء ﴿احدها﴾ فلا تكفر بالعمل بالسحر (والثاني) فلا تكفر بتعلم السحر ويكون مما امتحن الله عز وجل بالملكين الناس في ذلك الوقت وجعل المحنة في الكفر والايمان ان يقبل القابل تعلم السحر فيكون بتعلمه كافرا وبتركه التعلّم مؤمنا لأن السحر كان قد كثّر وهذا ممكن ان يتمن الله به كما امتحن بالنهر في قوله فمن شرب منه فليس مني (والثالث) فلا تكفر بكليهما وقوله «فيتعلمون منهما» اي من هاروت وماروت وقيل من السحر والكفر وقيل اراد بدلا مما علمهم ويكون المعنى انهم يعدلون عما علمهم الملكان من النهي عن السحر الى فعله واستعماله كما يقال ليت لنا من كذا وكذا اي بدلا منه وكقول الشاعر

جَمَعْتَ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَطَبّاً وَعَلْبَةً
وَمِنْ كُلِّ آخِلَاقِ الْكِرَامِ نَيْمَةً
وَصَرَآ لِاخْتِلَافِ الْمُرْتَمَةِ الْبُزْلِ
وَسَعِيآ عَلَى الْجَارِ الْمَجَاوِرِ بِالْمَحْلِ

وقوله «ما يفرقون به بين المرء وزوجه» فيه وجوه ﴿احدها﴾ انهم يوددون احدهما على صاحبه ويبغضونه اليه ويؤذي ذلك الى الفرقة عن قتادة (وثانيها) انهم يفرقون احد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى فيكون بذلك قد فارق زوجه الآخر المؤمن المقيم على دينه فيفرق بينهما اختلاف النحلة وتباين الملة (وثالثها) انهم يسعون بين الزوجين بالنميمة والوشاية حتى يؤول امرهما الى الفرقة والبداينة وقوله «وما هم بضارين به من احد الا باذن الله» اي لا يلحقون بغيرهم ضررا الا بعلم الله فيكون على وجه التهديد وقيل معناه الابتخالية الله عن الحسن قال من شاء الله منعه فلا يضره السحر ومن شاء خلى بينه وبينه فيضره وقوله «ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم» معناه يضرهم في الآخرة ولا ينفعهم وان كان ينفعهم في الدنيا لأنهم لما قصدوا بتعلمه ان يفعلوه ويرتكبوه لا ان يجتنبوه صار ذلك بسوء اختيارهم ضررا عليهم وقوله «ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق» يعني اليهود الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم علموا لمن استبدل السحر بدين الله فالهوا في اشتراء كناية عن السحر عن قتادة وجماعة من المفسرين فاه في الآخرة من نصيب وقوله «ولبئس ما شروا به انفسهم» يعني بنس ما باعوا به حظ انفسهم حيث اختاروا التكسب بالسحر وقوله «لو كانوا يعلمون» بعد قوله ولقد علموا ذكر فيه وجوه ﴿احدها﴾ ان يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا او يكون الذين علموا الشياطين او الذين خبرتعالى عنهم بأنهم

نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر (وثانيتها) أن يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا الا أنهم علموا شيئا ولم يعلموا غيره فكانه تعالى وصفهم بأنهم عالمون بأنه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ولم يعلموا كنه ما يصيرون اليه من العقاب الدائم (وثالثها) ان تكون الفائدة في نبي العلم بعد اثباته انهم لم يعملوا بما علموا فكانهم لم يعلموا كما قال كعب بن زهير يصف ذنبا وغبابا تبعاه ليصيبا من زاده
إِذَا حَضَرَ أَيْ قُلْتُ لَوْ تَعَلَّمَانِيهِ أَلَمْ تَعَلَّمَا أَيْ مَنِ الزَّادُ مِرْمَلُ

فني عنها العلم ثم اثبتته والمعنى في نفيه العلم عنهما انهما لم يعملوا بما علماه فكأنهما لم يعلماه وفي هذه الآية دلالة على ان الافعال تختلف باختلاف المقاصد ولذلك كان تعلم السحر لازالة الشبهة والتحرز منه واجتنابه ايماناً وتصديقه واستعماله كفراً واختلف في ماهية السحر على اقوال فقيل انه ضرب من التخيل وصنعة من لطيف الصنائع وقد امر الله تعالى بالتعود منه وجعل التحرز بكتابه وقاية منه وانزل فيه سورة الفلق وهو قول الشيخ المفيد ابي عبد الله من اصحابنا وقيل انه خدع ومخاريق وتوحيهات لاحقيقة لها يخيل الى المسحور ان لها حقيقة وقيل انه يمكن الساحر ان يقلب الانسان حمارا ويقلبه من صورة الى صورة وينثى الحيوان على وجه الاختراع وهذا لا يجوز ومن صدق به فهو لا يعرف النبوة ولا يامن ان تكون معجزات الانبياء من هذا النوع ولو ان الساحر والمعزم قدرا على نفع او ضرر وعلم الغيب قدرا على ازالة الممالك واستخراج الكنوز من معادنها والغلبة على البلدان بقتل الملوك من غير ان ينالهم مكروه وضرر فلما رأيناهم اسوأ الناس حالا واكثرهم مكيدة واحتمالا علمنا انهم لا يقدرون على شيء من ذلك فاما ما روي من الاخبار ان النبي صلى الله عليه وآله سحر فكان يرى انه فعل به ما لم يفعله او انه لم يفعل ما فعله فاجاب مقتعة لا يلتفت اليها وقد قال الله سبحانه وتعالى حكاية عن الكفار ان تتبعون الارجلا مسحورا فلو كان للسحر عمل فيه لكان الكفار صادقين في مقالهم حاشا النبي صلى الله عليه وآله من كل صفة نقص تنفر عن قبول قوله فانه حجة الله على خليقته وصفوته على بريته

قوله تعالى (١٠٣) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ (آية)

﴿ اللغنة ﴾

المثوبة والثواب والأجر نظائر ونقيض المثوبة العقوبة يقال تاب يثوب ثوبا وثوابا واثابه إنابة ومثوبة وثوابا والاصل في الثواب ما رجع اليك من شيء يقال اعتدت الرجل غشية تم ثابت اليه نفسه ولذلك سمي الثواب ثوبا لأنه العائد الى صاحبه مكافاة لما فعل ومنه التثويب في الأذان وهو ترجيع الصوت يقال ثوب الداعي اذا كرر دعاءه الى الحرب او غيرها ويقال انهزم القوم ثم تابوا اي رجعوا والثوب مشتق من هذا ايضا لأنه تاب لباسا بعد ان كان قطنيا او غزلا والمثابة الموضع يثوب اليه الناس وفي الشواذ قرأ قتادة لمثوبة بسكون التاء وفتح الواو وهي لغة كما قالوا مشورة ومشورة واجمع العرب على قولهم هذا خير منه وهذا شر منه الا بعض بني عامر فانهم يقولون هذا أخير من ذا وشر من ذا

﴿ الاعراب ﴾

اللام في لمثوبة لام الابتداء وهي في موضع جواب لو لأنها تنبي عن قولك لا ثيبوا والضمير في انهم عائد الى الذين يتعلمون السحر

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه «ولو أنهم» يعني الذين يتعلمون السحر ويعملونه وقيل هم اليهود «آمنوا» اي صدقوا بمحمد صلى الله عليه وآله والقرآن «واتقوا» السحر والكفر وقيل جميع المعاصي «لمثوبة من عند الله خير» اي لا ثيبوا

وثواب الله خير «لو كانوا يعلمون» اي لو كانوا يستعملون ما يعلمونه وليس انهم كانوا يجهلون ذلك كما يقول الانسان لصاحبه وهو يعظه ما ادعوك اليه خير لك لو كنت تعقل او تنظر في العواقب وفي قوله لو كانوا يعلمون وهو خير علموا اولم يعلموا وجهان ﴿احدهما﴾ ان معناه لو كانوا يعلمون لظهر لهم بالعلم ذلك اي اعلموا ان ثواب الله خير من السحر (والآخر) ان المعنى فيه الدلالة على جهلهم وترغيبهم في ان يعلموا ذلك وان يطلبوا ما هو خير لهم من السحر وهو ثواب الله الذي ينال بطاعته واتباع مرضاته وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول اصحاب المعارف لأنه نفي ذلك العلم عنهم

قوله تعالى (١٠٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَاسْمَعُوا
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (آية)

﴿اللغة﴾

المراعاة التفقد للشيء في نفسه او احواله والمراعاة والمحافظة والمراقبة نظائر ونقيض المراعاة الاغفال ورعى الله فلانا اي حفظه ورعيت له حقه وعهده فيمن خلف وارعيتہ سمعي اذا اصفيت اليه وراعيتہ بعيني اذا لاحظته وجمع الراعي رعاء ورعاة ورعيان وكل من ولي قوما فهو راعيهم وهم رعيته والمرعي من الناس السوس والراعي السانس واسترعاه الله خلقه اي ولاه امرهم ليرعاهم والارعاء الابقاء على اخيك والاسم الرعوى والرعياء وراعني سمعك اي استمع ورجل رعية للذي صنعه وصنعة آباءه الرعاية قال الشاعر (يسوسها رعية حاف فضل) واصل الباب الحفظ ونظرت الرجل انظره نظرة بمعنى انتظرتة وارتقتة

﴿المعنى﴾

١١ قدم سبحانه نهي اليهود عن السحر عقبه بالنهي عن اطلاق هذه اللفظة فقال سبحانه «يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا» كان المسلمون يقولون يا رسول الله راعنا اي استمع منا خرفت اليهود هذه اللفظة فقالوا يا محمد راعنا وهم يلحدون الى الرعونة يريدون به النقيصة والروية فلما عوتبوا قالوا نقول كما يقول المسلمون فنهى الله عن ذلك بقوله لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا وقال قتادة انها كلمة كانت تقولها اليهود على وجه الاستهزاء وقال عطاء هي كلمة كانت الانصار تقولها في الجاهلية فنهوا عنها في الاسلام وقال السدي كان ذلك كلام يهودي بعينه يقال له رفاعة بن زيد يريد بذلك الرعونة فنهي المسلمون عن ذلك وقال الباقر عليه السلام هذه الكلمة سب بالعبانية اليه كانوا يذهبون وقيل كان معناه عندهم اسمع لا سمعت وروي عن الحسن انه كان يقرأ راعنا بالتثنية وهو شاذ لا يؤخذ به ومعنى انظرنا يحتمل وجوها ﴿احدها﴾ انتظرنا نفهم وتنبين ماتعلمنا (والآخر) فقها وبين لنا يا محمد (والثالث) اقبل علينا ويجوز ان يكون معناه انظر الينا حذف حرف الجر وقوله «واسمعوا» يحتمل امرين ﴿احدهما﴾ ان معناه اقبلوا ما يأمركم به من قوله سمع الله لمن حمده وسمع الله دعاءك اي قبله (الثاني) ان معناه استمعوا ما يأتيكم به الرسول عن الحسن «وللكافرين» بحمد والقرآن «عذاب اليم» اي موجه قال الحسن والضحاك كل ما في القرآن يا ايها الذين آمنوا فانه نزل بالمدينة

قوله تعالى (١٠٥) مَا يَوْذُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ
عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (آية)

﴿اللغة﴾

المودة المحبة والاختصاص بالشيء هو الانفراد به وضد الاختصاص الاشتراك ويقال خصه بالشيء يخصه خصا اذا فضله به والخصاص الفرج والخص بيت من قصب او شجر وإنما سمي خصا لأنه يرى ما فيه من خصاصه وكل

خلل او خرق يكون في السحاب او المنخل فهو اخصاصة واصل الباب الانفراد بالشيء . ومنه يقال للفرج اخصانص لانفراد كل واحد عن الآخر من غير جمع بينها ويقال اخصصته بالفائدة واخصصت انا بها كما يقال افرده بها وانفردت انا بها

﴿ الاعراب ﴾

الذين كفروا في موضع رفع لأنه فاعل يود والمشركين في موضع جر بالعطف على اهل الكتاب وتقديره ولا من المشركين وقوله ان ينزل في موضع نصب لأنه مفعول يود ومن في قوله من خير زائدة مؤكدة كقولك ما جاءني من احد وموضع من خير رفع ومن في قوله من ربكم لابتداء الغاية والتي في قوله من اهل الكتاب للتوزيع والتبيين مثل التي في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه ايضاً عن اليهود فقال «ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم» معناه ما يحب الكافرون من اهل الكتاب ولا من المشركين بالله من عبدة الاوثان ان ينزل الله عليكم شيئاً من الخير الذي هو عنده والخير الذي تمنوا ان لا ينزله الله عليهم ما اوحى الي نبيه صلى الله عليه وآله وانزله عليه من القرآن والشرائع بغيا منهم وحسداً «والله يختص برحمته من يشاء» وروي عن امير المؤمنين عليه السلام وعن ابي جعفر الباقر عليه السلام ان المراد برحمته هنا النبوة وبه قال الحسن وابو علي والزماني وغيرهم من المفسرين قالوا يختص بالنبوة من يشاء من عباده «والله ذو الفضل العظيم» هذا خبر منه سبحانه ان كل خير نال عباده في دينهم ودنياهم فإنه من عنده ابتداء منه اليهم وتفضلاً عليهم من غير استحقاق منهم لذلك عليه فهو عظيم الفضل ذو المن والطول

قوله تعالى (١٠٦) مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر ما ننسخ بضم النون وكسر السين والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير وابو عمرو ونسأها بفتح النون والسين واثبات همزة والباقون بضم النون وكسر السين بلا همز

﴿ الحجة ﴾

اما قراءة ابن عامر ننسخ فلا يخلو من ان يكون افعال لغة في فعل نحو بدأ وابتدأ وحل من احرامه واحل او تكون همزة للنقل نحو ضرب واضربه ونسخ الكتاب وانسخته الكتاب او يكون المعنى في انسخة الآية وجدتها منسوخة كقولهم احمدت زيدا وانجسته والوجه الصحيح هو الاول وهو ان يكون نسخ وانسخ لفتين متفتحتين في المعنى وان اختلفتا في اللفظ وقول من فتح النون ابين واوضح فاما نسأها فهي من النسأ وهو التأخير يقال نسأت الابل عن الحوض انسأها نسأ اذا اخرتها عنه وانتسأت انا اي تأخرت ومنه قولهم انسأ الله اجلك ونسأ في اجلك واما القراءة الاخرى فمن النسيان الذي هو بمعنى السهو او بمعنى الترك

﴿ اللغة ﴾

النسخ في اللغة ابطال شيء واقامة آخر مقامه يقال نسخت الشمس الظل اي اذهبت وحلت محله وقال ابن دريد كل شيء خلف شيئاً فقد انتسخه وانتسخ الشيب الشباب وتناسخ الورثة ان توت ورثة بعد ورثة واصل الميراث قائم لم يقسم وكذلك تناسخ الازمنة والقرون بعد القرون الماضية واصل الباب الابدال من الشيء غيره وقال علي بن عيسى النسخ الرفع لشيء قد كان يلزم العمل به الى بدل منه كنسخ الشمس بالظل لأنه يصير بدلا منها في مكانها وهذا ليس بصحيح لأنه ينتقض بن يلزمه الصلاة قائماً فعجز عن القيام فانه يسقط عنه القيام لعجزه

ولا يسمى العجز نسخا ولا القيام منسوخا ويتنقض ايضا بن يستبيح الشيء بحكم العقل وورد الشرع بحظره فإنه لا يقال ان الشرع نسخ حكم العقل ولا ان حكم العقل منسوخ واولى ما يجد به النسخ ان يقال هو كل دليل شرعي دل على أن مثل الحكم الثابت بالنص الاول غير ثابت في المستقبل على وجه لولاه لكان ثابتا بالنص الاول مع تراخيه عنه والنسخ في القرآن على ضروب منها أن يرفع حكم الآية وتلاوتها كما روي عن ابي بكر انه قال كنا نقرأ لا ترغبوا عن آباءكم فإنه كفر بكم ومنها ان تثبت الآية في الخط ويرفع حكمها كقوله وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم الآية فهذه ثابتة اللفظ في الخط مرتفعة الحكم ومنها ما يرتفع اللفظ ويثبت الحكم كآية الرجم فقد قيل أنها كانت منزلة فرفع لفظها وقد جاءت اخبار كثيرة بأن اشياء كانت في القرآن فنسخ تلاوتها فتمت ما روي عن ابي موسى انهم كانوا يقرأون لو ان لابن آدم واديين من مال لا تبغى اليها ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب ثم رفع وعن أنس ان السبعين من الانصار الذين قتلوا ببئر معونة قرأنا فيهم كتابا بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ثم ان ذلك رفع وقال ابو عبيدة معني نساها اي غضيها فلا ننسخها قال طرفه

أُمُونٌ كَأَلْوَابِ الْأَرَانِ نَسَأَتْهَا
عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهَرَ بُرْجِدٌ

اي امضيتها وقال غيره نسات الابل في ظمئها انساها نسا اذا زدتها في ظمئها يوما او يومين وظمؤها منعها الماء ونسات الماشية تنسا نسا اذا سمعت وكل سمين ناسى قال الزجاج وتأويله ان جلودها نسات اي تاخرت عن عظامها وقال غيره انما قيل ذلك لأنها تاخرت في المرعى حتى سمعت ويقال للعصا المنسأة لأنها ينسا بها اي يومخر ما يساق عن مكانه ويدفع بها الانسان عن نفسه الأذى ونسات ناقتي اذا دفعتها في السير واصل الباب التأخير

﴿الاعراب﴾

ما ننسخ ما اسم ناب مناب ان وهو في موضع نصب بنسخ وانما لزمه التقديم وان كان مفعولا ومرتبة المفعول ان يكون بعد الفاعل لثباته عن حرف الشرط الذي له صدر الكلام ونسخ مجزوم بالشرط ونس جزم لأنه معطوف عليه ونأت مجزوم لأنه جزاء ومن في قوله من آية للتعويض وقيل هي مزيدة ولفظ ألمها هنا لفظ الاستفهام ومعناه التقرير وتعلم مجزوم بلم لأن حرف الاستفهام لا يغير العامل عن عمله

﴿النظم﴾

ما قال سبحانه في الآية الاولى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم دل بهذه الآية على انه سبحانه لا يخليهم من ازال خير اليهم بخلاف ما تنه اعداؤهم فيهم وانه ابدى ينزل عليهم ما هو اصلح لهم عن علي بن عيسى وقيل انه سبحانه لما عاب اليهود باشياء ورد عليهم ما رآوا به العلم في امر نبينا عليه وآله السلام وكان مما طعنوا فيه انه يقول بنسخ كل شريعة تقدمت شريعته فبين الله سبحانه جواز ذلك ردا عليهم عن ابي مسلم

﴿المعنى﴾

«ما ننسخ من آية» قد ذكرنا حقيقة النسخ عند المحققين وقيل معناه ما نرفع من آية او حكم آية وقيل معناه ما نبدل من آية عن ابن عباس ومن قرأ «او نساها» فعناه على وجهين فان لفظ النسي المتقول منه انسى على ضربين ﴿احدهما﴾ يعني النسيان الذي هو خلاف الذكر نحو قوله واذكر ربك اذا نسيت (والآخر) بمعنى الترك نحو قوله نسوا الله فانساهم اي تركوا طاعة الله فترك رحمتهم او ترك تحليصهم فالوجه الاول في الآية مروى عن قتادة وهو ان يكون محمولا على النسيان الذي هو مقابل الذكر ويجوز ذلك على الأمة بأن يومروا بترك قراءتها فينسونها على طول الايام ولا يجوز ذلك على النبي (ص) لأنه يودي الى التنفير كذا ذكره الشيخ ابو جعفر رحمه الله في

تفسيره وقد جوز جماعة من المحققين ذلك على النبي (ص) قالوا انه لا يودي الى التنفير لتعلقه بالمصلحة ويجوز ايضا ان ينسبهم الله تعالى ذلك على الحقيقة وان كانوا جمعا كثيرا وجما غفيرا بأن يفعل النسيان في قلوب الجميع وان كان ذلك خارقا للعادة ويكون معجزا للنبي (ص) واستدل من حمل الآية على النسيان الذي هو خلاف الذكر وجوز كون النبي صلى الله عليه وآله مرادا به بقوله سبحانه سنقرئك فلا تنسى الا ماشاء الله اي الا ماشاء الله ان تنساه قال والى هذا ذهب الحسن فقال ان نبيكم أقرى القرآن ثم نسيه وانكر الزجاج هذا القول فقال ان الله تعالى قد انبأ النبي (ص) في قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره بأنه لا يشاء ان يذهب بما اوحى الى النبي (ص) قال ابو علي الفارسي هذا الذي احتج به على من ذهب الى ان نسيها من النسيان لا يدل على فساد ما ذهبوا اليه وذلك ان قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك انما هو على ما لا يجوز عليه النسخ والتبديل من الاخبار واقاصيص الأمم ونحو ذلك مما لا يجوز عليه التبديل والذي ينسأه النبي صلى الله عليه وآله هو ما يجوز ان ينسخ من الاوامر والنواهي الموقوفة على المصلحة وفي الاوقات التي يكون ذلك فيها اصلح ويدل على ان نسيها من النسيان الذي هو خلاف الذكر قراءة من قرأ او نسيها وهو قراءة سعد بن ابي وقاص وقراءة من قرأ او نسيها وهو المروي عن سالم مولى ابي حذيفة وقراءة من قرأ او نسيها وهو المروي عن سعد بن مالك فالفعول المراد المحذوف في قراءة من قرأ او نسيها مظهر في قراءة من قرأ او نسيها ويبيته ما روي عن الضحاك انه قرأ نسيها ويوه كد ذلك ايضا ما روي من قراءة ابن مسعود ما نسيك من آية او نسيها وبه قرأ الاعمش وروي عن مجاهد انه قال قراءة ابي ما ننسخ من آية او نسيك فهذا كله يثبت قراءة من جعل نسيها من النسيان ويوه كد ما روي عن قتادة انه قال كانت الآية تنسخ بالآية وينسي الله نبيه من ذلك شيئا والوجه الثاني وهو ان المراد بالنسيان الترك في الآية مروي عن ابن عباس فعلى هذا يكون المراد بنسيها نأمرم بتركها اي بترك العمل بها قال الزجاج انما يقال في هذا نسيت اذا تركت ولا يقال فيه انسيت تركت وانما معنى او نسيها او نتركها اي نأمرم بتركها قال ابو علي من فسر انسيت بتركها لا يكون مخطئا لأنك اذا انسيت فقد نسيت ومن هذا قال علي بن عيسى انما فسرهم المفسرون على ما يؤول اليه المعنى لأنه اذا امر بتركها فقد تركها فإن قيل اذا كان نسخ الآية رفعها وتركها ان لا تنزل فامعنى ذلك ولم جمع بينهما قيل ليس معنى تركها الا تنزل وقد غلط الزجاج في توهمه ذلك وانما معناه اقرارها فلا ترفع كما قال ابن عباس نتركها فلا نبدها واطرافه الى القديم سبحانه في نحو هذا اتساع كقوله تعالى وتركهم في ظلمات لا يبصرون وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض اي خيلناهم وذلك واما من قرأ او نسيها على معنى التأخير فقيل فيه وجوه **احدها** ان معناه ان يؤخرها فلا تنزلها وتنزل بدلا منها مما يقوم مقامها في المصلحة او يكون اصلح للعباد منها (وثانيتها) ان معناه يؤخرها الى وقت ثان ونأت بدلا منها في الوقت المتقدم بما يقوم مقامها (وثالثها) ان يكون معنى التأخير ان ينزل القرآن فيعمل به ويتلى ثم يؤخر بعد ذلك بان ينسخ فيرفع تلاوته البتة ويمحى فلا تنسأ ولا يعمل بتأويله مثل ما روي عن زر بن حبیش ان ابياً قال له كم تقرءون الاحزاب قال بضعا وسبعين آية قال قد قرأتها ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله اطول من سورة البقرة اورده ابو علي في كتاب الحجية (ورابعها) أن يؤخر العمل بالتأويل لأنه نسخ ويترك خطه مثبتا وتلاوته قرآن يتلى وهو ما حكي عن مجاهد يثبت خطها ويبدل حكمها والوجهان الاولان اعتمادهما لأن الوجهين الاخيرين يرجع معناه الى معنى النسخ فلا يحسن اذ يكون في التقدير محموله ما ننسخ من آية او ننسخها وهذا لا يصح على ان الوجه الاول ايضا فيه ضعف لأنه لا فائدة في تأخير ما لم يعرفه العباد ولا علموه ولا سمعوه فالاقوى هو الوجه الثاني وقوله «نأت بخير منها او مثلها» فيه قولان **احدهما** نأت بخير منها لكم في التسهيل والتيسير كالأمر بالقتال الذي سهل على المسلمين بقوله الآن خفف الله عنكم او مثلها في السهولة كالعبادة بالتوجه الى الكعبة بعد أن كان الى بيت المقدس عن ابن عباس (والثاني) نأت بخير منها في الوقت الثاني اي هي لكم في الوقت الثاني خير لكم من الاولى في الوقت الاول في

باب المصلحة او مثلها في ذلك عن الحسن وقوله «لم تعلم ان الله على كل شي قدير» قيل هو خطاب للنبي (ص) وقيل هو خطاب لجميع المكلفين والمراد لم تعلم ايها السامع او ايها الانسان ان الله تعالى قادر على آيات وسور مثل القرآن ينسخ بها ما امر فيقوم في النفع مقام المنسوخ وعلى القول الاول معناه لم تعلم يا محمد انه سبحانه قادر على نصرته والانتصار لك من اعدائك وقيل هو عام في كل شي واستدل من زعم انه لا يجوز نسخ القرآن بالسنة المعلومة بهذه الآية قال اضافة الاتيان بخير منها الى نفسه والسنة لا تضاف اليه حقيقة ثم قال بعد ذلك لم تعلم ان الله على كل شي قدير فلا بد من ان يكون اراد ما يختص سبحانه بالقدره عليه من القرآن المعجز والصحيح ان القرآن يجوز ان ينسخ بالسنة المقطوع عليها ومعنى خيرهنا اي اصلاح لنا منها في ديننا وانفع لنا بان نستحق به مزيد الثواب فاما اضافة ذلك اليه تعالى فصحيحة لأن السنة لما هي بوجهه تعالى وامره فاضافتها اليه كاضافة كلامه وآخر الآية انما يدل على انه قادر على ان ينسخ الآية بما هو اصلاح وانفع سواء كان ذلك بقرآن او سنة وفي هذه الآية دلالة على ان القرآن محدث وانه غير الله تعالى لأن التقديم لا يصح نسخه ولانه اثبت له مثلاً والله سبحانه قادر عليه وما كان داخلاً تحت القدرة فهو فعل والفعل لا يكون الا محدثاً

قوله تعالى (١٠٧) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وِلْيٍ وَلَا نَصِيرٍ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الولي هو القائم بالأمر ومنه ولي عهد المسلمين ودون الله سوى الله قال امية بن ابي الصلت
يَا نَفْسُ مَا لَكَ دُونَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ وَمَا عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مِنْ بَاقٍ
والنصير الناصر وهو المريد والمقوي

﴿ الاعراب والمعنى ﴾

لم تعلم استفهام تقرير وتثبيت ويؤول في المعنى الى الايجاب فكأنه يقول قد علمت حقيقة كما قال جرير
أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ
فهذا خاطب به النبي صلى الله عليه وآله وقيل ان الآية وان كانت خطاباً للنبي عليه السلام فالمراد به امته كقوله
يا ايها النبي اذا طلقت النساء ومثله قول الكمي في مدح النبي عليه السلام
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلَوْ أَكْثَرَ فَيْكَ الضَّجَاجُ وَاللَّجَبُ
وَقِيلَ أَفَرَطْتَ بَلْ قَصَدْتَ وَلَوْ عَنَّفَنِي الْقَائِلُونَ أَوْ ثَلَبُوا
أَنْتَ الْمُصَفَّى الْمُهَذَّبُ الْمُحَضُّ فِي النَّسَبَةِ إِنْ نَصَّ قَوْمَكَ النَّسَبُ

فاخرج كلامه مخرج الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله واراد به اهل بيته لأن احدا من المسلمين لا يعنف مادح النبي عليه السلام ولا يكثر الضجاج واللجب في اطناب القول فيه فكأنه قال لم تعلم ايها الانسان ان الله له ملك السموات والارض لأنه خلقهما وما فيها وقوله «وما لكم من» قال ان الآية خطاب للنبي (ص) قال اني بضير الجمع في الخطاب تخفياً لامره وتعظيماً لقدرة ومن قال هي خطاب له وللمؤمنين او لهم خاصة فالمعنى ألم تعلموا ما لكم ايها الناس «من دون الله» اي سوى الله «من ولي» يقوم بأمركم «ولا نصير» ناصر ينصركم

قوله تعالى (١٠٨) أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (آية)

﴿ اللغة ﴾

السؤال هو ان يطلب امر من يعلم معنى الطلب وسواء بالمد على ثلاثة اوجه بمعنى قصد وعدل وبمعنى وسط في قوله الى سواء الجحيم وبمعنى غير في قولك اتيت سواك اي غيرك ومعنى ضل هاهنا ذهب عن الاستقامة قال الاخطل كُنْتُ الْقَدَى فِي مَوْجِ أَكْدَرِ مُزِيدٍ قَدَفَ الْآتِيُّ بِهِ فَضْلٌ ضَالًّا
اي ذهب يمينا وشمالا والسيل والطريق والمذهب نظائر والجمع السبل

﴿ الاعراب ﴾

أم هذه منقطعة فإن ام على ضربين متصلة ومنقطعة فالمتصلة عديدة الالف وهي مفرقة لما جمعه اي كما ان او مفرقة لما جمعه احد تقول اضرب ايهم شئت زيدا ام عمرا ام بكرا كما تقول اضرب احدهم زيدا او عمرا او بكرا والمنقطعة لا تكون الا بعد كلام لأنها بمعنى بل وهمزة الاستفهام كقول العرب انها لا بل ام شاء كأنه قال بل أي شاء فقوله ام تريدون تقديره بل تريدون ومثله قول الاخطل

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالاً

ان تسألوا موصول وصة في محل نصب لأنه مفعول تريدون كما ان الكاف حرف جر ما حرف موصول سئل موسى جملة فعلية هي صلة ما والموصول والصلة في محل الجر بالكاف والكاف متعلق بتسألوا والجار والمجرور في محل نصب على المصدر ومن قبل في محل نصب لأنه ظرف قوله سئل ومن اسم للشرط في محل الرفع بالابتداء والفاء في قوله فقد ضل سواء السبيل في محل الجزم لأنه جواب الشرط ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه من مع الجملتين في محل الرفع لأنه خبر المبتدا

﴿ النزول ﴾

اختلف في سبب نزول الآية فروي عن ابن عباس انه قال ان رافع بن حرمة ووهب بن زيد قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله اتتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقروه وجرلنا انهارا نتبعك ونصدقك فاتزل الله هذه الآية وقال الحسن عنى بذلك مشركي العرب وقد سألوا فقالوا ان نؤمن لك حتى تفجر لنا الى قوله او تأتي بالله والملائكة قبيلا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وقال السدي سألت العرب محمداً ان يأتهم بالله فيروه جبرة وقال مجاهد سألت قريش محمدا ان يجعل لهم الصفا ذهابا قال نعم ولكن يكون لكم كاللائدة لقوم عيسى عليه السلام فرجعوا وقال ابو علي الجبائي روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله سأله قوم ان يجعل لهم ذات اناط كما كان للمشركين ذات اناط وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها الثمر وغيره من المأكولات كما سألو موسى عليه السلام اجعل لنا إلهما كما لهم آلهة

﴿ المعنى ﴾

«ام تريدون» اي بل تريدون «ان تسألوا رسولكم» يعني النبي محمدا «كما سئل موسى» اي كما سأل قوم موسى موسى «من قبل» من الاقتراحات والمحاللات «ومن يتبدل الكفر بالإيمان» ان من استبدل الجحود بالله وبآياته بالتصديق بالله والاقرار به وبآياته واقترح المحاللات على النبي (ص) وسأل عما لا يعنيه بعد وضوح الحق بالبراهين «فقد ضل سواء السبيل» اي ذهب عن قصد الطريق وقيل عن طريق الاستقامة وقيل عن وسط الطريق لأن وسط الطريق خير من اطرافه

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لا دل الله تعالى بما تقدم على تدبيره لهم فيما يأتي به من الآيات وما ينسخه واختياره لهم ما هو الاصلح في كل حال قال اما ترضون بذلك وكيف تتخيرون محالات مع اختيار الله لكم ما يعلم

فيه من المصلحة فاذا اتى بآية تقوم بها الحجة فليس لأحد الاعتراض عليها ولا اقتراح غيرها لأن ذلك بعد صحة البرهان بها يكون تعنتا

قوله تعالى (١٠٩) ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فأعفوا وأصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير (آية)

﴿ اللغة ﴾

الحسد ارادة زوال نعمة المحسود اليه او كراهة النعمة التي هو فيها و ارادة ان تصير تلك النعمة بعينها له وقد يكون تعني زوال نعمة الغير حسداً وان لم يطمع الحاسد في تحول تلك النعمة اليه واشد الحسد التعرض للاغتمام بكون الخير لأحد واما النبطة فهي ان يراد مثل النعمة التي فيها الغير وان لم يرد زوالها عنه ولا يكره كونها له فهذه غير مذموم والحسد مذموم ويقال حسدته على الشيء احسده حسداً وحسدته الشيء بمعنى واحد ومنه قول الشاعر (يحسد الناس الطعام) والصفح والعفو والتجاوز عن الذنب بمعنى ويقال لظاهر جلدة الانسان صفحته وكذا هو من كل شيء ومنه صاحبه اي لقيت صفحة كفه صفحة كفي وقولهم صفحت عنه فيه قولان ﴿احدهما﴾ ان معناه اني لم آخذة بذنبه وابدت له مني صفحة جميلة والآخر انه لم ير مني ما يقبض صفحته ويقال صفحت الورقة اي تجاوزتها الى غيرها ومنه تصفحت الكتاب وقد يتصفح الكتاب من لا يحسن ان يقرأه

﴿ الاعراب ﴾

من في قوله من اهل الكتاب يتعلق بمحذوف تقديره فريق كاثنون من اهل الكتاب فيكون صفة لكثير من بعد في محل النصب على الظرف والعامل فيه يرد وكفاراً مفعول ثان يرد ومفعوله الاول كم من يردونكم وفي انتصاب قوله حسداً وجهان ﴿احدهما﴾ ان الجملة التي قبله تدل على الفعل الذي هو مصدره وتقديره حسدكم حسداً كما يقال فلان يتعنى لك الشر حسداً فكأنه قال يحسدك حسداً والآخر ان يكون مفعولاً له فكأنه قال يردونكم كفاراً لأجل الحسد كما تقول جئت خروفاً منه وقوله من عند انفسهم يتعلق بقوله ود كثير لا بقوله حسداً لأن حسد الانسان لا يكون من غير نفسه قال الزجاج وقال غيره يجوز ان يتعلق بقوله حسداً على التوكيد كقوله عز وجل ولا طائر يطير بجناحيه ويحتمل وجهاً آخر وهو ان يكون اليهود قد اضافوا الكفر والمعاصي الى الله تعالى فقال سبحانه تكذيباً لهم ان ذلك من عند انفسهم وقوله ماتبين ما حرف موصول وتبين لهم الحق صلته والموصول والصلة في محل الجر باضافة بعد اليه حتى يأتي الله يأتي منصوب باضمار ان وهما في محل الجر مجتى والجار والمجرور مفعول فاعفوا واصفحوا

﴿ النزول ﴾

نزلت الآية في حبي بن اخطب و اخيه ابي ياسر بن اخطب وقد دخلا على النبي صلى الله عليه وآله حين قدم المدينة فلما خرجا قيل لحبي اهو نبي قال هو هو فقيل فما له عندك قال العداوة الى الموت وهو الذي نقض العهد واثار الحرب يوم الاحزاب عن ابن عباس وقيل نزلت في كعب بن الاشرف عن الزهري وقيل في جماعة اليهود عن الحسن

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر الله سبحانه عن سراير اليهود فقال «ود» اي تعني «كثير من اهل الكتاب» كحبي بن اخطب وكعب بن الاشرف وامثالها «لو يردونكم» يا معشر المؤمنين اي يرجعونكم «من بعد ايمانكم كفاراً حسداً» منهم لكم بما اعد الله لكم من الثواب والخير وانما قال كثير من اهل الكتاب لأنه انما آمن منهم القليل كعبد الله بن سلام

وكعب الاجبار وقيل انما حيد اليهود المسلمين على وضع النبوة فيهم وذهابها عنهم وزوال الرياسة اليهم وقوله «من عند انفسهم» قد بينا ما فيه في الاعراب وقوله «من بعد ما تبين لهم الحق» اي بعد ما تبين لهم ان محمدا رسول الله والاسلام دين الله عن ابن عباس وقتادة والسدي وقوله «فاعفوا واصفحوا» اي تجاوزوا عنهم وقيل ارسلوهم فانهم لا يفوتون الله ولا يعجزونه وانما امرهم بالعرف والصفح وان كانوا مضطهدين مقهورين من حيث ان كثيرا من المسلمين كانوا عزيزين في عشايرهم واقوامهم يقدرون على الانتقام من الكفار فامرهم الله بالعرف وان كانوا قادرين على الانتصاف «حتى يأتي الله بأمره» اي بأمره لكم بعقابهم او يعاقبهم هو على ذلك ثم اتاهم بأمره فقاتلوا الذين لا يؤمنون الآية عن ابي علي وقيل بأمره اي بآية القتل والسبي لبني قريظة والجلال لبني النضير عن ابن عباس وقيل بأمره بالقتال عن قتادة فإنه قال هذه الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وبه قال الربيع والسدي وقيل نسخت بقوله اقاتلوا المشركين حيث وجدتموهم وروى عن الباقر (ع) انه قال لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال ولا اذن له فيه حتى نزل جبرائيل عليه السلام بهذه الآية اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقلده سيفا وقوله «ان الله على كل شيء قدير» فيه ثلاثة اقوال ﴿احدها﴾ انه قدير على عقابهم اذ هو على كل شيء قدير عن ابي علي (وثانيتها) انه قدير على ان يدعو الى دينه بما احب مما هو الا ليق بالحكمة فيأمر بالصفح نارة والعقاب اخرى على حسب المصلحة عن الزجاج (وثالثها) انه لما امر بالامهال والتأخير في قوله فاعفوا واصفحوا قال ان الله قادر على عقوبتهم بان يأمر بكبتهم ويعاقبهم في الآخرة بنفسه

قوله تعالى (١١٠) وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (آية)

﴿الاعراب﴾

ما اسم للشرط في موضع رفع بالابتداء وتقدموا شرط من خير من مزيدة والجار والمجرور مفعول تقدموا وتجوده مجزوم لأنه جزاء وعلامة الجزم في الشرط والجزاء سقوط الون ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه مامع الشرط والجزاء في محل الرفع لأنه خبر المبتدأ وما في قوله بما تعملون اسم موصول او حرف موصول والموصول والصلة في موضع جر بالباء والباء متعلق بصير الذي هو خبر ان

﴿المعنى﴾

لما امر الله سبحانه المؤمنين بالصفح عن الكفار والتجاوز علم انه يشق عليهم ذلك مع شدة عداوة اليهود وغيرهم لهم فامرهم بالاستعانة على ذلك بالصلاة والزكاة فإن في ذلك معونة لهم على الصبر مع ما يجوزون به من الثواب والأجر كما قال في موضع آخر واستعينوا بالصبر والصلوة وقوله «وما تقدموا لأنفسكم من خير» اي من طاعة واحسان وعمل صالح «تجدوه عند الله» اي تجدوا ثوابه معدا لكم عند الله وقيل معناه تجدوه مكتوبا محفوظا عند الله ليجازيكم به وفي هذه الآية دلالة على ان ثواب الخيرات والطاعات لا يضيع ولا يبطل ولا يحبط لأنه اذا احبط لا تجدونه وقوله «ان الله بما تعملون بصير» اي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم سيجازيكم على الاحسان بما تستحقونه من الثواب وعلى الاساءة بما تستحقونه من العقاب فاعملوا عمل من يستيقن انه يجازيه على ذلك من لا يخفى عليه شيء من عمله وفي هذا دلالة على الوعد والوعيد والأمر والجز وان كان خبرا عن غير ذلك في اللفظ

قوله تعالى (١١١) وَقَالُوا كُنْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ إِنْ لَمْ نَكُنْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

في هود ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ انه جمع هاند كما نذ وعوذ وعائط وعوط وهو جمع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد والمائد التائب الراجع الى الحق (وثالثها) ان يكون مصدرا يصلح للواحد والجمع كما يقال رجل فطر وقوم فطر ورجل صوم وقوم صوم (وثالثها) ان يكون معناه الامن كان يهود اخذت اليا الزائدة والبرهان والحجة والدلالة والبيان بمعنى واحد وهو ما امكن الاستدلال به على ما هو دلالة عليه مع قصد فاعله الى ذلك وفرق علي بن عيسى بين الدلالة والبرهان بأن قال الدلالة قد تنبي عن معنى فقط لا يشهد بمعنى آخر وقد تنبي عن معنى يشهد بمعنى آخر والبرهان ليس كذلك لانه بيان عن معنى ينبي عن معنى آخر وقد نوزع في هذا الفرق وقيل انه محض الدعوى

﴿ الاعراب ﴾

قالوا حجة فعلية والجنة ظرف مكان ليدخل والاها هنا لنقض النبي ومن موصول وهو مع صلته مرفوع الموضع بانه فاعل يدخل ولن يدخل مع ما بعده معمول قالوا وان حرف شرط وجوابه محذوف وتقديره ان كنتم صادقين فها تواتوا برهانكم

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه نبذا من اقوال اليهود ودعواهم الباطلة فقال «وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى» وهذا على الایجاز وتقديره قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ووجد كان لان لفظة من قد يكون للواحد وقد يكون للجماعة وإنما قلنا ان الكلام مقدر هذا التقدير لأن من المعلوم ان اليهود لا يشهدون للنصارى بالجنة ولا النصارى لليهود فعلمنا انه ادرج الخبر عنهما للايجاز من غير اخلال بشي من المعنى فان شهرة الحال تغني عن البيان الذي ذكرناه ومثله قول حسان بن ثابت

أَمِنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدُحُهُ وَيَنْصُرُهُ سِوَاهُ

تقديره ومن يمدحه وينصره غير انه لما كان اللفظ واحدا جمع مع الاول وصار كأنه اخبار عن جماعة واحدة وانما حقيقته عن بعضين متفرقين وقوله «تلك امانيتهم» اي تلك المقالة امانيتهم كاذبة يتمنونها على الله عن قتادة والربيع وقيل امانيتهم اباطيلهم بلغة قريش عن المورج وقيل معناه تلك اقاويلهم وتلاوتهم من قولهم قتي اي تلا وقد يجوز في العربية امانيتهم بالتخفيف والتثقيب اجود «قل» يا محمد «ها تواتوا» اي احضروا وليس بأمر بل هو تعجيز وانكار بمعنى اذا لم يمكنكم الا تبيان ببرهان يصح مقالكم فاعلموا انه باطل فاسد «برهانكم» اي حجتكم عن الحسن ومجاهد والسدي «ان كنتم صادقين» في قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وفي هذه الآية دلالة على فساد التقليد الا ترى انه لو جاز التقليد لما امروا بان يأتوا فيما قالوه ببرهان وفيها ايضا دلالة على جواز الحاجة في الدين

قوله تعالى (١١٢) بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (آية)

﴿ اللغة ﴾

اسلم يستعمل في شئين ﴿ احدهما ﴾ اسلمه الى كذا اي صرفه اليه تقول اسلمت الثوب اليه (والثاني) اسلم له بمعنى اخلص له ومنه قوله ورجلا سلما لرجل اي خالصا وقال زيد بن عمرو بن نفيل

أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ تُحْمِلُ صَخْرًا ثِقَالًا

وَأَسَلْتُمْ وَجْهِي لِمَنْ أَسَلْتُمْ لَهُ الْمِزْنَ تَحْمِلُ عَذَابًا زَلَالًا

ويروى واسلمت نفسي والوجه مستقبل كل شيء. ووجه الانسان محياه ويقال وجه الكلام تشبيها بوجه الانسان لانه اول ما يبذونه ويعرف به ويقال هذا وجه الرأي اي الذي يبذونه ويعرف به والوجه من كل شيء اول ما يبذونه فيظهر بظهوره ما بعده وقد استعملت العرب لفظة وجه الشيء وهم يريدون نفسه الا انهم ذكروه باللفظ الأشرف الانبه ودلوا عليه به كما قال سبحانه كل شيء هالك الا وجهه اي الاله وبيتي وجه ربك اي ربك وقال الاعشى

وَأَوْلُ أَحْكَمِ عَلَى وَجْهِهِ لَيْسَ قَضَائِي بِالْهَوَى الْجَائِرِ

اي على ما هو به من الصواب وقال ذو الرمة

فَطَاوَعْتُ هَمِّي وَأَنْجَلِي وَجْهَهُ نَازِلٌ يَرِيدُ وَأَنْجَلِي مِنَ الْأَمْرِ

الاعراب

بلى يدخل في جواب الاستفهام مثل قوله الست بربكم قالوا بلى ويصلح ان يكون تقديره هنا اما يدخل الجنة احد فقيل بلى من اسلم وجهه لله لأن ما تقدم يقتضي هذا السوء ال ويصلح ان يكون جوابا للجمد على التكذيب كقولك ما قام زيد فيقول بلى قد قام ويكون التقدير هنا ليس الأمر كما قال الزاعمون لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ولكن من اسلم وجهه لله وهو محسن فهو يدخلها ومن اسلم يجوز ان يكون من موصولا ويجوز ان يكون للشرط فيكون اسلم اما صلة له واما مجزوم الموضع بكونه شرطا أو يكون من مبتدأ والفاء في قوله فله اجره للجزاء واللام تتعلق المحذوف في محل الرفع لأنه خبر لقوله اجره والمبتدأ مع خبره في محل الرفع لوقوعه بعد الفاء والفاء مع ما دخل فيه في محل الجزم ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه من مع الشرط والجزاء في محل الرفع بانه خبر المبتدأ وان كان من موصولا فن مع اسلم مبتدأ والفاء مع الجملة بعده خبره وعند ربه ظرف مكان في موضع نصب على الحال تقديره كأننا عند ربه والعامل فيه المحذوف الذي يتعلق به اللام وذو الحال الضمير المستكن فيه وقوله وهو محسن في موضع نصب على الحال وانما قال فله اجره على التوحيد ثم قال ولا خوف عليهم لأن من مفرد اللفظ مجموع المعنى فيحمل على اللفظ مرة وعلى المعنى اخرى

المعنى

ثم رد الله سبحانه عليهم مقاتلهم فقال «بلى من اسلم وجهه لله» قيل معناه من اخلص نفسه لله بان سلك طريق مرضاته عن ابن عباس وقيل وجهه لاطاعة الله وقيل فوض امره الى الله وقيل استسلم لأمر الله وخضع وتواضع لله لأن اصل الاسلام الخضوع والانقياد وانما خص الوجه لانه اذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه «وهو محسن» في عمله وقيل وهو مؤمن وقيل مخلص «فله اجره عند ربه» معناه فله جزاء عمله عند الله «ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» في الآخرة وهذا ظاهر على قول من يقول انه لا يكون على اهل الجنة خوف ولا حزن في الآخرة واما على قول من قال ان بعضهم يخاف ثم يأمن فعناه انهم لا يخافون فوت جزاء اعمالهم لانهم يكونون على ثقة بأن ذلك لا يفوتهم

قوله تعالى (١١٣) وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى

لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

القيامة مصدر الا انه صار كالعلم على وقت بعينه وهو الوقت الذي يبعث الله عز وجل فيه الخلق فيقومون من قبورهم الى محشرهم تقول قام يقوم قياما وقيامة مثل عاد يعرود عيادا وعبادة

﴿ الاعراب ﴾

وهم يتلون جملة من مبتدا وخبر منصوبة الموضع على الحال والعاقل قالت وذو الحال اليهود والنصارى والكاف في كذلك يتعلق بمتلون او يقال الذين وتثنيه وهم يتلون الكتاب كتلاوتكم او قال الذين لا يعلمون وهم المشركون كقول اليهود والنصارى ومثل صفة مصدر محذوف تقديره قولاً مثل قولهم

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس انه لما قدم وفد نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وآله اتهم اجاب اليهود فتنازعوا عند رسول الله (ص) فقال رافع بن حرملة ما انتم على شيء وجد نبوة عيسى وكفر بالانجيل فقال رجل من اهل نجران ليست اليهود على شيء وجد نبوة موسى وكفر بالتوراة فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما بين اهل الكتاب من الاختلاف مع تلاوة الكتاب فقال «وقالت اليهود ليست النصارى على شيء» في تدينهم بالنصرانية «وقالت النصارى ليست اليهود على شيء» في تدينهم باليهودية «وهم يتلون الكتاب» اي يقرأونه وذكر فيه وجهان ﴿احدهما﴾ ان فيه حل الشبهة بانه ليس في تلاوة الكتاب معتبر في الانكار لما لم يوت على انكاره ببرهان فلا ينبغي ان يدخل الشبهة بانكار اهل الكتاب لملة الاسلام اذ كل فريق من اهل الكتاب قد انكر ما عليه الآخر ثم بين ان سبيلهم كسبيل من لا يعلم الكتاب من مشركي العرب وغيرهم ممن لا كتاب لهم في الانكار لدين الاسلام (والوجه الآخر) الذم لمن انكر ذلك من اهل الكتاب على جهة العناد اذ قد ساوى المعاند منهم للحق الجاهل به في الدفع له فلم ينفعه علمه وقوله «كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم» معناه ان مشركي العرب الذين هم جهال وليس لهم كتاب هكذا قالوا المجدد واصحابه انهم ليسوا على شيء من الدين مثل ما قالت اليهود والنصارى بعضهم لبعض عن السدي ومقاتل وقيل معناه ان مشركي العرب قالوا بأن جميع الانبياء واممهم لم يكونوا على شيء وكانوا على خطأ فقد ساووكم يامعشر اليهود في الانكار وهم لا يعلمون وقيل ان هؤلاء الذين لا يعلمون امم كانت قبل اليهود والنصارى وقبل التوراة والانجيل كقوم نوح وعاد وثمود قالوا لانبيائهم لستم على شيء عن عطاء وقيل ان الاصح ان المراد بقوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم اسلاف اليهود والمراد بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء هؤلاء الذين كانوا على عهد النبي (ص) لانه حكى قول مبطل لمبطل فلا يجوز ان يعطف عليه قول من مبطل لمحق وقوله «فانه يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» فيه وجوه ﴿احدها﴾ ان حكمه بينهم ان يكذبهم جميعا ويدخلهم النار عن الحسن (وثانيتها) ان حكمه فيهم الانتصاف من الظالم المكذب بغير حجة ولا برهان للمظلوم المكذب عن ابي علي (وثالثها) ان حكمه ان يريهم من يدخل الجنة عيانا ومن يدخل النار عيانا وهذا هو الحكم الفصل في الآخرة بما يصير اليه كل فرقة فاما الحكم بينهم في العمد فقد بينه الله جل وعز فيما اظهر من حجج المسلمين وفي عجز الخلق عن ان ياتوا بمثل هذا القرآن عن الزجاج

قوله تعالى (١١٤) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْمَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الذُّنُوبِ خِزْيٌ وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (آيتان) بصري (آية) واحدة عند غيرهم عدا أهل البصرة خائفين آية

﴿ اللغة ﴾

المنع والصد والحيلولة نظائر وضد المنع الاطلاق يقال منعته فامتنع ورجل منيع اي لا يخلص اليه وهو في عز ومنعة تحفف وتثقل وامرأة منيعة لا تنوء اتي على فاحشة والسعي والركض والعدو نظائر وضد السعي الوقف وفلان يسعى على عياله اي يكسب لهم وسعى للسلطان اذا ولي امر الصدقة قال الشاعر

سَعَى عَقَالًا فَلَمْ يَتْرُكْ لَهَا سَبْدًا فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمْرٌ وَعَقَالِينَ

والعقال صدقة عام وساعي الرجل الأمة اذا فجر بها ولا تكون المساعاة الا في الاماء والخراب والهدم والتقص نظائر والخربة سعة خرق الاذن وكل ثقب مستدير والخراب اللص قال الاصمعي يختص بسارق الابل والخرابة سرقة الابل

﴿ الاعراب ﴾

موضع من رفع وهو استفهام واطلم رفع لانه خبر الابتداء وموضع ان نصب على البدل من مساجدهم بدل الاشتمال والتقدير ومن اظلم ممن منع ان يذكر في مساجد الله اسمه ويجوز ان يكون موضع ان نصبا على انه مفعول له فيكون تقديره كراهة ان يذكر فيها اسمه ويجوز ان يكون على حذف من وتقديره من ان يذكر وان يدخلوها في موضع رفع بانه اسم كان وقيل ان كان هاهنا مزيدة وتقديره ما لهم ان يدخلوها فعلى هذا يكون موضع ان يدخلوها رفعا بالابتداء والاحرف الاستثناء وهو هنا لتقص النفي وخائفين منصوب على الحال وقوله خزبي مرفوع من وجهين ﴿ احدهما ﴾ الابتداء (والآخر) ان يكون مرفوعا بلهم وقوله في الدنيا الجار والمجرور في موضع نصب على الحال وذو الحال الضمير المستكن في لهم وكذلك قوله ولهم في الآخرة

﴿ النزول ﴾

اختلفوا في المعنى بهذه الآية فقال ابن عباس ومجاهد انهم الروم غزوا بيت المقدس وسعوا في خرابه حتى كانت ايام عمر فآظهم الله المسلمين عليهم وصاروا لا يدخلونه الا خائفين وقال الحسن وقتادة هو بيخت نصر خرب بيت المقدس واعانه عليه النصارى وروي عن ابي عبد الله عليه السلام انهم قريش حين منعوا رسول الله (ص) دخول مكة والمسجد الحرام وبه قال البلخي والرماني والجبائي وضعف هذا الوجه الطبري بأن قال ان مشركي قريش لم يسعوا في تخريب المسجد الحرام وقوله يفسد بأن عمارة المساجد انما تكون بالصلاة فيها وخرابها بالمنع من الصلاة فيها وقد وردت الرواية بانهم هدموا مساجد كان اصحاب النبي (ص) يصلون فيها بمكة لاهاجر النبي (ص) الى المدينة قال وهو ايضا لا يتعلق بما قبله من ذم اهل الكتاب كما يتعلق به اذا عني به النصارى وبيت المقدس وجوابه انه قد جرى ايضا ذكر غير اهل الكتاب في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون وهذا اقرب لأن الكلام خرج مخرج الذم فمرة توجه الذم الى اليهود ومرة الى النصارى ومرة الى عبدة الاصنام والمشركين

﴿ المعنى ﴾

«ومن اظلم» اي واي احد اشد واعظم ظلما «ممن منع مساجد الله» من «ان يذكر فيها اسمه» ويكون معناه لاحد اظلم ممن منع ان يذكر في مساجد الله اسمه سبحانه وعمل في المنع من اقامة الجماعة والعبادة فيها واذا جعل قوله مساجد الله على بيت المقدس او على الكعبة فانما جاز جمعه على احد وجهين اما ان تكون مواضع السجود فإن المسجد العظيم يقال لكل موضع منه مسجد ويقال لجملة مسجد واما ان يدخل في هذه اللفظة المساجد التي بناها

المسلمون للصلاة وروي عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام انه اراد جميع الارض لقول النبي (ص) جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا وقوله «وسعى في خرابها» اي عمل في تخريبها والتخريب اخراجهم اهل الايمان منها عند الهجرة وقيل هو صدهم عنها ويجوز حملها على الامرين وقيل المراد المنع عن الصلاة والطاعة فيها وهو السعي في خرابها وقوله او تلك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين» فيه خلاف قال ابن عباس معناه انه لا يدخل نصراني بيت المقدس الا نهك ضربا وابلغ عقوبة وهو كذلك اليوم ومن قال المراد به المسجد الحرام قال لما نزلت هذه الآية امر النبي صلى الله عليه وآله مناديا فنادى الا لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بهذا البيت عريان فكانوا لا يدخلونه بعد ذلك وقال الجبائي بين الله سبحانه انه ليس لهؤلاء المشركين دخول المسجد الحرام ولا دخول غيره من المساجد فان دخل منهم داخل الى بعض المساجد كان على المسلمين اخراجه منه الا ان يدخل الى بعض الاحكام خصومة بينه وبين غيره فيكون في دخوله خائفا من الاخراج على وجه الطرد بعد انفصال خصومته ولا يقعد فيه مطمئنا كما يقعد المسلم قال الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه وهذا يليق بذهبنا ويمكن الاستدلال بهذه الآية على ان الكفار لا يجوز ان يكتنوا من دخول المساجد على كل حال فاما المسجد الحرام خاصة فيستدل على ان المشركين يمنعون من دخوله ولا يكتنوا منه لحكومة ولا غيرها بأن الله تعالى قد امر بمنعهم من دخوله بقوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر يعني المسجد الحرام وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال الزجاج اعلم الله سبحانه في هذه الآية ان امر المسلمين يظهر على جميع من خالفهم حتى لا يمكن دخول مخالف الى مساجدهم الا خائفا وهذا كقوله سبحانه ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فكانه قيل او تلك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لا يعزاز الله الدين واظهاره المسلمين وقوله «لهم في الدنيا خزي» قيل فيه وجوه ﴿احدها﴾ ان يراد بالحزبي انهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون عن قتادة (وثانيها) ان المراد به القتل وسبي الذراري والنساء ان كانوا حربا واعطاء الجزية ان كانوا ذمة عن الزجاج (وثالثها) ان المراد بخزيهم في الدنيا انه اذا قام المهدي وفتح قسطنطينية حينئذ يقتلهم عن السدي (ورابعها) ان المراد بخزيهم طردهم عن دخول المساجد عن ابي علي وقوله «ولهم في الآخرة عذاب عظيم» يعني يوم القيامة يعذبهم الله في نار جهنم بالعذاب الاعظم اذ كانوا من كل ظالم اظلم

قوله تعالى (١١٥) وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثُمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَالِمٌ (آية)

﴿اللغة﴾

المشرق والمغرب اسمان لمطلع الشمس والقمر وشرقت الشمس اذا طلعت وشرقت اضاءت ويقال لا افعل ذلك ما ذر شارق اي ما طلع قرن الشمس وايام التشريق ايام كسريق اللحم في الشمس وفي الحديث لا تشريق الا في مصر او مسجد جامع اي لاصلاة عيد لأن وقتها طلوع الشمس والمغرب والمغيب بمعنى وهو موضع الغروب يقال غربت الشمس تغرب اذا غابت واصل الغرب الحد والتباعد وغربة النوى بعد المتأني وغرب السيف حده سمي بذلك لأنه يمضي ولا يرد فهو مأخوذ من الابعاد والواسع الغني سمي به لسعة مقدوراته وقيل هو الكثير الرحمة والسعة والفسحة من النظائر وضد السعة الضيق ويقال وسع يسع سعة واوسع الرجل اذا صار ذا سعة في المال

﴿الاعراب﴾

اللام في قوله والله المشرق والمغرب لام الملك وانما وحده المشرق والمغرب لأنه اخرج ذلك مخرج الجنس فدل على الجمع كما يقال اهلك الناس الدينار والدرهم واين بُني لتضمنه معنى الحرف وانما بُني على الفتح لاتقاء الساكنين وفيه معنى الشرط وتولوا مجزوم بالشرط وجوابه فثم وجه الله وعلامة الجزم في تولوا سقوط النون واين في موضع نصب

لأنه ظرف لقوله تولوا وما في قوله اينما هي التي تهيم الكلمة لعمل الجزم ولذلك لم يجاز بأذ وحيث حتى يضم
اليها ما فيقال حيثما تكن أكن واذ ما تفعل افعل ولا يقال حيث تكن اكن واذ تفعل افعل ويجوز في اين الجزم
وان لم يدخل ما عليها كقول الشاعر

أَيْنَ تَضْرِبُ بِنَا الْعُدَاةَ تَجِدُنَا
نَضْرِبُ الْعَيْسَ نَحْوَهَا لِلتَّلَاقِي

وتم موضعه نصب لأنه ظرف مكان وبني على الفتح لالتقاء الساكنين وانما بني في الأصل لأنه معرفة وحكم
الاسم العرف ان يكون مجوف فبني لتضمنه معنى الحرف الذي يكون به التعريف والعهد الاترى ان ثم لاتستعمل
الا في مكان معهود معروف لمخاطبك

﴿النزول﴾

اختلف في سبب نزول هذه الآية فقيل ان اليهود انكروا تحويل القبلة الى الكعبة عن بيت المقدس فزت الآية
ردا عليهم عن ابن عباس واختاره الجبائي قال بين سبحانه انه ليس في جهة دون جهة كما تقول المجسمة وقيل كان
للمسلمين التوجه حيث شاءوا في صلاتهم وفيه زالت الآية ثم نسخ ذلك بقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام
عن قتادة قال وكان النبي صلى الله عليه وآله قد اختار التوجه الى بيت المقدس وكان له ان يتوجه حيث شاء وقيل
زلت في صلاة التطوع على الراحة تصلبها حيثما توجهت اذا كنت في سفر واما الفرائض فقوله وحيث ما كنتم
فولوا وجوهكم شطره يعني ان الفرائض لاتصلبها الا الى القبلة وهذا هو المروي عن ائمتنا عليهم السلام قالوا وصلى
رسول الله (ص) اياما على راحته اينما توجهت به حيث خرج الى خيبر وحين رجع من مكة وجعل الكعبة خلف ظهره
ودوي عن جابر قال بعث رسول الله (ص) سرية كنت فيها فاصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة فقات طائفة منا قد عرفنا القبلة
هي هاهنا قبل الشمال فصلوا وخطوا وخطوا وخطوا وخطوا فاجابنا قبل الجنوب وخطوا وخطوا فاجابنا قبل الجنوب وخطوا وخطوا
اصبحت تلك الخطوط لغير القبلة فلما قلنا من سفرنا سألتنا النبي (ص) عن ذلك فسكت فأنزل الله تعالى هذه الآية

﴿المعنى﴾

«والله للشرق والغرب» اراد ان المشرق والغرب لله ملكا وقيل اراد انه خالقهما وصانعهما وقيل معناه يتولى
اشراق الشمس من مشرقها وغربها من مغربها «فاينما تولوا فثم وجه الله» معناه فاينما تولوا وجوهكم فخذف
المفعول للعلم به فثم اي فهناك وجه الله اي قبة الله عن الحسن ومجاهد وقتادة والوجه والجهة والوجهة القبلة ومثله
الوزن والزنة والعرب تسمي القصد الذي تتوجه اليه وجها قال الشاعر

أَسْتَفْقِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مَحْصِيَةً
رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

معناه اليه القصد بالعبادة وقيل معناه فثم الله يعلم ويرى فادعوه كيف توجهتم كقوله تعالى يريدون وجهه اي
يريدونه بالدعاء ويقال لما قرب من المكان هنا ولما تراخى ثم وهناك وقوله كل شيء هالك الا وجهه اي الاله
ويبقى وجه ربك اي ويبقى ربك عن الكلبي وقيل معناه فثم رضوان الله يعني الوجه الذي يودي الى رضوانه
كما يقال هذا وجه الصواب عن ابي علي والرماني «ان الله واسع» اي غني عن اي عبادة وتقديره غني عن طاعتكم
وانما يريدنا لمنافعكم وقيل واسع الرحمة فلذلك رخص في الشريعة عن الزجاج وقيل واسع المقدر يفعل ما يشاء
«عليه» اي عالم بوجوه الحكمة فبادروا الى ما امركم به وقيل علم اين يضع رحمته على ما توجه الحكمة وقيل
عليهم بنياتكم حيثما صليتم ودعوتهم

﴿النظم﴾

ووجه اتصال الآية بما قبلها ان التقدير لا يمنعكم تخريب من خرب المساجد عن ان تذكروه حيث كنتم من

ارضه فله المشرق والمغرب والجهات كلها عن علي بن عيسى وقيل لما تقدم ذكر الصلاة والمساجد عقبه بذكر القبلة وبيانها
قوله تعالى (١١٦) وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
كُلٌّ لَّهُ قَانُتُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر قال بغير واو والباقون بالواو

﴿ الحجة ﴾

حذف الواو هنا يجوز من وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يستأنف الجملة فلا يعطفها على ما تقدم (والآخر) ان
للجملة التي هي قالوا اتخذ الله ولدا ملازمة بما قبلها من قوله ومن اظلم ممن منع مساجد الله الآية فإن الذين قالوا
اتخذ الله ولدا من جملة هؤلاء الذين تقدم ذكرهم فيستغنى عن الواو لالتباس الجملة بما قبلها كما استغنى عنها في نحو
قوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ولو كان وهم فيها خالدون كان حسنا

﴿ اللغة ﴾

الاصل في القنوت الدوام ثم تستعمل على وجوه منها ان يكون بمعنى الطاعة كقوله كل له قانتون اي مطيعون
ومنها ان يكون بمعنى الصلاة كقوله يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين بمعنى طول القيام وروى
جابر بن عبد الله قال سئل النبي (ص) اي الصلاة افضل قال طول القنوت اي طول القيام ويكون بمعنى الدعاء
قال صاحب العين القنوت في الصلاة دعاء بعد القراءة في آخر الترتيد عوقا ثم ومنه قوله آمن هو قانت آناه الليل
ساجدا او قائما ويكون بمعنى السكوت قال زيد بن ارم كفا نكلم في الصلاة حتى نزلت وقوم الله قانتين فامسكتنا عن الكلام

﴿ النزول ﴾

نزلت الآية في النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله وقيل نزلت فيهم وفي مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله

﴿ المعنى ﴾

لا حكي الله سبحانه قول اليهود في امر القبلة ورد عليهم قولهم ذكر مقالتهم في التوحيد راد عليهم قال «وقالوا
اتخذ الله ولدا سبحانه» اي اجلالا له عن اتخاذ الولد وتزيها عن القبائح والسوء والصفات التي لاتليق به وروى
عن طلحة بن عبيد الله انه سأل النبي (ص) عن معنى قوله سبحانه فقال تزيها لله عن كل سوء بل له ما في السموات
والارض هذارد عليهم قولهم اتخذ الله ولدا اي ليس الامر كما زعموا «بل له ما في السموات والارض» ملكا والولد
لا يكون ملكا للآب لأن البنوة والملك لا يجتمعان فكيف يكون الملائكة الذين هم في السماء والمسيح الذي
هو في الأرض ولدا له فنبه بذلك على ان المسيح وغيره عبيد له مخلوقون مملوكون فهم بمنزلة سائر الخلق وقيل معناه
بل له ما في السموات والارض فعلا والفعل لا يكون من جنس الفاعل والولد لا يكون الا من جنس ابيه فان من
تبني انسانا فالذي تبناه لا بد من ان يكون من جنسه وقوله «كل له قانتون» قال ابن عباس وبجاهد معناه مطيعون
وقال السدي كل له مطيع يوم القيامة وقال الحسن كل له قائم بالشهادة انه عبده وقال الجبائي كل دائم على حال
واحدة بالشهادة بما فيه من آثار الصنعة والدلالة على الربوبية وقال ابو مسلم كل في ملكه وقهره يتصرف فيه
كيف يشاء لا يمتنع عليه

قوله تعالى (١١٧) بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر فيكون بالنصب والباقون بالرفع

﴿ الاعراب والحجة ﴾

قال ابو علي يمتنع النصب في قوله فيكون لأن قوله كن وان كان على لفظ الأمر فليس بأمر ولكن المراد به الخبر لأن المعنى الذي ليس بكائن لا يومر ولا يخاطب فالتقدير يكون فيكون فاللفظ لفظ الأمر والمراد الخبر كقولهم في التعجب اكرم يزيد فإذا لم يكن قوله كن امرا في المعنى وان كان على لفظه لم يجوز ان ينصب الفعل بعد الفاء بأنه جواب كما لم يجوز النصب في الفعل الذي يدخله الفاء بعد الايجاب نحو آتيتك فاحدثك الا ان يكون في شعر نحو قوله

لَنَا هَضْبَةٌ لَا يَنْزِلُ الدُّلُّ وَسَطَهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْمُسْتَجِيرُ فِعْصَمًا

ويدل ايضا على امتناع النصب فيه ان الجواب بالفاء مضارع الجزاء فلا يجوز اذهب فيذهب على قياس قراءة ابن عامر كن فيكون لأن المعنى بصير ان ذهبت ذهبت وهذا الكلام لا يقيد وانما يفيد اذا اختلف الفاعلان والفعلان نحو فاعطيتك لأن المعنى ان قمت اعطيتك واذا كان الامر على هذا لم يكن ما روي عنه من نصبه فيكون متجها ويمكن ان يقال فيه أن اللفظ لا كان على لفظ الامر حمله على اللفظ كما حمل ابو الحسن في نحو قوله قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة على انه اجري مجرى جواب الأمر وان لم يكن جوابا له على الحقيقة فالوجه في يكون الرفع على ان يكون معطوفا على كن لأن المراد به نكون فيكون او يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قال فهو يكون

﴿ اللغة ﴾

البديع بمعنى البدع كالسميع بمعنى السمع وبينهما فرق من حيث ان في بديع مبالغة ليست في مبدع ويستحق الوصف به في غير حال الفعل على الحقيقة بمعنى ان من شأنه انشاء الاشياء على غير مثال واحتذاء والابتداع والاختراع والانشاء نظائر وكل من احدث شيئا فقد ابدعه والاسم البدعة وفي الحديث كل بدعة ضلالة وكل ضلالة

سبيلها الى النار والقضاء والحكم من النظائر واصل القضاء الفصل واحكام الشيء قال ابو ذؤيب
وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَانِ قَضَاهُمَا دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ بُعْبُ

اي احكامهما ثم يتصرف على وجوه منها الامر والوصية كقوله تعالى وقضى ربك الاتعبدوا الاياه اي وصى ربك وامر ومنها ان يكون بمعنى الاخبار والاعلام كقوله وقضينا الى بني اسرائيل اي اخبرناهم وقوله وقضينا اليه ذلك الامر اي عهدنا الى لوط ومنها ان يكون بمعنى الفراغ نحو قوله فاذا قضيتم مناسككم اي فرغتم من امر المناسك وقوله فاذا قضيتم الصلاة وفيما رواه علي بن موسى الرضا عن ابيه عن جده الصادق عليهم السلام قال القضاء على عشرة اوجه ذكر فيه الوجوه الثلاثة التي ذكرناها (والرابع) بمعنى الفعل في قوله فاقض ما انت قاض اي فافعل ما انت فاعل ومنه قوله اذا قضى امرا يعني اذا فعل امرا كان في علمه ان يفعله انما يقول له كن فيكون ومنه قوله اذا قضى الله ورسوله امرا يقول ما كان لو من ولا مومة اذا فعل الله ورسوله شيئا في تزويج زينب ان يكون لهم الخيرة من امرهم (والخامس) في قوله ليقض علينا ربك اي لينزل علينا الموت وقوله لا يقضى عليهم فيموتوا اي لا ينزل بهم الموت وقوله فوكره موسى فقضى عليه اي فانزل به الموت (والسادس) قوله وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامراي وجب العذاب فوقع بأهل النار وكذا قوله وقال الشيطان لا قضى الامر (والسابع) قوله وكان امرا مقضيا اي مكتوبا في اللوح المحفوظ انه يكون (والثامن) بمعنى الاتمام في نحو قوله فلما قضى موسى الأجل اي اتم وايا الاجلين قضيت اي اتممت وقوله من قبل ان يقضى اليك وحيه يعني من قبل ان يتم جبرائيل

اليك الوحي (والتاسع) بمعنى الحكم والفصل كقوله وقضي بينهم بالحق وان ربك يقضي بينهم اي يفصل وفي الانعام يقضي بالحق اي يفصل الامر بيني وبينكم بالعذاب (والعاشر) بمعنى الجعل في قوله فقضيهن سبع سموات اي جعلهن

﴿ المعنى ﴾

لما نزه الله سبحانه نفسه عن اتخاذ الاولاد ودل عليه بأن له ما في السموات والارض أكد ذلك بقوله «بديع السموات والارض» اي منشىء السموات والارض على غير مثال امثله ولا احتذاء من صنع خالق كان قبله «واذا قضى امرا» قيل معناه اذا فعل امرا اي اراد احداث امر كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله اي اذا اردت قراءة القرآن وقيل معناه اذا احكم امرا وقيل معناه حكم وحتم بأنه يفعل امرا والاول اوجه وقوله «فانما يقول له كن فيكون» اختلف فيه على وجوه ﴿احدها﴾ انه بمنزلة التمثيل لان المدوم لا يصح ان يخاطب ولا يامر وحققة معناه ان منزلة الفعل في تسهله وتيسره عليه وانتفاء التعذر منه كمنزلة ما يقال له كن فيكون كما يقال قال فلان برأسه او بيده كذا اذا حرك رأسه او اومى بيده ولم يقل شيئا على الحقيقة وكما قال ابو النجم

قَدَّ قَالَتْ الْأَنْسَاعُ لِبَطْنِ الْحَقِّ قُدَمَا فَأَصَتْ كَالْفَيْنِيقِ الْمُحْتَقِّ

وقال العجاج يصف ثورا

وَفِيهِ كَأَلَا عَرَاضٍ لِلْمَكُورِ فَكَّرَ نُمٌّ قَالَ فِي التَّفَكِيرِ إِنَّ الْحَيَاةَ الْيَوْمَ فِي الْكُرُورِ

وقال عمرو بن قنينة السدوسي

فَأَصْبَحَتْ مِثْلَ النَّسْرِ طَارَتْ فِرَاخُهُ إِذَا رَامَ تَطْيَارًا يُقَالُ لَهُ قَعْرُ

وقال آخر

وَقَالَتْ لَهُ الْعَيْنَانُ سَمْعًا وَطَاعَةً وَحَدَّرَتَا كَالدَّرِّ لَمَّا يُثَبِّبُ

والشهور فيه قول الشاعر

أَمْتَلَأَ الْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي مَهْلًا رُوَيْدًا قَدَّ مَلَأَتْ بَطْنِي

وهو قول ابي علي وابي القاسم وجماعة من المفسرين (وثانيها) انه علامة جعلها الله للملائكة اذا سمعوا عاموا انه احداث امرا وهذا هو المحكي عن ابي الهذيل (وثالثها) ما قاله بعضهم ان الأشياء المدومة لما كانت معلومة عند الله تعالى صارت كالوجود فصح ان يخاطبها ويقول لما شاء ايجاده منها كن والاصح من الاقوال الأول وهو الأشبه بكلام العرب ويؤيد قوله تعالى فقال لها وللارض أنتما طوعا او كرها قاتنا أنتما طائعتين وان حمل على القول الثاني فليراد ان يقول للملائكة على جهة الاعلام منه لهم وإخباره اياهم عن الغيب كن اي يقول اكون فيكون فاعل كن الله وهو في معنى الخبر وإن كان اللفظ لفظ الامر على ما تقدم بيانه وقد يجوز على هذا ان يكون فاعل كن الشيء المدوم المراد كونه وتقديره يقول من اجله للملائكة يكون شيء كذا فيكون ذلك على ما يخبر به لاخلف له ولا تبديل عما يخبر به واما القول الثالث فبعيد لأن المدوم لا يصح خطابه ولا امره بالكون والوجود ليخرج بهذا الأمر الى الوجود لأن ذلك امتثال للأمر وتناق له بالقبول والطاعة وهذا انما يتصور من الأمور الموجود دون المدوم ولو صح ذلك لوجب ان يكون الأمور المدوم فاعلا لنفسه كما يكون المتلقي لا يؤمر به بالقبول فاعلا لما امر به وهذا فاسد ظاهر البطلان وقال بعضهم انما يقول كن عند وجود الأشياء لا قبلها ولا بعدها كقوله تعالى ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا انتم تخرجون وانما اراد انه يدعوهم في حال خروجهم لاقبله ولا بعده وهذا الوجه ايضا ضعيف لأن من شرط حسن الأمر ان يتقدم المأمور به وكذلك الدعاء وفي هذه الآية دلالة على انه سبحانه لا يجوز ان يتخذ ولدا لأنه اذا ثبت انه منشىء السموات والارض ثبت بذلك انه سبحانه ليس بصفة الاجسام والجواهر لأن الجسم يتعذر

عليه فعل الأجسام ومن كان بهذه الصفة لم يجز عليه اتخاذ الولد ولأنه سبحانه قد انشأ عيسى من غير اب من حيث هو مبدع الاشياء فجعل عن اتخاذ الابناء وتعالى علوا كبيرا

قوله تعالى (١١٨) وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (آية) ﴿اللغة﴾

اليقين والعلم والمعرفة نظائر في اللغة ونقيضه الشك والجهل وايقن وثيقن واستيقن بمعنى وقال صاحب العين اليقن اليقين قال

وَمَا بِالَّذِي أَبْصَرَتْهُ الْعُيُونُ مِنْ قَطْعِ يَأْسٍ وَلَا مِنْ يَقْنٍ

فاليقين علم يثلج به الصدر ولذلك يقال وجدت برد اليقين ولا يقال وجدت برد العلم

﴿الاعراب﴾

لولا بمعنى هلا ولا تدخل الاعلى الفعل ومعناها التحضيض قال

تَعْدُونَ عَشْرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِّيُّ الْمُتَعَبَا

اي هلا تعقرون الكمي المتعب والكاف في كذلك تتعلق يقال والجار والمجرور في موضع نصب على المصدر اي كقولهم

﴿المعنى﴾

لمابين سبحانه حالهم في انكارهم التوحيد وادعائهم عليه اتخاذ الاولاد عقبه بذكر خلافهم في النبوات وسلوكهم في ذلك طريق التعنت والعناد فقال «وقال الذين لا يعلمون» وهم النصارى عن مجاهد واليهود عن ابن عباس ومشركو العرب عن الحسن وقتادة وهو الاقرب لأنهم الذين سألوا المحالات ولم يقتضروا على ما ظهر واتضح من المعجزات وقالوا لن نومن لك حتى تقجر لنا من الأرض ينبوعا الآيات الى آخرها ولأنه وصفهم بأنهم لا يعلمون فبين انهم ليسوا من اهل الكتاب ومن قال المراد به النصارى قال لأنه قال قبلها وقالوا اتخذ الله ولداهم الذين قالوا المسيح ابن الله وهذا لا دلالة فيه لأنه يجوز ان يذكر قوما ثم يستأنف فيخبر عن قوم آخرين على ان مشركي العرب قد اضافوا ايضا الى الله سبحانه البنات فدخلوا في جملة من قال اتخذ الله ولدا وقوله «لولا يكلمنا الله» اي هلا يكلمنا معارضة فيخبرنا بأنك نبي وقيل معناه هلا يكلمنا بكلامه كما كلم موسى وغيره من الانبياء وقوله «او تأتينا آية» اي تأتينا آية موافقة لدعوتنا كما جاءت الانبياء آيات موافقة لدعوتهم ولم يرد انه لم تأتتهم آية لأنه قد جاءتهم الآيات والمعجزات وقوله «كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم» قيل هم اليهود حيث اقترحوا الآيات على موسى عن مجاهد لأنه حمل قوله الذين لا يعلمون على النصارى وقيل هم اليهود والنصارى جميعا عن قتادة والسدي وقيل سائر الكفار الذين كانوا قبل الاسلام عن ابي مسلم «تشابهت قلوبهم» اي اشبه بعضها بعضا في الكفر والقسوة والاعتراض على الانبياء من غير حجة والتعنت والعناد كقول اليهود لموسى ارنا الله جهرة وقول النصارى للمسيح انزل علينا مائدة من السماء وقول العرب لنبينا (ص) حول لنا الصفا ذهابا ولذلك قال الله سبحانه اتواصوا به وقوله «قد بينا الآيات» يعني الحجج والمعجزات التي يعلم بها صحة نبوة محمد (ص) «لقوم يوقنون» اي يستدلون بها من الوجه الذي يجب الاستدلال به فايقتروا لذلك فكذلك فاستدلوا انتم حتى توقنوا كما ايقن اولئك والمعنى فيه ان فيما ظهر من الآيات الباهرات الدالة على صدقه كفاية لمن ترك التعنت والعناد فان قيل لم يوقنوا الآيات التي اقترحوها تكبرن الحجة عليهم أكد قلنا الاعتبار في ذلك بالمصالح ولو علم الله سبحانه ان في اظهار ما اقترحوه من الآيات مصلحة لأظهرها فلما لم يظهرها علمنا انه لم يكن في اظهارها مصلحة

قوله تعالى (١١٩) اِنَّا اَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَّنَذِيرًا وَّلَا تُسْئَلُ عَنْ اَصْحَابِ الْجَحِيمِ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع ولا تسأل بفتح التاء والجزم على النهي وروي ذلك عن ابي جعفر الباقر (ع) وابن عباس ذكر ذلك الفراء وابو القاسم البلخي والباقون على لفظ الخبر على ما لم يسم فاعله

﴿ الحجة ﴾

الرفع في تسأل يحتمل وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون حالا فيكون مثل ما عطف عليه من قوله بشيرا ونذيرا اي وغير مسوؤل ويكون ذكر الجملة بعد المفرد الذي هو قوله بشيرا كما ذكر الجملة في قوله ويكلم الناس في المهذوكهلا بعد ما تقدم من المفرد وكذلك قوله ومن المقربين وهو هنا يجري مجرى الجملة (والآخر) ان يكون منقطعا عن الاول مستأنفا به كأنه قيل ولست تسأل عن اصحاب الجحيم واما قراءة نافع ولا تسأل بالجزم فقيه قولان ﴿ احدهما ﴾ ان يكون على النهي عن المسألة (والآخر) ان يكون النهي لفظا والمعنى على تفخيخ ما اعد لهم من العقاب كقول القائل لا تسأل عن حال فلان اي قد صار الى اكثر مما تريد وسألت يتعدى الى مفعولين مثل اعطيت قال الشاعر

سَأَلْتَنِي الطَّلَاقَ إِذْ رَأَيْتَنِي قَلَّ مَالِي قَدْ جِئْتَنِي بِنُكْرٍ

ويجوز ان يقتصر فيه على مفعول واحد ثم يكون على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يتعدى بغير حرف كقوله واسألوا ما انفقتم فاسألوا أهل الذكر (والآخر) ان يتعدى بحرف كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وقولهم سألت عن زيد واذا تعدى الى مفعولين كان على ثلاثة اضرب ﴿ احدها ﴾ ان يكون بمنزلة اعطيت كقوله (سألت عمرا بعد بكر حقا) فعنى هذا استعطيته اي سألته ان يفعل ذلك (والآخر) ان يكون بمنزلة اخذت الرجال زيدا وذلك قوله تعالى ولا يسئل حمي حميا اي لا يسأل حميم عن حميمه (والثالث) ان يتعدى الى مفعولين فيقع موقع المفعول الثاني منهما استفهام وذلك كقوله تعالى سل بني لسراييل كم آتيناهم واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون

﴿ اللغة ﴾

الجحيم النار بعينها اذا شب وقودها وصار كالعلم على جهنم كقول امية بن ابي الصلت
إِذَا شَبَّتْ جَهَنَّمُ نَمَّ زَادَتْ وَأَعْرَضَ عَنْ قَوَائِمِهَا الْجَحِيمُ

وجحمت النار تجعم جعما اذا اضطربت والجمحة العين بلغة حمير قال

أَيَا جَحْمَتِي بَكِّي عَلَى أُمِّ وَاهِبٍ قَبِيلَةَ قُلُوبٍ بِأُحْدَى الْمَذَانِبِ

وجحمتا الاسد عيناه وجاحم الحرب شدة القتل في معركتها قال سعد بن مالك بن ضبيعة

وَالْحَرْبُ لَا يَبْقَى لِحَا جِهَا التَّخِيلُ وَالْمِرَاحُ

إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النَّجْدَاتِ وَالْقَرَسُ الْوَقَّاحُ

﴿ المعنى ﴾

بين الله سبحانه في هذه الآية تأييده نبيه محمدا (ص) بالحجج وبعثه بالحق فقال «انا ارسلناك» يا محمد «بالحق» قيل بالقرآن عن ابن عباس وقيل بالاسلام عن الاصم وقيل على الحق اي بعثناك على الحق كقوله سبحانه خاق الله السموات والأرض بالحق اي على انهما حق لا باطل وقوله «بشيرا ونذيرا» اي بشيرا من اتبعك بالثواب ونذيرا

من خالفك بالعقاب وقوله «ولا تسئل عن اصحاب الجحيم» اي لا تسأل عن احوالهم وفيه تسلية للنبي (ص) اذ قيل له انما انت بشير ونذير ولست تسأل عن اهل الجحيم وليس عليك اجبارهم على القبول منك ومثله قوله فلانذهب نفسك عليهم حسرات وقوله ليس عليك هداهم وقيل معناه لاتوءخذ بذنوبهم كقوله سبحانه عليه ما حمل وعليكم ما حملتم اي فعلية الإبلاغ وعليكم القبول

قوله تعالى (١٢٠) وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الرضا والمودة والمجبة نظائر ضد الرضا الغضب والرضا ايضا بمعنى المرضي وهو من بنات الواو بدلالة قولهم الرضوان وتقول رجل رضى وامرأة رضى ورجال رضى ونساء رضى والملة والنحلة والديانة نظائر ومرة رسول الله (ص) الامر الذي اوضحه وامتل الرجل اذا أخذ في ملة الاسلام اي قصد ما امل منه والاملال املاء الكتاب ليكتب

﴿ الاعراب ﴾

تتبع نصب بجحتي قال سيديوه والخليل ان الناصب للفعل بعد حتى ان الا انها لا تظهر بعد حتى ويدل على ان حتى لاتنصب بنفسها انها تجر الاسم في نحو قوله حتى مطلع الفجر ولا يعرف في العربية حرف يعمل في اسم يعمل في فعل ولا حرف جار يكون ناصبا للفعل فصار مثل اللام في قولك ما كان زيد ليضربك في انها جارة والناصب ليضربك ان المضمره ولا يجوز اظهارها مع هذه اللام ايضا هو ضمير مرفوع بالابتداء او فصل والهدى خبر المبتدأ او خبر ان وقوله من العلم يتعلق بمحذوف في موضع الحال وذو الحال الموصوف المحذوف الذي قوله الذي جاءك صفته وكذلك قوله من الله في موضع الحال ومن ولي في موضع رفع بالابتداء ومن مزيدة وقوله مالك من الله من ولي ولا نصير في موضع الجزاء وللشرط ولكن الجزاء اذا قدر فيه القسم لا يجوز فلا يكون في موضع جزم ولا بد ان يكون فيه احد الحروف الدالة على القسم فخرق ما هاهنا تدل على القسم فلهذا لم يجوز

﴿ المعنى ﴾

كانت اليهود والنصارى يسألون النبي صلى الله عليه وآله الهدنة ويرونه انه ان هادتهم وامهلهم اتبعوه فأبى الله تعالى من موافقتهم فقال «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم» وقيل ايضا ان النبي (ص) كان مجتهدا في طلب ما يرضيهم ليدخلوا في الاسلام فقبل له دع ما يرضيهم الى ما أمرك الله به من مجاهدتهم وهذا يدل على انه لا يصح ارضاء اليهود والنصارى على حال لانه تعالى علق رضاهم بأن يصير عليه السلام يهوديا او نصرانيا واذا استحال ذلك استحال ارضاءهم يعني انه لا يرضي كل فرقة منهم الا ان يتبع ملتهم اي دينهم وقيل قبلتهم «قل ان هدى الله هو الهدى» اي قل يا محمد لهم ان دين الله الذي يرضاه هو الهدى اي الدين الذي أنت عليه عن ابن عباس وقيل معناه ان هدى الله يعني القرآن هو الذي يهدي الى الجنة لا طريقة اليهود والنصارى وقيل معناه ان دلالة الله هي الدلالة وهدى الله هو الحق كما يقال طريقة فلان هي الطريقة وقوله «ولئن اتبعت اهواءهم» اي مراداتهم وقال ابن عباس معناه ان صليت الى قبلتهم «بعد الذي جاءك من العلم» اي من البيان من الله تعالى وقيل من الدين «مالك» يا محمد «من الله من ولي» يحفظك من عقابه «ولا نصير» اي معين وظهير يعينك عليه ويدفع بنصره عقابه عنك وهذه الآية تدل على ان من علم الله تعالى منه انه لا يعصي يصح وعيده لانه علم ان نبيه عليه السلام لا يتبع اهواءهم بخيرى مجرى قوله لئن اشركت ليجطن عمك والمقصود

منه التنبيه على ان حال امته فيه اغلظ من حاله لأن مزارتهم دون منزلته وقيل الخطاب للنبي عليه السلام والمراد امت
قوله تعالى (١٢١) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ
بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (آية)

﴿الاعراب﴾

الذين آتيناهم رفع بالابتداء ويتلونه في موضع خبره وأولئك ابتداء ثان ويؤمنون به خبره وان شئت كان
أولئك يؤمنون به في موضع خبر المبتدأ الذي هو الذين ويتلونه في موضع نصب على الحال وان شئت كان خبرا لابتداء
يتلونه وأولئك جميعا فيكون للابتداء خبر ان كما تقول هذا حلو حامض وحق تلاوته منصوب على المصدر

﴿الزول﴾

قيل نزلت في اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب من الحبشة وكانوا اربعين رجلا اثنان وثلاثون
من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم مجير بن ابي عباس وقيل هم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام
وشعبة بن عمرو وقام بن يهودا واسد واسيد ابني كعب وابن يامين وابن صوريا عن الضحاك وقيل هم اصحاب
محمد عن قتادة وعكرمة فعلى القولين الاولين يكون المراد بالكتاب التوراة وعلى القول الاخير المراد به القرآن

﴿المعنى﴾

«الذين آتيناهم» اي اعطيناهم الكتاب «يتلونه حق تلاوته» اختلف في معناه على وجوه ﴿احدها﴾ انه يتبعونه
يعني التوراة حق اتباعه ولا يجر فونه ثم يعملون بجلاله ويقفون عند حرامه ومنه قوله والقرآن اذا تلاها اي تبعها وبه قال
ابن مسعود ومجاهد وقاتدة الا ان المراد به القرآن عندهم و(ثانيها) ان المراد به يصفونه حق صفته في كتبهم لان
يسألهم من الناس عن الكلبي وعلى هذا تكون الهاجعة الى محمد صلى الله عليه وآله و(ثالثها) ما روي عن ابي
عبد الله عليه السلام ان حق تلاوته هو الوقوف عند ذكر الجنة والنار يسأل في الاولى ويستعين من الاخرى
و(رابعها) ان المراد يقرأونه حق قراءته يرتلون الفاظه ويفهمون معانيه و(خامسها) ان المراد يعملون حق
العمل به فيعملون بحكمه ويؤمنون بتشابهه ويكونون ما اشكل عليهم الى عالمه عن الحسن وقوله اولئك يؤمنون
به» اي بالكتاب عن اكثر المفسرين وقيل بالنبي عليه السلام عن الكلبي «ومن يكفر به» وهم اليهود وقيل هم
جميع الكفار وهو الاولى لعمومه «فأولئك هم الخاسرون» خسروا انفسهم واعمالهم وقيل خسروا في الدنيا الظفر
والنصرة وفي الآخرة ما اعد الله للمؤمنين من نعم الجنة

قوله تعالى (١٢٢) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي
فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (آية)

﴿المعنى﴾

هذه الآية قد تقدم ذكر مثلها في رأس نيف واربعين آية ومضى تفسيرها وقيل في سبب تكريرها ثلاثة اقوال
﴿احدها﴾ ان نعم الله سبحانه لا كانت اصول كل نعمة ذكر التذكير بها مبالغة في استدعائهم الى ما يلزمهم
من شكرها ليقبلوا الى طاعة ربهم المظاهر نعمه عليهم و(ثانيها) هو انه لا باعد بين الكلامين حسن التنبيه والتذكير
والاعادة والتكرير ابلاغاً في الحجة وتأكيذا للتذكرة و(ثالثها) انه سبحانه لا ذكر التوراة وفيها الدلالة على شأن
عيسى ومحمد عليهما السلام في النبوة والبشارة بهما ذكرهم نعمته عليهم بذلك وما فضلهم به كما عدد النعم في
سورة الرحمن وكرر قوله فبأي آلاء ربكم تكذبان فكل تقريع جاء بعد تقريع فانما هو موصول بتذكير نعمة

غير الاولى وثلاثة غير الثانية الى آخر السورة وكذلك الوعيد في سورة المرسلات بقوله ويل يومئذ للمكذبين انما هو بعد الدلالة على اعمال تعظم التكذيب بما تدعو اليه الادلة

قوله تعالى (١٢٣) وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (آية)

ومثل هذه الآية ايضا قد تقدم ذكره ومرّ تفسيره

قوله تعالى (١٢٤) وَإِذْ أُنبِئَ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر ابراهام هاهنا وفي مواضع من القرآن والباقون ابراهيم وقرأ حمزة وحفص عهدي بإرسال الياء والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

في ابراهيم خمس لغات ابراهيم و ابراهام و ابراهم حذف الف استخفا قال الشاعر (عدت بما عاذ به ابراهم) و ابراهيم قال امية (مع ابراهيم التقي وموسى) و ابرهم قال

نَحْنُ آلُ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ لَمْ يَزَلْ ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ

والوجه في هذه التغييرات ما تقدم ذكره من قولهم ان العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه وتلعبت بجروفه فتغيرها واما قوله عهدي فانما فتح هذه اليا. اذا تحرك ما قبلها لأن اصل هذه اليا. الحركة فانها بأزاء الكاف للمخاطب فكما فتحت الكاف كذلك تفتح اليا. ومن اسكنها فانه يجتج بأن الفتحة مع اليا. قد كرهت في الكلام كما كرهت الحركتان الاخرين فيها الا ترى انهم قد اسكنوها في حال السعة اذا لزم تحريكها بالفتحة كما اسكنوها اذا لزم تحريكها بالحركتين الاخرين وذلك قولهم قالي قلا وبادي بدا ومعدي كرب فاليا. في هذه المواضع في موضع الفتحة التي في آخر اول الاسمين نحو حضرموت وقد اسكنت كما اسكنت في الجر والرفع

﴿ اللغة ﴾

الابتلاء الاختبار والتام والكمال والوفاء نظائر ضد التام النقصان يقال تم تماما واقمه وتممه وتتمها وتتمه والتم الشيء التام ولكل حاملة تام بفتح التاء وكسرها وبدر تام وليل تام بالكسر والذرية والنسل والولد نظائر وبعض العرب يكسر منها الذال فيقول ذرية وروي انه قرأه زيد بن ثابت وبعضهم فتحها فقال ذرية وفي اصل الكلمة اربعة مذاهب من الذر ومن الذر والذرو والذري فان جعلته من الذر فوزنه فعيلة ذرية كزريق ثم أوزمت التخفيف او البديل كني في اكثر اللغة والبرية وان اخذته من الذر فوزنه فعلية كقميرية او فعيلة نحو ذرية فلما كثرت الرأى ابدلت الاخيرة يا. وادغم اليا. الاولى فيها نحو سرية فيمن اخذها من السر وهو التكاح او فعولة نحو ذرورة فابدلوا الراء الاخيرة لا ذكرنا فصار ذرؤية ثم ادغم فصار ذرية وان اخذته من الذرو او الذري فوزنه فعولة او فعيلة وفيه كلام كثير يطول به الكتاب ذكره ابن جني في المحتسب والنيل واللحاق والادراك نظائر والنيل والنوال ما نلته من معروف انسان واناله معروفه ونوله اعطاه قال طرفة

إِنْ نَوَّلَهُ فَتَدَّ تَمَنَّهُ وَتَرِيهِ النَّجْمَ يَجْرِي بِالظُّهْرِ

وقولهم نولك ان تفعل كذا معناه حقلك ان تفعل

﴿ الاعراب ﴾

اللام في قوله للناس تتعلق بمحذوف تقديره اماماً استقر للناس فهو صفة لإمام فلما قدمه انتصب على الحال ويجوز ان تتعلق بجاعلك وقوله اماما مفعول ثان لجعل ومن ذريتي تتعلق بمحذوف تقديره واجعل من ذريتي

﴿ المعنى ﴾

«و» اذكروا «اذابتلى ابراهيم ربه» اي اختبر وهو مجاز وحقيقته انه امر ابراهيم ربه وكلفه وسمي ذلك اختباراً لأن ما يستعمل الامر متأني مثل ذلك يجري على جهة الاختبار والامتحان فاجرى على امره اسم امور العباد على طريق الاتساع وايضا فان الله تعالى لما عامل عباده معاملة المتبلي المختبر اذ لا يجازيهم على ما يعلمه منهم انهم سيفعلونه قبل ان يقع ذلك الفعل منهم كما لا يجازي المختبر للغير ما لم يقع الفعل منه سمي امره ابتلاءً وحقيقة الابتلاء تشديداً للتكليف وقوله «بكلمات» فيه خلاف فروي عن الصادق انه ما ابتلاه الله به في نومه من ذبح ولده اسماعيل ابني العرب فاتمها ابراهيم وعزم عليها وسلم لأمر الله فلما عزم قال الله ثوابا له لما صدق وعمل بأمره الله اني جاعلك للناس اماماً ثم انزل الله عليه الحنيفة وهي الطهارة وهي عشرة اشياء خمسة منها في الرأس وخمسة منها في البدن فاما التي في الرأس فأخذ الشارب واعفاء اللحي وطم الشعر والسواك والحلال واما التي في البدن فخلق الشعر من البدن والحتان وتقليم الاظفار والغسل من الجنابة والطهور بالماء فهذه الحنيفة الظاهرة التي جاء بها ابراهيم فلم تنسخ ولا تنسخ الى يوم القيامة وهو قوله واتبع ملة ابراهيم حنيفاً ذكره علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره وقال قتادة وهو احدي الروايتين عن ابن عباس انها عشر خصال كانت فرضاً في شرعه سنة في شريعتنا المضمة والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك في الرأس والحتان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء في البدن وفي الرواية الاخرى عن ابن عباس انه ابتلاه بثلاثين خصلة من شرائع الاسلام لم يبتل احداً بها فاقامها كلها ابراهيم فاتمهن فكتب له البراءة فقال و ابراهيم الذي وفي وهي عشر في سورة براءة التائبون العابدون الى آخرها وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الى آخرها وعشر في سورة المؤمنين قد افلح المؤمنون الى قوله او آتلك هم الوارثون وروي وعشر في سورة سأل سائل الى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون جعلها اربعين وفي رواية ثالثة عن ابن عباس انه امره بمناسك الحج وقال الحسن ابتلاه الله بالكوكب والتمر والشمس والحتان وبذبح ابنه وبالنار وبالهجرة فكلهن وفي الله فيهن وقال مجاهد ابتلاه الله بالآيات التي بعدها وهي قوله اني جاعلك للناس اماماً الى آخر القصة وقال ابو علي الجبائي اراد بذلك كلما كلفه من الطاعات العقلية والشريعة والآية محتملة لجميع هذه الاقاويل التي ذكرناها وكان سعيد بن المسيب يقول كان ابراهيم اول الناس اضاف الضيف واول الناس اختن واول الناس قص شاربه واستجد واول الناس رأى الشيب فلما رآه قال يارب ما هذا قال هذا الوقار قال يارب فزدي وقارا وهذا ايضا قد رواه السكوني عن ابني عبد الله ولم يذكر اول من قص شاربه واستجد وزاد فيه واول من قاتل في سبيل الله ابراهيم واول من اخرج الحرس ابراهيم واول من اتخذ الثملين ابراهيم واول من اتخذ الرايات ابراهيم وروي الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوة باسناده مرفوعاً الى الفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال سأته عن قول الله عز وجل واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات ما هذه الكلمات قال هي الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه فتاب عليه وهو انه قال يارب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين الا تبت علي فتاب الله عليه انه هو التواب الرحيم فقلت له يا ابن رسول الله فما يعني بقوله فاتمهن قال اتمهن الى القائم اثني عشر اماماً سمعة من ولد الحسين عليه السلام قال الفضل فقلت له يا ابن رسول الله فاخبرني عن كلمة الله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه قال يعني بذلك الامامة جعلها الله في عقب الحسين الى يوم القيامة فقلت له يا ابن رسول الله فكيف صارت الامامة في ولد الحسين دون ولد

الحسن عليها السلام وهما جميعا ولدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطاه وسيدا شباب اهل الجنة فقال ان موسى
وهارون نبيان مرسلان اخوان فجعل الله النبوة في صلب هارون دون صلب موسى ولم يكن لأحد ان يقول لم
فعل الله ذلك وان الامامة خلافة الله عز وجل ليس لأحد ان يقول لم جعلها الله في صلب الحسين دون صلب الحسن
لأن الله عز وجل هو الحكيم في افعاله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقال الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه الله
ولقوله تعالى واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات وجه آخر فإن الابتلاء على ضربين ﴿احدهما﴾ مستحيل على الله
تعالى (والآخر) جاز فالاستحليل هو ان يختبره ليعلم ما تكشف الايام عنه وهذا ما لا يصح لأنه سبحانه علام الغيوب
والآخر ان يبتليه حتى يصبر فيما يبتليه به فيكون ما يعطيه من العطاء على سبيل الاستحقاق لينظر اليه الناظر
فيقتدي به فيعلم من حكمة الله عز وجل انه لم تكن اسباب الامامة الا الى الكافي المستقل بها الذي كشفت
الايام عنه فاما الكلمات سوى ما ذكرناه فمنها اليقين وذلك قوله عز وجل وليكون من الموقنين ومنهم المعرفة بالتوحيد
والتزوية من التشبيه حين نظر الى الكواكب والشمس والقمر ومنها الشجاعة بدلالة قوله فجعلهم جذاذا كبيرا لهم
ومقاومته وهو واحد الوفا من اعداء الله تعالى ومنها الحلم وقد تضمنه قوله عز وجل ان ابراهيم حلیم اوامه منيب
ومنها السخاء ويدل عليه قوله هل اتيتك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ثم العزلة عن المشيرة وقد تضمنه قوله
واعترلكم وما تدعون من دون الله ثم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان ذلك في قوله يا ابا عبد الله ما لا يسمع
ولا يبصر الآيات ثم دفع السينة بالحسنة في جواب قول ابيه ان لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك
سأستغفر لك ربي انه كان لي حفيبا ثم التوكل وبيان ذلك في قوله الذي خلقتني فهو يهديني الى الآيات ثم المحنة في النفس
حين جعل في المنجنيق وقذف به في النار ثم المحنة في الولد حين امر بذبح ابنه اسماعيل ثم المحنة في الأهل حين خلص
الله حرمة من عبادة القبطي في الخبر المشهور ثم الصبر على سوء خلق سارة ثم استنصاره النفس في الطاعة بقوله
ولا تخزني يوم يبعثون ثم الزلفة في قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية ثم الجمع لشروط الطاعات في
قوله ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي الى قوله وانا اول المسلمين ثم استجابة الله دعوته حين قال رب اني كيف تحيي
الموتى الآية ثم اصطفاؤه سبحانه اياه في الدنيا ثم شهادته له في العاقبة انه من الصالحين في قوله ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في
الآخرة لمن الصالحين ثم اقتداءه من بعده من الأنبياء به في قوله ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى
لكم الدين الآية وفي قوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا انتهى كلام الشيخ ابي جعفر رحمه الله وقوله
«فاتمهن» معناه وفي بهن في قول الحسن وعمل بهن على التمام في قول قتادة والضيم في اتهم عائد الى الله تعالى في
قول ابي القاسم البلخي وهو اختيار الحسين بن علي المغربي قال البلخي والكلمات هي الامانة على ما قاله مجاهد
قال لأن الكلام متصل ولم يفصل بين قوله اني جاعلك للناس اماما وبين ما تقدمه بواو العطف واتمهن الله بأن
اوجب بها الامامة بطاعته واضطلاعه با ابتلاءه وقوله «قال اني جاعلك للناس اماما» معناه قال الله تعالى اني جاعلك
اماما يقتدى بك في افعالك واقوالك لأن المستفاد من لفظ الامام امران ﴿احدهما﴾ انه المقتدى به في افعاله
واقواله (والثاني) انه الذي يقوم بتدبير الامة وسياستها والقيام بامورها وتأديب جناتها وتولية ولائها واقامة
الحدود على مستحقيها ومحاربة من يكيدها ويعاديها فعلى الوجه الاول لا يكون نبي من الأنبياء الا هو امام وعلى الوجه
الثاني لا يجب في كل نبي ان يكون اماما اذ يجوز ان لا يكون مأمورا بتأديب الجناة ومحاربة العدة والدفاع
عن حوزة الدين ومجاهدة الكافرين فلما ابتلى الله سبحانه ابراهيم بالكلمات فاتمهن جعله اماما للانام جزاء له على ذلك
والدليل عليه ان قوله جاعلك عمل في قوله اماما واسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عمل الفعل ولو قلت انا
ضارب زيدا امر لم يجر فوجب ان يكون المراد انه جعله اماما اما في الحال او في الاستقبال والنبوة كانت حاصلة
له قبل ذلك وقوله «قال ومن ذريتي» اي واجعل من ذريتي من يوشح بالامامة ويوشح بهذه الكرامة وقيل انما
قال ذلك على جهة التعرف ليعلم هل يكون في عقبه ائمة يقتدى بهم والاولى ان يكون ذلك على وجه السوء ال

من الله تعالى ان يجعلهم كذلك وقوله «قال لا ينال عهدي الظالمين» قال مجاهد العهد الامامة وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام اي لا يكون الظالم اماماً للناس فهذا يدل على انه يجوز ان يعطي ذلك بعض ولده اذا لم يكن ظالماً لأنه لو لم يرد ان يجعل احدا منهم اماماً للناس لوجب ان يقول في الجواب لا اولي نال عهدي ذريتك وقال الحسن معناه ان الظالمين ليس لهم عند الله عهد يعطيهم به خيرا وان كانوا قد يعاهدون في الدنيا فيوفى لهم وقد كان يجوز في العربية ان يقال لا ينال عهدي الظالمون لأن ما نالك فقد نلته وقد روي ذلك في قراءة ابن مسعود واستدل اصحابنا بهذه الآية على ان الامام لا يكون الا معصوما عن القبائح لأن الله سبحانه نبي ان ينال عهده الذي هو الامامة ظالم ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً اما لنفسه واما لغيره فان قيل انما نبي ان يناله ظالم في حال ظلمه فاذا تاب لا يسمى ظالماً فيصح ان يناله فالجواب ان الظالم وان تاب فلا يخرج من ان تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالماً فاذا نبي ان يناله فقد حكم عليه بأنه لا يناله والآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت فيجب ان تكون محمولة على الاوقات كلها فلا ينالها الظالم وان تاب فيما بعد

قوله تعالى (١٢٥) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابن عامر واتخذوا مفتوحة الحاء وقرأ الباقون واتخذوا مكسورة الحاء.

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بكسر الحاء فإنه على الامر والالزام ويكون عطفاً على قوله يا بني إسرائيل اذكروا ويجوز ان يكون عطفاً على قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس من طريق المعنى لأن معناه ثبوا واتخذوا ومن قرأ بالفتح عطفاً على ما تقدمه من الفعل الذي أضيف إليه اذ فكانه قال واذ اتخذوا

﴿ اللغة ﴾

البيت والمأوى والمزل نظائر والبيت من أبيات الشعر سمي بذلك لضمه الحروف والكلام كما يضم البيت من بيوت الناس اهله والبيت من بيوتات العرب وهي احيائها وامرأة الرجل بيته قال الرازي

مَالِي إِذَا أَجْدَبُهَا صَايْتُ أَكْبَرُ قَدْ غَايَنِي أُمُّ بَيْتِ

المثابة هاهنا الموضع الذي يثاب اليه من ثاب يثوب مثابة ومثابا وثوباً اذا رجع قال ورقة بن نوفل في صفة الحرم

مَثَابٌ لِأَفْتَاءِ الْقَبَائِلِ كَلَّهَا تَخْبُ إِلَيْهَا الْعَمَلَاتُ الطَّلَانِحُ

ومنه ثاب اليه عقله اي رجع بعد عزوبه وأصل مثابة مثوبة نقلت حركة الواو الى التاء ثم قلبت الفاعلي ما قبلها وقيل ان التاء فيه للمبالغة كما قيل نسبة وقيل ان معناهما واحد كقامة ومقام قال زهير

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حَسَانٌ وَجُوهَهَا وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ

وجمع المقام مقام قال

وَإِنِّي لَقَوَّامٌ مَّقَاوِمٌ لَمْ يَكُنْ جَرِيرٌ وَلَا مَوْلَى جَرِيرٍ يَقْوَمُهَا

والطائف والجانل والدائر نظائر ويقال طاف يطوف طوفا اذا دار حول الشيء. واطاف به اطافة اذا ألم به واطاف به اذا احاط به والطائف العاس والطوافون المماليك والطائف طائف الجن والشيطان وهو كل شيء يغشى القلب من وسواسه وهو طيف ايضا والعاكف المقيم على الشيء. اللازم له وعكف يعكف عكفا وعكفا قال النابغة

عُكُوفٌ عَلَىٰ آيَاتِهِمْ يَشُدُّونَهَا رَمَىٰ اللَّهُ فِي تِلْكَ الْأَكْفِ الْكُؤَانِعَ (١)

والعكف العتكف في المسجد وقل ما يقولون عكف وانما يقولون اعتكف والركع جمع الراكع والسجود جمع الساجد وكل فعل مصدره على فعول جازي في جمع الفاعل منه ان يكون على فعول كالتعود والركوع والسجود ونحوها

﴿ المعنى ﴾

قوله «واذ جعلنا» عطف على قوله واذا ابتلى وذلك معطوف على قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي و«البيت» الذي جعله الله مثابة هو البيت الحرام وهو الكعبة وروي انه سمي البيت الحرام لأنه حرم على المشركين ان يدخلوه وسمي الكعبة لأنها مربعة وصارت مربعة لأنها مجذا. البيت المعمور وهو مربع وصار البيت المعمور مربعا لأنه مجذا. العرش وهو مربع وصار العرش مربعا لأن الكلمات التي بني عليها الاسلام اربع وهي سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله اكبر وقوله «مثابة الناس» ذكر فيه وجوه فقيل ان الناس يشوبون اليه كل عام اي ليس هو مرة في الزمان فقط على الناس عن الحسن وقيل معناه انه لا ينصرف منه احد وهو يرى انه قد قضى منه وطرا فهم يعودون اليه عن ابن عباس وقد ورد في الخبر ان من رجع من مكة وهو ينوي الحج من قابل زيد في عمره ومن خرج من مكة وهو لا ينوي العود اليها فقد قرب اجله وقيل معناه يجعون اليه فيشربون عليه وقيل مثابة معاذا ومباحا وقيل مجعما والمعنى في الكل يؤول الى انهم يرجعون اليه مرة بعد مرة وقوله «وامنا» اراد ماأنا اي موضع أمن وانما جعله الله امنا بأن حكمه ان من عاذ به والتجأ اليه لا يخاف على نفسه مادام فيه وبما جعله في نفوس العرب من تعظيمه حتى كانوا لا يتعرضون من فيه فهو آمن على نفسه وماله وان كانوا يتخطفون الناس من حوله ولعظم حرمة لا يقيم في الشرع الحد على من جنى جناية فالتجأ اليه والى حرمة لكن يضيق عليه في المطعم والمشرب والبيع والشرا حتى يخرج منه فيقام عليه الحد فإن احدث فيه ما يوجب الحد اقيم عليه الحد فيه لأنه هتك حرمة الحرم فهو آمن من هذه الوجوه وكان قبل الاسلام يرى الرجل قاتل ابيه في الحرم فلا يتعرض له وهذا شيء كانوا قد توارثوه من دين اسماعيل فبقوا عليه الى ايام نبينا صلى الله عليه وآله وقوله «واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى» قال ابن عباس الحج كله مقام ابراهيم وقال عطاء. مقام ابراهيم عرفة والمزدلفة والجار وقال مجاهد الحرم كله مقام ابراهيم وقال الحسن وقتادة والسدي هو الصلاة عند مقام ابراهيم امرنا بالصلاة عنده بعد الطواف وهو المروي عن الصادق عليه السلام وقد سئل عن الرجل يطوف بالبيت طواف الفريضة ونسي ان يصلي ركعتين عند مقام ابراهيم فقال يصليها ولو بعد ايام ان الله تعالى قال واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وهذا هو الظاهر لأن مقام ابراهيم اذا اطلق لا يفهم منه الا المقام المعروف الذي هو في المسجد الحرام وفي المقام دلالة ظاهرة على نبوة ابراهيم عليه السلام فإن الله جعل الحجر تحت قدميه كالطين حتى دخلت قدمه فيه وكان في ذلك معجزة له وروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انه قال نزلت ثلاثة احجار من الجنة مقام ابراهيم وحجر بني اسرائيل والحجر الاسود استودعه الله ابراهيم (ع) حجرا ابيض وكان اشد بياضا من القراطيس فاسود من خطايا بني آدم

﴿ القصة ﴾

ابن عباس قال لما اتى ابراهيم باسماعيل وهاجر فوضعهما بمكة واتت على ذلك مدة وتزلها الجرهميون وتزوج اسماعيل امرأة منهم وماتت هاجر واستأذن ابراهيم سارة ان يأتيها فاذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل فقدم ابراهيم عليه السلام وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسماعيل فقال لامراته ابن صاحبك قالت ليس هنا ذهب يتصيد وكان اسماعيل يخرج من الحرم فيصيد ثم يرجع فقال لها ابراهيم هل عندك ضيافة قالت ليس عندي شيء وما عندي احد

(١) في ديوان النابتة هكذا قعودا لدى آياتهم يشدونها رمى الله في تلك الانوف الكوانع وفي نسخة اخرى آبراهم والنصب في قعودا او عكوكا على الخالية متبين

فقال لها ابراهيم اذا جاء زوجك فاقرنيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه وذهب ابراهيم عليه السلام بخا اسماعيل (ع) فوجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جاءك احد قالت جاني في شيخ صفته كذا وكذا كالستخفة بشأنه قال فاقال لك قالت قال لي اقربني زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج اخرى فلبث ابراهيم ما شاء الله ان يلبث ثم استأذن سارة ان يزور اسماعيل فاذنت له واشترطت عليه ان لا ينزل بخا ابراهيم حتى انتهى الى باب اسماعيل فقال لامرأته اين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجي. الآن ان شاء الله فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة قالت نعم بخات باللبن واللحم فدعا لها بالبركة فلوجأت يومئذ بجبز او بر اوشعير او تمر لكان اكثر ارض الله برا وشعيرا وتمرا فقالت له انزل حتى اغسل رأسك فلم ينزل بخات بالمقام فوضته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقي اثر قدمه عليه ففسلت شق رأسه الايمن ثم حوت المقام الى شقه الايسر ففسلت شق رأسه الايسر فبقي اثر قدمه عليه فقال لها اذا جاء زوجك فاقرنيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسماعيل (ع) وجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جاءك احد قالت نعم شيخ احسن الناس وجها واطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال اسماعيل لها ذاك ابراهيم (ع) وقد روى هذه القصة بعينها علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن ابان عن الصادق عليه السلام وان اختلف بعض الفاظه وقال في آخرها اذا جاء زوجك فقولي له قد جاء هاهنا شيخ وهو يوصيك بعتبة بابك خيرا قال فاكب اسماعيل على المقام يبكي ويتقبله وفي رواية اخرى عنه عليه السلام ان ابراهيم استأذن سارة ان يزور اسماعيل فاذنت له ان لا يلبث عنها وان لا ينزل من حماره فقيل له كيف كان ذلك فقال ان الارض طويت له وروى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن نورهما طمس لأضأ ما بين الشرق والمغرب وقوله «مصلى» فيه اقوال قيل مدعى من صليت اي دعوت عن مجاهد وقيل قبلة عن الحسن وقيل موضع صلاة فامر ان يصلى عنده عن قتادة والسدي وهذا هو المروي عن أئمتنا عليهم السلام واستدل اصحابنا به على ان صلاة الطواف فريضة مثل الطواف لأن الله تعالى امر بذلك وظاهر الأمر يقتضي الوجوب ولا صلاة واجبة عند مقام ابراهيم غير صلاة الطواف بلا خلاف وقوله «وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل» اي امرناهما والزمنهما «ان طهرا بيتي» للطائفتين اي قلنا لها ان طهرا بيتي لأن ان هذه هي المفسرة التي تكون عبارة عن القول اذا صاحب من الالفاظ ما يتضمن معنى القول كقوله سبحانه عهدنا هذا وذكر في التطهير هنا وجوه ﴿احدها﴾ ان المراد طهرا من الفرت والدم الذي كان يطرحه المشركون عند البيت قبل ان يصير في يد ابراهيم واسماعيل عن الجبائي (وثانيتها) ان المراد طهرا من الاصنام التي كانوا يعلقونها على باب البيت قبل ابراهيم عن مجاهد وقاتادة (وثالثها) ان المراد طهرا بنيانا بكماله على الطهارة كما قال سبحانه افن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن اسس بنيانه على شفا جرف هار وانما اضاف البيت الى نفسه تفضيلا له على سائر البقاع وتمييزا وتخصيصا وقوله «للطائفتين والعاكفين» اكثر المفسرين على ان الطائفتين هم الدائر حول البيت والعاكفين هم المجاورون للبيت وقال سعيد بن جبير ان الطائفتين هم الطائرون على مكة من الافاق والعاكفين هم المقيمون فيها وقال ابن عباس العاكفون المصلون والأول اصح لأنه المفهوم من اطلاق اللفظ وقوله «والركع السجود» قيل هم المصلون عند البيت يركعون ويسجدون عن قتادة وقيل هم جميع المسلمين لأن من شأن المسلمين الركوع والسجود عن الحسن وقال عطاء اذا طاف به فهو من الطائفتين واذا جلس فهو من العاكفين واذا صلى فهو من الركع السجود قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله عز وجل في كل يوم ولية عشرين ومائة رحمة تنزل على هذا البيت ستون منها للطائفتين واربعون للعاكفين (١) وعشرون للناظرين

قوله تعالى (١٢٦) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُئْسَ الْمَصِيرُ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر فامتعه بسكون الميم خفيفة من امتعت والباقون بالتشديد وفتح الميم من تمتعت وروي في الشواذ عن ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار على الدعاء من ابراهيم عليه السلام وعن ابن محيص ثم اطره بادغام الضاد في الطاء.

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي التشديد في امتعه اولى لان التنزيل عليه قال سبحانه يمتعكم متاعا حسنا وكن متعناه متاع الحياة الدنيا ووجه قراءة ابن عامر ان امتع لغة قال الراعي

خَلِيلَيْنِ مِنْ شَعْبَيْنِ شَتَّىٰ تَجَاوَرَا قَدِيمًا وَكَانَا بِالتَّفَرُّقِ أَمْتَا

قال ابو زيد امتعا اراد تمتعا فاما قراءة ابن عباس فامتعه فيحتمل امرين عن ابن جني ﴿احدهما﴾ ان يكون الضمير في قال لأبراهيم اي قال إبراهيم ايضا ومن كفر فامتعه يارب وحسن اعادة قال لطول الكلام ولأنه انتقل من الدعاء لقوم الى الدعاء على آخرين والآخر ان يكون الضمير في قال لله تعالى اي فامتعه ياخالق او يباله يخاطب بذلك نفسه عز وجل فجرى ذلك على ما تعتاده العرب من امر الانسان لنفسه كقول الاعشى

وَدَعَّ هُرَيْرَةً قَانَ الرَّكْبِ مَرَّتَيْلٍ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

﴿ اللفظة ﴾

البلد والمصر والمدينة نظائر واصله من قولهم بلد للآثر في الجلد وغيره وجمعه ابلاد ومن ذلك سميت البلاد لأنها مواضع مواطن الناس وتأثيرهم ومن ذلك قولهم لكررة البعير بلدة لأنه اذا برك تأثرت والاضطراب هو الفعل في البعير على وجه لا يمكنه الانفكاك منه اذا كان من جنس مقدوره ولهذا لا يقال فلان مضطر الى لونه وان كان لا يمكنه دفعه عن نفسه لما لم يكن اللون من جنس مقدوره ويقال هو مضطر الى حركة الفالج وحركة العروق لما كانت الحركة من جنس مقدوره والمصير الحال التي يودي اليها أول لها وصار وحال وآل نظائر وصير كل امر مصيره وصير الباب شقه وفي الحديث من نظري في صير باب فقد دمر وصير الامر آخره

﴿ الاعراب ﴾

قوله من آمن محله نصب لأنه بدل من اهله وهو بدل البعض من الكل كما تقول اخذت المال ثلثه وجعلت متاعك بعضه على بعض وقوله ومن كفر يجوز ان يكون موصولا وصلة في موضع الرفع على الابتداء ويجوز أن يكون من اسماء الشرط في موضع رفع بالابتداء وكفر شرطه وفأمتعه الفاء وما بعده جزاء ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه من مع الشرط والجزاء في موضع خبر المبتدا وعلى القول الاول فالفاء وما بعده خبر المبتدا وبئس المصير فعل وفاعل في موضع الرفع لأنه خبر مبتدا محذوف تقديره وبئس المصير النار او العذاب وانتصب قليلا على احد وجهين ﴿احدهما﴾ ان يكون صفة للمصدر نحو قوله متاعا حسنا قال سيويه ترى الرجل يعالج شيئا فيقول رويدا اي علاجا رويدا وانما وصفه بالقليلة مع ان التمتع يدل على التكثير من حيث كان لي نفاذ ونقص وتنام كقول سبجانه قل متاع الدنيا قليل والثاني ان يكون وصفا للزمان اي زمانا قليلا ويدل عليه قوله سبحانه عما قليل ليصبحن نادمين وتقديره بعد زمان قليل كما يقال عرق عن الحمى واطعمه عن الجوع اي بعد الحمى وبعد الجوع

﴿ المعنى ﴾

«و» اذكر «اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا» اي هذا البلد يعني مكة «بلداً آمناً» اي اذا امن كما يقال بلد آهل اي ذو اهل وقيل معناه يامنون فيه كما يقال ليل نائم اي ينام فيه قال ابن عباس يريد حراماً محرماً لا يصاد طيره ولا يقطع شجره ولا يختلي خلوه. والى هذا المعنى يؤول ما روي عن الصادق عليه السلام من قوله من دخل الحرم مستنجراً به فهو آمن من سخط الله عز وجل ومن دخله من الوحش والطيور كان آمناً من ان يهاج او يودي حتى يخرج من الحرم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد من بعدي ولم تحل لي الا ساعة من النهار فهذا الخبر وامثاله المشهورة في روايات اصحابنا تدل على ان الحرم كان آمناً قبل دعوة ابراهيم عليه السلام وانما تأكدت حرمة بدعائه عليه السلام وقيل انما صار حراماً بدعائه (ع) وقبل ذلك كان كسائر البلاد واستدل عليه بقول النبي (ص) ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة وقيل كانت مكة حراماً قبل الدعوة بوجه غير الوجه الذي صارت به حراماً بعد الدعوة فالأول بمنع الله اياها من الاصطلام والانتفak كما لحق ذلك غيرها من البلاد وبما جعل ذلك في النفوس من تعظيمها والهيبه لها و(الثاني) بالامر بتعظيمه على السنة الرسل فأجابه الله تعالى الى ما سألت وانما سأله ان يجعلها آمنة من الجذب والتحط لأنه اسكن اهله بواد غير ذي زرع ولا ضرع ولم يسأله أمنها من الانتفak والخسف الذي كان حاصلها وقيل انه عليه السلام سأله الأمرين على ان يديهما وان كان احدهما مستأنفاً والآخر قد كان قبل وقوله «وارزق اهل من الثمرات» اي اعط من انواع الرزق والثمرات «من آمن منهم بالله واليوم الآخر» سألتهم الثمرات ليجتمع لهم الامن والحضب فيكونوا في رغد من العيش وروي عن ابي جعفر عليه السلام ان المراد بذلك ان الثمرات تحمل اليهم من الآفاق وروي عن الصادق عليه السلام قال هي ثمرات القلوب اي حبهم الى الناس ليشيروا اليهم وانما خص بذلك من آمن بالله لأن الله تعالى قد اعلمه أنه يكون في ذريته الظالمون في جواب مسألته اياه لذريته الامامة بقوله لا ينال عهدي الظالمين فخص بالدعاء في الرزق المؤمنين تأديباً بأدب الله تعالى وقيل انه عليه السلام ظن انه اذا دعا للكفار بالرزق انهم يكثرون بمكة ويفسدون فرمما يصدون الناس عن الحج فخص بالدعاء اهل الايمان وقوله «قال ومن كفر فامته قليلاً» اي قال الله سبحانه قد استجبت دعوتك فيمن آمن منهم ومن كفر فامته بالرزق الذي ارزقه الى وقت مماته وقيل فامته بالبقاء في الدنيا وقيل امته بالامن والرزق الى خروج محمد (ص) فيقتله ان اقام على كفره او يحليه عن مكة عن الحسن «ثم اضطره الى عذاب النار» اي ادفعه الى النار واسوقه اليها في الآخرة «وبئس المصير» اي المرجع والمأوى والمآل

قوله تعالى (١٢٧) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الرفع والاعلاء والاصعاد نظائر ونقيض الرفع الوضع ونقيض الارتفاع الاتزال يقال رفع يرفع رفعاً وارتفع الشيء نفسه والمرفوع من عدو الفرس دون الحضر وفوق الموضوع يقال ارفع من دابتك والرفع نقيض الخفض في كل شي. والرفعة نقيض الذلة والقواعد والاساس والاركان نظائر وواحد القواعد قاعدة واصله في اللغة الثبوت والاستقرار فمن ذلك القاعدة من الجبل وهي اصله وقاعدة البناء. اساسه الذي بني عليه وامرأة قاعدة اذا اتت عليها سنون لم تتزوج واذا لم تحمل المرأة او النخلة قيل قد قدمت فهي قاعدة وجمعها قواعد وتأويله انها قد ثبتت على ترك الحمل واذا قدمت عن الحيض فهي قاعدة بغيرها لأنه لا فعل لها في قعودها عن الحيض وقعدت المرأة اذا أتت بأولاد لثام فهي قاعدة وقيل في ان واحدة النساء القواعد قاعد قولان ﴿ احدهما ﴾ انها من الصفات المختصة

المؤمنت نحو الطاق والحائض فلم يمتح الى علامة التأنيث (والآخر) وهو الصحيح ان ذلك على معنى النسبة اي ذات قعود كما يقال نابل ودارع اي ذو نبل وذو درع ولا يراد بذلك تثيبت الفعل

﴿ الاعراب ﴾

قوله من البيت الجار والمجرور يتعلق ويرفع او يحذف فيكون في محل نصب على الحال وذو الحال القواعد وموضع الجملة من قوله ربنا تقبل منا نصب بقول محذوف كأنه قال يقولان ربنا تقبل منا واتصل بما قبله لانه من تمام الحال لأن يقولان في موضع الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه كيف بنى ابراهيم البيت فقال «واذيرفع» وتقديره واذكر اذيرفع «ابراهيم القواعد من البيت» اي اصول البيت التي كانت قبل ذلك عن ابن عباس وعطاء قالا قد كان آدم عليه السلام بناه ثم عفا اثره فجدده ابراهيم (ع) وهذا هو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وقال مجاهد بل انشاء ابراهيم (ع) بامر الله عز وجل وكان الحسن يقول اول من حج البيت ابراهيم وفي روايات اصحابنا ان اول من حج البيت آدم (ع) وذلك يدل على انه كان قبل ابراهيم وروي عن الباقر انه قال ان الله تعالى وضع تحت العرش اربع اساطين وسماه الضراح وهو البيت المعمور وقال للملائكة طوفوا به ثم بعث ملائكة فقال ابنوا في الارض بيتا مثاله وقدره وامر من في الارض أن يطوفوا بالبيت وفي كتاب العياشي باسناده عن الصادق قال ان الله انزل الحجر الاسود من الجنة لآدم وكان البيت درة بيضاء فرفعه الله تعالى الى السماء وبقي اساسه فهو حياض هذا البيت وقال يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يرجعون اليه ابدا فامر الله سبحانه ابراهيم واسماعيل ان يبنيان البيت على القواعد وعن امير المؤمنين عليه السلام ان اول شيء نزل من السماء الى الارض هو البيت الذي بعثه انزله الله ياقوته حمراء ففسق قوم نوح في الارض فرفعه وقوله «واسماعيل» اي يرفع ابراهيم واسماعيل اساس الكعبة يقولان ربنا تقبل منا وفي حرف عبد الله بن مسعود ويقولان ربنا تقبل منا ومثله قوله سبحانه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اي يقولون سلام عليكم والملائكة باسطوا ايديهم أخرجوا انفسكم اي يقولون وقال بعضهم تقديره يقول ربنا برده الى ابراهيم عليه السلام قال لأن ابراهيم وحده رفع القواعد من البيت وكان اسماعيل صغيرا في وقت رفعها وهو شاذ غير مقبول لشذوذه فان الصحيح ان ابراهيم واسماعيل كانا يبنيان الكعبة جميعا وقيل كان ابراهيم يبني واسماعيل يناوله الحجر فوصفا بأنهما رفعوا البيت عن ابن عباس وفي قوله ربنا تقبل منا دليل على انها بنيت الكعبة مسجد الامسكنا لأنها التمس الثواب عليه والثواب انما يطلب على الطاعة ومعنى تقبل منا اثبتنا على عمله وهو مشبه بقبول الهدية فإن الملك اذا قبل الهدية من انسان اثبه على ذلك وقوله «انك انت السميع العليم» اي انت السميع لدعائنا العليم بنا وبما يصلحنا وروي عن الباقر ان اسماعيل اول من شق لسانه بالعربية وكان ابوه يقول له وهما يبنيان البيت يا اسماعيل هات ابن (١) اي اعطني حجرا فيقول له اسماعيل بالعربية يا ابيه هات حجرا فابراهيم يبني واسماعيل يناوله الحجارة وفي هذه الآية دلالة على ان الدعاء عند الفراع من العبادة مرغبا فيه مندوبا اليه كما فعله ابراهيم واسماعيل (ع)

﴿ قصة مهاجرة اسماعيل وهاجر ﴾

روى علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن النضر بن سويد عن هشام عن الصادق قال ان ابراهيم كان نازلا في بادية الشام فلما ولد له من هاجر اسماعيل اغتمت سارة من ذلك غما شديدا لانه لم يكن له منها ولد فكانت تؤذي ابراهيم في هاجر وتغمه فشكا ذلك ابراهيم الى الله عز وجل فأوحى الله اليه انما مثل المرأة مثل الضلع المعوج ان تركته استمعت به وان رمت أن تقيمه كسرتة وقد قال القائل في ذلك

(١) في بعض النسخ هاتي ابن وفي المبرانية اعطني حجرا هاتي ابن فليحمر

هِيَ الصَّلْعُ الْعَوْجَاءُ لَسْتَ تُبَيِّنُهَا أَلَا إِنَّ تَقْوِيمَ الصَّلْوَعِ أَنْكِسَارُهَا

ثم امره ان يخرج اسماعيل وامه عنها فقال اي رب الى اي مكان قال الى حرمي وامني واول بقعة خلقتها من ارضي وهي مكة وانزل عليه جبرائيل بالبراق فحمل هاجر واسماعيل وابراهيم فكان ابراهيم لا يمر بوضع حسن فيه شجر ونخل وزرع الا قال يا جبرائيل الى هاهنا الى هاهنا فيقول جبرائيل لا امض لا امض حتى واني مكة فوضعه في موضع البيت وقد كان ابراهيم عاهد سارة ان لا ينزل حتى يرجع اليها فلما تولوا في ذلك المكان كان فيه شجر فالقت هاجر على ذلك الشجر كساء كان معها فاستظلت تحته فلما سرحهم ابراهيم ووضعهم واراد الانصراف عنهم الى سارة قالت له هاجر لم تدعنا في هذا الموضع الذي ليس فيه انيس ولا ماء ولا زرع فقال ابراهيم ربني الذي امرني ان اضعكم في هذا المكان ثم انصرف عنهم فلما بلغ كدى وهو جبل بنذي طوى الثفت اليهم ابراهيم فقال ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع الى قوله لعلمهم يشكرون ثم مضى وبقيت هاجر فلما ارتفع النهار عطش اسماعيل فقامت هاجر في الوادي حتى صارت في موضع السعي فنادت هل في الوادي من انيس فغاب عنها اسماعيل فصعدت على الصفا ولمع لها السراب في الوادي وظنت انه ماء فتزلت في بطن الوادي وسعت فلما بلغت المروة غاب عنها اسماعيل ثم لمع لها السراب في ناحية الصفا وهبطت الى الوادي تطلب الماء فلما غاب عنها اسماعيل عادت حتى بلغت الصفا فنظرت الى اسماعيل حتى فعلت ذلك سبع مرات فلما كان في الشوط السابع وهي على المروة نظرت الى اسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجليه فعدت حتى جمعت حوله رملا وانه كان سائلا فزمته بما جعلت حوله فلذلك سميت زمزم وكانت جرهم نازلة بنذي المجاز وعرفات فلما ظهر الماء بمكة عكفت الطير والوحوش على الماء فنظرت جرهم الى تعكف الطير على ذلك المكان فاتبعوها حتى نظروا الى امرأة وصبي تزول في ذلك الموضع قد استظلوا بشجرة قد ظهر لهم الماء فقال لها جرهم من انت وما شانك وشان هذا الصبي قالت انا ام ولد ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وهذا ابنه امره الله ان ينزلنا هاهنا فقالوا لها اتأذنين ان نكون بالقرب منك فقالت حتى اسأل ابراهيم قال فزارها ابراهيم يوم الثالث فقالت له هاجر يا خليل الله ان هاهنا قوما من جرهم يسألونك ان تأذن لهم حتى يكونوا بالقرب منا افتأذن لهم في ذلك فقال ابراهيم نعم فاذنت هاجر لجرهم فتزلوا بالقرب منهم وضربوا خيامهم وانست هاجر واسماعيل بهم فلما زارهم ابراهيم في المرة الثانية ونظر الى كثرة الناس حولهم سر بذلك سرورا شديدا فلما تحرك اسماعيل وكانت جرهم قد وهوا لاسماعيل كل واحد منهم شاة وشاتين وكانت هاجر واسماعيل يعيشان بها فلما بلغ مبلغ الرجال امر الله تعالى ابراهيم ان يبني البيت فقال يارب في اي بقعة قال في البقعة التي انزلت على آدم القبة فاضاءت الحرم قال ولم تزل القبة الذي انزلها الله على آدم قائمة حتى كان ايام الطوفان في زمن نوح فلما غرقت الدنيا رفع الله تلك القبة وغرقت الدنيا ولم تفرق مكة فسمي البيت العتيق لانه اعتق من الغرق فلما امر الله عز وجل ابراهيم ان يبني البيت لم يدر في اي مكان يبنيه فبعث الله جبرائيل فخط له موضع البيت وانزل عليه القواعد من الجنة وكان الحجر الذي انزله الله على آدم اشد بياضا من الثلج فلما مسته ايدي الكفار اسود قال فبنى ابراهيم البيت ونقل اسماعيل الحجر من ذي طوى فرفعه في السماء تسعة اذرع ثم دله على موضع الحجر فاستخرجه ابراهيم ووضعه في موضعه الذي هو فيه وجعل له بابين بابا الى المشرق وبابا الى المغرب فالباب الذي الى المغرب يسمى المستجار ثم اتى عليه الشيخ والاذخر وعلقت هاجر على بابه كساء كان معها فكانوا يكونون تحته فلما بناه وفرغ حج ابراهيم واسماعيل ونزل عليهما جبرائيل يوم التروية لئان خلت من ذي الحجة فقال يا ابراهيم قفارتو من الماء لانه لم يكن بنى وعرفات ماء فسميت التروية لذلك ثم اخرجته الى منى فبات بها ففعل به ما فعل بآدم فقال ابراهيم لا فرغ من بناء البيت رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات الآية

قوله تعالى (١٢٨) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير ارنا باسكان الراء كل القرآن ووافقه ابن عامر وابو بكر عن عاصم في السجدة ربنا ارنا الذين وقرأ ابو عمرو بالاختلاس لكسرة الراء من غير اشباع كل القرآن والباقون بالكسر

﴿ الحجة ﴾

الاختيار كسرة الراء لأنها كسرة الهمزة قد حولت الى الراء لأن اصله ارنا فنقلت الكسرة الى الراء وسقطت الهمزة ولأن في اسكان الراء بعد سقوط الهمزة اجحافا بالكلمة وابطالا للدلالة على الهمزة ومن سكنه فعلى وجه التشبيه بما يسكن في مثل كبد وفخذ ونحو قول الشاعر (لو عضر منه البان والمسك انعصر) وقال الآخر
قَالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرَيْتُنَا سَوِيْقًا وَأَشْتَرْتِ وَعَجَلْتَ خَادِمًا كَيْقًا
واما الاختلاس فلطلب الحجة وبقاء الدلالة على حذف الهمزة

﴿ اللغة ﴾

الاسلام هو الاتقياد لأمر الله تعالى بالخضوع والاقرار بجميع ما اوجب الله وهو والايمان واحد عندنا وعند المعتزلة وفي الناس من قال بينهما فرق ويطله قوله سبحانه ان الدين عند الله الاسلام ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه والمناسك هاهنا التعبادات قال الزجاج كل متعبد منسك والمنسك في اللغة العبادة ورجل ناسك عابد وقد نسك نسكا والمنسك الذبيحة يقال من فعل كذا فعليه نسك اي دم يهريقه والنسيكة الذبيحة والمنسك الموضع الذي تذبح فيه النساك والمنسك ايضا هو النسك نفسه قال سبحانه ولكل امة جعلنا منسكا وقال ابن دريد النسك اصله ذبايح كانت تذبح في الجاهلية والنسيكة شاة كانوا يذبحونها في المحرم في الاسلام ثم نسخ ذلك بالاضاحي قال الاعشى

وَذَا النَّصْبِ الْمُنْصُوبِ لَا تَنْسُكُنَّهُ وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهُ فَأَعْبُدَا

قال ابو علي الفسوي المناسك جمع منسك وهو المصدر جمع لاختلاف ضروبه

﴿ الاعراب ﴾

اللام في لك تعلق بمسلمين ومن ذريتنا من فيه تتعلق بمحذوف تقديره واجعل من ذريتنا والجار والمجرور مفعول اجعل وامة مفعول ثان لاجعل وارنا يحتمل وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون منقولا من رأيت الذي هو بمعنى ادراك البصر نقلت بالهمزة فتعدت الى مفعولين والتقدير حذف المضاف كأنه قال ارنا مواضع مناسكنا اي عرفناها لتقضي نسكنا فيها وذلك نحو مواقيت الاحرام والموقف بعرفات وموضع الطواف فهذا من رأيت الموضع واريته اياه (والآخر) ان يكون منقولا من نحو قولهم فلان يرى رأي الخوارج فيكون معناه علمنا مناسكنا ومثله قول الشاعر
أَرِنِي جَوَادًا مَاتَ هَزَلًا لَعَلِّي أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بِخَيْلًا مُخَلَّدَا
اراد دليني ولم يرد روية العين

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر تام دعائها عليها السلام فقال سبحانه «ربنا واجعلنا مسلمين لك» اي قال ربنا واجعلنا مسلمين في مستقبل عمرنا كما جعلتنا مسلمين في ماضي عمرنا بأن توفقتنا وتفعل بنا اللطاف التي تدعونا الى الثبات على الاسلام

ويجزي ذلك مجرى ان يودب احدنا ولده ويعرضه لذلك حتى صار ادبيا فيجوز ان يقال جعل ولده ادبيا وعكس ذلك اذا عرضه للبلاء والفساد جاز ان يقال جعله ظالما فاسدا وقيل ان معنى مسلمين موحدين محاصرين لك لا نعبد الا اياك ولا ندعو رباً سواك وقيل قائمين بجميع شرائع الاسلام مطيعين لك لأن الاسلام هو الطاعة والانقياد والخضوع وترك الامتناع وقوله «ومن ذريتنا امة مسلمة لك» اي واجعل من ذريتنا اي من اولادنا ومن للتبويض وانما خصاً بعضهم لأنه تعالى اعلم ابراهيم عليه السلام ان في ذريته من لا ينال عهده الظالمين لا يرتكبه من الظلم وقال السدي اراد بذلك العرب والصحيح الأول امة مسلمة لك اي جماعة موحدة منقادة لك يعني امة محمد صلى الله عليه وآله بدلالة قوله وابعث فيهم رسولا منهم وروي عن الصادق ان المراد بالامة بنوهاشم خاصة وقوله «وارنا مناسكتنا» اي عرفنا هذه المواضع التي تتعلق بالنسك بها لنفعلها ونقضي عبادتنا فيها على حد ما يقتضيه توفيقنا عليها قال قتادة فأراهما الله مناسكها الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والافاضة من عرفات ومن جمع ورمي الجمار حتى اكمل بها الدين وقال عطاء ومجاهد معنى مناسكتنا هذا ما اجننا والاول اقوى وقوله «وتب علينا» فيه وجوه ﴿احدها﴾ انها قالوا هذه الكلمة على وجه التسبيح والتعبد والانقطاع الى الله سبحانه ليقبدي بها الناس فيها وهذا هو الصحيح (وثانيها) انها سألا التوبة على ظلمة ذريتها (وثالثها) ان معناه ارجع الينا بالمغفرة والرحمة وليس فيه دلالة على جواز الصغيرة عليهم او ارتكاب القبائح منهم لأن الدلائل القاهرة قدلت على ان الانبياء معصومون متزهون عن الكبائر والصغائر وليس هنا موضع بسط الكلام في ذلك «انك انت التواب» اي القابل للتوبة من عظام الذنوب وقيل الكثير القبول للتوبة مرة بعد اخرى «الرحيم» بعباده المنعم عليهم بالنعيم العظام وتكفير السيئات والآثام وفي هذه الآية دلالة على انه يحسن الدعاء بما يعلم الداعي انه يكون لاحالة لانها كانا عالمين بأزهما لا يقارfan الذنوب والآثام ولا يقارfan الدين والاسلام

قوله تعالى (١٢٩) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (آية)

﴿اللغة﴾

العزير التقدير الذي لا يغالب وقيل هو القادر الذي لا يمتنع عليه شيء. اراد فعله ونقيض العزير الذل وعز يعز عزة وعزا اذا صار عزيزا وعز يعز عزا اذا قهر ومنه قولهم من عز بزي من غلب سلب واعتزالشي اذا صلب وهو من العزاز من الأرض وهو الطين الصلب الذي لا يبلغ ان يكون حجارة وعز الشيء اذا قل حتى لا يكاد يوجد واعتز فلان بفلان اذا تشرف به والحكيم معناه المدبر الذي يحكم الصنع ويحسن التدبير فعلى هذا يكون من صفات الفعل ويكون بمعنى العليم فيكون من صفات الذات

﴿الاعراب﴾

ابعث جملة فعلية معطوفة على تب فيهم تتعلق بابعث ويجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره رسولا كاننا فيهم فيكون في موضع نصب على الحال ويتلو منصوب الموضع بكونه صفة قوله رسولا اي ناليا وعليهم تتعلق بيتلو

﴿المعنى﴾

الضمير في قوله فيهم يرجع الى الأمة المسلمة التي سألت الله ابراهيم ان يجعلهم من ذريته والمعنى به بقوله «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم» هو نبينا صلى الله عليه وآله لما روي عنه انه قال انا دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى عليها السلام يعني قوله ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد وهو قول الحسن وقاتدة وجماعة من العلماء ويدل على ذلك انه دعا بذلك لذريته الذين يكونون بمكة وما حولها على ما تضمنه الآية في قوله ربنا وابعث

فيهم اي في هذه الذرية رسولا منهم ولم يبعث الله من هذه صورته الا محمدا صلى الله عليه وآله وقوله «يتلو عليهم آياتك» اي يقرأ عليهم آياتك التي توحى بها اليه «ويعلمهم الكتاب» اي القرآن وهذا لا يعد من التكرار لأنه خص الأول بالتلاوة ليعلموا بذلك انه معجز دال على صدقه ونبوته وخص الثاني بالتعليم ليعرفوا ما يتضمنه من التوحيد وادلته وما يشتمل عليه من احكام شريعته وقوله «والحكمة» قيل هي هاهنا السنة عن قتادة وقيل المعرفة بالدين والفقه في التأويل عن مالك بن انس وقيل العلم بالاحكام التي لا يدرك علمها الا من قبل الرسل عن ابن زيد وقيل انه صفة للكتاب كأنه وصفه بانه كتاب وانه حكمة وانه آيات وقيل الحكمة شيء يجعله الله بالقلب ينوره الله به كما ينور البصر فيدرك المبصر وقيل هي مواضع القرآن وحرامه وحلاله عن مقاتل وكل حسن وقوله «ويذكهم» اي يجعلهم مطيعين مخلصين والزكاة هو الطاعة والاخلاص لله سبحانه عن ابن عباس وقيل معناه يطهرهم من الشرك ويخلصهم منه عن ابن جريج وقيل معناه يستدعيهم الى فعل ما يذكرون به من الايمان والصالح عن الجبائي وقيل يشهد لهم بأنهم اذكيا. يوم القيامة اذا شهد على كل نفس بما كسبت عن الأصم وقوله «انك انت العزيز الحكيم» اي القوي في كمال قدرتك النبيع في جلال عظمتك المحكم لبدائع صنعتك وانما ذكر هاتين الصفتين لاتصالهما بالدعاء فكانه قال فرغنا اليك في دعائنا لأنك القادر على اجابتنا العالم بما في ضمائرنا وبما هو اصلح لنا مما لا يبلغه كنه علمنا وقصار بصائرنا وفي هذه الآية دلالة على ان ابراهيم واسماعيل عليهما السلام دعوا لنبينا محمد صلى الله عليه وآله بجميع شرائط النبوة لأن تحت التلاوة الاداء وتحت التعليم البيان وتحت الحكمة السنة ودعوا لامته باللفظ الذي لاجله تمسكوا بكتابه وشرعه فصاروا اذكيا. وهذا لأن الدعاء صدر من اسماعيل (ع) فعلم بذلك ان النبي المدعو به من ولده لامن ولد اسحاق ولم يكن في ولد اسماعيل نبي غير نبينا صلى الله عليه وآله سيد الانبياء.

قوله تعالى (١٣٠) وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَلصَّالِحِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الرغبة المحبة لما فيه للنفس منفعة ورغبت فيه ضد رغبت عنه والرغبة والمحبة والارادة نظائر ونقيض الرغبة الرهبة ونقيض المحبة البغضة ونقيض الارادة الكراهة وتقول رغبت فيه رغبة ورغبا ورغبا ورغبي اذا ملت اليه ورغبت عنه اذا صدقت عنه ورجل رغب نهم شديد الأكل وفرس رغب الشحوة اي كثير الأخذ بقوائمه من الأرض وموضع رغب واسع والرغبة العطاء الكثير الذي يرغب في مثله والاصطفا. والاجتباء. والاختيار نظائر والصفاء والنقاء. والخلوص نظائر والصفو نقيض الكدر وصفة كل شيء خالصة وصني الانسان اخوه الذي يصفاه المودة وناقية صني كثيرة اللبن ونخلة صفية كثيرة الحمل والجمع الصفايا واصطفينا على وزن افتعلنا من الصفوة وانما قلبت التاء طاء لأنها اشبه بالصاد بالاستعلاء والاطباق وهي من مخرج التاء فاتي بحرف وسط بين الحرفين

﴿ الاعراب ﴾

من يرغب لفظه من الاستفهام ومعناه الجحد فكانه قال ما يرغب عن ملة ابراهيم ولا يزهدها فيها الا من سفه نفسه اي الذي سفه نفسه فمن الأولى على الاستفهام والثانية بمعنى الذي والاحرف الاستثناء ويجوز ان يكون لتعويض النبي ومن اسم موصول وسفه نفسه صلتها والموصول والصلة في محل النصب على الاستثناء او في محل الرفع بكونه بدلا من الضمير الذي في يرغب وفي انتصاب نفسه خلاف قال الاخفش معناه سفه نفسه وقال يونس اراها لفة قال الزجاج اراد ان فعل لفة في المبالغة كما ان فعل كذلك ويجوز على هذا القول سفهت زيدا بمعنى سفهت زيدا او قال ابو عبيدة معناه اهلك نفسه واوبق نفسه فهذا كله وجه واحد والوجه الثاني ان يكون على التفسير كقوله فان طبن لكم

عن شيء منه نفسا وهو قول الفراء قال ان العرب توقع سفه على نفسه وهي معرفة وكذلك بطرت معيشتها وانكر الزجاج هذا الوجه قال ان معنى التمييز لا يحتمل التعريف لأن التمييز انما هو واحد يدل على جنس او خلة تخلص من خلال فاذا عرفته صار مقصودا قصده وهذا لم يقله احد ممن تقدم من النحويين والوجه الثالث ان يكون على التمييز والاضافة على تقدير الانفصال كما تقول مررت برجل مثله اي مثل له والوجه الرابع ان يكون على حذف الجار في معنى سفه في نفسه كقوله سبحانه ولا جناح عليكم ان تسترضعوا اولادكم اي لأولادكم تحذف حرف الجر من غير ظرف ومثله ولا تعزموا عقدة النكاح اي على عقدة النكاح ومثله قول الشاعر

تُعَالِي اللَّحْمَ لِلْأَضْيَافِ نِيًّا وَنَبْذُلُهُ إِذَا نَضِجَ الْقُدُورُ

والمعنى نعالي باللحم قال الزجاج وهذا مذهب صحيح والوجه الخامس ما اختاره الزجاج وهو ان سفه بمعنى جهل وهو موافق في المعنى لما قاله السراج في قوله بطرت معيشتها ان البطر مستقل للنعمة غير راض بها فعلى هذا يكون نفسه مقه ولا به وانه في الآخرة في تتعلق بمحذوف فهو منصوب الموضع على الحال وذو الحال الضمير المستكن في قوله من الصالحين

﴿ النزول ﴾

روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجراً الى الاسلام فقال لقد علمنا ان صفة محمد في التوراة فاسلم سلمة وابي مهاجر ان يسلم فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه قصة ابراهيم وان ملته ملة محمد عقبه بذكر الحث على اتباعها فقال «ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه» اي لا يتك دين ابراهيم وشريعته الا من اهلك نفسه واوبقها وقيل اضل نفسه عن الحسن وقيل جهل قدره لأن من جهل خالقه فهو جاهل بنفسه عن الاصم وقيل جهل نفسه بما فيها من الآيات الدالة على ان لها صناعا ليس كمثل شيء عن ابني مسلم وقوله «ولقد اصطفيناه في الدنيا» اي اخترناه بالرسالة واجتبيناه «وانه في الآخرة لمن الصالحين» اي من الفاترين عن الزجاج وقيل معناه لمع الصالحين اي مع آباءه الانبياء في الجنة عن ابن عباس وقيل انما خص الآخرة بالذكر وان كان في الدنيا كذلك لأن المعنى من الذين يستوجبون على الله سبحانه الكرامة وحسن الثواب فلما كان خلوص الثواب في الآخرة دون الدنيا وصفه فيها بما ينبيء عن ذلك وفي قوله سبحانه ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه دلالة على ان ملة ابراهيم هي ملة نبينا صلى الله عليها لأن ملة ابراهيم داخلة في ملة محمد مع زيادات في ملة محمد فبين ان الذين يرغبون من الكفار عن ملة محمد التي هي ملة ابراهيم قد سفهوا انفسهم وهذا معنى قول قتادة والربيع ويدل عليه قوله ملة ابيكم ابراهيم

قوله تعالى (١٣١) اِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ اَسْلِمْ قَالَ اَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (آية)

﴿ الاعراب ﴾

قال فعل فارغ وله جار ومجرور واللام تتعلق بقال وقال له ربه مجرور الموضع باضافة اذ اليه واللام في رب العالمين تتعلق بأسلمت

﴿ المعنى ﴾

هذا متصل بقوله ولقد اصطفيناه وموضع اذ نصب باصطفيناه وتقديره ولقد اصطفيناه حين قال له ربه اسلم واختلف في انه متى قيل له ذلك فقال الحسن كان هذا حين افلتت الشمس ورأى ابراهيم تلك الآيات والادلة فاستدل بها على وحدانية الله سبحانه وقال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض الآية وانه اسلم حيثئذ وهذا يدل على انه كان ذلك قبل النبوة وانه قال له ذلك إلهاماً استدعاء منه

الى الاسلام فاسلم حينئذ لا وضع له طريق الاستدلال بما رأى من الآيات ولا يصح ان يوحي الله اليه قبل اسلامه بأنه نبي الله لأن النبوة حال اجلال واعظام ولا يكون ذلك قبل الاسلام وقال ابن عباس انما قال ذلك ابراهيم عليه السلام حين خرج من السرب وقيل انما قال ذلك بعد النبوة ومعنى اسلم استقم على الاسلام واثبت على التوحيد كقوله سبحانه فاعلم انه لا إله إلا الله وقيل ان معنى اسلم اخلص دينك بالتوحيد وقوله «اسلمت لرب العالمين» اي اخلصت الدين لله رب العالمين

قوله تعالى (١٣٢) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل المدينة والشام وأوصى بهمة بين واوين وتخفيف الصاد وقرأ الباقون ووصى مشددة الصاد

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ وصى قوله تعالى فلا يستطيعون توصية فتوصية مصدر وصى مثل قطع تقطعة ولا يكون منه تفعيل لأنك لو قلت في مصدر حيث تفعيل لكان يجتمع ثلاث ياءات فرفض ذلك وحجة من قرأ ووصى بها ابراهيم قوله يوصيكم الله ومن بعد وصية توصون بها اودين

﴿ اللغة ﴾

وصى ووصى وامر وعهد بمعنى وقد قالوا وصى البيت اذا اتصل ببعضه ببعض فالوصية كأن الموصى بالوصية وصل جل امره بالموصى اليه

﴿ الاعراب ﴾

يعقوب رفع لأنه عطف على ابراهيم والتقدير ووصى ابراهيم ويعقوب وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة وقيل انه على الاستئناف كأنه قال وصى يعقوب ان يابني ان الله اصطفى لكم الدين والاول اظهر والفرق بين التقديرين ان الاول لا يضمار فيه لأنه معطوف والثاني فيه اضمار والهاء في بها تعود الى الملة وقد تقدم ذكرها وهو قول الزجاج وقيل انها تعود الى الكلمة التي هي اسلمت لرب العالمين والالف واللام في الدين للعهد دون الاستفراق لأنه اراد دين الاسلام وقوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون وان كان على لفظ النهي لهم عن الموت فالتنهي على الحقيقة عن ترك الاسلام لئلا يصادفهم الموت عليه ومثله من كلام العرب لا اريتك ها هنا فالتنهي في اللفظ للمتكلم وانما هو في الحقيقة للمخاطب فكأنه قال لاتعرض لأن اراك بكونك ها هنا وقوله وانتم مسلمون جملة في موضع الحال وتقديره لا تموتوا الا مسلمين وذو الحال الواو في تموتوا ومعناه ليأتكم الموت وانتم مسلمون

﴿ المعنى ﴾

لا بين عز اسمه دعاء ابراهيم عليه السلام لذريته وحكم بالسفه على من رغب عن ملته ذكر اهتمامه بأمر الدين وعهده به الى نبيه في وصيته فقال «وصى بها» اي بالملة او بالكلمة التي هي قوله اسلمت لرب العالمين ويؤيد هذا قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه وقيل بكلمة الاخلاص وهي لا إله إلا الله «ابراهيم بنيه» انما خص البنين لأن اشفاقه عليهم اكثر وهم بقبول وصيته اجدر والا فن المعلوم انه كان يدعو جميع الانام الى الاسلام ويعقوب وهو ابن اسحاق وانما سمي يعقوب لأنه وعيصاً كانا توأمين فتقدم عيص وخرج يعقوب على اثره اخذا بعقبه عن ابن عباس والمعنى ووصى يعقوب بنيه الاثني عشر وهم الاسباط «يابني ان الله اصطفى لكم الدين» اي فقلا جميعا يابني ان الله اختار لكم دين الاسلام «فلا تموتن الا وانتم مسلمون» اي لا تتركوا الاسلام فيصا دفكم

الموت على تركه او لا تتعرضوا للموت على ترك الاسلام بفعل الكفر وقال الزجاج معناه الزموا الاسلام فاذا ادرككم الموت صادفكم مسلمين وفي هذه الآية دلالة على الترتيب في الوصية عند الموت وانه ينبغي ان يوصي الانسان من يلي امرهم بتقوى الله ولزوم الدين والطاعة

قوله تعالى (١٣٣) **أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

الشهداء جمع شهيد والشاهد والحاضر من النظائر تقول حضرت القوم احضرهم حضورا اذا شهدتهم والحضيرة الجماعة من الناس ما بين الخمسة الى العشرة واحضر القوم احضارا اذا عدا عدوا شديدا وحاضرت الرجل محاضرة اذا عدت معه وحاضرته اذا جائته عند السلطان او في خصومة وحضرة الرجل فناوه واصل الباب الحضور خلاف الغيبة

﴿ الاعراب ﴾

ام هاهنا منقطعة وهي لا تجيء الا وقد تقدمها كلام لانها التي تكون بمعنى بل وهمزة الاستفهام كأنه قيل بل اكنتم شهداء ومعنى أم هاهنا الجحد اي ما كنتم شهداء وانما كان اللفظ على الاستفهام والمعنى على خلافه لأن اخرجه مخرج الاستفهام ابلغ في الكلام واشد مظهرة في الحجاج اذ يخرج الكلام مخرج التقرير بالحق فيلزم الحجة او الانكار له فتظهر الفضيحة واذ الاولى ظرف من قوله شهداء واذ الثانية بدل من اذ الاولى وقيل العامل في الثانية حضر وكلاهما جازمما للاستفهام وهو منصوب الموضع لأنه مفعول تعبدون ومن بعدي الجار والمجرور في محل نصب على الظرف وقوله إله واحد منصرف على احد وجهين ان يكون حالا فكأنه قال نعبد إلهك في حال وحدانيته او يكون بدلا من إلهك وتكون الفائدة فيه ذكر التوحيد ونحن له مسلمون جملة في موضع الحال ويجوز ان يكون على الاستئناف فلا يكون لها موضع من الاعراب و ابراهيم واسماعيل واسحاق في موضع جر على البدل من آباءك كما تقول مررت بالقوم اخيك و غلامك وصاحبك

﴿ المعنى ﴾

خاطب سبحانه اهل الكتاب فقال «ام كنتم شهداء» اي ما كنتم حضورا «اذ حضر يعقوب الموت» وما كنتم حضورا «اذ قال يعقوب لبنيه ما تعبدون من بعدي» ومعناه انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على انبيائي ورسلي الأباطيل بأن تنسبوهم الى اليهودية والنصرانية فاني مابعثهم الا بالحنيفية وذلك ان اليهود قالوا ان يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فرد الله تعالى عليهم قولهم وانما قال ما تعبدون ولم يقل من تعبدون لأن الناس كانوا يعبدون الاصنام فقال اي الاشياء تعبدون من بعدي قالوا «نعبد إلهك وآله آباءك ابراهيم واسماعيل واسحق» وانما قدم ذكر اسماعيل على اسحاق لأنه كان اكبر منه واسماعيل كان عم يعقوب وجعله ابا له لأن العرب تسمي العم ابا كما تسمي الجد ابا وذلك لأنه يجب تعظيمهما كتعظيم الأب ولهذا قال النبي (ص) ردوا علي ابي يعني العباس عمه «إلهما واحدا ونحن له مسلمون» اي مذعنون مقرون باليهودية وقيل خاضعون منقادون مستسلمون لآمره ونهيه قولا وعقدا وقيل داخلون في الاسلام يدل عليه قوله ان الدين عند الله الاسلام

قوله تعالى (١٣٤) **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (آية)

﴿اللغة﴾

الامة على وجوه (الاول) الجماعة كما في الآية (والثاني) القدوة والامام في قوله ان ابرهيم كان امة قانتا (والثالث) القامة في قول الاعشى

وَأَنَّ مُعَاوِيَةَ الْأَكْرَمِينَ حَسَانُ الْوُجُوهِ طَوَالَ الْأُمَمِ

(والرابع) الاستقامة في الدين والدنيا قال النابغة

حَلَقْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِي رِيَّةً وَهَلْ يَأْتَمَنُ ذُو أُمَّةٍ وَهُوَ طَائِعٌ

اي ذو ملة ودين (والخامس) الحين في قوله وادكر بعد امة (والسادس) اهل الملة الواحدة في قولهم امة موسى وامة عيسى وامة محمد صلى الله عليه وعليها واصل الباب القصد من امة يومه اما اذا قصده وخلت اي مضت واصله الانفراد يقال خلا الرجل بنفسه اذا انفرد وخلا المكان من اهله اذا انفرد منهم والفرق بين الخلو والفرغ ان الخلو اذا لم يكن مع الشيء غيره وقد يفرغ من الشيء وهو معه يقال فرغ من البناء وهو معه فاذا قيل خلا منه فليس معه والكسب العمل الذي يجلب به نفع او يدفع به ضرر عن النفس وكسب لاهله اذا اجتلب ذلك لهم بعلاج ومراس ولذلك لا يطلق الكسب في صفة الله

﴿الاعراب﴾

قوله لها ما كسبت يحتمل ان يكون في موضع نصب على الحال فكأنه قيل ملزمة ما تستحقه بعملها ويجوز ان لا يكون لها موضع لانها مستأنفة فلا تكون جزءا من الخبر الاول لكن تكون متصلة به في المعنى وان لم تكن جزءا منه لانها خبران في المعنى عن شيء واحد فكأنه قيل الجماعة قد خلعت والجماعة لها ما كسبت عما كانوا يعملون ما اسم موصول وكانوا يعملون صلته والموصول والصلة في موضع الجر بعن وعن تتعلق بتستلون

﴿المعنى﴾

«تلك امة قد خلعت» اي جماعة قد مضت يعني ابراهيم واولاده «لها ما كسبت» اي ما عملت من طاعة او معصية «ولكم» يا معشر اليهود والنصارى «ما كسبتم» اي ما علمتم من طاعة او معصية «ولا تستلون عما كانوا يعملون» اي لا يقال لكم لم عملوا كذا وكذا على جهة المطالبة لكم بما يلزمهم من اجل اعمالهم كما لا يقال لهم لم علمتم انتم كذا وكذا ولما يطالب كل انسان بعمله دون عمل غيره كما قال سبحانه ولا تزر وازرة وزر اخرى وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبرة ان الابناء موارثون بذنوب الآباء وان ذنوب المسلمين تحمل على الكفار لان الله تعالى نفي ذلك

قوله تعالى (١٣٥) وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (آية)

﴿اللغة﴾

الحنيف المائل عن الاديان الباطلة الى الدين الحق قال ابن دريد الحنيف العادل عن دين الى دين وبه سميت الحنيفية لأنها مالت عن اليهودية والنصرانية وقيل الحنيف الثابت على الدين المستقيم والحنيفية الاستقامة على دين ابراهيم ولما قيل للذي تقبل احدى قدميه على الاخرى احنفت تقاولا بالسلامة كما قيل للمهلكة مفاضة تقاولا باللقوز والنجاة وهو قول كثير من المفسرين واهل اللغة وقال الزجاج اصله من الحنفت وهو ميل في صدر القدم وسمي الاحنفت لحنف كانه وقالت حاضنته وهي ترقصه (والله لو لاحنفت برجله ما كان في صبيانكم كمثلته) وفي الحديث احب الاديان الى الله تعالى الحنيفية السمحة وهي ملة النبي صلى الله عليه وآله لا حرج فيها ولا ضيق

﴿ الاعراب ﴾

جزم تهتدوا على الجواب للأمر ومعنى الشرط قائم في الكلمة اي ان تكونوا على هذه الملة تهتدوا فانما انجزم تهتدوا على الحقيقة بالجزاء وقوله ملة ابراهيم في انتصابه وجوه ﴿احدها﴾ ان تقديره بل اتبعوا ملة ابراهيم لأن قولهم كونوا هودا او نصارى تتضمن معنى اتبعوا اليهودية والنصرانية وتقديره قالوا اتبعوا اليهودية او النصرانية قل بل اتبعوا ملة ابراهيم فهذا عطف على المعنى (والثاني) ان يكون على الحذف كأنه قيل بل نتبع ملة ابراهيم فالاول عطف والثاني حذف (والثالث) ان ينتصب على تقدير بل نكون اهل ملة ابراهيم فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه كقوله تعالى واسئل القرية فهذا عطف على اللفظ وهو قول الكوفيين وحنيفانصب على الحال اي في حال حنيفيته

﴿ النزول ﴾

عن ابن عباس ان عبد الله بن سوريا وكعب بن الاشرف ومالك بن الضيف وجماعة من اليهود ونصارى اهل نجران خاصوا اهل الاسلام كل فرقة تزعم انها احق بدين الله من غيرها فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبياء وكتابنا التوراة افضل الكتب وقالت النصارى نبينا عيسى افضل الانبياء وكتابنا الانجيل افضل الكتب وكل فريق منها قالوا للمؤمنين كونوا على ديننا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان ابن سوريا قال لرسول الله (ص) ما المهدي الا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد وقالت النصارى مثل ذلك فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

«وقالوا» الضمير يرجع الى اليهود والنصارى اي قالت اليهود «كونوا هودا» وقالت النصارى كونوا «نصارى» كل فريق منهم دعا الى ما هو عليه ومعنى «تهتدوا» اي تصيبوا طريق الحق كأنهم قالوا تهتدوا الى الحق اي اذا فعلتم ذلك كنتم قد اهتديتم وصرتم على سنن الاستقامة «قل» يا محمد «بل ملة ابراهيم» اي بل نتبع دين ابراهيم وعلى الوجه الآخر بل اتبعوا دين ابراهيم وقد عرفت الوجه الثلاثة في الاعراب فلامعنى لاعادتها «حنيفا» مستقيما وقيل ما تلا الى دين الاسلام وفي الحنيفة اربعة اقوال ﴿احدها﴾ انها حج البيت عن ابن عباس والحسن ومجاهد (وثانيها) انها اتباع الحق عن مجاهد (وثالثها) انها اتباع ابراهيم فيما اتى به من الشريعة التي صار بها اماما للناس بعده من الصحح والحنان وغير ذلك من شرائع الاسلام (والرابع) انها الاخلاص لله وحده في الاقرار بالربوبية والاذعان للعبودية وكل هذه الاقوال ترجع الى ما قلناه من معنى الاستقامة والميل الى ما اتى به ابراهيم (ع) من الملة «وما كان من الشركين» اي وما كان ابراهيم من الشركين نفي الشرك عن ملته واثبته في اليهود والنصارى حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله وفي قوله سبحانه بل ملة ابراهيم حجة على وجوب اتباع ملة ابراهيم (ع) لسلامتها من التناقض ولوجود التناقض في اليهودية والنصرانية فلذلك صارت ملة ابراهيم احرى بالاتباع من غيرها فمن التناقض في اليهودية منهم من جواز النسخ مع ما في التوراة من الدلالة على جوازه وامتناعهم من العمل بما تقدمت به البشارة في التوراة من اتباع النبي الامي مع اظهارهم التمسك بها وامتناعهم من الاذعان لما دلت عليه الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة من نبوة عيسى ومحمد صلى الله عليهما مع اقرارهم بنبوة عيسى بدلالة المعجزات عليها الى غير ذلك من انواع التناقض ومن التناقض في قول النصارى قولهم الاب والابن وروح القدس آله واحد مع زعمهم ان الاب ليس هو الابن وان الاب آله والابن آله وروح القدس آله وامتناعهم من ان يقولوا ثلاثة آله الى غير ذلك من تناقضاتهم المذكورة في الكتب

قوله تعالى (١٣٦) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الاسباط واحدهم سبط وهم اولاد اسرائيل وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وهم اثنا عشر سبطاً من اثني عشر ابنا وقالوا الحسن والحسين سبطا رسول الله اي ولداه والاسباط في بني اسرائيل بمنزلة القبائل في ولد اسماعيل قال الزجاج السبط الجماعة يرجعون الى اب واحد والسبط في اللغة الشجر فالسبط الذين هم من شجرة واحدة وقال ثعلب يقال سبط عليه العطاء او الضرب اذا تابع عليه حتى يصل بعضه ببعض وانشد التوزي في قطع بقر (كأنه سبط من الاسباط) شبهه بالجماعة من الناس يتتابعون في امر ومن ثم قيل لولد يعقوب اسباط والفرق بين التفريق والفرق ان التفريق جعل الشيء مفارقا لغيره والفرق تقيض الجمع والجمع جعل الشيء مع غيره والفرق جعل الشيء مع غيره والفرق بالحجة هو البيان الذي يشهد ان الحكم لأحد الشئيين دون الآخر

﴿ الاعراب ﴾

ما اوتي تقديره ما اوتيه حذف الماء العائد الى الوصول ومن في قوله من ربهم تتعلق بأوتي او بمحذوف فيكون مع المحذوف في موضع نصب على الحال وذو الحال الضمير المستكن في اوتي والعامل اوتي اويكون العامل فيه انزل وذو الحال ما اوتي لانفرق جملة منفية منصوبة الموضع على الحال والعامل فيه آمنا ومنهم تتعلق بمحذوف مجرور الموضع بكونه صفة لأحد ومعنى احد منهم اي بين اثنين او جماعة وتقديره لانفرق بين احد واحد منهم

﴿ المعنى ﴾

«قولوا آمنا بالله» خطاب للمسلمين وقيل خطاب للنبي والمؤمنين امرهم الله تعالى باظهار ما تدينوا به على الشرع فبدأ بالايان بالله لأنه اول الواجبات ولأنه بتقديم معرفته تصح معرفة الثبوت والشرائع «وما انزل علينا» يعني القرآن نؤمن بانه حق وصدق وواجب اتباعه في الحال وان تقدمته كتب «وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط» قال قتادة هم يوسف واخوته بنو يعقوب ولد كل واحد منهم امة من الناس فسموا الاسباط وبه قال السدي والربيع ومحمد بن اسحاق وذكروا اسماء الاثني عشر يوسف وبنيامين وزابالون وروبييل ويهوذا وشمعون ولاوي ودان وقها^(١) ويشجر ونفتالي وجاد واشرفهم ولد يعقوب لاختلاف بين المفسرين فيه وقال كثير من المفسرين انهم كانوا انبياء والذي يقتضيه مذهبنا انهم لم يكونوا انبياء باجمعهم لأن ما وقع منهم من المعصية فيما فعلوه بيوسف (ع) لاخفاء به والنبي عندنا معصوم من القبائح صغيرها وكبيرها وليس في ظاهر القرآن ما يدل على انهم كانوا انبياء وقوله وما انزل اليهم لا يدل على انهم كانوا انبياء لأن الاتزال يجوز ان يكون كان على بعضهم ممن كان نبيا ولم يقع منه ما ذكرناه من الافعال القبيحة ويحتمل ان يكون مثل قوله وما انزل الينا وان المنزل على النبي خاصة لكن المسلمين لما كانوا مأمورين بما فيه اضياف الانزال اليهم وقد روى العياشي في تفسيره عن حنان ابن سدير عن ابيه عن ابي جعفر الباقر قال قلت له اكان ولد يعقوب انبياء قال لا ولكنهم كانوا اسباطا اولاد الانبياء ولم يكونوا فارقوا الدنيا إلا سعداء تابوا وتذكروا ما صنعوا وقوله «وما اوتي موسى وعيسى» اي اعطيا وخصهما بالذكر لأنه احتجاج على اليهود والنصارى والمراد بما اوتي موسى التوراة وبما اوتي عيسى الانجيل «وما اوتي النبيون» اي ما اعطيه النبيون «من ربهم لانفرق بين احد منهم» اي بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعله اليهود

(١) كذا في النسخ وفي الطبري قهات بالناه المشاة

والنصارى فكفرت اليهود بعيسى ومحمد وكفرت النصارى بسليمان ونبينا محمد صلى الله عليه وآله « ونحن له مسلمون » اي نحن لما تقدم ذكره وقيل لله خاضعون بالطاعة مذعنون بالعبودية وقيل متقادون لأمره ونهيه وقد مضى هذا مستوفى فيا قبل وفائدة الآية الامر بالايان بالله والاقرار بالثبوت وما انزل اليهم من الكتب والشرايع والرد على من فرق بينهم فيما جمعهم الله عليه من الثبوت وان كانت شرائعهم غير لازمة لنا فإن الايمان بهم لا يقتضي لزوم شرائعهم وروي عن الضحاك انه قال علموا اولادكم واهاليكم وخدمكم اسماء الانبياء الذين ذكرهم الله في كتابه حتى يومئذ يصدقوا بما جاؤوا به فإن الله تعالى يقول قولوا آمنا بالله الآية

قوله تعالى (١٣٧) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الشقاق المنازعة والمجاربة ويحتمل ان يكون اصله مأخوذا من الشق لأنه صار في شق غير شق صاحبه للعداوة والمباينة ويحتمل ان يكون مأخوذا من المشقة لأن كل واحد منها يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذي به والكفاية بلوغ الغاية يقال يكفي ويجزي ويفي بمعنى واحد وكفي يكفي كفاية اذا قام بالأمر وكفأك هذا الأمر اي حسبك ورأيت رجلا كافيك من رجل اي كفأك به رجلا

﴿ الاعراب ﴾

الباء في قوله بمثل ما آمنتم به يحتمل ثلاثة اشياء ﴿ احدها ﴾ ان تكون زائدة والتقدير فان آمنوا مثل ما آمنتم به اي مثل ايمانكم به كما يقال كنى بالله اي كنى الله قال الشاعر (كنى الشيب والاسلام للمرء ناهيا) (والثاني) ان يكون المعنى بمثل هذا ولا تكون زائدة كأنه قال فإن آمنوا على مثل ايمانكم كما تقول كتبت على مثل ما كتبت وبمثل ما كتبت كأنك تجعل لمثل آله توصل بها الى العمل وهذا اجود من الأول (والثالث) ان تلغى مثل كما التفت الكاف في قوله فجعلهم كهصف مأكول وهذا اضعف الوجه لأنه اذا امكن حمل كلام الله على فائدة فلا يجوز حمله على الزيادة وزيادة الاسم اضعف من زيادة الحرف نحو ما ولا وما اشبه ذلك وقوله فقد اهتدوا في محل الجزم او في محل الرفع لأنه جواب شرط مبني وكذلك قوله فانما هم في شقاق وانما حرف لإثبات الشيء ونفي غيره وهم مبتدا وفي شقاق في موضع خبره

﴿ النزول ﴾

لما نزل قوله تعالى قولوا آمنا بالله الآية قرأها النبي صلى الله عليه وآله على اليهود والنصارى فلما سمعت اليهود ذكر عيسى انكروا وكفروا وقالت النصارى ان عيسى ليس كسائر الانبياء لأنه ابن الله فنزلت الآية

﴿ المعنى ﴾

« فان آمنوا » اخبر الله سبحانه ان هؤلاء الكفار متى آمنوا على حد ما آمن المؤمنون به فقد اهتدوا الى طريق الجنة وقيل سلكوا طريق الاستقامة والهداية وقيل كان ابن عباس يقول يقول اقرأوا بما آمنتم به فليس لله مثل وهذا محمول على انه فسر الكلام لا انه انكر القراءة الظاهرة مع صحة المعنى وقوله « وان تولوا » اي عرضوا عن الايمان وجحدوه ولم يعترفوا به « فانما هم في شقاق » اي في خلاف قد فارقوا الحق وتمسكوا بالباطل فصاروا مخالفين لله سبحانه عن ابن عباس وقريب منه ماروي عن الصادق (ع) انه قال يعني في كفر وقيل في ضلال عن ابي عبيدة وقيل في منازعة ومجاربة عن ابي زيد وقيل في عداوة عن الحسن « فسيفكفيكم الله » وعد الله سبحانه رسوله بالنصرة وكفاية من يعاديه من اليهود والنصارى الذي شاقوه وفي هذا دلالة بيينة على نبوته وصدقه صلى الله عليه وآله

المعنى ان الله سبحانه يكفيك يا محمد امرهم «وهو السميع» لا قولهم «العليم» باعمالهم في ابطال امرك ولن يصلوا اليك
قوله تعالى (١٣٨) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

صبغة الله مأخوذ من الصبغ لأن بعض النصارى كانوا اذا ولد لهم مولود غمسوه في ماء لهم يسمونه المعمودية
يجعلون ذلك تطهيرا له فقول صبغة الله تطهير الله لا تطهيركم بتلك الصبغة وهو قول الفراء وقيل ان اليهود تصبغ
ابنائهم يهودا والنصارى تصبغ ابنائهم نصارى اي يلقنون اولادهم اليهودية والنصرانية عن قتادة والى هذا يؤول
ماروي عن عمر بن الخطاب اخذ العهد على بني تغلب ان لا يصبغوا اولادهم اي لا يلقنونهم النصرانية لكن
يدعونهم حتى يبلغوا فيختاروا لانفسهم ماشاءوا من الاديان في صبغة الله وقيل سمي الدين صبغة لانه هينه تطهر
بالمشاهدة من اثر الطهارة والصلاة وغير ذلك من الآثار الجيدة التي هي كالصبغة عن الجبائي قال امية
في صبغة الله كان إذ نسي أأ مهد و خلّى الصواب إذ عرفا
ويقال صبغ الثوب يصبغه بفتح الباء وضمها وكسرها صبغا بفتح الصاد وكسرها

﴿ الاعراب ﴾

نصب صبغة الله على انه بدل من قوله ملة ابراهيم وتفسير له عن الاخفش وقيل انه نصب على الاغراء تقديره
اتبعوا صبغة الله والزمو صبغة الله ومن استفهام وهو مبتدأ واحسن خبره وصبغة نصب على التمييز

﴿ المعنى ﴾

«صبغة الله» اي اتبعوا دين الله عن ابن عباس والحسن وقاتدة ومجاهد ويقرب منه ماروي عن الصادق (ع)
قال يعني به الاسلام وقيل شريعة الله التي هي الحتان الذي هو تطهير عن الفراء والبلخي وقيل فطرة الله التي فطر
الناس عليها عن ابي العالية وغيره «ومن احسن من الله صبغة» اي لا احد احسن من الله صبغة اي ديننا لفظه لفظ
الاستفهام ومعناه الجحد عن الحسن وغيره «ونحن له عابدون» اي من نحن له عابدون يجب ان تتبع صبغته
لا ما صبغنا عليه الآباء والاجداد وقيل ونحن له عابدون في اتباعنا ملة ابراهيم صبغة الله

قوله تعالى (١٣٩) قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ
أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الحجاج والجدال والحصام نظائر والاعمال والاحداث والافعال نظائر والاخلاص والافراد والاختصاص نظائر
و ضد الخالص المشوب

﴿ الاعراب ﴾

وهو ربنا وربكم المبتدا وخبره في موضع النصب على الحال والعامل فيه تحاجون وذو الحال الراو ولنا
اعمالنا ولكم اعمالكم مبتدءان وخبران والجملتان في موضع نصب على الحال بالعطف على هو ربنا وربكم
ونحن له مخلصون كذلك

﴿ المعنى ﴾

امر الله سبحانه نبيه عليه السلام في هذه الآية ان يقول لهؤلاء اليهود وغيرهم اتحاجوننا في الله ومعناه في
دين الله اي تحاصموننا وتجادلوننا فيه وهو سبحانه خالقنا والمنعم علينا وخالقكم والمنعم عليكم واختلف في

محتاجهم كيف كان فقيل كانت حاجتهم للنبي عليه السلام انهم يزعمون انهم اولى بالحق لتقدم النبوة فيهم والكتاب وقيل بل كانت حاجتهم انهم قالوا نحن احق بالايان من العرب الذين عبدوا الاوثان وقيل كانت حاجتهم انهم قالوا يا محمد ان الانبياء كانوا منا ولم يكن من العرب نبي فلو كنت نبيا لكنت منا وقال الحسن كانت حاجتهم ان قالوا نحن اولى بالله منكم وقالوا نحن ابناؤه الله واجباؤه وقالوا ان يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وكان غرضهم بذلك ان الدين يلتبس من جهتهم وان النبوة اولى ان تكون فيهم فيبين سبحانه انه اعلم بتدبير خلقه بقوله «وهو ربنا وربكم» اي خالقنا وخالقكم فهو اعلم حيث يجعل رسالته ومن الذي يقوم باعبائها ويتصلها على وجه يكون اصلح للخلق واولى بتدبيرهم وقوله «ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم» اي لنا ديننا ولكم دينكم وقيل معناه ما علينا مضرة من اعمالكم وما لكم منفعة من اعمالنا فضرر اعمالكم عليكم ونفع اعمالنا لنا وقيل انه انكار لقولهم ان العرب تعبد الاوثان وبيان لان لا حجة فيه اذ كل ما يؤخذ بما كسبت يدها ولا يؤخذ احد بجرم غيره وقوله «ونحن له مخلصون» اي موحدون والمراد بذلك ان المخلص اولى بالحق من المشرك وقيل معناه الرد عليهم ما احتجوا به من عبادة العرب للاوثان فكانه قال لا عيب علينا في ذلك اذا كنا موحدين كما لا عيب عليكم بفعل من عبد العجل من اسلافكم اذا اعتقدتم الانكار عليهم في ذلك

﴿ فصل في ذكر الاخلاص ﴾

روي عن حذيفة بن اليمان قال سألت النبي صلى الله عليه وآله عن الاخلاص ما هو قال سألت جبريل عليه السلام عن ذلك قال سألت رب العزة عن ذلك فقال هو سر من سري استودعته قلب من احببته من عبادي وروي عن ابن ادريس الخولاني عن النبي (ص) قال ان لكل حق حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الاخلاص حتى لا يحب ان يحمد على شيء من عمل الله وقال سعيد بن جبير الاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله ولا يشرك به في دينه ولا يراني بعمله احدا وقيل الاخلاص ان تستوي اعمال العبد في الظاهر والباطن وقيل هو ما استتر من الخلائق واستصفى من العلائق وقيل هو ان يكرم حسناته كما يكتنم سيئاته

قوله تعالى (١٤٠) اَمْ تَقُولُونَ اِنْ اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ وَاَلْسَبَاطَ كَانُوْا هُوْدًا اَوْ نَصٰرٰى قُلْ اَاَنْتُمْ اَعْلَمُ اَمْ اللّٰهُ وَاَمْ اَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَتْ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللّٰهِ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير ابي بكر وابن عامر ام تقولون بالتاء والباقون بالياء.

﴿ الحجية ﴾

الاول على الخطاب فتكون ام متصلة بما قبلها من الاستفهام كأنه قال اتحاجوننا في الله ام تقولون ان الانبياء كانوا على دينكم والتقدير بأي الحجيتين تتعلقون في امرنا بالتوحيد فنحن موحدون ام باتباع دين الانبياء فنحن لهم متبعون والثاني وهو القراءة بالياء على العدول من الحجاج الاول الى حجاج آخر فكانه قال بل تقولون ان الانبياء من قبل ان تنزل التوراة والانجيل كانوا هودا او نصارى وتكون ام هذه هي المنقطعة فيكون قد اعرض عن خطابهم استجبالا لهم بما كان منهم كما يقبل العالم على من يحضرته بعد ارتكاب مخاطبه جهالة شنيعة فيقول قد قامت عليه الحجية ام يقول بابطال النظر المودى الى المعرفة

﴿ اللفظة ﴾

الاعلم والاعرف والادري بمعنى واحد والاظلم والاجور والاعتى نظائر وافعل هذه تستعمل بمعنى الزيادة واذا

يصح معناه فيما يقع فيه التزايد كقولهم افضل واطول وقد قال المحققون الصفات على ثلاثة اضرب صفة ذات وصفة تحصل بالفاعل وصفة تحصل بالمعنى (فالأول) مثل كون الذات جوهرها او سوادا وهذا لا يصح فيه التزايد (والثاني) كالوجود ولا يصح فيه ايضا التزايد (والثالث) على ضربين ﴿احدهما﴾ يصح فيه التزايد وهو كل ما يوجب معنى له مثل كالألوان والاكوان ونحوها (والآخر) لا يصح فيه التزايد وهو كل ما يوجب معنى (كذا) وكنتم واخفى واسر واحد والغفلة والسهو والنسيان نظائر وهو ذهاب المعنى عن النفس والصحيح ان السهو ليس بمعنى وانما هو فقد علوم مخصوصة فإن استمر به السهو مع صحة سمي جنونا فإذا قارنه ضرب من الضعف سمي اغما. واذا قارنه ضرب من الاسترخاء سمي نوما فإن قارنه نوع من الطرب سمي سكرا واذا حصل السهو بعد علم سمي نسيانا

﴿الاعراب﴾

ام الله الله مبتدأ وخبره محذوف تقديره ام الله اعلم وعنده ظرف مكان لكنتم او يكون صفة لشهادة تقديره شهادة كائنة عنده ومن الله صفة لشهادة ايضا وهي صفة بعد صفة

﴿المعنى﴾

قد ذكرنا الفرق في المعنى بين قوله ام تقولون على المخاطبة وقوله ام تقولون بالياء على ان يكون المعنى لليهود والنصارى وهم غيب وفي هذا احتجاج عليهم في قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى من وجوه ﴿احدها﴾ ما اخبر به نبينا صلى الله عليه وآله مع ظهور المعجز الدال على صدقه (والثاني) ما في التوراة والانجيل من ان هولاء الانبياء كانوا على الحنيفية (والثالث) ان عندهم انما يقع اسم اليهودية على من تمسك بشريعة التوراة واسم النصرانية على من تمسك بشريعة الانجيل والكتابين انزلا بعدهم كما قال سبحانه وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده (الرابع) انهم ادعوا ذلك من غير برهان فوبخهم الله سبحانه بهذه الوجوه وقوله «قل انتم اعلم ام الله» صورته صورة الاستفهام والمراد به التوبيخ ومثله قوله انتم اشد خلقا ام السماء بناها ومعناه قل يا محمد لهم انتم اعلم ام الله وقد اخبر الله سبحانه انهم كانوا على الحنيفية وزعمتم انهم كانوا هودا او نصارى فيلزمكم ان تدعوا انكم اعلم من الله وهذا غاية الحزني فإن قيل لم قال انتم اعلم ام الله وقد كانوا يعلمونه فكتموه وانما ظاهر هذا الخطاب لمن لا يعلم فالجواب ان من قال انهم كانوا على ظن وتوهم فوجه الكلام على قوله واضح ومن قال انهم كانوا يعلمون ذلك وانما كانوا يجحدونه فعناه ان متراسكم منزلة المعارض على ما يعلم ان الله اخبر به فما ينفعه ذلك مع اقراره بان الله اعلم منه وانه لا يخفى عليه شيء لان ما دل على انه اعلم هو الدال على انه لا يخفى عليه شيء وهو انه عالم لذاته يعلم جميع المعلومات وقوله «ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله» فيه اقوال ﴿احدها﴾ ان من في قوله من الله لا ابتداء للغاية وهو متصل بالشهادة لا بالكتان ومعناه وما احد اظلم ممن يكون عنده شهادة من الله فيكتمها والمراد بهذه الشهادة ان الله تعالى بين في كتابهم صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله والبشارة به عن الحسن وقتادة وقيل المراد بها ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب واولاده كانوا حنفاء مسلمين فكتموا هذه الشهادة وادعوا انهم كانوا على دينهم عن مجاهد فهذه شهادة من الله عندهم كتموها (والثاني) ان من متصل بالكتان اي من اظلم ممن كتم ما في التوراة من الله اي من عبادة الله او كتم شهادة ان يودعها الى الله (والثالث) ان المراد من اظلم في كتان الشهادة من الله لو كتمها وذلك نحو قولهم من اظلم ممن يجور على التقدير الضعيف من السلطان العني القوي والمعنى انه يلزمكم انه لا احد اظلم من الله اذ كتم شهادة عنده ليقع عباده في الضلال وهو القني عن ذلك المتعالي اي لو كانوا هودا او نصارى لا يخبر بذلك وهذا المعنى قول البلخي وابي مسلم وقوله «وما الله بغافل عما تعملون» او عدهم سبحانه بما يجمع كل وعيد اي ليس الله بساه عن كتان الشهادة التي لزمكم القيام بها لله وقيل هو على عمومه اي لا يخفى على الله شيء من المعلومات

فكونوا على حذر من الجزاء على اعمالكم بما تستحقونه من العقاب

قوله تعالى (١٤١) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (آية)

قد مضى تفسير هذه الآية وقيل في وجه تكراره انه عنى بالاول ابراهيم ومن ذكر معه من الانبياء (ع) وبالثاني اسلاف اليهود وقيل انه اذا اختلفت الاوقات والمواطن لم يكن التكرير معيياً ووجه اتصال الآية بما قبلها انه يقول اذا سلم لكم ما ادعيتهم من ان الانبياء كانوا على دين اليهودية او النصرانية فليس لكم فيه حجة لانه لا يتنعج اختلاف الشرائع بالمصالح فله سبحانه ان ينسخ من الشرائع ما شاء ويقر منها ما شاء على حسب ما تقتضيه الحكمة وقيل ان ذلك ورد مورد الوعظ لهم والزجر حتى لا يتكلموا على فضل الآباء والاجداد فان ذلك لا ينفعهم اذا خالفوا امر الله

قوله تعالى (١٤٢) سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا أوأيهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قُلْ لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (آية)

﴿ اللغة ﴾

السفيه والجاهل والفي نظائر وقد ذكرنا معنى السفه والسفيه فيامضى وولاه عنه اي صرفه وقتله واشتقاقه من الولى وهو القرب وهو حصول الثاني بعد الاول من غير فصل فالثاني يلي الاول والثالث يلي الثاني ثم هكذا ابدوا ولى عنه خلاف ولى اليه مثل قولك عدل عنه وعدل اليه وانصرف عنه وانصرف اليه فاذا كان الذي يليه متوجهاً اليه فهو متولٍ اليه واذا كان متوجهاً الى خلاف جهته فهو متولٍ عنه والقبلة مثل الجلسة للحال التي يقابل الشيء غيره عليها كما أن الجلسة للحال التي يجلس عليها وكان يقال فياحكي هو لي قبلة واناله قبلة ثم صار على الجبة التي تستقبل في الصلاة

﴿ الاعراب ﴾

من الناس في محل النصب حال من السفهاء وما استفهام وهو مبتدأ وولاهم خبره وعن قبلتهم مفعول ولى

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه الذين عابوا المسلمين بالانصراف عن قبلة بيت المقدس الى الكعبة فقال «سيقول السفهاء من الناس» اي سوف يقول الجهال وهم الكفار الذين هم بعض الناس «ما أوأيهم عن قبلتهم التي كانوا عليها» اي اي شيء حوّلهم وصرفهم يعني المسلمين عن بيت المقدس الذي كانوا يتوجهون اليها^(١) في صلاتهم واختلف في الذين قالوا ذلك فقال ابن عباس وغيره هم اليهود وقال الحسن هم مشركو العرب وان رسول الله لما حول الى الكعبة من بيت المقدس قالوا يا محمد رغبت عن قبلة آباءك ثم رجعت اليها فلترجعن الى دينهم وقال السدي هم المنافقون قالوا ذلك استهزاء اباالاسلام واختلف في سبب مقاتلتهم ذلك فقيل انهم قالوا ذلك على وجه الانكار للنسخ عن ابن عباس وقيل انهم قالوا يا محمد ما ولاك عن قبلك التي كنت عليها ارجع الى قبلتنا تتبعك ونوم من بك ارادوا بذلك فتنته عن ابن عباس ايضا وقيل انما قاله مشركو العرب ليوهوا ان الحق ما هم عليه واما الوجه في الصرف عن القبلة الاولى ففيه قولان ﴿ احدهما ﴾ انه لما علم الله تعالى في ذلك من تغير المصلحة و(الآخر) انه لما بينه سبحانه بقوله لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه لانهم كانوا بمسكة امروا ان يتوجهوا الى بيت المقدس ليميزوا من المشركين الذين كانوا يتوجهون الى الكعبة فلما انتقل رسول الله صلى الله عليه وآله الى المدينة كانت اليهود يتوجهون الى بيت المقدس فامروا بالتوجه الى الكعبة ليميزوا من اولئك «قل لله الشرق والمغرب» هو امر من الله سبحانه

(١) كذا في النسخ والانساب اليه لرجوع الضمير الى بيت المقدس

لنبيه ان يقول هو لاه الذين عابوا انتقامهم من بيت المقدس الى الكعبة المشرقة والغرب ملك لله سبحانه يتصرف فيها كيف شاء على ما تقتضيه حكمته وفي هذا الباطل لقول من زعم ان الارض المقدسة اولى بالتوجه اليها لانها مواطن الانبياء وقد شرفها الله وعظمها فلا وجه للتولية عنها فرد الله سبحانه عليهم بأن المواطن كلها لله يشرف منها ما يشاء في كل زمان على ما يعلمه من مصالح العباد وعن ابن عباس كانت الصلاة الى بيت المقدس بعد مقدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة سبعة عشر شهرا وعن البراء بن عازب قال صليت مع رسول الله (ص) نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا ثم صرفنا نحو الكعبة اوردته مسلم في الصحيح وعن انس بن مالك انما كان ذلك تسعة اشهر او عشرة اشهر وعن معاذ بن جبل ثلاثة عشر شهرا ورواه علي بن ابراهيم باسناده عن الصادق (ع) قال تموت القبلة الى الكعبة بعد ما صلى النبي (ص) بمكة ثلاث عشرة سنة الى بيت المقدس وبعد مهاجرة الى المدينة صلى الى بيت المقدس سبعة اشهر قال ثم وجهه الله الى الكعبة وذلك ان اليهود كانوا يعيرون رسول الله (ص) ويقولون له انت تابع لنا تصلي الى قبلتنا فآثم رسول الله (ص) من ذلك غماشديدا وخرج في جوف الليل ينظر الى آفاق السماء ينتظر من الله تعالى في ذلك امرا فلما اصبح وحضر وقت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلى من الظهر ركعتين فقل عليه جبرائيل (ع) فأخذ بعضديه وحوله الى الكعبة وانزل عليه قد نرى قلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضيها فول وجهك شطر المسجد الحرام وكان صلى ركعتين الى بيت المقدس وركعتين الى الكعبة فقالت اليهود والسفهاء ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قال الزجاج انما امر بالصلاة الى بيت المقدس لأن مكة بيت الله الحرام كانت العرب آفة لحجه فاحب الله ان يتجن القوم بغير ما القوه ليظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وقوله «يهدي من يشاء الى صراط مستقيم» اي يدهله ويرشده الى الدين وانما سماه الصراط لانه طريق الجنة المودي اليها كما يودي الطريق الى القصد وقيل طريق الجنة

قوله تعالى (١٤٣) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُّوفٌ رَحِيمٌ (آية)

﴿ القراة ﴾

قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم لرؤوف على وزن رعووف وقرأ ابو جعفر لرؤوف مثقل غير مهموز والباقون لرؤوف على وزن رعووف

﴿ الحجة ﴾

وجه من قرأ رؤوف ان بناء فعول اكثر في كلامهم من فعل الاترى ان باب ضروب وصبور اكثر من باب يقط وحذر وقد جاء على هذه الزنة من صفات الله تعالى نحو غفور وشكور وودود ولا نعلم فعلا فيها وقال كعب بن مالك الانصاري

نُطِيعُ نَبِيًّا وَنُطِيعُ رَبًّا هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ يَنَارُوهُ وَفَا

ومن قرأ رؤوف قال ان ذلك الغالب على اهل الحجاز قال الوليد بن عتبة لمعاوية

وَسَرُّ الطَّالِبِينَ فَلَا تَكُنْهُ لِقَاتِلِ عَمِّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

وقال جرير تَرَى لِلْمُسْلِمِينَ عَلَيْكَ حَقًّا كَفَعَلَ الْوَالِدِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

﴿ اللغة ﴾

الوسط العدل وقيل الخيار ومعناها واحد لأن العدل خير والخير عدل وقيل اخذ من المكان الذي يعدل المسافة منه الى اطرافه وقيل بل اخذ من التوسط بين المقصر والعالي فالخ معه قال مودج اي وسطا بين الناس وبين انبيائهم قال زهير

هُمْ وَسَطٌ يَرْضَى الْأَنَامُ بِحُكْمِهِمْ إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ

قال صاحب العين الوسط من كل شيء اعدله وافضله وقيل الواسط والوسط كما قيل اليابس واليس وقيل في صفة النبي صلى الله عليه وآله كان من اوسط قومه اي من خيارهم والعقب مودج القدم وعقب الانسان نسله قال ثعلب (زد على اعقابنا) اي نعقب بالشر بعد الخير وكذلك رجع على عقبه والعقب الكرة بعد الكرة في الركوب والمشي والتعقيب الرجوع الى امر تريده ومنه ولم يعقب وعقب الليل النهار يعقبه والاضاعة مصدر اضاع يضيع وضاع الشيء ضياعا وضيع الشيء تضييعا وقال صاحب العين ضيعة الشيء حرفته ويقال ماضيتك اي حرفتك ومنه كل رجل وضيعته وترك عياله بضيمة ومضيعة والضيمة والضيايع معروف واصل الضيايع الهلاك قال ابو زيد رأفت بالرجل ارأف به رأفة ورأفة وروءفت به اروءف به بمعنى

﴿ الاعراب ﴾

في الآية ثلاث لامات مختلفات فاللام في قوله لتكونوا لام كي وتكونوا في موضع نصب باضمار ان وتقديره لان تكونوا وان تكونوا في موضع جر باللام لأنها اللام الجارة في الاصل واللام في قوله وان كانت لكبيرة لام توكيد وهي لام الابتداء فصلت بينها وبين ان لتلا يجتمع حرفان متفقان في المعنى وهي تلزم إن المخففة من الثقلة لتلا تلتبس من بان النافية التي هي بمعنى ما في مثل قوله ان الكافرون الا في غرور وقال الكوفيون ان في مثل هذا الموضع بمعنى ما واللام بمعنى الا تقديره وما كانت الا كبيرة وانكر البصريون ذلك لأنه لو كان كذلك لجاز ان يقال جاء القوم زيدا بمعنى الازيد او اما في قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم فلام تأكيد نفي واصلها لام الاضافة ايضا وينصب الفعل بعدها باضمار ان ايضا الا انه لا يجوز اظهار ان بعدها لأن التقدير ما كان الله مضيا ايمانكم فلما حمل معناه على التأويل حمل لفظه ايضا على التأويل من غير تصريح باظهار ان ويجوز اظهار ان بعد لام كي كما ذكرناه والكاف في قوله وكذلك كاف التشبيه وهو في موضع النصب بالمصدر وذلك اشارة الى الهداية من قوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والتقدير انعمنا عليكم بالعدالة كما انعمنا عليكم بالهداية والعامل في الكاف جعلنا كأنه قيل يهدي من يشاء الى صراط مستقيم فقد انعمنا عليكم بذلك وجعلناكم امة وسطا فانعمنا مثل ذلك الانعام الا ان جعلنا يدل على انعمنا وهدى الله صلة الذين والضمير العائد الى الموصول محذوف فتقديره على الذين هداهم الله والجار والمجرور في محل نصب على الاستثناء تقديره وان كانت لكبيرة على الكل الأعلى الذين هدى الله

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه فضل هذه الأمة على سائر الأمم فقال سبحانه «وكذلك جعلناكم أمة وسطا» وقد ذكرنا وجه تعلق الكاف المضاف الى ذلك بما تقدم اخبر عز اسمه انه جعل امة نبيه محمد (ص) عدلا وواسطة بين الرسول والناس ومتى قيل اذا كان في الامة من ليس هذه صفته فكيف وصف جماعتهم بذلك فالجواب ان المراد به من كان بتلك الصفة ولأن كل عصر لا يخلو من جماعة هذه صفتهم وروى يزيد بن معاوية البجلي عن الباقر (ع) قال نحن الأمة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في ارضه وفي رواية اخرى قال النبي يرجع العالي وبنابالحق المقصود وروى الحارث بن القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل باسناده عن سليم بن قيس الهلالي عن علي (ع)

ان الله تعالى ايانا عنى بقوله لتكونوا شهداء على الناس فرسول الله شاهد علينا ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في ارضه ونحن الذين قال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله «لتكونوا شهداء على الناس» فيه ثلاثة اقوال **احدها** ان المعنى لتشهدوا على الناس بأعمالهم التي خالفوا فيها الحق في الدنيا وفي الآخرة كما قال وجي بالبين والشهداء وقال ويوم يقوم الاشهاد وقال ابن زيد الاشهاد اربعة الملائكة والانبياء وامة محمد (ص) والجوارح كما قال يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم الآية (والثاني) ان المعنى لتكونوا حجة على الناس فتبينوا لهم الحق والدين ويكون الرسول عليكم شهيدا مؤديا للدين اليكم وسمي الشاهد شاهدا لانه يبين ولذلك يقال للشهادة بينة (والثالث) انهم يشهدون للانبياء على افعالهم المكذبة لهم بانهم قد بلغوا وجاز ذلك لاعلام النبي (ص) اياهم بذلك وقوله «ويكون الرسول عليكم شهيدا» اي شاهدا عليكم بما يكون من اعمالكم وقيل حجة عليكم وقيل شهيدا لكم بانكم قد صدقتم يوم القيامة فيا تشهدون به وتكون على بمعنى اللام كقوله وما ذبح على النصب اي للنصب وقوله «وما جعلنا القبلة التي كنت عليها» قيل معنى كنت عليها صرت عليها وانت عليها يعني الكعبة كقوله كتم خير امة اي انتم خير امة وقيل وهو الاصح يعني بيت المقدس الذي كانوا يصلون اليها اي ما صرفناك عن القبلة التي كنت عليها الا لتعلم او ما جعلنا القبلة التي كنت عليها فصرفناك عنها «الا لتعلم» وحذف لدلالة الكلام عليه وفي قوله الا لتعلم اقوال (اولها) ان معناه ليعلم حزينا من النبي والمؤمنين كما يقول الملك فتحنا بلد كذا او فعلنا كذا اي فتح اولياونا والثاني ان معناه ليحصل المعلوم موجودا وتقديره ليعلم انه موجود فلا يصح وصفه بأنه عالم بوجود المعلوم قبل وجوده والثالث ان معناه لتعاملكم معاملة المختبر المتحن الذي كأنه لا يعلم اذ العدل يوجب ذلك من حيث او عاملهم بما يعلم انه يكون منهم قبل وقوعه كان ظلما (الرابع) ما قاله علم الهدى المرتضى قدس الله روحه وهو ان قوله لتعلم تقتضي حقيقته ان يعلم هو وغيره ولا يحصل علمه مع علم غيره الا بعد حصول الاتباع فاما قبل حصوله فيكون القديم سبحانه هو المنفرد بالعلم به فصح ظاهر الآية وقوله «من يتبع الرسول» اي يوم من به ويتبعه في اقواله وافعاله «من ينقلب على عقبيه» فيه قولان **احدهما** ان قوما ارتدوا عن الاسلام لما حولت القبلة جهلا منهم بما فيه من وجوه الحكمة والآخر ان المراد به كل مقيم على كفره لأن جهة الاستقامة اقبال وخلافها اديار ولذلك وصف الكافر بأنه ادير واستكبر وانه كذب وتولى اي عن الحق وقوله «وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله» الضمير في كانت يعود الى القبلة على قول ابي العالية اي وقد كانت القبلة كبيرة وقيل الضمير يرجع الى التحويلة ومفارقة القبلة الاولى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وهو الاقوى لأن القوم انما ثقل عليهم التحول لانفس القبلة وقيل الضمير يرجع الى الصلاة عن ابن زيد وقوله لكبيرة قال الحسن معناه ثقيلة يعني التحويلة الى بيت المقدس لأن العرب لم تكن قبلة احب اليهم من الكعبة وقيل معناه عظيمة على من لا يعرف ما فيها من وجه الحكمة فاما الذين هداهم الله لذلك فلا تعظم عليهم وهم الذين صدقوا الرسول في التحول الى الكعبة وانما خص المؤمنين بأنه هداهم وان كان قد هدى جميع الخلق لأنه ذكرهم على طريق المدح ولأنهم الذين انتفعوا بهدى الله وغيرهم كأنه لم يعتد بهم وقوله «وما كان الله ليضيع ايمانكم» قيل فيه اقوال **احدها** انه لما حولت القبلة قال ناس كيف بأعمالنا التي كنا نعمل في قبلتنا الاولى فآزر الله وما كان الله ليضيع ايمانكم عن ابن عباس وقتادة وقيل انهم قالوا كيف بمن مات من اخواننا قبل ذلك وكان قدماء اسعدين زرارة والبراء بن معرور وكانا من الثقباء فقال وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس ويمكن على هذا ان يحمل الايمان على اصله في التصديق اي لا يضيع تصديقكم بأمر تلك القبلة (وثانيتها) انه لا ذكر ما عليهم من المشقة في التحويلة اتبعه بذكر ما لهم عنده بذلك من المثوبة وانه لا يضيع ما عملوه من الكلفة فيه لأن التذكير به يبعث على ملازمة الحق والرضاه عن الحسن (وثالثها) انه لا ذكر انعامه عليهم بالتولية الى الكعبة ذكر السبب الذي استحقوا به ذلك الانعام وهو ايمانهم بما حملوه اولا

فقال وما كان الله ليضيع ايمانكم الذي استحققتهم به تبليغ محبتكم في التوجه الى الكعبة عن ابي القاسم البلخي وقوله «ان الله بالناس لرووف رحيم» رءوف بهم لا يضيع عنده عمل كل عامل منهم والرافة اشد الرحمة دل سبحانه بالرافة والرحمة على انه يوفر عليهم ما استحقوه من الثواب من غير تضييع لشيء منه وقيل انه سبحانه دل بقوله رءوف رحيم على انه منعم على الناس بتحويل القبلة واستدل كثير من العلماء بهذه الآية على ان اجماع الأمة حجة من حيث انه وصفهم بانهم عدول فاذا عدلهم الله تعالى لم يجز ان تكون شهادتهم مردودة والصحيح انها لا تدل على ذلك لأن ظاهر الآية ان يكون كل واحد من الأمة بهذه الصفة ومعلوم خلاف ذلك ومتى حملوا الآية على بعض الأمة لم يكونوا باولى من يحملها على المعصومين والأئمة من آل الرسول عليهم السلام وفي هذه الآية دلالة على جواز النسخ في الشريعة بل على وقوعه لأنه قال وما جعلنا القبلة التي كنت عليها فاخبر انه تعالى هو الجاعل لتلك القبلة وانه هو الذي نقله عنها وذلك هو النسخ

قوله تعالى (١٤٤) قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الروية هي ادراك الشيء بالبصر ونظيره الابصار ثم تستعمل بمعنى العلم والتقلب والتحول والتصرف نظائر وهو التحرك في الجهات ويقال ولتلك القبلة اي صيرتك تستقبلها بوجهك وليس هذا المعنى في فعلت منه لأنك تقول ولت الدار فلا يكون فيه دلالة على انك واجهتها ففعلت في هذه الكلمة ليس بنقول من فعلت الذي هو وليت وقد جاءت هذه الكلمة مستعملة على خلاف المقابلة والمواجهة في نحو قوله ويولون الدبر وقوله ويولونكم الادبار فهذا منقول من قولهم داري تلي داره تقول وليت ميامنه وولاني ميامنه مثل فرح وفرحته والرضا والمجبة نظيران وانما يظهر الفرق بضديهما فالمجبة ضدها البغض والرضا ضده السخط وهو يرجع الى الارادة فاذا قيل رضي عنه فكأنه اراد تعظيمه وثوابه واذا قيل رضي عمله فكأنه اراد ذلك والسخط ارادة الانتقام وشطر المسجد الحرام اي نحوه وتلقاه قال الشاعر

وَقَدْ أَظْلَكُمُ مِنْ شَطْرِ ثَغْرِكُمْ هَوْلٌ لَهُ ظَلَمٌ يَفْشَاكُمْ قِطْعًا

اي من نحو ثغركم وقال

إِنَّ الْعَسِيرَ بِهَا دَاءٌ يُخَاِمِرُهَا فَشَطْرُهَا نَظْرُ الْعَيْنِ مَحْسُورٌ

اي نحوها قال الزجاج يقال هو لاء القوم مشاطرونا اي دورهم تتصل بدورنا كما يقال هو لاء يناحورنا اي نحن نحوهم وهم نحونا وقال صاحب العين شطر كل شيء نصفه وشطره نحوه وقصده ومنه المثل احلب حلبا لك شطره اي نصفه وشطرت الشيء اي جعلته نصفين والحرام المحرم كما ان الكتاب بمعنى المكتوب والحساب بمعنى المحسوب والحق وضع الشيء في موضعه اذا لم يكن فيه وجه من وجوه القبح والغفلة هي السهو عن بعض الاشياء خاصة واذا كان السهو عاما فهو فوق الغفلة لأن النائم لا يقال له غفل الا مجازا

﴿ الاعراب ﴾

حيث ما كنتم موضع كنتم جزم بالشرط وتقديره وحيثما تكونوا والفاء وما بعده في موضع الجزاء ولا يجازى بجيث واذا حتى يكف كل واحد منهما بما وذلك لأنها لا يكونان الا مضافين الى ما بعدهما من الجملة قبل المجازاة بها فالزما في المجازاة ما لتكفها عن الاضافة لأن الاضافة تنع الجزاء بها وذلك لان الفعل اذا وقع في

موضع اسم ارتفع والمضاف اليه في موضع اسم مجرور وموضعه جر بالإضافة فيمتنع جزمه بالجزء مع وجود شرط الرفع فيه فلما كان كذلك كفا بما لتهينها لزم فعل الشرط بالجزء وشرط منصوب على الظرف

﴿ النزول ﴾

قال المفسرون كانت الكعبة احب القبلتين الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال جبريل وددت ان الله صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فقال له جبريل (ع) انما انا عبد مثلك واثبت كرم على ربك فادع ربك وسله ثم ارتفع جبريل وجعل رسول الله (ص) يديم النظر الى السماء رجاء ان يأتيه جبريل بالذي سأل ربه فانزل الله تعالى هذه الآية فقال

﴿ المعنى ﴾

«قد نرى تقلب وجهك يا محمد في السماء» لانتظار الوحي في امر القبلة وقيل في سبب تقلب النبي وجهه في السماء قولان ﴿احدهما﴾ انه كان وعد بتحويل القبلة عن بيت المقدس فكان يفعل ذلك انتظارا وتوقعا للموعود كما ان من انتظر شيئا فانه يجعل بصره الى الجهة التي يتوقع وروده منها (والثاني) انه كان يكره قبلة بيت المقدس ويهوى قبلة الكعبة وكان لا يسأل الله تعالى ذلك لانه لا يجوز للانبياء ان يسألوا الله تعالى شيئا من غير ان يؤذن لهم فيه لانه يجوز ان لا يكون فيه مصلحة فلا يجابون الى ذلك فيكون فتنة لقومهم واختلف في سبب ارادته تحويل القبلة الى الكعبة فقيل لان الكعبة كانت قبلة ابيه ابراهيم (ع) وقبلة آبائه عن ابن عباس وقيل لان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا عن مجاهد وقيل ان اليهود قالوا مادري محمد واصحابه اين قبلتهم حتى هديناهم عن ابن زيد وقيل كانت العرب يحبون الكعبة ويعظمونها غاية التعظيم فكان في التوجه اليها استمالة لقلوبهم ايكثروا حرص على الصلاة اليها وكان (ص) حريصا على استدعائهم الى الدين ويحتمل ان يكون انما احب ذلك لجميع هذه الوجوه اذ لا تنافي بينها وقوله «فلنولينك قبلة ترضاها» اي فلنصرفك الى قبلة تريدها وتحبها وانما اراد به محبة الطباع لانه كان يسخط القبلة الاولى «فول وجهك شطر المسجد الحرام» اي حول نفسك نحو المسجد الحرام لان وجه الشيء نفسه وقيل انما ذكر الوجه لان به يظهر التوجه وقال ابو علي الجبائي اراد بالشرط النصف فامر الله تعالى بالتوجه الى نصف المسجد الحرام حتى يكون مقابل الكعبة وهذا خطأ لانه خلاف اقوال المفسرين «وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره» اي اينما كنتم من الارض في براويج سهل او جبل فولوا وجوهكم نحوه فالاول خطاب للنبي (ص) واهل المدينة (والثاني) خطاب لجميع اهل الآفاق ولو اقتصر على الاول لجاز ان يظن ان ذلك قبلتهم حسب فبين سبحانه انه قبلة لجميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وذكر ابو اسحاق الثعلبي في كتابه عن ابن عباس انه قال البيت كله قبلة وقبلة البيت الباب والبيت قبلة اهل المسجد والمسجد قبلة اهل الحرم والحرم قبلة اهل الارض كلها وهذا موافق لما قاله اصحابنا ان الحرم قبلة من نأى عن الحرم من اهل الآفاق وقوله «وان الذين اتوا الكتاب» اراد به علماء اليهود وقيل علماء اليهود والنصارى «ليعلمون انه الحق من ربهم» اي يعلمون ان تحويل القبلة الى الكعبة حق مأمور به من ربهم وانما علموا ذلك لانه كان في بشارة الانبياء لهم ان يكون نبي من صفاته كذا وكذا وكان في صفاته انه يصلي الى القبلتين وروي انهم قالوا عند التحويل ما امرت بهذا يا محمد وانما هو شيء تبثدعه من تلقاء نفسك مرة الى هنا ومرة الى هنا فانزل الله تعالى هذه الآية وبيّن انهم يعلمون خلاف ما يقولون «وما الله بغافل عما يعملون» اي ليس الله بغافل عما يعمل هو ولا من كتان صفة محمد صلى الله عليه وآله والمعاندة ودل هذا على ان المراد بالآية قوم معدودون يجوز على مثلهم التواطؤ على الكذب وعلى ان يظهروا خلاف ما يبطنون فاما الجمع العظيم فلا يجوز عليهم التواطؤ على الكذب ولا يتأتى فيهم كلهم ان يظهروا خلاف ما يعلمون وهذه الآية ناسخة لفرض التوجه الى بيت المقدس وقال ابن عباس اول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا شأن القبلة وقال قتادة نسخت هذه الآية ما قبلها وقال جعفر بن مبشر هذا

بما نسخ من السنة بالقرآن وهذا هو الأقوى لأنه ليس في القرآن ما يدل على التبعد بالتوجه الى بيت المقدس ومن قال انها نسخت قوله فايها تولوا فثم وجه الله فان هذه الآية عندنا مخصوصة بالنوافل في حال السفر روي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عليه السلام وليست بمنسوخة واختلف الناس في صلاة النبي صلى الله عليه وآله الى بيت المقدس فقال قوم كان عليه السلام يصلي بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة امره الله تعالى ان يصلي الى بيت المقدس ثم اعيد الى الكعبة وقال قوم كان يصلي بمكة الى بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينها ولا يصلي في غير المكان الذي يمكن هذا فيه وقال قوم بل كان يصلي بمكة وبعددومه المدينة الى بيت المقدس ولم يكن عليه ان يجعل الكعبة بينه وبينها ثم امره الله تعالى بالتوجه الى الكعبة

قوله تعالى (١٤٥) وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِن آتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (آية)

﴿ الاعراب ﴾

اختلف النحويون في ان لئن لم اجيبت بجواب لو فقال الاخفش اجيبت بجواب لولان الماضي وليها كما يلي لو فدخلت كل واحدة منها على صاحبها قال سبحانه ولئن ارسلنا ريثما فرأوه مصفرا لظلوا فخرى لئن مجرى لو وقال ولو انهم آمنوا واتقوا ثم قال لمثوبة فخرى مجرى لئن وقال سيويه واصحابه ان معنى لظلوا ليظنن فعنى لئن غير معنى لو وكل واحدة منهما على حقيقتها وحقيقة معنى لو انها يمتنع بها الشيء لامتناع غيره كقولك لو اتيتني لاکرمتك فامتنع الاكرام لامتناع الاتيان ومعنى إن أن يقع بها الشيء لوقوع غيره تقول ان تأتني اكرمك فالاکرام يقع بوقوع الاتيان ولولا مضي وان لا يستقبل وانما لحق في الجواب هذا التداخل لدلالة اللام على معنى القسم فجيء جواب القسم اغنى عن جواب الشرط لدلالته عليه وكذلك قوله انك اذا لمن الظالمين ليس بجواب للشرط على الحقيقة ولكنه جواب القسم وقد اغنى عن الجزاء بدلالته عليه وانما يجاب الشرط بالفعل او بالقاء او باذا على ما هو مشروح في مواضعه

﴿ المعنى ﴾

«ولئن أتيت الذين أتوا الكتاب» في الكلام معنى القسم اي والله لئن أتيت الذين اعطوا الكتاب يعني اهل العناد من علماء اليهود والنصارى عن الزجاج والبخي وقيل المعنى به جميع اهل الكتاب عن الحسن وابي علي «بكل آية» اي بكل حجة ودلالة «ما تبعوا قبلتك» اي لا يجتمعون على اتباع قبلك على القول الثاني وعلى القول الاول لا يؤمن منهم احد لأن المعاند لا تنفعه الدلالة وانما تنفع الجاهل الذي لا يعلم «وما انت بتابع قبلتهم» في معناه اربعة اقوال ﴿احدها﴾ انه رفع لتجويز النسخ وبيان ان هذه القبلة لا تنسخ (وثانيتها) انه على وجه المقابلة لقوله ما تبعوا قبلك كما يقال ما هم بتاركي انكار الحق وما انت بتارك الاعتراف به فيكون الذي جر الكلام الثاني هو التقابل للكلام الاول (وثالثها) ان المراد ليس يمكنك استصلاحهم باتباع قبلتهم لاختلاف وجهتهم لأن النصارى تتوجه الى جهة المشرق الموضع الذي ولد فيه عيسى عليه السلام واليهود الى بيت المقدس فيبين الله سبحانه ان ارضاء الفريقين محال (ورابعها) ان المراد حسم اطاع اهل الكتاب من اليهود اذ كانوا اطعموا في ذلك وظنوا انه يرجع الى الصلاة الى بيت المقدس وقوله «وما بعضهم بتابع قبلة بعض» في معناه قولان ﴿احدهما﴾ انه لاتصير النصارى كلهم يهودا او لاتصير اليهود كلهم نصارى ابدا كما لا يتبع جميعهم الاسلام وهذا من الاخبار بالغيب قاله الحسن والسدي (والآخر) ان معناه اسقاط اعتلالهم بانه لا يجوز مخالفة اهل

الكتاب فيما ورثه عن انبياء الله وان بيت المقدس لم يزل كان قبلة الانبياء فهو اولى بأن يكون قبلة اي فكما جاز ان يخالف بين وجهتهم للاستصلاح جاز ان يخالف بوجهة ثالثة في زمان آخر للاستصلاح ويحتمل ايضا ان يجري الكلام على الظاهر لأنه لم يثبت ان يهوديا تنصر ولا ان نصرانيا تهود فلا ضرورة بنا الى العدول من الظاهر الى التاويل وهذا قول القاضي وقوله «ولئن اتبعت اهواءهم» الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وفيه اربعة اقوال ﴿اولها﴾ ان المراد به غيره من امته وان كان الخطاب له والمراد الدلالة على ان الوعيد يستحق باتباع اهوائهم وان اتباعهم ردة عن الحسن والزجاج (وثانيها) ان المراد ان اتبعت اهواءهم في المداراة لهم حرصا على ان يؤمنوا انك اذا لمن الظالمين لنفسك مع اعلامنا اياك انهم لا يؤمنون عن الجبائي (وثالثها) ان معناه الدلالة على فساد مذاهبهم وتبكيتهم بها وان من تبعه كان ظالما (ورابعها) انه على سبيل الزجر عن الركون اليهم ومقاربتهم تقوية لنفسه ومتبعي شريعته ليستمروا على عداوتهم عن القاضي «من بعد ما جاءك من العلم» اي من الآيات والوحي الذي هو طريق العلم وقيل من بعد ما علمت ان الحق ما انت عليه من القبلة والدين «انك اذا لمن الظالمين» وقد مضى معناه وهو مثل قوله لئن اشركت ليجبطن عملك وفي هذه الآية دلالة على فساد قول من قال انه لا يصح الوعيد بشرط وان من علم الله تعالى انه يؤمن لا يستحق العقاب اصلا لأن الله تعالى علق الوعيد بشرط يوجب انه متى حصل الشرط يحصل استحقاق العقاب وفيها دلالة على فساد قول من زعم ان في المقدور لطف الله تعالى بالكافر لا من لا محالة لقوله ان اتيتهم بكل آية ما تبعوا قبلتك فعلى قول من قال المراد به المعاند لا ينفعه شيء من الآيات وعلى قول من قال المراد به جميع الكفار فلا لطف لهم ايضا يؤمنون عنده فعلى الوجهين معا يبطل قولهم وفيها دلالة ايضا على ان جميع الكفار لا يؤمنون

قوله تعالى (١٤٦) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (آية)

﴿المعنى﴾

اخبر الله سبحانه بانهم يعرفون النبي عليه السلام وصحة نبوته فقال «الذين آتيناهم» اي اعطيناهم «الكتاب» وهم العلماء منهم «يعرفونه» اي يعرفون محمدا وانه حق «كما يعرفون ابنائهم» قيل والضمير في يعرفونه يعود الى العلم من قوله من العلم يعني النبوة وقيل الضمير يعود الى امر القبلة اي يعرفون ان امر القبلة حق عن ابن عباس فان قيل كيف قال يعرفونه كما يعرفون ابنائهم وهم كانوا يعرفون ابنائهم من جهة الحكم ويعرفون امر النبي (ع) من جهة الحقيقة قيل انه شبه المعرفة بالمعرفة ولم يشبه طريق المعرفة بطريق المعرفة وكل واحدة من المعرفتين كالأخرى وان اختلف الطريقتان «وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون» انما خص الفريق منهم لأن من اهل الكتاب من اسلم كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وغيرهما

قوله تعالى (١٤٧) أَلْحَقْ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (آية)

﴿اللفظة﴾

الامتراء الاستخراج وقيل الاستدرا قال الاعشى

تَدْرُ عَلَى أَسْوَقِ الْمُتَمَرِّينِ وَكُفًّا إِذَا مَا السَّحَابُ أُرْجَحَنَ

يعني الشاكين في دورها لطول سيرها وقيل المستخرجين ما عندها قال صاحب العين الري مسحك ضرع الناقة ترميها بيدك لتسكن للحلب والريح ترمي السحاب مريا والمرية من ذلك والمرية الشك ومنه الامتراء والتاري والمهارة والمراء الجدال واصل الباب الاستدرا يقال بالشكر تترى النعم اي تستدر

﴿ الاعراب ﴾

الحق مرفوع بأنه خبر مبتدا محذوف وتقديره ذلك الحق او هو الحق ومثله مررت برجل كريم زيد اي هو زيد ولو نصب لجاز في العربية على تقدير اعلم الحق من ربك او اقره الحق والنون في لا تكونن نون التأكيد يوه كد بها الامر والنهي ولا يوه كد بها الخبر لما كان الخبر يدل على كون الخبر به وليس كذلك الامر والنهي والاستخبار فألزم الخبر التأكيد بالقسم وجوابه واختصت هذه الاشياء بنون التأكيد يدل على اختلاف المعنى في الموه كد ولما كان الخبر اصل الجمل أكد بابلغ التأكيد وهو القسم

﴿ المعنى ﴾

هو «الحق من ربك» وهو ما آتاه الله من الوحي والكتاب والشرائع «فلا تكونن من המתين» من الشاكين في الحق الذي تقدم اخبار الله تعالى به وفي عناد من كتم النبوة وامتناعهم من الاجتماع على ما قامت به الحجة وقيل من המתين في شيء يازمك العلم به وهذا اولى لأنه اعم والخطاب وان كان متوجها الى النبي عليه السلام فالمراد به الامة كقوله عز اسمه يا ايها النبي اذا طلقت النساء وأمثاله وقيل الخطاب له لأنه انما يجوز عليه ذلك للملازمة امر الله سبحانه ولولم يكن هناك امر لم تصح الملازمة وفي هذا دلالة على جواز ثبوت القدرة على خلاف المعلوم خلافا لقول المجبرة قوله تعالى (١٤٨) وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مَوْلِيهَا فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم هو مولاها وروي ذلك عن ابن عباس ومحمد بن علي الباقر والباقر هو موليها

﴿ الحجة ﴾

من قرأ هو موليها فالضمير الذي هو هو لله تعالى والتقدير الله موليها اياه حذف المفعول الثاني لجري ذكره المظهر وهو كل في قوله ولكل وجهة وهو مبتدا وخبره والجملة التي هي موليها في موضع رفع لكونها وصفاً لوجهة ومن قرأ هو مولاها فالضمير الذي هو هو لكل وقد جرى ذكره وقد استوفى الاسم الجاري على الفعل المبني للمفعول مفعوليه اللذين يقتضيهما احدهما الضمير المرفوع من مولى والاخر ضمير الموثق ويجوز ان يكون الضمير الذي هو هو في قوله هو موليها عائدا الى كل والتقدير لكل وجهة هو موليها وجهه اي كل اهل وجهة هم الذين ولوا وجوههم الى تلك الجهة

﴿ اللغة ﴾

اختلف اهل العربية في وجهة فبعضهم يذهب الى انه مصدر شذ عن القياس جاء مصححا ومنهم من يقول هو اسم ليس بمصدر جاء على اصله وانه لو كان مصدرا جاء مصححا للزم ان يجيء فعله ايضا مصححا الا ترى ان هذا المصدر انما اعتل على الفعل حيث كان عاملا عمله وكان على حركاته وسكونه فلو صح لصح الفعل لأن هذه الافعال المعتلة اذا صححت في موضع تبعها باقي ذلك فوجه اسم للمتوجه والجهة المصدر قالوا وجه الحجر جهة ماله يريدون هنا المصدر وما زائدة وله في موضع الصفة للنكرة والاستباق والابتدار والاسراع نظائر وله في هذا الامر سابقة وسابقة وسبق اي سبق الناس اليه

﴿ المعنى ﴾

هذا بيان لأمر القبلة ايضا وقوله «ولكل وجهة» فيه اقوال ﴿احدها﴾ ان معناه لكل اهل ملة من اليهود والنصارى قبة من مجاهد واكثر المفسرين و (ثانيها) ان لكل نبي وصاحب ملة وجهة اي طريقة وهي

الاسلام وان اختلفت الاحكام كقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يعني شرائع الانبياء عن الحسن و (ثالثها) ان لكل من المسلمين واهل الكتاب قبلة يعني صلاتهم الى بيت المقدس وصلاتهم الى الكعبة عن قتادة و (رابعها) ان لكل قوم من المسلمين وجهة من كان منهم وراء الكعبة او قدامها او عن يمينها او عن شمالها وهو اختيار الجبائي «هو موليا» اي الله موليا ايهم ومعنى توليته لهم ايها انه امرهم بالتوجه نحوها في صلاتهم اليها ويدل على ذلك قوله فلنولينك قبلة ترضاها و قيل معناه الكل مولي الوجهه وجهه او نفسه الا انه استغني عن ذكر النفس والوجه وكل وان كان مجموع المعنى فهو موحد للفظ جَاءَ البناء على لفظه فلذلك قال هو في الكناية عنه وان كان المراد به الجمع والمعنى كل جماعة منهم يولونها وجوههم ويستقبلونها وقوله «فاستبقوا الخيرات» معناه سارعوا الى الخيرات عن الربيع والخيرات هي الطاعات لله تعالى وقيل معناه بادروا الى القبول من الله عز وجل فيما يأمركم به مبادرة من يطلب سبق اليه عن الزجاج وقيل معناه تنافسوا فيما رغبت فيه من الخير فلعل عندي ثوابه عن ابن عباس وقوله «اينا تكثرنا يأت بكم الله جميعا» اي حيثما تم من بلاد الله سبحانه يأت بكم الله الى المحشر يوم القيامة وروي في اخبار اهل البيت عليهم السلام ان المراد به اصحاب المهدي في آخر الزمان قال الرضا (ع) وذلك والله ان لو قام قائمنا يجمع الله اليه جميع شيعتنا من جميع البلدان «ان الله على كل شي قدير» اي هو قادر على جمعكم وحشركم وعلى كل شي.

قوله تعالى (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِنَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (آية)

﴿ المعنى ﴾

«ومن حيث خرجت» من البلاد «فول وجهك شطر المسجد الحرام» اي فاستقبل بوجهك تلقاء المسجد الحرام وقيل في تكراره وجوه ﴿ احدها ﴾ انه لما كان فرضا نسخ ما قبله كان من مواضع التأكيد والتبيين لينصرف الخلق الى الحال الثانية من الحال الاولى على يقين و (ثانيها) انه مقدم لما يأتي بعده ويتصل به فاشبه الاسم الذي تكرر ليخبر عنه باخبار كثيرة كما يقال زيد كريم زيد عالم زيد فاضل وما اشبه ذلك مما يذكر لتعلق القاعدة به و (ثالثها) انه في الاول بيان حال الحضرة وفي الثاني بيان حال السفر وقوله «وانه للحق من ربك» معناه وان التوجه الى الكعبة الحق للمأمور به من ربك ويحتمل ان يراد بالحق الثابت الذي لا يزول بنسخ كما يوصف القديم سبحانه بانه الحق الثابت الذي لا يزول «وما الله بغافل عما تعملون» معناه هنا التهديد كما يقول الملك لعبده ليس يخني علي ما انتم فيه ومثله قوله ان ربك بالمرصاد

قوله تعالى (١٥٠) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْنُنَ عَلَيْهِمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (آية)

﴿ الاعراب ﴾

لئلا يكون هو لأن لا كتبت الهذرة ياء لكسرة ما قبلها وترك نافع همزها تخفيفا وادغمت النون في اللام وموضع اللام من لئلا نصب والعامل فيه فولوا وقال الزجاج العامل فيه ما دخل الكلام من معنى عرفتمكم ذلك لئلا يكون وكذلك قوله ولا تم نعمتي اللام تتعلق بقوله فولوا وتقديره لان اتم وقوله الا الذين ظلموا فيه اقول ﴿ احدها ﴾ انه استثناء منقطع كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن ويقال ماله علي حق الا التعدي والظلم يعني لكنه يتعدى ويظلم وقال التابعة

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفَهُمْ
بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ

وكانه يقول ان كان فيهم عيب فهذا وليس هذا بعيب فاذا ليس فيهم عيب وهكذا في الآية ان كان على المؤمنين حجة للظالم في احتجابه وليس للظالم حجة فاذا ليس عليهم حجة (الثاني) ان تكون الحجة بمعنى الحاجة فكأنه قال لتلا يكون للناس عليكم حجاج الا الذين ظلموا فانهم يحاجونكم بالباطل فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا و(الثالث) ما قاله ابو عبيدة ان الا هاهنا بمعنى الراوي ولا الذين ظلموا وانكر عليه القراء والمبرد قال القراء الراوي لا يأتي بمعنى الامن غير ان يتقدمه استثناء كما قال الشاعر

مَا بِالْمَدِينَةِ دَارٌ غَيْرُ وَاحِدَةٍ
دَارُ الْخَلِيفَةِ إِلَّا دَارُ مَرْوَانَ

اي دار الخليفة ودار مروان وانشد الاخفش

وَأَرَى لَهَا دَارًا يَا غَدْرَةَ السِّبْ
إِلَّا رَمَادًا هَامِدًا دَفَعَتْ
يَدَانِ لَمْ يَدْرُسْ لَهَا رَسْمُ
عَنْهُ الرِّيَّاحُ خَوَالِدُ سُحْمُ

اي ارى لها دارا ورمادا وقال المبرد لا يجوز ان يكون الا بمعنى الواو اصلا و(الرابع) ان فيه اضمار على وتقديره الا على الذين ظلموا منهم فكأنه قال لتلا يكون عليكم حجة الا على الذين ظلموا فانه يكون الحجة عليهم وهم الكفار عن قطرب وهو اختيار الازهري قال علي بن عيسى وهذان الوجهان بعيدان والاختيار القول الاول

﴿ المعنى ﴾

قد مضى الكلام في معنى اول الآية وقيل في تكراره وجوه ﴿ احدها ﴾ انه لاختلاف المعنى وان اتفق اللفظ لأن المراد بالاول «ومن حيث خرجت» منصرفا عن التوجه الى بيت المقدس «فول وجهك شطر المسجد الحرام» والمراد بالثاني اين ما كنت من البلاد فتوجه نحوه من كل جهات الكعبة وسائر الاقطار (وثانيها) انه من مواضع التاكيد لما جرى من النسخ ليثبت في القلوب (وثالثها) انه لاختلاف المواطن والاقوات التي تحتاج الى هذا المعنى فيها وقوله «لتلا يكون للناس عليكم حجة» قيل فيه وجوه ﴿ اولها ﴾ ان معناه لأن لا يكون لأهل الكتاب عليكم حجة اذا لم تصلوا نحو المسجد الحرام بان يقولوا ليس هذا هو النبي المبشر به اذ ذاك نبي يصلي بالقبليتين (وثانيها) ان معناه لا تعدلوا عما امركم الله به من التوجه الى الكعبة فتكون لهم عليكم حجة بان يقولوا لو كنتم تعلمون انه من عند الله لما عدتم عنه عن الجبائي (وثالثها) ما قاله ابوروق ان حجة اليهود انهم كانوا قد عرفوا ان النبي المبعوث في آخر الزمان قبلته الكعبة فلما رأوا محمدا يصلي الى الصخرة احتجوا بذلك فصرفت قبلته الى الكعبة لتلا يكون لهم عليه حجة «الا الذين ظلموا منهم» يريد الا الظالمين الذين يكتمون ما عرفوا من انه يحول الى الكعبة وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا وقد مضى ذكر ما قيل فيه من الاقوال في الاعراب وانما اختلف العلماء في وجه الاستثناء لأن الظالم لا يكون له حجة لكنه يورد ما هو في اعتقاده حجة وان كانت باطلة كما قال سبحانه حجتهم داعضة وقيل المراد بالذين ظلموا قريش واليهود فاما قريش فقالوا قد علم اننا على هدى فرجع الى قبلتنا وسيرجع الى ديننا واما اليهود فقالوا لم ينصرف عن قبلتنا عن علم وانما فعله برأيه وزعم انه قد امر به وقيل المراد بالذين ظلموا العموم يعني ظلموكم بالمقاتلة وقلة الاستماع وقوله «فلا تخشوهم واخشوني» لما ذكرهم بالظلم والخصومة والمحااجة طيب نفوس المؤمنين فقال لا تخافوهم ولا تلتفتوا الى ما يكون منهم فإن عاقبة السوء عليهم ولا حجة لأحد منهم عليكم ولا يد وقيل لا تخشوهم في استقبال الكعبة واخشوا عقابي في ترك استقبالها فاني احفظكم من كيدهم وقوله «ولا تم نعمتي عليكم» عطف على قوله لتلا وتقديره لتلا يكون لأحد عليكم حجة ولا تم نعمتي عليكم بهدايتي اياكم الى قبلة ابراهيم عليه السلام بين سبحانه انه حول القبلة لهذين العرضين

زوال القالة وتقام النعمة وروي عن ابن عباس انه قال ولا تم نعمتي عليكم في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فانصرم على اعدائكم وأورثكم ارضهم وديارهم وأموالهم واما في الآخرة فبنتي ورحمتي وروي عن علي (ع) قال النعم ستة الاسلام والقرآن ومحمد (ص) والستر والعافية والغنى عما في ايدي الناس «ولعلمكم تهتدون» اي لكي تهتدوا ولعل من الله واجب عن الحسن وجماعة وقيل لتهتدوا الى ثوابها وقيل الى التمسك بها

قوله تعالى (١٥١) كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الارسال التوجيه بالرسالة والتحميل لها ليؤدي الى من قصد والتلاوة ذكر الكلمة بعد الكلمة على نظام متسق واصله من الاتباع ومنه تلاه اي تبعه والتركية النسبة الى الازدياد من الافعال الحسنة التي ليست بمشوبة ويقال ايضا على معنى التعريض لذلك بالاستدعاء اليه واللطف فيه يقال زكى فلان اذا اطراه ومدحه وزكاه حملة على ماله فيه الزكاء والنماء والطهارة والقدس والحكمة هي العلم الذي يمكن به الافعال المستقيمة

﴿ الاعراب ﴾

ما في قوله كما ارسلنا مصدرية فكأنه قال كما ارسلنا فيكم ويحتمل ان يكون كافة كما قال الشاعر
أَعْلَاقَةٌ أُمَّ الْوَلِيدِ بَعْدَ مَا أَفْتَانُ رَأْسِكَ كَالثَّمَامِ الْمُخْلِيسِ
فإنه يجوز كما زيد محسن اليك فاحسن الى اسبابه والعامل في الكاف من قوله كما يجوز ان يكون الفعل الذي قبله وهو قوله ولا تم نعمتي عليكم فعلى هذا لا يوقف عند قوله ولعلمكم تهتدون ويكون الوقف عند قوله ما لم تكونوا تعلمون ويجوز ان يكون الفعل الذي بعده وهو قوله فاذكروني اذكركم وعلى هذا يوقف عند قوله تهتدون ويبدأ بقوله كما ارسلنا ولا يوقف عند قوله تعلمون والاول احد قولي الزجاج واختيار الجبائي والثاني قول مجاهد والحسن وأحد قولي الزجاج وقوله منكم في موضع نصب لأنه صفة لقوله رسولا وكذلك قوله يتلوا وما بعده في موضع الصفة

﴿ المعنى ﴾

قوله «كما ارسلنا» التشبيه فيه على القول الاول معناه ان النعمة في امر القبله كالنعمة بالرسالة لأن الله تعالى لطف لعباده بها على ما يعلم من المصلحة ومحمود العاقبة واما على القول الثاني فعناه ان في بعثة الرسول منكم اليكم نعمة عليكم لأنه يحصل لكم به عز الرسالة فكما انعمت عليكم بهذه النعمة العظيمة فاذكروني واشكروني وابدوني انعم عليكم بالجزء والثواب والخطاب للعرب على قول جميع المفسرين وقوله «رسولا» يعني محمدا (ص) «منكم» بالنسب لأنه من العرب ووجه النعمة عليهم بكونه من العرب ما حصل لهم به من الشرف والذكر وان العرب لم تكن لتتبع رسولا يبعث اليهم من غيرهم مع نحوتهم وعزتهم في نفوسهم فكون الرسول منهم يكون أدمى لهم الى الايمان به واتباعه وقوله «يتلوا عليكم آياتنا» اراد بها القرآن «ويزكككم» ويعرضكم لما تكونون به اذكيا من الأمر بطاعة الله واتباع مرضاته ويحتمل ان يكون معناه ينسبكم الى انكم اذكيا بشهادته لكم بذلك ليعرفكم الناس به «ويعلمكم الكتاب والحكمة» الكتاب القرآن والحكمة هي القرآن وبالْحِكْمَةِ الوحي الصئتين لاختلاف فائدتهما كما يقال الله العالم بالأمر مررها القادر عليها وقيل اراد بالكتاب القرآن وبالْحِكْمَةِ الوحي من السنة وما لا يعلم إلا من جهته من الاحكام وقوله «ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون» اي ما لا سبيل لكم الى علمه الا من جهة السمع فذكرهم الله بالنعمة فيه ويكون التعليم لما عليه دليل من جهة العقل تابعا للنعمة فيه ولا سيما اذا وقع موقع اللطف

قوله تعالى (١٥٢) فَادْكُرُونِي اذْ كُنْتُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (آية)

﴿ اللغاة ﴾

الذكر حضور المعنى للنفس وقد يكون بالقلب وقد يكون بالقول وكلاهما يحضر به المعنى للنفس وفي اكثر الاستعمال يقال الذكر بعد النسيان وليس ذلك بموجب ان لا يكون الا بعد نسيان لأن كل من حضره المعنى بالقول او العقول او الخطور بالبال ذاكر له واصله التنبه على الشيء فمن ذكرته شيئا فقد نبهته عليه واذا ذكر بنفسه فقد تنبه عليه والذكر الشرف والنباهة والفرق بين الذكر والخاطر ان الخاطر ما يمر بالقلب والذكر قد يكون بالقول ايضا وفي قوله واشكروا لي محذوف اي اشكروا لي نعمتي لأن حقيقة الشكر الاعتراف بالنعمة وفي قوله ولا تكفرون ايضا محذوف لأن الكفر هو ستر النعمة وجعلها لا ستر المنعم وقولهم حمدت زيدا وذمته لاحذف فيه وان كنت انما تمجد اوتدمن من اجل الفعل كما انه ليس في قولك زيد متحرك حذف وان كان انما تحرك لأجل الحركة فليس كل كلام دل على معنى غير مذكور يكون فيه حذف الا ترى ان قولك زيد ضارب دل على مضروب وليس بمحذوف فالحمد للشيء دلالة على انه محسن والذم للشيء دلالة على انه مسيء كقولهم نعم الرجل زيد وبئس الرجل عمرو وقالوا اشكرتك وشكرت لك وانما قيل اشكرتك لا يقع اسم المنعم موقع النعمة فعندى الفعل بغير واسطة والاجود اشكرت لك النعمة لانه الاصل في الكلام قال الشاعر

هُمْ جَمَعُوا بُوْسِي وَنُعْمِي عَلَيْكُمْ فَهَلَّا شَكَرْتَ الْقَوْمَ اِذْ لَمْ تُقَابِلْ
ومثل ذلك نصحتك ونصحت لك وذكرنا الوجه في حذف الياء في مثل ولا تكفرون فيما مضى

﴿ المعنى ﴾

«فاذكروني اذ كنتم» قيل معناه اذكروني بطاعتي اذ كنتم برحمتي عن سعيد بن جبير بيانه قوله سبحانه واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقيل اذكروني بطاعتي اذ كنتم بمعونتي عن ابن عباس وبيانه قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل اذكروني بالشكر اذ كنتم بالزيادة عن ابن كيسان بيانه لأن شكرتم لازيدنكم وقيل اذكروني على ظهر الارض اذ كنتم في بطنها وقد جاء في الدعاء اذكروني عند البلاء اذا نسيني الناسون من الورد وقيل اذكروني في الدنيا اذ كنتم في العقبى وقيل اذكروني في النعمة والرخاء اذ كنتم في الشدة والبلاء وبيانه قوله سبحانه فلولا انه كان من المسبحين لبث في بطنه الى يوم يبعثون وفي الخبر تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وقيل اذكروني بالدعاء اذ كنتم بالاجابة بيانه قوله ادعوني استجب لكم وروي عن ابي جعفر الباقر (ع) قال قال النبي صلى الله عليه وآله ان الملك يتزل الصحيفة من اول النهار واول الليل يكتب فيها عمل ابن آدم فاملوا في اولها خيرا وفي آخرها خيرا فان الله يغفر لكم ما بين ذلك ان شاء الله فان الله يقول اذكروني اذ كنتم وقال الربيع في هذه الآية ان الله عز وجل ذاكر من ذكره وزائد من شكره ومعذب من كفره وقوله «واشكروا لي» اي اشكروا نعمتي واظهروها واعترفوا بها «ولا تكفرون» ولا تستروا نعمتي بالاجود يعني بالنعمة قوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الآية

قوله تعالى (١٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (آية)

﴿ الاعراب ﴾

الذين آمنوا موضعه رفع بانه صفة لأي كما ان الناس كذلك في قوله يا ايها الناس وقد ذكرناه فيما مضى وهو قول جميع النحويين الا الاخفش فإنه لا يجعله صفة لأي ويرفعه بأنه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل يا من هم الذين آمنوا الا انه لا يظهر المحذوف مع اي وانما حملة على ذلك لزوم البيان لأي فقال الصفة لاتلزم وانما تلزم الصلة

قال علي بن عيسى والوجه عندي ان يكون صفة بمنزلة الصلة في اللزوم وقد ذكرنا الوجه في لزومها ايضا عند قوله سبحانه يا ايها الناس اعبدوا ربكم وقال ابو علي لا يجوز ان يكون اي في النداء موصولة لانها لو كانت موصولة لوصلت بكل واحدة من الجمل الاربع ولم يقتصر بها على ضرب واحد منها لأن ذلك لم يفعل بشيء من الاسماء الموصولة في موضع وجاز ايضا ان يقال يا ايها رجل لأن خبر المبتدأ لا يجوز ان يكون مقصورا على المعرفة بالألف واللام ولا يغير عنه وفي امتناع جميع التحويين من اجازة ذلك ما يدل على فساد هذا القول وايضا لو كانت موصولة للزم جواز اظهار المبتدأ المحذوف من الصلة وكان يجوز يا ايها الرجل ويا ايهاهي المرأة ولا خلاف في انه لا يجوز ذلك

﴿ المعنى ﴾

قد مضى تفسير قوله استعينوا بالصبر والصلاة فيما مضى يحاطب المؤمنين فيقول « استعينوا بالصبر » اي بجس النفس عما تشتهي من المقبحات وحملها على ما تنفر عنه من الطاعات والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين عليه السلام في قوله الصبر صبران صبر على ما تكره وصبر عما تحب وبالصلاة لما فيها من الذكر والخشوع لله وتلاوة القرآن الذي يتضمن ذكر الوعد والوعيد والهدى والبيان وما هذه صفة يدعو الى الحسنات ويزجر عن السيئات واختلف في ان الاستعانة بهما على ماذا فقيل على جميع الطاعات فكأنه قال استعينوا بهذا الضرب من الطاعة على غيره من الطاعات وقيل على الجهاد في سبيل الله وقوله « ان الله مع الصابرين » فيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان معناه انه معهم بالمعونة والنصرة كما يقال السلطان معك فلا تبال من لقيت (والآخر) ان المراد هو معهم بالتوفيق والتسديد اي يسهل عليهم اداء العبادات والاجتناب من المقبحات ونظيره قوله سبحانه ويزيد الله الذين اهدوا هدى ولا يجوز ان يكون مع هنا بمعنى الاجتماع في المكان لأن ذلك من صفات الاجسام تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وفي الآية دلالة على ان في الصلاة لطفا للعبد لأنه سبحانه امرنا بالاستعانة بها ويؤيده قوله سبحانه ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

قوله تعالى (١٥٤) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

السبيل الطريق وسبيل الله طريق مرضاته وانما قيل للجهاد سبيل الله لأنه طريق الى ثواب الله عز وجل والقيل هو نقض بنية الحياة والموت عند من قال انه معنى عرض ينافي الحياة متفافة التعاقب ومن قال انه ليس بمعنى قال هو عبارة عن بطلان الحياة وهو الاصح فأما الحياة فلا خلاف في انها معنى وهي عرض يصير الجملة كالشيء الواحد حتى يصير قادرا واحدا عالما واحدا مريدا واحدا ولا يقدر على فعل الحياة الا الله سبحانه والشعور هو ابتداء العلم بالشيء من جهة المشاعر وهي الحواس ولذلك لا يوصف تعالى بأنه شاعر ولا بأنه يشعر وانما يوصف بأنه عالم ويعلم وقيل ان الشعور هو ادراك مادق للطف الحس مأخوذ من الشعر لدقته ومنه الشاعر لأنه يفتن من اقامة الوزن وحسن النظم لما لا يفتن له غيره

﴿ الاعراب ﴾

قوله اموات مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف تقديره لا تقولوا هم اموات ولا يجوز فيه النصب كما يجوز قلت حسنا لأن حسنا في موضع المصدر كأنه قال قلت قولاً حسناً فاما قوله ويقولون طاعة فيجوز فيه النصب في العربية على تقدير نطبع طاعة والفرق بين بل ولكن ان لكن نفي لأحد الشينين واثبت للآخر كقولك ما قام زيد لكن عمرو وليس كذلك بل لأنها اضراب عن الاول واثبت للثاني ولذلك وقعت في الايجاب كقولك قام زيد بل عمرو

﴿ النزول ﴾

عن ابن عباس انها نزلت في قتلى بدر وقتل من المسلمين يومئذ اربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وكانوا يقولون مات فلان فأنزل الله تعالى هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

لا امر الله سبحانه بالصبر والصلاة للأزدياد في القوة بها على الجهاد قال «ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات» فنهى أن يسمى من قتل في الجهاد امواتاً «بل احياء» اي بل هم احياء وقيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ وهو الصحيح انهم احياء على الحقيقة الى ان تقوم الساعة وهو قول ابن عباس وقتادة ومجاهد واليه ذهب الحسن وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء واختاره الجبائي والرماني وجميع المفسرين و (الثاني) ان المشركين كانوا يقولون ان اصحاب محمد يقتلون نفوسهم في الحروب بغير سبب ثم يوتون فيذهبون فأعلمهم الله انه ليس الامر على ما قالوه وانهم سيحيون يوم القيامة ويثابون عن البلخي ولم يذكر ذلك غيره و (الثالث) معناه لا تقولوا هم اموات في الدين بل هم احياء بالطاعة والهدى ومثله قوله سبحانه او من كان ميتاً فأحييناه فجعل الضلال موتاً والهداية حياة عن الاصم و (الرابع) ان المراد انهم احياء لما نالوا من جميل الذكر والثناء كما روي عن امير المؤمنين عليه السلام من قوله هلك خزان الاموال والعلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة والمعتمد هو القول الاول لأن عليه اجماع المفسرين ولأن الخطاب للمؤمنين وكانوا يعلمون ان الشهداء على الحق والهدى وانهم ينثرون ويحيون يوم القيامة فلا يجوز ان يقال لهم ولكن لا تشعرون من حيث انهم كانوا يشعرون ذلك ويقرون به ولأن حمله على ذلك يبطل فائدة تخصيصهم بالذكر ولو كانوا ايضاً احياء بما حصل لهم من جميل الثناء لما قيل ايضاً ولكن لا تشعرون لأنهم كانوا يشعرون ذلك ووجه تخصيص الشهداء بكونهم احياء وان كان غيرهم من المؤمنين قد يكونون احياء في البرزخ انه على جهة التقديم للبشارة بذكر حالهم ثم البيان لما يختصون به من انهم يرزقون كما في الآية الاخرى يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله فان قيل نحن نرى جثث الشهداء مطروحة على الارض لا تتصرف ولا يرى فيها شيء من علامات الاحياء فالجواب ان على مذهب من يقول بالانسان من اصحابنا ان الله تعالى يجعل لهم اجساماً كاجسامهم في دار الدنيا يتمتعون فيها دون اجسامهم التي في القبور فان النعيم والعذاب انما يحصل عنده الى النفس التي هي الانسان المكلف عنده دون الجثة ويؤيد ذلك ما رواه الشيخ ابو جعفر في كتاب تهذيب الاحكام مسنداً الى علي بن مهزيار عن القاسم بن محمد عن الحسين بن احمد عن يونس بن ظبيان قال كنت عند ابي عبد الله عليه السلام جالسا فقال ما يقول الناس في ارواح المؤمنين قلت يقولون في حواصل طير خضر في قناديل تحت العرش فقال ابو عبد الله سبحانه الله المؤمن اكرم على الله ان يجعل روحه في حوصلة طائر أخضر يا يونس المؤمن اذا قبضه الله تعالى صير روحه في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ويشربون فاذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا وعنه عن ابن ابي عمير عن حماد عن ابي بصير قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن ارواح المؤمنين فقال في الجنة على صور ابدانهم لو رأيتهم لقلت فلان فأما على مذهب من قال من اصحابنا ان الانسان هذه الجملة المشاهدة وان الروح هو النفس المتردد في مخارق الحيوان وهو اجزاء الجوف فالتقول انه يطفئ اجزاء من الانسان لا يمكن ان يكون الحي حياً بأقل منها يوصل اليها النعيم وان لم تكن تلك الجملة بكاملها لأنه لا معتبر بالاطراف واجزاء السمن في كون الحي حياً فإن الحي لا يخرج بمخارقتها من كونه حياً وربما قيل بان الجثة يجوز ان تكون مطروحة في الصورة ولا تكون ميتة فتصل اليها الذات كما ان النائم حي وتصل اليه الذات مع انه لا يحس ولا يشعر بشيء من ذلك فيرى في النوم ما يجد به السرور والالتذاذ حتى انه يود أن يطول نومه فلا يتبته وقد جاء في الحديث انه يفسح له مد بصره ويقال له نعم نومة العروس وقوله «ولكن لا تشعرون»

اي لا تعلمون انهم احياء وفي هذه الآية دلالة على صحة مذهبنا في سوال القبر واثابة المؤمن فيه وعقاب العصاة على ما تظاهرت به الاخبار وانما حمل البضى الآية على حياة الحشر لانكاره عذاب القبر

قوله تعالى (١٥٥) وَنَبِّئُوْكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْاَمْوَالِ
وَالْاَنْفُسِ وَالْثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصّٰبِرِيْنَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

البلاء الاختبار ويكون بالخير والشر والخوف ازعاج النفس لما يتوقع من الضرر والجوع ضد الشبع وهو المخصصة والمجاعة عام فيه جوع وحقيقة الجوع الشهوة الغالبة الى الطعام والشبع زوال الشهوة ولا خلاف ان الشهوة معنى في القلب لا يقدر عليه غير الله تعالى والجوع منه واما الشبع فهو معنى عند ابني علي الجبائي وهو فعله تعالى وعند ابني هاشم ليس بمعنى وهكذا القول في العطش والري والنقص نقيض الزيادة والنقصان يكون مصدرا واسما ونقص الشيء ونقصته لازم ومتعد ودخل عليه نقص في عقله ودينه ولا يقال نقصان والنقص الوقيعة في الناس والنقص انتقاص الحق وتنقصه تناول عرضه واصل النقص الخط من التام والمال معروف واموال العرب انعامهم ورجل مال اي ذو مال والثمرة افضل ما تحمله الشجرة

﴿ الاعراب ﴾

فتحت الواو في لنبأونكم كما فتحت الراء في لنتصرونكم وهو انه بني على الفتحة لأنها اخف اذا استحق البناء على الحركة كما استحق يا في النداء حكم البناء على الحركة من الخوف والجوع الجار والمجرور صفة شيء.

﴿ المعنى ﴾

لا بين سبحانه ما كلف عباده من العبادات عقبه بيان ما امتحنهم به من فنون المشقات فقال «ولنبأونكم» اي ولنتخبرنكم ومعناه نعاملكم معاملة المختبر ليظهر المعلوم منكم والخطاب لأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام عن عطا والربيع ولو قيل انه خطاب لجميع الخلق لكان ايضا صحيحا «بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال» اي بشيء من الخوف وشيء من الجوع وشيء من نقص الاموال فاوجز وانما قال من الخوف على وجه التبويض لأنه لم يكن مويدا وانما عرفهم سبحانه ذلك ليوطنوا انفسهم على المكارة التي تلحقهم في نصرته النبي صلى الله عليه وآله لما لهم فيها من المصلحة فاما سبب الخوف فكان قصد المشركين لهم بالعداوة وسبب الجوع تشاغلهم بالجهاد في سبيل الله عن المعاش واحتياجهم الى الانفاق فيه وقيل للقسط الذي لحقهم والجدب الذي اصابهم وسبب نقص الاموال الانتقاع بالجهاد عن العبادة ونقص الانفس بالقتل في الحروب مع رسول الله (ص) وقيل نقص الاموال بهلاك المواشي «والانفس» بالموت وقوله «والثمرات» قيل اراد ذهاب حمل الاشجار بالجوائح وقلة النبات وارتفاع البركات وقيل اراد به الاولاد لأن الولد ثمرة القلب وانما قال ذلك لاشتغالهم بالقتال عن عمارة البستان وعن مناصحة النسوان فيقل تزل البساتين وحمل البنات والبنين ووجه الابتلاء بهذه الاشياء ما تقتضيه الحكمة من الاطراف ودقائق المصالح والاعراض ويدخره سبحانه لهم ما يرضيهم به من جلائل الاعراض وقيل في وجه اللطف في ذلك قولان ﴿احدهما﴾ ان من جاء من بعدهم اذا اصابهم مثل هذه الامور علموا انه لا يصيبهم ذلك لنقصان درجة وحط مرتبة فانه قد اصاب ذلك من هو اعلى درجة منهم وهم اصحاب النبي (ص) (والآخر) ان الكفار اذا شاهدوا المؤمنين يتحملون المشاق في نصرته الرسول وموافقتهم له وتنازلهم هذه المكارة فلا يتغيرون في قوة البصيرة ونقاء السيرة علموا انهم لما فعلوا ذلك لعلمهم بصحة هذا الدين وكونهم من معرفة صدقه على اليقين فيكون ذلك داعيا لهم الى قبول الاسلام والدخول في جملة المسلمين وقوله «وبشر الصابرين» اي اخبرهم

بما لهم على الصبر في تلك المشاق والمكاره من الثوبة الجزيلة والعاقبة الجميلة
قوله تعالى (١٥٦) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
(١٥٧) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

امال الكسائي في بعض الروايات التون من انا واللام من لله والباقون بالتخميم

﴿ الحجة ﴾

وانما جازت الامالة في هذه الالف مع اسم الله للكسرة مع كثرة الاستعمال حتى صارت بمنزلة الكلمة الواحدة
قال الفراء لا يجوز امالة انا مع غير اسم الله تعالى في مثل قولك انا لزيد وانما لم يجر ذلك لأن الاصل في الحروف
وما جرى مجراها امتناع الامالة فيها فلا يجوز امالة حتى ولكن وما اشبه ذلك لأن الحروف بمنزلة بعض الكلمة
من حيث امتنع فيها التصريف الذي يكون في الاسماء والافعال

﴿ اللغة ﴾

المصيبة المشقة الداخلة على النفس لا يلحقها من المضرة وهو من الاصابة كأنها تصيبها بالنكبة والرجوع مصير
الشيء الى ما كان يقال رجعت الدار الى فلان اذا ملكها مرة ثانية وهو نظير العود والمصير والاهتداء الاصابة لطريق الحق

﴿ المعنى ﴾

ثم وصف عز اسمه الصابرين فقال «الذين اذا اصابتهم مصيبة» اي نالتهم نكبة في النفس او المال فوطنوا
انفسهم على ذلك احتساباً للأجر «قالوا انا لله» هذا اقرار بالعبودية اي نحن عبيد الله وملكوه «وانا اليه راجعون»
هذا اقرار بالبعث والنشور اي نحن الى حكمه نصير ولهذا قال امير المؤمنين عليه السلام ان قولنا انا لله اقرار على
انفسنا بالملك وقولنا وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالملك وانما كانت هذه اللفظة تعزية عن المصيبة لما فيها من
الدلالة على ان الله تعالى يجبرها ان كانت عدلا وينصف من فاعلها ان صكانت ظلما وتقديره انا لله تسلياً لأمره
ورضاه بتدبيره وانا اليه راجعون ثقة بأننا نصير الى عدله وانفراده بالحكم في اموره وفي الحديث من استرجع
عند المصيبة جبر الله مصيبتة واحسن عقابه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وقال عليه السلام من اصاب بمصيبة فاحدث
استرجاعا وان تقادم عهدها كتب الله له من الاجر مثله يوم اصاب يوم اصاب روى الصادق عليه السلام عن آبائه عن النبي
صلى الله عليه وآله قال اربع من كن فيه كتبه الله من اهل الجنة من كانت عصمته شهادة ان لا اله الا الله ومن
اذا انعم الله عليه النعمة قال الحمد لله ومن اذا اصاب ذنبا قال استغفر الله ومن اذا اصابته مصيبة قال انا لله وانا
اليه راجعون وقوله «او ائلك» اشارة الى الذين وصفهم من الصابرين «عليهم صلوات من ربهم» اي ثناء جميل من
ربهم وتركية وهو بمعنى الدعاء لأن الثناء يستحق دائما ففيه معنى اللزوم كما ان الدعاء يدعى به مرة بعد مرة ففيه
معنى اللزوم وقيل بركات من ربهم عن ابن عباس وقيل مغفرة من ربهم «ورحمة» اي نعمة عاجلا و آجلا فالرحمة النعمة
على المحتاج وكل احد يحتاج الى نعمة الله في دنياه وعقباه «واو ائلك هم المهتدون» اي المصيبون طريق الحق في
الاسترجاع وقيل الى الجنة والثواب وكان عمر بن الخطاب اذا قرأ هذه الآية قال نعم العبدان ونعمت العلاوة
قوله تعالى (١٥٨) إِنَّ الصَّفَا وَالرِّوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حُجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير عامم من يطوع بالياء وتشديد الطاء والواو وكذلك ما بعده وواقفهم زيد ورويس عن

يعقوب في الاول والباقون تطوع على انه فعل ماض وروي في الشواذ عن علي عليه السلام وابن عباس وانس وسعيد ابن جبير واي بن كعب وابن مسعود الآ يطوف بها

﴿الحجة﴾

يمكن ان يكون لا على هذه القراءة زائدة كما في قوله لنلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلمم وكقوله (من غير لاصف ولا اصطراف) اي من غير عصف ويطوع تقديره يتطوع الا انه ادغم التاء في العلاء لتقاربها

﴿اللفظة﴾

الصفا في الاصل الحجر الاملس مأخوذ من الصفو واحده صفاة قال امرؤ القيس

لَهَا كَفَلٌ كَصَفَاةِ الْمَسِيلِ أَبْرَزَ عَنْهَا حِجَابٌ مُصِرٌّ

فهو مثل حصاة وحصى ونواة ونوى وقيل ان الصفا واحد قال البرد الصفا كل حجر لا يخالطه غيره من طين او تراب وانما اشتقاقه من صفا يصفو اذا خلص واصله من الواو لانك تقول في تثنيته صفوان ولا يجوز املته والمروة في الاصل الحجارة الصلبة اللينة وقيل الحصاة الصغيرة والمروة لغة في المروة وقيل هو جمع مثل تمرة وتمر قال ابو ذؤيب

حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ بِصَفَا الْمُشَقَّرِ كُلِّ يَوْمٍ تُفْرَعُ

المرو نبت واصله الصلابة فالنبت انما سمي بذلك لصلابة بزره وقد صار اسمين لجبلين معروفين بمكة والائف واللام فيها للتعريف لا للجنس والشعائر العالم للأعمال وشعائر الله معالمه التي جعلها مواطن للعبادة وكل معلم لعبادة من دعاء او صلاة او غيرها فهو مشعر لتلك العبادة وواحد الشعائر شعيرة فشعائر الله اعلام متبذاته من موقف او مسمى او منحدر من شعرت به اي علمت قال الكمي

نُقَلِّهُمُ حَبِيلًا فَجَبِيلًا نَرَاهُمْ شَعَائِرَ قُرْبَانَ بِهِمْ يُتَقَرَّبُ

والحج في اللفظة هو التصد على وجه التكرار وفي الشريعة عبارة عن قصد البيت بالعمل المشروع من الاحرام والطواف والسعي والوقوف بالموقفين وغير ذلك قال الشاعر

وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُوًّا كَثِيرَةً يَحْجُونَ بَيْتَ الزِّيْبْرِ قَانَ الْمَرْعَرَا

يعني يكثرون التردد اليه لسواده والعمرة هي الزيارة اخذ من العبارة لأن الزائر يعمر المكان بزيارته وهي في الشرع زيارة البيت بالعمل المشروع والجنح الميل عن الحق يقال جنح اليه جنوحا اذا مال واجنحته فاجتنح اي املته قال وجناحا الطائر يدها ويدها الانسان جناحا وجناحا العسكر جانباه والطواف الدوران حول الشيء ومنه الطائف وفي عرف الشرع الدور حول البيت والطائفة الجعاعة كالحلقة الدائرة ويطوف اصله يتطوف ومثله يطوع والفرق بين الطاعة والتطوع ان الطاعة موافقة الارادة في الفريضة والنافلة والتطوع التبرع بالنافلة خاصة واصلها من الطوع الذي هو الانقياد والشاكر فاعل الشكر وانما يوصف سبحانه بأنه شاكر مجازا وتوسعا لأنه في الاصل هو المظهر للانعام عليه والله يتعالى عن ان يكون عليه نعمة لأحد

﴿الاعراب﴾

قوله من حج ومن تطوع يحتمل امرين ﴿احدهما﴾ ان يكون من موصولا بمنزلة الذي والآخر ان يكون للجزاء فان كان موصولا فلا موضع للفعل الذي بعده وهو مع صلته في موضع رفع بالابتداء والفاء على هذا مع ما بعده في قوله فلا جناح عليه فإن الله شاكر في موضع رفع بانه خبر المبتدأ الموصول وان كان للجزاء كان الفعل الذي بعده في موضع الجزم وكانت الفاء مع ما بعدها ايضا في موضع جزم لوقوعها موقع الفعل المجرم الذي هو جزاء

والفعل الذي هو حج او تطوع على لفظ الماضي والتقدير به المستقبل كما ان ذلك في قولك ان اكرمته كرمته كذلك وقوله فان الله شاكر عليم انما يصح ان يقع موقع الجزاء او موقع خبر المبتدأ وان لم يكن فيه ضمير عائد لأن تقديره يعامله معاملة الشاكر بحسن المجازاة واليجاب المكافاة وانما دخلت الفاء في خبر المبتدأ الموصول لما فيه من معنى الجزاء وان لم يكن في موضع الجزم الا ترى ان هذه الفاء تؤذن بأن الثاني وجب لوجوب الاول

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه امتحان العباد بالتكليف والألزام مرة وبالمصائب والآلام اخرى ذكر سبحانه ان من جملة ذلك امر الحج فقال «ان الصفا والمروة من شعائر الله» اي انهما من اعلام متعبداته وقيل من مواضع نسكه وطاعاته عن ابن عباس وقيل من دين الله عن الحسن وقيل فيه حذف وتقديره الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله وروي عن جعفر الصادق عليه السلام انه قال نزل آدم على الصفا ونزلت حواء على المروة فسمي الصفا باسم آدم المصطفى وسميت المروة باسم المرأة وقوله «فن حج البيت» اي قصده بالافعال المشروعة «او اعتمر» اي اتى بالعمرة بالمناسك المشروعة وقوله «فلا جناح عليه» اي لا حرج عليه «ان يطوف بهما» قال الصادق (ع) كان المسلمون يرون ان الصفا والمروة مما ابتدع اهل الجاهلية فانزل الله هذه الآية وانما قال فلا جناح عليه ان يطوف بهما وهو واجب او طاعة على الخلاف فيه لأنه كان على الصفا صنم يقال له إساف وعلى المروة صنم يقال له نائلة وكان المشركون اذا طافوا بهما مسحواهما فتخرج المسلمون عن الطواف بهما لأجل الصنمين فانزل الله تعالى هذه الآية عن الشعبي وكثير من العلماء فرجع رفع الجناح عن الطواف بهما الى تخرجهم عن الطواف بهما لأجل الصنمين لا الى عين الطواف كما لو كان الانسان محبوسا في موضع لا يمكنه الصلاة الا بالتوجه الى ما يكره التوجه اليه من المخرج وغيره فيقال له لا جناح عليك في الصلاة الى ذلك المكان فلا يرجع رفع الجناح الى عين الصلاة لأن عين الصلاة واجبة وانما يرجع الى التوجه الى ذلك المكان ورويت رواية اخرى عن ابي عبد الله عليه السلام انه كان ذلك في عمرة القضاء وذلك ان رسول الله (ص) شرط عليهم ان يرفعوا الاصنام فتشاغل رجل من اصحابه حتى اعيدت الاصنام فجاءوا الى رسول الله (ص) فقيل له ان فلانا لم يطف وقد اعيدت الاصنام فتزلت هذه الآية فلا جناح عليه ان يطوف بهما اي والاصنام عليهما قال فكان الناس يسعون والاصنام على حالها فلما حج النبي (ص) رمى بها وقوله «ومن تطوع خيرا» فيه اقوال ﴿اولها﴾ ان معناه من تبرع بالطواف والسعي بين الصفا والمروة بعد ما أدى الواجب من ذلك عن ابن عباس وغيره (وثانيها) ان معناه من تطوع بالحج والعمرة بعد اداء الحج والعمرة المفروضين عن الاصم (وثالثها) ان معناه من تطوع بالخيرات وانواع الطاعات عن الحسن ومن قال ان السعي ليس بواجب قال معناه من تبرع بالسعي بين الصفا والمروة وقوله «فان الله شاكر عليم» اي مجازيه على ذلك وانما ذكر لفظ الشاكر تلطفا بعباده ومظاهرة في الاحسان والانعام اليهم كما قال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا والله سبحانه لا يستقرض عن عوز ولكنه ذكر هذا اللفظ على طريق التلطف اي يعامل عباده معاملة المستقرض من حيث ان العبد ينفق في حال غناه فيأخذ اضعاف ذلك في حال فقره وحاجته وكذلك لا كان يعامل عباده معاملة الشاكرين من حيث انه يوجب الثناء له والثواب سمي نفسه شاكرا وقوله عليم اي بما تفعلونه من الافعال فيجازيكم عليها وقيل عليم بقدر الجزاء فلا يبغض احدا حقه وفي هذه الآية دلالة على ان السعي بين الصفا والمروة عبادة ولا خلاف في ذلك وهو عندنا فرض واجب في الحج وفي العمرة وبه قال الحسن وعائشة وهو مذهب الشافعي واصحابه وقال ان السنة اوجبت السعي وهو قوله (ص) كتب عليكم السعي فاسعوا فاما ظاهر الآية فانما يدل على اباحة ما كرهه من السعي وعند ابي حنيفة واصحابه هو تطوع وهو اختيار الجبائي وروي ذلك عن انس وابن عباس وعندنا وعند الشافعي من تركه متعمدا فلا حج له

قوله تعالى (١٥٩) **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ** (آية)

﴿النزول﴾

المعنى بالآية اليهود والنصارى مثل كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وابن صوريا وزيد بن التابوه وغيرهم من علماء النصارى الذين كتبوا امر محمد ونبوته وهم يجحدونه مكتوبا في التوراة والانجيل مثبتا فيهما عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة واكثر اهل العلم وقيل انه متناول لكل من كتم ما أنزل الله وهو اختيار البلخي وهو الاقوى لأنه اعم فيدخل فيه اوئك وغيرهم

﴿المعنى﴾

ثم حث الله سبحانه على اظهار الحق وبيانه ونهى عن اخفائه وكتامه فقال «ان الذين يكتُمون» اي يخفون «ما أنزلنا من بينات» اي من الحجج المنزلة في الكتب «والهدى» اي الدلائل فالاول علوم الشرع والثاني ادلة العقل فعمم بالوعيد في كتان جميعها وقيل اراد بالبينات الحجج الدالة على نبوته عليه السلام وبالهدى ما يوده الى الخلق من الشرائع وقيل البينات والهدى هي الادلة وهما بمعنى واحد وانما كرر لاختلاف لفظيهما «من بعد ما بيناه للناس في الكتاب» يعني في التوراة والانجيل من صنته عليه السلام ومن الاحكام وقيل في الكتب المنزلة من عند الله وقيل اراد بقوله ما انزلنا من بينات الكتب المتقدمة وبالكتاب القرآن «اوئك يلعنهم الله» اي يبعدهم من رحمته بايجاب العقوبة لأنه لايجوز لمن من لا يستحق العقوبة «ويلعنهم اللاعنون» قيل الملائكة والمؤمنون عن قتادة والربيع وهو الصحيح لقوله سبحانه عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وقيل دواب الارض وهوامها تقول منعنا القطر بمعاصي بني آدم عن مجاهد وعكرمة وقيل كل شيء سوى الثقلين الجن والانس عن ابن عباس وقيل اذا تلاقى الرجلان رجعت اللعنة على المستحق لها فإن لم يستحقها واحد منهما رجعت على اليهود الذين كتبوا ما أنزل الله عن ابن مسعود فان قيل كيف يصح ذلك على قول من قال المراد باللاعنين البهائم وهذا الجمع لا يكون الا للعقلاء قيل لما اضيف اليها فعل ما يعقل عوملت معاملة من يعقل كقوله سبحانه والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين وانما اضيف اللعن الى من لا يعقل لأن الله يلعنهم اللعن عليهم لما في ذلك من الزجر عن المعاصي لأن الناس اذا علموا انهم اذا عملوا هذه المعاصي استحقوا اللعن حتى انه يلعنهم الدواب والهوام كان لهم في ذلك ابلغ الزجر وقيل انما يكون ذلك في الآخرة يكمل الله عقولها فتلعنهم وفي هذه الآية دلالة على ان كتان الحق مع الحاجة الى اظهاره من اعظم الكبائر وان من كتم شيئا من علوم الدين وفعل مثل فعلهم فهو مثلهم في عظم الجرم ويزامه كما لزهم الوعيد وقد روي عن النبي (ص) انه قال من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار وفيها ايضا دلالة على وجوب الدعاء الى التوحيد والعدل لأن في كتاب الله تعالى ما يدل عليها تأكيدا لما في القول من الادلة

قوله تعالى (١٦٠) **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** (آية)

﴿اللغة﴾

التوبة هي الندم الذي يقع موقع التنصل من الشيء وذلك بالتحصر على مواقفه والعزم على ترك معاودته إن امكنت المعاودة واعتبر قوم ترك المعاودة على مثله في القبح وهذا اقوى لأن الامة اجمعت على سقوط العقاب عند هذه التوبة وفيها عداها خلاف واصلاح العمل هو اخلاصه من قبيح ما يشوبه والتبيين هو التعريض للعلم الذي يمكن به صحة التمييز من البين الذي هو القطع

﴿الاعراب﴾

موضع الذين نصب على الاستثناء من الكلام الموجب ومعنى الاستثناء الاختصاص بالشيء دون غيره فاذا قلت جاءني القوم الا زيدا فقد اقتصت زيدا بانه لم يجي . واذا قلت ما جاءني الا زيد فقد اقتصت به بالمجي . واذا قلت ما جاءني زيد الا راكبا فقد اقتصت بهذه الحالة دون غيرها من المشي والعدو وغيرها

﴿المعنى﴾

ثم استثنى الله سبحانه في هذه الآية من تاب واصبح ويؤمن من جملة من استحق اللعنة فقال «الا الذين تابوا» اي ندموا على ما قدموا «واصلحوا» نياتهم فيما يستقبل من الاوقات «وبينوا» اختلف فيه فقال اكثرالمفسرين بينوا ما كتموه من البشارة بالنبي صلى الله عليه وآله وقيل بينوا التوبة واصلاح السريرة بالظهار لذلك فان من ارتكب المعصية سرا كفاه التوبة سرا ومن اظهر المعصية يجب عليه ان يظهر التوبة وقيل بينوا التوبة باخلاص العمل «فاولئك اتوب عليهم» اي اقبل توبتهم والاصل في اتوب افعال التوبة الا انه لما وصل بحرف الاضافة دل على ان معناه اقبل التوبة وانما كان لفظه مشتركا بين فاعل التوبة والقابل لها للتغيب في صفة التوبة اذ وصف بها القابل لها وهو الله عز اسمه وذلك من انعام الله على عباده لئلا يتوهم بما فيها من الدلالة على مفارقة الذنب ان الوصف بها عيب فلذلك جعلت في اعلى صفات المدح «وانا التواب» هذه اللفظة للمبالغة اما لكثرة ما يقبل التوبة واما لانه لا يرد تابيا منيبا اصلا ووصفه سبحانه نفسه بالرحيم عقيب قوله التواب يدل على ان اسقاط العقاب عند التوبة تفضل من الله سبحانه ورحمة من جهته على ما قاله اصحابنا وانه غير واجب عقلا على ما يذهب اليه المعتزلة فان قالوا قد يكون الفعل الواجب نعمة اذا كان منعيا بسببه كالثواب والعوض لما كان منعيا بالتكليف وبالآلام التي تستحق بها الاعراض جازان يطلق عليها اسم النعمة فالجواب ان ذلك انما قلناه في الثواب والعوض ضرورة ولا ضرورة هاهنا تدعو الى ارتكابه

قوله تعالى (١٦١) **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** (١٦٢) **خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ** (آيتان)

﴿اللفظة﴾

واحد الناس انسان في المعنى فاما في اللفظ فلا واحد له فهو ككفر ورهط مما يقال انه اسم للجمع والخلود اللزوم ابدا والبقاء الوجود في وقتين فصاعدا ولذلك لم يجر في صفات الله تعالى خالد وجزا بق ولذلك يقال اخلد الى قوله اي لزم معنى ما أتى به ومنه قوله ولكنه اخلد الى الارض اي مال اليها ميل اللازم لها والفرق بين اخلد والادوام ان الادوام هو الوجود في الأزل وان لا يزال فاذا قيل دام المطر فهو على المبالغة وحقيقته لم يزل من وقت كذا الى وقت كذا واخلود هو اللزوم ابدا والتخفيف هو التقصان من المقدار الذي له والعذاب هو الألم الذي له امتداد والانظار الامهال قدر ما يقع النظر في الخلاص واصل النظر الطلب فالنظر بالعين هو الطلب بالعين وكذلك النظر بالقلب او باليد او بغيرها من الحواس تقول انظر الثوب اين هو اي اطلبه اين هو والفرق بين العذاب والايلام ان الايلام قد يكون بجزء من الألم في الوقت الواحد مقدار ما يتألم به والعذاب الالم الذي له استمرار في اوقات ومنه العذاب لاستمراره في الخلق والعذبة لاستمرارها بالحركة

﴿الاعراب﴾

وهم كفار جملة في موضع الحال واجمعين تأكيد وانما اكد به ليرتفع الايهام والاحتمال قبل ان ينظر في تحقيق الاستدلال ولهذا لم يجر الاخفش رأيت احد الرجلين كليها واجاز رأيتها كليها لأنك اذا ذكرت الحكم مقرونا بالدليل ازلت الايهام للفساد واذا ذكرته وحده فقد يتوهم عليك الغلط في المقصد وانت لما ذكرت التثنية في قولك

احد الرجلين وذكرت احدا كنت بمنزلة من ذكر الحكم والدليل عليه فاما ذكر التثنية في رأيتها فبمنزلة ذكر الحكم وحده وخالدين منصوب على الحال والعامل فيه الظرف من قوله عليهم لأن فيه معنى الاستقرار لللعنة وذو الحال الها والميم من عليهم كقولك عليهم المال صاغرين وقوله فيها الها يعود الى اللعنة في قول الزجاج والى النار في قول ابي العالية لا يخفف عنهم العذاب جملة في موضع الحال ولا هم ينظرون كذلك وهم تأكيد لضمير في فعل مقدر يفسره هذا الظاهر تقديره ولا هم ينظرون هم

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه حال من كتم الحق وحال من تاب منهم عقبه بحال من يموت من غير توبة منهم او من الكفار جميعا فقال «ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار» اي ماتوا مصرين على الكفر وانما قال وماتوا وهم كفار مع ان كل كافر ملعون في حال كفره ليصير الوعيد فيه غير مشروط لأن بالموت يفوت التلافي بالتوبة فلذلك شرط سبحانه وبين ان الكفار لو لم يموتوا على كفرهم لم تكن هذه حالهم وقيل ان هذا الشرط انما هو في خلود اللعنة لهم كقوله خالدين فيها «او تلك عليهم لعنة الله» اي ابعاده من رحمته وعقابه «والملائكة والناس اجمعين» فإن قيل كيف قال والناس اجمعين وفي الناس من لا يلعن الكافر فالجواب من وجوه ﴿ احدها ﴾ ان كل احد من الناس يلعن الكافر اما في الدنيا واما في الآخرة او فيها جميعا كما قال ويوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا عن ابي العالية و (ثانيها) انه اراد به المؤمنين كأنه لم يعتد بغيرهم كما يقال المؤمنون هم الناس عن قتادة والربيع و (ثالثها) انه لا يتمتع احد من لعن الظالمين فيدخل في ذلك الكافر لأنه ظالم عن السدي واللعنة انما تكون من الناس على وجه الدعاء ومن الله على وجه الحكم وقوله خالدين فيها اي دائمين فيها اي في تلك اللعنة عن الزجاج والجبائي وقيل في النار لأنه كالمذكور لشهرته في حال المعذبين ولأن اللعن ابعاد من الرحمة وايجاب للعقاب والعقاب يكون في النار واما الخلود في اللعنة فيحتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ الاستحقاق لللعنة بمعنى انها تحقق عليهم ابدا (والثاني) في عاقبة اللعنة وهي النار التي لا تقنى ابدا وقوله «لا يخفف عنهم العذاب» اي يكون عذابهم على وتيرة واحدة فلا يخفف احيانا ويشدد احيانا «ولا هم ينظرون» اي لا يميلون للاعتذار كما قال سبحانه ولا يؤذن لهم فيعتذرون قطعا لطمعهم في التوبة عن ابي العالية وقيل معناه لا يؤخر العذاب عنهم بل عذابهم حاضر

قوله تعالى (١٦٣) وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الواحد شي لا ينقسم عددا كان او غيره ويجري على وجهين على الحكم وعلى جهة الوصف فالحكم كقولك جزء واحد فانه لا ينقسم من جهة انه جزء والوصف كقولك انسان واحد ودار واحدة فانه لا ينقسم من جهة انه انسان

﴿ الاعراب ﴾

هو من قوله لا إله الا هو في موضع رفع على البدل من موضع لا مع الاسم كقولك لا رجل الا زيد كأنك قلت ليس الا زيد كما تريد من المعنى اذ لم تعتد بغيره ولا يجوز النصب على قولك ما قام احد الا زيدا لأن البدل يدل على ان الاعتماد على الثاني والمعنى ذلك والنصب يدل على ان الاعتماد في الاخبار انما هو على الاول والعبارة الواضحة ان هو بدل من محل آله قبل التركيب وقوله لا إله الا هو هو اثبات لله سبحانه وهو بمنزلة قولك الله الآله وحده وانما كان كذلك لأنه القادر على ما يستحق به العبادة ولا لم يدل على النبي في هذا الخبر من قبل انه لم يدل على إله موجود ولا معدوم سوى الله لكنه نقيض لقول من ادعى الها مع الله وانما النبي اخبار بعدم شي كما ان الاثبات اخبار بوجوده

﴿ النزول ﴾

ابن عباس قال ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا وانسب لنا ربك فانزل الله هذه الآية وسورة الاخلاص

﴿ المعنى ﴾

«وإلهكم» اي خالقكم والمنعم عليكم بالنعم التي لا يقدر عليها غيره والذي تحق له العبادة وقال علي بن عيسى معنى إله هو المستحق للعبادة وهذا غلط لأنه لو كان كذلك لما كان القديم سبحانه ألها فيما لم يزل لأنه لم يفعل في الأزل ما يستحق به العبادة ومعنى قولنا انه تحق له العبادة انه قادر على ما اذا فعله استحق به العبادة وقوله «آله واحد» وصفه سبحانه بأنه واحد على اربعة اوجه ﴿احدها﴾ انه ليس بذئ ابعاض ولا يجوز عليه الانقسام ولا يحتمل التجزئة (والثاني) انه واحد لانظيره ولاشبيهه (والثالث) انه واحد في الإلهية واستحقاق العبادة (والرابع) انه واحد في صفاته التي يستحقها لنفسه فإن معنى وصفنا لله تعالى بأنه قديم انه المختص بهذه الصفة لا يشاركه فيها غيره ووصفنا له بأنه عالم قادر انه المختص بكيفية استحقاق هاتين الصفتين لأن المراد به انه عالم بجميع المعلومات لا يجوز عليه الجهل وقادر على الاجناس كلها لا يجوز عليه العجز ووصفنا له بأنه حي باقي انه لا يجوز عليه الموت والفناء فصار الاختصاص بكيفية الصفات كالاختصاص بنفس الصفات يستحقها سبحانه وحده على وجه لا يشاركه فيه غيره وقوله «لا آله الا هو» هذه كلمة لإثبات الإلهية لله تعالى وحده ومعناه الله هو الآله وحده واختلف في انه هل فيها نبي المثل عن الله سبحانه فقال المحققون ليس فيها نبي المثل عنه لأن النبي انما يصح في موجود او معدوم والله عز اسمه ليس له مثل موجود ولا معدوم وقال بعضهم فيها نبي المثل المقدر عن الله سبحانه وقوله «الرحمن الرحيم» انما قرن الرحمن الرحيم بقوله لا آله الا هو لأنه بين به سبب استحقاق العبادة على عباده وهو ما أنعم عليهم من النعم العظام التي لا يقدر عليها احد غيره فإن الرحمة هي النعمة على المحتاج اليها وقد ذكرنا معنى الرحمن الرحيم فيما مضى

﴿ النظم ﴾

الآية متصلة بما قبلها وبما بعدها فاتصالها بما قبلها كاتصال الحسنه بالسنة ليمحو أثرها ويجذر من مواقعتها لأنه لما ذكر الشرك واحكامه اتبع ذلك بذكر التوحيد واحكامه واتصالها بما بعدها كاتصال الحكم بالدلالة على صحته لأن ما ذكر في الآية التي بعدها هي العجة على صحة التوحيد

قوله تعالى (١٦٤) **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآلْفِكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ تَمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي الريح على التوحيد والباقون على الجمع ولم يختلفوا في توحيد ما ليس فيه الف ولام وقرأ ابو جعفر الريح على الجمع كل القرآن الا في الذاريات وقرأ ابو عمرو ويعقوب وابن عامر وعاصم الرياح الا في عشرة مواضع في البقرة والاعراف والحجر والكهف والفرقان والنمل والروم في موضعين وفاطر والجنانية وقرأ نافع اثني عشر موضعا هذه العشرة وفي ابراهيم وءسق وقرأ ابن كثير في خمسة مواضع البقرة والحجر والكهف واول الروم والجنانية وقرأ الكسائي الرياح في ثلاثة مواضع في الحجر والفرقان واول الروم وواقعه حمزة الا في الحجر

﴿ الحجة ﴾

قال ابن عباس الرياح للرحمة والرياح للعذاب وروي ان النبي صلى الله عليه وآله كان اذا هبت ريح قال اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا ويقوي هذا الخبر قوله سبحانه ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات ويشبه ان يكون النبي صلى الله عليه وآله انما قصد بقوله هذا الموضع ويقول ولا تجعلها ريحا قوله سبحانه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وقد تخصص اللفظة في التنزيل بشي. فيكون اشارة له فن ذلك ان عامة ما جاء في القرآن من قوله وما يدريك مبهم غير مبين وما كان من لفظ ما ادريك مفسر كقوله وما ادريك ما الحاقة وما القارعة وما يدريك لعل الساعة قريب قال ابو علي وتصريف الرياح على الجمع اولى لأن كل واحدة من الرياح مثل الاخرى في دلالتها على التوحيد ومن وحد فإنه اراد الجنس كما قالوا اهلك الناس الدينار والدرهم فاما قوله ولسليمان الريح عاصفة وان كانت الرياح كلها سخرت له فالمراد بها الجنس والكثرة وان كانت قد سخرت له ريح بعينها كان كقولك الرجل وانت تريد الهدوما قوله وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم فهي واحدة يدل ذلك عليه قوله فارسلنا عليهم ريحا صرصرا وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور فهذا يدل على انها واحدة

﴿ اللفظة ﴾

الخلق هو الاحداث للشيء على تقدير من غير احتذاء على مثال ولذلك لا يجوز اطلاقه الا في صفات الله سبحانه لأنه لا احد سوى الله يكون جميع افعاله على ترتيب من غير احتذاء على مثال وقد استعمل الخلق بمعنى المخلوق كما استعمل الرضا بمعنى المرضي وهو بمنزلة المصدر وليس معنى المصدر بمعنى المخلوق واختلاف اهل العلم فيه اذا كان بمعنى المصدر فقال قوم هو الارادة له وقال آخرون انما هو على معنى مقدر كقولك وجود وعدم وحدث وقدم وهذه الاسماء تدل على مسمى مقدر للبيان عن المعاني المختلفة والا فالعني بها هذا الموصوف في الحقيقة والسموات جمع السماء وكل سقف سماء غير انه اذا اطلق لم يفهم منه غير السموات السبع وانما جمعت السموات ووحدت الأرض لأنه لما ذكر السماء بأنها سبع في قوله فسويهن سبع سموات وقوله خلق سبع سموات جمع لثلاث يومهم التوحيد معنى الواحدة من هذه السبع وقوله ومن الأرض مثلهن وان دل على معنى السبع فإنه لم يعجز على جهة الافصاح بالتفصيل في اللفظ وايضا فان الأرض لتشاكلها تشبه الجنس الواحد الذي لا يجوز جمعه الا ان يراد الاختلاف وليس تجري السموات مجرى الجنس المتفق لأنه دبر في كل سماء امرها التدبير الذي هو حقها والاختلاف نقيض الاتفاق واختلاف الليل والنهار اخذ من الخلف لأن كل واحد منهما يخلف صاحبه على وجه المعاقبة وقيل هو من اختلاف الجنس كاختلاف السواد والبياض لأن احدهما لا يسد مسد الآخر في الادراك والمختلفان ما لا يسد احدهما مسد الآخر فيما يرجع الى ذاته والليل هو الظلام المعاقب للنهار واحدته لية فهو مثل تمر وتمر والنهار هو الضياء المتسع واصله الاتساع ومنه قول الشاعر

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ قَتْمَهَا
يَرَى قَاتِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

اي اوسعت وانما جمعت الية ولم يجمع النهار لأن النهار بمنزلة المصدر كقولك الضياء يقع على الكثير والقليل على انه قد جاء جمع النهار نهر على وجه الشذوذ قال الشاعر

لَوْ لَا التَّرِيدَانِ هَلَكْنَا بِالضَّمْرِ
تَرِيدُ لَيْلٍ وَتَرِيدُ بِالنَّهْرِ

والفلك السفن تقع على الواحد والجمع والفلك فلك السماء وكل مستدير فلك قال صاحب العين قيل هو اسم للدوران خاصة وقيل بل اسم لاطباق سبعة فيها النجوم وفلكت الجارية اذا استدار ثديها واصل الباب الدور وما انزل الله من السماء وقال قوم السماء يقع على السحاب لأن كل شيء عايشا فهو سماء له وقال علي بن عيسى قيل ان السحاب بخارات تصعد من الأرض وذلك جاز لا يقطع به ولا مانع من صحته من دليل عقل ولا سميع

والسما السقف قال سبحانه وجعلنا السماء سقفا محفوظا فالسماء المعروفة بسقف الارض واصله من السمو وهو العلو فالسماء الطبقة العالية على الطبقة السافلة والارض الطبقة السافلة ويقال ارض البيت وارض الغرفة فهو سماء لما تحته من الطبقة السافلة وارض لما فوقه الا انه صار ذلك الاسم بمنزلة الصفة الغالبة على السماء المعروفة وهذا الاسم كالمعلم على الارض المعروفة والبحر هو الخرق الواسع للما الذي يزيد على سعة النهر والمنفعة هي اللذة والسرور او ما أدى اليها اولى واحد منها والنفع والخير والحظ نظائر وقد تكون المنفعة بالآلام اذا ادت الى لذات والاحياء فعل الحياة وحياة الارض عمارتها بالنبات وموتها خرابها بالجفاف الذي يمتنع معه النبات والبث التفريق وكل شي يبثته فقد فرقته وسمي الغم بثا لتقسم القلب به والدابة من الدبيب وكل شي خلقه الله بما يدب فهو دابة وصار بالعرف اسما لما يركب والتصريف التقلب وصرف الدهر تقلبه وجمعه ظروف والسحاب مشتق من السحب وهو جرك الشيء على وجه الارض كما تسحب المرأة ذيلها وكل منجر منسحب وسمي سحابا لانجراره في السماء والتسخير والتذليل والتمهيد نظائر يقال سخر الله فلان كذا اذا سهله له وسخرت الرجل اذا كلفته عملا بلا اجرة وهي السخرة وسخر منه اذا استهزأ به والرياح اربع الشمال والجنوب والصبا والديور فالشمال عن يمين القبلة والجنوب عن يسارها والصبا والديور متقابلان فالصبا من قبل المشرق والديور من قبل المغرب وانشد ابو زيد

إِذَا قُلْتُ هَذَا حِينَ أَسْلُو يَهِيحُنِي نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ حَيْثُ يُطَلَعُ الْفَجْرُ

فاذا جاءت الرياح بين الصبا والشمال فهي النكباء والتي بين الجنوب والصبا الجريبا والصبا هي القبول والجنوب يسمى الاذيب ويسمى النعامى والشمال يسمى محرة لا تنصرف ويسمى مسعا ونسعا ويسمى الجنوب لاقحا والشمال حائلا قال ابو داود يصف سحابا

لَقَحْنٌ ضَحِيحًا لِلْقَحِ الْجَنُوبِ قَوْلُهُ لِلْقَحِ الْجَنُوبِ اِي لِاقْحِ الْجَنُوبِ وَقَالَ زُهَيْرٌ
جَرَّتْ مُنْحَا قُفْلَتْ لَهَا مَرَوْعًا نَوَى مَشْمُولَةٌ فَمَتَى الْإِقَاءُ

مشمولة اى مكروهة لأنهم يكرهون الشمال لبردها وذهابها بالقيم فصار كل مكروه عندهم مشمولا

﴿ المعنى ﴾

لما اخبر الله سبحانه الكفار بأن إلههم إله واحد لاثانيه قالوا ما الدلالة على ذلك فقال الله سبحانه «ان في خلق السموات والارض» اى في انشائها مقدرين على سبيل الاختراع «واختلاف الليل والنهار» كل واحد منهما يخلف صاحبه اذا ذهب احدهما جاء الآخر على وجه العاقبة واختلافها في الجنس واللون والطول والقصر «والفلك التي تجري في البحر» اى السفن التي تحمل الاحمال «بما ينفع الناس» خص النفع بالذكر وان كان فيه نفع وضر لأن المراد هنا عد النعم ولأن الضار غيره انما يقصد منفعة نفسه والنفع بها يكون بركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب «وما انزل الله من السماء» اى من نحو السماء عند جميع المفسرين وقيل يريد به السحاب «من ماء» يعنى المطر «فاحيا به الارض بعد موتها» اى فعمر به الارض بعد خرابها لأن الارض اذا وقع عليها المطر انبتت واذا لم يصبها مطر لم تنبت ولم يتم نباتها فكانت من هذا الوجه كالميت وقيل اراد به احياء اهل الارض باحياء الاقوات وغيرها مما تحيا به نفوسهم «وبث فيها من كل دابة» اى فرق في الارض من كل حيوان يدب واراد بذلك خلقها في مواضع متفرقة «وتصريف الرياح» اى تقليبها بأن جعل بعضها صباء وبعضها ديورا وبعضها شمالا وبعضها جنوبا وقيل تصريفها بأن جعل بعضها يأتي بالرحمة وبعضها يأتي بالعذاب عن قتادة وروي ان الريح هاجت على عهد ابن عباس فجعل بعضهم يسب الريح فقال لا تسبوا الريح ولكن قولوا اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا «والسحاب المسخر» اى المذلل «بين السماء والارض» يصرفها كما يشاء من بلد الى بلد ومن موضع الى موضع

«آيات» اي حججا ودلالات «قوم يعقلون» وقيل انه عام في العقلاء من استدل منهم ومن لم يستدل وقيل انه خاص بن استدله لأن من لم ينتفع بتلك الدلالات ولم يستدل بها صار كأنه لا عقل له فيكون مثل قوله انما انت منذر من يخشاها وقوله هدى للمتقين وذكر سبحانه الآيات والدلالات ولم يذكر على ما اذا تدل فحذف لدلالة الكلام عليه وقد بين العلماء تفصيل ما تدل عليه فقالوا أما السموات والارض فيدل تغيير اجزائها واحتمالها الزيادة والنقصان وانها من الحوادث لا ينفكان عن حدوثها ثم ان حدوثها وخلقها يدل على ان لها خالقا لا يشبهها ولا يشبهانه لأنه لا يقدر على خلق الاجسام الا القديم القادر لنفسه الذي ليس بجسم ولا عرض اذ جميع ما هو بصفة الاجسام والاعراض محدث ولا بد له من محدث ليس بمحدث لاستحالة التسلسل ويدل كونها على وجه الاتقان والاحكام والاتساق والانتظام على كون فاعلها عالما حكيما واما اختلاف الليل والنهار وجريها على وتيرة واحدة واخذ احدهما من صاحبه الزيادة والنقصان وتعلق ذلك بجاري الشمس والقمر فيدل على عالم مدبر يدبرهما على هذا الحد لا يسهو ولا يذهل من جهة انها افعال محكمة واقعة على نظام وترتيب لا يدخلها تفاوت ولا اختلال واما الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس فيدل حصول الماء على ما تراه من الرقة واللطافة التي لولاها لما امكن جري السفن عليه وتسخير الرياح لاجرائها في خلاف الوجه الذي يجري الماء اليه على منعم دبر ذلك لمنافع خلقه ليس من جنس البشر ولا من قبيل الاجسام لأن الاجسام يتعذر عليها فعل ذلك واما الماء الذي ينزل من السماء فيدل انشاؤه وانزاله قطرة قطرة لا تلتقي اجزائه ولا تتألف في الجو فينزل مثل السيل فيخرّب البلاد والديار ثم امساكه في الهواء مع ان من طبع الماء الانحدار الى وقت نزوله بقدر الحاجة وفي اوقاتها على ان مدبره قادر على ما يشاء من الامور عالم حكيم خبير واما احياء الارض بعد موتها فيدل بظهور الثمار وانواع النبات وما يحصل به من قوت الخلق وازدق الحيوانات واختلاف طعومها والوانها وروائحها واختلاف مضارها ومنافعها في الاغذية والادوية على كمال قدرته وبدائع حكمته سبحانه من علمه حكيم ما اعظم شأنه واما بث كل دابة فيها فيدل على ان لها صانعا مخالفا لها منعا بانواع النعم خالقا للذوات المختلفة بالهينات المختلفة في التراكيب المتنوعة من اللحم والعظم والاعصاب والعروق وغير ذلك من الاعضاء والاجزاء المتضمنة لبدائع الفطرة وغرائب الحكمة الدالة على عظيم قدرته وجسيم نعمته واما الرياح فيدل تصريفها بتجريكها وتفريقها في الجهات مرة حارة ومرة باردة ونارة لينة واخرى عاصفة وطورا عتيا وطورا لافحة على ان مصرفها قادر على ما لا يقدر عليه سواه اذ لو اجتمع الخلق كلهم على ان يجعلوا الصبا دبرا او الشمال جنوبا لما امكنهم ذلك واما السحاب المسخر فيدل على ان ممسكه هو القدير الذي لا يشبه له ولا نظير له لأنه لا يقدر على تسكين الاجسام بغير علاقة ولا دعامة الا الله سبحانه وتعالى القادر لذاته الذي لانهاية لمقدوراته فهذه هي الآيات الدالة على ان الله سبحانه صانع غير مصنوع قادر لا يعجزه شيء عالم لا يخفى عليه شيء حي لا تلحقه الآفات ولا تغيره الحادثات ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وهو السميع البصير استشهد بحدوث هذه الاشياء على قدمه وازليته وبنا وسماها به من العجز والتسخير على كمال قدرته وبما ضمنها من البدائع على عجائب خلقته وفيها ايضا اوضح دلالة على انه سبحانه المان على عباده بفوائد النعم المنعم عليهم بما لا يقدر غيره على الانعام بشئ من جزيل القسم فيعلم بذلك انه سبحانه الاله الذي لا يستحق العبادة سواه وفي هذه الآية ايضا دلالة على وجوب النظر والاستدلال وان ذلك هو الطريق الى معرفته وفيها البيان لما يجب فيه النظر وابطال التقليد

قوله تعالى (١٦٥) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابن عامر ويعقوب ولو ترى الذين ظلموا بالباء على الخطاب وقرأ الباقون بالياء وكلهم قرأوا اذ يرون العذاب بفتح الياء الا ابن عامر فانه قرأ اذ يرون بالهمز وقرأ ابو جعفر ويعقوب ان القوة لله وان الله بكسر الهمزة فيها والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من قرأ ولو يرى الذين ظلموا بالياء ان لفظ الغيبة اولى من لفظ الخطاب من حيث انه يكون اشبه بما قبله من قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وهو ايضا اشبه بما بعده من قوله كذلك يريد الله اعمالهم حسرات وحجة من قرأ ولو ترى فجعل الخطاب للنبي عليه السلام لكثرة ما جاء في التنزيل من قوله ولو ترى ويكون الخطاب للنبي عليه السلام والمراد به الكفاية واما فتح ان القوة فمن قرأ بالياء فلا يخلو من ان يكون ترى من روية البصر او المتعدية الى مفعولين فان جعلته من روية البصر لم يجوز ان يتعدى الى ان لأنها قد استوفت مفعولها الذي تقتضيه وهو الذين ظلموا ولا يجوز ان تكون المتعدية الى مفعولين لأن المفعول الثاني في هذا الباب هو المفعول الاول في المعنى وقوله ان القوة لله لا يكون الذين ظلموا فاذا يجب ان يكون منتصبا بفعل آخر غير ترى وذلك الفعل هو الذي يقدر جواباً للو كأنه قال ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب لرأوا ان القوة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من قدرته سبحانه ما يتقنوا معه انه قوي عزيز وان الامر ليس على ما كانوا عليه من جحودهم لذلك او شكهم فيه ومذهب من قرأ بالياء ابين لأنهم ينصبون ان بالفعل الظاهر دون المضمحل والجواب في هذا التحويجي محذوف فاذا عمل الجواب في شيء صار بمنزلة الاشياء المذكورة في اللفظ فحمل المفعول عليه يخالف ما عليه سائر هذا النحو من الآي التي حذفت الاجوبة معها لتكون ابلغ في باب التزويد هذا كلام ابى علي الفارسي ونحن نذكر ما قاله غيره في كسر ان القوة وفتحها في الاعراب وحجة من قرأ اذ يرون العذاب قوله ورأوا العذاب وقوله واذا رأى الذين ظلموا العذاب وحجة ابن عامر قوله كذلك يريد الله اعمالهم حسرات لأنك اذا بنيت هذا الفعل للمفعول به قلت يرون اعمالهم حسرات

﴿ اللمعة ﴾

الانداد والاشباه والامثال نظائر واحدها ند وقيل هي الاضداد واصل الند المثل المناوي والحب خلاف البغض والمحبة هي الارادة الا ان فيها حذفاً لا يكون في الارادة فاذا قلت احب زيداً فالعنى اني اريد منافعه او مدحه واذا قلت احب الله زيداً فالعنى انه يريد ثوابه وتعظيمه واذا قلت احب الله فالعنى اريد طاعته واتباع او امره ولا يقال اريد زيداً ولا ان الله يريد المؤمن ولا اني اريد الله فاعتيد الحذف في المحبة ولم يمتد في الارادة وقيل ان المحبة ليست من جنس الارادة بل هي من جنس ميل الطبع كما تقول احب ولدي اي يميل طبعي اليه وهذا من المجاز بدلالة انهم يقولون احببت ان افعل بمعنى اردت ان افعل ويقال احبه احباباً ووجه حباً ومحبة واحب البعير احباباً اذا برك فلا يشور وهو كالحران في الخيل قال ابو عبيدة ومنه قوله احببت حب الخير عن ذكر ربي اي لصقت بالأرض حب الخيل حتى فانتني الصلاة ويرى قال ابو علي الفارسي هو من روية العين يدل على ذلك تعديده الى مفعول واحد تقديره ولو يرون ان القوة لله اي لو يرى الكفار ذلك ويدل عليه قوله اذ يرون العذاب والشدة قوة العقْد وهو ضد الرخاوة والقوة والقدرة واحدة

﴿ الاعراب ﴾

يجوز فتح ان من ثلاثة اوجه وكسرها من ثلاثة اوجه مع القراءة بالياء فاما الفتح (فالاول) ان يفتح بايقاع الفعل عليها بمعنى المصدر وتقديره ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب قوة الله وشدة عذابه (والثاني) ان يفتح

على حذف اللام كقولك لأن القوة لله (والثالث) على تقدير لرأوا ان القوة لله وان الله شديد العذاب على الاتصال بما حذف من الجواب واما الوجه الأول في الكسر فعلى الاستئناف والثاني على الحكاية مما حذف من الجواب كأنه قيل لقالوا ان القوة لله والثالث على الاتصال بما حذف من الحال كأنه قيل يقولون ان القوة لله فأممع القراءة بالتاء فيجوز ايضا كسر ان من ثلاثة اوجه وفتحها من ثلاثة اوجه فاما الفتح ﴿فاولها﴾ ان يكون على البدل كقولك ولو ترى الذين ظلموا ان القوة لله عليهم عن الفراء وقال ابو علي وهذا لا يجوز لأن قوله ان القوة ليس الذين ظلموا ولا بعضهم ولا مشتقاً عليهم (والثاني) ان يفتح على حذف اللام كقولك لأن القوة (والثالث) لرأيت ان القوة لله واما الكسر مع التاء فكالكسر مع الياء قال الفراء والاختيار مع الياء الفتح ومع التاء الكسر لأن الروية قد وقعت على الذين وجواب لو محذوف كأنه قيل لرأوا مضرة اتخاذهم الانداد ولرأوا امراً عظيماً لا يحصر بالأوهام وحذف الجواب يدل على المبالغة كقولك لو رأيت السياط تأخذ فلانا لأن المحذوف يحتمل كل امر ومن قرأ ولو يرى بالياء فالذين ظلموا في موضع رفع بأنهم الفاعلون ومن قرأ بالتاء فالذين ظلموا في موضع نصب وقوله جميعاً نصب على الحال كأنه قيل ان القوة ثابتة لله في حال اجتماعها وهو صفة مبالغة بمعنى اذا رأوا مقدورات الله فيما تقدم الوعيد به علموا ان الله سبحانه قادر لا يعجزه شيء وقوله يحبونهم في موضع نصب على الحال من الضمير في يتخذ وان كان الضمير في يتخذ على التوحيد لأنه يعود الى من ويجوز ان يعود اليه الضمير على اللفظ مرة وعلى المعنى اخرى ويجوز ان يكون يحبونهم صفة لقوله اندادا قال ابو علي لو قلت كيف جاء اذ في قوله اذ يرون العذاب وهذا امر مستقبل فالقول انه جاء على لفظ الماضي لارادة التقريب في ذلك كما جاء وما امر الساعة الاكلمح البصر او هو اقرب وان الساعة قريب وعلى هذا قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ومن هذا الضرب ما جاء في التنزيل من قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت ولو ترى اذ وقفوا على النار ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم

﴿ المعنى ﴾

«ومن الناس» من للتبعض هاهنا اي بعض الناس «من يتخذ من دون الله اندادا» يعني آلهتهم من الاوثان التي كانوا يعبدونها عن قتادة ومجاهد واكثر المفسرين وقيل رؤسوا وهم الذين يعطونهم طاعة الارباب من الرجال عن السدي وعلى هذا المعنى ما روى جابر عن ابي جعفر عليه السلام انه قال هم أئمة الظلمة واشياعهم وقوله «يحبونهم كحب الله» على هذا القول الاخير ادل لأنه يبعد ان يعجبوا الاوثان كحب الله مع علمهم بأنها لا تنفع ولا تضر ويدل ايضا عليه قوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يحبون عبادتهم والتقرب اليهم او الانقياد لهم او جميع ذلك كحب الله فيه ثلاثة اقوال ﴿احدها﴾ كحبكم الله اي كحب المؤمن الله عن ابن عباس والحسن (والثاني) كحبهم الله يعني الذين اتخذوا الانداد فيكون المعنى به من يعرف الله من المشركين ويعبد معه الاوثان ويسوي بينهما في المحبة عن ابي علي وابي مسلم (والثالث) كحب الله اي كالحب الواجب عليهم اللازم لهم لا الواقع «والذين آمنوا اشد حبا لله» يعني حب المؤمن فوق حب هؤلاء وحبههم اشد من وجوه ﴿احدها﴾ اخلاصهم العبادة والتعظيم له والشناء عليه من الاشراك (وثانيها) انهم يحبونه عن علم بأنه المنعم ابتداءً وانه يفعل بهم في جميع احوالهم ما هو الاصلح لهم في التدبير وقد انعم عليهم بالكثير فيعبودونه عبادة الشاكرين ويرجون رحمته على يقين فلا بد ان يكون حبههم له اشد (وثالثها) انهم يعلمون ان له الصفات العلى والاسماء الحسنى وانه الحكيم الخبير الذي لا مثل له ولا نظير يملك النفع والضر والثواب والعقاب واليه المرجع والمآب فهم اشد حبا لله بذلك ممن عبد الاوثان واختلف في معنى قوله اشد حبا فقيل اثبت وادوم لأن الشرك يتقل من صنم الى صنم عن ابن عباس وقيل لأن المؤمن يعبده بلا واسطة والمشرك يعبده بواسطة عن الحسن وقوله «ولو يرى الذين ظلموا» تقديره ولو يرى الظالمون اي يبصرون وقيل لو يعلم هؤلاء الظالمون «حين يرون العذاب» والصحيح الأول

كما تقدم بيانه هذا على قراءة من قرأ بالياء ومن قرأ بالياء فمعناه ولو ترى يا محمد عن الحسن والخطاب له والمراد غيره وقيل معناه لو ترى ايها السامع او ايها الانسان الظالمين اذ يرون العذاب وقوله «ان القوة لله» فيه حذف اي لرأيت ان القوة لله «جميعا» فعلى هذا يكون متصلا بجواب لو ومن قرأ بالياء فمعناه ولو يرى الظالمون ان القوة لله جميعا لرأوا مضرة فعلهم وسوء عاقبتهم ومعنى قوله ان القوة لله جميعا ان الله سبحانه قادر على اخذهم وعقوبتهم وفي هذا وعيد واسارة الى ان هولاء الجبابرة مع تعززهم اذا حشروا ذلوا وتحاذلوا وقد بينا الوجه في فتح ان وكسرهما فالعنى تابع لها ودائر عليها وجواب لو محذوف على جميع الوجوه «وان الله شديد العذاب» وصف العذاب بالشدة توسعا ومبالغة في الوصف فإن الشدة من صفات الاجسام

﴿النظم﴾

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان الله سبحانه اخبر ان مع وضوح هذه الآيات والدلالات التي سبق ذكرها اقام قوم على الباطل وانكار الحق فكأنه قال أبعد هذا البيان وظهور البرهان يتخذون من دون الله اندادا قوله تعالى (١٦٦) اِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا اَوْرَاقًا لَعَذَابٍ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ السَّبَابُ (١٦٧) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ اَنْ لَنَا كُرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللهُ اَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (آيتان)

﴿اللغة﴾

التبرؤ في اللغة والتفصي والتزليل^(١) نظائر واصل التبرؤ التولي والتباعد للعداوة واذ قيل تبرأ الله من المشركين فكأنه باعدهم من رحمته للعداوة التي استحقوها بالمعصية واصله من الانفصال ومنه برأ من مرضه وبرى يبرأ برأ وبراء وبرى من الدين براءة والاتباع طلب الاتفاق في مقال او فعال او مكان فاذا قيل اتبعه ليلحقه فالمراد ليتفق معه في المكان والتقطع التباعد بعد اتصال والسبب الوصلة الى المتعذر بما يصلح من الطلب والاسباب الوصلات واحدها سبب ومنه يسمى الجبل سببا لأنك تتوصل به الى ما انقطع عنك من ماء بدر وغيره ومضت سبة من الدهر اي ملاوة والكرة الرجعة قال الاخطل

وَلَقَدْ عَطَفَنَ عَلَى فَرَازَةَ عَطْفَةً كَرَّ الْمُنِيحِ وَجَلَنَ ثُمَّ بَجَالًا

والكر نقيض الفر قال صاحب العين الكر الرجوع عن الشيء والكر الجبل الغليظ وقيل الشديد القتل والحسرات جمع الحسرة وهي اشد الندامة والفرق بينها وبين الارادة ان الحسرة تتعلق بالماضي خاصة والارادة تتعلق بالمستقبل لأن الحسرة انما هي على ما فات بوقوعه او ينقضي وقته والحسرة والندامة من النظائر يقال حسرت محسرا وحسرة اذا كمد على الشيء الفائت وتلطف عليه واصل الحسرة الكشف يقول حسرت العمامة عن راسي اذا كشفتها وحسرت عن ذراعيه حسرا والحاسر الذي لا درع عليه ولا مغفر

﴿الأعراب﴾

العامل في اذ قوله شديد العذاب اي وقت التبرؤ وانتصب فتبرأ على انه جواب التمني بالفاء كأنه قال ليت لنا كرورا فتبرؤا وكلمة عطف الفعل على ما تأويله تأويل المصدر نصب باضار ان ولا يجوز اظهارها فيما لم يفتح بلفظ المصدر فيه لأنه لا حمل الأول على التأويل حمل الثاني على التأويل ايضا ويجوز فيه الرفع على الاستئناف اي فنحن نتبرأ منهم على كل حال واما قوله لو ان لنا كرة فني موضع الرفع لفعل محذوف تقديره لو صح ان لنا كرة لأن لو في التمني وفي غيره تطلب الفعل وان شئت قلت تقديره لو ثبت ان لنا كرة واقول ان جواب لو هنا ايضا في

(١) كذا في النسخ التي بين ايدينا ولم تظهر لنا المناسبة اللغوية

التقدير محذوف ولذلك افاد لو في الكلام معنى التمني فيكون تقديره لو ثبت ان لناكرة فتبروا منهم لتشفينا بذلك وجازيناهم صاعا بصاع وهذا شي. أخرجه لي الاعتبار ولم أره في الاصول وهو الصحيح الذي لا غبار عليه وبالله التوفيق واما العامل في الكاف من كذلك فقوله يريهم الله اي يريهم الله اعمالهم حسرات كذلك اي مثل تبروا بعضهم من بعض وذلك لانقطاع الرجاء من كل واحد منها وقيل تقديره يريهم اعمالهم حسرات كما أراهم العذاب وذلك لأنهم ايقنوا بالهلاك في كل واحد منها

﴿ المعنى ﴾

لا ذكر الذين اتخذوا الانداد ذكر سوء حالهم في المعاد فقال سبحانه «اذ تبرأ الذين اتبعوا» وهم القادة والروساء من مشركي الانس عن قتادة والربيع وعطاء وقيل هم الشياطين الذين اتبعوا بالوسوسة من الجن عن السدي وقيل هم شياطين الجن والانس والظاهر هو الاول «من الذين اتبعوا» اي من اتباع السفلى «ورأوا» اي رأى التابعون والمتبعون «العذاب» اي عينوه حين دخلوا النار «وتقطعت بهم الاسباب» فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ الوصلات التي كانوا يتواصلون عليها عن مجاهد وقاتدة والربيع (والثاني) الارحام التي كانوا يتعاطفون بها عن ابن عباس (والثالث) العهد التي كانت بينهم يتوادون عليها عن ابن عباس ايضا (والرابع) تقطعت بهم اسباب اعمالهم التي كانوا يواصلونها عن ابن زيد والسدي (والخامس) تقطعت بهم اسباب النجاة عن ابي علي وظاهر الآية يحتمل الكل فينبغي ان يحمل على عمومه فكأنه قيل قد زال عنهم كل سبب يمكن ان يتعلق به فلا يتفنون بالاسباب على اختلافها من منزلة او قرابة او مودة او حلف او عهد على ما كانوا يتفنون بها في الدنيا وذلك نهاية في الايس «وقال الذين اتبعوا» يعني الاتباع «لو ان لناكرة» اي عودة الى دار الدنيا وحال التكليف «فتبرأ منهم» اي من القادة في الدنيا «كما تبرءوا منا» في الآخرة «كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم» فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان المراد المعاصي يتحسرون عليها لم عملوها عن الربيع وابن زيد وهو اختيار الجبائي والبلخي (والثاني) المراد الطاعات يتحسرون عليها لم لم يعملوها وضيعوها عن السدي (والثالث) ما رواه اصحابنا عن ابي جعفر عليه السلام انه قال هو الرجل يكتسب المال ولا يعمل فيه خيرا فيرثه من يعمل فيه عملا صالحا فيرى الاول ما كسبه حسرة في ميزان غيره (والرابع) ان الله سبحانه يريهم مقادير الثواب التي عرضهم لها لو فعلوا الطاعات فيتحسرون عليه لم فرطوا فيه والآية محتملة لجميع هذه الوجوه فالاولى الحمل على العموم «وما هم بخارجين من النار» اي يخلدون فيها بين سبحانه في الآية انهم يتحسرون في وقت لا ينفعهم فيه الحسرة وذلك ترغيب في التحسر في وقت تنفع فيه الحسرة واكثر المفسرين على ان الآية واردة في الكفار كابن عباس وغيره وفي هذه الآية دلالة على انهم كانوا قادرين على الطاعة والمعصية لأنه ليس في المعقول ان يتحسر الانسان على ترك ما كان لا يمكنه الانفكاك عنه او على فعل ما كان لا يمكنه الاتيان به الا ترى انه لا يتحسر الانسان على انه لم يصعد السماء لم يكن قادرا على الصعود الى السماء

قوله تعالى (١٦٨) يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابو عمرو وحزمة وابو بكر الابرهمي خطوات بسكون الطاء حيث وقع والباقون بضمها وروي في الشواذ عن علي عليه السلام خطوات بضمين وهزمة وعن ابي السائب خطوات بفتح الخاء والطاء.

﴿ الحجة ﴾

ما كان على فعة من الاسماء فالأصل في جمعه التثنية نحو غرفة وغرفات وحجرة وحجرات لأن التحريك فاصل

بين الاسم والصفة ومن اسكنه قال خطوات فانه نوى الضمة واسكن الكلمة عنها طلبا للصفة ومن ضم الحاء والطاء مع الهمزة فكأنه ذهب بها مذهب الخطيئة فجعل ذلك على مثال فعلة من الخطأ هذا قول الاخفش وقال ابو حاتم ارادوا اشباع الفتحة في الراو فانقلبت همزة ومن فتح الحاء والطاء فهو جمع خطوة فيكون مثل تمره وتمرات

اللغة

الاكل هو البلع عن مضغ وبلع الذهب والولولوه وما اشبهه ليس بأكل في الحقيقة وقد قيل الطعام تأكل الجمر فاجروه مجرى اكل الطعام والحلال هو الجائز من افعال العباد ونظيره المباح واصله الحل نقيض العقد وانما سمي المباح حلالا لان الحلال عقد الخطر عنه ولا يسمى كل حسن حلالا لأن افعاله تعالى حسنة ولا يقال انها حلال اذ الحلال اطلاق في الفعل لمن يجوز عليه المنع يقال حل يحل حلالا وحل يحل حلولا وحل العقد يحله حلالا وحل من احرامه وحل فهو محل وحلال وحلت عليه العقوبة وجبت والطيب هو الخالص من شائب ينقض وهو على ثلاثة اقسام الطيب المستلذ والطيب الجائز والطيب الطاهر والاصل هو المستلذ الا انه وصف به الطاهر والجائز تشبيها اذ ما يزرع عنه العقل او الشرع كالذي تكرهه النفس في الصرف عنه وما تدعو اليه بخلاف ذلك والطيب الحلال والطيب النظيف واصل الباب الطيب خلاف الجيث والخطوة بعد ما بين قدمي الماشي والخطوة المرة من الخطو يقال خطوت خطوة واحدة وجمع الخطوة خطى واصل الخطو نقل القدم وخطوات الشيطان آثاره والعدو المباعد عن الخير الى الشر والولي نقيضه

الاعراب

حلالا صفة مصدر محذوف اي كلوا شيئا حلالا ومن في قوله مما في الارض يتعلق بكلاهما او بمحذوف يكون معه في محل نصب على الحال والعامل فيه كلوا وذو الحال قوله حلالا وقوله طيبا صفة بعد صفة

النزول

عن ابن عباس انها نزلت في ثقيف وخزاعة وبني عامر بن صعصعة وبني مدليح لما حرموا على انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة فنهاهم الله عن ذلك

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر التوحيد واهله والشرك واهله اتبع ذلك بذكر ما يتابع منه سبحانه على الفريقين من النعم والاحسان ثم نهاهم عن اتباع الشيطان لما في ذلك من الجور لنعمه والكفران فقال «يا ايها الناس» وهذا الخطاب عام لجميع المكلفين من بني آدم «كلوا» لفظ الامر ومعناه الاباحة «مما في الارض حلالا طيبا» لما اباح الاكل بين ما يجب ان يكون عليه من الصفة لأن في المأكول ما يجرم وفيه ما يحل فالحرام يعقب الملكة والحلال يقوي على العبادة وانما يكون حلالا بان لا يكون مما تناوله الحظر ولا يكون لغير الاكل فيه حق وهو يتناول جميع المعللات واما الطيب فقيل هو الحلال ايضا فجمع بينهما لاختلاف اللفظين تأكيدا وقيل معناه ما يستطيعونه ويستلذونه في العاجل والآجل «ولا تتبعوا خطوات الشيطان» اختلف في معناه فقيل اعماله عن ابن عباس وقيل خطاياه عن مجاهد وقتادة وقيل طاعتكم اياه عن السدي وقيل آثاره عن الخليل وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليها السلام ان من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق والتذور في المعاصي وكل يمين بغير الله تعالى وقال القاضي يريد وساوس الشيطان وخواتمه وقال الماوردي هو ما يتلقاهم به من معصيته الى معصيته حتى يستوعبوا جميع المعاصي مأخوذ من خطو القدم في نقلها من مكان الى مكان حتى يبلغ مقصده «انه لكم عدو مبين» اي مظهر للعداوة بما يدعوك اليه من خلاف الطاعة لله تعالى واختلف الناس في المأكل والمنافع التي لا ضرر على احد فيها فمنهم من ذهب الى انها على الحظر ومنهم من ذهب الى انها على الاباحة واختاره المرتضى قدس الله روحه ومنهم

من وقف بين الامرين وجوز كل واحد منهما وهذه الآية دالة على اباحة المأكل الا ما دل الدليل على حظره
خفات موءكدة لما في العقل

قوله تعالى (١٦٩) **إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

الامر من الشيطان هو دعاؤه الى الفعل فأما الأمر في اللغة فهو قول القائل لمن دونه افعل اذا كان الأمر مریدا للأمر به وقيل هو الدعاء الى الفعل بصيغة افعل والسوء كل فعل قبيح يزجر عنه العقل والشرع ويسمى ايضا ماتنفر عنه النفس سوء تقول ساءني كذا يسوءني سوء اوقيل انما سمي القبيح سوءا لسوء عاقبته لأنه قد يلتذبه في العاجل والفحشاء والفاحشة والقبيحة والسيئة نظائر وهي مصدر نحو السراء والضراء يقال فحش فحشا وخشأ وخشأ وكل من تجاوز قدره فهو فاحش وافحش الرجل اذا اتى بالفحشاء وكل مالا يوافق الحق فهو فاحشة وقوله الا أن يأتيين بفاحشة مبينة معناه خروجها من بيتها بغير اذن زوجها المطلق لها والقول كلام له عبارة تنبي عن الحكاية وذلك ككلام زيد يمكن ان يأتي عمرو بعبارة عنه ينبي عن الحكاية له فيقول قال زيد كذا وكذا فيكون قوله قال زيد يؤذن بأنه يحكي بعده كلام وليس كذلك اذا قال تكلم زيد لأنه لا يؤذن بالحكاية والعلم ما اقتضى سكون النفس وقيل هو تبين الشيء على ما هو به للمدرك له

﴿ المعنى ﴾

لما قدم سبحانه ذكر الشيطان عقبه ببيان ما يدعو اليه من مخالفة الدين فقال « انما يأمركم بالسوء » اي المعاصي عن السدي وقتادة وقيل بما يسوء فاعله اي يضره وهو في المعنى مثل الاول « والفحشاء » قيل المراد به الزنا وقيل السوء مالا حد فيه والفحشاء ما فيه حد عن ابن عباس « وان تقولوا على الله ما لا تعلمون » قيل هو دعواهم له الانداد والاولاد ونسبتهم اليه الفواحش عن ابي مسلم وقيل اراد به جميع المذاهب الفاسدة والاعتقادات الباطلة وما يسأل على هذا ان يقال كيف يأمرنا الشيطان ونحن لا نشاهده ولا نسمع كلامه فالجواب ان معنى امره هو دعاؤه اليه كما تقول نفسي تأمرني بكذا اي تدعوني اليه وقيل انه يأمر بالمعاصي حقيقة وقد يعرف ذلك الانسان من نفسه فيجد ثقل بعض الطاعات عليه وميل نفسه الى بعض المعاصي والوسوسة هي الصوت الخفي ومنه وسواس الحلى فيلتي اليه الشيطان اشياء بصوت خفي في اذنه ومتى قيل كيف يميز الانسان بين ما يلتي اليه الشيطان وما تدعو اليه النفس فالقول انه لا ضير عليه اذا لم يميز بينهما فانه اذا ثبت عنده ان الشيطان قد يأمره بالمعاصي جوز في كل ما كان من هذا الجنس ان يكون من قبل الشيطان الذي ثبت له عداوته فيكون ارجب في فعل الطاعة مع ثقلها عليه وفي ترك المعاصي مع ميل النفس اليها مخالفة للشيطان الذي هو عدوه

قوله تعالى (١٧٠) **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَدَّبَعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

الفينا اي صادفنا ووجدنا والاب والوالد واحد والاهتداء الاصابة لطريق الحق بالعلم

﴿ الاعراب ﴾

أولو هنا واو العطف دخلت عليها همزة الاستفهام والمراد به التوبيخ والتقريع ومثل هذه الواو اتم اذا ما وقع اتمتم به أفلم يسيروا وانما جعلت همزة الاستفهام للتوبيخ لأنه يقتضي ما الاقرار به فضيحة عليه كما يقتضي الاستفهام الاخبار بما يحتاج اليه وانما دخلت الواو في مثل هذا الكلام لأنك اذا قلت اتبعه ولو ضرك فمعناه اتبعه على كل

حال وليس كذلك اتبعه لو ضرك لأن هذا خاص وذلك عام فدخلت الواو لهذا المعنى

﴿ النزول ﴾

ابن عباس قال دعا النبي عليه السلام اليهود الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا اعلم منا فزت هذه الآية وفي رواية الضحاك عنه انها نزلت في كفار قريش

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الكفار بين سبحانه حالهم في التقليد وترك الاجابة الى الاقرار بصدق النبي صلى الله عليه وآله فيما جاء به من الكتاب المجيد فقال «واذا قيل لهم» اختلف في الضمير فقيل يعود الى من من قوله من يتخذ من دون الله اندادا وهم مشركو العرب وقيل يعود الى الناس من قوله يا ايها الناس فعدل عن المخاطبة الى الغيبة كما قال حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقيل يعود الى الكفار اذ جرى ذكرهم ويصلح ايضا ان يعود اليهم وان لم يجر ذكرهم لأن الضمير يعود الى المعلوم كما يعود الى المذكور والقائل لهم هو النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون «اتبعوا ما انزل الله» اي من القرآن وشرائع الاسلام وقيل في التحريم والتحليل قالوا اي الكفار «بل نتبع ما آلفينا» اي وجدنا «عليه آباءنا» من عبادة الاصنام اذا كان الخطاب للمشركين او في التمسك باليهودية اذا كان الخطاب لليهود «اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا» اي لا يعلمون شيئا من امور الدين «ولا يهتدون» اي لا يصيبون طريق الحق ومعناه لو ظهر لكم انهم لا يعلمون شيئا مما لهم معرفته اكنتم تتبعونهم ام كنتم تنصرفون عن اتباعهم فاذا صح انه يجب الانصراف عن اتباعهم فقد تبين ان الواجب اتباع الدليل دون اتباع هو لا.

قوله تعالى (١٧١) وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عَمِيَ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

المثل قول ساثر يدل على ان سبيل الثاني سبيل الاول نعق الراعي بالنعق نعيقا اذا صاح بهاز جرقا قال الاخطل

فَانْعِقْ بِضَائِكَ يَا جَرِيرٌ فَإِنَّمَا مَتَّكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالًا

ونعق الغراب نعاقا ونعيقا اذا صوت من غير ان يد عنقه ويحركها ونفق بالعين بمعناه فإذا مد عنقه وحركها ثم صاح قيل نعق والنعاقان كوكبان من كواكب الجوزاء ورجلها اليسرى ومنكبها اليمين وهو الذي يسمى الهنعة وهما اضواء كواكب الجوزاء والدعاء طلب الفعل من المدعو ونظيره الأمر والفرق بينهما يظهر بالرتبة والنداء مصدر نادى متناداة ونداء والدعاء والسؤال بمعناه والندى له وجوه في المعنى يقال ندى الماء وندى الخير والشر وندى الصوت وندى الحضر فالندى هو البلل وندى الخير هو المعروف يقال اندى فلان علينا ندى كثيرا وندى ندية بالمعروف وندى الصوت بعد مذهبه وندى الحضر صحة جريه واشتق النداء من ندى الصوت ناداه اي دعاه بأرفع صوته

﴿ المعنى ﴾

ثم ضرب الله مثلا للكفار في تركهم اجابة من يدعوهم الى التوحيد اوركونهم الى التقليد فقال «ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق» اي يصوت «بما لا يسمع» من البهائم «الا دعاء ونداء» واختلف في تقدير الكلام وتأويله على وجوه ﴿اولها﴾ ان المعنى مثل الذين كفروا في دعائك ايهم اي مثل الداعي لهم الى الايمان كمثل الناعق في دعائه المنعوق به من البهائم التي لا تفهم وانما تسمع الصوت فكما ان الانعام لا يحصل لها من دعاء الراعي الا السماع دون تفهم المعنى فكذلك الكفار لا يحصل لهم من دعائك ايهم الى الايمان الا السماع دون تفهم المعنى لأنهم يعرضون عن قبول قولك وينصرفون عن تأمله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه وهذا كما تقول العرب

فلان يخافك كخوف الأسد والمعنى كخوفه من الأسد فاضاف الخوف الى الأسد وهو في المعنى مضاف الى الرجل قال الشاعر
فَلَسْتُ مُسَلِّمًا مَا دُمْتُ حَيًّا عَلَى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الْأَمِيرِ
اراد بتسليمي على الأمير وهذا معنى قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وهو اختيار الجبائي والرماني والطبري (وثانيها) ان يكون المعنى مثل الذين كفروا ومثلنا او مثل الذين كفروا ومثلك يا محمد كمثل الذي ينطق بما لا يسمع الا دعاء ونداء اي كمثل الانعام المنعوق بها والتائق الراعي الذي يكلمها وهي لا تعقل فحذف المثل الثاني اكتفاء بالاول ومثله قوله سبحانه وجعل لكم سراويل تقيكم الحر والبرد وقال ابو ذؤيب

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنِّي لَا مَرَهَا مُطِيعٌ قَمًا أَدْرِي أَرُشِدُ طَلَابُهَا

اراد رشد ام غي فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الامر وهو قول الاخفش والزجاج وهذا لأن في الآية تشبيه شينين بشينين تشبيه الداعي الى الايمان بالراعي وتشبيه المدعويين من الكفار بالانعام فحذف ما حذف للايجاز وابقى في الاول ذكر المدعو وفي الثاني ذكر الداعي وفيما ابقى دليل على مالتى (وثالثها) ان المعنى مثل الذين كفروا وفي دعائهم الأصنام كمثل الراعي في دعائه الانعام بتعال وما جرى مجراه من الكلام فكما ان من دعا البهائم يعد جاهلا فداعي الحجارة اشد جهلا منه لأن البهائم تسمع الدعاء وان لم تفهم معناه والاصنام لا يحصل لها السماع ايضا عن ابي القاسم البلخي وغيره (ورابعها) ان مثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام وهي لا تعقل ولا تفهم كمثل الذي ينطق دعاء ونداء بما لا يسمع صوته جملة ويكون المثل مصروفا الى غير الغنم وما اشبهها مما يسمع وان لم يفهم وعلى هذا الوجه ينتصب دعاء ونداء وينتق والاملاء لتوكيد الكلام كما في قول الفرزدق

هُمُ الْقَوْمُ إِلَّا حَيْثُ سَلُّوا سَيُوفَهُمْ وَضَحُّوا بِأَنحَمٍ مِنْ مُجَلٍّ وَمُخْرَمٍ

والعنى هم القوم حيث سلوا سيوفهم (وخامسها) ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا كمثل الغنم الذي لا يفهم دعاء التائق فاضاف سبحانه المثل الثاني الى التائق وهو في المعنى مضاف الى المنعوق به على مذهب للعرب في القلب نحو قولهم طلعت الشعري وانتصب العود على الحرباء والمعنى انتصب الحرباء على العود وانشد الفراء

إِنْ سَرَّاجًا لَكَرِيمٍ مَفْتَحُهُ تُجَلِّي بِهِ الْعَيْنُ إِذَا مَا تَجَرُّهُ

اي تجلي بالعين وانشد ايضا

كَانَتْ فَرِيضَةُ مَا تَقُولُ كَمَا كَانَ الزَّيْنَاءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ

والعنى كما كان الرجم فريضة الزنا وانشد

وَقَدْ خَفْتُ حَتَّى مَا تَرِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعَلٍ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ

اي ما تريد مخافة وعل على مخافتي وقال العباس بن مرداس

فَدَيْتُ نَفْسِي نَفْسِي وَمَالِي وَمَا آلُوكَ إِلَّا مَا أُطِيقُ

اراد بنفسي نفسه ثم وصفهم سبحانه بما يجري مجرى التهجين والتوبيخ فقال «صم بكم عمي» اي صم عن استماع الحجية بكم عن التكلم بها عمي عن الابصار لها وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي وقد مر بيانه في اول السورة ايسر من هذا «فهم لا يعقلون» اي هم بمنزلة من لا عقل له اذ لم ينتفعوا بعقولهم

قوله تعالى (١٧٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا
لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (آية)

﴿ اللفة ﴾

الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ويكون على وجهين ﴿احدهما﴾ الاعتراف بالنعمة متى ذكرها المتعم عليه بالاعتقاد لها (والثاني) الطاعة بحسب جلالة النعمة فالاول لازم في كل حال من احوال الذكرو الثاني انه يلزم في الحال التي يحتاج فيها الى القيام بالحق واما العبادة فهي ضرب من الشكر الا انها غاية فيه ليس وراها شكرو ويقترب به ضرب من الخضوع ولا يستحق العبادة غير الله سبحانه لانها انما تستحق باصول النعم التي هي الحياة والقدرة والشهرة وانواع المنافع ويقدر من النفع لا يوازيه نعمة منعم فلذلك اختص الله سبحانه باستحقاقها

﴿ الاعراب ﴾

مارزقناكم موصول وصلة والمائد من الموصول الى الصلة محذوف وتقديره مارزقناكموه وجواب الشرط محذوف تقديره ان كنتم اياه تعبدون فكلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه المؤمنين وذكر نعمه الظاهرة عليهم واحسانه المين اليهم فقال «يا ايها الذين آمنوا كلوا» ظاهره الامر والمراد به الاباحة لأن تناول المشهي لا يدخل في التعبد وقيل أنه امر من وجهين ﴿احدهما﴾ بأكل الحلال (والآخر) بالاكل وقت الحاجة دفعا للضرر عن النفس قال القاضي وهذا مما يعرض في بعض الاوقات والآية غير مقصورة عليه فيحمل على الاباحة «من طيبات ما رزقناكم» اي مما تستلذونه وتستطيبونه من الرزق وفيه دلالة على النهي عن اكل الخبيث في قول البلخي وغيره كأنه قيل كلوا من الطيب غير الخبيث كما انه لو قال كلوا من الحلال لكان ذلك دالا على حظر الحرام وهذا صحيح فيما له ضد قبيح مفهوم فاما غير ذلك فلا يدل على قبح ضده لأن قول القائل كل من مال زيد لا يدل على انه اراد تحريم ما عداه لأنه قد يكون الغرض اليان لهذا خاصة وماء عداه موقوف على بيان آخر وليس كذلك ما ضده قبيح لأنه قد يكون من البيان تقبيح ضده «واشكروا لله» لما نبه سبحانه على انعامه علينا بما جعله لنا من لذيذ الرزق امرنا بالشكر لأن الانعام يقتضي الشكر وقوله «ان كنتم اياه تعبدون» اي ان كنتم تعبدونه عن علم بكونه منعا عليكم وقيل ان كنتم مخلصين له في العبادة وذكر الشرط هنا انما هو على وجه المظاهرة في الحجاج ولما فيه من حسن البيان وتلخيص الكلام ان كانت العبادة لله سبحانه واجبة عليكم بأنه أممكم فالشكر له واجب عليكم بانه منعم بحسن اليكم

قوله تعالى (١٧٣) **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ بِغَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر الميتة مشددة كل القرآن وقرأ أهل الحجاز والشام والكسائي فن اضطر غير باغ بضم النون وابو جعفر منهم بكسر الطاء من اضطر والباقون بكسر النون

﴿ الحجة ﴾

الميتة اصلها الميتة حذفت الياء الثانية استخفافا لثقل الياءين والكسرة والاجود في القراءة الميتة بالتخفيف وقوله فن اضطر بالضم فهو الاتباع كما ضمت همزة الوصل في انصروا واما الكسرة فعلى اصل الحركة لالتقاء الساكنين وأما قراءة ابي جعفر فن اضطر فلأن الاصل اضطرر فسكنت الراء الاولى للادغام ونقلت حركتها الى الحرف الذي قبلها فصار اضطر والاصل ان لا تنقل حركة الراء عند اسكانها لأن الطاء على حركتها الاصلية

﴿ اللغاة ﴾

الاهلال في الذبيحة رفع الصوت بالتسمية وكان المشركون يسمون الاوثان والمسلمون يسمون الله وانهلال
الطرشدة انصبابه والهلال غرة القمر لرفع الناس اصواتهم عند رؤيته بالتكبير والمحرم يهل بالا حرام وهو أن
يرفع صوته بالتلبية واستهل الصبي اذا بكى وقت الولادة والاضطرار كل فعل لا يمكن المفعول به الامتناع منه
وذلك كالجوع الذي يحدث للإنسان فلا يمكنه الامتناع منه والفرق بين الاضطرار والالقاء ان الالقاء قد
تتوفر معه الدواعي الى الفعل من جهة الضرر والنفع وليس كذلك الاضطرار قال صاحب العين رجل لحم اذا كان
اكولا اللحم وبيت لحم يكثر فيه اللحم والحمت القوم اذا قتلهم وصاروا الحما والملحمة الحرب ذات القتل الشديد
واستاحم الطريد اذا اتسع واللحمة قرابة النسب واصل الباب الزوم ومنه اللحم للزوم بعضه بعضا واصل البغي
الطلب من قولهم بغي الرجل حاجته يبغي بغاء قال الشاعر
لَا يَمْنَعُكَ مِنْ بَغَاةٍ لَخَيْرِ تَعْقَادِ التَّمَاثِمِ إِنَّ الْأَشَاثِمَ كَالْأَيَامِ مِنَ كَالْأَشَاثِمِ
والبغاء طلب الزنا والعادي المعتدي

﴿ الاعراب ﴾

انما تفيد اثبات الشيء الذي يذكر بعدها ونفي ما عداه كقول الشاعر (وانما يدافع عن احسابهم انا أو مثلي)
وانما كانت لا ثبات للشيء ونفي ما سواه من قبل ان لا كانت للتوكيد وانضاف اليها ما للتوكيد ايضا اكدت ان
من جهة التحقيق للشيء واكدت ما من جهة نفي ما عداه فاذا قلت انما انا بشر فكأنك قلت ما انا الا بشر ولو
كانت ما بمعنى الذي لكتبت ما مفصولة ومثله قوله تعالى انما الله اإله واحد اي لا إله الا الله الا إله واحد
ومثله انما انت نذير اي لا نذير الا انت فاذا ثبت ذلك فلا يجوز في الميتة الا النصب لأن ما كافة ولو كانت ما
بمعنى الذي لجاز في الميتة الرفع وغير باغ منصوب على الحال وتقديره لا باغيا ولا عاديا ولا يجوز ان يقع الالهاتنا
في موضع غير ما قلناه انه بمعنى النبي ولذلك عطف عليه بلا فاما الالفعاء في الاصل الاختصاص لبعض من كل
وليس ها هنا كل يصلح ان يخص منه

﴿ المعنى ﴾

لا ذكر سبحانه اباحة الطيبات عقبه بتحريم المحرمات فقال « انما حرم عليكم الميتة » وهو ما عوت من الحيوان
« والدم ولحم الخنزير » خص اللحم لأنه المعظم والمقصود والالجملة محرمة « وما اهل به لغير الله » قيل فيه قولان
﴿ احدهما ﴾ انه ما ذكر غير اسم الله عليه عن الربيع وجماعة من المفسرين والآخرونه ما ذبح لغير الله عن مجاهد
وقتادة والاول اوجه « فن اضطر » الى أكل هذه الاشياء ضرورة وجماعة عن أكثر المفسرين وقيل ضرورة اكثره عن
مجاهد وتقديره فمن خاف على النفس من الجوع ولا يجد ما كولا يسد به الرمق وقوله « غير باغ » قيل فيه ثلاثة اقوال
﴿ احدها ﴾ غير باغ اللذة ولا عاد سد الجوع عن الحسن وقتادة ومجاهد (وثانيها) غير باغ في الافراط ولا عاد
في التصغير عن الزجاج (وثالثها) غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريق الحقين وهو المروي عن ابي جعفر
وابي عبد الله وعن مجاهد وسعيد بن جبير واعترض علي بن عيسى على هذا القول بأن قال ان الله لم يبيح لأحد قتل
نفسه والتعرض للقتل قتل في حكم الدين ولأن الرخصة لأجل المجاعة لا لأجل سفر الطاعة وهذا فاسد لأن
الباغي على الامام معرض نفسه للقتل فلا يجوز لذلك استباحة ما حرم الله كما لا يجوز له ان يستقي نفسه بقتل غيره
من المسلمين وقوله ان الرخصة لأجل المجاعة غير مسلم على الاطلاق بل هو مخصوص بمن لم يعرض نفسه لها
« فلا اثم عليه » اي لا حرج عليه وانما ذكر هذا اللفظ ليبين انه ليس بمباح في الاصل وانما رفع الحرج لأجل الضرورة
« ان الله غفور رحيم » وانما ذكر المغفرة لأحد الأمرين اما ليبين انه اذا كان يغفر المعصية فانه لا يؤخذ بما رخص فيه

واما لانه وعد بالمغفرة عند الانابة الى طاعة الله مما كانوا عليه من تحريم ما لم يحرمه الله من السائبة وغيرها

قوله تعالى (١٧٤) **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَىٰ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

البطن خلاف الظهر والبطن الغامض من الارض والبطن من العرب دون القبيلة

﴿ الاعراب ﴾

الذين مع صاته منصوب بأن واولئك رفع بالابتداء وخبره ما يأكلون في بطونهم الا النار والمبتدا وخبره جملة في موضع الرفع بكونها خبر ان والنار نصب بياكلون

﴿ النزول ﴾

المعنى في هذه الآية اهل الكتاب باجماع المفسرين الا انها متوجهة على قول كثير منهم الى جماعة قليلة من اليهود وهم علماءهم كعكب بن الاشرف وحيي بن اخطب وكعب بن اسد وكانوا يصيرون من سفلتهم الهدايا ويرجون كون النبي منهم فلما بعث من غيرهم خافوا زوال مملكتهم فغيروا صفته فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد الكلام الى ذكر اليهود الذين تقدم ذكرهم فقال تعالى «ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب» اي صفة محمد والشارة به عن ابن عباس وقتادة والسدي وقيل كتتموا الاحكام عن الحسن والكتاب على القول الاول هو التوراة وعلى الثاني يجوز ان يحمل على القرآن وعلى سائر الكتب «ويشترون به ثمنا قليلا» اي يستبدلون به عرضا قليلا وليس المراد انهم اذا اشتروا به ثمنا كثيرا كان جائزا بل الفائدة فيه ان كل ما يأخذونه في مقابلة ذلك من حطام الدنيا فهو قليل وللغرب في ذلك عادة معروفة ومذهب مشهور ومثله في القرآن كثير قال ومن يدع مع الله إليها آخرا لبرهان له به ويقتلون النبيين بغير حق وفيه دلالة على ان من ادعى ان مع الله إليها آخرا لا يقوم له على قوله برهان وان قتل الانبياء لا يكون الا بغير حق وذلك بأن وصف الشيء بما لا بد ان يكون عليه من الصفة ومثله في الشعر قول النابغة

يَحْفَهُ جَانِبًا نَيْقٍ وَيَتَّبِعُهُ
اي ليس بها رمد فيكتحل له وقول الآخر
لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَمِنْ وَصْبٍ
اي ليس بساقه اين ولا وصب فيغمزها من اجلها وقول سويد بن ابي الكاهل
مِثْلُ الزُّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمَدِ
وَلَا يَعْضُ عَلَى شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ
عَاجِلُ الْفَحْشِ وَالْأَسْوُ الْجَزَعُ
مِنْ أَنَاسٍ لَيْسَ فِي أَخْلَاقِهِمْ

ولم يرد ان في اخلاقهم فحشا آجلا او جزعا غير سيء بل نفى الفحش والجزع عن اخلاقهم وفي امثال هذا كثيرة «او لئلك» يعني الذين كتتموا ذلك واخذوا الاجر على الكتمان «ما يأكلون في بطونهم الا النار» ومعناه ان اكلهم في الدنيا وان كان طيبا في الحال فكأنهم لم يأكلوا الا النار لان ذلك يوم لديهم الى النار كقول سبجانه في اكل مال اليتيم انما يأكلون في بطونهم نارا عن الحسن والربيع واكثر المفسرين وقيل انهم يأكلون النار حقيقة في جهنم عقوبة لهم على كتمانهم فيصير ما اكلوا في بطونهم نارا يوم القيامة فسماء في الحال بما يصير اليه في المال وانما

ذكر البطون وان كان الاكل لا يكون الا في البطن اوجهين ﴿احدهما﴾ ان العرب تقول جعت في غير بطني وشبعت في غير بطني اذا جاع من يجري جوعه وشبعه مجرى شبعه فذكر ذلك لإزالة اللبس (والآخر) انه لا يستعمل المجاز بأن اجري على الرشوة اسم النار حتى يذكر البطن ليدل على ان النار تدخل اجوافهم «ولا يكلمهم الله يوم القيمة» فيه وجهان ﴿احدهما﴾ انه لا يكلمهم بما يحبون وفي ذلك دليل على غضبه عليهم وان كان يكلمهم بالسوء ال بالتوبيخ وبما يفهم كما قال فلنستلن الذين ارسل اليهم وقال اخسوا فيها ولا تكلمون وهذا قول الحسن والجبائي (والثاني) انه لا يكلمهم اصلا فتحمل آيات المسالة على ان الملائكة تسألهم عن الله وبامرهم ويتأول قوله اخسوا فيها على دلالة الحال وانما يدل نبي الكلام على الغضب في الوجه الاول من حيث ان الكلام وضع في الأصل للفائدة فلما انتفى الفائدة على وجه الحرمان دل على الغضب فاما الكلام على وجه الغم والايام فخارج عن ذلك «ولا يزكهم» معناه لا يشي عليهم ولا يصفهم بانهم اذكياء ومن لا يشي الله عليه فهو معذب وقيل لا تقبل اعمالهم كما تقبل اعمال الاذكياء وقيل معناه لا يطهرهم من خبث اعمالهم بالمغفرة «ولهم عذاب اليم» اي موجه مؤلم

قوله تعالى (١٧٥) **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُ الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ وَأَلْعَذَابُ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ** (آية)

﴿الاعراب﴾

ما اصبرهم قيل ان ما للتعجب كالتي في قوله قتل الانسان ما اكفره اي قدحل محل ما يتعجب منه وحكي عن بعض العرب انه قال خصمه ما اصبرك على الله اي ما اصبرك على عذاب الله وقيل انه للاستفهام على معنى اي شي اصبرهم يقال اصبرت السبع او الرجل ونحوه اذا نصبته لا يكره قال الخطيب

قُلْتُ لَهَا أَصْبِرْهَا دَائِبًا وَيَحْكُ أَمْثَالُ طَرِيفٍ قَلِيلُ

اي الزمها واضطرها

﴿المعنى﴾

«أولئك» اشارة الى من تقدم ذكرهم «الذين اشتروا الضلالة بالهدى» اي استبدلوا الكفر بالهدى (ص) بالايان به فصاروا بمنزلة من يشتري السلمة بالثمن وقيل المراد بالضلالة كتمان امره مع علمهم به وبالهدى اظهاره وقيل المراد بالضلالة العذاب وبالهدى الثواب وطريق الجنة اي استبدلوا النار بالجنة وقوله «والعذاب بالمغفرة» قيل انه تأكيد لما تقدم عن اي مسلم وقيل انهم كانوا اشتروا العذاب بالمغفرة لما عرفوا ما أعد الله لمن عصاه من العذاب ولما اطاعه من الثواب ثم اقاموا على ما هم عليه من المعصية مصرين عن القاضي وهذا اولى لانه اذا لم يكن حمل الكلام على زيادة فائدة كان اولى فكان اشتراؤهم الضلالة يرجع الى عدولهم عن طريق العلم الى طريق الجهل واشتروا هم بالمغفرة يرجع الى عدولهم عما يوجب الجنة الى ما يوجب النار وقوله «فما اصبرهم على النار» فيه اقوال ﴿احدها﴾ ان معناه ما اجرائهم على النار ذهب اليه الحسن وقتادة ورواه علي بن ابراهيم باسناده عن ابي عبد الله (ع) (والثاني) ما اعمالهم باعمال اهل النار عن مجاهد وهو الروي عن ابي عبد الله عليه السلام (والثالث) ما ابقاهم على النار كما يقال ما اصبر فلانا على الحبس عن الزجاج (والرابع) ما ادومهم على النار اي ما ادومهم على عمل اهل النار كما يقال ما اشبه سقاءك بجاتم عن الكسائي وقطرب وعلى هذه الوجوه فظاهر الكلام التعجب والتعجب لا يجوز على القديم سبحانه لانه عالم بجميع الاشياء لا يخفى عليه شي والتعجب انما يكون مما لا يعرف سببه واذا ثبت ذلك فانعرض ان يدلنا على ان الكفار حلوا محل من يتعجب منه فهو تعجب لنا

منهم (والخامس) ماروي عن ابن عباس ان المراد اي شي اصبرهم على النار اي حبسهم عليها فتكون للاستفهام ويمكن حمل الوجوه الثلاثة المتقدمة على الاستفهام ايضا فيكون المعنى اي شي اجزأهم على النار واعلمهم باعمال اهل النار وابقاهم على النار وقال الكسائي هو استفهام على وجه التعجب وقال المبرد هذا حسن لانه كالتوبيخ لهم والتعجب لنا كما يقال لمن وقع في ورطة ما اضطرك الى هذا اذا كان غنيا عن التعرض للوقوع في مثلها والمراد به الانكار والتعجب على اكتساب سبب الهلاك وتعجب الغير منه ومن قال معناه ما اجزأهم على النار فانه عنده من الصبر الذي هو الحبس ايضا لأن بالجرأة يصبر على الشدة

قوله تعالى (١٧٦) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الاختلاف الذهاب على جهة التفرق في الجهات واصله من اختلاف الطريق تقول اختلفنا الطريق فجا هذا من هنا وجاء ذلك من هناك ثم استعمل في الاختلاف في المذاهب تشبيها بالاختلاف في الطريق من حيث ان كل واحد منهم على نقيض ما عليه الآخر من الاعتقاد واما اختلاف الاجناس فهو ما لا يسد احدهما مسد الآخر فبما يرجع الى ذاته كالسواد والبياض والشقاق والمشاقة اغياز كل واحد عن شق صاحبه للعداوة له وهو طلب كل واحد منهما ما يشق على الآخر لاجل العداوة

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج ذلك مرفوع بالابتداء والخبر محذوف اي ذلك الامر ويجوز ان يكون مرفوعا بخبر الابتداء اي الامر ذلك ويحتمل ان يكون موضع ذلك نصبا على تقدير فعلنا ذلك لان في الكلام ما يدل على فعلنا

﴿ المعنى ﴾

«ذلك» اشارة الى احد ثلاثة اشياء ﴿اولها﴾ ذلك الحكم بالنار عن الحسن (وثانيها) ذلك العذاب (وثالثها) ذلك الضلال وفي تقدير خبره ثلاثة وجوه ﴿احدها﴾ ما ذكرناه من قول الزجاج (وثانيها) ان تقديره ذلك الحكم الذي حكم فيهم او حل بهم من العذاب او ذلك الضلال معلوم بان الله نزل الكتاب بالحق فحذف لدلالة ما تقدم من الكلام عليه (وثالث) ذلك العذاب لهم «بان الله نزل الكتاب بالحق» ويكون الباء مسع ما بعده في موضع الخبر ومن ذهب الى ان المعنى ذلك الحكم بدلالة ان الله نزل الكتاب بالحق فالحق فالحق على صورته ومن ذهب الى ان المعنى ذلك العذاب او الضلال بان الله نزل الكتاب بالحق في الكلام محذوف وتقديره فكفروا به والمراد بالكتاب هاهنا التوراة وقال الجبائي هو القرآن وغيره وقال بعضهم المراد بالاول التوراة وبالثاني القرآن «وان الذين اختلفوا في الكتاب» قيل هم الكفار اجمع عند اكثر المفسرين اختلفوا في القرآن على اقوال فمنهم من قال هو كلام السحرة ومنهم من قال كلام تعلمه ومنهم من قال كلام تقوله وقيل هم اهل الكتاب من اليهود والنصارى عن السدي اختلفوا في التأويل والتنزيل من التوراة والانجيل لانهم حرفوا الكتاب وكتبوا صفة النبي صلى الله عليه وآله وجعدت اليهود الانجيل والقرآن وقوله «لني شقاق بعيد» اي بعيد عن الالفة والاجتماع على الصواب وقيل بعيد في الشقاق لشهادة كل واحد على صاحبه بالاضلال وكلاهما عادل عن الحق والسداد وقيل في اختلاف شديد فيما يتصل باحكام التوراة والانجيل

قوله تعالى (١٧٧) لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حفص عن عاصم غير هبيرة وحزمة ليس البر بنصب الراء والباقون بالرفع وروي في الشواذ عن ابن مسعود واي ليس البر بالنصب بان يولوا بالياء وقرأ نافع وابن عامر ولكن البر بالتخفيف والرفع والباقون ولكن البر بالتشديد والنصب

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من رفع البر ان ليس يشبه الفعل وكون الفاعل بعد الفعل اولى من كون المفعول بعده وحجة من نصب البر انه قد حكى عن بعض شيوخنا انه قال في هذا النحو ان يكون الاسم ان وصلتها اولى بشبهها بالمضمر في انها لا توصف كما لا يوصف المضمر وكأنه اجتمع مضمر ومظهر والاولى اذا اجتمعا ان يكون المضمر الاسم من حيث كان اذهب في الاختصاص من المظهر قال ابن جني يجوز ان يكون انما نصب البر مع الباء بان جعل الباء زائدة كقولهم وكنى بالله وكيلا

﴿ اللغة ﴾

البر العطف والاحسان مصدر ويجوز ان يكون بمعنى البار اي الواسع الاحسان والبر الصدق والبر الايمان والتقوى واصله من الاتساع ومنه البر خلاف البحر لاتساعه واختلف اهل اللغة والفقهاء في المسكين والفقير ايها اشد احوال الفقير جماعة المسكين الذي لاشي له والفقير الذي له ما لا يكفيه وهو قول يونس وابن دريد وقول ابن حنيفة وقال آخرون الفقير الذي لاشي له والمسكين من له شي يسير وهو قول الشافعي والسبيل الطريق وابن السبيل هو المنقطع به اذا كان في سفره محتاجا وان كان في باده ذا يسار وهو من اهل الزكاة وقيل انه الضيف عن قتادة وانما قيل للمسافر ابن الطريق لزومه الطريق كما قيل للطير ابن الماء قال ذو الرمة

وَرَدْتُ أَعْتِسَافًا وَالتَّرْيَا كَأَنَّمَا
عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مُحْتَقٍ

والرقاب جمع رقبة وهي اهل العنق ويعبر به عن جميع البدن يقال اعتق الله رقبة ومنه قوله فتحرير رقبة والباساء والبؤس الفقر والضرء السقم والوجع وهما مصدران بنيا على فعلا وليس لهما فاعل لأن افعل وفعلا في الصفات والنعوت ولم يأتيا في الاسماء التي ليست بنعوت

﴿ الاعراب ﴾

من نصب البر جعل ان مع صلتها اسم ليس اي ليس توليتكم وجوهكم البر كله ومن رفع البر فاعلى ليس البر كله توليتكم وكلا المذهبين حسن لأن كل واحد من اسم ليس وخبرها معرفة فاذا اجتمعا في التعريف تكافأ في كون احدهما اسما والآخر خبرا كما تكافأ النكرتان وقد ذكرنا الوجه في ترجيح احد المذهبين على الآخر ولكن البر اذا شددت لكن نصبت البر واذا خففت رفعت البر وكسرت النون مع التخفيف لاتقاء الساكنين واما الاخبار عن البر بن آمن ففيه وجوه ثلاثة ﴿ احدها ﴾ ان يكون البر بمعنى البار جعل المصدر في موضع اسم الفاعل كما يقال ماء غور اي غائر ورجل صوم اي صائم ومثله قول الخنساء

تَرْتَعُ مَارَتَعَتْ حَتَّى إِذَا دَاكَرَتْ فَيَأْتَا هِيَ إِقْبَالُ وَإِدْبَارُ

اي انها مقبلة ومدبرة ومثله

تَظَلُّ جِيَادُهُمْ نَوْحًا عَلَيْهِمْ مُقَلَّدَةً أَعْنَتَهَا صُفُونَا

اي نائمة (ثانيها) ان المعنى ولكن ذا البر من آمن بالله فحذف المضاف من الاسم (ثالثها) ان يكون التقدير ولكن البر من آمن بالله فحذف المضاف من الخبر واقام المضاف اليه مقامه كقول الشاعر

وَكَيفَ تَوَاصِلُ مِنْ أَصْبَحَتْ خَلَالَتُهُ كَأَيِّ مَرَحِبٍ

وكقول النابغة

وَقَدْ خَفْتُ حَتَّى مَا تَرِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعَلِي فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ

اي على مخافة وعمل ومثله قوله تعالى أجمعتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ثم قال كن آمن اي كإيمان من آمن وقوله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وفي رفعه قولان احدهما ان يكون مرفوعا على المدح لان التعت اذا طال وكثر رفع بعضه ونصب على المدح والمعنى وهم الموفون والآخر ان يكون معطوفا على من آمن والمعنى ولكن ذا البر او ذوي البر المومنون والموفون بعهدهم واما قوله والصابرين فنصوب على المدح ايضا لان مذهبه في الصفات والتعوت اذا طالت ان يعترضوا بينها بالمدح او الذم ليميزو المدح او الذموم وتقديره اعني الصابرين قال ابو علي والاحسن في هذه الاوصاف التي تقطعت للرفع من موصوفها والمدح أو الغرض منهم والذم ان يخالف باعرابها ولا تجعل كلها جارية على موصوفها ليكون ذلك دلالة على هذا المعنى وانفصالا لما يذكر للتبويه والتنبيه والنقص والغرض مما يذكر للتخليص والتمييز بين الموصوفين المشتهين في الاسم المختلفين في المعنى ومن ذلك قول الشاعر انشده القراء

إِلَى أَلْمَلِكِ الْقَرْمِ وَأَبْنِ الْهَمَامِ
وَيَا لَيْثَ الْكُتَيْبَةِ فِي الْمُرْدَحِمِ
وَذَا الرَّأْيِ حِينَ تَعْمُ الْأُمُورُ
بِذَاتِ الصَّلِيلِ وَذَاتِ الْأَجْمِ

فنصب ليث الكتابة وذا الرأي على المدح وانشد ايضا

فَلَيْتَ أَتَيْتُ فِيهَا النُّجُومَ تَوَاضَعَتْ
عُيُوثُ الْحَيَا فِي كُلِّ مَحَلٍّ وَلَزَبَتْ
عَلَى كُلِّ غَشٍّ مِنْهُمْ وَسَمِينِ
أُسُودُ الشَّرَى يَحْمِينُ كُلَّ عَرِينِ

ومما نصب على الذم

سَقَوْنِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكْتَفُونِي
عُدَاةُ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ

وشيء آخر هو ان هذا الموضع من مواضع الاطناب في الوصف واذا خرف باعراب الالفاظ كان اشد واقوع فيما يعنى ويعترض لصيرورة الكلام وكونه بذلك ضروريا وجلا وكونه في الاجراء على الاول وجهها واحدا وجملة واحدة فلذلك سبق قول سيويه في قوله والقيمين الصلاة وانه محمول على المدح قول من قال انه محمول على قوله بما انزل اليك وبالقيمين الصلاة وان كان هذا غير ممتنع وقال بعض النحويين ان الصابرين معطوف على ذوي القربى قال الزجاج وهذا لا يصلح الا ان تكون والموفون رفعا على المدح للضميرين لان ما في الصلة لا يعطف عليه بعد المعطوف على الموصول قال ابو علي لا وجه لهذا القول لان الصابرين لا يجوز حملهم على وآتى المال على حبه سواء كان قوله والموفون بعهدهم عطفا على الموصول او مدحا لان الفصل بين الصلة يقع به اذا كان مدحا كما يقع به اذا كان مفردا معطوفا على الموصول بل الفصل بينهما بالمدح اشنع لكون المدح جملة والجمل ينبغي ان تكون في الفصل اشنع واقبح بحسب زيادتها على الفرد وان كان الجميع من ذلك ممتنعا

﴿ النزول والنظم ﴾

لما حولت القبلة وكثر الخوض في نسخها وصار كأنه لا يراعى بطاعة الله الا التوجه للصلاة واكثر اليهود والنصارى ذكرها انزل الله سبحانه هذه الآية عن ابي القاسم البلخي وعن قتادة انها نزلت في اليهود

﴿ المعنى ﴾

«ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب» بين سبحانه ان البر كله ليس في الصلاة فان الصلاة انما امر بها لكونها مصلحة في الايمان وصارفة عن الفساد وكذلك العبادات الشرعية انما امر بها لما فيها من الالطاف والمصالح الدينية وذلك يختلف بالازمان والاوقات فقال ليس البر كله في التوجه الى الصلاة حتى يضاف الى ذلك غيره من الطاعات التي امر الله بها عن ابن عباس ومجاهد واختاره ابو مسلم وقيل معناه ليس البر ماعليه النصارى من التوجه الى المشرق ولما عليه اليهود من التوجه الى المغرب عن قتادة والربيع واختاره الجبائي والبلخي «واكن البر من آمن بالله» اي اكن البر من آمن بالله كقولهم السخاء حاتم والشعر زهير اي السخاء سخاء حاتم والشعر شعر زهير عن قطرب والزجاج والفراء واختاره الجبائي وقيل ولكن البار اوذا البر من آمن بالله اي صدق بالله ويدخل فيه جميع ما لا يتم معرفة الله سبحانه الا به لمعرفة حدوث العالم واثبات المحدث وصفاته الواجبة والجازة وما يستحيل عليه سبحانه ومعرفة عدله وحكمته «واليوم الآخر» يعني القيامة ويدخل فيه التصديق بالبعث والحساب والثواب والعقاب «والملائكة» اي بانهم عباد الله المكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون «والكتاب» اي وبالكتب المنزلة من عند الله الى انبيائه «والنبيين» وبالانبياء كلهم وانهم معصومون مطهرون وفيما ادوه الى الخلق صادقون وان سيدهم وخاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وان شريعته ناسخة لجميع الشرائع والتمسك بها لازم لجميع المكلفين الى يوم القيامة «وآتى المال» اي واعطى المال «على حبه» فيه وجوه ﴿احدها﴾ ان الكناية راجعة الى المال اي على حب المال فيكون المصدر مضافا الى المفعول وهو معنى قول ابن عباس وابن مسعود قال هو ان تعطيه وانت صحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تهمل حتى اذا بلغت الخلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا (وثانيها) ان تكون الهاء راجعة الى من آمن فيكون المصدر مضافا الى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه وهو مثل الوجه الاول سواء في المعنى (وثالثها) ان تكون الهاء راجعة الى الايتاء الذي دل عليه قوله وآتى المال والمعنى على حبه الاعطاء ويجري ذلك مجرى قول القطامي

هُمُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاؤُ الْمُلُوكِ لَهُمْ وَالْأَخِذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةُ الْأُولُ

فكنى بالهاء عن الملك لدلالة قول الملوك عليه (ورابعها) ان الهاء راجعة الى الله لان ذكره سبحانه قد تقدم اي يعطون المال على حب الله وخالصا لوجهه قال المرتضى قدس الله روحه لم نسبق الى هذا الوجه في هذه الآية وهو احسن ما قيل فيها لان تأثير ذلك ابلغ من تأثير حب المال لان المحب للمال الضنين به متى بذله واعطاه ولم يقصد به القربة الى الله تعالى لم يستحق شيئا من الثواب وانما يؤثر حبه للمال في زيادة الثواب متى حصل قصد القربة والطاعة ولو تقرب بالعطية وهو غير ضنين بالمال ولا يحب له لا يستحق الثواب «ذوي القربى» اراد به قرابة المعطي كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه سئل عن افضل الصدقة فقال جهد المقل على ذي الرحم الكاشح وقوله لقاطمة بنت قيس لما قالت يا رسول الله ان لي سبعين مثقالا من ذهب قال اجعلها في قرابتك ويحتمل ان يكون اراد قرابة النبي (ص) كما في قوله قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام «واليتامى» اليتيم من لا اب له مع الصغر قيل اراد يعطيهم انفسهم المال وقيل اراد ذوي اليتامى اي يعطي من تكفل بهم لانه لا يصح ايصال المال الى من لا يعقل فعلى هذا يكون اليتامى في موضع جر عطفا على القربى وعلى القول الاول يكون في موضع نصب عطفا على ذوي القربى «والمساكين» يعني اهل الحاجة «وابن السبيل» يعني المنقطع به عن ابي جعفر ومجاهد وقيل الضيف عن ابن عباس وقتادة وابن جبير «والسائلين» اي الطالبين للصدقة لانه ليس كل مسكين يطلب «وفي الرقاب» فيه وجهان ﴿احدهما﴾ عتق الرقاب بان يشتري ويعتق (والآخر) في رقاب المكاتبين والاية محتملة للأمرين فينبغي ان تحمل عليهما وهو اختيار الجبائي والرماني

وفي هذه الآية دلالة على وجوب اعطاء مال الزكاة المفروضة بلا خلاف وقال ابن عباس في المال حقوق واجبة سوى الزكاة وقال الشعبي هي محمولة على وجوب حقوق في مال الانسان غير الزكاة مما له سبب وجوب كالانفاق على من يجب عليه نفقته وعلى من يجب عليه سد رمقه اذا خاف عليه التلف وعلى ما يلزمه من النذور والكفارات ويدخل في هذا ايضا ما يخرج به الانسان على وجه التطوع والقربة الى الله لأن ذلك كله من البر واختاره الجبائي قالوا ولا يجوز حمل على الزكاة المفروضة لانه عطف عليه الزكاة وانما خص هو لانه الغالب انه لا يوجد الاضطرار الا في هولاء «واقام الصلوة» اي اداها لميقاتها وعلى حدودها «واتى الزكاة» اي اعطى زكاة ماله «والموفون بعهدهم اذا عاهدوا» اي والذين اذا عاهدوا عهدا اوفوا به يعني اليهود والنذور التي بينهم وبين الله تعالى والمعقود التي بينهم وبين الناس وكلاهما يلزم الوفاء به «والصابرين في البأساء والضراء» يريد بالبأساء البوس والفقر وبالضراء الوجع والعة عن ابن مسعود وقتادة وجماعة من المفسرين «وحين البأس» يريد وقت القتال وجهاد العدو وروي عن علي عليه السلام انه قال كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله فلم يكن احد منا اقرب الى العدو منه يريد اذا اشتد الحرب «او لك» اشارة الى من تقدم ذكرهم «الذين صدقوا» اي صدقوا الله فيما قبلوا منه والتزموه علما وتمسكوا به عملان ابن عباس والحسن وقيل الذين صدقت نياتهم لاعمالهم على الحقيقة «واوئك هم المتقون» اي اتقوا بفعل هذه الخصال نار جهنم واستدل اصحابنا بهذه الآية على ان المعنى بها امير المؤمنين عليه السلام لانه لا خلاف بين الامة انه كان جامعا لهذه الخصال فهو مراد بها قطعا ولا تقطع على كون غيره جامعا لها ولهذا قال الزجاج والفراء انها مخصوصة بالانبياء المعصومين لان هذه الاشياء لا يوجد بها بكليتها على حق الواجب فيها الا لانبياء

قوله تعالى (١٧٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ أَلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَى بِعَدْوِكَ فَإِنَّ لَكَ فَلَهِ عَذَابٌ أَلِيمٌ (آية)

﴿ اللغة ﴾

كتب فرض واصل الكتابة الخط الدال على معنى فسمي به ما دل على الفرض قال الشاعر

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَائِبَاتِ جَرُّ الدُّيُوتِ

والقصاص والمقاصة والمعاوضة والمبادلة نظائر يقال قص اثره اي تلاه شيئا بعد شي. ومنه القصاص لانه يتلو اصل الجناية ويتبعه وقيل هو ان يفعل بالثاني ما فعله هو بالاول مع مراعاة الماتلة ومنه اخذ القصاص كأنه يتبع آثارهم شيئا بعد شي. والحرف تقيض العبد والحرف من كل شي. اكرمه واحرار القول ما يوء كل غير مطبوخ وتحوير الكتابة اقامة حروفها والعمو الترك وعفت الدار اي تركت حتى درست والعمو عن المعصية ترك العقاب عليها وقيل معنى العمو هاهنا ترك القود بقبول الدية من اخيه وجمع الاخ الاخوة اذا كانوا لأب فان لم يكونوا لأب فهم اخوان ذكر ذلك صاحب العين والتأدية والاداء تبليغ الغاية يقال ادى فلان ما عليه وفلان أدى للامانة من غيره

﴿ الاعراب ﴾

فاتباع مبتدأ وخبره محذوف اي فعله اتباع او خبر مبتدأ محذوف اي حكمه اتباع ولو كان في غير القرآن لجاز فاتباعا بالمعروف واداء اليه باحسان على معنى فليتبع اتباعا وليوء اداءا ولكن الرفع عليه اجماع القراء وهو الاجود في العربية

﴿ النزول ﴾

نزلت هذه الآية في حين من العرب لأحدهما طول على الآخر وكانوا يتزوجون نساء بغير مهر واقسموا

لنقتلن بالعمد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم على الضعف من جراح او ثلك حتى جاء الاسلام فاتزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه ان البر لا يتم الا بالايمان والتمسك بالشرائع بين الشرائع وبدأ بالدماء والجراح فقال «يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم» اي فرض عليكم ووجب وقيل كتب عليكم في ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ على جهة الفرض «القصاص في القتلى» المساواة في القتلى اي يفعل بالقاتل مثل ما فعله بالمقتول ولا خلاف ان المراد به قتل العمد لأن العمد هو الذي يجب فيه القصاص دون الخطأ المحض وشبيهه العمد ومتى قيل كيف قال كتب عليكم القصاص في القتلى والاولياء مخيرون بين القصاص والعفو واخذ الدية والمقتص منه لافعل له فيه فلا وجوب عليه فالجواب من وجهين ﴿احدهما﴾ انه فرض عليكم ذلك ان اختار اولياء المقتول القصاص والفرض قد يكون مضيقا وقد يكون مخيرا فيه (والثاني) انه فرض عليكم التمسك بما حدَّ عليكم وترك مجاوزته الى ما لم يجعل لكم واما من يتولى القصاص فهو امام المسلمين ومن يجري مجراه فيجب عليه استيفاء القصاص عند مطالبة الولي لأنه حق الآدمي ويجب على القاتل تسليم النفس «الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى» قال الصادق ولا يقتل حر بعبد ولكن يضرب ضربا شديدا ويفرم دية العبد وهذا مذهب الشافعي وقال ان قتل رجل امرأة فاراد اولياء المقتول ان يقتلوه ادوا نصف دية الى اهل الرجل وهذا هو حقيقة المساواة فإن نفس المرأة لاتساوي نفس الرجل بل هي على النصف منها فيجب اذا اخذت النفس الكاملة بالنفس الناقصة ان يرد فضل ما بينهما وكذلك رواه الطبري في تفسيره عن علي عليه السلام ويجوز قتل العبد بالحر والانثى بالذكر اجماعا وليس في الآية ما يمنع من ذلك لأنه لم يقل لا تقتل الانثى بالذكر ولا العبد بالحر فا تضمنته الآية معمول به وما قلناه مثبت بالايجاع وبقوله سبحانه النفس بالنفس وقوله «فمن عني له من اخيه شيء» فيه قولان ﴿احدهما﴾ ان معناه من ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد من اخيه اي من دم اخيه حذف المضاف للعلم به واراد بالاخ المقتول سماه اخا للقاتل فدل ان اخوة الاسلام بينهما لم تنقطع وان القاتل لم يخرج عن الايمان بقتله وقيل اراد بالاخ العافي الذي هو ولي الدم سماه الله اخا للقاتل وقوله شيء دليل على ان بعض الاولياء اذا عاقسقط القود لأن شيئا من الدم قد بطل بعفو البعض والله تعالى قال فمن عني له من اخيه شيء والضمير في قوله له وفي اخيه كلاهما يرجع الى من وهو القاتل اي من ترك له القتل ورضي منه بالدية هذا قول اكثر المفسرين قالوا العفو ان يقبل الدية في قتل العمد ولم يذكر سبحانه العافي لكنه معلوم ان المراد به من له القصاص والمطالبة وهو ولي الدم والقول الآخر ان المراد بقوله فمن عني له ولي الدم والهاء في اخيه يرجع اليه وتقديره فمن بذل له من اخيه يعني اخا الولي وهو المقتول الدية ويكون العافي معطي المال ذكر ذلك عن مالك ومن نصر هذا القول قال ان لفظ شيء منكر والقود معلوم فلا يجوز الكناية عنه بلفظ النكرة فيجب ان يكون المعنى فمن بذل له من اخيه مال وذلك يجوز ان يكون مجهولا لا يدري انه يعطيه الدية او جتسا آخر ومقدار الدية او اقل او اكثر فصح ان يقال فيه شيء وهذا ضعيف والقول الاول اظهر وقد ذكرنا الوجه في تنكير قوله شيء هناك واما الذي له العفو عن القصاص فكل من يرث الدية الا الزوج والزوجة عندنا واما غير اصحابنا من العلماء فلا يستثنونها وقوله «فاتباع بالمعروف» اي فعلى العافي اتباع بالمعروف هي ان لا يشدد في الطلب وينظره ان كان معسرا ولا يطالبه بالزيادة على حقه وعلى العفو له «واداء اليه باحسان» اي الدفع عند الامكان من غير مطل وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل المراد فعلى المعفو عنه الاتباع والاداء وقوله «ذلك» اشارة الى جميع ما تقدم «تخفيف من ربكم ورحمة» معناه انه جعل لكم القصاص او الدية او العفو وخيركم بينها وكان لاهل التوراة

القصاص او العفو ولاهل الانجيل العفو او الدية وقوله «فمن اعتدى بعد ذلك» اي بأن قتل بعد قبول الدية او العفو عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليها السلام وقيل بان قتل غير قاتله او طلب اكثر مما وجب له من الدية وقيل بان جاوز الحد بعد ما بين له كيفية القصاص قال القاضي ويجب حمله على الجميع لعموم اللفظ «فله عذاب اليم» في الآخرة

قوله تعالى (١٧٩) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيٰوةٌ يَاۤ اُولِي الۡاَبۡبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الابواب العقول واحدها اب ماخوذ من اب النخلة واب بالمكان وأب به اذا قام واللب الببال

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه وجه الحكمة في ايجاب القصاص فقال «ولكم» ايها المخاطبون «في القصاص حيوة» فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ ان معناه في ايجاب القصاص حياة لأن من هم بالقتل فذكر القصاص ارتدع فكان ذلك سببا للحياة عن مجاهد وقتادة واكثر اهل العلم (والثاني) ان معناه لكم في وقوع القتل حياة لأنه لا يقتل الا القاتل دون غيره بخلاف ما كان يفعله اهل الجاهلية الذين كانوا يتفانون بالطوائف عن السدي والمعين جميعا حسنان ونظيره من كلام العرب القتل انني للقتل الا ان ما في القرآن اكثر فائدة واوجز في العبارة وابتعد من الكلفة بتكرير الجملة واحسن تأليفا بالحروف المتلثة فاما كثرة الفائدة فلأن فيه جميع ما في قولهم القتل انني للقتل وزيادة معاني منها ابانة العدل لذكره القصاص ومنها ابانة الغرض المرغوب فيه وهو الحياة ومنها الاستدعاء بالرغبة والرهبه وحكم الله به واما الايجاز في العبارة فإن الذي هو نظير القتل انني للقتل قوله القصاص حيوة وهو عشرة احرف وذلك اربعة عشر حرفا واما بعده من الكلفة فهو ان في قولهم القتل انني للقتل تكريرا غيره ابلغ منه واما الحسن بتأليف الحروف المتلثة فإنه مدرك بالحس وموجود باللفظ فإن الخروج من اللام الى اللام عدل من الخروج من اللام الى اللام بعد الهجزة من اللام وكذلك الخروج من الصاد الى الحاء عدل من الخروج من اللام الى اللام فاجتماع هذه الامور التي ذكرناها كان ابلغ منه واحسن وان كان الاول حسنا بليغا وقد اخذه الشاعر فقال

أَبْلَغُ أَبَا مَسْمَعٍ عَنِّي مُعَلِّمَةٌ وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَامٍ

وهذا وان كان حسنا فينبه وبين لفظ القرآن ما بين اعلى الطبقة وادناها واول ما فيه ان ذلك استدعاء الى العتاب وهذا استدعاء الى العدل وفي ذلك ابهام وفي الآية بيان عجيب وقوله «يا اولي الابواب» معناه يا ذوي العقول لانهم الذين يعرفون العواقب ويصرون ذلك فلذلك خصهم «لعلكم تتقون» في لعل ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ انه بمعنى اللام اي لتتقوا (والثاني) انه للرجاء والطمع كأنه قال على رجاؤكم وطمعكم في التقوى (والثالث) على معنى التعرض اي على تعرضكم للتقوى وفي تتقون قولان ﴿ احدهما ﴾ لعلكم تتقون القتل بالحرف من القصاص عن ابن عباس والحسن وابن زيد (والثاني) لعلكم تتقون ربكم باجتناب معاصيه وهذا اعم قوله تعالى (١٨٠) كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ

لِلَّذِينَ هُمْ لِأَقْرَبِينَ بِالمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

المعروف هو العدل الذي لا يجوز ان ينكر ولا حيف فيه ولا جور والحضور وجود الشيء بحيث يمكن ان يدرك والحق هو الفعل الذي لا يجوز انكاره وقيل هو ما علم صحته سواء كان قولاً او فعلاً او اعتقاداً او هو مصدر حق يحق حقاً

﴿ الاعراب ﴾

قوله كتب عليكم المعنى وكتب عليكم الا ان الكلام اذا طال استغنى عن العطف بالواو وعلم ان معناه معنى الواو لأن القصة الاولى قد استتمت وفي القصة الثانية ذكر ما في الاولى فاتصلت هذه بتلك لأجل الذكر والوصية ارتفعت لأحد وجهين اما بانه اسم مالم يسم فاعله وهو كتب واما بانه مبتدأ وقوله للوالدين خبره والجملة في موضع رفع على الحكاية لأن معنى كتب عليكم قيل لكم الوصية للوالدين واما العامل في اذا ففيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ كتب فكأنه قيل كتب عليكم الوصية وقت المرض (والآخر) ما قاله الزجاج وهو ان الوصية رغب فيها في حال الصحة فتقديره كتب عليكم ان توصوا وانتم قادرون على الوصية قائلين اذا حضرنا الموت فلفلان كذا وحقا نصب على المصدر وتقديره احق ذلك حقا وقد استعمل على وجه الصفة بمعنى ذي الحق كما وصف بالعدل فعلى هذا يكون نصبا على الحال ويجوز ان يكون مصدر كتب من غير لفظه تقديره كتب كتابا

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه شريعة اخرى وهو الوصية فقال « كتب عليكم » اي فرض عليكم « اذا حضر احدكم الموت » اي اسباب الموت من مرض ونحوه من الهرم ولم يرد اذا عين الباس وملك الموت لأن تلك الحالة تشغله عن الوصية وقيل فرض عليكم الوصية في حال الصحة ان تقولوا اذا حضرنا الموت فافعلوا كذا « ان ترك خيرا » اي مالا واختلف في المقدار الذي يجب الوصية عنده فقال الزهري في القليل والكثير مما يقع عليه اسم المال وقال ابراهيم النخعي من الف درهم الى خمسمائة وقال ابن عباس الى ثمانمائة درهم وروي عن علي عليه السلام انه دخل على مولى له في مرضه وله سبعائة او ستائة درهم فقال الا اوصي فقال لا ان الله سبحانه قال ان ترك خيرا وليس لك كثير مال وهذا هو المأخوذ به عندنا لأن قوله حجة « الوصية للوالدين والاقربين » اي الوصية لوالديه وقرابته « بالمعروف » اي بالشيء الذي يعرف اهل التمييز انه لا جور فيه ولا حيف ويحتمل ان يرجع ذلك الى قدر ما يوصي لأن من يملك المال الكثير اذا اوصى بدرهم فلم يوص بالمعروف ويحتمل ان يرجع الى الموصى لهم فكأنه امر بالطريقة الجميلة في الوصية فليس من المعروف ان يوصي للغني ويترك الفقير ويوصي للقريب ويترك الاقرب منه ويجب حمله على كلا الوجهين « حقا على المتقين » اي حقا واجبا على من آثر التقوى وهذا تأكيد في الوجوب واختلف في هذه الآية فقيل أنها منسوخة وقيل انها منسوخة في الموارث ثابتة في غير الوارث وقيل انها غير منسوخة اصلا وهو الصحيح عند المحققين من اصحابنا لأن من قال انها منسوخة بآية الموارث فقولها باطل بأن النسخ بين الخبرين انما يكون اذا تناهى العمل بوجهها ولا تناهى بين آية الموارث وآية الوصية فكيف تكون هذه ناسخة بتلك مع فقد التناهي ومن قال انها منسوخة بقوله (ع) لا وصية لوارث فقد ابعد لأن الخبر لو سلم من كل قدح لكان يقتضي الظن ولا يجوز ان ينسخ كتاب الله تعالى الذي يوجب العلم اليقين بما يقتضي الظن ولو سلمنا الخبر مع ماورد من الظن على رواية خصصنا عموم الآية وحملناها على انه لا وصية لوارث بما يزيد على الثالث لأن ظاهر الآية يقتضي ان الوصية جائزة لهم بجميع ما يملك وقول من قال حصول الاجماع على ان الوصية ليست بفرض يدل على انها منسوخة يفسد بان الاجماع انما هو على انها لا تقيد بالفرض وذلك لا يمنع من كونها مندوبا اليها مرغبا فيها وقد روى اصحابنا عن ابي جعفر عليه السلام انه سئل هل تجوز الوصية للوارث فقال نعم وتلا هذه الآية وروى السكوني عن ابي عبد الله عن ابيه عن علي عليه السلام قال من لم يوص عند موته لذوي قرابته ممن لا يرث فقد ختم عمله بعمية ومما يؤيد ما ذكرناه ماروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية وعنه عليه السلام انه قال من لم يحسن وصيته عند موته كان نقصا في مروته وعقله وروى عن ابي عبد الله (ع) انه قال ما ينبغي لامرئ مسلم ان يبيت الا ووصيته تحت رأسه

قوله تعالى (١٨١) **فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** (آية)

﴿ المعنى ﴾

ثم اوعده سبحانه على تغيير الوصية فقال «فمن بدله» اي بدل الوصية وغيرها من الاوصياء والاولياء او الشهود وانما ذكر حملا على الايضاء كقوله فمن جاءه موعظة من ربه اي وعظ والتبديل تغيير الشيء عن الحق فيه بأن يوضع غيره في موضعه «بعد ما سمعه» من الموصي الميت وانما ذكر السماع ليبدل على ان الوعيد لا يلزم الا بعد العلم والسماع «فانما اثم» اي اثم التبديل «على الذين يبدلونه» اي على من يبدل الوصية ويرى الميت «ان الله سميع عليم» اي سميع لما قاله الموصي من العدل او الجنف عليم بما يفعله الوصي من التصحيح او التبديل وقيل سميع لوصاياكم عليم بنياتكم وقيل سميع بجميع السموعات عليم بجميع المعلومات وفي هذه الآية دلالة على ان الوصي والوارث اذا فرط في الوصية او غيرها الاياثم الموصي بذلك ولم يتقص من اجره شي . فانه لا يجازى احد على عمل غيره وفيها ايضا دلالة على بطلان قول من يقول ان الوارث اذا لم يقض دين الميت فانه يوءخذ به في قبره او في الآخرة لما قلناه من انه يدل على ان العبد لا يوءخذ بجرم غيره اذ لا اثم عليه بتبديل غيره وكذلك لو قضى عنه الوارث من غير ان يوصي به لم يزل ذلك عقابه الا ان يتفضل الله باسقاطه عنه

قوله تعالى (١٨٢) **فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير حفص ويعقوب موص بالتشديد وقرأ الباقون موص بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

ذكرناها عند قوله ووصى بها ابراهيم

﴿ اللغة ﴾

الجنف الجور وهو الميل عن الحق وقال صاحب العين هو الميل في الكلام وفي الامور كلها يقال جنف علينا فلان واجنف في حكمه وهو مثل الحيف إلا أن الحيف في الحكم خاصة والجنف عام ورجل اجنف في احد شقيه ميل على الآخر قال الشاعر في الجنف
إني امرؤٌ منعتُ أرومةَ عاصمٍ ضيبي وقد جنفتُ عليَّ خصومُ

﴿ الاعراب ﴾

من في قوله من موص يتعلق بمحدوف تقديره فمن خاف جنفا كائنا من موص فوضع الجار

والمجرور مع المحذوف نصب على الحال وذو الحال قوله جنفا وبين ظرف مكان لا صلح والضمير في بينهم عائذ الى معلوم بالدلالة عليه عند ذكر الموصي والاصلاح لانه يدل على الموصى لهم ومن ينازعهم وانشد الفراء في مثله

أَعْمَى إِذَا مَا جَارِي خَرَجَتْ حَتَّى يُوَارِي جَارِي الخَدْرُ
وَيَصْمُ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمِعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقَرُّ

اراد بينها وبين زوجها وانما ذكرها وحدها

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم الوعيد لمن بدل الوصية بين في هذه الآية ان ذلك يلزم من غير حقا بباطل فاما من غير باطلا بحق فهو محسن فقال «فمن خاف» اي خشى وقيل علم لأن في الخوف طرفا من العلم وذلك ان القائل اذا قال اخاف ان يقع امر كذا فكانه يقول اعلم وانما يخاف لعلمه بوقوعه ومنه قوله وانذر به الذين يخافون ان يحشر والى ربهم وقوله الا ان يخافوا الا يقيما حدود الله «من موص جنفا» اي ميلا عن الحق فيما يوصي به فان قيل كيف قال فمن خاف لما قد وقع والخوف انما يكون لما لم يقع قيل ان فيه قولين ﴿احدهما﴾ انه خاف ان يكون قد زل في وصيته فالخوف يكون للمستقبل وهو من ان يظهر ما يدل على انه قد زل لانه من جهة غالب الظن (والثاني) انه لما اشتمل على الواقع وعلى ما لم يقع جاز فيه خاف فيأمره بما فيه الصلاح فيما لم يقع وما وقع رده الى العدل بعد موته وقال الحسن الجلف هو ان يوصي به في غير قرابة وانما قال ذلك لان عنده الوصية للقرابة واجبة والامر بخلافه وقيل المراد من خاف من موص في حال مرضه الذي يريد ان يوصي جنفا وهو ان يعطي بعضا ويضر ببعض فلا اثم عليه ان يشير عليه بالحق ويرده الى الصواب ويصلح بين الموصي والورثة والموصى له حتى يكون الكل راضين ولا يحصل جنف ولا اثم ويكون قوله فاصح بينهم اي فيما يخاف بينهم من حدوث الخلاف فيه فيما بعد ويكون قوله فمن خاف على ظاهره ويكون الخوف مترقبا غير واقع وهذا قريب غير ان الاول عليه اكثر المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقوله «واثما» الاثم ان يكون الميل عن الحق على وجه العمد والجلف ان يكون على جهة الخطأ من حيث لا يدري انه يجوز وهو معنى قول ابن عباس والحسن وروي ذلك عن ابي جعفر (ع) «فاصلح بينهم» اي بين الورثة والمختلفين في الوصية وهم الموصى لهم «فلا اثم عليه» لانه متوسط مريد للاصلاح وانما قال لا اثم عليه ولم يقل يستحق الاجر لأن المتوسط انما يجري امره في الغالب على ان ينقص صاحب الحق بعض حقه بسوء الهياه فيبين سبحانه لنا انه لا اثم عليه في ذلك اذا قصد الاصلاح وقيل انه لما بين اثم المبدل وهذا ايضا ضرب من التبديل بين مخالفته للاول بكونه غير مأثوم برده الوصية الى العدل «فان الله غفور رحيم» يعني

اذا كان يغفر الذنوب ويرحم المذنب فاولى واحرى ان يكون كذلك ولا ذنب وروي عن الصادق
عليه السلام في قوله جنفا او اثما انه بمعنى اذا اعتدى في الوصية وزاد على الثلث وروي ذلك
عن ابن عباس وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من حضره
الموت فوضع وصيته على كتاب الله كان ذلك كفارة لما ضيع
من زكاته في حياته وبالله التوفيق
آخر المجلد الاول وفرغ من تأليفه يوم السبت لثلاث بقين
من شعبان سنة ثلاثين وخمسة مائة وما النصر
الامن عند الله وما توفيقى الابالله

﴿ الجزء الثاني ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى (١٨٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ
مِن قَبْلِكُمْ أَعْلَمُكُمْ تَتَّقُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الصوم في اللغة الإمساك ومنه يقال لصمت صرم لأنه إمساك عن الكلام قال ابن دريد كل شيء نسكت
حركته فقد صام صوما وقال النابغة

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمٍ تَحْتَ الْعَجَاجِ وَآخِرُ تِلْكَ الْجَمَا

أي قيام وصامت الريح أي ركبت وصامت الشمس إذا استوت في منتصف النهار وصام النهار أيضا بمعناه
قال امرؤ القيس

فَدَعَهَا وَوَسَلَّ اللَّهُ عَنْكَ بِحَسْرَةٍ ذَمُولٌ إِذَا صَامَ النَّهَارَ وَهَجْرًا

والصوم ذوق النعمان واصل الباب الإمساك وهو في الشرع إمساك عن أشياء مخصوصة على وجه مخصوص
معنى هو على صفات مخصوصة في زمان مخصوص فالاسم شرعي وفيه معنى اللغة والصيام بمعنى الصوم يقال
صمت صوما وصياما

﴿ الإعراب ﴾

الصيام رفع بما لم يسم فاعله وقوله كما كتب أي مثل ما كتب فما هذه مصدرية وتقدير الكلام كتب
عليكم الصيام. كتابا مثل كتابته على الذين من قبلكم فحذف المصدر واقيم صفته مقامه ويحتمل أن
يكون موضع الكاف نوبا على الحال من الصيام وتقديره كتب عليكم الصيام مفروضا أي في هذه الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه فريضة أخرى فقال (يا ايها الذين آمنوا) أي يا ايها المصدقون وروي عن الصادق عليه السلام
انه قال : لذة ما في التدا ازال تعب العبادة والعنا وقال الحسن : اذا سمعت الله عز وجل يقول يا ايها الذين آمنوا
فارع لها سمعك فإنها لأمر تؤمر به او تنهي تنهى عنه (كتب عليكم الصيام) أي فرض عليكم العبادة المعرفة
في الشرع وانما خص المؤمنين بالخطاب لقبولهم لذلك ولأن العبادة لا تصح إلا منهم ووجوبه عليهم لا يتأني
وجوبه على غيرهم وقوله (كما كتب على الذين من قبلكم) فيه اقوال أحدها انه شبه فرض صومنا بفرض صوم
من تقدمنا من الأمم أي كتب عليكم صيام أيام كما كتب عليهم صيام أيام فليس فيه تشبيه عدد الصوم
المفروض علينا ولا وقته بعدد الصوم المفروض عليهم او وقته وهو اختيار أبي مسلم والجبائي ﴿ وثانيها ﴾ انه
فرض علينا صوم شهر رمضان كما كان فرض صوم شهر رمضان على النصارى وكان يتفق ذلك في الحر الشديد
والبرد الشديد فحولوه الى الربيع وزادوا في عدده عن الشعبي والحسن وقيل كان الصوم علينا من العتمة الى
العتمة ثم اختلف فيه فقال بعضهم كان يحرم الطعام والشراب من وقت صلاة العتمة الى وقت صلاة العتمة وقال
بعضهم كان يحرم من وقت النوم الى وقت النوم ثم نسخ ذلك فالمراد بقوله الذين من قبلكم النصارى على قول
الحسن والشعبي واهل الكتاب من اليهود والنصارى على قول غيرهما وقوله (لعلكم تتقون) أي لكي تتقوا
المعاصي بفعل الصوم عن الجبائي وقيل لتكونوا اتقياء بما اطفأ لكم في الصيام فإنه اقوى الرسائل والوصول الى الكف

عن المعاصي كما روي عن النبي (ص) انه قال: خصاء امتي الصوم وسأل هشام بن الحكم ابا عبد الله عن علة الصيام فقال انما فرض الصيام ليستوي به الغني والفقير وذلك لأن الغني لم يكن ليجد مس الجوع فيرحم الفقير فأراد الله سبحانه أن يذيق الغني من الجوع ليرق على الضعيف ويرحم الجائع

قوله تعالى (١٨٤) اياماً معدوداتٍ فمن كان مريضاً او على سفرٍ فعِدَّةٌ من ايامٍ آخر
وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكينٍ فمن تطوع خيراً فهو خيرٌ له وأن تصوموا
خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون (آية)

﴿ القراءه ﴾

قرأ ابو جعفر ونافع وابن عامر فدية طعام مسكين على اضافة فدية الى طعام وجمع المساكين وقرأ الباقرن فدية منونة طعام رفع مسكين موحد مجرورا وقرأ حمزة والكسائي ومن يطوع خيرا والباقرن تطوع وقد مضى ذكره وروي في الشواذ يطوقونه عن ابن عباس بخلاف وعائشة وسعيد بن المسيب وعكرمة وعطا يطوقونه على معنى فيطوقونه عن مجاهد وعن ابن عباس وعن عكرمة وروي عن ابن عباس ايضا يطوقونه ويطيقونه ايضا

﴿ الحجة ﴾

من قرأ فدية طعام مسكين طعام مسكين عطف بيان لفدية وافراد مسكين جائز وان كان المعنى على الكثرة لأن المعنى على كل واحد طعام مسكين قال ابو زيد يقال اتينا الامير فكسانا كلنا حلة واعطانا كلنا مائة واما من اضاف الفدية الى طعام كاضافة البعض الى ما هو بعض له فإنه سمي الطعام الذي يفدى به فدية ثم اضاف الفدية الى الطعام الذي يعم الفدية وغيرها وهو على هذا من باب خاتم حديد واما من قرأ يطوقونه فإنه يفعلونه من الطاقة فهو كقوله يجشمونه ويكلفونه ويجعل لهم كالطوق في اعناقهم ويطوقونه كقولك يتكلفونه ويتجشمونه واما من قرأ يتطيقونه فإنه يتطيقونه يتفعلونه الا ان العينين ابدلتا ياء كما قالوا في تهوير الجرف تهير ويطيقونه يفعلونه منه

﴿ اللغة ﴾

السفر اصله من السفر الذي هو الكشف تقول سفر يسفر سفرا او انسفرت الاوبل اذا انكشفت ذاهبة وسفرت الريح السحاب قال العجاج (سفر الشال الزبرج المزبرجا) الزبرج السحاب الرقيق وفي السفر يظهر مالا يظهر الابه وينكشف من اخلاق الناس ما لا ينكشف الابه والعدة فعلة من العدد وهي بمعنى المعدود كالطحن بمعنى المطحون والحمل بمعنى المحمول والطوق الطاقة وهي القوة يقال طاق الشيء يطوقه طوقا وطاقة واطاق إطاقة اذا قوي عليه وطوقه تطويقا بسه الطوق وهو معروف من ذهب كان او من فضة لانه يكسبه قوة بها يعطيه من الجلالة وكل شيء استدار فهو طوق وطوقه الامير اي جعله كالطوق في عنقه

﴿ الإعراب ﴾

اياما قال الزجاج يجوز في انتصابه وجهان ﴿١﴾ احدهما ﴿٢﴾ ان يكون ظرفا كأنه كتب عليكم الصيام في ايام والعامل فيه الصيام كان المعنى كتب عليكم ان تصوموا اياما وقال بعض النحويين انه مفعول ما لم يسم فاعله نحو قولك اعطني زيد المال قال وليس هذا بشي لأن الايام هاهنا متعلقة بالصوم وزيد والمال مفعولان لا اعطي فلذلك أن تقيم ايها شئت مقام الفاعل وليس في هذا الا نصب ايام بالصيام قال ابو علي اياما يجوز في انتصابه وجهان ﴿٣﴾ احدهما ﴿٤﴾ ان ينتصب على الظرف والاخر ان ينتصب انتصاب المفعول به على السعة فاذا انتصب

على انه ظرف جاز ان يكون العامل فيه كتب فيكون التقدير كتب عليكم الصيام في ايام وان شئت اتسعت
 انتصيته نصب المفعول به فتقول على هذا يا مكتوب ايام عليه او يا كاتب ايام الصيام انما اجاز اضافة اسم الفاعل
 او المفعول الى ايام لاخراجك اياه عن ان يكون ظرفا واتساعتك في تقديره اسما واذا كان الامر على ما ذكرناه
 كان ما منعه ابو اسحاق من اجازة من اجاز ان كتب عليكم الصيام اياما بمنزلة اعطى زيد المال جائز غير ممتنع
 قال ولا يستقيم ان ينتصب اياما بالصيام على ان يكون المعنى كتب عليكم الصيام في ايام لأن ذلك وان
 كان مستقيا في المعنى فهو في اللفظ ليس كذلك الا ترى انك اذا حملته على ذلك فصلت بين الصلة والموصول
 بأجنبي منها وذلك ان اياما تصير من صلة الصيام وقد فصلت بينهما بمصدر كتب لأن التقدير كتب عليكم
 الصيام كتابة مثل كتابته على من كان قبلكم فالكاف في كما متعلقة بكتب وقد فصلت بها بين المصدر
 وصلته وليس من واحد منهما واقول انه يستقيم ان ينتصب اياما بالصيام اذا جعلت الكاف من قوله كما كتب
 على الذين من قبلكم في موضع نصب على الحال اي مفروضا مثل ما فرض عليهم فيكون ما موصولا وكتب
 صلته وفي كتب ضمير يعود الى ما والموصول وصلته في موضع جر باضافة الكاف اليه والكاف موضع النصب
 بأنه صفة للمحذوف الذي هو الحال من الصيام فعلى هذا لم يفصل بين الصلة والموصول وما هو اجنبي منهما على
 ما ذكره الشيخ ابو علي وقوله فعدة من ايام آخر تقديره فعليه عدة فيكون ارتفاع عدة على الابتداء على
 قول سيبويه وعلى قول الاخفش يكون مرتفعا بالظرف على ما تقدم بيانه ويجوز ان يكون تقديره والذي
 ينوب عن صومه في وقت الصوم عدة من ايام اخر فيكون عدة خبر الابتداء وأخر لا ينصرف لأنه وصف
 معدول عن الالف واللام لأن نظائرها من الصغر والكبر لا يستعمل الا بالالف واللام لا يجوز نسوة صغر
 وان تصوموا في موضع رفع بالابتداء. وخير خبره ولكم صفة الخبر

المعنى

(اياما معدودات) اي معلومات محصورات مضبوطات كما يقال اعطيت مالا معدودا اي محصورا متعينا ويجوز
 ان يريد بقوله معدودات انها قلائل كما قال سبحانه دراهم معدودة يريد انها قليلة واختلف في هذه الأيام
 على قولين أحدهما انها غير شهر رمضان وكانت ثلاثة ايام من كل شهر ثم نسخ عن معاذ وعطاء وعن
 ابن عباس وروي ثلاثة ايام من كل شهر وصوم عاشورا عن قتادة ثم قيل انه كان تطوعا وقيل بل كان واجبا
 واتفق هو لا. على ان ذلك منسوخ بصوم شهر رمضان والآخر ان المعنى بالمعدودات شهر رمضان عن ابن عباس والحسن
 واختاره الجبائي وابو مسلم وعليه اكثر المفسرين قالوا اوجب سبحانه الصوم اولا فاجمله ولم يبين انها يوم او
 يومان ام اكثر ثم بين انها ايام معلومات وابهم ثم بينه بقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن قال القاضي
 وهذا اولى لأنه اذا امكن حمله على معنى من غير اثبات نسخ كان اولى ولأن ما قالوه زيادة لا دليل عليه
 (فن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر) عطف قوله على سفر وهو ظرف على قوله مريضا وهو اسم مع
 ان الظرف لا يعطف على الاسم لأنه وان كان ظرفا فهو بمعنى الاسم وتقديره فمن كان منكم مريضا او
 مسافرا فالذي ينوب عن صومه عدة من ايام اخر وفيه دلالة على ان المسافر والمريض يجب عليهما الافطار
 لأنه سبحانه اوجب القضاء بنفس السفر والمرض ومن قدر في الآية فافطر فقد خالف الظاهر وقد ذهب الى وجوب
 الإفطار في السفر جماعة من الصحابة كعمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن
 عوف وابي هريرة وعروة بن الزبير وهو المروي عن ائمتنا فقد روي ان عمر بن الخطاب امر رجلا صام في السفر
 ان يعيد صومه وروي يوسف بن الحكم قال سألت ابن عمر عن الصوم في السفر فقال ارأيت لو تصدقت على
 رجل صدقة فردها عليك الا تغضب فإنها صدقة من الله تصدق بها عليكم وروي عبد الرحمن بن عوف قال

قال رسول الله الصائم في السفر كالمفطر في الحضر وروى عن ابن عباس انه قال الا افطار في السفر عزيمة وروى أصحابنا عن ابي عبد الله انه قال الصائم في شهر رمضان في السفر كالمفطر فيه في الحضر وعنه (ع) قال لو ان رجلا مات صائماً في السفر لما صايت عليه وعنه (ص) قال من سافر افطر وقصر الا ان يكون رجلاً سافر الى صيد او في معصية الله وروى المياشي باسناده مرفوعاً الى محمد بن مسلم عن ابي عبد الله قال لم يكن رسول الله يصوم في السفر تطوعاً ولا فريضة حتى نزلت هذه الآية بكراخ الغميم عند صلاة المهجير فدعا رسول الله باناء فيه ماء فشرب وامر الناس ان يفطروا فقال قوم قد توجه النهار ولو تمننا يوماً هذا فسمعهم رسول الله العصاة فلم يزالوا يسمون بذلك الاسم حتى قبض رسول الله (وعلى الذين يطيقونه) اها، يعود الى الصوم عند اكثر اهل العلم اي يطيقون الصوم خير الله المطيقين الصوم من الناس كلهم بين ان يصوموا ولا يكفروا وبين ان يفطروا ويكفروا عن كل يوم بلوطعام مسكين لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ ذلك بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقيل ان اها، يعود الى الفداء عن الحسن وابي مسلم واما المعنى بقوله الذين يطيقونه ففيه ثلاثة اقوال (اولها) انه ساير الناس كما قدمنا ذكره من التخيير والنسخ بعده وهو قول ابن عباس والشعبي وثانيها ان هذه الرخصة كانت للحوامل والمراضع والشيخ الفاني ثم نسخ من الآية الحامل والمرضع وبقي الشيخ الكبير عن الحسن وعطا (وثالثها) ان معناه وعلى الذين كانوا يطيقونه ثم صاروا بحيث لا يطيقونه ولا نسخ فيه عن السدي وقد رواه بعض اصحابنا عن ابي عبد الله ان معناه وعلى الذين كانوا يطيقون الصوم ثم اصابهم كبر او عطاش وشبه ذلك فليصم كل يوم مد وروى علي بن ابراهيم باسناده عن الصادق عليه السلام وعلى الذين يطيقونه فدية من مرض في شهر رمضان فافطر ثم صح فلم يقض ما فاتته حتى جاء شهر رمضان آخر فعليه ان يقضي ويتصدق لكل يوم مداً من طعام وقوله (فدية طعام مسكين) اختلف في مقدار الفدية فقال اهل العراق نصف صاع عن كل يوم وقال الشافعي عن كل يوم مد وعندنا ان كان قادراً فمدان فإن لم يقدر اجزأه مد واحداً وقوله (فمن تطوع خيراً فهو خير له) قيل معناه من اطعم اكثر من مسكين واحد عن عطاء طارس وقيل اطعم المسكين الواحد اكثر من قدر الكفاية حتى يزيد على نصف صاع عن مجاهد ويجمع بين القولين قول ابن عباس من التطوع بزيادة الاطعام وقيل معناه من عمل نبراً في جميع الدين فهو خير له عن الحسن وقيل من صام مع الفدية عن الزهري وقوله (وان تصوموا خيراً لكم) اي وصومكم خير لكم من الافطار والفدية وكان هذا مع جواز الفدية فأما بعد النسخ فلا يجوز ان يقال الصوم خير من الفدية مع ان الافطار لا يجوز اصلاً وقيل معناه الصوم خير لمطيقه وافضل ثواباً من التكفير لمن افطر بالعجز (ان كنتم تعلمون) ان الصوم خير لكم من الفدية وقيل ان كنتم تعلمون افضل اعم الكم وفي قوله سبحانه وعلى الذين يطيقونه دلالة على ان الاستطاعة قبل الفعل

قوله تعالى (١٨٥) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي اُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا اَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ اَيَّامٍ اٰخَرَ يَرْيَدُ اللّٰهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللّٰهَ عَلٰى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (آية)

﴿١٨٥﴾ القِرَاءَةُ ﴿١٨٥﴾

قرأ ابو بكر عن عائشة ولتكملوا بالثبديد والباقون لتكملوا بالتخفيف وقرأ ابو جعفر العسر واليسر بالتثنية فيه ما والباقون بالتخفيف

الحجة

حجة من قرأوا لتكملوا قوله الرم اكلمت لكم دينكم من قرأوا وتكلموا فلان فعل وافعل شيئا ما يستعمل احدهما موضع الآخر قال النازقة

فكملت ما نة منها حجاتها واسرعت حجة في ذلك العدد

اللغة

الشهر معروف وجمعه في القلة اشهر وفي الكثرة شهور واصله من اشتهاه بالهلل يقال شهرت الحديث اظهرته وشهرت السيف انتضيته واثان شهيرة عريضة ضخمة واصل الباب الظهور واصل رمضان من الرمش وهو شدة وقع الشمس على الرمل وغيره واثا سموه رمضان لانهم سموا الشهور بالازمنة التي وقعت فيها فوافر رمضان اياهم وقد جمعوا رمضان على رمضانات وقيل ان رمضان اسم من اسماء الله فروي عن مجاهد لا تقل رمضان ولكن قل شهر رمضان فإنك لا تدري ما رمضان وقد جاء في الاخبار المروية عن النبي (ص) انه قال من صار رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقيل انها سمي رمضان لانه يرمض الذنوب اي يحرقها والقرآن اصله الجمع لقولهم ما قرأت الناقة سلا قط اي ما جمعت رحمها على سلا ومنه القراءة والقارئ لانه يجمع الحروف والفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل والارادة اصلها الواو لانك تقول راودته على ان يفعل كذا مراودة ومنه راديرود روادا فهو رائد وفي المثل الرائد لا يكذب اهله واصل الباب الطلب والارادة بمعنى الطلب للمراد لانها كالسبب له واليسر ضد العسر واليسار الغنى والسعة واليسار اليد اليسرى واليسر الجماعة يجتمعون على الجزور في اليسر والجمع الايسار واصل الباب السهولة واصل العسر الصلابة يقال عسر الشيء عسرا ورجل عسر يعمل بشماله واعسر الرجل اذا افتقر وضده اليسر ويقال كل الشيء واكلمته وكلمته اي قمته

الاعراب

شهر رمضان في ارتفاعه ثلاثة اوجه (احدهما) أن يكون خبر مبتدا محذوف يدل عليه قوله اياما اي هي شهر رمضان (والثاني) ان يكون بدلا من الصيام فكأنه قال كتب عليكم شهر رمضان (والثالث) ان يرتفع بالابتداء ويكون خبره الذي انزل فيه القرآن وان شئت جعلت الذي أنزل فيه القرآن صفة له واضمرت الخبر حتى كأنه قال وفيها كتب عليكم شهر رمضان اي صيام شهر رمضان ولا ينصرف رمضان للتعريف وزيادة الالف والنون المضارعتين لالفي التأنيث ويجوز في العربية شهر رمضان بالنصب من وجهين (احدهما) صوموا شهر رمضان والآخر على البدل من قوله اياما فقوله هدى في موضع النصب على الحال اي هاديا للناس وقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فالشهر ينتصب على انه ظرف لا على انه مفعول به لانه لو كان مفعولا به لزم الصيام المسافر كما يلزم المقيم من حيث أن المسافر يشهد الشهر شهادة المقيم فلما لم يلزم المسافر علمنا ان معناه فمن شهد منكم المصر في الشهر ولا يكون مفعولا به كما لو قلت احيت شهر رمضان يكون مفعولا فان قلت كيف جاء ضميره متصلا في قوله فليصمه اذا لم يكن مفعولا به قلنا لان الاتساع وقع فيه بعد ان استعمل ظرفا على ما تقدم بيان امثاله واثا عطف الظرف على الاسم في قوله ومن كان مريضا او على سفر لانه بمعنى الاسم فكأنه قال او مسافرا كقوله سبحانه دعانا لجنبه او قاعدا او قائما اي دعانا مضطجعا واما العطف باللام في قوله وتكملوا العدة ففيه وجهان (احدهما) انه عطف جملة على جملة لان بعده محذوفا وتقديره وتكملوا العدة شرع ذلك او اريد ذلك ومثله قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين اي وليكون من الموقنين اربناه ذلك (والثاني) ان يكون عطفا على تأويل محذوف ودل عليه ما تقدم من الكلام لانه لما قال يريد الله بكم اليسر دل على انه قد فعل ذلك

ليسهل عليكم فجازوا وتكملوا العدة عطفًا عليه قال الشاعر

يا رب غير آيهن مع اللى
يا رب غير آيهن مع اللى
والمشجج اما سواء قداله
والمشجج اما سواء قداله

أي سائرہ فعطف على تأويل الكلام كأنه قال بها رواكذ ومشجج هذا قول الزجاج والاول قول الفراء.

المعنى

ثم بين سبحانه وقت الصوم فقال (شهر رمضان) أي هذه الأيام المعدودات وشهر رمضان أو كتب عليكم شهر رمضان أو شهر رمضان هو الشهر (الذي انزل فيه القرآن) فبين أنه خصه بالصوم فيه لاختصاصه بالفضائل المذكورة وهو أنه انزل فيه القرآن الذي عليه مدار الدين والإيمان ثم اختلف في قوله انزل فيه القرآن فقيل إن الله انزل جميع القرآن في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ثم انزل على النبي بعد ذلك نجومًا في طول عشرين سنة عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وهو المروي عن أبي عبد الله وقيل إن الله تعالى ابتداءً أنزله في ليلة القدر من شهر رمضان عن ابن إسحاق وقيل أنه كان ينزل إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ما يحتاج إليه في تلك السنة جملة واحدة ثم ينزل إلى مواقع النجوم رسالًا في الشهور والأيام عن السدي يسنده إلى ابن عباس وروى الثعلبي بإسناده عن أبي ذر الغفاري عن النبي (ص) أنه قال انزلت صحف إبراهيم ثلاث مئين من شهر رمضان وفي رواية الواحدي في أول ليلة منه وانزلت توراة موسى است مئين من شهر رمضان وانزل أنجيل عيسى ثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان وانزل زيور داود لثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل الفرقان على محمد لأربع وعشرين من شهر رمضان وهذا بعينه رواه العياشي عن أبي عبد الله عن آبائه عن النبي (ص) وقيل المراد بقوله انزل فيه القرآن أنه انزل في فرضه وإيجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه معنى في فرضه كما يقول القائل انزل الله في الزكاة كذا يريد في فرضها ثم وصف سبحانه القرآن بقوله (هدى للناس) أي هاديا للناس ودالًا لهم على ما كلفوه من العلوم (وبيئات من الهدى) أي ودلالات من الهدى وقيل المراد بالهدى الأول الهدى من الضلالة وبالثاني بيان الحلال والحرام عن ابن عباس وقيل أراد بالأول ما كلف من العلم وبالثاني ما يشتمل عليه من ذكر الأنبياء وشرائعهم وأخبارهم لأنها لا تدرك إلا بالقرآن عن الأصم والقاضي وقوله (والفرقان) أي وما يفرق بين الحق والباطل وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العمل به وروى الحسن بن محبوب عن أبي أيوب عن أبي الررد عن أبي جعفر قال خطب رسول الله (ص) الناس في آخر جمعة من شعبان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس: إنه قد اظلمت لكم شهر فيه ليلة خير من ألف شهر وهو شهر رمضان فرض الله صيامه وجعل قيام ليلة فيه بتطوع صلاة كمن تطوع بصلاة سبعين ليلة فيما سواه من الشهور وجعل لمن تطوع فيه بخصلة من خصال الخير والبر كأجر من أدى فريضة من فرائض الله فيما سواه ومن أدى فيه فريضة من فرائض الله كان كمن أدى سبعين فريضة من فرائض فيما سواه من الشهور وهو شهر الصبر وإن الصبر ثوابه الجنة وهو شهر المواساة وهو شهر يزيد الله فيه من رزق المؤمنين ومن فطر فيه مؤمنًا صائمًا كان له بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة لذنوبه فيما مضى وقيل له يا رسول الله ليس كلنا نقدر على أن نفطر صائمًا قال إن الله كريم يعطي هذا الثواب من لم يقدر منكم إلا على مذقة من لبن يفطر بها صائمًا أو شربة من ماء عذب أو تميرات لا يقدر على أكثر من ذلك ومن خفف فيه عن مملوكه خفف الله عليه حسابه وهو شهر أو له رحمة وأوسطه مغفرة وآخره اجابة والعتق من النار ولا غنى بكم فيه عن أربع خصال خصلتين ترضون الله بهما وخصلتين لا غنى لكم عنهما فأما اللتان ترضون الله بهما فشهادة أن لا إله إلا الله وإني رسول الله وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله فيه حرانجكم والجنة وتسالون الله فيه العافية وتتعوذون به من النار وفي رواية

سلمان الفارسي فاستكثروا فيه من اربع خصال خصلتان ترضون بهما ربكم وخصلتان لا غنى بكم عنهما
 فاما الخصلتان اللتان ترضون ربكم بهما فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه واما اللتان لا غنى بكم عنهما
 فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار وقال رسول الله نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح ودعاؤه مستجاب
 وعمله مضاعف وقوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فيه وجهان (احدهما) فمن شهد منكم المصرو وحضر
 ولم يغب في الشهر والايام واللام في الشهر للعهد والمراد به شهر رمضان فليصم جميعه وهذا معنى ما رواه
 زرارة عن أبي جعفر أنه قال لما سئل عن هذه ما أبينها لمن عاها قال من شهد شهر رمضان فليصمه ومن سافر فيه
 فليفطر وقد روي ايضا عن علي وابن عباس ومجاهد وجماعة من المفسرين انهم قالوا من شهد الشهر بأن دخل
 عليه الشهر وهو حاضر فعليه ان يصوم الشهر كله (والثاني) من شاهد منكم الشهر بقيا مكلفا فليصم الشهر
 بعينه وهذا نسخ للتخيير بين الصوم والفدية وإن كان موصولا به في التلاوة لأن الانفصال لا يعتبر عند التلاوة
 بل عند الاتزال والاول اقوى وقوله (ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من ايام أخر) قد مضى تفسيره
 في الآية المتقدمة وحده المرض الذي يوجب الافطار ما يخاف الانسان معه الزيادة المفرطة في مرضه وروى ابو
 بصير قال سألت ابا عبد الله عن حد المرض الذي على صاحبه فيه الافطار قال هو موطن عليه مفوض اليه فإن وجد
 ضعفا فليفطر وان وجد قوة فليصم كان المرض على من كان وروي ايضا أن ذلك كل مرض لا يقدر على القيام
 بمقدار زمان صلاته وبه قال الحسن وفي ذلك اختلاف بين الفقهاء واما السفر الذي يوجب الافطار عندنا فما كان
 مباحا وطاعة وكانت المسافة ثمانية فراسخ اربعة وعشرين ميلا وعند الشافعي ستة عشر فرسخا وعند ابي حنيفة
 اربعة وعشرين فرسخا واختاف في العدة من الايام الاخر فقال الحسن وجماعة هي على التضييق إذا برى المريض
 او قدم المسافر وقال ابو حنيفة موسع فيها وعندنا موقت فيا بين رمضانين وتجوز متابعة ومتفرقة والتتابع افضل
 فإن فرط حتى لحقه رمضان آخر لزمه الفدية والقضاء به قال الشافعي وقوله (يريد الله بكم اليسر) أي في الرخصة
 للمريض والمسافر إذ لم يوجب الصوم عليهما وقيل يريد الله بكم اليسر في جميع أموركم (ولا يريد بكم العسر)
 أي التضييق عليكم وفيه دلالة على بطلان قول المجبرة لأنه بين أن في أفعال المكلفين ما يريد سبحانه وهو اليسر
 وفيها ما لا يريد وهو العسر ولأنه إذا كان لا يريد بهم العسر فإن لا يريد تكليف ما لا يطاق اولى وقوله
 (ولتكملوا العدة) تقديره يريد الله لأن يسهل عليكم ولأن تكملوا أي تتموا عدة ما افطرتم فيه وهي أيا السفر والمرض
 بالقضاء إذا اقمتم ورائتم فتصوموا بالقضاء بعدد ايام الافطار وعلى القول الآخر فتقده به ولا يكال العادة شرع الرخصة
 في الافطار ويحتمل ان يكون معناه وتكملوا عدة الشهر لأنه مع الطاقة وعدم العذر يسهل عليه اكمال
 العدة والمريض والمسافر يتعسر عليهما ذلك فيكملان العدة في وقت آخر ومن قال ان شهر رمضان لا ينقص
 ابدا استدلل بقوله وتكملوا العدة وقال بين تعالى أن عدة شهر رمضان محصورة يجب صيامها على الكمال
 ولا يدخلها نقصان ولا اختلال فالجواب عنه من وجهين (احدهما) ان المراد اكملوا العدة التي وجب عليكم
 صيامها وقد يجوز ان يكون هذه العدة تارة ثلاثين وتارة تسعة وعشرين والآخر ما ذكرناه من أن المراد راجع
 الى القضاء ويؤيده انه سبحانه ذكره عقيب ذكر السفر والمرض وقوله (ولتكبروا الله على ما هداكم) المراد به
 تكبير ليلة الفطر عقيب أربع صلوات المغرب والعشاء الآخرة والعدة وصلاة العيد على مذهبنا وقال ابن
 عباس وجماعة التكبير يوم الفطر وقيل المراد به ولتعظموا الله على ما ارشدكم له من شرائع الدين (ولعلمكم تشكرون)
 اي لتشكروا الله على نعمه

قوله تعالى (١٨٦) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَحْبَبْتُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا

فيه مفسدة له ولا لغيره ويشترط ذلك بلسانه او ينويه بقلبه فانه سبحانه يجيبه إذا اقتضت المصلحة اجابته او يؤخر الإجابة إن كانت المصلحة في التأخير وإذا قيل إن ما تقتضيه الحكمة لا بد أن يفعله فما معنى الدعاء واجابته فجوابه ان الدعاء عبادة في نفسها يعبد الله سبحانه بها لما في ذلك من اظهار الخضوع والانقياد اليه سبحانه وايضا فإنه لا يمتنع أن يكون وقوع ما سأله انما صار مصاحبة بعد الدعاء ولا يكون مصاحبة قبل الدعاء ففي الدعاء هذه الفائدة ويؤيد ذلك ما روي عن ابي سعيد الخدري قال قال النبي (ص) ما من مسلم دعا الله سبحانه بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا اثم الا اعطاه الله بها احدي خصال ثلاث اما أن يعجل دعوته وإما أن يؤخر له في الآخرة وإما أن يدفع عنه من السوء. مثله قالوا يا رسول الله إذا نكثرت قال الله أكثر وفي رواية انس بن مالك الله أكثر واطيب ثلاث مرات وروي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله إن العبد ليدعو الله وهو يحبه فيقول يا جبرائيل لا تقض لعبي هذا حاجته واخرها فإني أحب ان لا ازال اسمع صوته وان العبد ليدعو الله وهو يبغضه فيقول يا جبرائيل اقض لعبي هذا حاجته باخلاصه وعجايبها فإني اكره ان اسمع صوته وروي عن أمير المؤمنين (ع) انه قال ربنا اخرت عن العبد اجابة الدعاء ليكون اعظم لأجر السائل واجزل لإعطاء الأمل وقيل لابراهيم بن ادهم ما بالنا ندعو الله سبحانه فلا يستجيب لنا فقال لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته وعرفتم القرآن فلم تعملوا بما فيه واكتمتم نعمته فلم تودوا شكرها وعرفتم الجنة فلم تطالبوها وعرفتم النار فلم تهربوا منها وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه وعرفتم الموت فلم تستعدوا له ودفنتم الاموات فلم تعتبروا بهم وتركتهم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس

قوله تعالى (١٨٦) احل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباسكم وانتم لباسهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان بارشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم انموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون (آية)

اللغة

الرفث الجماع ههنا بلا خلاف وقيل ان اصله القول الفاحش فكسبى به عن الجماع قال العجاج « عن اللغاورفث التكلم » قال الاخفش انما عدت بالي في الآية لأنه بمعنى الإفضاء واللباس الثياب التي من شأنها ان تستر الأبدان ويشبه به الاغشية فيقال لبس السيف بالخلية والعرب تسمي المرأة لباسا وازارا قال الشاعر

إذا ما الضجيج فني عطفه تثنت فكانت عليه لباسا

وقال

الا ابلغ ابا حفص رسولا فدى لك من اخي ثقة ازارى

قال اهل اللغة معناه امرأتى والاختيان الخيانة يقال خانه يخونونه خونا وخيانة واختانه اختيانا (وخائنة الأعين) مسارقة النظر الى ما لايجل واصل الباب منع الحق، والمباشرة الصاق البشرة بالبشرة وهي ظاهر الجلد والابتغاء طلب البغية (والخيط الأبيض) بياض الفجر (والخيط الأسود) سواد الليل فأول النهار طلوع الفجر الثاني لأنه اوسع ضياء. قال ابو داود

فلما أضامت لنا غدوة ولاح من الصبح خيط أنارا

والحيط في اللغة معروف يقال خاطه يخيطه خيطا وخياطة والحيط القطيع من النعام ونعامة خيطا. قيل خيطها طول قصبها وعنقها وقيل اختلاط سوادها ببياضها والسواد والبياض لونان كل واحد منهما اصل بنفسه وبيضة الإسلام مجتمعة وابتاضوهم اي استأصلوهم بمعنى اقتلوا بيضتهم والسواد والمساودة المسارة لأن الخفاء فيه كخفاء الشخص في سواد الليل وسواد العراق سمي به لكثرة الماء والشجر الذي تسود به الأرض وسواد كل شيء شخصه وسويداء القلب وسواده دمه الذي فيه وقيل حبة القلب والعكوف والاعتكاف اصله اللزوم يقال عكفت بالمكان اي اقمته به ملازما له قال الطرماح

فبات بنات الليل في الليل عكفا عكوف البواكي بينهم صريع

وهو في الشرع عبارة عن اللبث في مكان مخصوص للعبادة (والحد على وجوه) الحد المنع وحدود الله فرائضه قال الزجاج هي ما منع الله من مخالفتها والحد جلد الزأني وغيره والحد حد السيف وغيره والحد حد الدار والحد فرق بين الشينين والحد نهاية الشيء التي تمنع من ان يدخله ما ليس منه أو ان يخرج عنه ما هو منه وقال الخليل الحد الجامع المانع والحداد البواب قال الاعشى

فقمنا ولما يصح ديكنا إلى جونة عند حدادها

يعني صاحبها الذي يحفظها ويمنعها وكل من منع شيئا فهو حداد ومن ذلك احدثت المرأة على زوجها معناه امتنعت من الزينة والحديد انما سمي حديدا لأنه يمتنع به من الاعداء فأصل الباب المنع

﴿ النزول ﴾

روى علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه رفعه الى ابي عبد الله قال كان الاكل محرما في شهر رمضان بالليل بعد النوم وكان النكاح حراما بالليل والنهار في شهر رمضان وكان رجل من اصحاب رسول الله يقال له مطعم بن جبير اخو عبد الله بن جبير الذي كان رسول الله وكله بفهم الشعب يوم احد في خمسين من الرماة وفارقه اصحابه وبقي في اثني عشر رجلا فقتل على باب الشعب وكان اخوه هذا مطعم بن جبير شيخا ضعيفا وكان صائرا فأبطأت عليه اهله بالطعام فنام قبل ان يفطر فلما اتبه قال لأهله قد حرم علي الأكل في هذه الليلة فلما اصبح حضر حفر الخندق فأغمي عليه فرآه رسول الله فرق له وكان قوم من الشباب ينكحون بالليل سرا في شهر رمضان فانزل الله هذه الآية فأحل النكاح بالليل في شهر رمضان والاكل بعد النوم الى طلوع الفجر واختلفت العامة في اسم هذا الرجل من الانصار فقال بعضهم قيس بن صرمه وقيل ابو صرمه وقيل ابو قيس بن صرمه وقيل صرمه بن اياس وقالوا جاء الى رسول الله فقال عملت في النخل نهارى اجمع حتى اذا امسيت فأنتيت أهلي لتطعمني فأبطأت فنمت فأيقظوني وقد حرم علي الاكل وقد امسيت وقد جهدي الصوم فقال عمر يا رسول الله اعتذر اليك من مثله رجعت إلى أهلي بعد ما صليت العشاء فأنتيت امرأتي وقام رجال واعترفوا بمثل الذي سمعوا فزلت الآية عن ابن عباس والسدي

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه وقت الصيام وما يتعلق به من الاحكام فقال (احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) اي الجراح وقال ابن عباس ان الله سبحانه حبي يكتني با شاء ان الرفث واللباس والمباشرة والافضاء هو الجراح وقال الزجاج الرفث هو كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة وهذا يقتضي تحريما متقدما ازيل عنهم والمراد بليلة الصيام الليلة التي يكون في غدها الصوم وروى عن ابي جعفر وابي عبد الله كراهية الجراح في اول ليلة من كل شهر الا اول ليلة من شهر رمضان فإنه يستحب ذلك لمكان الآية والاشبه ان يكون المراد به ليالي الشهر كله وانما وحده لانه اسم جنس يدل على الكثرة (هن لباس لكم وانتم لباس لهن) اي هن سكن لكم وانتم سكن لهن كما قال (وجعلنا الليل لباسا) اي سكننا عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والمعنى تلبسونهن

وتخالطونهن بالمساكنة اي قل ما يصبر احد الزوجين عن الآخر وقيل انما جعل كل واحد منهما لباسا للآخر لانضمام جسد كل واحد منهما الى جسد صاحبه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه فلما كانا يتلبسان عند الجماع سمي كل واحد منهما لباسا لصاحبه وقال الربيع هن فراش لكم وانتم لحاف لهن (علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم) لما حرم عليهم الجماع والاكل بعد النوم وخالفوا في ذلك ذكرهم الله بالنعمة في الرخصة التي نسخت تلك التحريم فقال علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم بالمعصية اي لا تؤدون الأمانة بالامتناع عن المباشرة وقيل معنى تختاتون تنقصون انفسكم من شهواتها وتمنعونها من لذاتها باجتئاب ما نهيتهم عنه فحفظه الله عنكم (فتاب عليكم) اي قبل توبتكم وقيل معناه فرخص لكم وازال التشديد عنكم (وعفا عنكم) فيه وجهان (احدهما) غفر ذنوبكم والآخر ازال تحريم ذلك عنكم وذلك عفوعن تحريمه عليهم (فالآن باشروهن) بالليل اي جامعوهن لفظه امر ومعناه الإباحة (وابتغوا ما كتب الله لكم) فيه قولان (احدهما) اطلبوا ما قضى الله لكم من الولد عن الحسن واكثر المفسرين وهو ان يجامع الرجل اهله رجاء ان يرزقه الله ولدا يعبده ويسبح له والآخر اطلبوا ما كتب الله لكم من الحلال الذي بينه في كتابه فإن الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقوله (وكلوا واشربوا) اباحة للاكل والشرب (حتى يتبين لكم) اي ليظهر ويتميز لكم على التحقيق الحيط الأبيض من الحيط الأسود اي النهار من الليل فاول النهار طلوع الفجر الثاني وقيل بياض الفجر من سواد الليل وقيل بياض اول النهار من سواد آخر الليل وانما شبه ذلك بالحيط لأن القدر الذي يحرم الافطار من البياض يشبه الحيط فيزول به مثله من السواد ولا اعتبار بالانتشار (من الفجر) يحتمل - من - معنيين (احدهما) ان يكون بمعنى التبعض لأن المعنى من بعض الفجر وليس الفجر كله عن ابن دريد والآخر انه للتبيين لأنه بين الحيط الأبيض فكأنه قال الحيط الأبيض الذي هو الفجر وروي ان عدي بن حاتم قال للنبي اني وضعت خيطين من شعر ابيض واسود فكنت انظر فيهما فلا يتبين لي فضحت رسول الله حتى رويت نواجذه ثم قال يا ابن حاتم انما ذلك بياض النهار وسواد الليل فابتداء الصوم من هذا الوقت ثم بين تعالى الانتهاء فقال (ثم اتقوا الصيام الى الليل) اي من وقت طلوع الفجر الثاني وهو المستطيل المعترض الذي يأخذ الافق وهو الفجر الصادق الذي يجب عنده الصلاة الى وقت دخول الليل وهو بعد غروب الشمس وعلامة دخوله على الاستظهار سقوط الحمرة من جانب المشرق واقبال السواد منه والا فاذا غابت الشمس مع ظهور الافاق في الأرض المبسوطة وعدم الجبال والروابي فقد دخل الليل وقوله (ولا تباشروهن) في معناه قولان ههنا (احدهما) أنه اراد به الجماع عن ابن عباس والحسن وقتادة (والثاني) انه اراد الجماع وكل ما دونه من قبلة وغيرها عن مالك وابن زيد وهو مذهبتنا وقوله (وانتم عاكفون في المساجد) اي معتكفون اي لا تباشروهن في حال اعتكافكم في المساجد والاعتكاف لا يصح عندنا الا في احد المساجد الاربعة المسجد الحرام ومسجد النبي ومسجد الكوفة ومسجد البصرة وعند سائر الفقهاء يجوز في سائر المساجد إلا ان مالكا قال انه يختص بالجامع ولا يصح الاعتكاف عندنا إلا بصوم وبه قال ابو حنيفة ومالك وعند الشافعي يصح بغير صوم وعندنا لا يكون الا في ثلاثة ايام وعند ابى حنيفة يوم واحد وعند مالك عشرة ايام لا يجوز اقل منه وعند الشافعي ما شاء ولو ساعة واحدة وفي الآية دلالة على تحريم المباشرة في الاعتكاف ليلا ونهارا لأنه علق المباشرة بحال الاعتكاف وقوله (تلك حدود الله) تلك اشارة الى الاحكام المذكورة في الآية حدود الله حرمت الله عن الحسن وقيل معناه معاصي الله عن الضحك وقيل ما منع الله منه عن الزجاج (فلا تقربوها) أي فلا تأتوها وقيل معناه تلك فرائض الله فلا تقربوها بالمخالفة (كذلك) اي مثل هذا البيان الذي ذكر (يبين الله آياته للناس) اي حججه وادلته على ما امرهم به ونهاهم عنه (اعلمهم يتقون) اي لكي يتقوا معاصيه وتعدي حدوده فيما امرهم به ونهاهم عنه وابعدهم إياها وفي هذا دلالة على ان الله تعالى اراد التقوى من جميع الناس

قوله تعالى (١٨٧) ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتداولوا بها إلى الحكام اتأكلوا
قريباً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون (آية)

﴿ اللغة ﴾

الباطل الذاهب الزائل يقال بطل إذا ذهب وقيل الباطل هو ما تعلق بالشيء على خلاف ما هو به خبراً كان
أو اعتقاداً أو ظناً أو تخيلاً والحكم هو الذي يفصل بين الخصمين يمنع كل واحد من منازعة الآخر ويقال أدلى
فلان بحجته إذا أقامها وهو من قولهم أدليت الدلو في البئر إذا أرسلتها ودلوها إذا أخرجتها فمعنى قولهم ادلى
بحجته أرسلها وأتى بها على صحة وفي تشبيه الخصومة بإرسال الدلو في البئر وجهان (أحدهما) أنه تعلق بسبب
الحكم كتعلق الدلو بالسبب الذي هو الحبل (الثاني) أنه يمضي فيه من غير تثبيت كمضي الدلو في الإرسال
من غير تثبيت والفريق القطيعة المعزولة من الجملة سواء كان من الناس أو من غيرهم والإثم الفعل الذي
يستحق به الذم

﴿ الإعراب ﴾

وتدلو محله جزم على النهي عطفاً على قوله ولا تأكلوا ويحتمل أن يكون نصبا على الظرف ويكون نصبه
بإيضاح أن كقول الشاعر

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
أي لا تجمع بينهما

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه شريعة من شرائع الإسلام نسقا على ما تقدم من بيان الحلال والحرام فقال (ولا تأكلوا
أموالكم بينكم بالباطل) أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالقبض والظلم والوجوه التي لا تحل كقوله فلا
تقتلوا أنفسكم أي ولا يقتل بعضكم بعضاً وقيل معناه لا تأكلوا أموالكم باللهو واللامب مثل ما يؤخذ في
القمار والملاهي لأن كل ذلك من الباطل وروي عن أبي جعفر أنه يعني بالباطل اليمين الكاذبة يقطع به الأموال
وروي عن أبي عبد الله قال كانت قریش يقامر الرجل في أهله وماله فنهاهم الله والاولى حمله على الجميع لأن
الآية تحتمل النكل (وتداولوا بها إلى الحكام) وتلقوا بها إلى القضاة وقيل فيه اقوال (أحدهما) أنه الودائع وما
لا يقوم عليه بيعة عن ابن عباس والحسن وقتادة (وثانيها) أنه مال اليتيم في يد الأوصياء لأنهم يدفعونه إلى
الحكام إذا طولبوا به ليقطعوا بعضه وتقوم لهم في الظاهر حجة عن الجبائي (وثالثها) أنه ما يؤخذ بشهادة الزور
عن الكلبي والاولى أن يحمل على الجميع (لتأكلوا قريباً من أموال الناس بالإثم) أي لتأكلوا طائفة من أموال
الناس بالفعل الموجب للإثم بأن يحكم الحاكم بالظاهر وكان الأمر في الباطن بخلافه وأنتم تعلمون أن ذلك
الفريق من المال ليس بحق لكم وأنتم مبطلون وهذا أشد في الزجر وقال أبو عبد الله (ع) علم الله أنه سيكون
في هذه الأمة حكام يحكمون بخلاف الحق فنهى الله تعالى المؤمنين أن يتحاكوا إليهم وهم يعلمون أنهم
لا يحكمون بالحق وهذا يدل على أن الإقدام على المعصية مع العلم أو مع التمكن من العلم أعظم

قوله تعالى (١٨٨) يسأؤنك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس
البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها وتؤوا
الله لعنكم تفلحون (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابن ذكوان والكسائي البيوت والشيوخ واخواتها بكسر اوائلها الا العيوب وقرأ حمزة وحماد ويحيى عن عاصم كلها بالكسر الا الحيوب وقالوا يكسر منها البيوت فقط والباقيون بالضم

﴿ الحجة ﴾

من كسر أوائل هذه الكلمات إنما فعل ذلك لأجل اليا. أبدل مبن الضمة الكسرة لأن الكسرة أشد موافقة للياء. من الضمة لها كما كسر الفاء. من عينة ونبيب في تصغيرين وناب وإن لم يكن في أبنية التصغير على هذا الوزن لتقريب الحركة مما بعدها. ومن ضمها فعلى الأصل لأنها فعول

﴿ اللغة ﴾

الأهلة جمع هلال واشتقاقه من قولهم استهلّ الصبي إذا بكى حين يولد أو صاح وقولهم أهل القوم بالحج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية وإنما قيل هلال لأنه حين يرى يهل الناس بذكره يقال أهل الهلال واستهل ولا يقال أهل ويقال أهلنا الهلال وأهلنا شهر كذا أي دخلنا فيه وقد اختلف في تسميته هلالا لم يسمى ومتى يسمى قرأ فقال بعضهم يسمى هلالا ليلتين من الشهر ثم لا يسمى هلالا إلى أن يعود في الشهر الثاني وقال آخرون يسمى هلالا ثلاث ليال ثم يسمى قرأ وقال بعضهم يسمى هلالا حتى يجتجر أو تجيره أن يستدير بجنطة دقيقة وهذا قول الأصمعي وقال بعضهم يسمى هلالا حتى يبهر ضوءه سواد الليل ثم يقال قر وهذا يكون في الليلة السابعة واسم القمر عند العرب الزبرقان واسم دارته الهالة واسم ضوئه الفخت والميقات مقدار من الزمان جعل علما لما يقدر من العمل والتوقيت تقديرا للوقت وكلما قدرت غايته فهو موقت والميقات منتهى الوقت والآخرة ميقات الخلق والإهلال ميقات الشهر والحج ذكرنا معناه فيما مضى والبرالنفع الحسن والظهر الصفحة المقابلة لصفحة الوجه والباب المدخل يقول منه بوبه تبريبا إذا جعله ابوابا والبواب الحاجب لأنه يلزم الباب والبابة القطاعة من الشيء كالباب من الجملة

﴿ الإعراب ﴾

قوله للناس في موضع رفع صفة لمواقيت تقديره هي مواقيت كائنة للناس والباء في قوله بأن تأتوا مزيدة لتأكيد النفي وان تأتوا في موضع الجر بالباء والجار والمجرور في موضع النصب بأنهما خبر ليس وقوله (ولكن البر من اتقى) قيل فيه وجهان (أحدهما) ان تقديره (ولكن البر من اتقى) كما قلناه في قوله (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر) والآخر ان تقديره ولكن البار من اتقى وضم المصدر موضع الصفة

﴿ النزول ﴾

روي ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله ان اليهود يكفرون مسألنا عن الأهلة فأنزل الله هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا انهم سألوا رسول الله لم خلقت هذه الأهلة فأنزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

ثم بين شريعة أخرى فقال (يسألونك عن الأهلة) أي أحوال الأهلة في زيادتها ونقصانها ووجه الحكمة في ذلك قل يا محمد هي مواقيت للناس والحج أي هي مواقيت وقت يحتاج الناس إلى مقاديرها في صومهم وفطرمهم وعدة نسايمهم ومحل ديونهم وحجهم فبين سبحانه ان وجه الحكمة في زيادة القمر ونقصانه ما تعلق بذلك من مصالح الدين والدنيا لأن الهلال لو كان مذكورا أبدا مثل الشمس لم يمكن التوقيت به وفيه أوضح دلالة على أن الصوم لا يثبت بالعدد وأنه يثبت بالهلال لأنه سبحانه نص على ان الأهلة هي المعتبرة في المواقيت

والدلالة على الشهور فلو كانت الشهور إنما تعرف بطريق العدد خص التوقيت بالعدد دون روية الالهة لأن عند اصحاب العدد لا عبرة بروية الالهة في معرفة المواقيت وقوله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) فيه وجوه (احدها) انه كان المحرمون لا يدخلون بيوتهم من ابوابها ولكنهم كانوا يتقربون في ظهر بيوتهم أي في مؤخرها نقبا يدخلون ويخرجون منه فنهوا عن التدين بذلك عن ابن عباس وقتادة وعطاء ورواه ابو الجارود عن أبي جعفر (ع) وقيل إلا أن الحمس وهو قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر ابن صعصعة كانوا لا يفعلون ذلك وإنما سموا حمسا لتشدهم في دينهم والحماسة الشدة وقيل بل كانت الحمس تفعل ذلك وإنما فعلوا ذلك حتى لا يحول بينهم وبين السماء شيئا (وثانيها) ان معناه ليس البر أن تأتوا البيوت من غير جهاتها وينبغي أن تأتوا الأمور من جهاتها أي الأمور كان وهو المروي عن جابر عن أبي جعفر (ع) وثالثها) ان معناه ليس البر طلب المعروف من غير أهله وإنما البر طلب المعروف من أهله ولكن البر من اتقى قدر معناه (وأتوا البيوت من أبوابها) قدمضى معناه وقال ابو جعفر آل محمد ابواب الله ووسيلته والدعاة إلى الجنة والقادة إليها والأدلاء عليها إلى يوم القيامة وقال النبي (ص) أنا مدينة العلم وعلي بابها ولا تؤتى المدينة إلا من بابها ويروى أنا مدينة الحكمة (واتقوا الله لعلكم تفلحون) معناه واتقوا ما نهاكم الله عنه وزهدكم فيه لكي تفلحوا بالوصول إلى ثوابه الذي ضمنه للمتقين

التنظيم

ووجه اتصال قوله (ليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) بقوله (يسألونك عن الأهلة) انه لما بين أن الأهلة مواقيت للناس والحج وكانوا إذا أحرموا يدخلون البيوت من ورائها عطف عليها قوله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) وقيل انه لما بين أن أمورنا مقدرة بأوقات قرن به قوله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) أي فكما ان أموركم مقدرة بأوقات فلتكن أفعالكم جارية على الاستقامة باتباع ما أمر الله به والانتها. عما نهى عنه لأن اتباع ما أمر به خير من اتباع ما لم يأمر به

قوله تعالى (١٨٩) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (آية)

اللغة

القتال والمقاتلة محاولة الرجل قتل مسن يحاول قتله والتقاتل محاولة كل واحد من المتعادين قتل الآخر والاعتداء مجاوزة الحد يقال عدا طوره إذا جاوز حده

النزول

عن ابن عباس نزلت هذه الآية في صلح الحديبية وذلك ان رسول الله لما خرج هو وأصحابه في العام الذي أرادوا فيه العمرة وكانوا الفاواربعمائة فصاروا حتى نزلوا الحديبية فصدهم المشركون عن البيت الحرام فتنحروا المهدي بالحديبية ثم صالحهم المشركون على أن يرجع مسن عامه ويعود العام القابل ويحلوا له مكة ثلاثة ايام فيطوف بالبيت ويفعل ما يشاء فرجع إلى المدينة من فوره فلما كان العام المقبل تجهز النبي (ص) واصحابه لعمرة القضاء وخافوا أن لا تقبلي لهم قريش بذلك وأن يصدوهم عن البيت الحرام ويقاتلوهم وكره رسول الله قتالهم في الشهر الحرام في الحرم فأنزل الله هذه الآية وعن الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذه أول آية نزلت في القتال فلما نزلت كان رسول الله يقاتل من قاتله ويكف عن كفه حتى نزلت (أقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) فنسخت هذه الآية

المعنى

ثم بين سبحانه أمر الجهاد فقال مخاطباً للمؤمنين (وقاتلوا) أي مع الكفار (في سبيل الله) أي دين الله وهو الطريق الذي بينه للعباد ليسلكوه على ما أمرهم به وودعاهم إليه (الذين يقاتلونكم) قيل أمروا بقتال المقاتلين دون النساء. وقيل انهم أمروا بقتال أهل مكة والأولى حمل الآية على العموم إلا من أخرجه الدليل (ولا تعتدوا) أي ولا تجاوزوا من قتال من هو من أهل القتال إلى قتال من لم تؤمروا بقتاله وقيل معناه لا تعتدوا بقتال من لم يبدأكم بقتال (إن الله لا يحب المعتدين) ظاهره يقتضي أنه يسخط عليهم لأنه على جهة الذم لهم وقد ذكرنا معنى المحبة لهم فيما مضى واختلف في الآية هل هي منسوخة أم لا فقال بعضهم منسوخة على ما ذكرناه وروى عن ابن عباس ومجاهد أنها غير منسوخة بل هي خاصة في النساء والذري وقيل أمر بقتال أهل مكة وروى عن أئمتنا (ع) أن هذه الآية ناسخة لقوله كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وكذلك قوله (واقتلوهم حيث تقفتموهم) ناسخ لقوله (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم)

قوله تعالى (١٩٠) **وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ** وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (آية)

القراءة

قرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم كل بغير الف والباقون بألف في جميع ذلك

الحجة

من قرأها بغير الف فإنما اتبع المصحف لأنه كتب في المصاحف بغير الألف ومن قرأ بالألف فقال إنما تحذف الألف في الخط كما في الرحمن

اللغة

ثقفته أثقفه ثقفا وثقافة أي وجدته ومنه قولهم رجل ثقف لقف أي يجيد ما يطلبه وأثقف الرجل ثقافة فهو ثقف وثقف ثقفا بالتحريك فهو ثقف إذا كان سريع التعلم والثقاف حديدة يقوم بها الرماح المعوجة والتثقيف التقوم والفتنة أصلها الاختبار ثم ينصرف إلى معان منها الابتلاء نحو قوله فتناك فتونا أي ابتليناك ابتلاء على أثر ابتلاء ومنها العذاب كقوله جعل فتنة الناس كعذاب الله ومنها الصد عن الدين نحو قوله واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك والمراد بها في الآية الشرك بالله وبرسوله

الإعراب

حيث فيه ثلاث لغات ضم التاء وفتحها وكسرها فالضم لشبهها بالغاية نحو قبل وبعد لأنه منع الإضافة إلى المفرد مع لزومه معنى الإضافة أيه فيجري لذلك مجرى قبل وبعد في البناء على الضم. والفتح لأجل البناء كما فتحت أين وكيف والكسر لأجل أنه الأصل في التحريك لانتقاء الساكنين والجملة بعد حيث في موضع جر بإضافة حيث إليها في الموضعين وتقاتلوا منصوب باضمار أن وهو صلة ان والموصول والصلة في محل جر بحتى وحتى يتعلق بتقاتلوه

* النزول *

نزلت في سبب رجل من الصحابة قتل رجلاً من الكفار في الشهر الحرام فعاثوا المؤمنين بذلك فبين الله سبحانه ان الفتنة في الدين وهو الشرك اعظم من قتل المشركين في الشهر الحرام وان كان غير جائز

* المعنى *

ثم خاطب الله تعالى المؤمنين مبيهاً لهم كيفية القتال مع الكافرين فقال (واقنواهم اي الكفار) حيث تفقتوهم أي وجدتموهم (واخرجوهم من حيث اخرجوكم) يعني اخرجوهم من مكة كما اخرجوكم منها (والفتنة أشد من القتل) أي شرهم بالله وبرسوله اعظم من القتل في الشهر الحرام وسعي الكفر فتنة لأن الكفر يؤدي الى الهلاك كما أن الفتنة تؤدي الى الهلاك وقيل لأن الكفر فساد يظهر عند الاختبار وقوله (ولا تقتلواهم عند المسجد الحرام حتى يقتلواكم فيه) نهي عن ابتدائهم بقتال او قتل في الحرم حتى يتبدى المشركون بذلك (فإن قاتلوكم أي بدأوكم بذلك) فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين (ان يقتلوا حيث ما وجدوا وفي الآية دلالة على وجوب اخراج الكفار من مكة كقوله حتى لا يكون فتنة والسنة قد وردت أيضاً بذلك وهو قوله لا يجتمع في جزيرة العرب دينان

قوله تعالى (١٩١) فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (آية)

* اللغة *

الانتهاء الامتناع والنهي الزجر عن الفعل بصيغة لا تفعل مع كراهة الناهي لذلك الفعل والامر الدعاء الى الفعل بصيغة افعل مع ارادة الأمر لذلك والنهي الغدير لمنعه المراء ان يفيض والنهي بمنزلة المنع ونهاية الشيء غايته والنهي جمع نهي وهي العقل والناهي هي المواضع التي تنهبط فيتناهى اليها ماء السماء واحداً تنهية والانهاء ابلاغ الشيء الشيء نهايته والمغفرة تغطية الذنب بما يصير به بمنزلة غير الواقع في الحكم

* المعنى *

(فإن انتهوا) أي امتنعوا من كفرهم بالتوبة منه عن مجاهد وغيره (فإن الله غفور رحيم) فاختصر الكلام لدلالة ما تقدم من الشرط عليه وفيه الدلالة على انه يقبل توبة القاتل عمداً لأنه بين عز اسمه انه يقبل توبة المشرك والشرك اعظم من القتل

قوله تعالى (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (آية)

* اللغة *

الدين ههنا الإذعان بالطاعة كما في قول الاعشى
هودان الرباب اذ كرهوا الدين
وقبل هو الإسلام واصل الدين العادة قال الشاعر

تقول إذا درأت لها وضيبي
اهذا دينه ابدا وديني

وقد استعمل بمعنى الطاعة في قوله ما كان لياخذ اخاه في دين الملك وبمعنى الإسلام في قوله (ان الدين عند الله الإسلام) لأن الشريعة يجب أن يجرى فيها على عادة مستمرة

✽ المعنى ✽

ثم بين تعالى غاية وجوب القتال وقال يخاطب المؤمنين (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) أي شرك عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وهو المروي عن الصادق (ع) (ويكون الدين لله) وحتى تكون الطاعة لله والاقبال أمر الله وقيل حتى يكون الإسلام لله أي حتى لا يبقى الكفر ويظهر الإسلام على الأديان كلها (فإن انتهوا) أي امتنعوا من الكفر واذعنوا للإسلام (فلا عدوان إلا على الظالمين) أي فلا عقوبة عليهم وإنما العقوبة بالقتل على الكافرين المقيمين على الكفر فسمي القتل عدواناً من حيث كان عقوبة على العدوان وهو الظلم كما قال فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وجزاء سيئة سيئة مثلها وإن عاقبتم فعاقبوا وحسن ذلك لاذواج الكلام والمزاوجة هنا إنما حصلت في المعنى لأن التقدير فإن انتهوا عن العدوان فلا عدوان إلا على الظالمين وهذا الوجه مروي عن قتادة والربيع وعكرمة وقيل معنى العدوان الابتداء بالقتال عن مجاهد والسدي وهذه الآية ناسخة الأولى التي تضمنت النهي عن القتال في المسجد الحرام حتى يبدأوا بالقتال فيها لأن فيها إيجاب قتالهم على كل حال حتى يدخلوا في الإسلام عن الحسن والجائي وعلى ما ذكرناه في الآية الأولى عن ابن عباس أنها غير منسوخة فلا تكون هذه الآية ناسخة بل تكون مؤكدة وقيل بل المراد بها أنهم إذا ابتدأوا بالقتال في الحرم يجب مقاتلتهم حتى يزول الكفر

قوله تعالى (١٩٣) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ مِمَّنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتَوْا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

إنما سمي الشهر الحرام لأنه يحرم فيه ما يحل في غيره من القتال ونحوه والحرمات جمع حرمة وهي ما يجب حفظه ويحرم هتكه والحرام هو القبيح المنوع من فعله والحلال المأذون فيه والتصاص الأخذ للمظلوم من الظالم من أجل ظلمه إياه واعتدى عليه وعدي عليه بمعنى مثل قرب واقتراب وجلب واجتلاب وقيل إن في اقتعل مبالغة ليست في فعل

﴿ المعنى ﴾

ثم بين الله تعالى القتال في الشهر الحرام فقال (الشهر الحرام بالشهر الحرام) المراد بها هاهنا ذو القعدة وهو شهر صد عام الحديبية والأشهر الحرم أربعة ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب كانوا يحرمون فيها القتال حتى لو أن رجلاً لقي قاتل أبيه أو أخيه لم يتعرض له بسوء وإنما قيل ذو القعدة لقعودهم فيه عن القتال وقيل في تقديره وجهان (أحدهما) أنه قتال شهر الحرام أي في الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وقيل أنه الشهر الحرام على جهة العوض لما فات في السنة الأولى ومعناه الشهر الحرام ذو القعدة الذي دخلتم فيه مكة واعتزتم وقضيت منها وطركم في سنة سبع بالشهر الحرام ذي القعدة الذي صدتم فيه عن البيت ومنعم عن مرادكم في سنة ست (والحرمات قصاص) قيل فيه قولان (أحدهما) أن الحرمات قصاص بالمرائغة بدخول البيت في الشهر الحرام قال مجاهد لأن قريشا فخرت بردها رسول الله (ص) عام الحديبية محرماً في ذي القعدة عن البلد الحرام فأدخله الله مكة في العام المقبل في ذي القعدة فقتل عمرته واقصه بأحبل بينه وبينه وهو معنى قتادة والضحاك والربيع وعبد الرحمن بن زيد وروي عن ابن عباس

وأبي جعفر الباقر مثله والثاني أن الحرمات قصاص بالقتال في الشهر الحرام أي لا يجوز للمسلمين إلا قصاصاً قال الحسن أن مشركي العرب قالوا لرسول الله أنهيت عن قتالنا في الشهر الحرام قال نعم وإنما أراد المشركون أن يغروه في الشهر الحرام فيقاتلوه فأنزل الله هذا أي أن استحلوا منكم في الشهر الحرام شيئاً فاستحلوا منهم مثل ما استحلوا منكم وبه قال الزجاج والجبائي وإنما جمع الحرمات لأنه أراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الأحرار وقيل لأن كل حرمة تستحل فلا يجوز إلا على وجه المجازاة (فن اعتدى عليكم) أي ظلمكم (فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) أي فجازوه باعتدائه وقابلوه بمثله والثاني ليس باعتداء على الحقيقة ولكن ساء اعتداء لأنه مجازاة اعتداء وجعله مثله وإن كان ذلك جوراً وهذا عدلاً لأنه مثله في الجنس وفي مقدار الاستحقاق لأنه ضرر كما أن ذلك ضرر فهو مثله في الجنس والمقدار والصفة (واتقوا الله) فيما أمركم به ونهاكم عنه (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصرة لهم أو يريد أن نصرته الله معهم وأصل مع المصاحبة في المكان أو الزمان وفي هذه الآية دلالة على أن من غصب شيئاً وأتلفه يلزمه رد مثله ثم إن المثل قد يكون من طريق الصورة في ذوات الأمثال ومن طريق المعنى كالقيم فيما لا مثل له

قوله تعالى (١٩٤) وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الإففاق إخراج الشيء عن ملكه إلى ملك غيره لأنه لو أخرجه إلى هلاك لم يسم انفاقاً. والإففاق تصيير الشيء إلى جهة السفلى وقد يقال القى عليه مسألة مجازاً كما يقال طرح عليه مسألة وقد يقال لكل من أخذ في عمل القى يديه إليه وفيه قال لبيد حتى إذا القت يداً في كافر وأجن عورات الشغور ظلامها يعني الشمس أي بدأت في الغيب. التهلكة والهالك واحد وقيل التهلكة مصدر بمعنى الهلاك وليس في كلام العرب مصدر على تفعله بضم العين إلا هذا وقيل التهلكة كل ما يصير عاقبة إلى الهلاك وأصل الهلاك الضياع وهو مصير الشيء بحيث لا يدري أين هو ومنه يقال للكافر هالك وللمعذب هالك والهالك الفاجرة والهالك الحداد وأصله أن بني الهالك بن عمرو كانوا قيوناً فنسب إليه كل قين والإحسان هو إيصال النفع الحسن إلى الغير وليس المحسن من فعل الفعل الحسن لأن مستوفي الدين لا يسمى محسناً وإن كان فعله حسناً ولا يقال أن القديم تعالى بفعل العقاب محسن وإن كان العقاب حسناً وإنما اعتبرنا النفع الحسن لأن من أوصل نفعاً قبيحاً إلى غيره لا يقال أنه محسن إليه

﴿ الإعراب ﴾

الباء في قوله تعالى بأيديكم زائدة كما يقال جذبت الثوب وبالثوب وعلمته وعلمت به وقال الشاعر

ولقد ملأت على نصيب جلده بمساة ان الصديق يعاقب

أي ملأت جلده مساة وقيل ليست الباء بزائدة ولكنها على أصل الكلام من وجهين (أحدهما) أن كل فعل متعد إذا كني عنه أو قدر على المصدر دخلته الباء تقول ضربته ثم تكني عنه فتقول فعلت به ويقال أوقعت الضرب به فجاء على أصل الأفعال للتعدي والآخر أنه لما كان معناه لا تهلوكوا أنفسكم بأيديكم دخلت الباء لتدل على هذا المعنى وهو خلاف أهلك نفسه بيد غيره

﴿ المعنى ﴾

لما أوجب سبحانه القتال في سبيل الله عقبه بذكر الإففاق فيه فقال (وانفقوا في سبيل الله) معناه وانفقوا

من اموالكم في الجهاد وطريق الدين وكل ما أمر الله به من الخير وابواب البر فهو في سبيل الله لأن السبيل هو الطريق فسبيل الله الطريق إلى الله وإلى رحمة الله وثوابه إلا أنه كثير استعماله في الجهاد لأن الجود بالنفس أقصى غاية الجود والجهاد هو الأمر الذي يخاطر فيه بالروح فكانت له مزية (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) قيل معناه وجوه (احدها) انه أراد لا تهاكروا أنفسكم بأيديكم بترك الانفاق في سبيل الله فيغلب عليكم العدو عن ابن عباس وجماعة من المفسرين (وثانيها) انه عني به لا تركبوا المعاصي باليأس عن المغفرة عن البراء بن عازب وعبيدة السلماني (وثالثها) ان المراد لا تقتحموا الحرب من غير نكاية في العدو ولا قدرة على دفاعهم عن الثوري واختاره البلخي (ورابعها) ان المراد ولا تسرفوا في الانفاق الذي يأتي على النفس عن الجبائي ويقرب منه ما روى عن أبي عبد الله لو أن رجلاً انفق ما في يديه في سبيل الله ما كان أحسن ولا وفق لقوله سبحانه ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين يعني المقتصدين وقال عكرمة معناه أحسنوا الظن بالله يبر بكم وقال عبد الرحمن بن زيد وأحسنوا بالعود على المحتاج والأولى حمل الآية على جميع هذه الوجوه ولا تنافي فيها وفي هذه الآية دلالة على تحريم الإقدام على ما يخاف منه على النفس وعلى جواز ترك الأمر بالمعروف عند الخوف لأن في ذلك لقاء النفس إلى التهلكة وفيها دلالة على جواز الصلح مع الكفار والبيعة إذا خاف الإمام على نفسه أو على المسلمين كما فعله رسول الله عام الحديبية وفعله أمير المؤمنين بصفين وفعله الحسن مع معاوية من المصالحة لما تشتت أمره وخاف على نفسه وشيعته فإن عورضتا بأن الحسين قاتل وحده فالجواب ان فعله يمتثل وجهين (احدهما) انه ظن انهم لا يقتلون له مكانه من رسول الله والآخر انه غلب على ظنه انه لو ترك قتالهم قتله الملعون ابن زياد صبيرا كما فعله ابن عمه مسلم فكان القتل مع عز النفس والجهاد أهون عليه

قوله تعالى (١٩٥) وَأَتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَدَفِنْتَهُ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أُمِيتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قَصِيَامًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَلِمَةٌ دَلِيلٌ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (آية)

اللغة

قد ذكرنا حقيقة الحج والعمرة فيما مضى عند قوله (فمن حج البيت او اعتمر) فلما عني لاعادته والاحصار المنع يقال للرجل الذي قد منعه الخوف او المرض عن التصرف قد احصر فهو محصر ويقال للرجل الذي حبس قد حصر فهو محصور وقال الفراء يجوز ان يقوم كل واحد منهما مقام الآخر وخالفه فيه ابو العباس المبرد والزجاج قال المبرد ونظيره حبسه جعله في الحبس واحبسه عرضه للحبس واقتله عرضه للقتل وكذلك حصره حبسه أي اوقع به الحصر واحصره عرضه للحصر وحصر حصر إذا عبي في الكلام والحصير البخيل حبسه رفضه والحصير الذي لا يبوح بسره لأنه قد حبس نفسه عن البوح به والحصير الحبس والحصير الملك والحصور الهيوب المحجج عن الشيء والحصور الذي لا اربعة له في النساء وأصل الباب الحبس وفي أصل الهدى قولان (احدهما) انه من الهدية يقال هديت الهدية اهدا، وأهديت الهدى إلى بيت الله اهداء فعلى هذا إما يكون هدياً لاجل التقرب به إلى الله والآخر انه من هدا، إذا ساقه إلى الرشاد فسمي هدياً لأنه يساق إلى الحرم الذي هو موضع الرشاد وواحد الهدى هدية كما يقال شربة وشرى وتمر وتمر وجمع الهدى هدي على زنة فعيل كما يقال عبد وعبيد

وكلب وكليب وقيل واحد الهدى هدية مثل مطية ومطي قال الفرزدق

حلفت برب مكة والمصلى وأعناق الهدى مقلدات

والحلق حلق الرأس يقال حلق وحاقت والمحاقت موضع الحلق بنى والمحلق الحلاق وحلق الطائر في الهواء. إذا ارتفع وحلق ضرع الناقة إذا ارتفع لبنها والحلق مجرى الطعام والشراب في المري وحلق الأرض مجاريها في أوديتها وحلق المنية واصل الاستمرار والرأس أعلى كل شيء والأذى كل ما تأذيت به ورجل أذى إذا كان شديد التأذي وأصله الضرر بالشيء والنسك جمع النسيكة وهي الذبيحة ويجمع أيضا نسائك كصحيفة وصحائف وصحف وكما ذبح لله فهو نسيكة والنسك العبادة ومنه رجل ناسك أي عابد والتمتع أصله الاتذاد والاستمتاع ومتعته الحججة هي أن يمتد في أشهر الحج ثم يحل ويتمتع بالإحلال بأن يفعل ما يفعله المحل ثم يحرم بالحج من غير رجوع إلى الميقات فهو إحلال بين إحرامين وأهل الرجل زوجته والتأهل التزوج وأهل الرجل أخص الناس به وأهل البيت سكانه وأهل الإسلام من يدين به وأهل القرآن من يقرؤه ويقوم بحقوقه وأهله لهذا الأمر أي جعلته أهلاً له وقولهم أهلاً ومرحبا أي اختصاصاً بالتحية والتكرمة والعقاب مصدر يقال عقبه عقاباً ومعاقبة وعقوبة وأصله من عقب الشيء أي خلفه فكان القبيح يعقبه الشدة وعقب الإنسان نسله وعقبه موخر قدميه

✽ الأعراب ✽

قوله (فما استيسر من الهدى) موضع ما رفع كأنه قال فعلية ما استيسر ويجوز أن يكون موضعه نصبا وتقديره فاهدوا ما استيسر والرفع أولى لكثرة نظائره كقوله (فقدية من صيام، فعدة من أيام، فصيام ثلاثة أيام في الحج) وقوله (في الحج) يتعلق بالمصدر وليس في موضع خبر وهذا النحو قد جاء مرفوعاً على تقدير إضار خبر

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه فرض الحج والعمرة على العباد بعد بيانه فريضة الجهاد فقال (واتوا الحج والعمرة لله) أي أتوها بما ناسكها وحدودها وتأدية كل ما فيها عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه أقيموها إلى آخر ما فيها وهو المروي عن أمير المؤمنين وعلي بن الحسين وعن سعيد بن جبير وسروق والسدي وقوله لله أي اقتصدوا بهما التقرب إلى الله والعمرة واجبة عندنا مثل الحج وبه قال الشافعي في الجديد وقال أهل العراق إنها مسنونة واركب أفعال الحج النية والاحرام والوقوف بعرفة والوقوف بالمشعر وطواف الزيارة والسعي بين الصفا والمروة وأما الفرائض التي ليست باركان فالتلبية وركعتا الطواف وطواف النساء وركعتا الطواف له وأما المسنونات من أفعال الحج فذكورة في الكتب المصنفة فيه واركب فرائض العمرة النية والاحرام وطواف الزيارة والسعي وأما ما ليس بركن من فرائضها فالتلبية وركعتا الطواف وطواف النساء وركعتا الطواف له وقوله (فإن أحصرتم) فيه قولان (أحدهما) أن معناه منعكم خوف أو عدو أو مرض فامتنعتم لذلك عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعطاء وهو المروي عن أئمتنا (والثاني) معناه أن منعكم حابس قاهر عن مالك (فما استيسر من الهدى) فعليكم ما سهل من الهدى أو فاهدوا ما تيسر من الهدى إذا أردتم الإحلال والهدى يكون على ثلاثة أنواع جزور أو بقرة أو شاة وأيسرها شاة وهو المروي عن علي وابن عباس والحسن وقتادة وروي عن ابن عمر وعائشة أنه ما كان من الإبل والبقر دون غيرها والأول هو الصحيح (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) أي لا تحلقوا من إحرامكم حتى يبلغ الهدى محله وينحر أو يذبح واختلف في محل الهدى على قولين (الأول) أنه الحرم فإذا ذبح به في يوم النحر أحل عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وعطاء (والثاني) أنه الموضع الذي يصد فيه لأن النبي (ص) نحر هديه بالحديبية وأمر أصحابه ففعلوا مثل ذلك وليست بالحديبية من الحرم عن مالك وأما على مذهبنا فالأول حكم المحصر بالمرض والثاني حكم المحصور بالعدو وإن كان الإحرام بالحج فمحله متى يوم النحر وإن كان الإحرام بالعمرة

فصله مكة (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه) أي من مرض منكم مرضا يحتاج فيه إلى العلق للمداواة أو تأذى بهوام رأسه أبيض له الحلق بشرط الفدية وروى أصحابنا أن هذه نزلت في إنسان يعرف بكعب بن عجرة وأنه كان قد قل رأسه وقوله (فدية) أي فحلق لذلك العذر فعليه فدية أي بدل وجزاء يقوم مقام ذلك من صيام أو صدقة أو نسك المروي عن أئمتنا أن الصيام ثلاثة أيام والصدقة على ستة مساكين وروى على عشرة مساكين والنسك شاة وهو مخير فيها وقوله (فإذا أمنتم) معناه فإذا أمنتم المرائع من العدو والمرض وكل مانع (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى) فعليه ما تيسر من الهدى والتمتع عندنا هو الفرض اللازم إن لم يكن من حاضري المسجد الحرام وحاضر المسجد الحرام هو من كان على اثني عشر ميلا من كل جانب إلى مكة فمن كان خارجا عن هذا الحد فليس من الحاضرين وصفة التمتع بالعمرة إلى الحج أن ينشئ الإحرام في أشهر الحج ثم يدخل إلى مكة فيطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ويقصر ويحل من إحرامه ثم ينشئ إحراما آخر للحج من المسجد الحرام ويخرج إلى عرفات ثم يفيض إلى المشعر ويأتي بأفعال الحج على ما هو مذكور في الكتب وفي بعض ذلك خلاف بين الفقهاء والهدى واجب للتمتع بلا خلاف لظاهر التزليل على خلاف في أنه نسك أو جبران وعندنا أنه نسك (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج) أي فمن لم يجد الهدى ولا ثمنه فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج وعندنا أن هذه الأيام الثلاثة يوم قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وإن صام في أول العشر جاز ذلك رخصة وإن صام يوم التروية ويوم عرفة قضى يوما آخر بعد انقضاء أيام التشريق وإن فاته صوم يوم التروية أيضا صام الأيام الثلاثة بعد أيام التشريق متتابعات وقوله (وسبعة إذا رجعت) أي وسبعة أيام إذا رجعت إلى بلادكم وأهاليكم وبه قال قتادة وعطاء وقيل معناه إذا رجعت من منى فصوموها في الطريق عن مجاهد والأول هو الصحيح عندنا وقوله (تلك عشرة كاملة) فيه أقوال (أحدها) أن معناه كاملة من الهدى إذا وقعت بدلا منه استكملت ثوابه عن الحسن وهو المروي عن أبي جعفر واختاره الجبائي (وثانيها) أنه لا زالة الإوبهام لتلاظن أن الواو بمعنى أو فيكون كأنه قال فصيام ثلاثة أيام في الحج أو سبعة إذا رجعت لأنه إذا استعمل أو بمعنى الواو جاز أن يستعمل الواو بمعنى أو كما قال فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فالواو ههنا بمعنى أو فذكر ذلك لارتفاع اللبس عن الزجاج وأبي القاسم البلخي (وثالثها) أنه لما قال كاملة للتوكيد كما قال جرير

ثلاث واثنتان فهن خمس
وسادسة تيميل إلى شمام

وقوله (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) أي ما تقدم ذكره من التمتع بالعمرة إلى الحج ليس لأهل مكة ومن يجري مجراهم وإنما هو من حاضري مكة وهو من يكون بينه وبينها أكثر من اثني عشر ميلا من كل جانب (واتقوا الله) فيما أمركم به ونهاكم عنه (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن عصاه الحديث روى معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام أن رسول الله (ص) أقام بالمدينة عشر سنين لم يحج ثم أتزل عليه واذن في الناس الآية فأمر المؤذنين أن يؤذنوا بأعلى أصواتهم بأن رسول الله يحج من عامه هذا فعلم به من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب فاجتمعوا فخرج رسول الله في أربع بقين من ذي القعدة فلما انتهى إلى ذي الحليفة فزالت الشمس اغتسل ثم خرج حتى أتى المسجد الذي عنده الشجرة فصلى فيه الظهر وأحرم بالحج ثم ساق الحديث إلى أن قال فلما وقفت رسول الله بالمروة بعد فراغه من السعي أقبل على الناس بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن هذا جبرائيل وأومى بيده إلى خلفه يأمرني أن أمر من لم يسق هديا أن يحل ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لصنعت مثل ما أمرتكم ولكني سقت الهدى ولا ينبغي لسائق الهدى أن يحل حتى يبلغ هذا الهدى محله فقال له رجل من القوم انخرج حجاجا وروشنا تقطر فقال إنك إن تو من بها أبدا فقام إليه سراقة بن مالك بن خثعم الكنتاني فقال يا رسول الله

علمتنا ديننا فكاننا خلقنا اليوم فهذا الذي امرتنا به لعامنا او لما نستقبل فقال له رسول الله بل هو للأبد إلى يوم القيامة ثم شبك بين اصابعه بعضها في بعض وقال دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة وقدم علي من اليمن على رسول الله وهو بشكة فدخل على فاطمة وهي قد احلت فوجد عليها ثيابا مصبوغة فقال ما هذا يا فاطمة فقالت امرنا بهذا رسول الله فخرج الى رسول الله مستفتيا محرشا على فاطمة فقال يا رسول الله اني رأيت فاطمة قد احلت وعليها ثياب مصبوغة فقال رسول الله انا امرت الناس بذلك وانت يا علي بهم اهلت فقال قلت يا رسول الله اهلالا كاهلال النبي فقال رسول الله كن على احرامك مثلي وانت شريكى في هديي قال ونزل رسول الله بمكة بالطحاء هو واصحابه ولم ينزل الدور فلما كان يوم التروية عند زوال الشمس امر الناس ان يغتسلوا ويهلوا بالحج فخرج النبي واصحابه مهلين بالحج حتى اتوا منى وصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر ثم غدا والناس معه وكانت قريش تفيض من المزدلفة وهو جمع ويمنعون الناس ان يفيضوا منها فانزل الله على نبيه ثم افيضوا من حيث افاض الناس يعني ابراهيم واسماعيل واسحاق في افاضتهم منها ومن كان بعدهم فلما رات قريش ان قبة رسول الله قد مضت كأنه دخل في انفسهم شي الذي كانوا يرجون من الافاضة من مكانهم حتى انتهى إلى غرة وهي بطن عرفة بجبال الاراك فضرب قبة وضرب الناس اخيبتهم عندها فلما زالت الشمس خرج رسول الله ومعه قومه وقد اغتسل وقطع التلبية حتى وقف بالمسجد فوعظ الناس وامرهم ونهاهم ثم صلى الظهر والعصر باذان واقامتين ثم مضى الى الموقف فوقف به فجعل الناس يتحدرون اخفاف ناقته يقفون إلى جانبها فنحواها ففعلوا مثل ذلك فقال يا أيها الناس انه ليس موضع اخفاف ناقتي الموقف ولكن هذا كله موقف واومى بيده إلى الموقف فتفرق الناس وفعل مثل ذلك بالمزدلفة فتوقف حتى وقع قرص الشمس ثم افاض وامر الناس بالدعة حتى إذا انتهى إلى المزدلفة وهي المشعر الحرام صلى المغرب والعشاء الآخرة باذان واحد واقامتين ثم اقلع حتى صلى فيها الفجر وعجل ضعفاء بني هاشم بالليل فامرهم ان لا يرموا الجمرة جمرة العقبة حتى تطلع الشمس فلما اضاء له النهار افاض حتى انتهى إلى منى فرمى جمرة العقبة وكان الهدي الذي جاء به رسول الله اربعا وستين او ستا وستين وجاء علي باربع وثلاثين او ست وثلاثين ففجر رسول الله ستا وستين بدنة ونحر علي عليه السلام اربعا وثلاثين بدنة وامر رسول الله ان يأخذ من كل بدنة منها جذوة من لحم ثم تطرح في برمة ثم تطبخ فاكل رسول الله منها وعلي وتحسبا من مرقها ولم يعط الجزارين جلودها ولا جلالها ولا قلايدها وتصدق به وحلق وزار البيت ورجع إلى منى فاقام بها حتى كان يوم الثالث من آخر ايام التشريق ثم رمى الجمار ونفر حتى انتهى إلى الابطح فقالت عائشة يا رسول الله ترجع نساؤك بحجة وعمرة معا وارجع بحجة فاقام بالابطح وبعث معها عبد الرحمن بن ابي بكر إلى التنعيم فأهلت بعمرة ثم جاءت فطافت بالبيت وصلت ركعتين عند مقام ابراهيم وسعت بين الصفا والمروة ثم اتت النبي فارتحل من يومه فلم يدخل المسجد ولم يطف بالبيت ودخل من اعلى مكة من عقبة المدنيين وخرج من أسفل مكة من ذي طوى

قوله تعالى (١٩٦) الحج أشهر معلومات فمن فرّض فبوجوب الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب (آية)

﴿ القراءات ﴾

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب فلا رفث ولا فسوق بالرفع ولا جدال بالفتح وقرأ أبو جعفر جميع ذلك بالرفع بالتثنية وقرأ الباقون الجميع بالفتح

✽ الحجة ✽

حجة من فتح الجميع أن يقول انه اشد مطابقة للمعنى المقصود ألا ترى أنه إذا فتح فقد نفى جميع الرفث والفسوق كما أنه إذا قال لا ريب فقد نفى جميع هذا الجنس فإذا رفع ونون فكأنَّ النفي لواحد منه إلا ترى أن سيويوه يرى أنه إذا قال لا غلام عندك ولا جارية فهو جواب من سأل فقال اغلام عندك ام جارية فالفتح أولى لأن النفي قد عمَّ والمعنى عليه وحجة من رفع انه يعلم من الفحوى انه ليس المنفي رفثاً واحداً ولكنه جميع ضروره وأن النفي قد يقع فيه الواحد موقع الجميع وإن لم يبين فيه الاسم مع لا نحو ما رجل في الدار

✽ اللغة ✽

الرفث أصله في اللغة الافحاش في النطق قال العجاج «عن اللغا ورفث التكلم» وقيل الرفث بالفرج الجماع وباللسان المودة للجماع وبالعين الغمز للجماع والفسوق الخروج من الطاعة والجدال في اللغة المجادلة والمنازعة والمشاجرة والمخاصمة نظائر وجدات الحبل فتلته والجديل زمام البعير ففعل بمعنى مفعول والمجدل القصر والجدالة الأرض ذات الرمل الرقيق وغلام جادل إذا ترعرع واشتد والزاد الطعام الذي يتخذ للسفر والمزود وعاء يجعل فيه الزاد وكل من انتقل بخير من عمل أو كسب فقد تزود منه تزودا واللب العقل سمي بذلك لأنه افضل ما في الانسان وافضل كل شيء له

✽ الإعراب ✽

الحج مبتدأ وأشهر خبره وتقديره أشهر الحج أشهر معلومات ليكون الثاني هو الاول في المعنى أو الحج حج أشهر معلومات فحذف المضاف أي لا حج إلا في هذه الأشهر فالأشهر على هذا متسع فيها من جهة عن الظروف والمعنى على ذلك ألا ترى أن الحج في الأشهر وقد يجوز أن يجعل الحج الأشهر على الاتساع لكونه فيها واكثرته من الفاعلين له كما قالت الخنساء.

ترتع ما رعت حتى إذا ادكرت فإيما هي إقبال وإدبار

جعلتها الإقبال والإدبار لكثرتها منها وقوله فلا رفث إذا فتحت فعلى البناء وقد تقدم بيانه فيما مضى وإذا رفعت فعلى الإبتداء ويكون في الحج خبراً لهذه المرفوعات وإذا فتحت ما قبل المرفوع وأثبت ما بعده مرفوعاً جاز أن يكون عطفاً على الموضع وجاز أن يكون بمعنى ليس كما في قوله

من صد عن نيرانها فأنا ابن قيس لا أبراح

وما بعد الفاء في موضع الرفع لوقوعه موقع الفعل المضارع بعد الفاء والفاء مع ما بعده في محل الجزم أو في محل الرفع لأنه جواب شرط مبني

✽ المعنى ✽

(الحج) أي أشهر الحج (أشهر معلومات) أي أشهر موقته معينة لا يجوز فيها التبديل والتغيير بالتقديم والتأخير اللذين كان يفعله النساء الذين أنزل فيهم إنا لنسي زيادة في الكفر الآية وأشهر الحج عندنا شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة على ما روي عن أبي جعفر وبه قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم وقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة عن عطا والربيع وطاوس وروي ذلك في أخبارنا وإنا صارت هذه أشهر الحج لأنه لا يصح الإحرام بالحج إلا فيها بلا خلاف وعندنا لا يصح أيضاً الإحرام بالعمره التي يتسع بها إلى الحج إلا فيها ومن قال أن جميع ذي الحجة من أشهر الحج قال لأنه يصح أن يقع فيها بعض أفعال الحج مثل صوم الأيام الثلاثة وذبح الهدي ومتى قيل كيف سمي الشهرين وبعض الثالث أشهراً فجوابه أن الاثنين قد يقع عليه لفظ الجمع كما في قوله «ظهرهما مثل ظهور الترسين» وايضا فقد يضاف الفعل إلى الوقت وإن وقع في بعضه ويضاف الوقت إليه كذلك

تقول صليت صلاة يوم الجمعة وصلاة يوم العيد وإن كانت الصلاة في بعضه وقدم زيد يوم كذا وإن كان قدم في بعضه فكذلك جاز أن يقال في شهر الحج ذو الحجة وإن وقع الحج في بعضه (فمن فرض فيهن الحج) معناه فمن أوجب على نفسه فيهن الحج أي فمن أحرم فيهن بالحج بلا خلاف أو بالعمرة التي يشتمع بها إلى الحج على مذهبننا (فلا رفث) كنى بالرفث عن الجماع هاهنا عند اصحابنا وهو قول ابن مسعود وقتادة وقيل هو مواعدة الجماع والتعريض للنساء به عن ابن عباس وابن عمر وعطاء وقيل هو الجماع والتعريض له بمداعبة أو مواعدة عن الحسن (ولا فسوق) وروى اصحابنا انه الكذب وقيل هو معاصي الله كلها عن ابن عباس والحسن وقتادة وهذا أعم ويدخل فيه الكذب وقيل هو التنازع بالألقاب لقوله بنس الاسم الفسوق بعد الإيمان عن الضحاك وقيل هو السباب لقوله سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر عن ابراهيم ومجاهد وقال بعضهم لا يجوز أن يراد به هنا إلا مانهي المحرم عنه مما يكون حلاله إذا أحل لاختصاصه بالنهي عنه وهذا تخصيص للعموم بلا دليل وقد يقول القائل ينبغي لك أن تقيد لسانك في رمضان لئلا يفسد صومك وقد جاء في الحديث إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولا يكون يوم صومك كيوم فطرك فإنما خصه بذلك لعظم حرمة (ولا جدال في الحج) روى اصحابنا انه قول لا والله وبلى والله صادقا او كاذبا وللفسرين فيه قولان (احدهما) انه المراد والسباب والاضطراب على جهة المحك واللجاج عن ابن عباس وابن مسعود والحسن (والثاني) ان معناه لاجدال في ان الحج قد استدار في ذي الحجة لأنهم كانوا ينسئون الشهور فيقدمون ويؤخرون فربما اتفق في غيره عن مجاهد والسدي (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) معناه ما تفعلوا من خير يجازم الله العالم به لأن الله عالم بجميع المعلومات على كل حال إلا انه جعل يعلمه في موضع يجازمه للمبالغة في صفة العدل أي انه يعاملكم معاملة من يعلمه إذا ظهر منكم فيجازي به وذلك تأكيد أن الجزاء لا يكون إلا بالفعل دون ما يعلم انه يكون منهم قبل أن يفعلوه (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) قيل فيه قولان (احدهما) انه معناه ان قوما كانوا يرمون بأزوادهم ويتسمون بالمتوكلة فقيل لهم تزودوا من الطعام ولا تلقوا كلكم على الناس وخير الزاد مع ذلك التقوى عن الحسن وقتادة ومجاهد (والثاني) ان معناه تزودوا من الأعمال الصالحة (فإن خير الزاد التقوى) وذكر ذلك في اثناء أفعال الحج لأنه أحق شيء بالاستكثار من أعمال البر فيه (واتقون) فيما ارتكبتم به ونهيتكم عنه (يا أولي الأبواب) يا ذوي العقول

قوله تعالى (١٩٧) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ أَمِنَ الضَّالِّينَ (آية)

اللغة

الجناح الحرج في الدين وهو الميل عن الطريق المستقيم والابتغاء الطلب والافاضة مأخوذة من فيض الاناء عن امتلائه فمعنى أفضتم دفعتم من عرفات إلى المزدلفة عن اجتماع وكثرة ويقال أفاض القوم في الحديث إذا اندفعوا فيه وأكثروا التصرف وأفاض الرجل اناءه إذا صب وأفاض الرجل بالقداح إذا ضرب بها لأنها تقع متفرقة قال ابو ذؤيب

وكأئن ربابة وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع

وأفاض البعير بجرته إذا رمى بها متفرقة كثيرة قال الراعي

وأفاض بعد كظومهن بجرة من ذي الأباطح اذرعين حقيلا

فالأفاضة في اللغة لا تكون إلا عن تفرق عن كثرة وعرفات اسم للبقعة المعروفة يجب الوقوف بها في الحج

ويوم عرفة يوم الوقوف بها واختلف في سبب تسميتها بعرفات فقيل لأن ابراهيم (ع) عرفها بما تقدم له من النعمت لها والوصف روي ذلك عن علي وابن عباس وقيل انها سميت بذلك لأن آدم وحواء اجتمعا فيها فتعارفا بعد أن كانا افترقا عن الضحاك والسدي وقد رواه اصحابنا ايضا وقيل سميت بذلك لعلوها وارتفاعها ومنه عرف الديك وقيل سميت بذلك لأن ابراهيم كان يريه جبرائيل المناسك فيقول عرفت عرفت عن عطا. وروي عن ابن عباس أن ابراهيم رأى في المنام انه يذبح ابنه فأصبح يروي يومه أجمع أي يفكر أهو أمر من الله أم لا فسمي بذلك يوم التروية ثم رأى في الليلة الثانية فلما أصبح عرف انه من الله فسمي يوم عرفة وروي ان جبريل قال لا دم هناك اعترف بذنبك واعرف مناسكك فقال (ربنا ظلمنا انفسنا الآية) فلذلك سميت عرفة والمشعر الحرام هو المزدلفة سميت مشعرا لانه معلم للحج والصلاة والمقام والمبيت به والدعاء عنده من اعمال الحج وإنما سمي المشعر الحرام مزدلفة لأن جبريل قال لا ابراهيم بعرفات ازداف الى المشعر الحرام فسمي المزدلفة وسمي جمعا لأنه يجمع به بين المغرب والعشاء الآخرة بأذان واحد واقامتين وسميت منى منى لأن ابراهيم تقي هناك ان يجعل الله مكان ابنه كبشا يأمره بذبحه فدية له

﴿ الإعراب ﴾

جناح اسم ليس وخبره عليكم وموضع ان تبتغوا نصب على تقدير ليس عليكم جناح في ان تبتغوا فلما سقط في محل فيها معنى جناح والمعنى لستم تأتمنون في (ان تبتغوا). وعرفات اسم معرفة لموضع جرت مجرى موضع واحد لاتصال بعضها ببعض وإنما صرفت وان كان فيها سببان من اسباب منع الصرف وهو التعريف والتأنيث لأنها على حكاية الجمع فالتنوين فيها بازاء النون في مسلمون ولوسميت امرأة بمسلمون لم تحذف هذه النون وتقول اقبلت مسلمون ورأيت مسلمين ويجوز في عرفات حذف التنوين ايضا تشبيها بالواحد إذا كان اسما لواحد إلا أنه لا يكون الا مكسورا وان اسقطت التنوين ومثلها أذرع في قول امرئ القيس

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أذْرُعَاتِ وَأَهْلِهَا بِيَثْرَبِ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرَ عَالِ

أكثر الرواية بالتنوين وقد انشد بالكسر بغير تنوين والاول اختيار النحويين لما ذكرنا من اجرائهم اياه مجرى المسلمون واما فتح التاء فخطأ (وان كنتم) ان هنا هي المخففة من الثقيلة بدلالة ان لام الابتداء معها وإذا خففت لم تعمل ان (وكنتم من قبله لمن الضالين) لا موضع له من الاعراب لانه وقع بعد حرف غير عامل وإنما هذه الواو عطفت جملة على جملة

﴿ المعنى ﴾

(ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم) قيل كانوا يتأثون بالتجارة في الحج فرفع الله بهذه اللفظة الإثم عن يتجر في الحج عن ابن عباس ومجاهد والحسن وعطا وفي هذا تصريح بالأذن في التجارة وهو المروي عن ائمتنا وقيل كان في الحج اجراء ومكارون وكان الناس يقولون انه لا حج لهم فبين سبحانه انه لا إثم على الحاج في ان يكون اجيرا لغيره او مكاريا وقيل معناه لا جناح عليكم ان تطلبوا المغفرة من ربكم رواه جابر عن ابي جعفر (ع) فإذا افضتكم من عرفات اي دفعتم عنها بعد الاجتماع فيها (فأذكروا الله عند المشعر الحرام) وفي هذا دلالة على ان الوقوف بالمشعر الحرام فريضة كما ذهبنا اليه لأن ظاهر الأمر على الوجوب فقد اوجب الله الذكر فيه ولا يجوز ان يوجب الذكر فيه الا وقد اوجب الكون فيه ولأن كل من اوجب الذكر فيه فقد اوجب الوقوف وتقدير الكلام فإذا افضتكم من عرفات فكرونا بالمشعر الحرام واذكروا الله فيه (واذكروه كما هداكم) معناه واذكروه بالشأن والشكر على حسب نعمته عليكم بالهداية فإن الشكر يجب ان يكون على حسب النعمة في عظم المنزلة كما يجب ان يكون على مقدارها لو صغرت النعمة ولا يجوز التسوية بين من عظمت نعمته وبين من صغرت نعمته وتقدير الكلام واذكروه ذكرنا مثل هدايته اياكم (وان كنتم) اي وانكم كنتم

من قبله أي من قبل الهدى وقيل من قبل محمد فتكون الها كناية عن غير المذكور (لمن الضالين) عن النبوة والشريعة فهذا لكم إليه

قوله تعالى (١٩٨) **ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا لِلنَّاسِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** (آية)

اللغة

الاستغفار طلب المغفرة والمغفرة التغطية للذنب والفرق بين غفور وغافر أن في غفور مبالغة لكثرة المغفرة فاما غافر فيستحق الوصف به من وقع منه الغفران والغفور هو المغفرة وقد فرق بينهما بأن الغفور ترك العقاب على الذنب والمغفرة تغطية الذنب بإيجاب التوبة ولذلك كثرت المغفرة في صفات الله دون صفات العباد فلا يقال استغفر السلطان كما يقال استغفر الله

المعنى

(ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) قيل فيه قولان أحدهما - إن المراد به الإفاضة من عرفات وانه امر لقريش وحلفائهم وهم الحمس لانهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفة ولا يفيضون منها ويقولون نحن اهل حرم الله فلا نخرج منه وكانوا يقفون بالمزدلفة ويفيضون منها فامرهم الله بالوقوف بعرفة والإفاضة منها كما يفيض الناس والمراد بالناس سائر العرب عن ابن عباس وعائشة وعطاء ومجاهد والحسن وقتادة وهو المروي عن الباقر (ع) وقال الضحاك انه أمر لجميع الحاج أن يفيضوا من حيث أفاض إبراهيم عن الضحاك قال ولما كان إبراهيم إماما كان بمنزلة الأمة فسماه وحده ناسا - (والثاني) - أن المراد به الإفاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر عن الجبائي قال والآية تدل عليه لانه قال فإذا افضتم من عرفات ثم قال ثم أفيضوا فوجب ان يكون افاضة ثانية فدل ذلك على ان الافاضتين واجبتان والناس المراد به إبراهيم كما انه في قوله الذين قال لهم الناس نعيم بن مسعود الأشعبي وقيل إن الناس إبراهيم واسماعيل واسحاق ومن بعدهم من الأنبياء عن أبي عبد الله وما يسأل على الاول ان يقال إذا كان ثم للترتيب فما معنى الترتيب هاهنا وقد روى أصحابنا في جوابه ان هاهنا تقدما وتأخيرا وتقديره (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فإذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) وقيل أراد بالناس آدم عن سعيد بن جبير والزهري وقيل هم أهل اليمن وربيعة عن الكلبي وقيل هم العلماء الذين يعلمون الدين ويعلمونه الناس (واستغفروا الله) أي اطلبوا المغفرة منه بالندم على ما سلف من المعاصي (إن الله غفور) أي كثير المغفرة (رحيم) واسع الرحمة

قوله تعالى (١٩٩) **فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ** (آية)

اللغة

أصل القضاء فصل الأمر على احكام وقد يفصل بالفراغ منه كقضاء المناسك وقد يفصل بأن يعمل على تمام كقوله فقضاءهن سبع سماوات وقد يفصل بالإخبار به على القطع كقوله وقضينا إلى بني اسرائيل وقد يفصل بالحكم كقضاء القاضي على وجه الإلزام والحلاق النصيب من الخير واصله التقدير وهو النصيب من الخير على وجه الاستحقاق وقيل انه من الخلق فهو نصيب مما يوجبه الخلق الكريم

الإعراب

أشد في موضع جر ولكنه لا ينصرف لأنه على وزن الفعل وهو صفة ويجوز أن يكون منصوبا على المصدر

على واذكروه (أشد ذكرا) وذكرا منصوب على التمييز. في الآخرة الجار والمجرور يتعلق بما يتعلق به اللام في قوله له وله في موضع خبر للمبتدأ الذي هو من خلاق فإن من مزيدة والجار والمجرور في موضع رفع بالابتداء ويجوز أن يكون في الآخرة في موضع نصب على الحال والعامل فيه ما في له من الفعل

✽ المعنى ✽

(فإذا قضيتهم مناسككم) معناه فإذا أدبتم مناسككم وقيل فإذا فرغتم من مناسككم والمناسك جمع المنسك والمنسك يجوز أن يكون موضع النسك ويجوز أن يكون مصدرا فإن كان موضعا فالمعنى فإذا قضيتهم ما وجب عليكم إيقاعه في متعباتكم وإن كان بمعنى المصدر فإنه جمع لأنه يشتمل على أفعال وأذكار فجاز جمعه كالأصوات أي فإذا قضيتهم أفعال الحج فاذكروا الله واختلف في الذكر على قولين - (أحدهما) - أن المراد به التكبير المقتض بأيام منى لأنه الذكر المرغب فيه المندوب إليه في هذه الأيام والآخرة المراد به سائر الأدعية في تلك المواطن لأن الدعاء فيها أفضل منه في غيرها (كذكرم آباءكم) معناه ما روي عن أبي جعفر الباقر (ع) أنهم كانوا إذا فرغوا من الحج يجتمعون هناك ويعدون مفاخر آبائهم ومآثرهم ويذكرون أيامهم القديمة وأيديهم الجسيمة فأمرهم الله سبحانه أن يذكروه مكان ذكركم آباءهم في هذا الموضع (أو أشد ذكرا) أو يزيدوا على ذلك بأن يذكروا نعم الله ويعدوا آلا. ويشكروا نعماءه لأن آباءهم وإن كانت لهم عليهم أياد ونعم فنعم الله عليهم اعظم وأيديه عندهم أفخم ولأنه المنعم بتلك المآثر والمفاخر على آبائهم وعليهم وهذا هو الوجه في تشبيه هذا الذكر الواجب بذلك الذكر الذي هو دونه في الوجوب وهو قول الحسن وقتادة وقيل معناه واستغثوا بالله وافزعوا إليه كما يفزع الصبي إلى أبيه في جميع أموره ويلهج بذكره فيقول يا ابت عن عطا والاول أصح وقوله (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا) بين سبحانه أن الناس في تلك المواطن أصناف فمنهم من يسأل نعيم الدنيا ولا يسأل نعيم الآخرة لأنه غير مؤمن بالبعث والنشور (وما له في الآخرة من خلاق) أي نصيب من الخير موفور

قوله تعالى (٢٠٠) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الفرق بين القول والكلام أن القول يدل على الحكاية وليس كذلك الكلام نحو قال الحمد لله فاذا أخبرت عنه بالكلام قلت تكلم بالحق والحكاية على ثلاثة أوجه ﴿ أحدها ﴾ حكاية على اللفظ والمعنى نحو قال آتوني أفرغ عليه قطرا إذا حكاها من يعرف لفظه ومعناه وحكاية على اللفظ نحوها إذا حكاها من يعرف لفظه دون معناه وحكاية على المعنى نحو أن تقول نحاسا بدل قوله قطرا والاياء الاعطاء وأصله الآتي بمعنى المجيء فأتى إذا كان من المجيء وأتى غيره حملة على المجيء فيقال أتاه ما يجب وأتى غيره ما يجب وق أصله من وقى بقي وقاية ووقاء والوقاء أصله الحجز بين الشئين والوقاء الحاجز الذي يسلم به من الضرر

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه دعاء من سأله من أمور الدنيا في تلك المواقف الشريفة مالا يرتضيه عقبه بما يسأله المؤمنون فيها من الدعاء الذي يرغب فيه فقال (ومنهم من يقول ربنا آتنا) أي اعطنا (في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) وقنا عذاب النار أي نعيم الدنيا ونعيم الآخرة عن انس وقتادة وروي عن أبي عبد الله أنها السعة في الرزق والمعاش وحسن الخلق في الدنيا ورضوان الله والجنة في الآخرة وقيل العلم والعبادة في الدنيا والجنة في الآخرة عن الحسن وقتادة وقيل

هي المال في الدنيا وفي الآخرة الجنة عن ابن زيد والسدي وقيل هي المرأة الصالحة في الدنيا وفي الآخرة الجنة عن علي (ع) وروي عن النبي (ص) انه قاله من أوتي قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على امر دنياه واخراه فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقى عذاب النار

قوله تعالى (٢٠١) **أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** (آية)

اللغة

النصيب الحظ وجمعه أنصبا وانصبه وحد النصيب الجزء الذي يختص به البعض من خير او شر والكسب الفعل الذي يجتلب به نفع او يدفع به ضرر والسريع من العمل هو القصير المدة يقال سرع سرعة وسرعا فهو سريع واقبل فلان في سرعان قومه اي في اوائلهم السريعين والحساب مصدر كالحاسبة

المعنى

(أولئك لهم نصيب مما كسبوا) أي حظ من كسبهم باستحقاقهم الثواب عليه (والله سريع الحساب) ذكر فيه وجوه أحدها أن معناه سريع المجازاة للعباد على اعمالهم وأن وقت الجزاء قريب ويجري مجراه قوله وما امر الساعة إلا كلمح البصر أو هو اقرب وعبر عن الجزاء بالحساب لأن الجزاء كفاؤا للعمل وبمقداره فهو حساب له يقال احسبني الشيء كفايا وثانيها أن يكون المراد به انه يحاسب اهل الموقف في أوقات يسيرة لا يشغله حساب احد عن حساب غيره كما لا يشغله شأن عن شأن وورد في الخبر انه تعالى يحاسب الخلائق كلهم في مقدار لمح البصر وروي بقدر حلب شاة وهذا أحد ما يدل على أنه ليس بجسم وانه لا يحتاج في فعل الكلام إلى آلة لأنه لو كان كذلك لما جاز ان يخاطب اثنين في وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين ولكان يشغله خطاب بعض الخلق عن خطاب غيره ولكانت مدة محاسبته للخلق على اعلاهم طويلة وروي عن امير المؤمنين (ع) انه قال معناه انه يحاسب الخلق دفعة كما يرزقهم دفعة وثالثها أن معناه انه تعالى سريع القبول لدعاء هؤلاء والاجابة لهم من غير احتباس فيه وبحث عن المقدار الذي يستحقه كل داع كما يحبس المخلقون للاحصاء والاحتساب ويقرب فيه ما روي عن ابن عباس انه قال يريد انه لا حساب على هؤلاء وإنما يعطون كتبهم بأيانهم فيقال لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزت بها عنكم وهذه حسناتكم قد ضعفتها لكم

قوله تعالى (٢٠٢) **وَإِذْ كَرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** (آية)

اللغة

المعدودات تستعمل كثيرا في اللغة للشيء القليل وكل عدد قل أو كثر فهو معدود ولكن معدودات ادل على القلة لأن كل قليل يجمع بالآلف والتاء والحشر جمع القوم من كل ناحية الى مكان والمحشر المكان الذي يحشرون فيه وحشرتهم السنة إذا أجمعت بهم لانها تضمهم من النواحي الى المصر وسهم حشر خفيف لطيف لأنه ضامر باجتماعه وأذن حشرة لطيفة وضامرة وحشرات الارض دوابها الصغار لاجتماعها من كل ناحية

فأصل الباب الاجتماع

الإعراب

العامل في اللام من قوله (لمن اتقى) فيه قولان أحدهما أن تقديره ذلك (لمن اتقى) فيكون الجار والمجرور في موضع خبر المبتدأ وإنما حذف ذلك لأن الكلام الأول دل على وعد للعامل والثاني أن يكون العامل فيه معنى لا إثم عليه لأنه قد تضمن معنى جعلناه لمن اتقى

✽ المعنى ✽

(واذكروا الله في أيام معدودات) هذا أمر من الله للمكلفين ان يذكروه في أيام معدودات وهي أيام التشريق ثلاثة أيام بعد النحر والأيام المعلومات عشر ذي الحجة عن ابن عباس والحسن واكثر اهل العلم وهو المروي عن ائمتنا وذكر الفراء ان المعلومات أيام التشريق والمعدودات العشر والذكر المأمور به هو ان تقول عقيب خمس عشرة صلوات الله اكبر الله اكبر لا إله إلا الله والله اكبر الله اكبر والله الحمد لله اكبر على ما هداانا والحمد لله على ما اولانا والله اكبر على ما رزقناه من بهيمة الانعام واول التكبير عندنا عقيب الظهر من يوم النحر وآخره عقيب صلاة الفجر من اليوم الرابع من النحر هذا لمن كان بمنى ومن كان بغير منى من الامصار يكبر عقيب عشر صلوات اولها صلاة الظهر من يوم النحر ايضا هذا هو المروي عن الصادق عليه السلام وفي ذلك اختلاف بين الفقهاء ووافقنا في ابتداء التكبير من صلاة الظهر من يوم النحر ابن عباس وابن عمر قوله (فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه) المعنى في ذلك الرخصة في جواز النفر في اليوم الثاني من أيام التشريق والافضل ان يقيم إلى النفر الأخير وهو الثالث من التشريق وإذا نفر في الأول نفر بعد الزوال إلى غروب الشمس فإن غربت فليس له ان ينفر إلى اليوم الثالث وقوله فلا إثم عليه فيه قولان - (احدهما) - ان معناه لا إثم عليه لأن سيئاته صارت مكفرة بما كان من حجه المبرور وهو قول ابن مسعود - (والثاني) - ان معناه لا إثم عليه في التعجيل والتأخير وإنما نفى الاثم لئلا يتوهم متوهم ان في التعجيل إثما وإنما قال فلا إثم عليه في التأخير على جهة المزاجعة كما يقال ان اعلنت الصدقة فحسن وان اسرت فحسن وان كان الاسرار احسن وافضل عن الحسن وقوله لمن اتقى فيه قولان - (احدهما) - ان الحج يقع مبرورا مكفرا للسيئات اذا اتقى ما نهى الله عنه والآخر ما رواه أصحابنا أن قوله لمن اتقى متعلق بالتعجيل في اليومين وتقديره فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه لمن اتقى الصيد إلى انقضاء النفر الأخير وما بقي من احرامه ومن لم يتقها فلا يجوز النفر في الأول وهو المروي عن ابن عباس واختاره الفراء وقد روي أيضا عن أبي عبد الله في قوله فمن تعجل في يومين اي من مات في هذين اليومين فقد كفر عنه كل ذنب ومن تأخر اي من اجله فلا إثم عليه إذا اتقى الكبائر وقوله (واتقوا الله) اي اجتنبوا معاصي الله (واعلموا انكم اليه تحشرون) اي تحققوا انكم بعد موتكم تجمعون الى الموضع الذي يحكم الله فيه بينكم ويجازيكم على اعمالكم

قوله تعالى (٢٠٣) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ الدُّخَانُ الْمُخْتَصِمُ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَمَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (آيَاتان)

✽ اللغة ✽

الاعجاب هو سرور المعجب بما يستحسن ومنه العجب بالنفس وهو سرور المعجب من الشيء استحسانا له وذلك إذا تعجب من شدة حسنه تقول عجب وتعجب وعجبه غيره واعجبه واستعجب الرجل إذا اشتد تعجبه قال الازهري العجب كل شيء غير مألوف والالذ الشديد الحوصمة تقول لد ولدودا ولده يلدو إذا غلبه في الحوصمة ولد الدواء في حلقه إذا أوجره في احد شقي فمه واللديدان جانبوا الوادي ولديدا كل شيء جانباه والتلدد التلفت عن تعجير واخصام قيل انه جمع اخصم عن الزجاج وفعل إذا كان صفة فإنه يجمع على فعال نحو صعب وصعاب وإذا كان اسما فإنه يجمع في القلة على افعال وفي الكثرة على فعال كفرخ وفراخ وقيل اخصام مصدر كالمخاضة عن الخليل والتولي هو الانحراف والزوال عن الشيء الى خلاف جهته وقوله سعى قد يكون بمعنى عمل وقد

يكون بمعنى اسرع قال الأعشى

وسمى لكندة سمي غير مواكل قيس فضر عدوها وبنى لها

أي عمل لكندة والإفساد هو عمل الضرر بغير استحقاق ولا وجه من وجوه المصلحة والاهلاك العمل الذي ينفي الانتفاع والحراث الزرع (والنسل) العقب من الولد وقال الضحاك الحراث كل نبات (والنسل) كل ذات روح ويقال نسل ينسل نسولا إذا خرج فسقط ومنه نسل وير البعير أو ريش الطائر والناس نسل آدم حُرُوجهم من ظهره وأصل باب النسل الخروج

الإعراب

ليفسد نصب باضمار ان ويجوز اظهارها بأن يقال لأن يفسد فيها ولا يجوز اظهار ان في قوله لينذر من (وما كان الله لينذر المؤمنين) والفرق بينهما ان اللام في يفسد على اصل الاضافة في الكلام واللام في لينذر لتأكيد النفي كما دخلت الباء في ليس زيد بقائم

التزول

قال ابن عباس نزلت الآيات الثلاثة في المرثي لانه يظهر خلاف ما يبطن وهو المروي عن الصادق (ع) الا أنه غير المعني به وقال الحسن نزلت في المنافقين وقال السدي نزلت في الأحنس بن شريق وكان يظهر الجميل بالنبي والمحبة له والرغبة في دينه ويبطن خلاف ذلك

المعنى

ثم بين سبحانه حال المنافقين بعد ذكره احوال المؤمنين والكافرين فقال (ومن الناس من يعجبك قوله) أي تستحسن كلامه يا محمد ويعظم موقعه من قلبك (في الحياة الدنيا) أي يقول آمنت بك وأنا صاحب لك ونحو ذلك (ويشهد الله على ما في قلبه) أي يحلف بالله ويشهده على انه مضمر ما يقول فيقول اللهم اشهد علي به وضميره على خلافه وهو الد الخصام) أي وهو أشد الخصامين خصومة ومن قال ان الخصام مصدر فمعناه وهو شديد الخصومة عند الخصامة جدل مبطل (وإذا تولى) أي أعرض عن الحسن وقيل معناه ملك الامر وصار واليا عن الضحاك ومعناه إذا ولي سلطانا جار وقيل ولي عن قوله الذي اعطاه عن ابن جريج (سعى في الارض) أي اسرع في المشي من عندك وقيل عمل في الارض (ليفسد فيها) قيل ليقطع الرحم ويسفك الدماء عن ابن جريج وقيل ليظهر الفساد ويعمل المعاصي (ويهلك الحراث والنسل) أي النبات والاولاد وذكر الأزهرى ان الحراث النساء والنسل الاولاد لقوله نسائكم حراث لكم وروي عن الصادق (ع) ان الحراث في هذا الموضع الدين والنسل الناس (والله لا يحب الفساد) أي العمل بالفساد وقيل اهل الفساد وفيه دلالة على بطلان قول المجبرة إن الله تعالى يريد القبائح لأنه تعالى نفى عن نفسه محبة الفساد والمحبة هي الإرادة لأن كل ما أحب الله ان يكون فقد اراد ان يكون وما لا يحب ان يكون لا يريد ان يكون قوله تعالى (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمُ وَكَبَسَ الْمَهَادُ (آية)

اللغة

الاعتناء طلب السلامة بما يحجز عن المخافة واتقاء الله إنما هو اتقاء عذابه والاخذ ضد الاعطاء والعزة القوة التي تمتنع بها عن الذلة والمهاد الوطاء من كل شيء وكل شيء وطئته فقد مهدته والارض مهاد لأجل توطئته للنوم والقيام عليه

المعنى

ثم بين تعالى صفة من تقدم من المنافقين فقال (وإذا قيل له اتق الله) أي وإذا قيل لهذا المنافق اتق الله فيما

(الجزء الثاني) قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله إلى قوله إنه لكم عدو مبين ٣٠١

نهالك عنه من السعي في الارض بالفساد واهلاك الحرث والنسل (اخذته العزة بالاثم) قيل في معناه قولان (احدهما) حملته العزة وحمية الجاهلية على فعل الاثم ودعته اليه كما يقال اخذته بكذا اي الزمته ذلك واخذته الحمى اي لزمته - (والثاني) - اخذته العزة من اجل الاثم الذي في قلبه من الكفر عن الحسن (فحسبه جهنم) اي فكفاه عقوبة من اضلاله ان يصلي نار جهنم (ولبس المهاد) اي القرار عن الحسن كما قال في موضع آخر وبش القرار لان القرار كالوطاء في الثبوت عليه وقيل انما سميت جهنم مهاداً لأنها بدل من المهاد كما قال سبحانه فبشره بعذاب اليم لأنه موضع البشري بالنعيم على جهة البدل منه وفي هذه الآية دلالة على ان من تكبر عن قبول الحق اذا دعي اليه كان مرتكباً اعظم كبيرة ولذلك قال ابن مسعود ان من الذنوب التي لا تغفر ان يقال للرجل اتق الله فيقول عليك نفسك

قوله تعالى (٢٠٦) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ (آية)

✽ اللغة ✽

الشراء من الاضداد يقال شري إذا باع وشري اذا اشترى وقوله (وشروه بثمان بخص دراهم معدودة) اي باعوه والرضا ضد السخط وقد تقدم معنى الرؤوف

✽ الإعراب ✽

ابتغاء نصب لأنه مفعول له كقول الشاعر

واغفر عوراء الكريم ادخاره
واعرض عن قول الاثم تكريماً

✽ النزول ✽

روى السدي عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في علي بن ابي طالب حين هرب النبي (ص) عن المشركين الى الغار ونام علي (ع) على فراش النبي (ص) ونزلت الآية بين مكة والمدينة وروي انه لما نام على فراشه قام جبرائيل عند رأسه وميكايل عند رجليه وجبرائيل ينادي يخيخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملائكة وقال عكرمة نزلت في ابي ذر الغفاري جندب بن السكن وصهيب بن سنان لأن اهل ابي ذر اخذوا ابا ذر فانفلت منهم فقدم على النبي (ص) فلما رجع مهاجراً عرضوا عنه فانفلت حتى نزل على النبي (ص) وأما صهيب فإنه اخذه المشركون من اهله فاقتدى منهم به ثم خرج مهاجراً وروي عن علي وابن عباس ان المراد بالآية الرجل الذي يقتل على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال تتادة نزلت في المهاجرين والأنصار وقال الحسن هي عامة في كل مجاهد في سبيل الله

✽ المعنى ✽

ثم عاد سبحانه الى وصف المؤمن الامر بالمعروف في قوله وإذا قيل له اتق الله لأن هذا القائل امر بالخير والمعروف فقال (ومن الناس من يشري) اي يبيع نفسه (ابتغاء مرضاة الله) اي لابتغاء رضا الله وانما اطلق عليه اسم البيع لأنه إنما فعل ما فعل لطلب رضا الله كما ان البائع يطلب الثمن بالبيع والله رؤوف بالعباداي واسع الرحمة بعباده ينيلهم ما حاولوه من مرضاته وثوابه

قوله تعالى (٢٠٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الحجاز والكسائي في (السلم كافة) بفتح السين والباقون بكسرها

﴿ الحجة ﴾

قال الاخفش السلم بكسر السين الصلح وفيه ثلاث لغات السالم السالم السلم وانشد

انائل انني سلم لاهلك فاقبلي سلمي

قال ابو عبيدة السلم بكسر السين والاسلام واحد وهو في موضع آخر المسالمة والصلح والسلم الاستسلام ومنه قوله تعالى ورجلا سلما لرجل اي مستسلما له منقادا لما يريد منه فيكون مصدرا وصف به ويحتمل ايضا ان يكون فعلا بمعنى فاعل مثل بطل وحسن ونظيره يابس ويبس وواسط ووسط

﴿ اللغة ﴾

(كافة) معناه جميعا واشتقاقه في اللغة مما يكف الشيء في آخره ومن ذلك كفة القميص لحاشيته لأنها تمنعه من ان ينتشر وكل مستطيل فعرفه كفة ويقال في كل مستدير كفة نحو كفة الميزان واستكف السائل وتكفف اذا بسط كفه للسؤال وكل شيء جمعته فقد كففته واستكف القوم بالشيء اذا احذقوا به

﴿ الإعراب ﴾

كافة منصوب على الحال من الواو في ادخلوا وقيل هو حال من السلم ولكم يتعلق بمحذوف فهو في موضع

﴿ المعنى ﴾

نصب على الحال من عدو

لما قدم تعالى ذكر الفرق الثلاث من العباد دعاجيهمهم إلى الطاعة والانقياد فقال (يا أيها الذين آمنوا) اي صدقوا الله ورسوله و (ادخلوا في السلم) اي في الاسلام اي دوموا فيما دخلتم فيه كقوله يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله وبرسوله عن ابن عباس والسدي والضحاك ومجاهد وقيل معناه ادخلوا في السلم في الطاعة عن الربيع وهو اختيار البلخي والكلام محتمل للامرين وحملها على الطاعة اعم ويدخل فيه ما رواه اصحابنا من ان المراد به الدخول في الولاية (كافة) اي جميعا اي ادخلوا جميعا في الاسلام والطاعة والاستسلام وقيل معناه ادخلوا في السلم كله اي في جميع شرائع الاسلام ولا تتركوا بعضه معصية ويؤيد هذا القول ما روي ان قوما من اليهود اسلموا وسألوا النبي أن يبقي عليهم تحريم السبت وتحريم لحم الإبل فأمرهم أن يلتزموا جميع احكام الاسلام (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي آثاره ونزغاته لأن ترككم شيئا من شرائع الاسلام اتباع للشيطان (إنه لكم عدو مبين) اي مظهر للعداوة بامتناعه من السجود لآدم بقوله لأحتكن ذريته إلا قليلا

قوله تعالى (٢٠٨) فَإِنْ زَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فاعلموا ان الله

عزیزٌ حكيمٌ (آية)

﴿ اللغة ﴾

يقال زل الرجل يزل زلا وزللا ومزلة إذا اذنب وزل في الطريق زليلا واصله من الزوال ومعنى الزلة الزوال عن الاستقامة والعزیز هو القدير المنيع الذي لا يعجزه شيء واصل العزة الامتناع ومنه ارض عزاز إذا كانت ممتنعة بالشدّة وقد ذكرنا معنى الحكيم فيما سبق

﴿ الإعراب ﴾

ما حرف موصول وجاءتكم صلته واعلموا جملة في موضع الرفع لأنها بعد الفاء في جواب الشرط والفاء مع الجملة في محل الجزم او محل الرفع لأنه جواب شرط مبني

* المعنى *

لما أمر سبحانه عباده بالطاعة وعقبه بالوعيد على تركها قال (فإن زلتم) أي تنحيتهم عن القصد وعدلتهم عن الطريق القويم الذي أمركم الله تعالى بساواكه (من بعد ما جاءكم البينات) أي الحجج والمعجزات (فاعلموا أن الله عزيز) في نعمته لا يمتنع شيء من بطشه وعقوبته (حكيم) فيما شرع من أحكام دينه لكم وفيما يفعله بكم من العقاب على معاصيكم بعد إقامة الحججة عليكم

قوله تعالى (٢٠٩) هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة
وأنضي الأمور وإلى الله ترجع الأمور (آية)

* القراءة *

قرأ أبو جعفر والملائكة بالجر والباقون بالرفع وقرأ ابن عامر والكسائي وحمزة (ترجع الأمور) بفتح التاء والباقون بضمها

* الحجة *

من قرأ والملائكة بالجر فإنه عطفها على الغمام أي في ظلل من الغمام وفي ظلل من الملائكة أي جماعة من الملائكة وقراءة السبع بالرفع عطفها على قوله الله أي إلا أن يأتيهم الله وإلا أن يأتيهم الملائكة وحجة من قرأ (ترجع الأمور) على بناء الفعل للمفعول به قوله ثم ردوا إلى الله ولئن رددت إلى ربي ولئن رجعت إلى ربي وحجة من قرأ ترجع على بناء الفعل للفاعل قوله ألا إلى الله تصير الأمور إليه مرجعكم

* اللفظة *

النظر هنا بمعنى الانتظار كما في قول الشاعر

فبيننا نحن ننظره أبانا
معلق شكوة وزناد راع

أي ننتظره وأصل النظر الطلب لأدراك الشيء وإذا استعمل بمعنى الانتظار فلأن المنتظر يطلب إدراك ما يتوقع وإذا كان بمعنى الفكر بالقلب فلأن المتفكر يطلب به المعرفة وإذا كان بالعين فلأن الناظر يطلب الرؤية والظلل جمع ظلة وهي ما يستظل به من الشمس وسمي السحاب ظلة لأنه يستظل به والغمام السحاب الأبيض الرقيق سمي بذلك لأنه يغم أي يستر

* الإعراب *

هل حرف استفهام بمعنى النفي . إلاها هنا لنقض النفي . أن يأتيهم الله في موضع نصب ينظرون . من الغمام يتعلق بمحذوف فهو جملة ظرفية في موضع الجر صفة ظلل

* المعنى *

ثم عقب سبحانه ما تقدم من الوعيد بوعيد آخر فقال (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) أي هل ينظرون هؤلاء المكذوبون بآيات الله إلا أن يأتيهم أمر الله أو عذاب الله وما توعدهم به على معصيته في شر من السحاب وقيل قطع من السحاب وهذا كما يقال قتل الأمير فلانا وضربه وأعطاه وإن لم يتول شيئاً من ذلك بنفسه بل فعل بامر فأسند إليه لأمره به وقيل معناه ما ينتظرون إلا أن يأتيهم جلائل آيات الله غير أنه ذكر نفسه تفخيماً للآيات كما يقال دخل الأمير البلد ويراد بذلك جنده وإنما ذكر الغمام ليكون أهول فإن الأهوال تشبه بظلل الغمام كما قال سبحانه وإذا غشيهم موج كالظلل وقال الزجاج معناه يأتيهم الله بما وعدهم

من العذاب والحساب كما قال فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا اي اتاهم بخذلانه إياهم وهذه الأقوال متقاربة المعنى بل المعنى في الجميع واحد اي هل ينتظرون إلا يوم القيامة وهو استفهام يراد به النفي والانكار اي ما ينتظرون كما يقال هل يطلب بمثل هذا إلا متعنت اي ما يطالب ومثله في التنزيل هل ينتظرون إلا أن يأتيهم الملائكة او يأتي امر ربك وقد يقال أتى وجاء فيما لا يجوز عليه المجيء والذهاب تقول أتاني وعيد فلان وجاءني كلام فلان وأتاني حديثه ولا يراد به الاتيان الحقيقي قال

أتاني فلم أسرر به حين جاءني
حديث بأعلى القبتين عجيب
وقال الآخر

أتاني نصرهم وهم بعيد
ببلادهم بأرض الخيزران
واما قوله (والملائكة) فقد ذكرنا الوجه في رفعه وجره قبل وقيل معنى الآية إلا أن يأتيهم الله بظلم من الغمام اي بجلائل آياته وبالملائكة وقوله (وقضى الأمر) معناه فرغ من الأمر وهو المحاسبة واتزال اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار هذا في الآخرة وقيل معناه وجب العذاب اي عذاب الاستئصال وهذا في الدنيا (وإلى الله ترجع الأمور) اي اليه ترد الأمور في سوائه عنها ومجازاته عليها وكانت الأمور كلها له في الابتداء فملك بعضها في الدنيا غيره ثم يصير كلها اليه في الحشر لا يملك احد هناك شيئا وقيل اليه ترجع أمور الدنيا والآخرة
قوله تعالى (٢١٠) **سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيْنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** (آية)

الاعراب

كم في موضع نصب لانه مفعول ثان لا تينا وإنما وجب له صدر الكلام لتضمنه معنى الاستفهام ثم ان هذه الجملة التي هي (كم آتيناهم من آية) قد وقعت موقع المفعول الثاني لقوله سل من آية يتعلق بآتيناهم ايضا وما حرف موصول جاءت صلة والموصول والصلة في موضع جر بإضافة بعد اليه

المعنى

(سل) يا محمد (بني إسرائيل) اي اولاد يعقوب وهم اليهود الذين كانوا حول المدينة والمراد به علماءهم وهو سؤال تقرير لتأكيد الحجية عليهم (كم آتيناهم) اي اعطيناهم (من آية بينة) من حجة ظاهرة واضحة مثل اليد البيضاء وقلب العصا وخلق البحر وتظليل الغمام عليهم وإنزال المن والسلوى عن الحسن ومجاهد وقيل كم من حجة واضحة لمحمد تدل على صدقه عن الجبائي (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته) في الكلام حذف وتقديره فبدلوا نعمة الله وكفروا بآياته وخالفوه فضلوا وأضلوا ومن يبدل الشكر عليها بالكفران وقيل من يصرف أدلة الله عن وجوها بالتأويلات الفاسدة الخالية من البرهان (فإن الله شديد العقاب) له وقيل شديد العقاب لمن عصاه فيدخل فيه هذا المذكور وفي الآية دلالة على فساد قول المجبرة في انه ليس لله سبحانه على الكافرين نعمة لأنه حكم عليهم بتبديل نعم الله كما قال في موضع آخر يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ونحو ذلك من وجه آخر وهو انه اضاف التبديل اليهم واوعدهم عليه بالعقوبة فلو لم يكن فعاهم لما استحقوا العقوبة والتبديل هو أن يحرف او يكتم او يتأول على خلاف جهته كما فعلوه في التوراة والانجيل وكما فعلوه مبتدعة الأمة في القرآن

النظم

لما بين الله تعالى شرائعه وان الناس فيها ثلاث فرق مؤمن وكافر ومنافق ثم وعد واوعد بين بعد ذلك أن تركهم الايمان ليس بتقصير في الحجج ولكن لسوء طباعهم وخبت أفعالهم فقد فعلوا قبلك يا محمد هذا الصنيع فقال

(سبل بني إسرائيل)

قوله تعالى (٢١١) زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (آية)

* اللغة *

التزيين والتحسين واحد والزين خلاف الشين والزينة اسم جامع لكل ما يتزين به

* الإعراب *

الدنيا صفة الحياة بغير حساب الجار والمجرور في محل النصب على الحال والعامل فيه يرزق وذو الحال الضمير
في يرزق او الموصول الذي هو من يشاء وتقديره غير محاسب او غير محاسب

* النزول *

نزلت الآية في ابي جهل وغيره من رونساء قريش بسطت لهم الدنيا وكانوا يسخرون من قوم من المؤمنين
فقراً مثل عبد الله بن مسعود وعمار وبلال وخباب ويقولون لو كان محمد نبياً لاتبعه اشرافنا عن ابن عباس وقيل
نزلت في عبد الله بن أبي واصحابه يسخرون من ضعفاء المؤمنين عن مقاتل وقيل نزلت في رونساء اليهود من بني
قريظة والنضير وقتيئاع سخروا من فقراء المهاجرين عن عطاء ولا مانع من نزوله في جميعهم

* المعنى *

ثم بين سبحانه ان عدوهم عن الايمان إنما هو لا يثارهم الحياة الدنيا فقال (زين للذين كفروا الحياة الدنيا)
وفيه قولان * احدهما * ان الشيطان زينها لهم بأن قوى دواعيهم وحسن فعل القبيح والاحلال بالواجب
اليهم فاما الله فلا يجوز أن يكون المزين لهم إياها لأنه زهد فيها وقال واعلم انها متاع الغرور وقال قل متاع
الدنيا قليل عن الحسن والجبائي * والآخر * ان الله زينها لهم بأن خلق فيها الأشياء المحبوبة المعجبة وبما
خلق لهم من الشهوة لها كما قال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير الآية وإنما كان كذلك لأن
التكليف لا يتم إلا مع الشهوة فإن الإنسان إنما يكلف بأن يدعى إلى شيء تنفر نفسه عنه او يزجر عن شيء
تنوق نفسه اليه وهذا معنى قول النبي (ص) حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وإنما ذكر الفعل وهو مستند
إلى الحياة لأن تأنيث الحياة غير حقيقي وهو بمعنى العيش والبقاء ونحوهما ولأنه فصل بين الفعل والفعل بقوله
(للذين كفروا) وإذا قالوا في الفعل الحقيقي حضر القاضي اليوم امرأة وجوزوا التذكير فيه فهو في التأنيث
غير الحقيقي اجوز (ويسخرون من الذين آمنوا) ويهزون من المؤمنين لقرهم وقيل لا يمانهم بالبعث وجدهم
في ذلك وقيل لزهدهم في الدنيا ويمكن حمله على الجميع إذ لا تنافي بين هذه الأقوال (والذين اتقوا فوقهم
يوم القيامة) اي الذين اجتنبوا الكفر فوق الكفار في الدرجات وقيل اراد أن تمتعهم بنعيم الآخرة أكثر من
استمتاع هولاء في الآخرة بنعيم الدنيا وقيل اراد ان حالهم فوق هولاء الكفار لأنهم في عليين وهو لاء في سجين
وهذا كقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ومثله قول حسان يعني رسول الله و ابا جهل (فشر كما خير كما
القداء) وقيل انه اراد ان حال المؤمنين في الجزء بالكفار والضحك منهم في الآخرة حال فوق هولاء في الدنيا ويدل على
ذلك قوله تعالى إن الذين اجرموا كانوا من المذنبين آمنوا يضحكون إلى قوله فالיום الذين آمنوا من الكفار
يضحكون (والله يرزق من يشاء بغير حساب) قيل فيه اقوال * احدها * ان معناه يعطيهم الكثير
الواسع الذي لا يدخله الحساب من كثرته * وثانيها * انه لا يرزق الناس في الدنيا على مقابلة اعمالهم
وإيمانهم وكفرهم فلا يبدل بسط الرزق للكافر على منزلته عند الله وإن قلنا ان المراد به في الآخرة فمعناه

ان الله لا يشيب المؤمنين في الآخرة على قدر اعمالهم التي سلفت منهم بل يزيدهم تفضلا ﴿ وثالثها ﴾ انه يعطيه عطاؤه لا يواخذة بذلك أحد ولا يسأله عنه سائل ولا يطلب عليه جزاء. ولامكافاة ﴿ ورابعها ﴾ انه يعطي العدد من الشيء لا يضبط بالحساب ولا يأتي عليه العدد لأن ما يقدر عليه غير متناه ولا محصور فهو يعطي الشيء لا من عدد اكثر منه فينقص منه كمن يعطي الألف من الألفين والعشرة من المائة عن قطرب ﴿ وخامسا ﴾ ان معناه يعطي اهل الجنة ما لا يتناهى ولا يأتي عليه الحساب وكل هذه الوجوه جائز حسن

قوله تعالى (٢١٢) كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ السِّيَرَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر القاري وحده ليحكم بضم اليا، وفتح الكاف والباقون بفتح اليا. وضم الكاف

﴿ الحجة ﴾

وجه القراءة الظاهرة ان الكتاب يحكم ويكون على التوسع كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ويحوز ان يكون فاعل يحكم الله اي ليحكم الله في عباده ووجه قراءة ابى جعفر ظاهر

﴿ اللغة ﴾

الامة على وجوه ذكرناها عند قوله تلك امة قد خلت وهي هنا بمعنى الملة والدين

﴿ الإعراب ﴾

(مبشرين ومنذرين) نصب على الحال بالحق في موضع الحال والعامل فيه انزل وذو الحال الكتاب (ليحكم) جار ومجرور واللام يتعلق بأنزل و(بغيا بينهم) نصب على انهم مفعول له اي لم يوقعوا الاختلاف إلا للبغي ويحوز ان يكون مصدرا وقع موقع الحال (وما) اسم موصول و(اختلفوا) صلته واللام يتعلق بهدى ومن الحق في موضع الحال من الموصول والعامل فيه هدى والباء في بإذنه يتعلق بهدى ايضا

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه احوال من تقدم من الكفار تسلية للنبي فقال (كان الناس أمة واحدة) اي ذوي أمة واحدة اي اهل ملة واحدة وعلى دين واحد فحذف المضاف واختلف في انهم على اي دين كانوا فقال قوم انهم كانوا على الكفر وهو المروي عن ابن عباس في إحدى الروايتين والحسن واختاره الجبائي ثم اختلفوا في اي وقت كانوا كفارا فقال الحسن كانوا كفارا بين آدم ونوح وقال بعضهم كانوا كفارا بعد نوح إلى ان بعث الله ابراهيم والنبيين بعده وقال بعضهم كانوا كفارا عند مبعث كل نبي وهذا غير صحيح لأن الله بعث كثيرا من الأنبياء إلى المؤمنين فإن قيل كيف يجوز ان يكون الناس كلهم كفارا والله تعالى لا يجوز ان ينجلي الارض من حجة له على خلقه قلنا يجوز ان يكون الحق هناك في واحد او جماعة قليلة لم يكنهم اظهار الدين خوفا وتقية فلم يعتد بهم إذا كانت الغلبة للكفار وقال آخرون انهم كانوا على الحق وهو المروي عن قتادة ومجاهد وعكرمة والضحاك وابن عباس في الرواية الأخرى ثم اختلفوا فقال ابن عباس وقتادة هم كانوا بين آدم ونوح وهم عشر فرق كانوا على شريعة من الحق فاختلفوا بعد ذلك وقال الواقدي والكلامي هم اهل سفينة نوح حين غرق الله

الحلق ثم اختلفوا بعد ذلك فالتقدير على قول هؤلاء. كان الناس أمة واحدة فاختلوا (بعث الله النبيين) وقال مجاهد المراد به آدم كان على الحق إماماً لذريته بعث الله النبيين في ولده وروى أصحابنا عن أبي جعفر الباقر (ع) انه قال كانوا قبل نوح أمة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضلالاً بعث الله النبيين وعلى هذا فالمعنى انهم كانوا متعبدين بما في عقولهم غير مهتدين الى نبوة ولا شريعة ثم بعث الله النبيين بالشرائع لما علم ان مصالحهم فيها بعث الله ابي ارسل الله النبيين (مبشرين) لمن اطاعهم بالجنة (ومندرين) لمن عصاهم بالنار (وانزل معهم الكتاب) اي انزل مع كل واحد منهم الكتاب وقيل معناه وانزل مع بعضهم الكتاب إذ الانبياء لم يكونوا منزلين حتى ينزل الكتاب معهم واراد به مع بعضهم لأنه لم ينزل مع كل نبي كتاب وقيل المراد به الكتب لأن الكتاب اسم جنس فمعناه الجمع قوله (بالحق) اي بالصدق والعدل وقيل معناه وانزل الكتاب بأنه حق وانه من عند الله وقيل معناه وانزل الكتاب بما فيه من بيان الحق وقوله (ليحكم بين الناس) الضمير في يحكم يرجع إلى الله اي ليحكم الله منزل الكتاب وقيل يرجع إلى الكتاب اي ليحكم الكتاب فأضاف الحكم إلى الكتاب وان كان الله هو الذي يحكم على جهة التفضيم لأمر الكتاب (فيا اختلفوا فيه) من الحق قبل انزال الكتاب ومتى سئل عن هذا فقيل إذا كانوا مختلفين في الحق فكيف عهم الكفر في قول من قال انهم كانوا كلهم كفاراً فجوابه انه لا يستتبع ان يكونوا كفاراً وبعضهم يكفر من جهة الغرر وبعضهم يكفر من جهة التقصير كما كفرت اليهود والنصارى في المسيح فقالت النصارى هو رب وقالت اليهود هو كاذب وقوله (وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه) معناه وما اختلف في الحق إلا الذين أعطوا العلم به كاليهود فإنهم كتموا صفة النبي بعدما أعطوا العلم به (من بعد ما جاءتهم البينات) اي الأدلة والحجج الواضحة وقيل التوراة والانجيل وقيل معجزات محمد (بغيا بينهم) اي ظلموا وحسدوا وطلبوا للرئاسة وقوله (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه) معناه فهدى الله الذين آمنوا للحق مما اختلفوا فيه بعلمه والإذن بمعنى العلم مشهور في اللغة قال الحارث بن حنظلة «اذننا بيديها اسماء» اي اعلمتنا وإنا خص المؤمنين لأنهم اقتصوا بالاهتداء وقيل ان معنى بإذنه بلطفه فعلى هذا يكون في الكلام محذوف اي فاهتدوا بإذنه وإنا قال هداهم لما اختلفوا فيه من الحق ولم يقل هداهم للحق فيا اختلفوا فيه لأنه لما كانت العناية بذكر الاختلاف كان أولى بالتقديم فقدمه ثم فسره بمن (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) فيه اقوال ﴿أحدها﴾ ان المراد به البيان والدلالة والصراط المستقيم هو الإسلام وخص به المكلفين دون غيرهم ممن لا يحتمل التكليف عن الجبائي ﴿وثانيها﴾ ان المراد به يهديهم باللطف فيكون خاصاً بمن علم من حاله انه يصلح به عن البلخي وابن الأخشيد ﴿وثالثها﴾ ان المراد به يهديهم إلى صراط الجنة يأخذ بهم على طريقها فتكون مخصوصاً بالمؤمنين

قوله تعالى (٢١٣) أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزأزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا إن نصر الله قريب (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وحده حتى يقول بالرفع والباقون بالنصب

﴿ الحجة ﴾

من نصب فالعنى وزأزلوا إلى أن قال الرسول وما ينصب بعد حتى جاء من الافعال على ضربين ﴿أحدهما﴾ أن يكون بمعنى إلى كما في الآية والآخر أن يكون بمعنى كي كما تقول أسامت حتى أدخل الجنة فهذا

تقديره أسلمت كمي ادخل الجنة فلا إسلام قد كان والدخول لم يكن وفي الوجه الأول كلا الفعلين السبب والمسبب قد مضى وأما من قرأ بالرفع فالفعل الواقع بعد حتى لا يكون إلا فعل حال ويحيى أيضاً على ضربين (أحدهما) أن يكون الفعل الأول الذي هو السبب قد مضى والفعل الثاني المسبب لم يمتض كما تقول مرض حتى لا يرجونه وتتجه الآية على هذا الوجه لأن المعنى زلزلوا فيما مضى حتى إن الرسول يقول الآن متى نصر الله وحكيت الحال التي كانوا عليها كما حكيت الحال في قوله هذا من شيعته وهذا من عدوه (والثاني) أن يكون الفعلان جميعاً قد مضيا نحو سرت حتى ادخلها فالدخول متصل بالسير بلا فصل بينهما والحال محكية كما كانت في الوجه الأول ألا ترى أن ما مضى لا يكون حالاً وحتى إذا رفع الفعل بعدها حرف يستأنف الكلام بعدها وليست العاطفة ولا الجارة وإذا نصب الفعل بعدها فهي الجارة وينصب الفعل بعدها باضمار أن كما ينصب بعد اللام والفعل وإن المضمر معها في موضع جر بحيثى

✽ اللغة ✽

الزلزلة شدة الحركة والزوال البلية المزعجة لشدة الحركة والجمع زلازل وأصله من قولك زال الشيء عن مكانه ضوعف لفظه لمضاعفة معناه نحو صر وصرصر وصل وصلصل فإذا قلت زلزلته فتأويله كررت تحويله عن مكانه

✽ الإغراب ✽

أم هذه هي المنقطعة ومعناه بل حسبتم والفرق بين حسبتم وأم حسبتم أن أم لا تكون إلا متصلة بكلام والألف تكون مستأنفة. أن تدخلوا صلة وموصول في موضع نصب بأنه مفعول حسبتم وقد سد مسد مفعوليه وقيل مفعوله الثاني محذوف وتقديره أم حسبتم دخولكم الجنة ثابتاً والجنة نصب لأنها ظرف مكان لتدخلوا ولما أصله لم زيد عليها ما فغيرت معناها كما غيرت معنى لو إذا قلت لوما فصيrote بمعنى هلا والفرق بين لم ولما أن لما يصح أن يوقف عليها مثل قولك في جواب من يقول أقدم الأمير. لوما ولا يجوز أن يقول لم وفي لما توقع لأنها عقيبته قد إذا انتظر قوم ركوب الأمير قلت قد ركب فإن نفيت هذا قلت لما يركب وليس كذلك لم ويجمعها نفي الماضي مثل مرفوع بأنه صفة محذوف مرفوع بيا تي تقديره ولما يأتكم نصب مثل الذي أصاب الذين خلوا من قبلكم وإضافة مثل غير حقيقية لأنه في تقدير الانفصال فالمجرور في تقدير المنصوب لأنه مفعول ولما مع الجملة في موضع نصب على الحال والواو أو الحال وتقديره أن تدخلوا الجنة غير مصابين ومستهم بالأساء في موضع الحال أيضاً باضمار قد والعامل فيه خلوا وزلزلوا معطوفة على مستهم ونصر الله مبتدأ وإضافة غير حقيقية ومتى في موضع خبر المبتدأ

✽ النزول ✽

قيل نزلت يوم الخندق لما اشتدت المخافة وحوصر المسلمون في المدينة فدعاهم الله إلى الصبر ووعدهم بالنصر عن قتادة والسدي وقيل نزلت في حرب أحد لما قال عبد الله بن أبي لأصحاب النبي إلى متى تقتلون أنفسكم لو كان محمد نبياً ما سلط الله عليه الأسر والقتل وقيل نزلت في المهاجرين من أصحاب النبي (ص) إلى المدينة إذ تركوا ديارهم وأموالهم ومسهم الضر عن عطا

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه ما جرى على المؤمنين من الأمم الحالية تسلياً لئيبه ولأصحابه فيما نالهم من المشركين وأمثالهم لأن سماع أخبار الصالحين يرغب في مثل أحوالهم فقال (أم حسبتم) معناه بل أظننتم وخلصتم أيها

المؤمنون (أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) معناه ولما تمتحنوا به وتبتلوا بمثل ما امتحنوا فتصبروا كما صبروا وهذه استدعاء إلى الصبر وبعده الوعد بالنصر والمثل مثل الشبه والشبه أي لم يصبكم شبه الذين خلوا أي مضوا قبلكم من النبيين والمؤمنين وفي الكلام حذف وتقديره مثل محنة الذين أو مصيبة الذين مضوا ثم ذكر سبحانه ما أصاب أولئك فقال (مستهم البأساء والضراء) والمس واللمس واحد البأساء نقيض النعاه والضراء نقيض السراء وقيل البأساء القتل والضراء الفقر وقيل هو ما يتعلق بمضار الدين من حرب وخروج من الأهل والمال واخراج فمدحوا بذلك إذا توقعوا الفرج بالصبر (وزلزلوا) أي حركوا بأنواع البلايا وقيل معناه هنا ازعجوا بالمخافة من العدو وذلك لفرط الخيرة (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) قيل هذا استعجال للموعود كما يفعله המתحن وإنما قاله الرسول استبطاء للنصر على جهة التمني وقيل إن معناه الدعاء لله بالنصر ولا يجوز أن يكون على جهة الاستبطاء لنصر الله لأن الرسول يعلم أن الله لا يؤخره عن الوقت الذي توجبه الحكمة ثم أخبر الله سبحانه أنه ناصر أوليائه لا محالة فقال (ألا إن نصر الله قريب) وقيل إن هذا من كلامهم بأنهم قالوا عند الإياس (متى نصر الله) ثم تفكروا فعملوا أن الله منجز وعده فقالوا (ألا إن نصر الله قريب) وقيل إنه ذكر كلام الرسول والمؤمنين جملة وتفصيلا وقال المؤمنون متى نصر الله وقال الرسول (ألا إن نصر الله قريب) كقوله جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله أي لتسكنوا بالليل ولتبتغوا من فضله بالنهار

قوله تعالى (٢١٤) **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْآقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (آية)**

اللغة

النفقة اخراج الشيء من الملك ببيع أو هبة أو صلة أو نحو ذلك وقد غلب في العرف على اخراج ما كان من المال من عين أو ورق والسؤال طلب الجواب بصيغة مخصوصة من الكلام

الإعراب

موضع ما من قوله ماذا ينفقون يحتمل أن يكون مرفوعا أو منصوبا فأما الرفع فيكون على تقدير ما الذي ينفقون أي أي شيء الذي ينفقونه والعائد من الصلة محذوف ويكون ذا موصولا بمنزلة الذي وينفقون صلته والنصب على تقدير أي شيء ينفقون فيكون ما وذا بمنزلة شيء واحد ويكون ذا لغوا لأن ما مفيدة للمعنى وما من قوله ما أنفقتم اسم للشرط في محل الرفع بالابتداء وأنفقتم في محل الجزم بما من خير جار ومجرور في موضع الحال ومن لتبيين وتقديره ما أنفقتم كأننا من خير فذو الحال الضمير المحذوف من الصلة فللو الذين الجار والمجرور خبر مبتدأ محذوف والمبتدأ والخبر في محل الرفع لوقوعها بعد الفاء والفاء مع ما بعده جواب للشرط ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه ما مع الشرط والجزاء في موضع رفع لأنها خبر المبتدأ الأول (وما تفعلوا) ما اسم شرط في محل النصب بتفعلوا ويجوز أن يكون ما في أنفقتم أيضا منصوب الموضع بأنفقتم فيكون مفعولا له

النزول

نزلت في عمر بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال كثير فقال يارسول الله باذا أتصدق وعلى من أتصدق فأنزل الله هذه الآية

المعنى

(يسألونك) يا محمد (ماذا) أي شيء ينفقون والسؤال عن الإنفاق يتضمن السؤال عن المنفق عليه فإنهم قد

علموا أن الأمر وقع بانفاق المال فجاء الجواب ببيان كيفية النفقة وعلى من ينفق فقال قل يا محمد (ما انفقتم من خير) اي ما دل على ان له مقدارا وانه مما ينتفع به لأن ما لا ينتفع به لا يسمى خيرا (فلوالدين والاقربين) والمراد بالوالدين الأب والأم والجدة والجد وإن علوا لأنهم يدخلون في اسم الوالدين والمراد بالاقربين اقارب المعطي (واليتامى) اي كل من لا أب له مع صغره (والمساكين) الفقراء (وابن السبيل) المنقطع به واختلوا في هذه النفقة فقال الحسن المراد به نفقة التطوع على من لا يجوز وضع الزكاة عنده والزكاة لمن يجوز وضع الزكاة عنده فهي عامة في الزكاة المفروضة وفي التطوع وقال السدي الآية واردة في الزكاة ثم نسخت ببيان مصارف الزكاة والأول اظهر لأنه لا دليل على نسخها واتفق العلماء على انه لا يجوز دفع الزكاة إلى الأب والأم والجد والجدة وإلى الأولاد فأما النفقة فلا خلاف ان النفقة على الوالدين إذا كانا فقيرين واجبة وأما النفقة على ذي الرحم فلا يجب عندنا وعند الشافعي ويجب عند ابي حنيفة وقوله (وما تفعلوا من خير) اي من عمل صالح يقربكم إلى الله (فإن الله به عليم) يجازيكم به من غير أن يضيع منه شيء لأنه تعالى لا يخفى عليه شيء

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان الآية الاولى فيها دعاء إلى الصبر على الجهاد في سبيل الله وفي هذه الآية بيان لوجه النفقة في سبيل الله وكل ذلك دعاء إلى فعل البر والطاعة

قوله تعالى (٢١٥) كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الكره بالفتح المشقة التي تحمل على النفس والكره بالضم المشقة حمل على النفس او لم يحمل وقيل الكره الكراهة والكره المشقة وقديكره الانسان ما لا يشق عليه وقديشق عليه ما لا يكرهه وقيل الكره والكره لغتان مثل الضعف والضعف والخير نقيض الشر والخير النفع الحسن والشر الضرر القبيح وهذا هو الأصل ثم يستعملان في غير ذلك توسعا يقال شر يشر شرارة وشرار الناس وشررها لها وشرة الشباب نشاطه وتشري اللحم او الثوب ان تبسطه ليحفظ والإشراق الإظهار

﴿ الإعراب ﴾

(وهو كره لكم) فيه حذف وتقديره وهو ذو كره لكم ويجوز أن يكون معناه وهو مكروه لكم فوقع المصدر موقع المفعول ومثله رجل رضا أي ذو رضا ويجوز أن يكون بمعنى مرضي (وعسى أن تكرهوا) موضع أن تكرهوا رفع بأنه فاعل عسى وعسى هذه تامة لأنها تمت بالفاعل ولم تحتج إلى خبر

﴿ المعنى ﴾

هذه الآية بيان لكون الجهاد مصلحة لمن أمر به قال سبحانه (كتب عليكم القتال) أي فرض عليكم الجهاد في سبيل الله (وهو كره لكم) أي شاق عليكم تكرهونه كراهة طبايع لا على وجه السخط وقد يكون الشيء مكروها عند الإنسان في طبعه ومن حيث تنفر نفسه عنه وإن كان يريد أن الله تعالى أمره بذلك كالصوم في الصيف وقيل معناه انه مكروه لكم قبل أن يكتب عليكم لأن المؤمنين لا يكرهون ما كتب الله عليهم (وعسى أن تكرهوا شيئا) معناه وقد تكرهون شيئا في الحال وهو خير لكم في عاقبة أموركم كما تكرهون القتال لما فيه من المخاطرة بالروح (وهو خير لكم) لأن لكم في الجهاد إحدى الحسنين

إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة (وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم) أي وقد تحبون ما هو شر لكم وهو القعود عن الجهاد لمحبة الحياة وهو شر لما فيه من الذل والفقر في الدنيا وحرمان الغنيمة والأجر في العقبى (والله يعلم) أي يعلم ما فيه مصالحكم ومنافعكم وما هو خير لكم في عاقبة أمركم (وانتم لا تعلمون) ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به وإن شق عليكم وأجمع المفسرون إلا عطاء. إن هذه الآية دالة على وجوب الجهاد وفرضه غير أنه فرض على الكفاية حتى إن لو قعد جميع الناس عنه أثموا به وإن قام به من في قيامه كفاية وغناء سقط عن الباقي وقال عطاء إن ذلك كان واجباً على الصحابة ولم يجب على غيرهم وقوله شاذ عن الإجماع

قوله تعالى (٢١٦) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَبَأُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ قِمَتٌ مِّمَّا كَفَرَ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الصد والمنع والصرف نظائر يقال صد عن الشيء يصد صدوداً وصد إذا عرض وعدل عنه وصد غيره يصد صد إذا عدل به عنه ومنعه والصد ما استقبلك وصار في قبالتك لأنه يعدل إلى مواجهتك والصدان ناحيتا الشعب والوادي والصداد ضرب من الجرذان يعد لك لشدة تحرزه الصداد الوزغ لأنه يعدل عنه استقذاره واصل الباب العدول لا يزال أصله من الزوال وهو العدول ومعنى لا يزال يدوم موجوداً وما زال أي دام. وحبط عمل الرجل حبطاً وحبوطاً واحبطه الله احباطاً والحبط فساد يلحق الماشية في بطونها لأكل الحباط وهو ضرب من الكلال يقال حبطت الإبل تجبط حبطاً إذا أصابها ذلك ثم سمي الهلاك حبطاً وفي الحديث إن مما نبئت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم

﴿ الإعراب ﴾

قتال فيه مجرور على البدل من الشهر وهو بدل الاشتغال لأن الزمان يشتمل على ما يقع فيه ومثله في المكان قوله قتل أصحاب الأخدود النار وقال الاعشى

لقد كان في حول ثواء ثوبته تقضى لباناتٍ ويسأمُ سائمٌ

وقال الكوفيون هو مجرور على اضمار عن وقال بعضهم هو على التكرير وهذه الفاظ متقاربة في المعنى وإن اختلفت في العبارة عنه وقوله قتال مرفوع بالابتداء وكبير خبره وصد عن سبيل الله مبتدأ وكفر به معطوف عليه وإخراج أهله منه معطوف عليه أيضاً وخبره أكبر عند الله أي هذه الأشياء أكبر عند الله أي أعظم إن شاء الله تعالى وإجاز الفراء رفعه على وجهين ﴿أحدهما﴾ أنه مردود على كبير أي قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به أي القتال قد جمع أنه كبير وأنه صد عن سبيل الله وكفر به ﴿والآخر﴾ أن يجعل الصدا الكبير أي القتال فيه كبير والصد عن سبيل الله كبير فيكون مرتفعاً بالابتداء وخبره محذوف وخطأ العلماء بالنحو قالوا لأنه يصير المعنى في التقدير الأول قل القتال في الشهر الحرام كفر بالله وهذا خطأ بالإجماع ويصير التقدير في الثاني وإخراج أهله منه أكبر عند الله من الكفر وهذا أيضاً خطأ بالإجماع وللغراء إن يقول في هذه: المعنى وإخراج أهله منه أكبر من القتل

فيه لا من الكفر به لأن المعنى في إخراج أهله منه إخراج النبي والمؤمنين بعده فأما الوجه الأول فلا مخلص للفرا منه والمسجد الحرام مجرور عطف على سبيل الله كأنه قال وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وهو قول المبرد وقيل انه عطف على الشهر الحرام كأنه قال يسألونك عن القتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام وهو قول الفراء ولا يجوز حمله على الباء في قوله وكفر به لأنه لا يعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار إلا في ضرورة شعر ومن يرتدد على اظهار التضعيف لسكون الثاني ويجوز يرتد بفتح الدال على التحريك لالتقاء الساكنين بأخف الحركات ويجوز بكسر الدال على أصل التحريك لالتقاء الساكنين والفتح أجود

﴿ النزول ﴾

قال المفسرون بعث رسول الله سرية من المسلمين وأمر عليهم عبد الله بن جحش الأسدي وهو ابن عمه النبي (ص) وذلك قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة فانطلقوا حتى هبطوا نخلة فوجدوا بها عمرو بن الحضرمي في غير تجارة لقريش في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون انه من جمادى وهو رجب فاخصم المسلمون فقال قائل منهم هذه غرة من عدو وغنم رزقتموه ولا ندري أمن الشهر الحرام هذا اليوم أم لا وقال قائل منهم لا نعم هذا اليوم إلا من الشهر الحرام ولا نرى أن تستحلوه لطمع أشفيتم عليه فغلب على الأمر الذي يريدون عرض الحياة الدنيا فشدوا على ابن الحضرمي فقتلوه وغنموا غيره فبلغ ذلك كفار قريش وكان ابن الحضرمي أول قتيل قتل بين المشركين والمسلمين وذلك أول فيء اصابه المسلمون فركب وفد كفار قريش حتى قدموا على النبي (ص) فقالوا أيحل القتال في الشهر الحرام فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

(يسألونك) يا محمد والسائلون اهل الشرك على جهة العيب للمسلمين باستحلالهم القتال في الشهر الحرام من الحسن وأكثر المفسرين وقيل السائلون اهل الإسلام سألوا عن ذلك ليعلموا كيف الحكم فيه (عن الشهر الحرام قتال فيه) يعني عن قتال في الشهر الحرام وهو رجب سمي بذلك لتحريم القتال فيه ولعظم حرمة ولذلك كان يسمى في الجاهلية منزع الأسنان ومنصل الال لأنهم كانوا ينزعون الأسنان والنصال عند دخول رجب انطواء على ترك القتال فيه وكان يدعى الأصم لأنه لا يسمع فيه قعقة السلاح فنسب الصمم اليه كما قيل ليل نام وسر كاتم فكان الناس لا يخاف بعضهم بعضاً وتأمّن السبل إلى أن ينقضي الشهر (قل) يا محمد (قتال فيه) أي في الشهر الحرام (كبير) أي ذنب عظيم ثم استأنفه وقال (وصد عن سبيل الله وكفر به) أي والصد عن سبيل الله والكفر بالله (والمسجد الحرام) أي والصد عن المسجد الحرام وعلى القول الآخر معناه يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام وقيل معناه والكفر والمسجد الحرام عن الجبائي فحمله عن الباء في قوله (وكفر به وإخراج أهله) يعني اهل المسجد وهم المسلمون (منه) أي من المسجد (أكبر) أي أعظم وزرا (عند الله) يعني إخراجهم المسلمين من مكة حين هاجروا إلى المدينة والظاهر يدل على أن القتال في الشهر الحرام كان محرماً لقوله قل قتال فيه كبير وذلك لا يقال إلا فيأهو محرم محذور وقيل ان النبي (ص) عقل ابن الحضرمي وقوله (والفتنة اكبر من القتل) معناه الفتنة في الدين وهو الكفر اعظم من القتل في الشهر الحرام يعني قتل ابن الحضرمي وقال قتادة وغيره ان تحريم القتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام منسوخ بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة وبقوله أقتلو المشركين حيث وجدتموهم وقال عطاء باق على التحريم وعندنا انه باق على التحريم فيمن يرى هذه الأشهر حرمة ولا يتدثون فيها بالقتال وكذلك في الحرم وإنما أباح الله تعالى للنبي (ص) قتال اهل مكة عام الفتح فقال (ع) ان الله أحلهالي في هذه الساعة ولم يحلها لأحد من بعدي إلى يوم القيامة ومن لا يرى منهم حرمة الحرم وحرمة هذه الأشهر جاز قتاله أي وقت كان والتحريم منسوخ في حقه وقوله تعالى (ولا يزالون يقاتلونكم)

يعني أهل مكة يقاتلونكم يا معشر المسلمين (حتى يردوكم عن دينكم) أي يصرفوكم عن دين الإسلام ويلجئوكم إلى الارتداد (إن استطاعوا) أي إن قدروا على ذلك (ومن يرتدد منكم عن دينه) هذا تحذير عن الارتداد ببيان استحقاق العذاب عليه (فيمت وهو كافر) يعني مات على كفره (فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) معناه أنها صارت بمنزلة ما لم يكن لا يقاعهم إياها على خلاف الوجه المأمور به لأن اجباط العمل وإبطاله عبارة عن وقوعه على خلاف الوجه الذي يستحق عليه الثواب وليس المراد أنهم استحقوا على أعمالهم الثواب ثم انحبط لأنه قد دل الدليل على أن الاجباط على هذه الوجه لا يجوز (أو لك أصحاب النار فيها خالدون) أي دائمون

﴿ النظم ﴾

نظم الآية وتقديرها يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام فقل ذلك كبير ولكن الكفر بالله وصد المسلمين من بيت الله ودينه وإخراجهم عن أوطانهم أعظم عند الله وأكبر وزرا وهو لا الكفار مع هذه الأفعال يقاتلونكم ليردوكم عن الدين فكل واحد من هذا أعظم مما سألوا عنه
قوله تعالى (٢١٧) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

الهجر ضد الوصل يقال هجره بهجره هجرانا وهجرنا وهجرة إذا قطع مواصلته وهجر المريض بهجر هجرا إذا قال ما ينبغي أن يهجر من الكلام وسموا المهاجرين لهجرتهم قومهم وأرضهم وإنما أطلق على هؤلاء اللفظ الذي يقع على الاثنين لأن كل واحد من هؤلاء فعل مثل صاحبه وترك ما تركه اختيارا لصحة النبي وجاهدت العدو ومجاهدة وجاهدا إذا حملت نفسك على المشقة في قتاله والرجاء الأمل وقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا أي لا تخافون وقال ابو ذؤيب

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عواسل
أي لم يخف وذلك أن الرجاء للشيء معه الخوف من أن لا يكون فلذلك سمي الخوف باسم الرجاء

﴿ التزول ﴾

ترت الآية في قصة عبدالله جحش واصحابه لما قاتلوا في رجب وقتل وافد السهمي ابن الحضرمي فظن قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فأنزل الله الآية فيهم بالوعد

﴿ المعنى ﴾

(إن الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله (والذين هاجروا) أي قطعوا عشائرهم وفارقوا منازلهم وتركوا أموالهم (وجاهدوا في سبيل الله) أي قاتلوا الكفار في طاعة الله التي هي سبيله المشروعة لعباده وإنما جمع بين هذه الأشياء لبيان فضلها والترغيب فيها لأن الثواب لا يستحق على واحد منهما على الانفراد (أو لك يرجون رحمة الله) أي يأملون نعمة الله في الدنيا والعقبى وهي النصرة في الدنيا والثوبة في العقبى (والله غفور) يغفر ذنوبهم (رحيم) يرحمهم وإنما ذكر لفظ الرجاء للمؤمنين وإن كانوا يستحقون الثواب قطعاً وبقيناً لأنهم لا يدرون ما يكون منهم في المستقبل الإقامة على طاعة الله أو الانقلاب عنها إلى معصية الله ووجه آخر وهو الصحيح وهو أن يرجوا رحمة الله في غفران ما عصيهم التي لم يتفق لهم التوبة منها واحترموا دينها فهو يرجون أن يسقط الله عقابهم عنهم تفضلاً فأما الوجه الأول فإنما يصح على مذهب من يجوز أن يكفر المؤمن بعد إيمانه

او يفعل في المستقبل كبيرة تحبط ثواب إيمانه وهذا لا يصح على مذهبنا في الموافقة وقال الحسن أراد به إيجاب الرجاء والطمع على المؤمنين لأن رجاء رحمة الله من أركان الدين واليأس من رحمته كفر كما قال ولا ييأس من روح الله الآية والأمن من عذابه خسران كما قال ولا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ فمن الواجب على المؤمن أن لا ييأس من رحمته وان لا يَأْمَنُ من عقوبته ويؤيده قوله تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وقوله يدعون ربهم خوفاً وطمعا وليس في الآية دلالة على أن من مات مصراً على كبيرة لا يرجو رحمة الله لأمرين أحدهما أن دليل المفهوم غير صحيح عند أكثر المحصلين والآخر أنه قد يجتمع عندنا الإيمان والهجرة والجهاد مع ارتكاب الكبيرة ولا يخرج من هذه صورته عن تناول الآية له

✽ النظم ✽

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما ذكر في الأولى العذاب ذكر بعدها الثواب ليكون العبد بين الخوف والرجاء إذ ذلك أحق بتدبير الحكماء واوكد في الاستدعاء.

قوله تعالى (٢١٨) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَعْظَمُ مِنَ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا بِهِمْ فَآخُوا بِاللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنبَتَكُمْ

إِنَّا اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

آيتان في الكوفي وآية واحدة فيما عد الكوفي تفكرون آية وتركها غيره

✽ القراءة ✽

قرأ اهل الكوفة غير عاصم إثم كثير بالثاء والباقون بالباء وقرأ ابو عمرو وحده قل العفو بالرفع والباقون بالنصب

✽ الحجة ✽

قال ابو علي حجة من قرأ بالباء أن يقول الباء أولى لأن الكبر مثل العظم ومقابلته الصغر والكبير العظيم قال تعالى وكل صغير وكبير مستطر وقد استعملوا في الذنب إذا كان موبقاً الكبيرة كقوله كباثر ما تنهون عنه وكباثر الإثم فلذلك ينبغي أن يكون قوله قل فيها إثم كبير بالباء لأن شرب الخمر والميسر من الكبيرة وقالوا في غير الموبق صغير وصغيرة ولم يقولوا قليل ومقابل الكثير القليل كما ان مقابل الكبير الصغير ويدل على ذلك ايضاً قوله وإثمها أكبر من نفعهما واتفاقهم هنا على أكبر ورفضهم لأكثر ووجه من قرأ بالثاء انه قد جاء فيها إنفا يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة وفي الحديث لعن الرسول في الحديث عشرة مشترها والمشتراة له وعاصرها والمصورة له وساقها والمستقى لها وحاملها والمحمولة اليه وأكل ثمنها فهذا يقوي قراءة من قرأ كثير واما وجه قول من نصب العفو فهو أن قولهم ماذا يستعمل على ضربين أحدهما أن يكون مامعاً إذا سئلوا أحداً والآخر أن يكون ذا معنى الذمي فالأول قول العرب عما إذا تسل أنبتوا الألف في ما لما كان مامعاً إذا بنزلة اسم واحد فإن الحذف إنما يقع إذا كانت الألف آخرها ومن ذلك قول الشاعر

يا خبوت تطلب ماذا بال نسوتكم لا يستفمن إلى الدينين تخاننا

اي ما بال نسوتكم فإذا كان ما مع ذا بمنزلة اسم واحد كان قوله ماذا ينفقون في موضع نصب بمنزلة ما ينفقون أي أيا ما ينفقون جواب هذا العفو بالنصب واما وجه قول من رفع فهو أن يجعل ماذا على الضرب الآخر فيكون تقديره ما الذي ينفقون فجوابه العفو على أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي الذي ينفقون العفو ومثله في التنزيل وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين واعلم أن سيويه لا يجوز أن يكون ذا بمنزلة الذي إلا في هذا الموضع لما قامت الدلالة على ذلك والكوفيون يميزون في غير هذا الموضع ويحتجون بقول الشاعر

عدس ما لبلاد عليك اشارة
نجوت وهذا تحملين طليق

وبقوله سبحانه وما تلك بيمينك يا موسى ولا دلالة لهم في الآية فإن قوله بيمينك يجوز أن يكون ظرفا في موضع الحال فلا يكون صلة وكذلك تحملين في البيت والعامل في الحال في الموضعين ما في المبهم من معنى الفعل

اللغة

الخمر اصله الستر والخمر ما وارك من الشجر وغيره ومنه الخمر للمقنعة ودخل في خمار الناس أي في الكثير الذي يستتر فيهم ويقال خامره الداء إذا خالطه قال كثير

هنيئا مريئا غير داء مخامر
لعزة من اعراضنا ما استحلحت

وخمرت الاناء أي غطيته وفي الحديث كان النبي يسجد على الخمرة وهي السجادة الصغيرة من الخصر سميت بذلك لأنها تستر الوجه عن الارض قال الزجاج وقد لبس على أبي الأسود الدؤلي فقيل ان هذا المسكر الذي سموه بغير الخمر حلال فظن ان ذلك كما قيل له ثم رده طبعه إلى أن حكم بأنها واحد فقال له

دع الخمر تشربها الغواة فإنني
رأيت أخاها مجرما بمكانها

فإن لا يكنها أو تكنه فإنه
أخوها غدتته أمه بلبانها

وأصل الباب الستر والميسر القمار اشتق من اليسر وهو وجوب الشيء لصاحبه من قولك يسر لي هذا الشيء ييسر يسرا وميسرا إذا وجب لك والياسر الواجب بقداح وجب لك أو غيره وقيل للمقامر يلسر ويسر قال النابغة

أو ياسر ذهب القداح بوفره
أسف تأكله الصديق مخلع

أي قامر وقيل اخذ من التجزئة لأن كل شيء جزأته فقد يسرته والياسر الجازر والميسر الجزور وقيل اخذ من اليسر وهو السهولة لأنهم كانوا يشتركون في الجزور ليسهل أمرها إلا انه على جهة القمار والعفو مأخوذ من الزيادة ومنه قيل حتى عفوا أي زادوا على ما كانوا عليه من العذاب قال الشاعر

ولكننا يعرض السيف منا
باسوق عافيات الشحم كوم

أي زائدات الشحم وقيل هو مأخوذ من الترك من قوله فمن عفي له من أخيه شيء أي ترك ومنه قوله عفوت لكم عن صدقة الخيل أي تركتها فيكون العفو المتروك غنى عنه والمخالطة مجامعة يتعذر معها التمييز كخالطة الخيل للما وما أشبهه والخليطان الشريكان لاختلاط أموالهما واخليط القوم أمرهم واحد والاعنات الحمل على مشقة لا تطاق ثقلا وعت العظم عنتا أصابه وهن أو كسر بعد جبر وعت عنتا إذا اكتسب مأثما وتعتته تعنتا إذا لبس عليه في سره له والاكمة العنوت الطويلة واصل الباب المشقة والشدة

الإعراب

العامل في الظرف من قوله في الدنيا والآخرة قوله يبين أي يبين لكم الآيات في امر الدنيا والآخرة ويجوز أن يكون يتفكرون أيضا أي يتفكرون في أمر الدنيا وأمر الآخرة وقوله فأخوانكم رفع على أنه

خبر مبتدأ محذوف وتقديره فهم اخوانكم ويجوز في العربية فأخوانكم على النصب على تقدير فأخوانكم
يخالطون والوجه الرفع

✽ النزول ✽

نزلت في جماعة من الصحابة أتوا رسول الله (ص) فقاوا افتنا في الخمر والميسر فإنها مذهبة للعقل مسلبة
للمال فنزات الآية

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد سبحانه إلى بيان الشرائع والأحكام فقال (يسألونك) يا محمد (عن الخمر) وهي كل شراب
مسكر مخالط للعقل مغط عليه وما أسكر كثيره فقليله خمر هذا هو الظاهر في روايات اصحابنا وهو مذهب
الشافعي وقيل الخمر عصير العنب إذا اشتد وعلى وهو مذهب ابي حنيفة (والميسر) وهو القمار كله عن ابن عباس
وابن مسعود ومجاهد وقتادة والحسن وهو المروي عن أنتمنا حتى قالوا ان لعب الصبيان بالجوز هو قمار (قل فيها)
اي في الخمر والميسر (إثم كبير) اي وزر عظيم وكثير من الكثرة (ومنافع للناس) منفعة الخمر ما كانوا
يأخذونه في أثمانها وما يحصل من اللذة والطرب والقوة بشربها ومنفعة القمار هو ان يفوز الرجل بمال صاحبه من
غير كد ولا مشقة ويرتفق به الفقراء. (وإثمها اكبر من نفعها) اي ما فيها من الإثم اكبر مما فيها من النفع
لأن نفعها في الدنيا وما يحصل من الإثم بهما يوجب سخط الله في الآخرة فلا يظهر في جنبه الا نفع قليل
لا بقاء له قال الحسن في الآية تحريم الخمر من وجهين ﴿ احدهما ﴾ قوله وإثمها اكبر فإنه إذا زادت
مضرة الشيء على منفعتها اقتضى العقل الامتناع عنه ﴿ والثاني ﴾ انه بين ان فيها الإثم وقد حرم في آية
أخرى الإثم فقال قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم وقيل ان الخمر يسمى إثما في اللغة قال الشاعر

شربت الإثم حتى ضل عقلي كذاك الإثم يصنع بالعقول

على انه قد وصف الإثم بأنه كبير والكبير محرم بلا خلاف وقال الضحاك معناه وإثمها بعد تحريمها
اكبر من نفعها قبل تحريمها وقال سعيد بن جبير كلاهما قبل التحريم يعني أن الإثم الذي يحدث من اسبابها
اكبر من نفعها وقال قتادة هذه الآية لا تدل على تحريمها وإنما تدل الآية التي في المائدة من قوله إنما الخمر
والميسر إلى آخرها وقوله (ويسألونك ماذا ينفقون) اي اي شيء ينفقون والسائل عمرو بن الجموح سأل عن
النفقة في الجهاد وقيل في الصدقات (قل العفو) فيه إقوال ﴿ احدها ﴾ انه ما فضل عن الأهل والعيال او
الفضل عن الغنى عن ابن عباس وقتادة ﴿ وثانيها ﴾ ان العفو الوسط من غير إسراف ولا اقتار عن الحسن وعطا
وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) ﴿ وثالثها ﴾ ان العفو ما فضل عن قوت السنة عن ابي جعفر الباقر (ع)
قال ونسخ ذلك بآية الزكاة وبه قال السدي ﴿ ورابعها ﴾ ان العفو اطيّب المال وافضله وقوله (كذلك)
إنما وحد الكاف لأن الخطاب للنبي ويدخل فيه الأمة وقيل ان تقديره كذلك ايها القبيل (يبين الله لكم
الآيات) اي الحجج في امر النفقة والخمر والميسر وقيل في سائر شرائع الإسلام (لعلكم تتفكرون) اي
لكي تتفكروا (في الدنيا والآخرة) اي في امر الدنيا وامر الآخرة فتعلمون ان الدنيا دار بلا. وعنا. وفناء
والآخرة دار جزاء وبقاء فترعدوا في هذه وترغبوا في تلك وقيل انه من صلة يبين اي كما يبين لكم
الآيات في الخمر والميسر يبين لكم الآيات في أمور الدنيا والآخرة لكي تتفكروا في ذلك دلالة على ان الله
أراد منهم التفكير سواء تفكروا أو لم يتفكروا (ويسألونك عن اليتامى) قال ابن عباس لما أنزل الله ولا
تقربوا مال اليتيم الآية وان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انطلق كل من كان عنده يتيم فعزل طعامه من
طعامه وشرابه من شرابه واشتد ذلك عليهم فسألوا عنه فنزلت هذه الآية ولا بد من اضمار في الكلام لأن

السؤال لم يقع عن اشخاص اليتامى ولا ورد الجواب عنها فالمعنى يسألونك عن القيام على اليتامى والتصرف بأموال اليتامى قل يا محمد (اصلاح لهم خير) يعني اصلاح لأموالهم من غير أجر ولا أخذ عوض منهم خير واعظم أجراً (وإن تحاطبهم) أي تشاركونهم في أموالهم وتحاطبوا بأموالكم فتصيبوا من أموالهم عوضاً عن قيامكم بأموالهم (فإخوانكم) أي فهم إخوانكم والأخوان يعين بعضهم بعضاً ويصيب بعضهم من مال بعض وهذا أذن لهم فيما كانوا يتحرجون منه من مخالطة الأيتام في الأموال من المأكل والمشرب والمسكن ونحو ذلك ورخصة لهم في ذلك إذا تحروا الصلاح بالتوفير على الأيتام عن الحسن وغيره وهو المروي في أخبارنا (والله يعلم المقصد من المصاح) معناه والله يعلم من كان غرضه من مخالطة اليتامى افساد مالهم أو اصلاح مالهم (ولو شاء الله لاعتبكم) أي لضيق عليكم في امر اليتامى ومخالطتهم والزومكم ما كنتم تجتنبونه من مشاركتهم وقال الزجاج معناه لكلفكم ما يشق عليكم فتعتنون ولكنه لم يفعل وفي هذا دلالة على بطلان قول المجبرة لأنه سبحانه إذا لم يشأ اعتابهم ولو أغنتهم لكان جائزاً حسناً لكنه وسع عليهم لما في التوسعة من النعمة فكيف يصح ان يشأ تكليف ما لا يطاق وكيف يكلف ما لا سبيل للمكلف اليه ويأمره بما لا يتصور احداثه من جهته وأي عنت اعظم من هذا قال البلخي وفيه ايضاً دلالة على فساد من قال انه تعالى لا يقدر على الظلم لأن الإعتاب بتكليف ما لا يجوز في الحكمة مقدور ولو شاء لفعله (إن الله عزيز) يفعل بعزته ما يجب لا يدفعه عنه دافع (حكيم) في تدبيره وافعاله ليس له عما توجه الحكمة مانع

قوله تعالى (٢٢٠) وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَكَوْا عَجِبْتُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَاعْبُدُوا مَوْلَانِ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَكَوْا عَجِبْتُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (آية)

✽ اللغة ✽

النكاح اسم يقع على العقد والوطء وقيل ان اصله الوطء ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح كما ان الحدث يسمى عذرة وهي اسم للفناء ويسمى غائطاً وهو اسم للمكان المظلمن يقال نكح ينكح نكاحاً إذا تزوج وانكحه غيره زوجه والأمة المملوكة يقال أمة بيينة الأموة واميت فلانة وتأمةيتها إذا جعلتها أمة واصل أمة فعلة بدلالة قولهم في جمعها إماماً وام نحو أكمة وآكام وأم

✽ الإعراب ✽

يؤمن في محل نصب بأن مضمرة وان يؤمن في موضع جر بحتى وحتى يتعلق بتنكح ومن مشركة من يتعلق بخير والجار والمجرور في محل نصب بأنه مفعول به ولو اعجبتمكم جواب لو محذوف تقديره ولو اعجبتمكم أمة مشركة لأمة مؤمنة خير منها ولا تنكحوا المشركين المفعول الثاني محذوف تقديره ولا تنكحوا المشركين الأزواج حتى يؤمنوا وإعراب قوله حتى يؤمنوا وقوله ولو اعجبتمكم مثل ما قلنا في حتى يؤمن ولو اعجبتمكم

﴿٢٢٠﴾ النزول ﴿٢٢٠﴾

نزلت في مرثد بن ابي مرثد الغنوي بعنه رسول الله إلى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين وكان قويا شجاعاً فدعته امرأة يقال لها عناق إلى نفسها فأبى وكانت خلة في الجاهلية فقالت هل لك أن تتزوج بي فقال حتى استأذن رسول الله فلما رجع استأذن في التزوج بها فنزلت الآية

* المعنى *

لما تقدم ذكر المخالطة بين تعالى من يجوز مخالطته بالنكاح فقال (ولا تنكحوا المشركات) اي لا تزوجوا النساء الكافرات (حتى يؤمن) اي يصدقن بالله ورسوله وهي عامة عندنا في تحريم منا كحة جميع الكفار من اهل الكتاب وغيرهم وليست بمنسوخة ولا مخصوصة فاختاروا فيه فقال بعضهم لا يقع اسم المشركات على اهل الكتاب وقد فصل الله بينهما فقال لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين وما يورد الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين وعطف احدهما على الآخر فلا نسخ في الآية ولا تخصيص وقال بعضهم الآية متناولة لجميع الكفار والشرك يطلق على الكل ومن جحد نبوة نبينا محمد (ص) فقد أنكر معجزه و اضافه إلى غير الله وهذا هو الشرك بعينه لأن المعجز شهادة من الله له بالنبوة ثم اختلف هؤلاء فمنهم من قال أن الآية منسوخة في الكتاب بالآية التي في المائدة والمحصات من الذين أتوا الكتاب عن ابن عباس والحسن ومجاهد ومنهم من قال انها مخصوصة بغير الكتابيات عن قتادة وسعيد بن جبير ومنهم من قال انها على ظاهرها في تحريم نكاح كل كافرة كتابية كانت او مشركة عن ابن عمر وبعض الزيدية وهو مذهبنا وسيأتي بيان آية المائدة في موضعها إن شاء الله (ولامة مؤمنة خير من مشركة) معناه مملوكة مصدقة مسلمة خير من حرة مشركة (ولو أعجبكم) ولو أعجبكم بالها أو حسبها أو جمالها وظاهر هذا يدل على انه يجوز نكاح الأمة المؤمنة مع وجود الطول فأما قوله فمن لم يستطع منكم طولا الآية فلإنما هي على التثنية دون التحريم (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) معناه ولا تنكحوا النساء المسلمات جميع الكفار من اهل الكتاب وغيرهم حتى يؤمنوا وهذا يؤيد قول من يقول ان قوله ولا تنكحوا المشركت يتناول جميع الكافرات وقوله (واعبدوا من خير من مشرك) اي عبدوا مصدق مسلم خير من حر مشرك ولو أعجبكم ماله او حاله او جماله والفرق بين ولو أعجبكم وبين وإن أعجبكم ان لو للماضي وإن للمستقبل وكلاهما يصح في معنى الآية وهو من العجب الذي هو بمعنى الاستعظام وليس من التعجب (أو لئنك) يعني المشركين (يدعون إلى النار) يعني إلى الكفر والمعاصي التي هي سبب دخول النار وهذا مثل التعليل لأن الغالب ان الزوج يدعو زوجته إلى دينه (والله يدعو إلى الجنة) أي إلى فعل ما يوجب الجنة (والمغفرة) من الايمان والطاعة (بأذنه) اي بأمره يعني بما يأمر ويأذن فيه من الشرائع والاحكام عن الحسن والجبائي وقيل با علامة وقوله (ويبين آياته للناس) اي حججه وقيل أو امره ونواهيته وما يحظره ويبيحه للناس (لعلهم يتذكرون) اي لكي يتذكروا او يتعظوا

قوله تعالى (٢٢١) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (آية)

* القراءة *

قرأ اهل الكوفة غير حفص حتى يطهرن بتشديد الطاء والهاء والباقون بالتخفيف

* الحجة *

من قرأ يطهرن فإنه من طهرت المرأة وطهرت طهرا وطهارة وطهرت بالفتح اقيس لأنه خلاف طمشت فينبغي أن يكون على بنائه وايضا فقوله طاهر يدل على انه مثل قعد فهو قاعد ومن قرأ يطهرن فإنه يتطهرن فادغم التاء في الطاء.

اللغة

حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً ومحاضاً والمصدر من هذا الباب المفعول والمفعول جائر فيه قال الراعي
 بذيت مرافقهن فوق مزلة لا يستطيع بها القراد مقيلاً
 اي قيلولة وامرأة حائض ونساء حيض والاعتزال التنحي عن الشيء وكل شيء نحيت عن موضع فقد عزلته
 عنه ومنه عزل الوالي وانت عن هذا بعزل اي منتحي وعزلاء المزايدة مخرج الماء من إحدى جانبيها والجمع عزال
 والمعزال من الناس الذي لا ينزل مع القوم في السفر لكنه ينزل ناحية والطهر خلاف الدنس والظهور يكون
 اسماً ويكون صفة فإذا كان اسماً كان على ضربين أحدهما أن يكون مصدرًا كما حكاه سيويه
 تطهرت ظهوراً حسناً وتوضأت وضواً والآخر أن يكون اسماً ليس بمصدر كما جاء في قوله ظهوراً تاه
 احدكم كذي وهو اسم لما يطهر كالفطور والوجور والسعوط والسحور وأما كونه صفة فهو في قوله وأنزلنا
 من السماء ماءً ظهوراً فهذا كالرسول والعجوز ونحو ذلك من الصفات التي جاءت على فعول ولا دلالة فيه على
 التكرير لما لم يكن متعدياً نحو ضروب الا ترى ان فعلت غير متعد كما يتعدى ضربت ومن الصفة قوله هو
 الظهور ماؤه لأنه ارتفع به الماء كما يرتفع الاسم بالصفة المتقدمة

الإعراب

من حيث جار ومجرور ولكن حيث مبني لا يظهر فيه الإعراب وإنما بني لمشابهة الحرف لأنه لا يفيد إلا
 مع غيره كالحرف ومن يتعلق بقوله فاتوهن من حيث أمرم الله جملة في محل الجر بإضافة حيث اليه

النزول

قيل كانوا في الجاهلية يتجنبون مواكبة الحايض ومشاربتها ومجالستها فسألوا عن ذلك فترت الآية عن
 الحسن وقتادة والربيع وقيل كانوا يستجيزون اتيان النساء في ادبارهن ايام الحيض فلما سألوا عنه بين لهم تحريمه
 عن مجاهد والأول عندنا اقوى

المعنى

ثم بين سبحانه شريعة أخرى فقال (ويسألونك) يا محمد والسائل ابو الدحداح فيما قيل (عن المحيض) اي عن
 المحيض واحواله (قل) يا محمد (هو اذى) معناه قذرو ونجس عن قتادة والسدي وقيل دم عن مجاهد وقيل هو اذى
 لهن وعليهن لما فيه من المشقة قاله القاضي (فاعتزلوا النساء في المحيض) اي اجتنبوا مجامعتهم في الفرج عن ابن
 عباس وعائشة والحسن وقتادة ومجاهد وهو قول محمد بن الحسن ويوافق مذهبنا انه لا يحرم منها غير موضع الدم
 فقط وقيل يحرم مادون الازار ويحل ما فوقه عن شريح وسعيد بن المسيب وهو قول ابي حنيفة والشافعي (ولا
 تقربوهن) بالجماع او مادون الازار على الخلاف فيه (حتى يطهرن) بالتخفيف معناه حتى ينقطع الدم عنهن وبالتشديد
 معناه يغتسلن عن الحسن ويتوضأن عن مجاهد وطاوس وهو مذهبنا (فإذا تطهرن) أي اغتسلن وقيل توضأن وقيل
 غسلن الفرج (فاتوهن) فجامعوهن وهو اباحة وإن كان صورته صورة الأمر كقوله وإذا حللتم فاصطادوا (من حيث
 أمرم الله) معناه من حيث أمرم الله تجنبه في حال الحيض وهو الفرج عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع وقيل
 من قبل الطهر دون الحيض عن السدي والضحاك وقيل من قبل النكاح دون الفجور عن ابن الحنفية والاول
 اليتق بالظاهر قال الزجاج معناه من الجهات التي تحمل فيها ان تقرب المرأة ولا تقربوهن مسن حيث لا يجب اي
 لا تقربوهن وهن نائمات او محرّمات او معتكفات وقال الفراء ولو اراد الفرج لقال في حيث فلما قال من حيث
 علمنا انه اراد من الجهة التي أمرم الله بها وتال غيره انما قال من حيث لأن من لا ابتداء الغاية في الفعل نحو قوله

انت زيدا من مآتاه اي من الوجه الذي يوتى منه (ان الله يحب التوابين) من الذنوب (ويحب المتطهرين) قيل معناه المتطهرين بلما عن عطا وقد رواه اصحابنا ايضا في سبب نزول الآية وقيل بحب المتطهرين من الذنوب عن سعيد ابن جبير ولم يذكر المتطهرات لأن الموثث يدخل في المذكر وقيل التوابين من الكبائر والمتطهرين من الصغائر وفي هذه الآية دلالة على وجوب اعتزال المرأة في حال الحيض وفيها ذكر غاية التحريم ويشتمل ذلك على فصول احدها ذكر الحيض واقله واكثره وعندنا اقله ثلاثة ايام واكثره عشرة ايام وهو قول اهل العراق وعند الشافعي واكثر اهل المدينة اقله يوم وليلة واكثره خمسة عشر يوما وثانيها حكم الوطء في حال الحيض فإن عندنا ان كان في اوله يلزمه دينار وان كان في وسطه فنصف دينار وان كان في آخره فربع دينار وقال ابن عباس عليه دينار ولم يفضل وقال الحسن يلزمه بدنة او رقبة او عشرون صاعا وثالثها غاية تحريم الوطء واختلاف فيه فمنهم من جعل الغاية انقطاع الدم ومنهم من قال إذا توضأت او غسلت فرجها حل وطؤها عن عطا وطاوس وهو مذهبنا وان كان المستحب ان لا يقربها الا بعد الغسل ومنهم من قال اذا انقطع دمها فاغتسلت حل وطؤها عن الشافعي ومنهم من قال اذا كان حيضا عشرا فنفس انقطاع الدم يحلها للزوج وان كان دون العشرة فلا يحل وطؤها الا بعد الغسل او التيمم او مضي وقت الصلاة عليها عن ابي حنيفة

قوله تعالى (٢٢٢) نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِنَفْسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (آية)

الإعراب

أنى في محل نصب لأنه ظرف مكان إذا كان بمعنى حيث أو أين أو ظرف زمان إذا كان بمعنى متى والعامل فيه فاتوا وشتتم جملة فعلية في موضع الجر باضافة الظرف إليها وإذا كان أنى بمعنى كيف فهو في محل نصب على المصدر ولا محل لشتتم وتقديره فاتوا حرثكم أي نوع شتتم

النزول

قيل نزلت ردا على اليهود حيث قالوا ان الرجل اذا اتى المرأة من خلفها في قبلها خرج الولد احوال فكذبهم الله عن ابن عباس وجابر وقيل انكرت اليهود اتيان المرأة قائمة وباركة فانزل الله اباحتها عن الحسن

المعنى

لما بين تعالى احوال النساء في الطهر والحيض عقب ذلك بقوله (نساؤكم حرث لكم) وفيه وجهان - احدهما - ان معناه مزدرع لكم ومحرث لكم عن ابن عباس والسدي - والثاني - ان معناه ذوات حرث لكم منهن تحرثون الولد واللذة فحذف المضاف وهذا في المعنى مثل الاول عن الزجاج وقال ابو عبيدة كنى بالحرث عن الجماع والثالث معناه كحرث لكم فحذف كاف التشبيه كما قال الشاعر

النشر مسك والوجوه دنا نير واطراف الاكف عنم

وقد سمي العرب النساء حرثا قال الفضل بن سلمة انشدني ابي

اذا اكل الجراد حرث قوم فحرثي همه اكل الجراد

يريد امرأتي (فاتوا حرثكم) أي موضع حرثكم يعني نساؤكم (انى شتتم) معناه من أين شتتم عن قتادة والربيع وقيل كيف شتتم عن مجاهد وقيل متى شتتم عن الضحاك وهذا خطأ عند اهل اللغة لأن أنى لا يكون إلا بمعنى من أين كما قال أنى لك هذا وقيل معناه من أي وجه واستشهد بقول الكميت

انى ومن أين أبك الطرب من حيث لا صهوة ولا ريب

وليس في البيت شاعده لهم لانه لا يجوز ان يكون اتى به لاختلاف اللفظين كما يقولون متى كان هذا وأي وقت كان ويجوز ان يكون بمعنى كيف واستدل مالك بقوله انى شتمت على جواز اتيان المرأة في دبرها ورواه عن نافع عن ابن عمر وحكاه زيد بن اسلم عن محمد بن المنكدر وبه قال كثير من اصحابنا وخالف في ذلك جميع الفقهاء وقالوا ان الحث لا يكون الا بحيث النسل فيجب ان يكون الوطء حيث يكون النسل فاجيبوا عن ذلك بان النساء وان كن لنا حرة فاقدا يبيع لنا ووطئهن بلا خلاف في غير موضع الحث كالوطء فيما دون الفرج وما شبهه وقوله (وقدموا لأنفسكم) معناه قدموا الأعمال الصالحة التي أمرتم بها ورجعتم فيها لتكون ذخرا لكم عند الله ووجه اتصاله بما قبله انه لما تقدم الأمر بعدة اشياء قال بعدها وقدموا لأنفسكم بالطاعة فيما أمرتم به (واتقوا الله) واتقوا عاقب الله بترك مجاوزة الحد فيما بين لكم وفي ذلك الحث على العمل بالواجب الذي عرفوه والتحذر من مخالفة ما الزموه وقيل معنى التقديم هنا طلب الولد فإن في افشاء الولد الصالح يكون تقدما عظيما لقوله إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا عن ثلاث ولد صالح يدعو له وصدقة جارية وعلم به ينتفع بعد موته وقيل هو تقديم الافراط لقوله من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار إلا تحلة القسم فقيل يا رسول الله واثنان قال واثنان وقيل هو التسمية عند الجماع عن عطا وقيل هو الدعاء عند الجماع عن مجاهد ويؤيده ما روي عن ابن عباس قال قال النبي إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فليقل بسم الله اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإن قدر بينهما ولد لم يضره شيطان وقيل هو التزوج بالعائفة ليكون الولد طاهرا صالحا (واعلموا انكم ملائكة) أي ملائكة جزائه يعني ثوابه إن أطعتموه وعقابه إن عصيتموه وإنما أضافه إليه على ضرب من المجاز (وبشر المؤمنين) بالثواب والجنة ولا يصح حمل اللقا على الرواية لأن لفظ اللقا يقع على معان مختلفة يقال لقي جهده ولقي حمامه ولأن في الآية اثبات اللقا لجميع العباد وهذا خلاف ما ذهب إليه اهل التشبيه

قوله تعالى (٢٢٣) وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (آية)

اللغة

يقال لكل من يصلح للشيء هو عرضة له والمرأة عرضة للنكاح والدابة المعدة للسفر عرضة له وقال الشاعر

فهذي لأيام الحروب وهذه للهوي وهذي عرضة لارتجالها

أي عدة وقال ابو العباس العرضة الاعتراض في الحير والشر واليسين والقسم والحلف واحد وقيل اخذ من القوة لأنه يتقوى به على ما يحلف عليه ومنه قوله «تلقاها عرابة باليسين» وقيل أخذ من الجارحة لأنهم كانوا عند الايمان يضربون ايديهم على ايديهم فسمي الحلف بذلك وقيل أخذ من اليسن الذي هو البركة لأنه عقد خير يتبرك بذكره للتأكيد

الاعراب

قوله ان تبروا في مرضعه ثلاثة اقوال ﴿أحدها﴾ ان موضعه جر بحذف اللام عن الحليل قال ابو علي جاز أن يكون المصدر الذي هو ان مع الفعل في موضع جر وإن لم يجر ذلك في غير ان لا مرين ﴿أحدهما﴾ ان الكلام قد طال بالصلة فحسن الحذف ﴿والآخر﴾ أن أن حرف وإذا حذف اللام صار كأن حرفا كان قد أقيم مقام من فعاقبه فهذا حسن حذف اللام مع ان دون المصدر غير الموصول في اللفظ بالفعل وأقول عنى بذلك انك إذا قلت جئتك لضرب زيد لم يجر أن تحذف اللام فتقول جئتك ضرب زيد وإذا قلت جئتك لأن تضرب زيدا جاز أن تحذف اللام فتقول جئتك أن تضرب زيدا ﴿والثاني﴾ ان موضعه نصب لأنه لما حذف الجار وصل الفعل

وهو قول سيبويه وهو القياس واقول على القولين جميعا فيكون تقديره لأن لا تبروا على النفي او لأن تبروا على الإثبات فعلى القول الاول وهو النفي يكون في موضع النصب بأنه مفعول له وعلى القول الثاني وهو الإثبات يجوز أن يكون مفعولا له ويجوز أن يكون في محل النصب على الحال والعامل فيه ما في قوله لا يمانكم من معنى الفعل تقديره لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم كائنة لأن تبروا أي لبركم وذو الحال الايمان ﴿ والثالث ﴾ ما قاله قوم ان موضعه رفع تقديره ان تبروا وتتقوا أولى فحذف الخبر الذي هو أولى لأنه معلوم المعنى

التزول

تزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف ان لا يدخل على خنته ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين امرأته فكان يقول إني حلفت بهذا فلا يحل لي أن أفعله فزلت الآية

المعنى

لما بين سبحانه احوال النساء وما يحل منهن عقبه بذكر الايلاء. وهو اليمين التي تحرم الزوجة فابتدأ بذكر الايمان اولاً لتأسيس الحكم الايلاء فقال (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) وفي معناه ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه لا تجعلوا اليمين بالله علة مانعة لكم من البر والتقوى من حيث تعتمدونها لتعتلوا بها وتقولوا حلفنا بالله ولم تحلفوا به عن الحسن وطاوس وقتادة وأصله في هذا الوجه الاعتراض الذي هو المانع بينكم وبين البر والتقوى لأن المعارض بين الشيتين يكون مانعا من وصول احدهما إلى الآخر فالعلة مانعة كهذا المعارض ﴿ والثاني ﴾ ان عرضة معناه حجة فكأنه قال لا تجعلوا اليمين بالله حجة في المنع من البر والتقوى فإن كان قد سلف منكم يمين ثم ظهر ان غيرها خير منها فافعلوا الذي هو خير ولا تحتجوا باقدس سلف من اليمين عن ابن عباس ومجاهد والربيع وأصله في هذا القول والأول واحد لأنه منع مسن جهة الاعتراض لعلة او حجة ﴿ والثالث ﴾ ان معناه لا تجعلوا اليمين بالله علة مبتذلة في كل حق وباطل لأن تبروا في الحلف بها وتتقوا المآثم فيها عن عائشة لأنها قالت لا تحلفوا به وان بررتم وبه قال الجبائي وابو مسلم وهو المروي عن أنس بن مالك ما رواه عثمان بن عيسى عن أبي أيوب الخزاز قال سمعت أبا عبد الله يقول لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين فإنه سبحانه يقول ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم قال ابو مسلم ومن أكثر ذكر شيء في معنى فقد جعله عرضة له وتقول جعلتني عرضة لقومك قال الشاعر ﴿ ولا تجعليني عرضة للوالم ﴾ وتقديره على الوجه الأول والثاني لا تجعلوا الله مانعا من البر والتقوى باعتراضك به حالفا وعلى الوجه الثالث لا تجعلوا الله مما تحلف به دائما باعتراضك بالحلف به في كل حق وباطل وقوله (ان تبروا) قيل في معناه اقوال ﴿ الاول ﴾ لأن تبروا على معنى الإثبات أي لأن تكونوا برة أتقيا. فإن من قلت يمينه كان أقرب إلى البر من كثرت يمينه وقيل لأن تبروا في اليمين ﴿ والثاني ﴾ ان المعنى لدفع ان تبروا او لترك ان تبروا فحذف المضاف عن المبرد ﴿ والثالث ﴾ ان معناه ان لا تبروا فحذف لا عن أبي عبيدة قال وقد حذف لأنه في معنى القسم كقول امرئ القيس ﴿ فقلت بين الله أبرح قاعدا ﴾ اي لا أبرح وأنكر المبرد هذا لأنه لما كان معه ان بطل أن يكون جوابا للقسم وإنما يجوز والله اقوم في القسم بمعنى لا اقوم لأنه لو كان أثباتا لقال لا اقوم باللام والنون والمعنى في قول أبي العباس وأبي عبيدة واحد والتقدير مختلف (وتتقوا) أي تتقوا الاثم والمعاصي في الايمان (وتصلحوا بين الناس) في الايمان وتصلحوا بين الناس عطف على ما سبق ومعناه ولا تجعلوا ا-حلف بالله علة او حجة في ان لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا لكي تكونوا من البرة والأتقيا. والمصلحين بين الناس او لدفع ان تبروا وتتقوا وتصلحوا وعلى الوجه الثالث لا تجعلوا اليمين بالله مبتذلة لأن تبروا وتتقوا وتصلحوا اي بين الناس فإن من كثرت يمينه لا يوثق بحلفه ومن قلت يمينه فهو أقرب إلى التقوى والإصلاح بين الناس (والله سميع) لا أقوالكم (عليم) بما في ضمائركم لا يخفى عليه من ذلك خافية وفي هذه الآية دلالة على ان

من حلف على شيء فرأى غيره خيرا منه فله ان ينقض يمينه ويفعل الذي هو خير وهل يجب عليه الكفارة فيه خلاف فعند اكثر الفقهاء يجب عليه الكفارة ولا كفارة عليه عندنا ومن اقسم على غيره ليفعل فعلا او ليمتنع عن فعل ولا يبالي بذلك قال بعضهم ان المقسم عليه لا يأثم بذلك والصحيح ان المقسم عليه يأثم بقول النبي من سألكم بالله فأعطوه ومن استعاذكم بالله فأعيذوه

قوله تعالى (٢٢٤) لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم وَاَكِنَّ يُوْاْخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ (آية)

اللغة

أصل اللغو الكلام الذي لا فائدة فيه يقال لغا يلغو لغوا إذا أتى بكلام لا فائدة فيه والغى الكلمة إذا طرحها لأنه لا فائدة فيها واللاغية الكلمة القبيحة الفاحشة ومنه اشتقاق اللغة لأنها كلام لا فائدة فيه عند غير اهله ولغو الطائر منطلقه قال ثعلبة بن صعيبر المازني

باكرتهم بسبأ جون ذارع

قبل الصباح وقبل لغو الطائر

واللغاء الذكر بالكلام القبيح لغى يلغى لغى واصل الحلم الأناة وهو في صفته تعالى الامهال بتأخير العقاب على الذنب

الاعراب

في أيمانكم في موضع الحال والعامل فيه يؤخذ وذو الحال اللغو بما كسبت يجوز أن يكون ما اسما موصولا ويجوز أن يكون حرفا موصولا

المعنى

ثم بين سبحانه اقسام اليمين فقال (لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم) اختلفوا في معنى اللغو فقيل هو ما يجري على عادة الناس من قول لا والله وبلى والله من غير عقد على يمين يقتطع بها مال ولا يظلم بها احد عن ابن عباس وعائشة والشعبي وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله وهو قول الشافعي وقيل هو ان يحلف وهو يرى انه صادق ثم تبين انه كاذب فلا إثم عليه ولا كفارة عن الحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم وهو قول ابي حنيفة واصحابه وقيل هو يمين الغضبان لا يؤخذكم بالحنث فيها عن ابن عباس ايضا وطاوس وبه قال سعيد بن جبير إلا انه اوجب فيها الكفارة وقال مسروق كل يمين ليس له الوفاء فهي لغو ولا يجب فيها كفارة (واكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم) أي بما عرضتم وقصدتم لأن كسب القلب العقد والنية وفيه حذف أي من أيمانكم وقيل بأن تحلفوا كاذبين اوعلى باطل عن ابراهيم (والله غفور) يغفر الذنوب (حليم) يسهل العقوبة على الذنب ولا يعجل بها

قوله تعالى (٢٢٥) الَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ نِسَانِهِمْ تَرْبُصًا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ قَاوُاْ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (آيتان)

اللغة

الى الرجل من امرأته يولى ايلاء من الإلوية والالوة وهي الحلف قال الشاعر

كفينا من تغيب من تزار

وأحنثنا الية مقسمينا

واتلى وتألئ بمعناه وفي التنزيل ولا يأتل أولوا الفضل منكم وقرأ ولا يتأل وجمع الالية الايا واليات كعشية وعشايا وعشيات وجمع الالوة الابي كركوبة وركائب والتربص الانتظار ويقال تربصت به قال الشاعر

تربص بهاريب المنون لعلمها

تطلق يوما او يموت حليها

والنبي الرجوع يقال فاء بقي فينا إذا رجع وفاء الفبي إذا تحول عن جهة العداة ب رجوع الشمس عنه والفرق بين الفبي والظل ما قال المبرد ان الفبي ما نسخ الشمس لأنه هو الراجع والظل ما لا شمس فيه وكل في ظل وليس كل ظل فينا واهل الجنة في ظل لا في في لأن الجنة لا شمس فيها وفي التنزيل وظل ممدود وجمع الفبي افياء والفبي غنائم المشركين افاء الله علينا منهم وهو من رجوع الشيء إلى حقه وفلان سريع الفبي من غضبه أي الرجوع والعزم هو العقد على فعل شيء في مستقبل الاوقات وهو إرادة مقدمة للفعل بأكثر من وقت واحد يتعلق بفعل اللازم يقال عزم على الشيء يعزم عزمًا واعتزم وعزمت عليك لتفعلن أي اقسمت وعزم الراقي كأنه اقسم على الداء وما لفلان عزيمة أي ما يشبت على شيء لتلونه وعزائم القرآن التي تقرأ على ذوي الآفات لما يرجى من البر بها والطلاق حل عقد النكاح بسبب من جهة الرجل وامرأة طالق زعم قوم ان تاء التانيث إنفا حذفت لأنه لاحظ فيه للمذكر وهذا ليس شيء لأن في الكلام اشياء كثيرة يشترك فيها المذكر والمؤنث لا يشبت فيها الهاء في المؤنث يقال بعير ضامر وناقصة ضامر وامثاله كثيرة وقال سيويه انه وقع على لفظ التذكير صفة للمؤنث لأن المعنى شيء طالق وحقيقته انه على جهة النسب نحو قولهم امرأة مطلق اي ذات طفل وطالق اي ذات طلاق فإذا أجرته على الفعل قلت طالقة قال الاعشى

أيا جارتني بيني فإنك طالقه كذاك أمور الناس غاد وطارقه

واصل الطلاق من الانطلاق وطلقت المرأة عند الولادة فهي مطلوقة إذا تمخضت والطلق الشوط من الجري والطلق الحبل الشديد القتل والسميع من كان على صفة يجب لاجلها أن يدرك المسموعات إذا وجدت وهي ترجع إلى كونه حيا لا آفة به والسامع المدرك ويوصف القديم سبحانه في الآية بأنه سميع ولا يوصف في الازل بأنه سامع إنما يوصف به إذا وجدت المسموعات

الإعراب

يجوز في اربعة اشهر ثلاثة اوجه الجز على الاضافة وعليه القراءة وهذه الاضافة غير حقيقية فإن الاربعة في محل النصب وإن كان مجرور اللفظ ويجوز في العربية الرفع والنصب تربص اربعة اشهر كقوله فشهادة احدثهم اربع شهادات بالله ومثله فجزاء مثل ما قتل من النعم وتربص اربعة اشهر كقوله ألم نجعل الارض كفئات احياء وامواتا اي تكفنكم احياء وامواتا

المعنى

ثم بين تعالى حكم الإيلاء لأنه من جماعة الايمان والاقسام وشريعة من شرائع الإسلام فقال (للذين يؤولون) اي يحلفون وفيه حذف اي ان يعتزلوا عن وطء نساءهم على وجه الاضرار بهن (تربص اربعة اشهر) اي التوقف والتثبت في اربعة اشهر واليمين التي يكون الرجل بها موليا هي اليمين بالله عز وجل او بشيء من صفاته التي لا يشاركه فيها احد غيره على وجه لا يقع موقع اللغو الذي لا فائدة فيه ويكون الحلف على الامتناع من الجماع على وجه الغضب والضرار وهو المروي عن علي وابن عباس والحسن وقيل في الغضب والرضا عن ابراهيم والشعبي وجماعة من الفقهاء وقيل هو في الجماع وغيره من الضرار نحو ان يحلف لا يكلمها عن سعيد ابن المسيب (فإن فاموا) اي رجعوا إلى امر الله بأن يجامعوا عند القدرة عليه وراجعوا بالقول عند العجز عن الجماع عن ابن عباس ومسروق وسعيد بن المسيب وهو مذهبنا وبه قال ابو حنيفة واصحابه وقيل يكون فائيا بالعزم في حال العذر إلا انه ينبغي ان يشهد على فيثبه عن الحسن و ابراهيم وعلقمة وهذا يكون عندنا للعاجز عن الجماع ويجب على الفائت عندنا كفارة ولا عقوبة عليه وبه قال ابن عباس وسعيد بن المسيب وقاتدة وقال الحسن و ابراهيم لا كفارة عليه ولا عقوبة لقوله (فإن الله غفور رحيم) ومعنى غفور عندنا انه لا يتبعه بعقوبة ومن حلف أن

لا يجامع اقل من اربعة اشهر لا يكون موليا ومن حلف أن لا يقربها وهي مرضعة مخافة ان تحمل فيضرد ذلك بولدها لا يلزمه حكم الايلاء واذا مضت اربعة اشهر ولم يجامع الزمه الحاكم اما الرجوع والكفارة واما الطلاق فإن امتنع حبسه حتى يفى او يطلق (وإن عزموا الطلاق) عزيزة الطلاق عندنا ان يعزم ثم يتلفظ بالطلاق ومتى لم يتلفظ بالطلاق على الوجه المشروع فإن المرأة لا تبين منه إلا ان تستعدي فإن استعدت وانظره الحاكم اربعة اشهر فإنه يوقف عند الاشهر الاربعة ويقال له في او طلق فإن لم يفعل حبسه حتى يطلق وبه قال الشافعي إلا انه قال متى امتنع من الطلاق والفنة طلق عنه الحاكم طلقة رجعية وقال ابو حنيفة واصحابه إذا مضت اربعة اشهر ولم يفى بانته منه بتطبيقه ولا رجعة له عليها وعليها العدة ينظبها في العدة ولا ينظبها غيره (فإن الله سمع عليم) يسمع قوله ويعلم ضميره وقيل يسمع ايلاءه ويعلم نيته وإنما ذكر عقيب الاول فلون الله غفور رحيم لأنه لما اخبر عن المولى انه يلزمه الفى او الطلاق بين انه إن فاء فلون الله غفور رحيم بأن يقبل رجوعه ولا يتبعه بعقاب ما ارتكبه وذكرها هنا انه سمع عليم لما اخبر عنه بايقاع الطلاق وكأنه ذلك مما يسمع واخبر بأنه لا يخفى عليه وانه يسمعه فكل لا يليق إلا بموضعه وذلك من عظيم فصاحة القرآن

قوله تعالى (٢٢٧) وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوَلْتِهِنَّ أَوْ حَقُّنَّ بَرْدِهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَهُنَّ مِنَ الَّذِينَ عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّيْلِ جَالٍ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةً وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (آية)

اللغة

القرء جمع قرء وجمعه القليل اقرء والكثير اقرء وقرء وصار بناء الكثير فيه اغلب في الاستعمال يقال ثلاثة قروء مثل ثلاثة شسوع استغنى ببناء الكثير عن بناء القليل ووجه آخر وهو انه لما كانت كل مطلقة يلزمها هذا دخله معنى الكثرة فأنى ببناء الكثرة الاشعار بذلك فالقرء كثيرة إلا انها ثلاثة في ثلاثة في القسمة وهذا الحرف من الاضداد وأصله في اللغة يحتمل وجهين ﴿١﴾ احدهما ﴿٢﴾ الاجتماع ومنه قرأت القرآن لاجتماع حروفه وما قرأت الناقة سلاقط اي لم يجتمع رحمها على ولد قط قال عمرو بن كلثوم

ذراعي عيطل ادماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا

فعلى هذا يقال اقرأت المرأة فهي مقرى. إذا حاضت وانشد له «قروء كقروء الحائض» وذلك لاجتماع الدم في الرحم ويحيى على هذا ان يكون القرء الطهر لاجتماع الدم في جملة البدن ﴿٣﴾ والوجه الثاني ﴿٤﴾ ان اصل القرء الوقت الجاري في الفعل على عادة وهو يصلح للحيض والطهر يقال هذا قارى الرياح اي وقت هبوبها قال الشاعر

شذبت العقر عقر بني شليل إذا هبت لقاريها الرياح

اي لوقت هبوبها وشدة بردها والذي يدل على ان القرء الطهر قول الأعشى

وفي كل عام أنت جاشم غزوة تشد لاقصاها عزم عزانكا

مورثة مالا وفي الأرض رفعة لما ضاع فيها من قروء نسانكا

فالذي ضاع هاهنا الاطهار لا الحيض والبعولة جمع بعل ويقال بعل يبعل ببعولة وهو بعل وسمي الزوج بعلا لأنه عال على المرأة بملكه لزوجيتها وقوله أتدعون بعلاي ربا وقيل انه صنم والبعل النخل يشرب بعروقه لأنه مستبعل على شربه وبعل الرجل بأمره إذا ضاق به ذرعا لأنه علاه منه ما ضاق به ذرعه وبعل الرجل بطر لأنه

استعلى تكبرا وامرأة بعل لا تحسن لبس الثياب لأن الحيرة تستعلى عليها فتدعشها والرجال جمع رجل يقال رجل بين الرجل أي القرية وهو ارجلها أي اقواها وفرس رجيل قوي على المشي وسميت الرجل رجلا لقوتها على المشي ورجل من جراد قطعة منه تشبها بالرجل لأنها قطعة من الجملة والرجل الذي يمشي على رجله وارتجل الكلام ارتجالا لأنه قوي عليه من غير ركوب فكرة وترجل النهار لأنه قوي ضياؤه بتزول الشمس إلى الأرض ورجل شعره إذا طوله واصل الباب القرية والدرجة المنزلة

الإعراب

ان كن يؤمن بالله جراب الشرط محذوف وتقديره إن كن يؤمن بالله لا يكتمن وكذلك جواب الشرط من قوله تعالى إن ارادوا إصلاحا محذوف وتقديره إن ارادوا إصلاحا فبعولتهن أحق بردهن مثل الذي عليهن إضافة مثل غير حقيقية لأن الذي عليهن مفعوله

المعنى

ثم بين سبحانه حكم المطلقات والطلاق فقال (والمطلقات) أي المخليات عن حبال الأزواج بالطلاق وإنما يعني المطلقات المدخول بهن من ذوات الحيض غير الحوامل لأن في الآية بيان عدتهن (يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) معناه ينتظرن بأنفسهن انقضاء ثلاثة قروء فلا يتزوجن لفظه خبر ومعناه امر والمراد بالقروء الاطهار عندنا وبه قال زيد بن ثابت وعائشة وابن عمر ومالك والشافعي واهل المدينة قال ابن شهاب ما رأيت احدا من اهل بلدنا الا وهو يقول الاقراء الاطهار إلا سعيد بن المسيب والمروزي عن ابن عباس وابن مسعود والحسن ومجاهد ورووه ايضا عن علي ان القروء الحيض والمراد بثلاثة قروء ثلاثة حيض وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه واستشهدوا بقوله عليه السلام للمستحاضة دعي الصلاة ايام اقرائك والصلاة إنما تترك في ايام الحيض واستشهد من ذهب إلى ان القروء الطهر بقوله تعالى (فطلقوهن لعدتهن) أي في طهر لم تجامع فيه كما يقال امرأة الشهر (كذا) ويقول النبي (ص) لما طلق ابن عمر زوجته وهي حايض مرة فليراجعها فإذا طهرت فليطلق او ليمسك وتلا النبي (ص) إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن لقبل عدتهن فأخبر ان العدة الاطهار دون الحيض لأنها حينئذ تستقبل عدتها ولو طلقت حايضا لم تكن مستقبله عدتها إلا بعد الحيض وروى اصحابنا عن زرارة قال سمعت ربيعة الرأي يقول ان من رأيت ان الاقراء التي سمى الله في القرآن إنما هي الطهر فيما بين الحيضين وليست بالحيض قال فدخلت على أبي جعفر فحدثته بما قال ربيعة فقال كذب لم يقل برأيه وإنما بلغه عن علي عليه السلام فقلت اصلحك الله أكان علي يقول ذلك قال نعم كان يقول إنما القروء الطهر تقرأ فيه الدم فتجمعه فإذا جاء الحيض قذفته قلت اصلحك الله رجل طلق امرأته طاهرة من غير جماع بشهادة عدلين قال إذا دخلت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للأزواج قال قلت إن اهل العراق يروون عن علي (ع) انه كان يقول هو احق بردها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة فقال كذبوا (ولايجل هن) أي للمطلقات اللاتي تجب عليهن العدة (ان يكنن ما خلق الله في ارحامهن) قيل اراد به الحيض عن ابراهيم وعكرمة وقيل اراد به الحبل عن ابن عباس وقتادة وقيل اراد بالحيض والحبل عن ابن عمر والحسن وهو المروي عن الصادق (ع) قال قد فرض الله على النساء ثلاثة اشياء الحيض والطهر والحمل وهذا القول أعم والأخذ به اولى وإنما لم يجعل هن الكتمان لئلا يظلم الزوج بمنع المراجعة عن ابن عباس وقيل بنسبة الولد إلى غيره كفعل الجاهلية عن قتادة وقوله (إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر) يعني من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فهذه صفة وحليته وليس هذا بشرط حتى انها إذا لم تكن مؤمنة يجعل لها الكتمان ولكن المراد ان الايمان يمنع من ارتكاب هذه المعصية كما يقول الرجل لصاحبه إن كنت مؤمنا فلا تظلم وهذا على وجه الوعيد (وبعولتهن احق بردهن في ذلك) يعني ان ازواجهن أولى بمراجعتهم وهي ردهن إلى

الحالة الأولى في ذلك الأجل الذي قدر لمن في مدة العدة فإنه ما دامت تلك المدة باقية كان للزوج حق المراجعة ويفوت بانقضائها وفي هذا ما يدل على أن الزوج ينفرد بالمراجعة ولا يحتاج في ذلك إلى رضا المرأة ولا إلى عقد جديد وأشهاد وهذا يختص بالرجعيات وإن كان أول الآية عاما في جميع المطلقات الرجعية والباطنة (إن أرادوا إصلاحا) لا أضرارا وذلك أن الرجل كان إذا أراد الأضرار بامرأته طلقها واحدة وتركها حتى إذا قرب انقضاء عدتها راجعها وتركها مدة ثم طلقها أخرى وتركها مدة كما فعل في الأولى ثم راجعها وتركها مدة ثم طلقها أخرى فجعل الله الزوج أحق بالمراجعة على وجه الإصلاح لا على وجه الأضرار وإنما شرط الإصلاح في إباحة الرجعة لا في ثبوت أحكامها لإجماع الأمة على أن مع إرادة الأضرار يثبت أحكام الرجعة وقوله (ولهن) أي للنساء على أزواجهن (مثل الذي لهن عليهن) من الحق (بالمعروف) وهذا من الكلمات العجيبة الجامعة للفوائد الجملة وإنما أراد بذلك ما يرجع إلى حسن العشرة وترك المضارة والتسوية في القسم والنفقة والكسوة كما أن للزوج حقوقا عليها مثل الطاعة التي أوجبها الله عليها له وإن لا تدخل فراش غيره وإن تحفظ ماله فلا تحتال في إسقاطه وروى أن امرأة معاذ قالت يا رسول الله ما حق الزوجة على زوجها قال إن لا يضرب وجهها ولا يقبحها وإن يطعمها مما يأكل ويبسها مما يلبس ولا يهجرها وروى عنه (ص) أنه قال اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحلتم فروجهن بكلمة الله ومن حقكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم من تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقوله (والرجال عليهن درجة) قيل معناه فضيلة منها الطاعة ومنها أن يملك التولية ومنها زيادة الميراث على قسم المرأة والجهاد هذا قول مجاهد وقتادة وقيل معناه منزلة في الأخذ عليها بالفضل في المعاملة حتى يقول ما أحب أن استوفي منها جميع حقي ليكون لي عليها الفضيلة عن ابن عباس وقيل معناه أن المرأة تنال اللذة من الرجل كما ينال الرجل منها وله الفضل بنفقة وقيامه عليها عن الزجاج وفي تفسير علي بن إبراهيم بن هاشم قال حق الرجال على النساء أفضل من حق النساء على الرجال وفي كتاب من لا يحضره الفقيه روى عن الباقر (ع) قال جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت يا رسول الله ما حق الزوج على المرأة فقال لها إن تطيعه ولا تعصيه ولا تصدق من بيتها بشيء إلا بأذنه ولا تصوم تطوعا إلا بأذنه ولا تنعمه نفسها وإن كانت على ظهر قتب ولا تخرج من بيتها إلا بأذنه فإن خرجت بغير أذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها فقالت يا رسول الله من أعظم الناس حقا على المرأة قال زوجها قالت فما لي من الحق عليه مثل ما له من الحق علي قال لا ولا من كل مائة واحدة فقالت والذي بعثك بالحق لا يملك رقبتني رجل أبدا وقال عليه السلام لو كنت أمرا أحدا يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها (والله عزير حكيم) أي قادر على ما يشاء يمنع ولا يمنع ويقهر ولا يقهر فاعل ما تدعو إليه الحكمة وقد قيل في الآية أن المطلقة قبل الدخول والمطلقة الحاملة نسختا من هذه الآية بقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وأولات الأهل أجلهن إن يضعن حملهن وقيل انهما مخصوصتان من الآية كما ذكرناه في أول الآية

قوله تعالى (٢٢٨) الطلاق مرتان فإمساكٌ بمغروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ ولا يحلُّ لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدودَ الله فلا جناحَ عليهما فيما افتدت به تلكَ حدودُ الله فلا تمتدوها ومن يمتدَّ حدودَ الله فأولئك هم الظالمون (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو جعفر وابو حمزة إلا ان يخافا بضم الياء والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

خاف فعل يتعدى الى مفعول واحد وذلك المفعول يكون ان وصلتها نحو قوله تخافون ان يتخطفكم الناس ويكون غيرها نحو قوله تخافونهم فوجه قراءة حمزة الا يخافا انه لما بنى الفعل للمفعول به اسند الفعل اليه فلم يبق شيء يتعدى اليه فاما ان من قوله ان لا يقيافا فان الفعل يتعدى اليه بالجار كما تعدى بالجار في قوله لو خافك الله عليه حرمه وموضع ان في الآية جرب بالجار المقدر على قول الخليل والكسائي ونصب في قول سيبويه وأصحابه إلا أنه لما حذف الجار وصل الفعل الى المفعول الثاني مثل استغفر الله ذنباً وامرتك الخير فقراءته مستقيمة على ما رأيت فإن قال قائل لو كان يخافا كما قرأ لكان ينبغي ان يكون فإن خيفاً قيل لا يلزمه هذا السؤال لمن خالفه في القراءة لأنهم قد قرأوا إلا ان يخافا ولم يقولوا فإن خافا وليس يلزم هذا السؤال جميعهم لأنهم لا يريدون وجه الله فأوئك هم المضعفون وهذا النحو كثير في التنزيل وغيره ﴿ والآخر ﴾ ان يكون الخطاب في قوله فإن ختم مصروفاً الى الولاية والفقهاء الذين يقومون بأمر الكفاة وجاز ان يكون الخطاب للكثرة فيمن جعله انصرفاً من الغيبة الى الخطاب لأن ضمير الاثنين في يخافا ليس يراد به اثنان مخصوصان انما يراد به ان كل من كان هذا شأنه فهذا حكمه فأما من قرأ يخافا بفتح الياء فالمعنى انه اذا خاف كل واحد من الزوج والمرأة ان لا يقيما حدود الله حل الاقتداء.

﴿ اللغة ﴾

المرّة والمرتان كالكرة والكرتين واصل المرّة المرور خلاف الوقوف والمرّة شدة القتل لاستمراره على الاحكام والامسك خلاف الاطلاق وما بفلان مسكة وتماسك اذا لم يكن فيه خير والمسك البخيل والمسك الإهاب لانه يمسك البدن باحتوائه عليه والمسك السواد لاستمساكه في اليد والتسريح مأخوذ من السرح وهو الاطلاق وسرح الماشية في المرعى سرحاً اذا أطلقها ترعى وسرحت الماشية انطلقت في المرعى والسرحان الذئب لاتباعه السرح والسرحة الشجرة المرتفعة لانطلاقها في جهة الطول والمسرح المشط لا إطلاق الشعر به والسراح الجراد لانطلاقه في البلاد وان يخافا معناه ان يظننا قال الشاعر

أتاني كلام عن نصيب يقوله وما خفت يا سلام انك عاثي

يعني ما ظننت وأنشد الفراء

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقيها

ولا تدفني في القلاة فإنني اخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

وقال أبو عبيدة إلا أن يخافا معناه يوقنا فإن خفتم ههنا معناه فإن ايقتم

﴿ الإعراب ﴾

الطلاق رفع بالابتداء ومرتان الخبر وقوله فامسك خبر مبتدأ محذوف تقديره فالواجب عليك ان امسك ولو كان في الكلام فامسك بالنصب لكان جازياً على فامسكوهن امسكاً بمعروف كما قال فامسكوهن بمعروف ان يخافا موصول وصلة موضعها نصب بأنه مفعول له تقديره لمخافتها وان لا يقيما في موضع نصب بأنه مفعول يخافا تقديره يخافا ترك اقامة حدود الله

النزول

روى هاشم بن عروة عن ابيه عن عائشة ان امرأة اتتها فشكت ان زوجها يطلقها ويسترجعها يضارها بذلك وكان الرجل في الجاهلية اذا طلق امرأته ثم راجعها قبل ان تنقضي عدتها كان له ذلك وان طلقها الف مرة لم يكن للطلاق عندهم حد فذكرت ذلك لرسول الله فنزلت الطلاق مرتان فجعل حد الطلاق ثلاثا والطلاق الثالث قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وروي ايضا انه قيل للنبي الطلاق مرتان فأين الثالثة قال امسك بمعروف او تسريح باحسان وقوله إلا ان يخافا فانزل في ثابت بن قيس بن شماس وزوجته جميلة بنت عبد الله بن ابي وكان يحبها وتبعضه فقال لها اتردين علي حديقته قالت نعم رازيده قال لاحديقته فقط فردت عليه حديقته فقال يا ثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل فكان اول خلع في الاسلام

المعنى

ثم بين سبحانه عدد الطلاق فقال الطلاق مرتان اي الطلاق الذي تملك فيه الرجعة مرتان وفي معناه قولان **احدهما** انه بيان تفضيل طلاق السنة وهو أنه إذا اراد طلاقها ينبغي ان يطلقها في طهر لم يقر بها فيه بجاء تطليقة واحدة ثم يتركها حتى تخرج من العدة او حتى تحيض وتطهر ثم يطلقها ثانية عن ابن عباس ومجاهد **والثاني** ان معناه البيان عن عدد الطلاق الذي يوجب البيونة مما لا يوجبها وفي الآية بيان انه ليس بعد التظليقتين الا الفرقة البائنة ولفظه لفظ الخبر ومعناه الامرأي طلقوا دفعتين وقوله (فامسك بمعروف) تقديره فالواجب إذا راجعها بعد التظليقتين امسك بمعروف أي على وجه جميل سائغ في الشريعة لا على وجه الاضرار بهن (او تسريح باحسان) فيه قولان **احدهما** انه الطلقة الثالثة **والثاني** انه يترك المعتدة حتى تبين بانقضاء العدة عن السدي والضحاك وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ولا يحل لكم) خطاب للازواج (ان تأخذوا) في حال الطلاق والاستبدال (ما آتيتوهن) اي اعطيتوهن من المهر (شيئا) ثم استنتى الخلع فقال (الا ان يخافا الا يقيا حدود الله) معناه الا ان يغلب على ظنهما ان لا يقيا حدود الله لما بينهما من اسباب التباعد والتباغض وقال ابن عباس هو ان يظهر من المرأة النشوز وسوء الخلق بغضا للزوج وقال ابو عبد الله اذا قالت المرأة له لا اغتسل لك من جنبات ولا ابر لك قسما ولا وطن فراشك ولا دخلن عليك بغير اذنك اذا قالت له هذا حل له ان يخلعها وحل له ما اخذ منها وعلى الجملة اذا خاف ان تعصي الله فيه بارتكاب محظور او اخلال بواجب وان لا تطيعه فيما يجب عليها فحينئذ يحل له ان يخلعها وروي مثل ذلك عن الحسن وقال الشعبي هو نشوزها ونشوزها (فان خفتهم الا يقيا حدود الله) اي فإن ظننتم ان لا يكون بينهما صلاح في المقام (فلا جناح عليهما) اي فلا حرج ولا إثم عليهما وهذا يفيد الاباحة وفي قوله عليهما وان كانت الاباحة للزوج وجهان **احدهما** ان الزوج لو خص بالذكر لا وهم انها عاصية وان كانت الفدية له جائزة فين الاذن لهما في ذلك ليزول الايهام عن علي ابن موسى **والآخرة** ان المراد به الزوج وماذا كرمه المرأة لاقترانها كقوله نسيا حوتهما وقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما هو من الملعح دون العذب فجاز للاتساع قال الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن وهذا اليق بمذهبنا لان الذي يبيح الخلع عندنا هو ما لولاه لكانت المرأة عاصية وأقول ان الذي عندي في ذلك ان جواز وقوع العصيان منها هو السبب في اباحة الخلع ورفع الجناح انما تعلق بالخلع لا باسبابه والوجه الأول اولى بالاختيار واشد ملائمة بظاهر الآية والوجه الاخير مرغوب عنه لعدوله عن سنن الاستقامة اذ لا يكون الاثنان واحدا في الحقيقة (فما اقتدت به) اي بذلت من المال واختلف في ذلك فعدنا ان كان البغض منها وحدها وخاف منها العصيان جاز ان يأخذ المهر وزيادة عليه وان كان منهما فدون المهر وقيل انه يجوز الزيادة على المهر والنقصان من غير تفصيل عن ابن عباس وابن عمر ورجاء بن حيوة وابراهيم ومجاهد وقيل المهر فقط عن ربيع وعطا

والزهري والشعبي ورووه عن علي والخلع بالفدية على ثلاثة اوجه **احدها** ان تكون المرأة عجزا او ذميمة فيضار بها الزوج لتفتدي نفسها فهذا لا يحل له الفدا لقوله وإن اردتم استبدال زوج مكان زوج الآية **والثاني** ان يرى الرجل امرأته على فاحشة فيضار بها لتفتدي نفسها فهذا جائز وهو معنى قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة **والثالث** ان يخافا الا يقيا حدود الله لسوء خلق أو قلة نفقة من غير ظلم أو نحو ذلك فيجوز لهما جميعا الفدية على ما مر تفصيله (تلك حدود الله) اي اوامره ونواهيه وما نصب من الآيات في الخلع والطلاق والرجعة والعدة (فلا تعتدوها) أي فلا تجاوزوها بالمخالفة (ومن يتعد حدود الله) اي يتجاوزها بأن يخالف ما حد له (فأولئك هم الظالمون) واستدل اصحابنا بهذه الآية على ان الطلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقيم لأنه قال الطلاق مرتان ثم ذكر الثالث على الخلاف في أنها قوله أو تسريح باحسان او قوله فإن طلقها ومن طلق ثلاثا بلفظ واحد فإنه لم يأت بالمرتين ولا بالثالثة كما انه لما أوجب على العباد اربع شهادات فلواتى بالاربع بلفظ واحد لما أتى بالمشروع ولم يحصل حكم اللعان وكذلك لو رمي في الجار بسبع حصيات دفعة واحدة لم تجزى عنه بلا خلاف وكذلك الطلاق

قوله تعالى (٢٢٩) فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (آية)

✽ الإعراب ✽

موضع ان في قوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا جر باضمار الجار وتقديره في أن يتراجعا عن الخليل والكسائي والزجاج وقيل موضعه نصب وهو اختيار الزجاج وباقي النحويين وموضع أن الثانية وهو ان يقيا حدود الله نصب بلا خلاف بطنا وانما جاز حذف في من ان يتراجعا ولم يميز حذفه من المصدر الذي هو التراجع لطول ان بالصلة كما جاز الذي ضربت زيدا لطول الذي بالصلة ولم يجز في المصدر كما لم يجز في اسم الفاعل نحو زيد ضارب عمرا يريد ضاربه

✽ النزول ✽

الزهري عن عروة عن عائشة قالت جاءت امرأة رفاعة بن وهب القرظي الى رسول الله (ص) فقالت إني كنت عند رفاعة فطلقني فبنت طلاقني فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وأن ما معه مثل هدبة الثوب وأنه طلقني قبل ان يمسي فارجع الى ابن عمي فتبسم رسول الله وقال تريدان ان ترجعي الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته وفي قصة رفاعة وزوجته نزل فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه حكم التولية الثالثة فقال (فإن طلقها) يعني التولية الثالثة على ما روي عن أبي جعفر وبه قال السدي والضحاك وقيل هو تفسير قوله أو تسريح باحسان عن مجاهد وهذا على مذهب من جعل التسريح طلاقا (فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) اي لا تحل هذه المرأة اي لا يحل نكاحها لهذا الرجل الذي طلقها حتى تزوج زوجا غيره ويجامعها واختلف في ذلك فقيل العقد علم بالكتاب والوطء بالسنة عن الجبائي وقيل بل كلاهما علم بالكتاب لأن لفظ النكاح يطلق عليهما فكأنه قيل حتى يتزوج ويجامعها الزوج ولان العقد مستفاد بقوله زوجا غيره والنكاح مستفاد بقوله حتى تنكح وإنما أوجب الله ذلك لعلمه بصعوبة تزوج المرأة على الرجل

حتى لا يجعلوا بالطلاق وان يتثبتوا قال ابو مسلم وهذا من الكنايات الفصيحة والايجاز العجيب (فإن طلقها) الزوج الثاني (فلا جناح عليهما ان يتراجعا) اي فلا جناح على الزوج وعلى المرأة ان يعقدا بينهما عقد النكاح ويعودا الى الحالة الاولى فذكر النكاح بلفظ التراجع (ان ظننا) اي ان رجيا وقيل علما وقيل اعتقدا (ان يقيا حدود الله) في حسن الصحبة والمعاشرة وانه يكون بينهما الصلاح وتلك اشارة الى الأمور التي بينها في النكاح والطلاق والرجعة (حدود الله) او امره ونواهيها (يبينها) يفصلها (اقوم يعلمون) خص العالمين بذكر البيان لهم لانهم هم الذين ينتفعون ببيان الآيات فصار غيرهم بمنزلة من لا يعتد به ويجوز ايضا أن يكونوا خصوا بالذكر تشريفا لهم كما خص جبرائيل وميكائيل بالذكر من بين الملائكة وتدل الآية على أنه إذا طلقها الثالثة فلا تحل له إلا بعد شرائط الزوج الثاني ووطنه في القبل وفرقة وانقضاء عدتها . وصفة الزوج الذي يحل المرأة للزوج الاول أن يكون بالنا ويعقد عليها عقدا صحيحاً دائما واختلف في التحليل على ثلاثة أقاويل فمنهم من قال اذا نوى التحليل يفسد النكاح ولا تحل للأول عن مالك والاوزاعي والثوري وروي نحوه عن أبي يوسف واحتجوا بقوله لعن الله المحلل والمحلل له ومنهم من قال إذا لم يشترط في العقد حل وإذا شرطه يفسد ولا يجعل عند الشافعي ومنهم من قال يصح العقد ويطل الشرط ويحل للأول ولكن يكره ذلك وهو الظاهر من مذهب أبي حنيفة وأهل العراق وقال محمد يصح النكاح ولا يجعل للأول وفي قوله فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره دلالة على أن النكاح بغير ولي جائز وان المرأة يجوز لها أن تعقد على نفسها لأنه أضاف العقد اليها دون وليها

قوله تعالى (٢٣٠) وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنِ أَجَلَهُنَّ فَأَسْكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَإِذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لِيُعْظَمَكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (آية)

اللغة

الأجل آخر المدة وعاقبة الأمور والمراد بالمعروف هاهنا الحق الذي يدعو اليه العقل والشرع للمعرفة بصحته خلاف المنكر الذي يزرع عنه العقل او السمع لاستحالة المعرفة بصحته فما يجوز المعرفة بصحته معروف وما لا يجوز المعرفة بصحته منكر

الإعراب

فبلغن اجلهن الجملة في موضع جر بالعطف على الجملة قبلها وهي طلقتم النساء مجرورة الموضع باضافة إذا اليها وضرارا نصب على الحال من الواو في تمسكوهن تقديره ولا تمسكوهن مضارين واللام في لتعتدوا يتعلق بتمسكوا وضرارا وهزوا مفعول ثان لتتخذوا وما أنزل موصول وصلة في محل نصب بالعطف على نعمة . من الكتاب في محل نصب على الحال والعامل فيه اذكروا وذو الحال ما انزل ومن يكون بمعنى التبيين يعظكم جملة في موضع الحال والعامل فيه انزل

المعنى

شبهين سبحانه ما يفعل بعد الطلاق فقال (واذا طلقتم النساء) وهذا خطاب الأزواج (فبلغن اجلهن) البلوغ هاهنا بلوغ مقاربة اي قاربين انقضاء العدة بما يتعارفه الناس بينهم بما تقبله النفوس ولا تنكره العقول والمراد بالمعروف هاهنا ان يمسكها على الوجه الذي اباحه الله من القيام بما يجب لها من النفقة وحسن العشرة وغير ذلك (او سرحوهن

بمعروف) اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيمكن املك بانفسهن (ولا تمسكوهن ضرارا) اي لا تراجعوهن
لا لرغبة فيهن بل لطلب الاضرار بهن اما في تطويل العدة او بتضييق النفقة في العدة (لتعتدوا) اي لتظلموهن (ومن
يفعل ذلك) اي الامساك للمضارة (فقد ظلم نفسه) فقد اضر بنفسه وعرضها لعذاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا)
اي لا تستخفوا باوامره وفروضه ونواهيه وقيل آيات الله قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان (واذكروا
نعمة الله عليكم) فيما اباحه لكم من الازواج والاموال وما بين لكم من الحلال والحرام (وما انزل عليكم
من الكتاب) يعني العلوم التي دل عليها والشرائع التي بينها (يعظكم به) لتعتظوا فتونجروا بفعل ما امركم الله به
وترك ما نهاكم عنه (واتقوا الله) اي معاصيه التي تؤدي الى عقابه وقيل اتقوا عذاب الله باتقاء معاصيه (واعلموا ان
الله بكل شيء عليم) من افعالكم وغيرها

قوله تعالى (٢٣١) وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ
إِذَا تَرَآضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
ذَلِكَمُ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (آية)

✽ اللغة ✽

العضل الحبس وقيل هو مأخوذ من المنع وقيل هو مأخوذ من الضيق والشدة والامر المعضل الممتنع بصعوبته
وعضلت الناقة فهي معضلة اذا احتبس ولدها في بطنها وعضلت الدجاجة اذا احتبس بيضها وتقول عضل المرأة
يعضلها عضلا اذا منعه من التزويج ظلما واعضل الداء الأطباء اذا اعياهم ان يقوموا به وامتنع عليهم لشدة
وداء عضال وفلان عضلة من العضل أي داهية من الدواهي

✽ الإعراب ✽

موضع ان من قوله ان ينكحن ازواجهن جر عند الخليل والكسائي وتقديره من ان ونصب عندغيرهما بوصول
الفعل ذلك يوعظ به مبتدأ وخبر وقوله من كان يؤمن بالله في موضع رفع بيوعظ ومنكم في موضع الحال من
الضمير في يؤمن

✽ النزول ✽

نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع الى الزوج الاول وهو عاصم بن عدي فإنه كان
طلقها وخرجت من العدة ثم اراد ان يجتمعا بعقد آخر فمنعه من ذلك فنزلت الآية عن قتادة والحسن وجماعة
وقيل نزلت في جابر بن عبد الله عضل بنت عم له عن السدي والوجهان لا يصحان على مذهبا لأنه لا ولاية للأخ
وابن العم عندنا ولا تأثير لعضلها فالوجه في ذلك ان تحمل الآية على المطلقين كما في الظاهر فكأنه قال
لا تعضلوهن اي لا تراجعوهن عند قرب انقضاء عدتهن اضرارا بهن لا رغبة فيهن فإن ذلك لا يسوغ في الدين
ويجوز ان يكون العضل محمولا على الجبر والحيلولة بينهما وبين التزويج دون ما يتعلق بالولاية

✽ المعنى ✽

(واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن) اي انقضت عدتهن (فلا تعضلوهن) اي لا تمتعهن ظلما عن التزوج وقيل
المراد به التخيلية وقيل هو خطاب للأولياء ومنع لهم من عضلهم من عضلهم وقيل خطاب للآزواج يعني ان تطلقوهن في السر
ولا تظهروا طلاقهن كيلا يتزوجن غيرهم فيبقين لا ممسكات امساك الازواج ولا مخليات تخلية الطلاق او
تطولوا العدة عليهن (ان ينكحن ازواجهن) اي من رضين بهم ازواجهن وقيل الذين كانوا ازواجهن من قبل

(اذا تراضوا بينهم بالمعروف) اي بما لا يكون مستنكرا في عادة ولا خلق ولا عقل وقيل إذا تراضى الزوجان بالنكاح الصحيح عن السدي وقيل اذا تراضيا بالمهر قليلا كان او كثيرا (ذلك) اشارة الى ما سبق من الأمر والنهي (يوعظ به) يزجر ويخوف به (من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) إنما خصهم بالذكر لأنهم الذين اتفقوا به او لأنهم اولى بالاتعاظ به وقيل لأن الكافر انما يلزمه الوعظ بعد قبوله الايمان واعترافه بالله تعالى (ذلكم اذ كنى لكم) اي خير لكم وفضل واعظم بركة وأحرى ان يجعلكم أذكيا. (واطهر) اي اطهر لقلوبكم من الريبة فانه لعل في قلبها حبا فاذا منعها من التزويج لم يؤمن أن يتجاوزا الى ما حرم الله وقيل اطهر لكم من الذنوب (والله يعلم) مالكم فيه من الصلاح في العاجل والآجل (وانتم لا تعلمون) وانتم غير عالمين الا بما اعلمكم وليس لأحد ان يستدل بالآية على ان العقد لا يصح الا بولي لانا قد بينا ان المراد بالعضل المنع وإذا حملنا الآية على انها خطاب للازواج سقط قولهم وهذا اولى لانه لم يجز للأولياء ذكر كما جرى ذكر المطلقين

قوله تعالى (٢٣٢) والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتيماً الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة يولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن اراد افضالاً عن تراضيهنهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سألتم ما اتيتن بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل البصرة وابن كثير وقتيبة عن الكسائي لا تضار بالرفع وتشديد الراء وقرأ أبو جعفر وحده بتخفيف الراء وسكونها والباقون بتشديدها وفتحها وقرأ ابن كثير وحده ما اتيتن مقصورة الالف والباقون ما اتيتن وكذلك في الروم

✽ الحجة ✽

من رفع فلأن قبله لا تكلف فاتبعه ما قبله ليكون احسن لتشابه اللفظ فإن قلت أن ذلك خبر وهذا أمر قيل إن الأمر قديمي على لفظ الخبر في التنزيل الا ترى إلى قوله والمطلقات يتربصن بأنفسهن ويوكد ذلك ان ما بعده على لفظ الخبر وهو قوله وعلى الوارث مثل ذلك والمعنى ينبغي ذلك فلما وقع موقعه صار في لفظه ومن فتح جعله امراً وفتح الراء ليكون حركته موافقة لما قبلها وهو الألف فاما قراءة ابي جعفر لا تضار فينبغي أن يكون اراد لا تضار كما روى في الشواذ عن ابان عن عاصم الا انه حذف الراءين تحفيفا كما قالوا احست في احست وظلت ومست في ظلت ومستت ومن قرأ آتيتن فالمراد ايتاء المهر كقوله وآتيتن إحداهن قنطاراً وقوله إذا آتيتموهن أجورهن وأما قول ابن كثير فتقديره إذا سلمتم ما آتيتن نقده او آتيتن سوقه فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه ثم حذف الهاء من الصلة فكانه قال آتيت نقدا الف اي بذلته كما يقول آتيت جميلاً أي فعلته ويؤيده قول زهير

فما بك من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل

فكما تقول آتيت خيراً فكذلك تقول آتيت نقداً وقد وقع آتيت موضع آتيت ويجوز ان يكون ما في الآية مصدراً فيكون التقدير اذا سلمتم الايتان والايتان المأني مما يبذل بسوق او نقد كقولك ضرب الأمير اي مضروبه

اللغة

الرضع مص الثدي بشرب اللبن منه يقال ارضع ورضع والمصدر الرضع والرضع والرضاعة ولثيم راضع يرضع لبن ناقته من لومه انلا يسمع الضيف صوت الشخب وارضعت المرأة فهي مرضعة وقولهم مرضع بغير هاء ذات رضاع والحول السنة مأخوذ من الانقلاب في قواك حال الشيء عما كان عليه يحول ومنه الاستحالة في الكلام لانقلابه عن الصواب وقيل اخذ من الانتقال من قواك تحول عن المكان والكسوة مصدر كسوته ثوبا اي البسته واكتسى اي لبس والكسوة اللباس والتكليف الالزام الشاق واصله من الكلف وهو ظهور الاثر لانه يلزمه ما يظهر فيه اثره وتكلف أي تحمل والكلف بالشيء الايلاج به والوسع الطاقة مأخوذ من سعة المسلك الى الغرض فيمكن لذلك فلو ضاق لا عجز عنه والسعة فيه بمنزلة القدرة فلذلك قيل الوسع بمعنى الطاقة والفصال الفظام لانفصال المولود عن الاعتناء بشدي امه الى غيره من الاقوات وفصيلة الرجل بنو ابيه لانفصالهم من اصل واحد والفصل الفرق والتشاور مأخوذ من الشور وهو اجتناء العسل تقول شرت العسل أشوره شورا إذا اجتنيته من مكانه والمشورة استخراج الرأي من المستشار لانها تجتنى منه وأشار إليه إشارة أومى اليه والمشيرة الاصبع التي تسمى السبابة لانه تشاربها والشاره الهيئة واللباس الحسن لانه مما يشار إليه لحسنه والتشوير استخراج سير الدابة كالاجتناء.

الاعراب

عن تراض في موضع الحال تقديره فإن أرادنا متراضين منهما في موضع جر صفة لتراض أن تسترضعوا اولادكم معناه لاولادكم فحذفت اللام لدلالة الاسترضاع عليه من حيث لا يكون إلا للاولاد ولا يجوز دعوت زيدا تريد لزيد لانه لا يجوز أن يكون مدعوا له إذ معنى دعوت زيدا لعمره وخلاف دعوت زيدا فقط فلا يجوز للاتباس وقوله بالمعروف جاز أن يتعلق بسلمتم كأنه قال إذا سلمتم بالمعروف ما أتيتهم ويجوز أن يتعلق بأتيتهم على حد قولك أتيتهم بزيد

المعنى

لما بين سبحانه حكم الطلاق عقبه ببيان احكام الاولاد الصغار في الرضاع والتربية وما يجب في ذلك من الكسوة والنفقة فقال (والوالدات) اي الامهات (يرضعن اولادهن) صيغته صيغة الخبر والمراد به الامراي يرضعن اولادهن كقوله يتربصن بأنفسهن وجاز ذلك التصرف في الكلام مع رفع الاشكال إذ لو كان خبرا لكان كذبا لجواز أن يرضعن أكثر من حولين أو أقل وقولك حسبك درهم معناه اکتف بدرهم تلم وقيل هو خبر بمعنى الأمر وتقديره والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين في حكم الله الذي أوجه على عباده فحذف للدلالة عليه وهذا أمر إستحباب لا أمر إيجاب والمعنى إنهن احق برضاعهم من غيرهن بدليل قوله وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى ثم بين مدة الرضاع فقال (حولين كاملين) أي عامين تامين أربعة وعشرين شهرا وإنما ذكر كاملين وإن كانت التثنية تأتي على إستيفاء العدة لرفع الابهام الذي يعرض في الكلام فإن الرجل يقول سرت شهرا واقمت عند فلان سنة وإن كان قد سار قريبا من شهر واقام قريبا من السنة وفي هذا بيان لأمرين أحدهما مندوب والثاني فرض فالمندوب وهو ان يجعل الرضاع تمام الحولين والمفروض هو ان المرخصة تستحق الاجرة في مدة الحولين ولا تستحق فيما زاد عليه واختلف في هذا الحال هل هو لكل مولود او للبعض فقال ابن عباس ليس لكل مولود ولكن لمن ولد ستة اشهر وإن ولد لسبعة اشهر فثلاثة وعشرون وإن ولد لتسعة اشهر فاحد وعشرون يطلب بذلك لكلمة ثلاثين شهرا في الحمل والفصال وعلى هذا يدل ما رواه اصحابنا في هذا الباب لانهم رووا ان ما نقص عن احد وعشرين شهرا فهو جور على الصبي وقال الثوري وجماعة هو لازم في كل ولد إذا اختلف والداه رجعا إلى

الحولين من غير زيادة ولا نقصان ولا يجوز لهما غير ذلك والرضاع بعد الحولين لا حكم له في التحريم عندنا وبه قال ابن عباس وابن مسعود واكثر العلماء قالوا المراد بالآية بيان التحريم الواقع بالرضاع ففي الحولين يحرم وما بعده لا يحرم وقوله (لمن اراد أن يتم الرضاعة) اي لمن اراد أن يتم الرضاعة المفروضة عليه وهذا يدل على أن الرضاع غير مستحق على الأم لأنه علقه بالارادة ويدل عليه قوله وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى وقال قتادة والربيع فرض الله على الوالدات ان يرضعن اولادهن حولين ثم أنزل الرخصة بعد ذلك فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة يعني إن هذا منتهى الرضاع وليس فيما دون ذلك حد محدود وإنما هو على مقدار صلاح الصبي وما يعيش به (وعلى المواردله) يعني الاب (رزقهن) يعني الطعام والادام (وكسوتهن) يعني لباسهن والمراد رزق الأم وكسوتهما ما دامت في الرضاعة اللازمة وذلك في المطلقة عن الثوري والضحاك واكثر المفسرين (بالمعروف) يعني على قدر اليسار لأنه علم احوال الناس في الغنى والفقر وجعل حق الحضانة للأم والنفقة على الأب على قدر اليسار ولم يرد به نفقة الزوجات لأنه قابلها بالارضاع ونفقة الزوجة لا تجب بسبب الارضاع وإنما تجب بسبب الزوجية وقال بعضهم اراد به نفقة الزوجات وقوله (لا تكلف نفس إلا وسعها) اي لا يلزم إلا دون طاقتها (لا تضار والدة بولدها) اي لا تترك الوالدة ارضاع ولدها غيظا على ابيه فيضربولده به لأن الوالدة أشفق عليه من الأجنبية (ولا مولود له بولده) اي لا يأخذه من أمه طلبا للاضرار بها فيضربولده فيكون المضارة على هذا بمعنى الاضرار اي لاتضر الوالدة ولا الوالد بالولد وإنما قال تضار والفعل من واحد لأنه لما كان معناه المبالغة كان بمنزلة ان يكون الفعل من اثنين وقيل الضرر يرجع إلى الولد كأنه يقول لا تضار كل واحد من الأب والأم بالصبي الأم بأن لا ترضعه والأب بأن لا ينفق او بأن ينتزعه من الأم والباء زائدة والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا والد ولده وقيل معناه لا تضار والدة الزوج بولدها ولو قيل في ولدها لحاز في المعنى وروي عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام لا تضار والدة بأن يترك جماعها خوف الحمل لأجل ولدها المرتضع (ولا مولود له بولده) اي لا تمتع نفسها من الأب خوف الحمل فيضرب ذلك بالأب وقيل لا تضار والدة بولدها بأن ينتزع الولد منها ويسترضع امرأة غيرها مع اجابتها إلى الرضاع بأجرة المثل فعلى هذا يكون معنى بولدها بسبب ولدها ولا مولود له أي لا تمتع هي من الارضاع إذا أعطيت أجرة مثلها فإن فعلت استأجر الأب مرضعة ترضعه غيرها ولا تمتعه من روية الولد فيكون فيه مضارة بالولد وقوله بولده بسبب ولده ايضا وليس بين هذه الأقوال تناف فالاولى حمل الآية على جميعها وقوله (وعلى الوارث) قيل معناه وارث الولد عن الحسن وقاتدة والسدي وهو من يرثه إذا مات وقيل وارث الوالد عن قبيصة بن ذؤيب والأول أقوى (مثل ذلك) اي مثل ما كان على الوالد من النفقة والرضاع عن الحسن وقاتدة وقيل مثل ما كان على الوالد من ترك المضارة عن الضحاك والمفهوم عند اكثر العلماء الامران معا وهو اليق بالعموم واختلفوا في ان النفقة على كل وارث او على بعضهم فقيل هي على العصابات دون اصحاب الفرائض من الأم والأخوة من الأمر عن عمر بن الخطاب والحسن وقيل على وارث الصبي من الرجال والنساء على قدر النصيب من الميراث عن قتادة وقيل على الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون ذي رحم ليس بمحرم كابن العم وابن الأخت فيجب على ابن الأخت ولم يجب على ابن العم وإن كان وارثه في تلك الحال عن ابي حنيفة وصاحبيه وقيل على الوارث اي الباقي من ابويه عن سفيان وهو الصحيح عندنا وهو ايضا مذهب الشافعي لأن عنده لا يجبر على نفقة الرضاع إلا الوالدان فقط وقد روي ايضا في اخبارنا ان على الوارث كائنا من كان النفقة وهذا يوافق الظاهر وبه قال قتادة واحمد واسحاق وقوله (فإن أرادا فصلا) أي قبل الحولين عن مجاهد وقاتدة وهو المروي عن ابي عبد الله وقيل قبل الحولين او بعدهما عن ابن عباس (عن تراض منها) أي من الأب والأم (وتشاور) يعني اتفاق منهما ومشاورة وإنما شرط تراضيهما وتشاورهما مصلحة للولد لأن الوالدة تعلم مسن تربية الصبي

ما لا يعلمه الوالد فلو لم يتفكرا ويتشاورا في ذلك أدى إلى ضرر الصبي (فلاجناح عليها) اي لا حرج عليها إذا تماسك الولد فإن تنازعا رجعا إلى الحولين وقوله (وإن أردتم) خطاب للآباء (أن تسترضعوا اولادكم) اي لأولادكم ان تطلبوا لهم مرضع غير أمهاتهم لآباء. أمهاتهم الرضاع او لعله بهن من انقطاع لبن او غيره (فلاجناح عليكم) اي لا حرج ولا ضيق في ذلك (إذا سلمتم ما آتيتن بالمعروف) أي إذا سلمتم إلى الأم أجره المثل مقدار ما أرضعت عن مجاهد والسدي وقيل إذا سلمتم الاسترضاع عن تراض واتفاق دون ذلك الضرار عن أبي شهاب وهذا معنى قول ابن عباس وفي رواية عطا قال إذا سلمت أمه ورضي ابوه لعل له غنى يشتري له مرضعا وقيل إذا سلمتم أجره المسترضعة عن الثوري وقيل إذا سلمتم أجره الأم او الظئر عن ابن جريج ومعنى قوله آتيتن ضمنتم والزمتن ثم أوصى بالتقوى فقال (واتقوا الله) يعني معاصيه او عذابه في مجاوزة ما حده لكم (واعلموا ان الله بما تعملون) اي بأعمالكم (بصير) اي عليم لا يخفى عليه شيء منها وفي قوله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها دلالة على فساد قول المجبرة في حسن تكليف ما لا يطاق لأنه إذا لم يجر أن يكلف مع عدم الجدة فإن لا يكلف مع عدم القدرة اخرى فإن في الخالين لا سبيل له إلى اداء ما كلف

قوله تعالى (٢٣٣) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

روي في الشواذ عن علي يتوفون بفتح الياء.

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جنى هو على حذف المفعول اي الذين يتوفون أيامهم او آجالهم واعارهم وحذف المفعول به كثير في القرآن وفصيح الكلام إذا كان هناك دليل عليه كما قال الله وأوتيت من كل شيء اي شيئا قال الخطيئة

منعمة تصون إليك منها كصونك من رداء شرعي

اي تصون الكلام منها وتوفيت الشيء استوفيته أخذته وافيا

﴿ اللغة ﴾

يذرو يدع يترك ولا يستعمل منها الماضي استغني عنه بترك والعة في ذلك انهم تركوا الواوات في اول الكلمة حتى انهم لم يلحقوها اولا على جهة الزيادة اصلا والآن غاية الوقت في محل الدين ونحوه لتأخيره إلى ذلك الوقت والآن نقيض العاجل لتأخره عن وقت غيره وفعله من أجل كذا اي لعاقبة كذا وهي متأخرة عن وقت الفعل الذي دعت اليه والقطيع من يقر الوحش يسمى اجلا وقد تأجل الصرار اي صار اجلا لتأخر بعضه عن بعض وأجل عليهم شرا اجلا اي خبأه لأنه أعقبهم شرا والآن الآخرة والعاجلة الدنيا والخبير العالم بخبر الخبر وأصله من السهولة والخبير الارض السهلة وخبرت بالشيء لأنه تسهيل لطريق العلم به والخبير الاكار والمخبرة المراكرة وهو أن يزرع على النصف او الثلث او نحوه وذلك لتسهيل الزراعة

﴿ الإعراب ﴾

الذين مرتفع بالابتداء ويتوفون صلته ومنكم في موضع النصب على الحال من الواو في يتوفون ويذرون أزواجا عطف على الصلة فهو ايضا من الصلة ويتربصن وما بعده خبر المبتدأ وإذا كان خبر المبتدأ لا يخلو من

ان يكون هو هو او يكون له فيه ذكر فلا يجوز ان يكون هذا الظاهر على الذي هو عليه لحاوه من ضربي
 خبر الابتداء. وقد قيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان تقدير خبر المبتدأ يترصد بعدهم لأن المعنى يترصد
 أزواجهم بعدهم اربعة اشهر وعشرا وجاز حذف هذا الذي يتعلق به الرجوع إلى المبتدأ كما جاز ذلك في قولهم
 السمن منوان بدرهم والمعنى على منوان منه بدرهم عن الأخفش ﴿ والثاني ﴾ ان يكون تقديره أزواجهم
 يترصد عن أبي العباس المبرد المحذوف على هذا هو المبتدأ الذي هو أزواجهم وساغ هذا الحذف لقيام الدلالة
 عليه كما يسوغ حذف المفرد إذا قامت الدلالة عليه وقيام الدلالة على المضاف ان الأزواج قد تقدم ذكرهن فساغ
 اضمارهن وحسن وأما حذف المضاف اليه فلاقتضاء المبتدأ الرابع اليه وقد جاء المبتدأ مضافا محذوفا كما جاء
 المفرد وذلك قوله تعالى لا يغرنك قلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل اي تغلبهم متاع قليل ﴿ والثالث ﴾
 ان يكون تقديره يترصد أزواجهم ثم كفي عن الأزواج عن الكسائي وإنما قال وعشرا بالتأنيث تغليا
 لليالي على الأيام وإذا اجتمعت في التاريخ لأن ليلة كل يوم قبله كما قيل لخمس بقين وقد علم المخاطب ان
 الأيام داخلة مع الليالي وأنشد سييويه

فطاف ثلاثا بين يوم . وليلة
 يكون النكيران تضيف وتجارا
 فيما فعلن ما مع صلته في موضع الجربفي وقوله بالمعروف الجار والمجرور في موضع النصب على الحال

﴿ المعنى ﴾

لما بين عدة المطلقات بين عدة الوفاة فقال (والذين يتوفون) منكم اي يقبضون ويموتون (ويذرون) اي
 يتركون (أزواجا) اي نساء (يترصد بانفسهن) اي ينتظرن انقضاء العدة ويجسبن انفسهن عن التزويج
 معتدات (اربعة اشهر وعشرا) اي وعشر ليال وعشرة ايام وهذه عدة المتوفى عنها زوجها سواء كانت مدخولا
 بها أو غير مدخول بها حرة كانت او امة فإن كانت حرة بعد ايام من وضع الحمل او مضي اربعة
 اشهر وعشر ووافقنا في عدة الأمة الاصم وخالف باقي الفقهاء في ذلك فقالوا عدتها نصف عدة الحرة شهران
 وخمسة ايام واليه ذهب قوم من اصحابنا وقالوا في عدة الحامل انها بوضع الحمل وان كان بعد على المعتسل وروي
 ذلك عن عمر بن الخطاب وابي مسعود البدوي وأبي هريرة وعندنا أن وضع الحمل يختص عدة المطلقة والذي
 يجب على المعتدة في عدة الوفاة اجتنابه هو الزينة والكحل بالأنمد وترك النقلة عن المنزل عن ابن عباس والزهرى
 والامتناع من التزوج لا غير عن الحسن واحدى الروايتين عن ابن عباس وعندنا ان جميع ذلك واجب (فإذا
 بلغن اجلهن) اي آخر العدة بانقضائها (فلا جناح عليكم) قيل انه خطاب للأولياء وقيل لجميع المسلمين لانه
 يلزمهم منعها عن التزوج في العدة وقيل معناه لا جناح على النساء وعليكم (فيما فعلن في انفسهن) من النكاح
 واستعمال الزينة التي لا ينكر مثلها وهذا معنى قوله (بالمعروف) وقيل معنى قوله بالمعروف ما يكون جائزا
 وقيل معناه النكاح الحلال عن مطاهد (والله بما تعملون خبير) اي علم وهذه الآية ناسخة لقوله والذين يتوفون
 منكم ويذرون أزواجا وصية لازواجهم متاعا إلى الحول غير اخراج وان كانت متقدمة في التلاوة عليه

قوله تعالى (٢٣٤) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتَبْتُمْ فِي
 أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَتَذَكَّرُوهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا
 مَعْرُوفًا (٢٣٥) وَلَا تَمْزُومُوا نُدَّةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
 يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (آية)

﴿ النزول ﴾

آية في الكوفي وآيتان في غيرهم يتك قولاً معروفاً

﴿ اللغة ﴾

التعريض ضد التصريح وهو ان تضمن الكلام دلالة على ما تريد واصله من العرض من المشي الذي هو جانبه وناحيته منه وفي الحديث من عرض عرضناه ومن مشى على الكلا القيناه في النهر ومعناه من عرض بالقذف عرضنا له بتأديب لا يبلغ الحد ومن صرح القيناه في نهر الحد والفرق بين التعريض والكنائية ان التعريض تضييم الكلام دلالة على شيء ليس فيه ذكر له والكنائية العدول عن الذكر الأخص بالشيء إلى ذكر يدل عليه فالأول كقول القائل ما أقبح البخل تعرض بأن المخاطب بخيل (والثاني) كقولك زيدا ضربته كنيته عنه بالهاء. والخطبة الذكر الذي يستدعي به إلى عقدة النكاح أخذ من الخطاب وهو توجيه الكلام للإفهام والخطبة الوعظ المتسق على ضرب من التأليف وقيل الخطبة ما له أول ولا آخر مثل الرسالة والخطبة للجال نحو الجلسة والعقدة والاكنان الستر للشيء والكن السرايض والفرق بين الاكنان والكن ان الاكنان الاضمار في النفس ولا يقال كنيته في نفسي والكن في المعنى الصون وفي التنزيل بيض مكنون والكانون يحتاج اليه في وقت الاكنان من البرد والكنانة الجعبة الصغيرة تتخذ للنبيل والسرف في اللغة على ثلاثة أوجه الاخفاء في النفس والشرف في الحسب يقال فلان في سر قومه أي في صميمهم والجماع في الفرج قال امرؤ القيس

ألا زعمت بسباسة اليوم انسي كبرت وأن لا يشهد السر أمثالي
وقال الأعشى

ولا تنكحن جارة إن سرها عليك حرام فانكحن او تأبدا

والعزم عقد القلب على أمر تفعله وفي الحديث خير الأمور عوازمها يعني ما وكدت عزمك عليه والعقدة من العقد وهو الشد وفي المثل يا عاقداً اذكر حلا وعقد اليمين خلاف العزم

﴿ الإعراب ﴾

فما عرضتم الجار والمجرور في موضع الحال وكذا في قوله من خطبة النساء ان تقولوا في موضع نصب بدل من سرا تقديره ولا تواعدوهن إلا قولاً معروفاً ولا تعزموا عقدة النكاح أي على عقدة النكاح فحذف على استخفافاً كما قالوا ضرب زيد الظهر والبطن معناه على الظهر والبطن نال سيبويه ان الحذف في هذه الأشياء لا يقاس عليه

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر عدة النساء وجواز الرجعة فيها للازواج عقبه ببيان حال غير الأزواج فقال (ولا جناح عليكم) أي لا حرج ولا ضيق عليكم يا معشر الرجال (فيما عرضتم به من خطبة النساء) المعتدات ولم تصرحوا به وذلك بأن تذكرن ما يدل على رغبتكم فيها ثم اختلف في معناه فقيل التعريض هو أن يقول الرجل للمعتدة اني أريد النكاح وانني أحب امرأة من صفتها كذا وكذا فيذكر بعض الصفات التي هي عليها عن ابن عباس وقيل هو ان يقول انك لنافعة وانك لمواقفة لي وانك لمعجبة جميلة فإن قضى الله شيئاً كان عن القاسم بن محمد والشعبي وقيل هو كل ما كان من الكلام دون عقد النكاح عن ابن زيد (او اكنتم في أنفسكم) أي أسررتن وأضمرت في أنفسكم من نكاحن بعد مضي عدتهن وقيل هو اسرار العزم دون اظهاره والتعريض اظهاره عن مجاهد وابن زيد (علم الله انكم ستذكرونهن) برغبتكم فيهن خوفاً منكم أن يسبقكم اليهن غيركم فأباح لكم ذلك (ولكن لا تواعدوهن سرا) فيه أقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه لا تواعدوهن في السر لأنها أجنبية والمواعدة في السر

تدعو إلى ما لا يحل ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه الزنا عن الحسن و ابرهيم وقتادة وقالوا كان الرجل يدخل على المرأة من أجل الزينة وهو معرض للنكاح فنهوا عن ذلك ﴿ وثالثها ﴾ انه العهد على الامتناع من تزويج غيرك عن ابن عباس وسعيد بن جبير ﴿ ورابعها ﴾ هو أن يقول لها اني ناكحك فلا تفوتيني نفسك عن مجاهد ﴿ وخامسها ﴾ ان السر هو الجماع فعناه ولا تصفوا أنفسكم بكثرة الجماع ولا تذكروه عن جماعة ﴿ وسادسها ﴾ انه اسرار عقدة النكاح في السر عن عبد الرحمن بن زيد ويجمع هذه الأقوال ما روي عن الصادق انه قال لا تصرحوا لمن النكاح والتزويج قال ومن السر أن يقول لها موعديك بيت فلان (إلا أن تقولوا قولاً معروفاً) يعني التعريض الذي أباحه الله وإلا بمعنى لكن لأن ما قبله هو المنهي عنه وما بعده هو المأذون فيه وتقديره ولكن قولوا قولاً معروفاً (ولا تعزموا عقدة النكاح) أي على عقدة النكاح يعني لا تبتوا النكاح ولا تعقدوا عقدة النكاح في العدة ولم يرد به النبي عن العزم على النكاح بعد العدة لأنه أباح ذلك بقوله أو أكنتم (حتى يبلغ الكتاب أجله) معناه حتى تنقضي العدة بلا خلاف وقيل الكتاب هو القرآن والمعنى حتى يبلغ فرض الكتاب أي ما فرض في القرآن من العدة والأجل المضروب لها وقيل معناه حتى يبلغ الفرض أجله وعبر بالكتاب عن الفرض كما يقال كتب أي فرض وهذا لأن ما كتب فقد أثبت فقد اجتمعا في معنى الثبوت وقيل ان هذا تشبيه للعدة بالدين الموجل المكتوب أجله في كتاب فكما يتأخر المطالبة بذلك الدين حتى يبلغ الكتاب أجله كذلك يتأخر خطبة النكاح في العدة إلى انقضاء العدة (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم) من اسراركم وضائركم (فاحذروه) فاتقوا عقابه ولا تخالفوا أمره (واعلموا ان الله غفور) لعباده (حلیم) يمهل العقوبة المستحقة فلا يعجل بها

قوله تعالى (٢٣٦) لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي تأسوهن بضم التاء وبأل في موضعين هاهنا وفي الأحزاب وقرأ الباقون تمسوهن وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة إلا أبوبكر وابن ذكوان قدره بفتح الدال في الموضعين والباقيون بأوسكانها

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ تمسوهن قوله ولم يمسنى بشر ولم يطمشهن وانكحوهن والنكاح عبارة عن الوطء قال جرير

التاركون على طهور نساءهم والنالكحون بشطبي دجلة البقر

وحجة من قرأ ولا تارة وهن ان فاعل وفعل قديراد بكل واحد منها ما يراد بالأخر وذلك نحو طارقت النعل وعاقبت اللص وقال ابو الحسن يقال هو القدر والقدر وهم يتصمون في القدر والقدر قال الشاعر (ألا يا لقوم للنواب والقدر) وخذ منه بقدر كذا وقدر كذا لغتان وفي كتاب الله فسالت أودية بقدرها وقدرها وعلى الموسع قدره وقدره وما قدروا الله حقيق قدره ولو حركت كان جائزاً وكذلك ان كل شيء خلقناه بقدر ولو خفت كان جائزاً إلا أن رونوس الآي كلها متحركة فيلزم الفتح لأن ما قبلها مفتوح

﴿ اللغة ﴾

الموسع الذي يكون في سعة لغناه والمقتر الذي يكون في ضيق لفقده يقال أوسع الرجل إذا كثرت ماله

واتسعت حاله واقتصر إذا افتقر وفترت الشيء اقتصره قترا وقترته تقتيرا إذا ضيق الانفاق منه والقتار دخان الشحم على النار لقلته بالإضافة إلى بقيته والقتار الغبار والقتير مسامير الدرع لقلتها وصغرها والقتير ابتداء الشيب لقلته ويجوز أن يكون مشبها بالدخان أول ما يرتفع والقترة ناموس الصائد لأنها كالقتار وأصل الباب الإقلال وقدرت الشيء أقدره وأقدره قدرا وقدرت على الشيء أقدر عليه قدرة وقدورا

﴿ الإعراب ﴾

ما لم تمسوهن موصول وصلة في موضع نصب تقديره مدة ترك المس فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والعامل في الظرف طلق وجواب الشرط محذوف تقديره إن طلقتم النساء. فلاجناح عليكم متاعا نصب على أحد وجهين إما أن يكون حالا من قدره والعامل فيه الظرف أي متاعا متاعاً واما على المصدر أي متعوهن متاعاً وحقا ينتصب أيضا على أحد وجهين إما أن يكون حالا من قوله بالمعروف والعامل فيه معنى عرف حقا واما أن يكون على التأكيد بجملته الخبر فكانه قال أخبركم به حقا أو أحقه حقا أو حق ذلك عليهم حقا كأنه قال إيجابا على المحسنين

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حكم الطلاق قبل الفرض والميسر فقال (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن) هذا إباحة للطلاق قبل الميسر وفرض المهر ورفع الإثم عن الطلاق قبل الدخول اثلا يتوهم أحد أن الطلاق في هذه الحالة محظور والمس كناية عن الوطء والفروض صدقها داخله في دلالة الآية وإن لم يذكر لأن التقدير ما لم تمسوهن ممن قد فرضتم هن (أو) لم (تفرضوا) لمن فريضة) لأن أو تنبي عن ذلك إذ لو كان على الجمع لكان بالواو والمراد بالفريضة الصداق بلا خلاف لأنه يجب بالعقد على المرأة فهو فرض لوجوبه بالعقد ومعناه أو لم تقدروا لمن مهرا مقدرا وإنما خص التي لم يدخل بها بالذكر في رفع الجناح دون المدخول بها وإن كان حكمهما واحدا لأمرين ﴿١﴾ أحدهما ﴿٢﴾ لإزالة الشك على ما قدمنا ذكره ﴿٣﴾ والثاني ﴿٤﴾ لأن له أن يطلق التي لم يدخل بها أي وقت شاء بخلاف المدخول بها فإنه لا يجوز أن يطلقها إلا في طهر لم يجامعها فيه (ومتعوهن) أي أعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما يتمتع به (على الموسع قدره) أي على الغني الذي هو في سعة لغناه على قدر حاله (وعلى المقتر قدره) أي على الفقير الذي هو في ضيق بقدر إمكانه وطاقته والمتعة خادم أو كسوة أو رزق عن ابن عباس والشعبي والربيع وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله وهو مذهب الشافعي وقيل هو مثل نصف صداق تلك المرأة المنكوحه عن أبي حنيفة وأصحابه ثم اختلف في ذلك فقيل إنما تجب المتعة للتي لم يسم لها صداق خاصة عن سعيد بن المسيب وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه وقيل المتعة لكل مطلقة إلا المخضلة والمبارثة والملازمة عن الزهري وسعيد بن جبير وأبي الغالية وقيل المتعة لكل مطلقة سوى المطلقة المفروض لها إذا طلقت قبل الدخول فإنما لها نصف الصداق ولا متعة لها عن ابن عمر ونافع وعطاء وهو مذهب الشافعي وقد رواه أصحابنا أيضا ذلك محمول على الاستحباب وقوله (متاعا) أي ومتعوهن متاعا (بالمعروف) أي وسطا ليس فيه اسراف ولا تقتير وقيل متاعا معتبرا بحال الرجل في اليسار والاقتار وقيل معتبرا بعالمها جميعا إذ لا يسوي بين حرة شريفة وبين أمة معتقة ليكون ذلك خارجا عن التعارف عن القاضي وقال أهل المدينة يؤمر الزوج به من غير أن يجبر عليه وعندنا يجبر عليه وبه قال أهل العراق (حقا على المحسنين) أي واجبا على الذين يحسنون الطاعة ويجتنبون المعصية وإنما خص المحسنين بذلك تشريفا لهم لا أنه لا يجب على غيرهم ودل ذلك على وجوب الإحسان على جميعهم فإن على كل إنسان أن يكون محسنا فهو كقوله هدى للمتقين

وقيل معناه من أراد أن يحسن فهذا حقه وحكمه وطريقه عن أبي مسلم هذا كله في المطلقة فاما المتوفى عنها زوجها إذا لم يفرض لها صداق فلها الميراث وعليها العدة اجاعا وقال اكثر الفقهاء لها صداق مثلها وحكى ابو علي الجبائي عن بعض الفقهاء انه قال لا مهر لها وهو الذي يليق بذهبنا لأنه لا نص لأصحابنا في ذلك

قوله تعالى (٢٣٧) وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَإِنْ تَعَفَّوْا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

روي في الشواذ عن الحسن او يعفو الذي بيده بسكون الواو وعن علي ولا تناسوا الفضل

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جنبي بسكون الواو من المضارع في موضع النصب قليل وسكون اليا. فيه اكثر وأصل السكون في هذا إنما هو للألف نحو ان يسمى ثم شبهت اليا. بالألف لقربها منها نحو قوله

كأن ايديهن بالموسات ايدي جواربتن فاعمات

وقوله (كان ايديهن بالقاع الفرق) ثم شبهت الواو في ذلك باليا. قال الاخطل

إذا شئت أن تلهو ببعض حديثها رفعتن وأنزلن القطين المولدا

وقال «أبي الله أن اسبو بأم ولا أب» وأما قوله تعالى ولا تناسوا فإنما هو نهي عن فعلهم الذي اختاروه وتظاهروا به كما يقال تغافل وتصام وتحسن هذه القراءة إنك إنما تنهى الإنسان عن فعله والنسيان ظاهره ان يكون من فعل غيره كأنه أنسى فنسي قال الله سبحانه وما أنسانيه إلا الشيطان

﴿ الإعراب ﴾

فنصف ما فرضتم رفع تقديره فعليكم نصف ما فرضتم وقوله يعفون في موضع نصب بأن إلا أن فصل المضارع إذا اتصل به نون ضمير جماعة الموثث بني فيستوي في الرفع والنصب والجزم وان يعفون موصول وصلة في محل النصب على الاستثناء او يعفو تقديره أو أن يعفو وهو في محل النصب بالعطف على الموصول والصلة قبلها وان تعفوا في موضع الرفع بالابتداء وأقرب خبره وتقديره والعفو اقرب للتقوى واللام يتعلق بأقرب وهو يعني من أو ألى والألف واللام في النكاح بدل من الاضافة إذ المعنى او يعفو الذي بيده عقدة نكاحه ومثله قوله فإن الجنة هي المأوى ومعناه هي مأواه

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حكم الطلاق قبل المسيس بعد الفرض فقال (وإن طلقتموهن) يعني إن طلقتم ايها الرجال النساء (من قبل أن تمسوهن) اي تجامعوهن (وقد فرضتم لهن فريضة) اي اوجبتم لهن صداقا وقدرتم مهرا (فنصف ما فرضتم) اي فعليكم نصف ما قدرتم وهو المهر المسمى (إلا أن يعفون) يعني الحرائر البالغات غير المولى عليهن لفساد عقولهن اي يتركن ما يجب لهن من نصف الصداق فلا يطالبن الأزواج بذلك عن ابن عباس ومجاهد وسائر اهل العلم (او يعفو) اي يترك ويهب الذي بيده عقدة النكاح قيل هو الولي عن مجاهد وعلقمة والحسن وهو المروري عن ابي جعفر وابي عبد الله وهو مذهب الشافعي غير ان عندنا الولي هو الأب او الجد مع

وجرد الأب الأدنى على البكر غير البالغ فاما من عداهما فلا ولاية له إلا بتوليتهما إياه وقيل هو الزوج ورواه عن علي وسعيد بن المسيب وشريح وإبراهيم وقتادة والضحاك وهو مذهب أبي حنيفة ورواه أيضا أصحابنا غير أن الأول أظهر وهو المذهب ومن جعل العفو للزوج قال له أن يعفو عن جميع النصف ومن جعله لولي من أصحابنا قال له أن يعفو عن بعضه وليس له أن يعفو عن جميعه فإن امتنعت المرأة عن ذلك لم يكن لها ذلك إذا اقتضته المصلحة عن أبي عبد الله (وأن تعفو اقرب للتقوى) خطاب للزوج والمرأة جميعا عن ابن عباس وللزوج وحده عن الشعبي قال وإنما جمع لأنه خطاب لكل زوج وقول ابن عباس اقرب له ومعه وإنما كان العفو اقرب للتقوى من وجهين ﴿ أحدهما ﴾ أن معناه اقرب إلى أن يتقي أحدهما ظلم صاحبه لأن من ترك غيره حق نفسه كان اقرب إلى أن لا يظلم غيره بطلب ما ليس له ﴿ والثاني ﴾ أن معناه اقرب إلى أن يتقي معصية الله لأن من ترك حق نفسه كان اقرب إلى أن لا يعصي الله بطلب ما ليس له (ولا تنسوا الفضل بينكم) أي لا تتركوا الأخذ بالفضل والإحسان بينكم والافضال فتأخذوا بمر الحكم واستيفاء الحقوق على الكمال . بين الله سبحانه في هذه الآية الحكم الذي لا يعذر احد في تركه وهو انه ليس للزوج أن ينقصها من نصف المهر ولا للمرأة أن تطالبه بالزيادة ثم بين طريق الفضل من الجانبين ونذب اليه وحث عليه (إن الله بما تعملون) أي بأعمالكم (بصير) أي علم وروي عن سعيد بن المسيب أن هذه الآية ناسخة لحكم المتعة في الآية الأولى وقال أبو القاسم البلخي وهذا ليس بصحيح لأن الآية تضمنت حكم من لم يدخل بها ولم يسم لها مهرا إذا طلقها وهذه تضمنت حكم التي فرض لها المهر ولم يدخل بها إذا طلقها واحد الحكمين غير الآخر وأقول إذا بينا في الآية الأولى أنها تتناول المطلقات غير المدخول بهن سواء فرضهن المهر أو لم يفرض وقلنا ان متعهن لا يجعل على العموم إذا لا متعة لمن فرض لها المهر وإن لم يدخل بها فلا بد من تخصيص فيه وتقديره وحذف أي ومتعوا من طلقتم منهن ولم تفرضواهن فريضة وإنما جاز هذا الحذف لدلالة ذكر من فرض لها المهر وحكمها في الآية الأخرى عليه وهذا ما سنح لي ها هنا ولم أر احدا من المفسرين تعرض لذكره وبالله التوفيق

قوله تعالى (٢٣٨) حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين (آية)

﴿ اللغة ﴾

الحفظ ضبط الشيء في النفس ثم يشبه به ضبطه بالمتع من الذهب والحفظ خلاف النسيان واحفظه أغضبه لأنه حفظ عليه ما يكرهه ومنه الحفيظة الحمية والحفاظ المحافظة والوسطى تأنيث الأوسط وهو الشيء بين الشئين على جهة الاعتدال واصل القنوت الدوام على امر واحد وقيل اصله الطاعة وقيل اصله الدعاء في حال القيام قال علي بن عيسى والأول احسن لحسن تصرفه في الباب لأن الدوام على الطاعة قانت وكذلك الدوام في صلواته على السكوت إلا عن الذكر المشروع وكذلك الدوام على الدعاء ويقال فلان يقنت عليه أي يدعو عليه دائما

﴿ النزول ﴾

عن زيد بن ثابت ان النبي كان يصلي بالهجرة وكانت اتقل الصلوات على أصحابه فلا يكون رواه إلا الصف أو الصفان فقال لقد هممت ان احرق على قوم لا يشهدون الصلاة بيوتهم فزلت هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

لما حث الله سبحانه على الطاعة خص الصلاة بالمحافظة عليها لأنها اعظم الطاعات فقال (حافظوا على الصلوات) أي داوموا على الصلوات المكتوبات في مواقيتها بتأم ار كانها ثم خص الوسطى تفخيا شأنها فقال (والصلوة الوسطى) كقوله سبحانه من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال أي والصلوة الوسطى

خاصة فداوموا عليها ثم اختلف في الصلاة الوسطى على أقوال **﴿١﴾** أحدها **﴿٢﴾** أنها صلاة الظهر عن زيد بن ثابت وابن عمر وإبي سعيد الخدري وأسامة وعائشة وهو المروي عن أبي جعفر وإبي عبد الله وهو قول أبي حنيفة وأصحابه وذكر بعض أئمة الزيدية أنها الجمعة يوم الجمعة والظهر سائر الأيام ورواه عن علي ويدل عليه سبب نزول هذه الآية وهو أنها وسط النهار وأول صلاة فرضت وروي عن علي قال قال النبي (ص) إن الله في السماء الدنيا حلقة تزول فيها الشمس فإذا زالت الشمس سبح كل شيء لربنا فأمر الله سبحانه بالصلاة في تلك الساعة وهي الساعة التي تفتح فيها أبواب السماء فلا تعلق حتى يصلي الظهر ويستجاب فيها الدعاء **﴿٣﴾** وثانيها **﴿٤﴾** أنها صلاة العصر عن ابن عباس والحسن وروي ذلك عن علي وابن مسعود وقتادة والضحاك وروي ذلك عن أبي حنيفة وروي مرفوعاً إلى النبي قالوا لأنها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل وإنما خصت بالذكر لأنها تقع في وقت اشتغال الناس في غالب الأمر وروي عن النبي أنه قال الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله وروي بريدة قال قال النبي (ص) بكرروا بالصلاة في يوم الغيم فإنه من فاتته صلاة العصر حبط عمله **﴿٥﴾** وثالثها **﴿٦﴾** أنها المغرب عن قبيصة بن ذؤيب قال لأنها وسط في الطول والقصر من بين الصلاة وروي الثعالي بأسناده عن عائشة قالت قال رسول الله إن أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها الله عن مسافر ولا مقيم فتح الله بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرًا في الجنة ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين أو أربعين سنة **﴿٧﴾** ورابعها **﴿٨﴾** أنها صلاة العشاء الآخرة عن بعضهم قال لأنها بين صلاتين لا تقصران وروي عن النبي أنه قال من صلى العشاء الآخرة في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى صلاة الفجر في جماعة كان كقيام ليلة **﴿٩﴾** وخامسها **﴿١٠﴾** أنها صلاة الفجر عن معاذ وابن عباس وجابر بن عبد الله وعطية وعكرمة ومجاهد وهو قول الشافعي قالوا لأنها بين صلاتي الليل وصلاتي النهار وبين الظلام والضياء. ولأنها صلاة لا تجتمع مع غيرها فهي منفردة بين مجتمعين ويدل عليه من التذييل قوله وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا يعني تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار وهو مكتوب في ديوان الليل وديوان النهار قالوا ويدل عليه آخر الآية وهو قوله وقوموا لله قانتين يعني وقوموا فيها لله قانتين قال أبو رجاء العطاردي صلى بنا ابن عباس في مسجد البصرة صلاة العشاء فقلت فيها قبل الركوع ورفع يديه فلما فرغ قال هذه الصلاة الوسطى التي أمرنا أن نقوم فيها قانتين إردده الثعالي في تفسيره وروي بأسناده مرفوعاً إلى أنس بن مالك قال ما زال رسول الله يقنت في صلاة العشاء حتى فارق الدنيا **﴿١١﴾** وسادسها **﴿١٢﴾** أنها إحدى الصلوات الخمس لم يعينها الله وأخفاها في جملة الصلوات المكتوبة ليحافظوا على جميعها كما أنفي ليلة القدر في ليالي شهر رمضان واسمه الأعظم في جميع الأساء وساعة الإجابة في ساعات الجمعة عن الربيع بن خيثم وأبي بكر الوراق (وقوموا لله قانتين) قال ابن عباس معناه داعين والتقنوت هو الدعاء في الصلاة في حال القيام وهو المروي عن أبي جعفر وإبي عبد الله وقيل معناه طائعين عن الحسن وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك وطاووس وأحدى الروايتين عن ابن عباس وقيل معناه خاشعين عن مجاهد قال نهوا عن العبث والاتفات في الصلاة وقيل ساكنين عن ابن مسعود وزيد بن أرقم والأصل فيه الإتيان بالدعاء أو غيره من العبادات في حال القيام ويجوز أن يطلق في سائر الطاعات فإنه وإن لم يكن فيه القيام الحقيقي فإن فيه القيام بالعبادة

قوله تعالى (٢٣٩) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجَلًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الرجال جمع راجل مثل تجار وصحاب وقيام في جمع تاجر وصاحب وقائم والرجال هو الكائن على رجله

واقفا كان او ماشيا والركبان جمع راكب كالفارس جمع فارس وكل شي عا شيئا فقد ركبته والركاب المطي وركبت الرجل اركبه ركبا اي ضربته بركبتي واصبت ركبته أيضاً وهذا قياس في جميع الاعضاء نحو رأسته وبطنته وظهرته

﴿ الإعراب ﴾

رجالا منصوب على الحال تقديره فصلوا رجالا كما علمكم الكاف يتعلق باذكروا وما مصدرية في ما علمكم وقوله ما لم تكونوا تعلمون موصول وصلة في موضع المفعول الثاني لعلم

﴿ المعنى ﴾

لما قدم سبحانه وجوب المحافظة على الصلاة عقبه بذكر الرخصة عند المخافة فقال (وإن خفتم) اي إن لم يمكنكم ان تقوموا قانتين موفين الصلاة حقها خوفاً عرض لكم (فرجالاً) اي فصلوا رجالا على أرجلكم وقيل مشاة (او ركباناً) اي على ظهور دوابكم عني بها صلاة الخوف وصلاة الخوف من العدو ركعتان في السفر والحضر الا المغرب فإنها ثلاث ركعات ويروى أن علياً صلى ليلة الهريرخس صلوات بالإيماء وقيل بالتكبير وان النبي صلى يوم الأحزاب إيماء (فإذا أمنتم) من الخوف (فاذكروا الله) اي فصلوا صلاة الأمان وقيل اذكروا الله بالثناء عليه والحمد له (كما علمكم) من أمور دينكم وغير ذلك من أموركم (ما لم تكونوا تعلمون)

قوله تعالى (٢٤٠) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لَأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وابن كثير والكسائي وأبو بكر عن عاصم وصية بالرفع والباقون بالنصب

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي حجة من قرأ وصية بالرفع انه يجوز أن يرتفع من وجهين ﴿ أحدهما ﴾ ان يكون مبتدأ والظرف خبره وحسن الإبتداء بالنكرة لأنه موضع تخصيص كما حسن أن يرتفع سلام عليكم وخير بين يديك ونحو قوله للمتمس المعروف أهل ومرحب لأنها في موضع دعاء فجاز فيها الإبتداء بالنكرة لما كان معناها كعنى المنصوب والآخر ان تضمر له خبراً فيكون لأزواجهم صفة وتقدير الخبر المضمر فعلية وصية لأزواجهم ومن نصب وصية حمله على الفعل اي ليوصوا وصية ويكون قوله لأزواجهم وصفاً كما كان في قوله من اضمر الخبر كذلك ومن حجته ان الظرف إذا تأخر عن النكرة كان استعماله صفة أكثر وإذا كان خبراً تقدم على النكرة إذا لم يكن في معنى المنصوب كقوله تعالى وهم أعمال من دون ذلك ولدينا مزيد فإذا تأخرت فالأكثر فيها ان تكون صفاتاً وقال بعضهم لا يجوز غير الرفع لأنه لا يمكن الوصية بعد الوفاة ولأن فرض النفقة كان لمن أوصى او لم يوص قال علي بن عيسى وهذا غلط لأن المعنى والذين تحضرهم الوفاة منكم فلذلك قال يتوفون على لفظ الحاضر الذي يتناول نحو قوله الذين يصلون فيعرضوا عن الفكر فيما يشغلهم فأما قولهم ان الفرض كان لمن وان لم يوصوا فغير صحيح لأن الزوج إذا فرط في الوصية فلا ينكر ان يوجب الله على الورثة وقال قتادة والسدي كان يجب على الزوج الوصية لها كما اوجب الوصية للوالدين والأقربين وقوله متاعاً نصب على وجهين ﴿ أحدهما ﴾ أنه على تقدير متعوهن متاعاً ﴿ والثاني ﴾ جعل الله لمن ذلك متاعاً لأن ما قبله دل عليه وقوله

غير اخراج منصوب على وجهين ﴿١﴾ أحدهما ﴿٢﴾ أن يكون صفة لمتاع ﴿٣﴾ والثاني ﴿٤﴾ أن يكون مصدرا وضع موضع الحال قال الفراء وهو كقولك جئتك غير رغبة اليك فكأنه قال متعوهن متاعا في مساكنهن وأقول إن تقديره غير مخرجات إخراجا فيكون ذو الحال هن من متعوهن ويجوز أن يكون تقديره غير مخرجين فيكون ذو الحال الواو من متعوهن

المعنى

(والذين يتوفون منكم) أي الذين يقاربون منكم الوفاة لأن المتوفى لا يؤمر ولا ينهى (ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم) أي فليوصوا وصية لهن ومن رفع فمناه وصية من الله لأزواجهم أو عليهم وصية لهن (متاعا إلى الحول) يعني ما ينتفعن به حولا من النفقة والكسوة والسكنى وقيل هو مثل المتعة في المطلقات وكان واجبا في المتوفى عنها زوجها بالوصية من مال الزوج (غير إخراج) أي لا يخرج من بيوت الأزواج (فإن خرجن) بأنفسهن قبل الحول من غير أن يخرجهن الورثة وقيل إن المراد إذا خرجن بعد مضي الحول وقد مضت العدة فإن بمعنى إذا عن القاضي وغيره (فلا جناح عليكم) يا معشر أولياء الميت (فيا فعلن في أنفسهن من معروف) اختلفوا في رفع الجناح قيل لا جناح في قطع النفقة والسكنى عنهن عن الحسن والسدي قالا وهذا دليل على سقوط النفقة بالخروج وإن ذلك كان واجبا لهن بالإقامة إلى الحول فإن خرجن قبله بطل الحق الذي وجب لهن بالإقامة وقيل لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لأن مقامها سنة في البيت غير واجب ولكن قد خيرا الله في ذلك عن الجبائي وقيل لا جناح عليكم أن تزوجن بعد انقضاء العدة وهذا أوجه وتقديره إذا خرجن من العدة بانقضاء السنة فلا جناح أن تزوجن وقوله من معروف يعني طلب النكاح والتزين (والله عزيز) قادر لا شيء يعجزه (حكيم) لا يصدر منه إلا ما تقتضيه الحكمة واتفق العلماء على أن هذه الآية منسوخة وقال أبو عبد الله كان الرجل إذا مات أنفق على امرأته من صلب المال حولا ثم أخرجت بلا ميراث ثم نسختها آية الربع والثلث فالمرأة ينفق عليها من نصيبها وعنه قال نسختها بترصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ونسختها آية الموارث

قوله تعالى (٢٤١) **وَالْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ** (٢٤٢) **كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** (آيتان)

الإعراب

الوجه في انتصاب قوله حقا مثل ما بيناه فيما قبل في قوله حقا على المحسنين كذلك الكاف يتعلق بيبين أي مثل هذا البيان يبين لكم

النزول

قيل لما نزلت ومتعوهن على الموسع قدره إلى قوله حقا على المحسنين قال بعضهم إن أحببت فعلت وإن لم ارد ذلك لم أفعل فأنزل الله هذه الآية عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم

المعنى

لما قدم سبحانه بيان احوال المعتدات عقبه ببيان ما يجب لهن من المتعة فقال (وللمطلقات متاع بالمعروف) اختلف فيه فقال سعيد بن جبيرة وأبو العالية والزهري إن المراد بهذا المتاع المتعة وإن المتعة واجبة لكل مطلقة وقال أبو علي الجبائي المراد به النفقة وهو المتاع المذكور في قوله متاعا إلى الحول وقال سعيد بن المسيب الآية منسوخة بقوله تعالى فنصف ما فرضتم وعندنا أنها منسوخة بتلك الآية إن نزلنا معا وإن كانت تلك متأخرة فمنسوخة

لأن عندنا لا تجب المتعة الا للمطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها مهر فأما المدخول بها فلها مهر مثلها إن لم يمس لها مهر وإن سمي لها مهر فما سمي لها وغير المدخول بها المفروض مهرها لها نصف المهر ولا متعة في هذه الأحوال وبه قال الحسن فلا بد من تخصيص هذه الآية وذكرنا الكلام في المتعة عند قوله (ومتعوهن) وقوله (بالمعروف حقا على المتقين) مضى تفسيره وخص المتقين هنا كما خص المحسنين هناك (كذلك بين الله لكم آياته) أي كما بين الله لكم الأحكام والآداب التي مضت مما تحتاجون إلى معرفتها في دينكم يبين لكم بهذه الأحكام فشبها البيان الذي يأتي بالبيان الماضي والبيان هو الدلالة التي يفرق بها بين الحق والباطل (لعلكم تعقلون) معناه لكي تعقلوا آيات الله وقيل معناه لعلكم تكمل عقولكم فإن العقل الفرزي إنما يكمل بالعقل المكتسب والمراد به استعمال العقل مع العلم به ومن لم يستعمل العقل فكأنه لا عقل له وهذا كقوله تعالى إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة جعلهم جهالا لأنهم آثروا هواهم على ما علموا أنه الحق

قوله تعالى (٢٤٣) ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون (آية)

اللغة

الروية هنا بمعنى العلم ومعنى ألم تر ألم تعلم وهذه الألف التوقيف وتر متروكة الهمزة وأصله ألم تر من رأى يرى مثل نأى ينأى إلا أنهم على اسقاط الهمزة هنا للتخفيف

الإعراب

حذر الموت نصب لأنه مفعول له وجاز أن يكون نصبه على المصدر لأن خروجهم يدل على حذروا الموت حذرا

المعنى

لما ذكر قوله يبين آياته للناس عقبه بذكر آية من آياته فقال (الم تر) أي ألم تعلم يا محمد أو أيها السامع أو لم ينته علمك إلى خبر هؤلاء (الذين خرجوا من ديارهم) قيل هم من قوم بني إسرائيل فروا من طاعون وقع بأرضهم عن الحسن وقيل فروا من الجهاد وقد كتب عليهم عن الضحاك ومقاتل واحتجا بقوله عقب الآية وقاتلوا في سبيل الله وقيل هم قوم حزقيل وهو ثالث خلفاء بني إسرائيل بعد موسى وذلك أن القيم بأمر بني إسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم كالب بن يوقنا ثم حزقيل وقد كان يقال له ابن العجوز وذلك أن أمه كانت عجوزاً فسألت الله الولد وقد كبرت وعظمت فوهبه الله لها وقال الحسن هو ذو الكفل وإنما سمي حزقيل ذا الكفل لأنه كفل سبعين نبيا نجاهم من القتل وقال لهم اذهبوا فإني إن قتلت كان خيرا من أن تقتلوا جميعا فلما جاء اليهود وسألوا حزقيل عن الأنبياء السبعين فقال انهم ذهبوا ولا ادري أين هم ومنع الله ذا الكفل منهم (وهم الوف) اجمع اهل التفسير على ان المراد بالوف هنا كثرة العدد إلا ابن زيد فإنه قال معناه خرجوا موتاني القلوب لم يخرجوا عن تباغض فجمع الف مثل قاعد وقعود وشاهد وشهود واختلف من قال المراد به العدد الكثير فقيل كانوا ثلاثة آلاف عن عطاء الخراساني وقيل ثمانية آلاف عن مقاتل والكلبي وقيل عشرة آلاف عن ابن روق وقيل بضعة وثلاثين الفا عن السدي وقيل أربعين الفا عن ابن عباس وابن جريج وقيل سبعين الفا عن عطاء بن أبي رباح وقيل كانوا عددا كثيرا عن الضحاك والذي يقضي به الظاهر أنهم كانوا أكثر من عشرة آلاف لأن بناء فعول للكثرة وهو ما زاد على العشرة وما نقص عنها يقال فيه آلاف يقال فيه عشرة آلاف ولا يقال عشرة الوف (حذر الموت) أي من خوف الموت (فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) قيل في معناه قولان

﴿ احدىهما ﴾ ان معناه أماتهم الله كما يقال قالت السماء فهطلت معناه فهطلت السماء قلت براسي كذا وقلت بيدي كذا ومعناه اشرت براسي وبيدي وذلك لما كان القول في الاكثر استفتاحا للفعل كالقول الذي هو تسمية وما جراه مجراه مما كان يستفتح به الفعل صار معناه قالت السماء فهطلت اي استفتحت بالهطلان كذلك معناه هاهنا فاستفتح الله باماتهم ﴿ والثاني ﴾ ان معناه اماتهم بقول سمعته الملائكة لضرب من العبرة ثم احياهم الله بدعاء نبيهم حزقيل عن ابن عباس وقيل انه سمعون من انبياء بني اسرائيل (ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون) لما ذكر النعمة عليهم بما اراهم من الآيات العظيمة في انفسهم ليلتزموا سبيل الهدى ويجتنبوا طريق الردى ذكر بعده ما له عليهم من الانعام والاحسان مع ما هم عليه من الكفران وهذه الآية حجة على من انكر عذاب القبر والرجعة معا لأن احياء او آتاك مثل احياء هؤلاء الذين احياهم الله للاعتبار

﴿ القصة ﴾

قيل ان اسم القرية التي خرجوا منها هربا من وبائها داوردان قيل واسط قال الصكابي والضحاك ومقاتل أن ملكا من ملوك بني اسرائيل امرهم أن يخرجوا الى قتال عدوهم فخرجوا فمكروا ثم جنبوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا ان الأرض التي يأتيها بها الوباء فلا يأتيها حتى ينقطع منها الوباء فأرسل الله عليهم الموت فلما رأوا ان الموت كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب وإله موسى قد ترى معصية عبادك فأرهم آية في انفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك فأماتهم الله جميعا وامات دوابهم واتى عليه ثمانية ايام حتى انتفضت ارواح اجسادهم فخرج اليهم الناس فمجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها قالوا وأتى على ذلك مدة حتى بليت اجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت اوصالهم فمر عليهم حزقيل وجعل يتفكر فيهم متعجبا منهم فأوحى اليه يا حزقيل تريد ان اريك آية واريك كيف احيى الموتى قال نعم فأحياهم الله وقيل انهم كانوا قوم حزقيل فأحياهم الله بعد ثمانية ايام وذلك انه لما أصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى فبكى ثم قال يارب كنت في قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدمونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فأوحى الله اليه قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا يا ربي فاشوا وسأل حمران بن اعين ابا جعفر الباقر (ع) عن هؤلاء القوم الذين قال لهم الله موتوا ثم احياهم فقال احياهم حتى نظر الناس اليهم ثم أماتهم ام ردهم الى الدنيا حتى سكنوا الدور واكلوا الطعام قال لا بل ردهم الله حتى سكنوا الدور واكلوا الطعام ونكحوا النساء ومكثوا بذلك ما شاء الله ثم ماتوا بأجلهم

قوله تعالى (٢٤٤) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاَعْمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (آية)

﴿ المعنى ﴾

اختلف في الخطاب بقوله (وقاتلوا في سبيل الله) فقيل توجيه الخطاب الى الصحابة بعد ما ذكرهم بحال من فر من الموت فلم ينفعه الفرار يحرضهم على الجهاد لئلا يسلكوا في الفرار من الجهاد سبيل او آتاك الذين فروا من الديار وقيل انه خطاب للذين جرى ذكرهم على تقدير وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله (واعلموا ان الله سميع عليم) اي سميع لما يقول المنافق عليم بما يجنيه فاحذروا حاله

قوله تعالى (٢٤٥) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

فيضاعفه فيه أربع قراءت قرأ أبو عمرو ونافع وحزمة والكسائي فيضاعفه بالالف والرفع وقرأ أعاصم بالالف والنصب وقرأ ابن كثير وأبو جعفر فيضعفه بالتشديد والرفع وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتشديد والنصب وقرأ أبو عمرو والكسائي وحزمة يبسط وبسطة وفي الأعراف أيضاً بالسين وروي عنهم أيضاً بالصاد ويعقوب وهشام بالسين والباقون مختلف عنهم

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي للرفع في قوله فيضاعفه وجهان ﴿ احدهما ﴾ أن يعطفه على ما في الصلة والآخر ان يستأنفه فأما النصب في فيضاعفه فالرفع أحسن منه الا ترى ان الاستفهام انما هو عن فاعل الاقراض لا عن الاقراض وإذا كان كذلك لم يكن مثل قولك اتقرضني فأشكرك لأن الاستفهام ههنا عن الاقراض ووجه قول ابن عامر وعاصم في النصب من فاء فيضاعفه انه حمل الكلام على المعنى وذلك انه لما كان المعنى أيكون قرض حمل قوله فيضاعفه على ذلك كما ان من قرأ من يضل الله فلا هادي ويذرهم جزم قوله ويذرهم لما كان معنى قوله فلا هادي له لا يهده ونحو ذلك مما يحمل فيه الكلام على المعنى دون اللفظ كثير فأما القول في يضاعف ويضعف فكل واحد منهما في معنى الآخر وقوله اضعافاً منصوب على الحال وتقديره فيكثره فإذا هي اضعاف فيكون حالاً بعد الفراغ من الفعل ووجه قول من ابدل من السين الصاد في هذه المواضع التي ذكرت ان الطاء حرف مستعمل يتصعد من مخرجها الى الحنك ولم يتصعد السين تصعدها فكره التصعد عن التسفل فابدل من السين حرفاً في مخرجها في تصعد الطاء فتلازم الحرفان وصار كل واحد منهما وفق صاحبه في التصعد فزال في الابدال ما كان يكره من التصعد عن التسفل ولو كان اجتماع الحرفين على عكس ما ذكرناه وهو أن يكون التصعد قبل التسفل لم يكره ذلك ولم يبدلوا الا ترى انهم قالوا طسم الطريق وقسوت وقست فلم يكرهوا التسفل عن تصعد كما كرهوا بسط حتى قالوا بسط فابدلوا فأما من لم يبدل السين في بسط وترك السين فلأنه الاصل ولأن ما بين الحرفين من الخلاف يسير فاحتمل الخلاف لقلته

﴿ اللغة ﴾

القرض هو قطع جزء من المال بالإعطاء على أن يرد بعينه او يرد مثله بدلا منه وأصل القرض القطع بالناب يقال قرض الشيء يقرض اذا قطعه بناه واقرض فلان فلان اذا اعطاه ما يتجاوز منه والاسم منه القرض والتضعيف والمضاعفة والاضاعاف بمعنى وهو الزيادة على اصل الشيء حتى يصير مثلين او اكثر تقول ضعفت القوم اضعفهم ضعفا اذا كثرتهم فصرت مع أصحابك على الضعف منهم وضعف الشيء مثله في المقدار إذا زيد عليه فكل واحد منهما ضعف وضعف الشيء ضعفا وضعفا والضعف خلاف القوة والقبض خلاف البسط يقال قبضه يقبضه قبضا والقبض ضم الكف على الشيء والتقبض التشنج ويقبض عنه اذا اشماز عنه لأنه ضم نفسه عن الانبساط اليه وقبض الانسان إذا مات والملك قابض الارواح وبسط يبسط بسطا والبساط ما بسطته والبساط بفتح الباء الارض الواسعة وكتب يبسط بالسين وبسطة بالصاد لأن القلب على الساكن اقوى منه على المتحرك

﴿ المعنى ﴾

لما حث سبحانه على الجهاد وذلك ان يكون بالنفس والمال عقبه بالتلطف في الاستدعاء الى اعمال البر والانفاق في سبيل الخير فقال (من ذا الذي يقرض الله) أي ينفق في سبيل الله وطاعته والمراد به الأمر وليس هذا يقرض حاجة على ما ظنه اليهود فقال إنما يستقرض منا ربنا عن عوز فإنما هو فقير ونحن اغنياء بل

سمى تعالى الانفاق قرضا تطلقا للدعاء الى فعله وتأكيذا للجزاء عليه فإن القرص يوجب الجزاء (قرضا حسنا) والقرض الحسن ان ينفق من حلال ولا يفسده بمن ولا اذى وقيل هو ان يكون محتسبا طيبا به نفسه عن الواقدي وقيل هو ان يكون حسن الموقع عند الانفاق فلا يكون خسيسا والأولى أن يكون جامعا لهذه الأمور كلها فلا تنافي بينها فيضاعفه له اضعافا كثيرة اي فيزيده له اي يعطيه مالا يعلمه الا الله وهو مثل قوله تعالى ويوت من لدنه اجرا عظيما عن الحسن والسدي وروي عن الصادق (ع) انه قال لما نزلت هذه الآية من جاء بالحسنة فله خير منها قال رسول الله رب زدني فأنزل الله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فقال رسول الله رب زدني فأنزل الله سبحانه من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة) والكثير عند الله لا يحصى والله يقبض ويبسط معناه والله يقبض الرزق عن اقوام بأن يقتره عليهم ويبسط الرزق على اقوام بأن يوسعهم عليهم عن الحسن وابن زيد وقيل معناه يقبض الصدقات ويبسط الجزاء عليها عاجلا او آجلا او كلاهما عن الاصم والزجاج وقيل يقبض الرزق بموت واحد ويبسط لوارثه (واليه ترجعون) وهذا تأكيد للجزاء. قال الكلبي في سبب نزول هذه الآية ان النبي (ص) قال من تصدق بصدقة فله مثلاها في الجنة فقال ابو الدرداج الانصاري واسمه عمرو بن الدرداج يا رسول الله إن لي حديقتين ان تصدقت باحدهما فإن لي مثليها في الجنة قال نعم قال وام الدرداج معي قال نعم قال والصبية معي قال نعم فتصدق بافضل حديقتيه فدفعها الى رسول الله فنزلت الآية فضاعف الله له صدقته الف والي ذلك قوله اضعافا كثيرة قال فرجع ابو الدرداج فوجد ام الدرداج والصبية في الحديقة التي جعلها صدقة فقام على باب الحديقة وتخرج ان يدخلها فنادى يا أم الدرداج قالت لبيك يا أبا الدرداج قال اني قد جعلت حديقتي هذه صدقة واشترت مثليها في الجنة وام الدرداج معي والصبية معي قالت بارك الله لك فيا شريت وفيا اشترت فخرجوا منها واسلموا الحديقة الى النبي فقال النبي كم نخلة متدل عدوقها لاني الدرداج في الجنة

قوله تعالى (٢٤٦) ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل من بعد موسى اذ قالوا انبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليهم بالظالمين (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وحده عسيتم بكسر السين والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

المشهور في عسيت فتح السين ووجه قراءة نافع انهم قالوا هو عس بذلك وما اعساه واعس به حكاه ابن الاعرابي وهذا يقوي قراءة نافع لأن عس مثل حر وشح وقد جاء فعل وفعل مثل نغم ونغم وورث بك زنادي وورثت فكذلك عست وعسيت فإن اسند الفعل الى ظاهر فقياس عسيتم ان تقول عسى زيد مثل رضى فإن قاله فهو قياس قوله وان لم يقله فسائغ له ان يأخذ باللغتين معا ويستعمل احدهما في موضع والاخرى في موضع آخر كما فعل ذلك غيره

﴿ اللغة ﴾

الملائكة الاشراف من الناس وروي ان رجلا من الانصار قال يوم بدر ان قتلنا الاعجاز صلعا فقال النبي او تترك الملائكة من قريش لو رأيتهم في انديتهم لهبتهم ولو امروك لاطعتهم ولا تحترقت فعالك عند فعالهم وملأت الإنا.

اترعتة لانه يجتمع فيه مالا يكون مزيد عليه ومالات الرجل عاونته وقملاً واعلى ذلك اذا تعاونوا وملاً الرجل ملاة
فهو ملي بالامر اذا امكنه القيام به والملا الخلق لأن جميع افعال صاحبه يجري عليه يقال احسنوا املاككم اي
اخلاقكم قال

تنادوا يال بهشة اذ رأونا فقلنا أحسني - ملاً جهيناً

واصل الباب الاجتماع في الالاء والملا من الاشرف ملاً لانه لا مزيد على شرفهم وقيل لأن هيتهم قلاً
الصدور والملا مقصورا المتسع من الأرض قال الشاعر

الأغنياني وارفعاً الصوت بالملا فإن الملا عندي تريد المدى بعدا

✽ الإعراب ✽

من بني اسرائيل الجار والمجرور في محل نصب على الحال والعامل فيه تر وذو الحال الملا ومن بعد موسى
في موضع الحال ايضاً وهو حال بعد حال او حال من الضمير في الجار والمجرور قبله وقوله نقاتل جزم على الجواب
للسألة التي هي على لفظ الأمر اي ان تبعث لنا ملكاً نقاتل ولو كان بالياء اجاز الرفع على ان يكون صفة
للملك قال الزجاج والرفع في نقاتل بعيد يجوز على معنى فإننا نقاتل في سبيل الله وكثير من النحويين لا يميز
الرفع فيه وقوله الا تقاتلوا في موضع نصب لأنه خبر عسى وقوله وما لنا ان لا نقاتل قال ابو الحسن الأنخس
فيه وفي قوله وما لكم ان لا تأكلوا ان ان زائدة كأنه قال ما لنا لا نقاتل وما لكم لا تأكلون كقوله ما لكم
لا تنطقون وما لك لا تأمنا وقع الفعل المنفي موقع الحال كما وقع الموجب موقعه في قواك مالك تفعل وقد
يقال ايضاً في نحو ذلك ان المعنى وما لنا في ان لا نقاتل وما لكم في ان لا تأكلوا فكأنه حمل الآية على وجهين
قال ابو علي والقول الثاني اوضح ويكون ان مع حرف في موضع نصب بالحال كقوله تعالى فما لهم عن التذكرة
معرضين ونحو ذلك ثم حذف الجار وسد ان وصلتها ذلك المسد والحال في الاصل هو الجالب للحرف المقدر الا
أنه ترك اظهاره لدلالة المنصوب عنه عليه ومثله في وقوع الظرف موقع الحال قال أبو ذؤيب

يعثرن في حد الطبابة كأنما كسيت برود بني يزيد الأذرع

وهذا كما يقال خرجت في الثياب اي خرجت لابسا ووجه ثالث ذكره المبرد وهو ان يكون ما جحدوا
وتقديره وما لنا ان نترك القتال وعلى الوجهين الاولين يكون ما استفهاماً وقد اخرجنا جملة في موضع الحال
وتقديره وما لنا الا نقاتل مخرجين من ديارنا وذو الحال الضمير في الانقاتل وقليلاً منصوب على الاستثناء من الموجب

✽ المعنى ✽

لما قدم تعالى ذكر الجهاد عقبه بذكر القصة المشهورة في بني اسرائيل تضمنت شرح ما نالهم في قعودهم عنه
تحذيراً من سلوك طريقهم فيه (الم تر) اي ألم ينته علمك يا محمد (الى الملا) اي جماعة الاشرف (من بني
اسرائيل من بعد موسى) اي من بعد وفاته (اذ قالوا النبي لهم) اختلف في ذلك النبي فقيل اسمه شعون
سمته امه بذلك لأن امه دعت الى الله ان يرزقها غلاماً فسمع الله دعاءها فيه وهو شعون بن صفيه من ولد
لاوي بن يعقوب عن السدي وقيل هو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب عن قتادة وقيل هو
اشمويل وهو بالعربية اسماعيل عن اكثر المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر (ابعث لنا ملكاً نقاتل في
سبيل الله) اختلف في سبب سؤلهم ذلك فقيل كان سبب سؤلهم ذلك استدلال الجبابرة لهم لما ظهر على بني
اسرائيل وغلبوهم على كثير من ديارهم وسبوا كثيراً من ذراريهم بعد ان كانت الخطايا قد كثرت في بني
اسرائيل وعظمت فيهم الاحداث ونسوا عهد الله تعالى ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم فبعث الله اليهم اشمويل

نبيا فقالوا له ان كنت صادقا فامرنا ان نقاتل في سبيل الله آية من نبوتك عن الربيع والكسبي وقيل ارادوا قتال العمالة فساؤا لواملكا يكون امير عليهم تنتظم به كلمتهم ويجمع امرهم ويستقيم حالهم في جهاد عدوهم عن السدي وقيل بعث الله اشمويل نبيا فلبثوا اربعين سنة باحسن حال ثم كان من امر جالوت والعمالة ما كان فقالوا لاشمويل ابعث لنا ملكا عن وهب وقال ابو عبد الله كان الملك في ذلك الزمان هو الذي يسير الجود والنبي يقيم له امره وينبئه بالخبر من عند ربه فأجابهم نبيهم فقال (هل عسيتم ان كتب عليكم القتال) أي لعلكم ان فرض عليكم المحاربة مع ذلك الملك (أن لا تقاتلوا) ان لا تقولون وتجتنبوا فلا تقاتلوا وإنما سألهم عن ذلك ليعرف ما عندهم من الحرص على القتال وهذا كأخذ العهد عليهم ومعنى عسيتم قاربتم فإذا قلت عسيتم أن افعل كذا فعناء قاربت فعله (قالوا) يعني قال الملائكة (وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله ومعناه اي شي لنا في ترك القتال وقيل معناه ليس لنا ترك القتال وقد أخرجنا) لفظه عام ومعناه خاص اي قالوا اخرج بعضنا (من ديارنا وابنائنا) أوطاننا واهاليئنا بالسبي والقهر على نواحينا والمعنى انهم أجابوا نبيهم بأن قالوا إنما كنا لا نرغب في القتال إذ كنا اعزاء لا يظهر علينا عدونا فاما إذا بلغ الأمر هذا المبلغ فلا بد من الجهاد (فلما كتب عليهم القتال) فيه حذف تقديره فسأل النبي الله تعالى ان يبعث لهم ملكا يجاهدون معه اعداءهم فسمع الله دعوتهم و اجاب مسألته فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال اي فرض فلما كتب عليهم القتال (تولوا) أي اعرضوا عن القيام به وضيعوا امر الله (إلا قليلا منهم) وهم الذين عبروا النهر على ما نبينه من بعد (والله علم الظالمين) هذا تهديد لمن يتولى عن القتال لأنهم ظلموا انفسهم بمعصية الله

قوله تعالى (٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُوتَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (آية)

اللغة






اصطفاه اختاره واستصفاه بمعناه واصله اصطفاه إلا ان التاء أبدلت طاء لأن التاء من مخرج الطاء والطاء مطبقة كما ان الصاد مطبقة فأبدلوا منها ايسهل النطق بها بعد الصاد والبسطة الفضيلة في الجسم والمال والجسم حده الطويل العريض العميق بدلالة قولهم جسم جسامة أي ضخمة وهذا جسيم أي ضخم وهذا أجسم من هذا إذا زاد عليه في الطول والعرض والعمق وقيل الجسم هو الموائف وقيل هو القائم بنفسه والصحيح الأول

الإعراب

طالوت وجالوت وداود لا تنصرف لأنها اسماء اعجمية وفيها سببان التعريف والعجمة فاما جاموس فلو سميت رجلا به لانصرف وان كان أعجميا لأنه قد تمكن في العربية لأنك تدخل عليه الألف واللام فتقول الجاموس ملكا نصب على الحال والعامل فيه بعث وذو الحال طالوت واني في موضع نصب لأنه خبر يكون والملك اسمه وله في موضع الحال وذو الحال الملك تقديره أنى يكون له الملك يستقر له علينا ويجوز ان يكون كان هنا تامة فيتعلق اللام بيبكون واني في موضع نصب على الحال من يكون وعلينا يتعلق بالملك ونحن أحق من محل النصب على الحال ايضا تقديره انى يكون له ان يملك علينا ونحن أحق منه بالملك ولم يؤت سعة في محل الحال ايضا عطف على نحن أحق والعامل فيه الملك وذو الحال الضمير في أن يملك وتقديره ان يملك علينا غير موتى سعة مالية

المعنى

(وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) أي جعله ملكا وكان طالوت من ولد بنيامين

ابن يعقوب ولم يكن من سبط النبوة ولا من سبط المملكة وسمي طاوت لطوله ويقال كان سقما. وقيل كان
 خرنبدجا وقيل كان دباغا وكانت النبوة في سبط لاوي بن يعقوب وكانت المملكة في سبط يهوذا بن يعقوب
 وقيل في سبط يوسف وقوله ملكا يعني اميرا على الجيش عن مجاهد وقيل بعثه نبيا بعد ان جعله ملكا (قالوا
 انى يكون له الملك علينا) أي من اين له الملك وهذا اول اعتراضهم إذ انكروا ملكه (ونحن احق) أي اولى
 (بالملك منه) لأننا من سبط النبوة والمملكة واوتينا المال (ولم يوت سعة من المال) أي لم يعط اي اولى ما يملك
 به الناس وهو المال إذ لا بد للملك من المال يحصل به المالك وقيل معناه ولم يوت سعة من المال فيشرف به
 ويخبر نقصا لو كان فيه حتى يساوي أهل الانساب فاعلمهم الله انه أعرف بوجوه الحكمة منهم فإن المقصود في
 الملك والرئاسة هو العلم والشجاعة واخبرهم بذلك عن لسان نبيهم (قال ان الله اصطفاه) أي اختاره (عليكم)
 عن ابن عباس (وزاده بسطة) أي فضيلة وسعة (في العلم والجسم) وكان اعلم بني اسرائيل في وقته وأجملهم
 واقتمهم واعظمهم جسدا واقواهم شجاعة وقيل كان اذا قام الرجل فبسط يده رافعا لها نال رأسه قال وهب كان ذلك
 فيه قبل الملك وزاده ذلك بعد الملك (والله يوتى ملكه من يشاء) أي لا تنكروا ملكه وان لم يكن من اهل
 بيت الملك فإن الله سبحانه مالك الملك يوتى الملك من يشاء (والله واسع) قيل في معناه ثلاثة اقوال
 أحدها  انه واسع الفضل فحذف كما يقال فلان كبير أي كبير القدر  والثاني  ان
 الواسع بمعنى الموسع أي يوسع على من يشاء من نعمه كما جاء أليم بمعنى مؤلم وسيع بمعنى مسع  والثالث 
 ان معناه ذو سعة نحو عيشة راضية أي ذات رضا ورجل تامر أي ذو تمر ولاين أي ذو لبن وقوله (عليهم) أي
 عليهم بمن ينبغي ان يوتيه الفضل والمملكة اما للاستصلاح واما للامتحان وفي هذه الآية دلالة على ان الملك قد
 يضاف اليه سبحانه وذلك بأن ينصب الملك للتدبير ويعطيه آلات الملك ويأمر الخلق بالانقياد له فعند ذلك يجوز
 ان يقال بعثه الله سبحانه ملكا وان لم يكن في البعثة كالأنبيا. ويقال في ملكه ايضا انه من جهة الله سبحانه
 لأن تصرفه صادر عن اذنه وفيها دلالة ايضا على ان الملك ليس بواجب ان يكون وراثته وإنما يكون بحسب ما
 يعلمه الله من المصلحة وفيها دلالة على ان من شرط الإمام ان يكون اعلم من رعيته وأكمل وأفضل في خصال
 الفضل والشجاعة لأن الله علل تقديم طاوت عليهم بكونه اعلم واقوى فلولا ان ذلك شرط لم يكن له معنى

قوله تعالى (٢٤٨) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ
 إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ (آية)

اللغة

التابوت بالتاء لغة جمهور العرب والتابوه بالهاء لغة الانصار والسكينة مصدر وقع موقع الاسم نحو القضية والبقية
 والغزبية وأخذ من السكون

الإعراب

موضع ان يأتيكم رفع المعنى ان آية ملكه إتيان التابوت اياكم فيه سكينة من ربكم مبتدأ وخبر في
 موضع النصب على الحال من التابوت مما ترك آل موسى وآل هارون والمجرور في موضع الصفة لبقية

المعنى

(وقال لهم نبيهم ان آية ملكه) أي علامة تملك الله اياه وحجة صحة ملكه (ان يأتيكم التابوت) وفي هذا
 دليل على انهم قالوا الرسولهم ان كان ملكه بأمر من الله ومن عنده فأتانا بعلامة تدل على ذلك فأجابهم بهذا

وروى علي بن ابراهيم في تفسيره عن ابي جعفر ان التابوت كان الذي انزله الله على ام موسى فوضعت فيه ابنتها والقته في البحر وكان في بني اسرائيل معظما يتبركون به فلما حضر لموسى الوفاة وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آثار النبوة واودعه عند وصيه يوشع بن نون فلم يزل التابوت بينهم وبنو اسرائيل في عز وشرف ما دام فيهم حتى استخفوا به وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات فلما عملوا المعاصي واستخفوا به رفعه الله عنهم فلما سألوا نبيهم ان يعث اليهم ملكا بعث الله لهم طالوت ورد عليهم التابوت وقيل كان في ايدي أعداء بني اسرائيل من العاقلة غلبوهم عليه لما مرج امر بني اسرائيل وحدث فيهم الأحداث ثم انتزعه الله من ايديهم ورده على بني اسرائيل تحمله الملائكة عن ابن العباس وهب روي ذلك عن ابي عبد الله وقيل كان التابوت الذي أنزله الله على آدم فيه صور الانبياء فتوارثه اولاد آدم وكان في بني اسرائيل يستفتحون به على عدوهم وقال قتادة كان في بركة التابوت خلفه هناك يوشع بن نون فحملته الملائكة إلى بني اسرائيل وقيل كان قدر التابوت ثلاثة اذرع في ذراعين عليه صفائح الذهب وكان من شمشار وكانوا يقدمونه في الحروب ويجعلونه أمام جندهم فإذا سمع من جوفه أنين زف التابوت أي سار وكان الناس يسرون خلفه فإذا سكن الأنين وقف فوقف الناس بوقوفه (فيه سكينه من ربكم) قيل في التابوت نفسه وقيل فيافي التابوت واختلف في السكينه فقيل ان السكينه التي كانت فيه ربح هفافة من الجنة لها وجه كوجه الإنسان عن علي (ع) وقيل كان له جناحان ورأس كراس الهر من الزبرجد والزمرد عن مجاهد وروي ذلك في اخبارنا وقيل كان فيه آية يسكنون اليها عن عطا وقيل روح من الله يكلمهم بالبيان عند وقوع الاختلاف عن وهب (وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون) قيل انها عصا موسى ورضاض الألواح عن ابن عباس وقتادة والسدي وهو المروي عن ابي جعفر الصادق وقيل هي التورية وشي من ثياب موسى عن الحسن وقيل كان فيه ايضا لوحان من التورية وقفيظ من المن الذي كان ينزل عليهم ونعلا موسى وعمامة هارون وعصاه هذه اقوال أهل التفسير في السكينه والبقية والظاهر ان السكينه أمانة وطمانينة جعلها الله فيه ليسكن اليه بنو اسرائيل والبقية جائز أن يكون بقية من العلم اوشي من علامات الانبياء وجائز ان يتضمنها جميعا على ما قاله الزجاج وقيل أراد بآل موسى وآل هارون موسى وهارون على نبينا وعليها السلام يعني مما ترك موسى وهارون تقول العرب آل فلان يريدون نفسه انشدا برعييدة

فلا تبك ميتا بعد ميت أحيه
علي وعباس وآل أبي بكر
يريد أبا بكر نفسه وقال جميل

بشينة من آل النساء وإنما
يكن لأذنى لا وصال لغائب (كذا)

اي من النساء (تحمله الملائكة) قيل حملته الملائكة بين السماء والارض حتى رآه بنو اسرائيل عيانا عن ابن عباس والحسن وقيل لما غلب الأعداء على التابوت ادخلوه بيت الأصنام فاصبحت اصنامهم منكبة فاخرجوه ووضعوه ناحية من المدينة فأخذهم وجمع في اعناقهم وكل موضع وضعوه فيه ظهر فيه بلا وموت ووباء فاشير عليهم بان يخرجوا التابوت فاجمع رأيهم على أن يأتوا به ويحملوه على عجلة ويشدوها على ثورين ففعلوا ذلك وارسلوا الثورين فجات الملائكة وساقوا الثورين الى بني اسرائيل فعلى هذا يكون معنى تحمله الملائكة تسوقه كما تقول حملت متاعي الى مكة ومعناه كنت سببا لحمله الى مكة (إن في ذلك لآية لكم) اي في رجوع التابوت اليكم علامة أن الله سبحانه ملك طالوت عليكم (ان كنتم مؤمنين) مصدقين ولا يجوز ان يكون على تشييت الايمان لهم لأنهم كفروا حين ردوا على نبيهم وقيل ان كنتم مؤمنين كما تزعمون

قوله تعالى (٢٤٩) فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس بيّني ومن لم يطعمه فإنه بيّني إلا من اغترف غرفة بيده فشرّبوا منه إلا قليلاً منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجالوت قال الذين يظنون أنهم ملائكة الله كم من فئة قليلة غابت بمئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمرو واهل المدينة غرفة بالفتح والباقون بالضم

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من فتح العين عدى الفعل الى المصدر المفعول. في قوله محذوف. والمعنى إلامن اغترف ماء غرفة ومن ضم العين عدى الفعل الى المفعول به ولم يعده الى المصدر لأن الغرفة العين المعترفة فهو بمنزلة إلا من اغترف ماء والبغداديون يجعلون هذه الاسماء المشتقة من المصادر بمنزلة المصادر ويعملونها كما يعملون المصادر فيقولون عجت من دهنك لحيتك وقد جاء من العرب ما يدل عليه وهو قول الشاعر (وبعد عطائك المائة الرتاعا) واشياء غير هذا فعلى هذا يجوز ان ينصب الغرفة نصب الغرفة وقد قال سيويه في نحو الجلسة والركبة انه قد يستغنى بها عن المصادر او قال تقع مواقعها وهذا كالمقارب لقواهم ولو قيل ان الضم هنا اوجه لقوله فشرّبوا منه والمشروب منه الغرفة لكان قولاً

﴿ اللغة ﴾

الفصل القطع وفصل بالجنود اي سار بهم وقطعهم عن موضعهم وفصل الصبي فصلاً قطعاً عن اللبن والجنود جمع جند وجند الجنود اي جمعهم وفي الحديث الارواح جنود مجنّدة واصل الباب الجند الغليظ من الارض يقال طعم الماء كما يقال طعم الطعام وانشدوا

فإن شئت حرمت النساء سواهم وان شئت لم اطعم نقاخاً ولا برداً

اراد لم اذق والنقاخ العذب وغرف الماء يغرف غرفاً واغترف بمعنى والمغرفة الآلة التي يغرف بها وغرف غروف كبير والمجاوزه من الجواز يقال جاز الشيء يجوز اذا قطعه واجازه اجازة اذا استصوبه والشيء يجوز إذا لم يمنع منه دليل وجوز الشيء وسطه مشبه بجواز الطريق وهو وسطه الذي يبرز فيه وقيل ان اشتقاق الجوزاء منه لأنها تعترض جوز السماء والمجاز في الكلام لأنه خروج عن الاصل الى ما يبرز في الاستعمال واصل الباب الجواز وهو المرور من غير شيء يصدر منه التجاوز عن الذنب لأنه المرور عليه بالصفح والطاقة القوة يقال اطقت الشيء طاقة وطوقاً مثل اطعمته إطاعة وطاعة وطوعاً والفئة الطائفة من الناس والجمع فئون وفئات ولا يجوز في عدة العداة لأن نقص عدة من اوله وليس كذلك فئة وما نقص من اوله يجوز في الباب على اطراد بمنزلة غير المنقوص واما فئة ومائة وعزة فإن النقص فيه على غير اطراد وتقول فأوت راسه بالسيف إذا قطعه وايضاً الشيء ايضاً اذا انقطع واصل الباب القطع ومنه الفئة لأنهم قطعة من الناس

﴿ الإعراب ﴾

قوله بيده من فتح فاء غرفة جاز ان يتعلق بالمصدر عنده وجاز ان يعلقه بالفعل ايضاً ومن اعلم الغرفة اعمل المصدر جاز ان يتعلق بها في قوله وكلا الأمرين مذهب ومن اغترف في موضع نصب بالاستئناس. ولم خبرية وهي في موضع رفع بالابتداء.

—* المعنى *

(فلما فصل طالوت بالجنود) في الكلام حذف دلالة ما بقي عليه وهو فاتاهم التابوت بالصفة التي وعدوا بها فصدقوا وانقادوا لطالوت فلما فصل طالوت اي خرج من مكانه وقطع الطريق بالجنود أي العساكر واختلف في عددهم فقليل كانوا ثمانين الف مقاتل عن السدي وقيل سبعين الفا عن مقاتل وذلك أنهم لما رأوا التابوت أيقنوا بالنصر فبادروا الى الجهاد (قال) يعني طالوت (ان الله مبتليكم بنهر) أي مختبركم وبتحسبكم ومعنى الابتلاء ههنا تمييز الصادق عن الكاذب في قوله عن الحسن وكان سبب ابتلائهم بالنهر شكائهم قلة الماء وخوف التلف من العطش عن وهب وقيل انما ابتلوا بذلك ليصبروا عليه فيكثر ثوابهم ويستحقوا به النصر على عدوهم وليتعودوا الصبر على الشدائد فيصبروا عند المجاربة ولا ينهزموا واختلف في النهر الذي ابتلوا به فقليل هو نهر بين الاردن وفلسطين عن قتادة والربيع وقيل هو نهر فلسطين عن ابن عباس والسدي وقوله (فمن شرب منه) الهاء كناية عن النهر في اللفظ وهو في المعنى للماء ويقال شربت من نهر كذا ويراد به الماء (فليس مني) معناه ليس من أهل ولايتي وليس من اصحابي ومن يتبعني (ومن لم يطعمه) اي ومن لم يطعم من ذلك الماء (فإنه مني) أي من أهل ولايتي وأوليائي هو من الطعم الذي هو ما يذوقه الذوق أي لم يجد طعمه لا من الطعام والطعم يوجد في الماء وفي اطعام جميعا (إلا من اعترف غرفة بيده) الا من اخذ الماء مرة واحدة باليد ومن قرأ بالضم فمعناه الا من شرب مقدار مل كفه (فشربو منه) أي شربوا كلهم اكثر من غرفة الا قليلا منهم قيل ان الذين شربوا منه غرفة كانوا ثلاث مائة وبضعة عشر رجلا عن الحسن وقاتدة وجماعة وقيل اربعة آلاف رجل وناق ستة وسبعون الفا ثم ناقق الاربعة الآلاف الا ثلاثمائة وبضعة عشر عن السدي وقيل من استكثر من ذلك الماء عطش ومن لم يشرب الا غرفة روي وذهب عطشه ورد طالوت عند ذلك العصاة منهم فلم يقطعوا معه النهر (فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه) معناه فلما تحطى النهر طالوت والمؤمنون معه وهم أصحابه وروي عن البراء بن عازب وقاتدة والحسن انما جاوز معه المؤمنون خاصة كانوا مثل عدد أهل بدر وقيل بل جاوز المؤمنون والكافرون إلا أن الكافرين انزعزلوا وبقي المؤمنون على عدد أهل بدر عن ابن عباس والسدي وهذا أقوى لقوله سبحانه فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه فلما رأوا كثرة جنود جالوت (قالوا) اي قال الكفار منهم (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) فقال المؤمنون حينئذ الذين عددهم عدة أهل بدر (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) قال ابو القاسم البلخي ويجوز ان يكونوا كلهم مؤمنين غير أن بعضهم أشد ايقانا وأقوى اعتقادا وهم الذين قالوا كم من فئة قليلة إلى آخره (قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله) أي راجعون إلى الله وإلى جزائه قيل في يظنون ثلاثة أقوال **أحدها** ان معنى يظنون يستيقنون عن السدي كقول دريد بن الصمة

فقللت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد

اي أيقنوا **والثاني** ان معناه يحدثون نفوسهم وهو اصل الظن لأن حديث النفس بالشي قد يكون مع الشك وقد يكون مع العلم الا أنه قد كثرت على ما كان مع الشك **والثالث** يظنون انهم ملاقوا الله بالقتل في تلك الرقعة (كم من فئة) اي فرقة (قليلة غلبت فئة كثيرة) اي قهرت فرقة كثيرة (بإذن الله) أي بنصره عن الحسن لأنه اذا أذن الله في القتال نصر فيه على الوجه الذي أذن فيه (والله مع الصابرين) بالنصرة لهم على أعدائهم

قوله تعالى (٢٥٠) ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وقبّلت

أقدامنا وانصربنا على القوم الكافرين (آية)

* اللغة *

البروز اصله الظهور ومنه البراز وهي الارض الفضاء ورجل برز وامرأة برزة اي ذو عفة وفضل لظهور ذلك منهما والافراغ الصب للسيال على جهة اخلاء المكان منه يقال فرغ يفرغ فراغاً وافرغ افراراً واصبح فو.اد ام موسى فارغاً اي خالياً من الصبر واصل الفراغ الخلو والتثيت تمكين الشيء في مكانه للزومه اياه وقد يقال ثبته بمعنى حكم بوجوده ورجل ثبت المقام اذا كان شجاعاً لا يبرح موقفه وطعنه فاثبت فيه الرمح اي نفذ فيه لانه يلزم فيه واثبت حجته اي اقامها ورجل ثبت اي ثقة ما مومن فيا روي والنصر هو المعونة على العدو ويكون ذلك باشياء منها بزيادة القوة ومنها بالرعب عن الملاقاة ومنها بالاطلاع على العورة ومنها بتخييل الكثرة ومنها باختلاف الكلمة والفرق بين النصر والالطف ان كل نصر من الله فهو لطف وليس كل لطف نصراً لان اللطف يكون في اخذ طاعة بدلاً من معصية وقد يكون في فعل طاعة من النوافل والنصر فعل الله والصبر من فعل العبد لانه يجازى عليه وهو حبس النفس عما تنازع اليه من الفعل وهو هنا حبسها عما تنازع اليه من الفرار من القتال

* المعنى *

(ولما برزوا) اي ظهر طالوت والمؤمنون معه (ا) محاربة (جالوت و جنوده قالوا ربنا افرغ) اي أصب علينا صبوا اي وقفنا للصبر على الجهاد وشبهه بتفريغ الإيوان من جهة انه نهاية ما توجه الحكمة كما انه نهاية ما في الواحد من الآتية (وثبت اقدمنا) اي وقفنا للشبوت على الامر (وانصرنا) اعنا (على) جهاد (القوم الكافرين) قوم جالوت قوله تعالى (٢٥١) فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتته الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض افسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين (آية)

* القراءة *

قرأ ابو جعفر ونافع ويعقوب دفاع الله بالالف وفي الحج مثله وقرأ الباقر بنغير الف

* الحجة *

قال ابو علي دفاع يشمل امرين احدهما ان يكون مصدر الفعل كالكتاب واللقاء ونحو ذلك الثاني ان يكون مصدر الفاعل ويدل عليه قراءة من قرأ ان الله يدافع عن الذين آمنوا وكان معنى دفع ودافع سواء الاترى الى قوله ولقد حرصت بأن ادافع عنهم فإذا المنية اقبلت لا تدفع كأن المعنى حرصت بأن ادفع عنهم المنية والمنية لا تدفع فوضع ادافع موضع ادفع فإذا كان كذلك فيدفع ويدافع متقاربان

* اللغة *

الهزم الدفع يقال هزم القوم في الحرب يهزمهم هزماً اذا دفعهم بالقتال هرباً منه فانهزموا انهزماً وتهزم السقاء اذا يبس فتصدع لاندفاع بعضه عن بعض والاهترام الذبح يقال اهترم شاتك قبل ان تهزم فتهلك لدفع ضياعها بتذكيتهما واصل الدفع الصرف عن الشيء والدفاع السيل والدفعة اندفاع الشيء جملة

* المعنى *

ثم ذكر سبحانه تمام القصة فقال (فهزموهم) ولا بد من حذف هنا كأنه لما قالوا ربنا افرغ علينا صبوا قال فاستجاب لهم ربهم فهزموهم بنصره اي دفعوهم وكسروهم لأن ذكر الهزيمة بعد سوء ال النصر دليل على

معنى الإجابة ومعنى هزمهم سببوا هزيمتهم بأن فعلوا ما الجأهم إليها فعلى هذا يكون حقيقة وقال أبو علي الجبائي ذلك مجاز لأنهم لم يفعلوا هزيمتهم كما يقال أخرجته من منزله إذا الجأه إلى الخروج ولم يفعل خروجه والصحيح الأول وقوله (بإذن الله) أي بأمر الله وقيل بعلم الله (وقتل داود جالوت)

❀ القصة ❀

وكان من قصة داود على ما رواه علي بن إبراهيم بن هاشم عن الصادق (ع) أن الله أوحى إلى نبيهم أن جالوت يقتله من يستوي عليه درع موسى وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب واسمه داود بن إيشاراع وكان لايشا عشرة بنين أصغرهم داود فلما بعث الله طالوت إلى بني إسرائيل وجمعهم لحرب جالوت بعث إلى إيشا بأن أحضر ولدك فلما حضروا دعا واحدا واحدا من ولده فالبسه درع موسى فمنهم من طالت عليه ومنهم من قصرت عنه فقال لايشا هل خلفت من ولدك احدا قال نعم أصغرهم تركته في الغنم يرعاها فبعث إليه فجاء به فلما دعى أقبل معه مقلع قال فنادته ثلاث صخرات في طريقه يا داود خذني فاخذها في مخلاته وكان حجر الفيرزج وكان داود شديد البطش شجاعا قويا في بدنه فلما جاء إلى طالوت البسه درع موسى فاستوت عليه قال فجاء داود فوقف حذاء جالوت وكان جالوت على الفيل وعلى رأسه التساج وفي جبهته ياقوتة تلمع نورا وجنوده بين يديه فاخذ داود حجرا من تلك الأحجار فرمى به في يمينه جالوت ووقع عليهم فانهزموا واخذ حجرا آخر فرمى به في يسرة جالوت فانهزموا ورمى بالثالث إلى جالوت فاصاب موضع الياقوتة في جبهته ووصلت إلى دماغه ووقع إلى الأرض ميتا وقيل أن جالوت طلب البراز فخرج إليه داود فرماه بحجر من مقلع فوقع بين عينيه وخرج من قفاه واصاب جماعة كثيرة من أهل أسكروه فقتلهم وانهزم القرم عن آخرهم عن وهب وغيره من المفسرين (وأنا لله الملك) أي واعطاه الملك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين عن الضحاك (والحكمة) قيل النبوة ولم يكن نبيا قبل قتل جالوت فجمع الله له الملك والنبوة عند موت طالوت في حالة واحدة لأنه لا يجوز أن يتأس من ليس بنبي لأنه قلب ما توجبه الحكمة لأن النبي يوثق بظاهره وباطنه ولا يخبر إلا بحق ولا يدعو إلا إلى حق فليس كذلك من ليس بنبي عن الحسن وقيل يجوز ذلك إذا كان يفعل ما يفعل بأمره ومشورته (وعلمه مما يشاء) معناه أمور الدين وما يشاء أمور الدنيا منها صنعة الدروع فإنه كان يلين له الحديد كالشمع وقيل الزبور والحكم بين الناس وكلام الطير والنمل وقيل الصوت الطيب والألحان (ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) قيل فيه ثلاثة أقوال أحدها لو لا دفع الله بجنود المسلمين الكفار ومعرتهم لغلبوا وخربو البلاد عن ابن عباس ومجاهد والثاني معناه يدفع الله بالبر عن الفاجر المهلاك عن علي وقتادة وجماعة من المفسرين ومثله ما رواه جميل عن أبي عبد الله قال إن الله يدفع بن يصلي من شيعتنا عن لا يصلي منهم ولو اجتمعوا على ترك الصلاة هلكوا وإن الله يدفع بن يصلي من شيعتنا عن لا يصلي منهم ولو اجتمعوا على ترك الزكوة هلكوا وإن الله يدفع بن يصلي من شيعتنا عن لا يصلي منهم ولو اجتمعوا على ترك الحج هلكوا وقريب من معناه ما روي عن النبي أنه قال لو لا عباد الله ركع وصبيا نرضع وبهائم رقع لصب عليكم العذاب صبا وروى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله إن الله يصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم والثالث أن في معنى قول الحسن ما يزرع الله بالسلطان أكثر مما يزرع بالقرآن لأن من يتنوع عن الفساد خوفا للسلطان أكثر ممن يتنوع منه لاجل الوعد والوعيد الذي في القرآن (ولكن الله ذو فضل على العالمين) أي ذو نعمة عليهم في دينهم ودنياهم

قوله تعالى (٢٥٢) تَأْتِي آيَاتُ اللَّهِ تَلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (آية)

﴿اللغة﴾

التلاوة ذكر الكلمة بعد الكلمة من غير فاصلة لأن التالي الشيء يليه من غير فصل بغيره واصل التلو اي قاع الشيء بعد الشيء الذي يليه والحق هو وقوع الشيء موقعه الذي هو له من غير تغيير عنه بما لا يجوز فيه والرسالة تحمیل جملة من الكلام لها فائدة الى المقصود بالدلالة

﴿الإعراب﴾

يتلوها جملة في موضع الحال والعامل فيه معنى الإشارة في تلك وذو الحال آيات الله أي متلوها عليك والباء في بالحق يتعلق بيتلو ايضا

﴿المعنى﴾

(تلك) إشارة الى ما تقدم ذكره من امانة الوفاء من الناس دفعة واحدة واحيانهم دفعة واحدة بدعاء نبيهم ومن قليك طالوت وهو من اهل الخمول الذي لا يتقاد لمثله الناس لما جعل الله له من الآية علما على قلميك ونصرة اصحاب طالوت مع قلة عددهم وضعفهم على جالوت واصحابه مع قوتهم وشوكتهم (آيات الله) اي دلالات الله على قدرته (نتلوها عليك) ونقروها عليك يا محمد (بالحق) بالصدق وقيل يقرأها جبريل عليك (بالحق) بأمرنا (وإنك لمن المرسلين) معناه وإنك لمن المرسلين بدلالة اخبارك بهذه الآيات مع أنك لم تشاهدها ولم تخاطب أهلها ولا تعلم ذلك مع عدم المشاهدة ومخالطة أهلها الا يوحي من جهة الله والله لا يوحي الا الى انبيائه

قوله تعالى (٢٥٣) **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَنبَيَا عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ الْبَنَاتِ وَأَيَّدْنَا لَهُ بُرُوحَ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (آية)**

﴿الإعراب﴾

درجات منصوب على الحال والعامل فيه رفع وذو الحال بعضهم وتقديره رفع بعضهم ذوي درجات فحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بعد الفراغ من الفعل تقديره ورفع بعضهم فإذا هم ذوو درجات ويجوز ان يكون ظرف مكان ويجوز ان يكون اسما وضع موضع المصدر تقديره ورفع بعضهم رفعا

﴿المعنى﴾

(تلك) بمعنى أو تلك إلا أنه أراد به الإشارة إلى الجماعة فأتى بلفظ الأفراد الذي تكون للمؤنث المفرد كما يقال القوم خرجت أي أو تلك الذين تقدم ذكرهم من الأنبياء في الكتاب (فضلنا بعضهم على بعض) إذا ذكر الله تفضيل بعض الرسل على بعض الأمور **﴿أحدها﴾** لأن لا يغلط غلط فيسوي بينهم في الفضل كما استروا في الرسالة **﴿وثانيها﴾** ان يبين أن تفضيل محمد عليهم كتفضيل من مضى من الأنبياء بعضهم على بعض **﴿وثالثها﴾** أن الفضيلة قد تكون بعد اداء الفريضة وهذه الفضيلة المذكورة ههنا هي ما خص كل واحد منهم من المنازل الجليلة نحو كلامه لموسى بلاسفير وكإرساله محمدا الى الكافة من الجن والانس وقيل أراد التفضيل في الآخرة لتفاضلهم في الأعمال وتحمل الاثقال وقيل بالشرائع فمنهم من شرع ومنهم من لم يشرع والفرق بين الابتداء بالفضيلة وبين المحاباة أن المحاباة اختصاص البعض لنفع على ما يوجب الشهوة دون الحكمة وليس كذلك الابتداء بالفضيلة لأنه قد يكون للمصلحة التي لولاها لفسد التدبير وأدى إلى حرمان

الثواب للجميع فمن حسن النظر لهذا الانسان تفضيل غيره عليه إذا كان في ذلك مصلحة له فهذا وجه تدعوا اليه الحكمة وليس كالوجه الأول الذي إذا تدعوا اليه الشهوة « منهم من كلف الله » أي كلفه الله وهو موسى « ورفع بعضهم درجات » قال مجاهد أراد به محمداً (ص) فإنه تعالى فضله على جميع أنبيائه بأن بعثه الى جميع المكلفين من الجن والإنس وبأن اعطاه جميع الآيات التي اعطاها من قبله من الأنبياء وبأن خصه بالقرآن الذي لم يعطه غيره وهو المعجزة القائمة الى يوم القيامة بخلاف سائر المعجزات فإنها قد مضت وانقضت وبأن جعله خاتم النبيين والحكمة تقتضي تأخير أشرف الرسل لأعظم الأمور (وآتينا عيسى بن مريم البينات) أي الدلالات كإبراهيم الأكمه والأبرص وإحياء الموتى والإخبار عما كانوا يأكلونه ويدخرونه في بيوتهم (وأيدناه بروح القدس) قدام تفسيره في الآية الخامسة والثمانين من هذه السورة (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم) أي من بعد الرسل وقال قتادة والربيع من بعد موسى وعيسى وأتى بلفظ الجمع لأن ذكرهما يغني عن ذكر المتبعين لهما كما يقال خرج الأمير فنكروا في العدو نكابة عظيمة معناه ولو شاء الله لم يقتل الذين من بعد الأنبياء بأن يلجئهم الى الإيمان ويعينهم عن الكفر إلا أنه لم يلجئهم الى ذلك لأن التكليف لا يحسن مع الضرورة والإجلاء والجزء لا يحسن الا مع التخيلية والاختيار عن الحسن وقيل معناه لو شاء الله ما أمرهم بالقتال (من بعد ما جاءتهم البينات) من بعد وضوح الحجة فإن المقصد من بعث الرسل قد حصل بإيمان من آمن قبل القتال (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن) بتوفيق الله ولطفه وحسن اختياره (ومنهم من كفر) بسوء اختياره (ولو شاء الله ما اقتتلوا) كرر ذلك تأكيداً وتنبيهاً وقيل الأول مشيئة الاكراه اي لو شاء الله اضطرهم الى حال يرتفع معها التكليف والثاني الأمر للمؤمنين بالكف عن قتالهم (ولكن الله يفعل ما يريد) ما تقتضيه المصلحة وتوجه الحكمة

قوله تعالى (٢٥٤) يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح فيها اجمع وفي سورة ابراهيم لا بيع فيه ولا خلة وفي الطور لا لغو فيها ولا تأثيم وقرء الباقرن جميعها بالرفع

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي اما من فتح بلا تنوين فإنه جعله جواب هل فيها من لغو او تأثيم ومن رفع جعله جواب فيها لغو او تأثيم وقد ذكرنا صدراً من القول على النفي فيما تقدم والمعنيان متقاربان في ان النفي يراد به العموم والكثرة وفي القراءة يدل على ذلك قول امية « فلا لغو ولا تأثيم فيها » الا ترى انه يريد من نفي اللغو وان كان قد رفعه ما يريد بنفي التأثيم الذي فتحه ولم ينونه فإن جعلت قوله فيها خبراً اضمرت للأول خبراً وان جعلته صفة اضمرت لكل واحد من الإسمين خبراً

﴿ اللغة ﴾

البيع هو استبدال المتاع بالثمن والبيع نقيض الشراء والبيع ايضاً الشراء لأنه تارة عقد على الاستبدال بالثمن وتارة على الاستبدال بالمتاع والبيع الصفقة على ايجاب البيع والبيعة الصفقة على ايجاب الطاعة والبيعان البايع والمشتري والخلة خالص المودة والخلل الانفراج بين الشينين وخللته بالخلل اخله خللاً اذا شككته به واختلال

الحال انحرافها بالفقر والحليل الخالص المودة من الخلة لتخلل الاسرار بينهما وقيل لأنه يمتنع من الشوب في المودة بالنقيصة والحليل ايضا المحتاج من الخلة والحل معروف لتخلله بحدته ولطفه فيما ينساب فيه والحل الرجل الخفيف الجسم والحل الطريق في الرمل وفي فلان خلة رائقة اي خصلة والخلة جفن السيف وقد ذكرنا معنى الشفاعة عند قوله ولا تقبل منها شفاعاة

﴿ المعنى ﴾

لما قص الله سبحانه اخبار الأمم السابقة وثبت رسالته نبينا (ص) عقبه بالبحث على الطاعة فقال (يا ايها الذين آمنوا) اي صدقوا محمدا (ص) فيما جاء به (انفقوا مما رزقناكم) قيل اراد به الفرض كالزكاة ونحوها دون النفل لا اقتران الوعيد به عن الحسن ولأن ظاهر الامر يقتضي الايجاب وقيل يدخل فيه النفل والفرض عن ابن جريج واختاره البلخي وهو الاقوى لأنه اعم ولأن الآية ليس فيها وعيد على ترك النفقة وانما فيها اخبار عن عظم احوال يوم القيامة وشدائدها (من قبل ان يأتي يوم) اي يوم القيامة (لا يبيع فيه) اي لا تجارة (ولا خلة) اي ولا صداقة لأنهم بالمعاصي يصيرون اعداء. وقيل لأن شغله بنفسه يمنع من صداقة غيره وهذه كقوله الاخلاء. يومئذ بعضهم لبعض اعدو المتقين (ولا شفاعاة) اي لغير المؤمنين مطلقا فاما المؤمنون فقد يشفع بعضهم لبعض ويشفع لهم انبياءهم كما قال سبحانه ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ومن ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه (والكافرون هم الظالمون) إنما ذم الله الكافر بالظلم وان كان الكافر اعظم منه لأمرين ﴿ احدهما ﴾ الدلالة على ان الكافر ضر نفسه بالخلود في النار فقد ظلم نفسه ﴿ والآخر ﴾ انه لما نفى البيع في ذلك اليوم والخلة والشفاعة واخبر انه قد حرم الكافر هذه الأمور قال وليس ذلك بظلم منا بل الكافرون هم الظالمون لانهم عملوا بانفسهم ما استحقوا به حرمان هذه الأمور ووجه آخر في تخصيص الكافر بالظلم وهو ان ظلم الكافر هو غاية الظلم وليس يبلغ ظلم المؤمنين لانفسهم وغيرهم مبلغ ظلم الكافرين ونظيره قول القائل فلان فقيه هو الفقيه في البلد وفلان هو الفاضل ويراد به تقدمه على غيره فيما اضيف اليه

قوله تعالى (٢٥٥) الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم (آيتان)

بصري وآية واحدة عند غيرهم عد البصري الحي القيوم آية . فضل الآية ذكر ابن نجويه القسوي في كتاب الترغيب بإسناد متصل عن ابي بن كعب قال قال رسول الله يا أبا المنذر اي آية في كتاب الله اعظم قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم قال ف ضرب في صدري ثم قال ليهنك العلم والذي نفس محمد بيده ان لهذه الآية لسانا وشفتين يقدر الملك الله عن ساق العرش وروي الثعلبي بإسناده عن عبد الله بن عمر قال قال النبي من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة كان الذي يتولى قبض نفسه ذو الجلال والاكرام وكان كمن قاتل مع انبياء الله حتى استشهد وبإسناده عن علي (ع) قال سمعت نبيكم على اعراد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره وعنه قال سمعت رسول الله يقول يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الشجر السدر

وسيد الشهور الأشهر الحرم وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي يا علي إن فيها لضمين كلمة في كل كلمة خمسون بركة وروي عن عبد الله بن مسعود قال من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في كل ليلة في بيت لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح أربع آيات من أولها وآية الكرسي وآيتين بعدها وروى عن أبي جعفر الباقر قال من قرأ آية الكرسي مرة صرف الله عنه ألف مكره من مكاره الدنيا وألف مكره من مكاره الآخرة أيسر مكره الدنيا الفقروايسر مكره الآخرة عذاب القبر وعن أبي عبد الله قال إن لكل شيء ذروة وذروة القرآن آية الكرسي

✽ اللغة ✽

الحي من كان على صفة لا يستحيل معها أن يكون قادرا عالما وان شئت قلت هو من كان على صفة يجب لأجلها أن يدرك المدركات إذا وجدت والقيوم أصله قيوم على وزن فيعمل إلا أن الياء والواو إذا اجتمعتا وأولاهما ساكنة قلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء قياسا مطردا والقيام أصله قيوم على وزن فيعمل فعمل به ما ذكرناه قال أمية بن أبي الصلت

لم يخلق السماء والنجوم والشمس معها قمر يقوم
قدرها المهيمن القيوم والجشر والجنة والنعيم
إلا لأمر شأنه عظيم

والسنة النوم الخفيف وهو النعاس قال عدي بن الرقاع

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

وهو مصدر وسن يوسن وسنا وسنة قال المفضل السنة في الراس والنوم في القلب والنوم خلاف اليقظة يقال نام نوما واستنام إليه أي استأنس إليه واطأن إلى ناحيته وقال الليث يقال لكل من أحرز شيئا أو بلغ علمه أقصاه قد أحاط به ويقال وسع فلان الشيء يسهه سعة إذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به ويقال لا يسعك هذا أي لا تطيقه ولا تحتمله الكرسي كل أصل يعتمد عليه قال الشاعر

تحف بهم بيض الوجوه وعصبة كراسي بالأحداث حين تتوب
أي علما بحوادث الأمور وقال آخر

نحن الكراسي لا تعد هوازن أفعالنا في النائبات ولا اسد
وقال آخر

مالي بأمرك كرسي أكاثمه وهل بكرسي علم الغيب مخلوق

وكل شيء تراكب فقد تكارس ومنه الكراسية لتراكب بعض ورقها على بعض ورجل كروس عظيم الراس ويقال كرسي الملك من كذا وكذا أي ملكه مشبه بالكرسي المعروف وأصل الباب الكرسي تراكب الشيء بعضه على بعض وآده يؤوده أودا إذا أثقله وجهده وأدت العود أوده أودا فاناد نحو عجبته فانعاج والأود والأوداء على وزن الأعوج والعوج والمعنى واحد والجمع الأود كالعوج والعلو أصله من العلو وهو سبحانه على الاقتدار ونفوذ السلطان ولا يقال رفيع بالاقتدار لأن الرفعة في المكان والعلو منقول إلى معنى الاقتدار يقال فلان علا على قرنه يعلو علوا فهو عال وعلا بمعنى اقتدر ولا يقال ارتفع عليه بمعناه ولذلك يقال استعلى عليه بالحجة ولا يقال ارتفع عليه بالحجة والعار بضم العين وكسرهما خلاف السفل وعلا في الأرض علوا تجبر ومنه قوله إن فرعون علا في الأرض أي تجبر والله تعالى العالی والمتعالی أي القادر القاهر لا يعجزه شيء وفلان من عليّة الناس أي من

اشرافهم والعظيم معناه العظيم الشأن وقيل العظيم بمعنى المعظم كما قالوا في الخمر العتيق اي المعتقة والاول اقوى

الإعراب

الله رفع بالابتداء وما بعده خبره والكلام مخرجه مخرج النفي أي ان لا يصلح إله سوى الله وحقيقته الاثبات
لا إله واحد هو الله فكأنه قيل الله هو الإله دون غيره وارتفع هو في لا إله إلا هو على احد وجهين ﴿١﴾ أحدهما ﴿٢﴾
بالابتداء كأنه قال ما إله الا الله ﴿٣﴾ والثاني ﴿٤﴾ ان يكون بدلا كأنه قال ما إله ثابتا او موجودا الا الله
ويجوز في العربية نصب الله في قول لا إله إلا الله على الاستثناء.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الأمم واختلافهم على انبيائهم في التوحيد وغيره عقبه بذكر التوحيد فقال (الله) اي
من يحق له العبادة لقدرة على اصول النعم وقد ذكرنا اختلاف الأقوال في اصله وفي معناه في مقتضب سورة الفاتحة
(لا إله الا هو) اي لا احد تحق له العبادة ويستحق الإلهية غيره (الحي) قد ذكرناه ومعناه (القيوم) القائم
بتدبير خلقه من إنشائهم ابتداء وايصال ارزاقهم اليهم كما قال (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها)
عن قتادة وقيل القيوم هو العالم بالامور من قولهم هذا يقوم بهذا الكتاب اي يعلم ما فيه وقيل معناه الدائم
الوجود عن سعيد بن جبير والضحاك وقيل معناه القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها من حيث هو عالم بها
عن الحسن واللفظ لجميع هذه الوجوه محتمل (لا تأخذه سنة) اي نعاس (ولا نوم) ثقيل مزيل للقوة وقيل
معناه لا يغفل عن الخلق ولا يسهو كما يقال للعاقل انت نائم وانت وستان (له ما في السماوات وما في الارض)
معناه له ملك ما فيهما وله التصرف فيهما (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) هو استفهام معناه الإنكار والنفي أي
لا يشفع يوم القيامة احد لاحد الا بإذنه وامره وذلك ان المشركين كانوا يزعمون ان الاصنام تشفع لهم فاجبر
الله سبحانه ان احدا ممن له الشفاعة لا يشفع الا بعد ان يأذن الله له في ذلك وبأمره به (يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم) قيل فيه وجوه ﴿١﴾ احدها ﴿٢﴾ أن معناه يعلم ما بين ايديهم ما مضى من الدنيا وما خلفهم من الآخرة
عن مجاهد والسدي ﴿٣﴾ والثاني ﴿٤﴾ معناه يعلم الغيب الذي تقدمهم من قولك بين يديه اي قدامه وما مضى
فهو قدام الشيء فيحمل عليه على هذا التقدير لا ان هذا اللفظ حقيقة في الماضي وما خلفهم يعني الغيب الذي
يأتي بعدهم عن ابن جريج ﴿٥﴾ والثالث ﴿٦﴾ ان ما بين ايديهم عبارة عما لم يأت كما يقال رمضان بين ايدينا (وما
خلفهم) عبارة عما مضى كما يقال في شوال قد خلفنا رمضان عن الضحاك (ولا يحيطون بشيء من علمه) معناه من
معلومه كما يقال اللهم اغفر لنا علمك فينا أي معلومك فينا ويقال اذا ظهرت آية هذه قدرة الله اي مقدور الله والإحاطة
بالشيء علما ان يعلمه كما هو على الحقيقة (إلا بما شاء) يعني ماشاء ان يعلمهم ويطلعهم عليه (وسع كرسيه السماوات
والارض) اختلف فيه على اقوال ﴿١﴾ احدها ﴿٢﴾ وسع علمه السماوات والارض عن ابن عباس ومجاهد وهو
المروي عن ابي جعفر وأبي عبد الله (ع) ويقال للعلماء كراسي كما يقال اوتاد الارض لأن بهم قوام الدين والدنيا
﴿٣﴾ وثانيها ﴿٤﴾ ان الكرسي ههنا هو العرش عن الحسن وانما سمي كرسيا لتركيب بعضه على بعض ﴿٥﴾ وثالثها ﴿٦﴾
أن المراد بالكرسي ههنا الملك والسلطان والقدرة كما يقال اجعل لهذا الخائض كرسيا اي عمادا يعمد به حتى
لا يقع ولا يميل فيكون معناه احاط قدرته بالسماوات والارض وما فيها ﴿٧﴾ ورابعها ﴿٨﴾ ان الكرسي سرير دون
العرش وقد روي عن ابي عبد الله وقريب منه ما روي عن عطاء انه قال ما السماوات والارض عند الكرسي الا
كحلقة خاتم في فلاة وما الكرسي عند العرش الا كحلقة في فلاة ومنهم من قال ان السماوات والارض جميعا على
الكرسي والكرسي تحت العرش كالعرش فوق السماء وروي الاصبغ بن نباتة ان عليا قال ان السماوات والارض
وما فيهما من مخلوق في جوف الكرسي وله اربعة املاك يحملونه بإذن الله ملك منهم في صورة الآدميين وهي

أكرم الصور على الله وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق للآدميين والملك الثاني في صورة الثور وهو سيد البهائم يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق للبهائم والملك الثالث في صورة النسر وهو سيد الطيور وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع الطيور والملك الرابع في صورة الاسد وهو سيد السباع وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع السباع قال ولم يكن في جميع الصور صورة أحسن من الثور ولا أشد انتصاباً منه حتى اتخذ الملائكة من بني إسرائيل العجل وعبده فخفض الملك الذي في صورة الثور رأسه استحياءاً من الله ان عبدوا من دون الله بشي يشبهه وتخوف ان ينزل الله به العذاب (ولا يؤوده حفظها) أي لا يشق على الله ولا يثقله حفظ السموات والأرض وقيل لها في يؤده يعود إلى الكرسي وهذا على قول من يقول أن السموات والأرض على الكرسي (وهو العلي) عن الأشباه والأضداد والأمثال والازداد وعن إمارات النقص ودلالات الحدث وقيل هو بمعنى العلو الذي هو بمعنى القدرة والسلطان والملك وعلو الشأن والقهر والاعتلاء والجلال والكبرياء (العظيم) أي العظيم الشأن القادر الذي لا يعجزه شيء والعالم الذي لا يتخفى عليه شيء لا نهاية لمقدوراته ولا غاية لمعلوماته وروى علي بن ابراهيم عن ابيه عن الحسين بن خالد انه قرأ أبو الحسن الرضا (ع) الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه

قوله تعالى (٢٥٦) لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم (آية)

﴿ اللغة ﴾

الرشد نقيض الغي وهو الرشد والرشد وتقول غوى يغوي غياً وغواية إذا سلك طريق الهلاك وغوى إذا خاب قال الشاعر :-

ومن يلق خيراً يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

وغوى الفصيل يغوي غوى إذا قطع عن اللبن حتى يكاد يهلك والطاقوت وزنها في الأصل فعلوت وهو مصدر مثل الرغبوت والرهبوت والرحموت ويدل على انها مصدر وقوعها على الواحد والجماعة بلفظ واحد واصلها طغيوت لانها من اليا. يدل على ذلك قوله في طغيانهم يعمهون ثم ان اللام قدمت إلى موضع العين فصارت طغيوت ثم قلبت اليا. الفالتحر كها وانفتاح ما قبلها فصار طاغوت فوزنها الآن بعد القلب فلعوت وجمع طاغوت طواغيت وطواغيت وطواغ على حذف الزيادة والطواغي على العوض من المحذوف والعروة عروة الدلو ونحوه لانها متعلقة وعزوت الرجل أعروه عروا إذا ألمت به متعلقا بسبب منه واعتراه هم إذا تعلق به وعرته الحمى تعروه إذا علقت به فالاصل في الباب التعلق قال الأزهري العروة كل نبات له اصل ثابت كالشيع والقيصوم وغيره وبه شبيهت عرى الأشياء في لزومها والوثقى تأنيث الأوثق والانفصام والانقطاع والانصداع نظائر قال الأعشى

وميسمها عن شتيت النبات غير ذي كس (كذا) ولا منفصم

يقال فصمته فانفصم النزول

قيل نزلت الآية في رجل من الأنصار كان له غلام اسود يقال له صبيح وكان يكرهه على الإسلام عن مجاهد وقيل نزلت في رجل من الأنصار يدعى بالحصين وكان له ابنان فقدم تجار الشام إلى المدينة يحملون الزيت فلما ارادوا الرجوع من المدينة اتاهم ابنا أبي الحصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصرا ومضيا إلى الشام فأخبر ابو الحصين

رسول الله (ص) فأنزل الله تعالى لا إكراه في الدين فقال رسول الله (ص) بعدهما الله هما أول من كفر فوجد أبو الحصين في نفسه على النبي حين لم يبعث في طلبها فأنزل الله فلا وربك لا يؤمنون الآية قال وكان هذا قبل ان يؤمر النبي بقتال أهل الكتاب ثم نسخ وأمر بقتال أهل الكتاب في سورة براءة عن السدي وهكذا قال ابن عباس وابن زيد انها منسوخة بآية السيف وقال الباقون هي محكمة وقيل كانت امرأة من الأنصار تكون مقلاتا فترضع اولاد اليهود فجاء الإسلام وفيهم جماعة منهم فلما اجليت بنو النضير إذا فيهم اناس من الأنصار فقالوا يا رسول الله أبناؤنا واخواننا فزت لا إكراه في الدين فقال خيروا أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فأجلوهم عن ابن عباس

المعنى

لما تقدم ذكر اختلاف الأمم وانه لو شاء الله لأكرههم على الدين ثم بين تعالى دين الحق والتوحيد عقبه بأن الحق قد ظهر والعبد قد خير فلا إكراه بقوله (لا إكراه في الدين) وفيه عدة أقوال ﴿أحدها﴾ أنه في أهل الكتاب خاصة الذين يؤخذ منهم الجزية عن الحسن وقتادة والضحاك ﴿وثانيها﴾ أنه في جميع الكفار ثم نسخ كما تقدم ذكره عن السدي وغيره ﴿وثالثها﴾ ان المراد لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب انه دخل مكرها لأنه إذا رضي بعد الحرب وصح إسلامه فليس بمكروه عن الزجاج ﴿ورابعها﴾ انها نزلت في قوم خاص من الأنصار كما ذكرناه في النزول عن ابن عباس وغيره - (وخامسها) - ان المراد ليس في الدين إكراه من الله ولكن العبد مخير فيه لأن ما هو دين في الحقيقة هو من افعال القلوب إذا فعل لوجه وجوبه فاما ما يكره عليه من اظهار الشهادتين فليس بدين حقيقة كما أن من أكره على كلمة الكفر لم يكن كافرا والمراد الدين المعروف وهو الإسلام ودين الله الذي ارتضاه (قد تبين الرشد من الغي) قد ظهر الايمان من الكفر والحق من الباطل بكثرة الحجج والآيات الدالة عقلا وسعما والمعجزات التي ظهرت على يد النبي (فن يكفر بالطاغوت) فيه اقوال - (أحدها) - أنه الشيطان عن مجاهد وقتادة وهو المروي عن أبي عبد الله - (وثانيها) - انه الكاهن عن سعيد بن جبير - (وثالثها) - أنه الساحر عن أبي العالية - (ورابعها) - أنه مردة الجن والانس وكلما يطغى - (وخامسها) - انه الأصنام وما عبد من دون الله وعلى الجملة فالمراد من كفر بما خالف أمر الله (ويؤمن بالله) أي يصدق بالله وبما جاءت به رسله (فقد استمسك) تمسك واعتصم (بالعروة الوثقى) أي بالعصمة الوثيقة وعقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا يحل شبهة وعن مجاهد هو الايمان بالله ورسوله وجرى هذه مجرى المثل لحسن البيان بإخراج ما لا يقع به الاحساس إلى ما يقع به (لا انفصام لها) أي لا انقطاع لها بمعنى كما لا ينقطع أمر من تمسك بالعروة كذلك لا ينقطع امر من تمسك بالايمان (والله سميع) لأقوالكم (عليم) بضمائرکم

قوله تعالى (٢٥٧) **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** (آية)

اللغة

الولي من الولي وهو القرب من غير فصل وهو الذي يكون أولى بالغير من غيره وأحق بتدبيره ومنه الوالي لأنه يلي القوم بالتدبير وبالأمر والنهي ومنه المولى من فوق لأنه يلي أمر العبد بسد الخلة وما به اليه الحاجة ومنه المولى من أسفل لأنه يلي أمر المالك بالطاعة ومنه المولى لابن العم لأنه يلي أمره بالنصرة لتلك القرابة ومنه ولي

اليتيم لأنه يلي أمر ماله بالحفظ له والقيام عليه والولي في الدين وغيره لأنه يلي أمره بالنصرة والمعونة كما توجه الحكمة والمعاقدة فجميع هذه المواضع الأولى والأحق ملحوظ فيها وولي عن الشيء إذا أدير عنه لأنه زال عن أن يليه بوجهه واستولى على الشيء إذا احتوى عليه لأنه وليه بالقهر والله تعالى ولي المؤمنين على ثلاثة أوجه أحدها أنه يتولاهاهم بالمعونة على إقامة الحجية والبرهان لهم في هدايتهم كقوله (والذين اهتدوا زادهم الله هدى) وثانيها أنه وليهم في نصرهم على عدوهم وإظهار دينهم على دين مخالفيهم وثالثها أنه وليهم يتولاهاهم بالثبوت على الطاعة والمجازاة على الأعمال الصالحة

المعنى

لما ذكر سبحانه المؤمن والكافر بين ولي كل واحد منهما فقال (الله ولي الذين آمنوا) أي نصيرهم ومعينهم في كل ما بهم إليه الحاجة وما فيه لهم الصلاح من أمور دينهم ودنياهم وآخرتهم (يخرجهم من الظلمات إلى النور) أي من ظلمات الضلالة والكفر إلى نور الهدى والإيمان لأن الضلال والكفر في المنع من ادراك الحق كالظلمة في المنع من ادراك المبصرات ووجه اخراج الله تعالى المؤمنين من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان والطاعة هو أنه هداهم إليه ونصب الأدلة لهم عليه ورغبهم فيه وفعل بهم من اللطاف ما يقوي به دواعيهم إلى فعله لأننا علمنا أنه لولا هذه الأمور لم يخرجوا من الكفر إلى الإيمان فصح إضافة الإخراج إليه تعالى لكون هذه الأمور التي عددنا من جهة الله تعالى كما يصح من أحدنا إذا أشار إلى غيره بدخول بلد من البلدان ورغبه فيه وعرفه ما له فيه من الصلاح أن يقول ادخلت فلانا البلد الفلاني وأنا اخرجته من كذا وكذا (والذين كفروا ولياؤهم الطاغوت) أي يتولون أمورهم وانصارهم الطاغوت والطاغوت هاهنا واحد أريد به الجميع وهذا جائز في اللغة إذا كان في الكلام دليل على الجماعة قال الشاعر

بها جيف الحسرى فأما عظامها
فجلدها في معنى جلودها وقال العباس بن مرداس

فقلنا أسلموا وأنا أخوكم
فقد برئت من الإحن الصدور

والمراد به الشيطان عن ابن عباس وقيل رؤساء الضلالة عن مقاتل (يخرجونهم من النور إلى الظلمات) أي من نور الإيمان والطاعة والهدى إلى ظلمات الكفر والمعصية والضلال وأضاف إخراجهم من النور إلى الظلمات إلى الطواغيت على ما تقدم ذكره من أنهم يغوونهم ويدعونهم إلى ذلك ويزينون فعله لهم فصح إضافته إليهم وهذا يدل على بطلان برهان قول من قال إن الإضافة الأولى تقتضي إن الإيمان من فعل الله تعالى بالمؤمن لأنه لو كان كذلك لاقتضت الإضافة الثانية إن الكفر من فعل الشيطان وعندهم لا فرق بين الأمرين في انهما من فعله تعالى عن ذلك وأيضا فلو كان الأمر على ما ظنوا لما صار الله تعالى وليا للمؤمنين وناصرهم على ما اقتضته الآية والإيمان من فعله لا من فعلهم ولما كان خاذلا للكفار ومضيفا لولايتهم إلى الطاغوت والكفر من فعله فيهم ولم يفصل بين الكافر والمؤمن وهو المتولي لفعل الأمرين فيهما ومثل هذا لا يخفى على منصف فإن قيل كيف يخرجونهم من النور وهم لم يدخلوا فيه قلنا قد ذكر فيه وجهان - أحدهما - أن ذلك يجري مجرى قول القائل اخرجني والدي من ميراثه فيمنعه من الدخول فيه إخراج ومثله قوله في قصة يوسف أني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن فيها قط وقوله ومنهم من يرد إلى أرذل العمر وقال الشاعر

فإن تكن الأيام أحسن مرة
إلى فقد عادت لمن ذنوب

ولم يكن لها ذنوب قبل ذلك والوجه الآخر أنه في قوم ارتدوا عن الإسلام عن مجاهد والأول أقوى وقوله (أو تلك اصحاب النار) إلى آخره قد مضى تفسيره

قوله تعالى (٢٥٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّبُ وَيُبَيِّتُ قَالَ أَأَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة أنا أحيي بآثبات الألف في أنا والمد إذا كان بعدها همزة مضمومة أو مفتوحة نحو أنا أخوك
فإن كان بعدها همزة مكسورة نحو إن أنا إلا نذير حذفوا الألف اجماعاً

✽ الحجة ✽

الأصل في أنا الهمزة والنون وإنما يلحقها الألف في الوقف كما ان الهاء تلحق للوقف في مسلمونه وكما
أن الهاء التي تلحق للوقف تسقط في الوصل كذلك هذه الألف تسقط في الوصل وقد جاءت الفأنامشبة في الوصل
في الشعر نحو قول الأعشى

فكيف أنا وانتحال القوافي
بعد المشيب كفى بذلك عارا
وقول الآخر

أنا شيخ العشيرة فاعرفوني حميداً قد تزربت السنما

قال أبو علي وما روي في آثبات الألف في أنا إذا كان بعد الألف همزة فإني لا أعلم بين الهمزة وغيرها من
الحروف فصلاً ولا شيئاً يجب من أجله آثبات الألف التي حكمها ان تثبت في الوقف

✽ اللغة ✽

في بهت أربع لغات بهت على وزن ظرف وبهت على وزن حذر وبهت على وزن ذهب وبهت على وزن مالم
يسم فاعله وهذا هو الأوضح وعليه القراءة يقال بهت الرجل يبهت بهتا إذا انقطع وتحير ويقال بهت الرجل
أبهته بهتاناً إذا قابلته بكذب فالبهت الحيرة عند استيلاء الحجة لأنها كالحيرة للمواجه بالكذب لأن تحير
المكذب في مذهبه كتحير المكذوب عليه ومنه قوله أتأخذونه بهتاناً كأنه قال أتأخذونه ادعاء للكذب فيه

✽ الإعراب ✽

ألم تر إلى الذي إنما ادخلت إلى في الكلام للتعجب من حال الكافر المحاج بالباطل كما يقولون أما ترى
إلى فلان كيف يصنع ومنه معنى هل رأيت كفلان في صنعة كذا وإنما دخلت إلى ما بين حروف الجر لهذا المعنى
لأنها لما كانت بمعنى الغاية والنهاية صار الكلام بمنزلة هل انتهت روثيتك إلى من هذه صفته ليدل على بعد وقوع
مثله على التعجب منه لأن التعجب إنما يكون مما استبهم سببه ولم تجر العادة به وقد صارت إلى هاهنا بمنزلة
كاف التشبيه لما بينا من العلة إذ كان ما ندر مثله كالذي يبعد وقوعه

✽ المعنى ✽

لما بين تعالى انه ولي المؤمنين وان الكفار لا ولي لهم سوى الطاغوت تسلية لنبيه (ص) قص عليه بعده قصة
إبراهيم وغرود فقال (ألم تر) يا محمد أي ألم ينته علمك وروثيتك (إلى الذي حاج إبراهيم) أي إلى من كان
كالذي حاج فكأنه قال هل رأيت كالذي حاج أي خاصم وجادل إبراهيم وهو غرود بن كنعان وهو أول من

تجبر وادعى الربوبية عن مجاهد وغيره وإنما اطلق لفظ المحاجة وان كانت مجادلة بالباطل ولم تكن له فيه حجة لأن في زعمه ان له فيه حجة واختلف في وقت هذه المحاجة فقيل عند كسر الاصنام قبل القاؤه في النار وجعلها عليه بردا وسلاما عن الصادق (ع) (في ربه) اي في رب ابراهيم الذي يدعو الى توحيده وعبادته (ان آتاه الله الملك) اي لأن آتاه الله الملك الها. من آتاه تعود الى المحاج لابراهيم اي اعطاه الله الملك وهو نعيم الدنيا وسعة المال فبظن الملك حمله على محاجة ابراهيم عن الحسن والحيائي والملك على هذا الوجه جائز ان ينعم الله تعالى به على كل احد فاما الملك بتمليك الأمر والنهي وتدبير امور الناس وإيجاب الطاعة على الخلق فلا يجوز ان يؤتاه الله إلا من يعلم انه يدعو الى الصلاح والهدى والرشاد دون من يدعو الى الكفر والفساد ولا يصح منه لعلمه بالغيوب والسرائر تفويض الولاية الى من هذا سبيله لما في ذلك من الاستفساد وقيل ان الها تعود الى ابراهيم عن ابي القاسم البلخي ويسأل على هذا فيقال كيف يكون الملك لابراهيم والحبس والاطلاق الى غرود وجوابه ان الحبس والاطلاق والأمر والنهي كان من جهة الله لابراهيم وانما كان غرود يفعل ذلك على وجه القهر والغلبة لا من جهة ولاية شرعية (إذ قال ابراهيم ربي الذي يحبني ويميت) في الكلام حذف وهو إذ قال له غرود من ربك فقال ربي الذي يحبني ويميت بدأ بذكر الحياة لأنها اول نعمة ينعم الله بها على خلقه ثم يميتهم وهذا ايضا لا يقدر عليه الا الله تعالى لأن الإمامة هي أن يخرج الروح من بدن الحي من غير جرح ولا نقض بنية ولا احداث فعل يتصل بالبدن من جهة وهذا خارج عن قدرة البشر (قال انا احيي وأميت) اي فقال غرود انا احيي بالتخلية من الحبس من وجب عليه القتل وأميت بالقتل من شئت ممن هو حي وهذا جهل من الكافر لأنه اعتمد في المعارضة على العبارة فقط دون المعنى عادلا عن وجه الحجة بفعل الحياة للميت او الموت للحي على سبيل الاختراع الذي يفرد به تعالى ولا يقدر عليه سواه (قال ابراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) قيل في انتقاله من حجة الى اخرى وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان ذلك لم يكن انتقالا وانقطاعا عن ابراهيم فإنه يجوز من كل حكيم ايراد حجة أخرى على سبيل التأكيد بعد تمام ما ابتدأ به من الحجج وعلامة تمامه ظهوره من غير اعتراض عليه بشبهة لها تأثير عند التأمل والتدبر لموقعها من الحجة المعتمد عليها ﴿ والثاني ﴾ ان ابراهيم انما قال ذلك ليبين ان من شأن من يقدر على احياء الأموات وإماتة الأحياء ان يقدر على اتيان الشمس من المشرق فإن كنت قادرا على ذلك فأت بها من المغرب وانما فعل ذلك لانه لو تشاغل معه بالي اردت اختراع الموت والحياة من غير سبب ولا علاج لاشتبه على كثير ممن حضر فعديل الى ما هو اوضح لان الانبياء انما بعثوا للبيان والإيضاح وليست امورهم مبنية على لجاح الخصمين وطلب كل واحد منهما غلبة خصمه وقد روي عن الصادق (ع) ان ابراهيم (ع) قال له احبي من قتلته ان كنت صادقا ثم استظهر عليه ما قاله ثانيا (فبهت) الذي كفر اي تحير عند الانقطاع بما بان من ظهور الحجة فإن قيل فهلا قال له غرود فليأت بها ربك من المغرب قيل عن ذلك جوابان ﴿ احدهما ﴾ انه لما علم بما رأى من الآيات انه لو اقترح ذلك لآتى به الله تصديقا لابراهيم فكان يزداد بذلك فضيحة عدل عن ذلك ﴿ والثاني ﴾ ان الله خذله ولطف لابراهيم حتى انه لم يأت بشبهة ولم يلبس (والله لا يهدي القوم الظالمين) بالمعونة على بلوغ البنية من الفساد وقيل معناه لا يهديهم الى المحاجة كما يهدي انبياءه واوليائه وقيل معناه لا يهديهم بالطافه وتأنيده اذا علم انه لا لطف لهم وقيل لا يهديهم الى الجنة وهذا لا يعارض قوله فاما ثود فهديناهم لانا قد بينا معاني الهداية وجوهها قبل عند قوله بضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فبعضها عام لجميع المكلفين وبعضها خاص بالمؤمنين وفي هذه الآية دلالة على ان المعارف غير ضرورية اذ لو كانت كذلك لما صحت المحاجة في اثبات الصانع وفيها دلالة على فساد التقليد وحسن الحجج وانه تعالى انما يعلم بأفعاله التي لا يقدر عليها غيره وفي تفسير ابن عباس ان الله سبحانه سلب على غرود بعوضه فضت

شفتيه فاهوى اليها بيده لياخذها فطارت في منخره فذهب ليستخرجها فطارت في دماغه فعذب الله بها اربعين ليلة ثم اهلكه

قوله تعالى (٢٥٩) أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال اتي يحيى هذمه الله بعد موتها فأما ته الله مئة عام ثم بعثه قال كم أبثت قال أبثت يوماً أو بعض يوم قال بل أبثت مئة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها أحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو عمرو وابن عامر وحزمة والكسائي لبث بالادغام والباقون بالاظهار وقرأ أهل العراق غير أبي عمرو وعاصم لم يتسن واقتد بحذف الهاء وصلا والباقون بأثبات الهاء في الوصل ولم يختلفوا في اثباتها في الوقف وقرأ أهل الحجاز والبصرة ننشزها بضم النون الاولى وبالراء وقرأ أهل الكوفة والشام ننشزها بالزاي وروى ابن عن عاصم ننشزها بفتح النون وضم الشين وبالراء وقرأ حمزة والكسائي قال اعلم موصولة الألف ساكنة الميم والباقون اعلم مقطوعة الألف مرفوعة الميم

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي من ادغم لبث أجرى التاء والثاء مجرى المثلين من حيث اتفق الحرفان في انها من طرف اللسان واصول الثنايا واتفقا في الهمس ومن بين ولم يدغم فلتباين المخرجين لأن الطاء والذال والتاء من حيز والظاء والذال والتاء من حيز ومن قرأ لم يتسنه بالهاء في الوصل فيحتمل أمرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون الهاء لاما من السنة فيمن قال شجرة سنهاء فيكون سكون الهاء للجزم ﴿ والاخر ﴾ ان يكون مسن السنة ايضا فيمن قال استنوا وسنوات او يكون من المسنون الذي يراد به المتغير كأنه لم يتسنه ثم قلب على حد القلب في لم يتظن وحكي ان أبا عمرو والشيباني الى هذا كانا يذهبان في هذا الحرف فالهاء في يتسنه على هذين القولين يكون للوقف فينبغي ان يلحق في الوقف وتسقط في الدرج واما قوله اقتده فيجوز ان يكون الهاء كناية عن المصدر ولا يكون التي للوقف ولكن لما ذكر الفعل دل على مصدره فاضمه كما اضمر في قوله ولا تحسن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم وقال الشاعر

غدا سراقه للقرآن يدرسه والمرء عند الرشى ان يلحقها ذئب

فالهاء في يدرسه للمصدر لا يجوز ان يكون للمفعول لأن الفعل قد تعدى الى الفعول باللام فلا يجوز ان يتعدى اليه مرة ثانية وكذلك قوله فبهديهم اقتده يكون اقتد الاقتداء فيضم لدلالة الفعل عليه ومن قرء كيف ننشزها فمعناه كيف نجيبها يقال انشر الله الميت فنشر وقد وصفت العظام بالاحياء قال تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة وكذلك في قوله ننشزها ومن قرأ ننشزها بالراء فالنشز الارتفاع قال ابو الحسن نشزوا نشزته فتقدير ننشزها زفع بعضها الى بعض للاحياء ومن هذا النشز من المرأة وهو ان تنبو عن الزوج في العشرة فلا تلامه ومن قرأ قال اعلم على لفظ الخبر فلأنه لما شاهد من احياء الله وبعثه اياه بعد وفاته ما شاهد اخبر عما تبينه وتيقنه اي اعلم هذا الضرب من العلم الذي لم اكن اعلمته قيل ومن قال اعلم على لفظ الأمر فالمعنى يؤول الى الخبر وذلك انه لما تبين له ما تبين من الأمر الذي لا مجال للشبهة عليه تزل نفسه منزلة

غيره فخطابها كما يخاطب سواها كقول الاعشى

ارمي به البيدا اذا هجرت
فقال انت وهو يريد نفسه ومثله قوله
ودع هريزة ان الركب مرتحل
فخطاب نفسه كما يخاطب غيره قال ابو الحسن وهو اجود في المعنى
وانت بين القرو والعاصر
وهل تطيق وداعا أيها الرجل

اللغة

اصل الخوا الخلاء قال الراجز «بيدو خوا. الأرض من خوائه» والخوا الفرجة بين الشيتين خلوا ما بينهما
وخوت الدار تخوي خوا فهي خاوية اذا باد اهلها خلوها منهم والخواي الجوع خوي يخوي خوي خلوا البطن
من الغذاء والتخوية التفريخ بين العضدين والجنين خلوما بينهما بتباعدهما. على عروشها اي على ابنتها قال ابو
عبيدة هي الخيام وهي بيوت الاعراب وقال غيره خاوية على عروشها اي بقيت حيطانها لا سقف عليها وكل
بناء. عرش وعريش مكة ابنتها وعرش يعرش عرشا اذا بنى والعريش البيت لارتفاع ابنته والعرش السرير
لارتفاعه عن غيره وعرش الرجل قوام امره وعرش البيت سقفه والتعريش جعل الخشب تحت الكرم ليمتد عليه
يقال عرشته وعرشته واصل القرية الجمع من قرية المال وسميت قرية لاجتماع الناس فيها للإقامة بها وانى يحيي
من اين يحيي او كيف يحيي والعام الحول وجمعه الاعوام وهو حول يأتي بعد شتوة وصيف لأن فيه سبحانه طويلا
ربما يمكن من التصرف فيه والعرام الساحة والسفينة تعوم في جريها والابل تعوم في سيرها والاعتيام اصطفا.
خيار مال الرجل لانه يجري في اخذه شيئا يعد شيئا كالسباح في الماء الجاري واعتام الموت النفوس اولا فاولا
كذلك واصل الباب السبح واللبث المكث يقال لبث فهو لاث وتلبث تلبثا اذا تمكث والحمار يقال للوحشى
والاهلي واصله من الحمرة لأن الحمرة اغلب عليه وحمارة القيط شدة حره وحمرة فو الفرس يحمر حمرا اذا اتن
وموت احمر شديد مشبه بحمرة النار والاسود والاحمر العرب والعجم لأن السواد اغلب على لون العرب كما أن
الحمرة اغلب على لون العجم ومنه قول الاشعث لملي غلبت عليك هذه الحمراء يعني العجم والنشر خلاف الطي
والنشر إذاعة الحديث وحث العود بالمنتشار والنشر الرائحة الطيبة وربما قيل في الغيثة والنشر الرقية والنشر
بالزاي المرتفع من الأرض

الإعراب

او حرف عطف وهو عطف على معنى الكلام الاول وتقديره ارأيت كالذي حاج ابراهيم في ربه او كالذي
مر على قرية وموضع الكاف نصب بمفعول التعجب لأن كل ما خرج من بابيه اعظمه عن حد نظائره فهو مما
يتعجب منه تقول ما اجهله اي قد خرج بجهله عن حد نظائره وكذلك لو قلت هل رأيت كزيد الجاهل لدلت
على مثل الأول منه في التعجب لما بينا ان ما افعله صيغة وضعت للتعجب وليس كذلك هل رأيت لأنها في الاصل
للاستفهام وقيل الكاف زائدة للتوكيد كما زيدت في قوله ليس كمثل شي والاول اوجه لأنه لا يحكم
بزيادة الا للضرورة وقوله انى استفهام في موضع نصب على الحال من يحيي وتقديره قادرا ان يحيي ويجوز ان
يكون مصدرا ليحيي وتقديره أي نوع يحيي اي أي احياء يحيي وهذا اولى لأنه يكون سو الا عن كيفية
الاحياء لانكارا لأصل الاحياء وموضع كم نصب بلبثت كانه قال امانة سنة لبثت ام اقل ام اكثر وقوله
ولنجعلك دخلت الواو لاتصال اللام بفعل محذوف كانه قال ولنجعلك آية للناس فلعلنا ذلك لأن الواو لو اسقطت
اتصلت اللام بالفعل المتقدم كيف في محل نصب على الحال من نشرو او تشرز وذو الحال الضمير المستكن فيه

او على المصدر وننشزها جملة في موضع الحال من انظر وذو الحال العظام

﴿ المعنى ﴾

(او كالذي مر) اي او هل رأيت كالذي مر ومعناه ان شئت فانظر في قصة الذي حاج ابراهيم وان شئت فانظر الى قصة الذي مر (على قرية) وهو عزيز عن قتادة وعكرمة والسدي وهو المروي عن ابي عبد الله وقيل هو ارميا عن وهب وهو المروي عن ابي جعفر وقيل هو الحضرمي عن ابن اسحاق والقرية التي مر عليها هو بيت المقدس لما خربه بخت نصر عن وهب وقاتدة والربيع وعكرمة وقيل هي الارض المقدسة عن الضحاك وقيل هي القرية التي خرج منها الالوف حذر الموت عن ابن زيد (وهي خاوية على عروشها) اي خالية وقيل خراب عن ابن عباس والربيع والضحاك وقيل ساقطة على ابنتها وسقوفها كأن السقوف سقطت ووقعت البنبان عليها قال (اني يحیی هذه الله بعد موتها) اي كيف يعمر الله هذه القرية بعد خرابها وقيل كيف يحيي الله اهلها بعد ما ماتوا واطلق لفظ القرية واراد به اهلها كقوله واسئل القرية ولم يقل ذلك انكارا ولا تعجبا ولا ارتيابا ولكنه احب ان يريه الله احياءها مشاهدة كما يقول الواحد منا كيف يكون حال الناس يوم القيامة وكيف يكون حال اهل الجنة في الجنة وكيف يكون حال اهل النار في النار وكقول ابراهيم رب ارنى كيف تحيي الموتى احب ان يريه الله احياء الموتى مشاهدة ليحصل له العلم به ضرورة كما حصل العلم دلالة لأن العلم الاستدلالي ربما اعتورته الشبهة (فأما الله مائة عام) اي مائة سنة (ثم بعثه) اي احياءه كما كان (قال كم لبثت) في التفسير انه سمع ندا من السماء كم لبثت يعني في مبيتك ومنامك وقيل ان القائل له نبي وقيل ملك وقيل بعض المعمرين ممن شاهده عند موته وحيائه (قال لبثت يوما او بعض يوم) لان الله اماته في اول النهار وحياه بعد مائة سنة في آخر النهار فقال يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال او بعض يوم فقال (بل لبثت مائة عام) معناه بل مكثت في مكانك مائة سنة (فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) اي لم تغيره السنون وانما قال لم يتسنه على الواحد لأنه اراد به جنس الطعام والشراب اي انظر الى ما تركته انه لم يتسنه وقيل اراد به الشراب لانه اقرب الى المذكورين اليه وقيل كان زاده عصيرا وتينا وعنبا وهذه الثلاثة اسرع الاشياء تغيرا وفسادا فوجد العصير حلوا والتين والعنب كما جنيا لم يتغيرا (وانظر الى حمارك) معناه انظر اليه كيف تفرق اجزائه وتبدد عظامه ثم انظر كيف يحييه الله وانما قال له ذلك ليستدل بذلك على طول معامته (ولنجعلك آية للناس) فعلنا ذلك وقيل معناه فعلنا ذلك اجابة لك الى ما اردت ونصا. ولنجعلك آية للناس اي حجة للناس في البعث (وانظر الى العظام كيف ننشزها) كيف نحياها وبالزاي كيف نرفعها من الارض فنردها الى اماكنها من الجسد وتركب بعضها على بعض (ثم نكسوها) اي نلبسها (لحما) واختلف فيه فقيل اراد عظام حماره عن السدي وغيره فعلى هذا يكون تقديره وانظر الى عظام حمارك وقيل اراد عظامه عن الضحاك وقاتدة والربيع قالوا اول ما احيا الله منه عينه وهو مثل غرقى البيض فجعل ينظر الى العظام البالية المتفرقة تجتمع اليه والى اللحم الذي قد اكلته السباع الذي يأتلف الى العظام من هاهنا ومن هاهنا ويلتزم ويلتزم بها حتى قام وقام حماره (فلما تبين له) اي ظهر وعلم وانما علم انه مات مائة سنة بشيئين ﴿ احدى ﴾ ﴿ باخبار من ارادة الآية المعجزة في نفسه وحماره وطعامه وشرابه وتقطع اوصاله ثم اتصال بعضها الى بعض حتى رجع الى حالته التي كان عليها في اول امره ﴿ والاخر ﴾ انه علم ذلك بالآثار الدالة على ذلك لما رجع الى وطنه فرأى ولد ولده شيوخا وقد كان خلف آباءهم شبابا الى غير ذلك من الامور التي تغيرت والأحوال التي تقلبت وروي عن علي (ع) ان عزيزا خرج من اهله وامراته حامل وله خمسون سنة فأماته الله مئة سنة ثم بعثه فرجع الى اهله ابن خمسين سنة وله ابن له مائة سنة فكان ابنه اكبر منه فذلك من آيات الله وقيل انه رجع وقد احرق بختنصر التوراة فأملأها من ظهر قلبه فقال رجل

منهم حدثني أبي عن جدي انه دفن التوراة في كرم فإن رأيتوني في كرم جدي اخرجتها لكم فاروه فاخرجها
فعارضوا ذلك بما املى فما اختلفا في حرف فقالوا ما جعل الله التوراة في قلبه الا وهو ابنه فقالوا عزيز ابن الله (قال)
اي قال المار على القرية (اعلم) اي اتيقن ومن قرأ علم فمعناه على ما تقدم ذكره من انه يخاطب نفسه وقيل انه
امر من الله تعالى له (ان الله على كل شيء قدير) اي لم اقل ما قلت عن شك وارتياب ويحتمل انه إنما قال ذلك
لأنه زاد بما شاهد وعين يقينا وعلما اذ كان قبل ذلك علم استدلال فصار علمه ضرورة ومعاينة

قوله تعالى (٢٦٠) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ انِّي كَيْفَ تَحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ
قَالَ بَلَىٰ وَأَكُنْ بِرِيطْمَيْنِ ۗ قَالِي قَالَ فَخُذْ اَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ اليك ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ
جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا رَبِّ نَكَّ سَمِيًّا وَاَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وعمزة وخلف ورويس عن يعقوب فصرهن بكسر الصاد والباقون فصرهن بضم الصاد وروي في الشواذ
عن ابن عباس فصرهن بكسر الصاد وتشديد الراء وفتحها وعن عكرمة نصرهن بفتح الصاد وكسر الراء وتشديدها
وقرأ عاصم في رواية ابي بكر جزأ مثقلا مهموزا حيث وقع وقرأ ابو جعفر جزأ مشددا والباقون بالهمز والتخفيف

﴿ الحجة ﴾

يقال صرته اصوره اي املته ومنه قول الشاعر ﴿ يصور عنوقها احوى زنيم ﴾ اي يميل عنوق هذه الغنم
تيس احوى وصرته اصوره قطعته قال ابو عبيدة فصرهن من الصور وقال هو القطع وقال ابو الحسن وقد قالوا
بمعنى القطع صار يصير ايضا قال الشاعر

وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدوالح

ومعنى هذا يميل الجيد من كثورته فقد ثبت ان الميل والقطع يقال في كل واحد منهما ايضا صار يصير فمن
جعل فصرهن اليك بمعنى املهن اليك حذف من الكلام والمعنى املهن اليك فقطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن
جزأ فحذف الجملة لدلالة الكلام عليها كما حذف من قوله اضرب بعصاك البحر فانطلق اي فضرب فانطلق ومن
قدر فصرهن على معنى فقطعهن لم يحتاج الى اضمار ويحتمل كلا الوجهين كل واحد من القراءتين على ما ذكرناه
وقوله اليك ان جعلت صرهن بمعنى فقطعهن كان اليك متعلقا بخذاي خذ اليك اربعة من الطير فقطعهن ثم اجعل
وان جعلته بمعنى املهن احتمل اليك ان يكون متعلقا بخذ وان يكون متعلقا بصرهن وقياس قول سيبويه
ان يكون متعلقا بقوله فصرهن لأنه اقرب اليه ومن قرأ فصرهن بكسر الصاد وتشديد الراء فانه يكون من
صره يصره اي قطعه والمتعدي من هذا الباب قليل وقد روي عن عكرمة ايضا فصرهن بضم الصاد فيكون من
صره يصره وهذا على القياس ومن قرأ فصرهن فهو فعلهن من صرى يصري تصرية اذا حبس وقطع قال

رب غلام قد صرى في فقرته ماء الشباب عنفوان شرته

اي حبسه وقطعه ومنه الشاة المصرة اي المحبوسة اللبن المقطوعة في ضرعها عن الخروج واما الوجه في قراءة
من قرأ جزأ بالثقل فقد ذكرنا عند قوله تعالى قالوا اتخذنا هزا ومن قرأ جزأ بالتشديد فأصله جزأ ثم خفف
همزته ثم إنك إذا خففت كان لك السكون وان شئت الإشمام فنقول الجزو وإن شئت التشديد (فتقول) الجز
ثم انه وصل على وقفه قال جزا كما قال الشاعر

ببازل وجنأ او عبهل كأن مهواها على الكلكل

فاجرى الوصل مجرى الوقف

اللغة

اطمأن يطمئن توطأ والمطمئن من الأرض ما انخفض وطمأن واطمأن إليه إذا وثق به لسكون نفسه إليه وتوطئ حاله بالأمانة عنده واصل الباب التروطة والطيء معروف وطاريطير طيرانا وطيرورة والباب يدل على خفة الشيء في الهواء ثم يستعار ذلك في غيره وفي كل سرعة وطيء من الطيرة وهو زجر الطير بما يكره وطارير الانسان عمله الذي تقلده من خير او شر لأنه بمنزلة طائر الزجر في البركة والتشوم وفجر مستطير منتشر في الافق وغبار مستطار وفرس مطار حديد الفواد لانه طيار في جريه والجبل وتدمن او تاد الأرض وجبل فلان على كذا اي طبع ورجل ذو جبلة إذا كان غلظ الجسم والجبلة الأمة من الناس واجبل الحافر اذا بلغ الى صلابة لا يمكنه الحفر عندها ومنه اجبل الشاعر اذا صعب عليه القول والجزء بعض الشيء وجزأته بعضته والفرق بين الجزء والسهم ان السهم من الجملة ما ينقسم عليه نحو الاثني عشر من العشرة وقد يقال الجزء لما لا ينقسم عليه نحو الثلاثة من العشرة ولا تنقسم العشرة عليها وان كانت الثلاثة جزءا من العشرة

الإعراب

العامل في إذ في المعنى اذ كر اي او اذ كر هذه القصة من الزجاج ويجوز ان يكون عطفا على قوله ألم ترى الذي حاج ابراهيم أي وألم ترى اذ قال وموضع كيف نصب بقوله تحيي الموتى والمعنى بأي حال تحيي الموتى وقوله ليطمئن قلبي اللام يتعلق بمعنى ارني تقديره أرني ليطمئن قلبي من الطير صفة لأربعة فعلى هذا يكون من التبويض والتبيين ويجوز أن يتعلق بخذ فعلى هذا لا يكون إلا للتبيين منهن اي جزء من كل واحد منهن فلما قدم على جزء وقع موضع النصب على الحال من جزء وقوله سعي مصدر وقع موقع الحال وكأنه قال يسعين سعيًا او ساعات سعيًا

المعنى

ثم ذكر تعالى ما اريه ابراهيم عيانا من احياء الموتى فقال (واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى) اختلف في سبب سؤال ابراهيم هذا على وجوه **احدها** ما قاله الحسن والضحاك وقتادة وهو المروي عن أبي عبد الله انه رأى جيفة تقزقها السباع فيأكل منها سباع البر وسباع الهواء ودواب البحر فسأل الله ابراهيم فقال يارب قد علمت انك تجمعها من بطون السباع والطيور ودواب البحر فأرني كيف تحييها لأعين ذلك **وثانها** ما روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي ان الملك بشر ابراهيم (ع) بأن الله قد اتخذه خليلا وأنه يجيب دعوته ويحيي الموتى بدعائه فسأل الله تعالى ان يفعل الله ذلك ليطمئن قلبه بانه قد اجاب دعوته واتخذه خليلا **وثالثها** ان سبب السؤال منازعة غرود اياه في الاحياء إذ قال انا احيي وأميت واطلق محبوسا وقتل انسانا فقال ابراهيم ليس هذا يا احياء وقال يارب أرني كيف تحيي الموتى ليعلم غرود ذلك وروي ان غرود توعد بالقتل ان لم يحيي الله الميت بحيث يشاهده فلذلك قال ليطمئن قلبي اي بان لا يقتلني الجبار عن محمد بن اسحاق بن يسار **ورابعها** أنه احب ان يعلم ذلك علم عيان بعد ان كان عالما به من جهة الاستدلال والبرهان لتزول الخواطر ووسوس الشيطان وهذا أقوى الوجوه (قال أو لم تؤمن) هذه الألف استفهام ويراد به التقرير كقول الشاعر

ألستم خير من ركب المطايا واندي العالمين بطون راح

أي قد آمنت لامحالة فلم تسأل ذا وهذه الألف إذا دخلت على الاثبات فالمراد النفي كقوله أنت قلت للناس أي لم تقل (قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) أي بلى أنا مؤمن ولكن سألت ذاك لازداد يقينا الى يقيني عن

الحسن وقتادة ومجاهد وابن جبير وقيل لأعين ذلك ويسكن قلبي الى علم العيان بعد علم الاستدلال وقيل ليظمن قلبي بأنك قد اجبت مسئلتني واتخذتني خليلا كما وعدتني (قال فخذ أربعة من الطير) مختلفة الاجناس وإنما خص الطير من بين سائر الحيوانات لخاصية الطيران وقيل انها الطاووس والديك والحمام والغراب أمر أن يقطعها ويخلط ريشها بدها هذا قول مجاهد وابن جريج وعطاء وابن زيد وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) (فصرهن اليك) اي قطعهن عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقيل معناه اضمهن اليك عن عطاء. وابن زيد وقد تقدم بيانه في وجه القراءة (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ثم ادعهن يأتينك سعيا) وروي عن ابي عبد الله (ع) ان معناه فرقهن على كل جبل وكانت عشرة اجبل ثم خذ بمناقيرهن وادعهن باسمي الاكبر وحلفهن بالجبروت والعظمة يأتينك سعيا ففعل ابراهيم ذلك وفرقهن على عشرة اجبل ثم دعاهن فقال اجبن ياذن الله فكانت تجتمع ويأتلف لحم كل واحد وعظمه الى رأسه وطارت الى ابراهيم وقيل ان الجبال كانت سبعة عن ابن جريج والسدي وقيل كانت اربعة عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل اراد كل جبل على العموم بحسب الإمكان كأنه قال فرقهن على كل جبل يمكنك التفرقة عليه عن مجاهد والضحاك ويسأل فيقال كيف قال ثم ادعهن ودعاء الجراد قبيح وجوابه أنه اراد بذلك الإشارة اليها والايمان. لتقبل عليه إذا احيها الله وقيل معنى الدعاء. هاهنا الاخبار عن تكوينها احياء كقوله سبحانه كونوا قردة خاشعين وقوله اتيا طوعا او كرها عن الطبري وقول من قال أنه جعل على كل جبل طيرا ثم دعاها بعيد من الصواب والفائدة لأنه إنما طلب بالعلم به كونه قادرا على احياء الموتى عيانا وليس في إتيان طائر حي اليه بالايمان. ما يدل على ذلك وفي الكلام حذف فكأنه قال فقطعن ثم اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزأ فإن الله يحييهن فإذا احياهن فادعهن فيكون الايمان اليها بعد أن صارت احياء. ففعل ابراهيم ذلك فنظر الى الريش يسعى بعضها الى بعض وكذلك العظام واللحم ثم اتينه مشيا على ارجلهن فتلقي كل طائر رأسه وذلك قوله يأتينك سعيا وذكر عن النضر بن شميل قال سألت الخليل بن احمد عن قوله تعالى يأتينك سعيا هل يقال للطائر إذا طار سعى فقال لا قلت فما معناه قال معناه يأتينك وأنت تسعى سعيا (واعلم ان الله عزيز) أي قوي لا يعجز عن شيء (حكيم) في افعاله وأقواله وقيل عزيز يذل الأشياء له ولا يمتنع عليه شيء حكيم افعاله كلها حكمة وصواب وما يسأل في هذه الآية ان يقال كيف اجيب ابراهيم إلى آيات الاخرة دون موسى في قوله (ارنى انظر اليك) وجوابه من وجهين ﴿ احدهما ﴾ انه سأل آية لا يصح معها بقا التكليف من وقوع الضرورة التي لا يعترضها الشكوك بوجه وإبراهيم إنما سأل في شيء خاص يصح معه التكليف ﴿ والآخر ﴾ ان الأحوال قد تختلف فيكون الأصلح في بعض الأحوال الإجابة وفي بعضها المنع فيما تقدم فيه إذن

قوله تعالى (٢٦١) **مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ مَنبَعًا سَائِلًا فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (آية)**

﴿ اللغة ﴾

النبت الحشيش وكل ما ينبت من الأرض يقال نبت نباتا وانبته الله انباتا والينبوت شجر الحشخاش وانبث القلام إذا راحق واستبان شعر عانته والسنبلة على وزن فنقلة كقولهم اسبل الزرع بمعنى سنبل اذا صار فيه السنبل والاصل فيه الإسبال وهو ارسال الستر ونحوه فكما يسترسل الستر بالإسبال يسترسل الزرع بالسنبل ولأنه صار فيه حب مستور كما يستر بالإسبال والمائة معروفة يقال أمات الغنم اذا بلغت مائة وامابتها انا أي وفيتها مائة والمأي الفساد بين القوم

المعنى

(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) قيل تقديره مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم كمثل حبة وقيل تقديره مثل الذين ينفقون كمثل زارع حبة وسبيل الله هو الجهاد وغيره من ابواب البر كلها على ما تقدم بيانه فالآية عامة في النفقة في جميع ذلك وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) واختاره أبو علي الجبائي وقيل هي خاصة بالانفاق في الجهاد فاما غيره من الطاعات فانها يجزى بالواحد عشرة امثالها (كمثل حبة انبتت) اي اخرجت (سبع سنابل في كل سنبله مئة حبه) يعني ان النفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف ومتى قيل هل رأى في سنبله مئة حبة حتى يضرب المثل بها فجوابه ان ذلك متصور وان لم ير كقول امرئ القيس * ومسنونة زرق كانياب اغوال * وقوله تعالى طلعتها كأنها روثوس الشياطين وايضا فقد رأى ذلك في الجاورس ونحوه (والله يضاعف لمن يشاء) أي يزيد على سبعمائة لمن يشاء وقيل معناه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء. وروي عن ابن عمر انه قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله (ص) رب زد امتي فقل قوله من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له اضعافاً كثيرة قال رب زد امتي فقل إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله (والله واسع) اي واسع القدر لا يضيق عنه ما شاء. من الزيادة وقيل واسع الرحمة لا يضيق عن المضاعفة (عليهم) بما يستحق الزيادة عن ابن زيد وقيل عليهم بما كان من النفقة وبنية المنفق وما يقصده من الانفاق

النظم

اتصلت هذه الآية بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً وما بين الآيتين اعتراض بالاستدعاء الى الحق وبيان الحجج والبرهان عن علي بن عيسى وقيل لما قص تعالى ما فيه البرهان على التوحيد وما أتى رسله من البينات حث على الجهاد واعلم ان من عاند بعد هذه الدلالات يجب قتاله فحث على قتال من كفر بعد هذا البرهان وبين أن في جهادهم والنفقة فيهم الثواب العظيم عن الزجاج

قوله تعالى (٢٦٢) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (آية)

اللغة

المن هو ذكر ما ينقص المعروف كقول القائل احسنت الى فلان وانعشته ونحو ذلك وأصل المن القطع ومنه قوله لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع ومنه قولهم جبل منين اي ضعيف لانه مقطوع وسمي ما يكدر المعروف بأنه منة لانه يقطع الحق الذي يجب به والمنة النعمة العظيمة سميت بذلك لأنها تجعل عن قطع الحق بها لعظمتها والمنة القوة في القلب والمن الذي يقع من السماء والمن الذي يوزن به لانه يقطع على مقدار مخصوص والاذى ضرر يتعجل وصوله الى المضرور والحرف توقع الضرر وهو يرجع الى الاعتقاد والحزن الغم السذي يفاظ على النفس

المعنى

لما أمر الله تعالى بالانفاق عقبه ببيان كيفية الإنفاق فقال (الذين ينفقون) أي يخرجون (أموالهم في سبيل الله) وقد تقدم بيانه (ثم لا يتبعون ما أنفقوا) أي نفقاتهم (مناً) أي منة على المعطى (ولا أذى) والمن هو أن يقول له ألم أعطك كذا ألم أحسن اليك ألم أغنك ونحوها والاذى أن يقول أراحني الله منك ومن ابتلائي بك ويحتمل

أن يكون معنى الأذى أن يعبس وجهه عليه أو يتعبه أو يؤذيه فيما يدفعه إليه أو يصرفه في بعض اشغاله بسبب انفاقه عليه فكل هذا من المن والأذى الذي يكدر الضيعة وينقص النعمة ويبطل الأجر والمشوبة وقوله (لهم أجرهم عند ربهم) إلى آخره قد مر تفسيره وقيل معناه لهم جزاء أعمالهم عند ربهم وإنما قال عند ربهم لتكون النفس اسكن إليه وأوثق به لأن ما عنده لا يخاف عليه فوت ولا نقص (ولا خوف عليهم) من فوت الأجر ونقصانه يوم القيامة (ولا هم يحزنون) لفوته ونقصانه وفي هذه الآية دلالة على انه يصح الوعد بشرط لأن مفهوم الكلام أن تقديره في المعنى ان لم يتبعوا ما أنفقوا من أجله ولا أذى فلهم من الأجر كذا والوعد إذا كان مشروطا فتمى لم يحصل الشرط لم يحصل استحقاق الثواب وقد روي عن النبي (ص) انه قال المنان بما يعطي لا يكلمه الله ولا ينظر إليه ولا يذكبه وله عذاب أليم

قوله تعالى (٢٦٣) قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ







اللسنة

الغني الواسع الملك والله غني بأنه مالك لجميع الأشياء لأنه قادر عليها لا يتعذر عليه شيء منها والغنى ضد الحاجة يقال غني يغني غنا واستغنى وأغناه الله والعناء الكفاية للغنى به عن غيره والغنية الاستغناء وقد غني القوم إذا تزلوا في مكان يغنيهم والمكان الذي يتزلون به معنى وقد غنى فلان غنا. إذا بالغ في التطريب وفي الانشاد حتى يستغني. الشعران يزداد في نغمة وقد غنيت المرأة غنيا قال قيس بن الحظيم

أجد بعمرة غنيانها فتعجز أم شأننا شأنها

غنيانها غناؤها والغواني النساء لأنهن غنين بجمالهن وقيل بأزواجهن والحليم مرد ذكره

المعنى

(قول معروف) أي كلام حسن جميل لا وجه فيه من وجوه القبح يرد به السائل وقيل معناه دعاء صالح نحو ان يقول صنع الله بك وأغناك الله عن المسألة وأوسع الله عليك الرزق وأشبه ذلك وقيل معناه عدة حسنة وقيل قول في إصلاح ذات البين عن الضحاك (ومغفرة) قيل فيه اقوال  احدها  ان معناه سلامة من المعصية لأن حالها كحال المغفرة في الأمان من العقوبة عن الجاني  وثانيها  ان معناه ستر على السائل وسؤاله  وثالثها  ان معناه عفو المسؤول عن ظلم السائل عن الحسن وعلى هذا فيكون ظلم السائل أن يسأل في غير وقته أو يلحف في سؤاله أو يسيء الأدب بأن يفتح الباب أو يدخل الدار بغير إذن فالعفو عن ظلمه (خير من صدقة) يتبعها أذى وإنما صار القول المعروف والعفو عن الظلم خيرا من الصدقة التي (يتبعها أذى) لأن صاحب هذه الصدقة لا يحصل على خير لا على عين ماله في دنياه ولا على ثوابه في عقباه والقول بالمعروف والعفو طاعتان يستحق الثواب عليهما وقد روي عن النبي (ص) انه قال إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسأله حتى يفرغ منها ثم ردوا عليه بوقار ولين اما بذل يسير او رد جميل فإنه قد يأتيكم من ليس بأنس ولا جان ينظرون كيف صيبتكم فيما حولكم الله تعالى (والله غني) عن صدقاتكم وعن جميع طاعاتكم لم يأمركم بها ولا بشيء منها حاجة منه إليها وإنما أمركم بها ودعاكم إليها حاجتكم إلى ثوابها (حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة وقيل لا يعجل بالعقوبة على من يئد ويؤذي بصدقته ولو وقع هاهنا موقع حليم حميد او عليهم لم يحسن

قوله تعالى (٢٦٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِيقًا نَّاسٍ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ

فَأَصَابَهُ وَاِبِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (آية)

اللغة

الرناء والمرءة أصله من الروبة كأنه يفعل ليرى غيره ذلك وجمع في رناء الناس بين همزتين ولا يجمع في ذوائب وإن حال بينهما الألف في كلا الموضعين لحنة الواحد ولا نهما مفتوحان في الواحد فهو أخف لها والصفوان واحده صفوانة مثل سعدان وسعدانة ومرجان ومرجانة وهي الحجر الأملس والصفاء بمعنى الصفوان وذكر الكسائي في جمع صفوان صفي وأنكر ذلك المبرد وقال إنما هو جمع صفا مثل عصي وعصا وقفي وقفا والتراب والتراب واحد وترب الرجل إذا لصق بالتراب من الفقر ومنه قوله مسكينا ذا متربة لأنه قعد على التراب للفقر واترب الرجل إذا صار ماله بعدد التراب والتراب اللسنة وقيل فيه اقوال منها ان الاتراب خرجوا إلى التراب في وقت من الزمان ومنها انهم صيان يلعبون في التراب ومنها انهم في الاشتباه كالتراب. والترائب عظام الصدر لأنها متشابهة والوابل المطر الشديد الوقع وبلت السماء تبل وبلا والوبيل الشديد والوبال سوء العاقبة وأصل الباب الشدة والصلد الحجر الأملس قال الشاعر

ولست يجلب جلب ريح وقرّة ولا بصفاء صلد عن الخير معزل

والصلد من الأرض ما لا ينبت شيئا لصلابته والصلد البخيل وصد الزند صلودا إذا لم يور نارا وفرس صلود إذا ابطأ عرقه وقدر صلود إذا ابطأ عليها وأصل الباب ملامسة في صلابة

الإعراب

الكاف في قوله كالذي ينفق ماله في موضع نصب على الحال من الواو في تبطلوا. رناء الناس مصدر وضع موضع الحال من الضمير في ينفق تقديره ينفق ماله مرثيا ويجوز أن يكون مفعولا له. عليه تراب جملة في موضع جر بكونه صفة مطابقة وصلدا حال من تركه وذو الحال الماء ولا يقدرون جملة فعلية في موضع الحال والواو عائد إلى معنى الذي لأنه جنس لا إلى لفظه

المعنى

ثم أكد تعالى ما قدمه بما ضرب من الأمثال فقال (يا ايها الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن) أي بالمنة على السائل وقيل بالمنة على الله (والأذى) بمعنى أذى صاحبها ثم ضرب تعالى مثلا لعمل المنان وعمل المنافق جميعا فإنها إذا فعلا الفعل على غير الوجه المأمور به فإنهما لا يستحقان عليه ثوابا وهذا هو معنى الإبطال وهو إيقاع العمل على غير الوجه الذي يستحق عليه الثواب فقال (كالذي ينفق ماله رياء الناس) هذا يدخل فيه المؤمن والكافر إذا أخرجوا المال للرياء (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) هذا للكافر خاصة أي لا يصدق بوحدة الله ولا بالبعث والجزاء وقيل انه صفة للمنافق لأن الكافر معلن غير مرء وكل مرء كافر أو منافق (فمثل كمثل صفوان) أي حجر أملس (عليه تراب فأصابه وابل) أي مطر عظيم القطر شديد الوقع (فتركه صلدا) حجرا صلبا أملس شبه سبحانه فعل المنافق والمنان بالصفاء الذي أزال المطر ما عليه من التراب فإنه لا يقدر أحد على رد ذلك التراب عليه كذلك إذا دفع المنان صدقة وقرن بها المن فقد أوقعها على وجه لا طريق له إلى استرداكه وتلافيه لوقوعها على الوجه الذي لا يستحق عليه الثواب فإن وجه الأفعال تابعة لحدوث الأفعال فإذا فاتت فلا طريق إلى تلافيتها وليس في الآية ما يدل على ان الثواب الثابت المستقر يبطل

ويزول بالمن فيا بعد ولا بالريا الذي يحصل فيا يستقبل من الأوقات على ما قاله اهل الوعيد (لا يقدرُونَ على شيء مما كسبوا) ان لا يقدر هو لا . على نفقتهم ولا على ثوابها ولا يعلمون اين النفقة واين ثوابها ولا يحصلون منها على شيء كما لا يحصل احد على التراب اذهبه المطر عن الحجر فقد تضمنت الآية والآي التي قبلها الحث على الصدقة وإنفاق المال في سبيل الخير وابواب البر ابتغاء مرضاة الله والنهي عن المن والأذى والرياء والسعة والتفان والخبر عن بطلان العمل بها ومما جاء في معناه من الحديث مارواه ابن عباس عن النبي (ص) قال إذا كان يوم القيامة نادى مناد يسمع اهل الجمع اين الذين كانوا يعبدون الناس قوموا خذوا أجوركم ممن عملتم له فإني لأقبل عملا خالطه شيء من الدنيا واهلها وروي عن أبي عبد الله (ع) قال قال رسول الله من أسدى إلى مؤمن معروفًا ثم آذاه بالكلام أو من عليه فقد أبطل الله صدقته ثم ضرب فيه مثلا فقال كالذي ينفق ماله رياء الناس إلى قوله الكافرين وقال ابو عبد الله (ع) ما من شيء أحب إلي من رجل سلفت مني إليه يد اتبعته أختها وأحسن رقبها له لأنني رأيت منع الأخر يقطع لسان شكر الاوائل (والله لا يهدي القوم الكافرين) اي لا يشيب الكافرين على اعمالهم إذ كان الكفر محبطا لها ومانعا من استحقاق الثواب عليها وإنما يشيب المؤمنين الذين يوقعون اعمالهم على الوجوه التي يستحق بها الثواب وقيل معناه لا يهديهم إلى الجنة بأعمالهم كما يهدي المؤمنين وقيل معناه لا يعطيهم ما يعطي المؤمنين من زيادة الاطاف والتوفيق

قوله تعالى (٢٦٥) **مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَشْيِئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (آية)**

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم وابن عامر بربوة بفتح الراء والباقون بضمها وروي في الشواذ عن ابن عباس بكسر الراء وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمر وأكلها بالتخفيف والباقون بالتثنية

﴿ اللغة ﴾

الربوة والربوة والربوة بالحركات الثلاث في الراء والرباوة الربية قال ابو الحسن والذي تختاره ربوة بضم الراء ويؤيد هذا الاختيار قولهم ربا في الجمع والأكل المأكول يدل على ذلك قوله تعالى توتني أكلها كل حين اي ما يؤكل منها قال الاعشى

جندك التالد الطريف من السا

دات أهل القباب والآكال

فالاكال جمع اكل مثل عنق واعناق والأكل الفعل والأنكلة الطعمة والأنكلة الواحدة قال الشاعر

فأأكلة إن نلتها بغنيمة

ولا جوعة إن جمعتها بغرام

فتتح الألف من التعللة بدلالة قوله ولا جوعة وإن شئت ضمنت وعنيت الطعام وقال ابو زيد انه لذ وأكل اي له حظ ورزق من الدنيا وضعف الشيء مثله زائدا عليه وضعفه مثله زائدين عليه وقال قوم ضعف الشيء مثله والطل المطر الصغار يقال اطلت السماء فهي مطلة وروضة طل ندية والطل ابطال الدم بأن لا يثار بصاحبه طل دمه فهو مطلول لأنه بمنزلة ما جاء عليه الطل فأذهبه فكانه قيل غسله والطل ما شخص من الدار لأنه كموضع الندى بالطل لعامة الناس له خلاف المستوى القفر لأن الحصب حيث تكون الأبنية وصار الطلل اسما لكل شخص والاطلال الاشراف على المشي وما بالناقة طلل اي بها طرق وهو الشحم وطللة الرجل امرأته واصل الباب الطل المطر

﴿ الإعراب ﴾

ابتغاء مرضاة الله مفعول له وتثبيتا معطوف عليه بربوة الجار والمجرور في موضع الصفة لجنة واصابها وابل في موضع جر لأنها صفة بعد صفة وضعين حال من أكل قاله الزجاج ارتفع ظل على معنى فإن لم يصبها وابل فالذي يصبها ظل فعلى هذا يكون خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون فاعل فعل مقدر أي فيصبيها ظل

﴿ المعنى ﴾

(ومثل الذين ينفقون) أي يخرجون (أموالهم) في أعمال البر (ابتغاء مرضات الله) أي طلبا لرضا الله (وتثبيتا من أنفسهم) بقوة اليقين والبصيرة في الدين عن سعيد بن جبير والسدي والشعبي وقيل معناه انهم يشبثون أي يصنعون صدقاتهم عن الحسن ومجاهد وقيل معناه وتوطينا لنفوسهم على الثبوت على طاعة الله عن أبي علي الجبائي واعترض على الحسن ومجاهد بأنه لم يقل وتثبيتا وليس هذا بشي لأنهم إذا ثبتوا أنفسهم فقد ثبتوا وقوله (كمثل جنة ربوة) معناه كمثل بستان لمرتفع من الأرض وإنما خص الربوة لأن نبتها يكون احسن وربوها أكثر من المستغل الذي يسيل الماء اليه ويجتمع فيه فلا يطيب ريعه ألم تر إلى قول الأعمش

ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل

فخص بها الحزن للمعنى الذي ذكرناه (أصابها وابل) أي أصاب هذه الجنة مطر شديد (فأتت أكلها ضعفين) أي فأعطت غلتها ضعفي ما تعطي إذا كانت بأرض مستغلة ويحتمل أن يكون معناه مرتين في كل سنة واحدة كما قال سبحانه توتى أكلها كل حين بإذن ربها ومعناه كل ستة أشهر فيأروي قال ابو عبد الله (ع) معناه يتضاعف أجر من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله (فإن لم يصبها وابل) أي مطر شديد (فظل) أي أصابها مطر لين أراد به ان خيرها لا يخلف على كل حال ولا يرى العبار عليها على كل حال وإنما ارتفع فظل على تقدير فالذي يصبها ظل (والله بما تعملون بصير) معناه عالم بأفعالكم فيجازيكم بحسبها وقيل عالم بالمراحمي والمخلص وفيه ترغيب وترهيب

قوله تعالى (٢٦٦) أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتيها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضففا فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون (آية)

﴿ اللفظة ﴾

الجنة البستان الكثير الشجر لأن الشجر يجمعه بكثرة فيه والنخيل معروف وقيل انه مأخوذ من نخل المنخل لاستخلافه كاستخلاص اللباب بالنخل والنخل جمع نخلة وهي شجرة التمر ويذكر ويونث قال الله سبحانه كأنهم اعجاز نخل خاوية واعجاز نخل منقعر والانتخال الاختيار والتنخل التخيير واصل اللباب النخل للدقيق والعنب ثمر الكرم ورجل عانب وعنب ورجل عناب عظيم الأنف وتحت نقيض فوق وفي الحديث لا تقوم الساعة حتى يظهر التحوت أي الذين كانوا تحت اقدام الناس لا يشعر بهم ذلا والأنهار جمع النهر وهو المجرى الواسع من مجاري الماء والاصابة الوقوع على المقصد والكبر حال زائدة على مقدار آخر والفرق بين الكبير والكثير ان الكثير مضمن بعدد وليس كذلك الكبير تقول دار واحدة كبيرة ولا يجوز كثيرة والضعف يجمع على ضعفا والاعصار غبار يلتف بين السماء والأرض كالتفاف الثوب في العصر قال الشاعر

﴿ ان كنت ردحا فقل لا قيت اعصارا ﴾ والمعصرات السحب والفكر جولان القلب بالخواطر يقال افكر وفكر وتفكر بمعنى

﴿ الاعراب ﴾

قوله أيود أحدكم أن تكون عطف عليه باض فقال وأصابه الكبر قال الفراء يجوز ذلك في يود لأنها تتلقى مرة بلو ومرة بأن فجاز ان يقدر احدهما مكان الأخرى لاتفاق المعنى فكأنه قال أيود أحدكم لو كانت له الجنة قال علي بن عيسى وعندني انه قد دل بأن على الاستقبال ويتضمن الكلام معنى لو على التمني كأنه قال قيل أوجب أحدكم متمنيا له والتمني يقع على الماضي والمستقبل ألا ترى أنه يصح أن يتمنى أن كان له ولد ويصح أن يتمنى أن يكون له ولد والمجبة لا تقع إلا على المستقبل والفرق بين المودة والمجبة أن المودة قد تكون بمعنى التمني نحو قولك أود لو قدم زيد بمعنى أتمنى لو قدم ولا يجوز أحب لو قدم ومن في قوله من نخيل للتبيين وهو في موضع رفع صفة لجنة تجري من تحتها الأنهار جملة في موضع رفع بكونها صفة لجنة إذا عادت الها إلى الجنة وفي محل جر لكونها صفة لنخيل إذا عادت الها إلى نخيل

﴿ المعنى ﴾

(أيود أحدكم أن تكون له الجنة) أي بستان (من نخيل واعناب تجري من تحتها الأنهار) أي يشتمل على النخيل والاعناب والأنهار الجارية (له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر) أي لحلقه الشيخوخة وطعن في السن (وله ذرية ضعفا) أي اولاد صغار ناقصو القوة (فأصابها) أي أصاب تلك الجنة (اعصار) أي ريح شديدة تهب من الأرض نحو السهام مثل العمود وتسميها الناس الزوبعة (فيه نار) أي في ذلك الاعصار نار (فاحترقت) تلك الجنة وهذا مثل ضربه الله في الحسرة بسلب النعمة واختلف فيه على وجوه ﴿ أحدها ﴾ أنه مثل المرابي في النفقة لانه ينتفع بها عاجلا وينقطع عنه عاجلا اوج ما يكون اليه عن السدي ﴿ وثانيها ﴾ أنه مثل المفرط في طاعة الله تعالى بما لا الدنيا يحصل في الآخرة على الحسرة العظمى عن مجاهد والمراد به ان حاجته الى الاعمال الصالحة كحاجة هذا الكبير الذي له ذرية ضعفا الى ثمار الجنة وقد احترقت فتكون اعظم حسرة لأن الكبير الذي قد ينس من سعي الشباب في كسبه فكان اضعف املا واشد حسرة كذلك من لم يكن له في الآخرة عمل صالح يوصله الى الجنة فحسرتة مثل ذلك ﴿ وثالثها ﴾ أنه مثل الذي يجتم عمله بفساد عن ابن عباس وكل هذه الوجوه تحتلها الآية (كذلك) أي كهذا البيان الذي بين لكم في امر الصدقة وقصة ابراهيم والذي مر على قرية وجميع ما سلف (بين الله لكم الآيات) أي الدلالات التي تحتاجون اليها في امور دينكم (لعلكم تفكرون) أي تنظرون وتفهمون

قوله تعالى (٢٦٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا انْفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَأَنْتُمْ بِالْخَبِيثِ الْآنَ تَغْمِضُونَ فِيهِ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير عن القواس ولا تيمموا بتشديد التاء فيها وفي أخواتها وهي احد وثلاثون موضعا من القرآن والباقيون تيمموا بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

كلاهما بمعنى واحد كأن ابن كثير رد الحرف الساقط في القراءة الاخرى وادغم لانه كان في الاصل تا. ان

تاء المخاطب وتاء الفعل فحذفت تاء الخطاب في القراءة العامة لثلاثي تكرار حرفان مثلان وتحذف الكلمة

اللغة

التييم التعمد قال خفاف (فعمداً على عيني تيممت مالكا) وقال الأعشى

تيممت قيساً وكم دونه من الارض عن مهمه ذي شرن

يقال امت الشيء خفيفة وعيمته وامسته ويمته وتيممته بمعنى اي قصدته ومنه الإمام لأنه المقصود المعتمد والإمام أيضاً خيط البناء لأنه يمدد ويعتمد بالبناء عليه واليم لجة البحر لأنه يعتمد به البعيد من الارض واليام الحمام لأنها يعتمد الى او كارها بحسن هدايتها والخبيث الردي من كل شيء وخبث الفضة والحديد ما نقاه الكبير لأنه ينفي الردي واصله الرداوة والاعماض في البيع الحظ من الثمن ليعب فيه وذلك لاختفاء بعض الثمن بالحظ له والعموض الخفاء غمض يغمض فهو غامض والتغميض للعين اطباق الجفن والغمض النوم والغمض المطمئن من الارض واصل الباب الخفاء والاعماض غمض البصر واطباق جفن على جفن قال رؤبة

ارق عيني عن الاعماض برق سري في عارض نهاض

ثم صار عبارة عن التسامح والتساهل في البيع

الاعراب

قال الفراء الاصل في ان تغمضوا ان مكسورة الهمزة لأن الكلام في معنى الجزاء وهو ان اغمضتم بعض الاعماض اخذتموه ومثل إلا ان يخافا إلا ان يقيا حدود الله وانكر ذلك المحققون قالوا أن هذه التي بمعنى المصدر ونحو ان تأتيني خير ذلك والمعنى ولستم بأخذيه إلا لاغماضكم فيه

النزول

روي عن ابي عبد الله (ع) انها نزلت في اقوام لهم اموال من ربا الجاهلية وكانوا يتصدقون منها فنهاهم الله عن ذلك وأمر بالصدقة من الطيب الحلال وقيل انها نزلت في قوم كانوا يأتون بالحشف فيدخلونه في تمر الصدقة عن علي (ع) والبراء بن عازب والحسن وقتادة

المعنى

لما تقدم ذكر الانفاق وبيان صفة المنفق وانه يجب أن ينوي بالصدقة التقرب وأن يحفظها مما يبطلها من المن والاذى بين تعالى صفة الصدقة والمتصدق عليه ليكون البيان جامعاً فقال (يا ايها الذين آمنوا) مخاطب المؤمنين (أنفقوا) اي تصدقوا (من طيبات ما كسبتم) اي من حلال ما كسبتم بالتجارة عن ابن مسعود ومجاهد وقيل من خياره وجياده ونظيره قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروي عن عبيد بن رفاعة قال خرج علينا رسول الله (ص) فقال يا معشر التجار انتم فجار الا من اتقى وبر وصدق وقال بالمال هكذا وهكذا وقال (ع) تسعة اعشار الرزق في التجارة والجزء الباقي في السابيا وروت عائشة عنه أنه قال اطيب ما اكل الرجل من كسبه ان ولده من كسبه وقال سعيد بن عمير سئل النبي (ص) اي كسب الرجل اطيب قال عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور وقال علي (ع) من اتجر بغير علم ارتطم في الربا ثم ارتطم واختلفوا في ذلك على وجوه فقيل هذا أمر بالنفقة في الزكاة عن عبيدة السلماني والحسن وقيل هو في الصدقة المتطوع بها لأن المفروض من الصدقة له مقدار من القيمة ان قصر عنه كان ديناً عليه الى ان يؤديه بتمامه وان كان مال المزكى كله ردياً فجاز له ان يعطي منه عن الجبائي وقيل وهو الاصح انه يدخل فيه الفرائض والنوافل والمراد به الانفاق في سبيل الخير واعمال البر على العموم وفيه دلالة على أن ثواب الصدقة من الحلال المكتسب اعظم منه من الحلال غير المكتسب وإنما كان

ذلك لأنه يكون اشق عليه (ومما اخرجنا لكم من الأرض) أي وأنفقوا واخرجوا من الغلات والثمار مما يجب فيه الزكاة (ولا تيسموا الخبيث منه تنفقون) أي لا تقصدوا الردي من المال او مما كسبتموه او اخرجه الله لكم من الأرض فتنفقون منه وقيل المراد بالخبيث ههنا الحرام ويقوى القول الأول وقوله (ولستم بأخذيه الا ان تععضوا فيه) لأن الإغماض لا يكون الا في الشيء الردي دون ما هو حرام وفيه قولان ﴿ احدهما ﴾ ان معناه لا تصدقوا بما لا تأخذونه من غرمائكم إلا بالمسامحة والمساهلة فالاغماض هاهنا المساهلة عن البراءة بن عازب ﴿ والآخر ﴾ أن معناه بما لا تأخذونه الا أن تحطوا من الثمن فيه عن الحسن وابن عباس وقتاده ومثله قول الزجاج ولستم بأخذيه الا في وكس فكيف تعطونه في الصدقة (واعلموا ان الله غني) عن صدقاتكم (حميد) أي مستحق للحمد على نعمه وقيل مستحمد الى خلقه بما يعطيهم من النعم أي مستبدع لهم الى ما يوجب لهم الحمد وقيل انه بمعنى الحماد أي انه مع غناه عنكم وعن صدقاتكم يقبلها منكم ويحمدكم عليها وحميد بهذا الموضع اليق من حكيم كما ان حلياً بالآية المتقدمة اليق من حميد لأنه سبحانه لما أمر بالانفاق من طيبات المكاسب بين انه غني عن ذلك وانه يحمد فاعله اذا فعله على ما امره به ومعناه انه يجازيه عليه

قوله تعالى (٢٦٨) الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يُعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الفقر الحاجة وهو ضد الغنى والفقر لغة فيه يقال فقره الله افقاراً وافقر افتقاراً لان الفقر بمنزلة كسر الفقار في تعذر المراد والفقار عظام منتظمة في النخاع تسمى خرز الظهر واحدها فقرة والافقار اعادة الدابة لتركب ثم ترد والفاقرة الداهية لأنها تكسر الفقار ويقال وعدته الخير ووعدته بالخير وعدا وعدة وموعدة وموعدا وموعودا وموعودة والفرق بين الوعد والوعيد ان الوعد في الشر خاصة والوعيد يصلح بالتقييد للخير والشر معا غير أنه اذا اطلق اختص بالخير وكذلك اذا ابهم التقييد كما يقال ووعدته باشيء لانه بمنزلة المطلق والفحشاء الفحش والفاحش البخيل قال طرفه ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد قال علي بن عيسى الفحشاء المعاصي وانما سمي البخيل فاحشاً لانه مسي برده الاضياف والسؤال قال كعب اخي يا اخي لا فاحش عند بيته ولا برم عند اللقاب هيوب

﴿ المعنى ﴾

ثم حذر تعالى من الشيطان المانع من الصدقة فقال (الشيطان يعدكم الفقر) بالنفقة في وجوه البر وبانفاق الجيد من المال وقيل بتأدية الزكاة عليكم في اموالكم (ويأمركم بالفحشاء) أي بالمعاصي وترك الطاعات وقيل بالانفاق من الردي وسماه فحشاً لأن فيه معصية الله تعالى فإن الغني اذا ترك الانفاق على وجه ذوي الحاجات من اقاربه وجيرانه ادى ذلك الى التقاطع (والله يعدكم مغفرة منه) أي يعدكم بالانفاق من خيار المال ان يستر عليكم ويصفح عن عقوبتكم (وفضلاً) أي ويعدكم ان يخلف عليكم خيراً من صدقتكم ويتفضل عليكم بالزيادة في ارزاقكم وروي عن ابن عباس انه قال اثنان من الله واثنان من الشيطان فاللذان من الله المغفرة على المعاصي والفضل في الرزق واللذان من الشيطان الوعد بالفقر والأمر بالفحشاء . وروي عن ابن مسعود انه قال للشيطان لمة وللملك لمة وروي مثله عن ابي عبد الله عليه السلام ثم قال فلمة الشيطان وعده بالفقر وامره بالفحشاء . ولمة المالك امره بالانفاق ونهيه عن المعصية (والله واسع) ذكرنا معناه فيما تقدم وقيل واسع معناه يعطي عن سعة بمعنى ان عطيته لا تضره ولا تنقص خزائنه (عليم) بمن يستحق العطفة ومن لا يستحقها .

قوله تعالى (٢٦٩) **يُوتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُوتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (آيَة)**

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب من يوت بكسر التاء والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

من كسر التاء فإنه اراد من يوتيه الله الحكمة ففاعل يوت الضمير المستكن فيه العائد الى الله كما هو في قوله يوت الحكمة ويؤيد هذه القراءة قراءة الاعمش ومن يوته الله وحذف ضمير المفعول الذي هو الماء العائد الى من الذي هو للجزء وهو في موضع الرفع بالابتداء كما حذف الضمير العائد الى الموصول في نحو قوله اهذا الذي بعث الله رسولا والاولى أن يكون من على هذه القراءة موصولة لتكون بمعنى الذي لا بمعنى الجزء. وأقول وبالله التوفيق يجوز ان يكون من للجزء ههنا ويكون في موضع نصب بكونه مفعولا اولاً ليوتي ولزومه التقديم على الفعل مع كونه مفعولا لنيابته عن حرف الشرط الذي له صدر الكلام ومثله من في قول زهير

رأيت المنايا خبط عشواء من تصبب تته ومن تخطى يعمر فيهم

ومن قرأ ومن يوت بفتح التاء فاسم ما لا يسم فاعله هو الضمير المستكن العائد الى من ويوت مجزوم بمن والجزء فقد أوتي خيرا

﴿ المعنى ﴾

ثم وصف تعالى نفسه فقال (يوتي الحكمة) اي يوتي الله الحكمة (من يشاء) وذكر في معنى الحكمة وجوه قيل انه علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله عن ابن عباس وابن مسعود وقيل هو الاصابة في القول والفعل عن مجاهد وقيل انه علم الدين عن ابن زيد وقيل هو النبوة عن السدي وقيل هو المعرفة بالله تعالى عن عطاء. وقيل هو الفهم عن ابراهيم وقيل هو خشية الله عن الربيع وقيل هو القرآن والفقهاء عن ابي عبد الله (ع) وروي ايضا عن مجاهد وقيل هو العلم الذي تعظم منفعته وتجل فائدته وهذا جامع للأقوال وقيل هو ما آتاه الله انبياءه واممهم من كتابه وآياته ودلالاته التي يدلهم بها على معرفتهم به وبدينه وذلك تفضل منه يوتيه من يشاء عن ابي علي الجبائي وانما قيل للعلم حكمة لأنه يمتنع به عن القبيح لما فيه من الدعاء الى الحسن والزجر عن القبيح ويروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان الله اتاني القرآن واتاني من الحكمة مثل القرآن وما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة الا كان خرابا الا فتفقها وتعلموا فلا تموتوا جهالا (ومن يوت الحكمة) أي ومن يوت ما ذكرناه (فقد أوتي) اي اعطي (خيرا كثيرا) وما يذكر إلا اولو الالباب) اي وما يتعظ بايات الله الا ذوو العقول فإن قيل لم عقد بأولي الالباب التذكر وكل مكلف ذول عقل لم تطلق على جميع المكلفين هذه الصفة لما فيها من المدحة فلذلك عقد التذكر بهم وهم الذين يستعملون ما توجيه عقولهم من طاعة الله في كل ما أمر به ودعا اليه وسمي العقل لبا لأنه انفس ما في الانسان كما ان لب الشجرة انفس ما فيها

قوله تعالى (٢٧٠) **وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (آيَة)**

* اللغة *

النذر هو عقد المرء على النفس فعل شيء من البر بشرط ولا ينعقد ذلك الا بقوله لله علي كذا ولا يشبهت
بغير هذا اللفظ واصل النذر الخوف لأنه يعقد ذلك على نفسه خوف التقصير في الأمر ومنه نذر الدم وهو العقد
على سفكه للخوف من مضرة صاحبه قال عمرو بن معدي كرب

هم يندرون دمي واز نذر ان لقيت بأن اشدا

يقال نذرت النذر انذره وانذره ومنه الإنداروهو الإيلاء بوضع العدو والخوف ليتقى والانصار جمع نصير
مثل شريف واشراف والنصير هو المعين على العدو

* الإعراب *

ما بمعنى الذي وما بعدها صلتها والعائد اليها ضمير المفعول المحذوف من أنفقتم تقديره وما أنفقتموه وهو في
موضع رفع بالابتداء وخبره فإن الله يعلمه والعائد إلى المبتدأ من الخبر الماء في يعلمه ولا يجوز ان يعود إلى
النفقة لأنها مؤنثة ولا إلى النفقة والنذر لأن ذلك يوجب التثنية واقول يجوز أن يكون ما للجزاء ويكون
منصوبا بأنفقتم ولا يحتاج فيه إلى حذف المفعول فيكون التقدير أي شيء أنفقتم أو نذرتم والفاء في موضع الجزاء
من نفقة الجار والمجرور في محل نصب على الحال من أنفقتم وذو الحال ما

* المعنى *

ثم عاد سبحانه إلى ذكر الإنفاق والترغيب فيه فقال (وما أنفقتم من نفقة) أي ما تصدقتم به من صدقة
ما فرض الله عليكم وقيل معناه ما أنفقتم من وجوه الخير وسبل البر من نفقة واجبة أو مندوب اليها (أو نذرتم
من نذر) أي ما أوجبتوه أنتم على أنفسكم بالنذر فوفيتم به من فعل بر مثل صلاة أو صوم أو صدقة ونحو
ذلك (فإن الله يعلمه) معناه يجازي عليه لأنه عالم فدل ذكر العلم على تحقيق الجزاء إيجازاً للكلام (وما للظالمين)
أي ليس للراضعين النفقة والنذر في غير موضعها مثل ان ينفق رياء أو ضرارا أو شقاقا أو من مال مغصوب أو
مأخوذ من غير حله أو بنذر في معصية أو بترك الوفاء به مع القدرة عليه (من انصار) من اعوان يدفعون
عذاب الله عنهم

قوله تعالى (٢٧١) **إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُوتُوها فَقَرَاءٌ**
فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَتُكْفَرُ عَنْكُمْ مِنْ مَسِيئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (آية)

* القراءة *

قرأ ابن عامر واهل الكوفة غير عاصم فنعمها هي بفتح النون وقرأ اهل المدينة غير ورش وابو عمر ويحيى
بكسر النون وسكون العين وقرأ الباقون نعا بكسر النون والعين وكذلك في النساء نعا يعظكم وقرأ اهل
المدينة والكوفة غير عاصم ونكفر بالنون والجزم وقرأ ابن عامر وحفص بالياء والرفع والباقون بالنون والرفع

* الحجة *

من قرأ فنعمها هي فحجته ان أصل الكلمة نعم فجاء بالكلمة على اصلها كما قال ﴿ نعم الساعون في الأمر
المبر ﴾ ومن قرأ فنعمها بسكون العين لم يكن قوله مستقيا عند النحويين لأن فيه الجمع بين ساكنين والأول منهما
ليس بحرف مد ولين والتقاء الساكنين إنما يجوز عندهم هناك نحو دابة واصم(?) وتأمروني لأن ما في الحرف من

المد يصير عوضا من الحركة وقد انشد سيبويه شعرا قد اجتمع فيه الساكنان على حد ما اجتمعا في نعمنا وهو
 كأنه بعد كلال الزاجر ومسحه مر عقاب كاسر
 وانكره اصحابه ولعل من قرأ به أخفى ذلك كآخذه بالإخفاء. في نحو بارتكم فظن السامع الإخفاء.
 اسكانا للطف ذلك في السمع وخفائه ومن قرأ فنعمنا فإنه اتبع العين النون فرارا من الجمع بين ساكنين
 واختار ابو عبيدة قراءة ابي عمرو وقال هي لغة النبي (ص) في قوله لعمر بن العاص نعمنا المال الصالح للرجل الصالح
 هكذا روي في الحديث بسكون العين وقوله ونكفر من رفعه فعلى وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون
 خبر المبتدأ المحذوف وتقديره ونحن نكفر عنكم ﴿ والآخر ﴾ ان يكون كلاما مستأنفا مقطوعا
 مما قبله ولا يكون الحرف العاطف للاشتراك ويكون لعطف جملة على جملة واما من جزم فإنه يحمله على موضع
 فهو خير لكم ومثله قراءة من قرأ من يضل الله فلا هادي له ويذرهم لأن قوله فلا هادي له في موضع
 جزم مثل قوله فهو خير لكم وأما الياء والنون في قوله ونكفر فن قال ونكفر فلان ما بعده على لفظ الافراد
 ومن قال ونكفر فإنه اتى بلفظ الجمع ثم افرد كما اتى بلفظ الافراد ثم جمع في قوله تعالى سبحان الذي
 أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ثم قال باركنا حوله لتزيه من آياتنا

﴿ اللغة ﴾

الفرق بين الصدقة والزكاة ان الزكاة لا تكون إلا فرضا والصدقة قد تكون فرضا وقد تكون نفلا
 والاختفاء الستر والخفي الإظهار خفا يخفيه خفيا اي أظهره قال امرئ القيس
 فإن تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد
 والخوافي من الريش ما دون القوامد لأنها تخفي بها والخفية عرين الأسد لأنه يخفي فيها واصل الباب
 الستر والابداء والاعلان نظائر والإخفاء والأسرار والإغماض نظائر

﴿ الأعراب ﴾

قوله فنعمنا هي تقديره ان تبدوا الصدقات فنعم شيئا ابدؤها فإها هنا مكررة موصوفة وهي في موضع نصب لأنه
 تفسير الفاعل المضمر قبل الذكر في نعم والابداء هو المخصوص بالمدح فحذف المضاف الذي هو الابداء واقيم
 المضاف اليه الذي هو ضمير الصدقات مقامه لما في الكلام من الدلالة عليه ولأن الفعل المتقدم يدل على مصدره
 ولأن قوله وان تخفوها فهو خير لكم أي الاخفاء خير لكم فكما ان هنا ضمير الاخفاء كذلك يجب ان
 يكون ضمير الابداء مرادا هناك

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر تعالى صفة الانفاق ورغب فيه بقوله (ان تبدوا الصدقات) معناه ان تظهروا الصدقات وتعلنوها
 (فنعمنا هي) أي فنعم الشيء ونعم الأمر اظهارها واعلانها اي ليس في ابدائها كراهة (وإن تخفوها) أي تستروها
 (وتوتوها الفقراء) اي تعطوها الفقراء وتودوها اليهم في السر (فهو خير لكم) اي فالاخفاء خير لكم وأبلغ
 في الثواب واختلفوا في الصدقة التي يكون اخفائها أفضل من ابدائها فقيل ان صدقة التطوع اخفائها أفضل
 لأنه يكون ابعد من الرياء باخفائها واما المفروض فلا يدخله الرياء ويلحقه تهمة المنع باخفائها فإظهارها أفضل عن ابن عباس
 والثوري وكذا رواه علي بن ابراهيم باسناده عن الصادق قال الزكاة باخفائها المفروضة تخرج علانية وتدفع علانية
 وغير الزكاة إن دفعه سرا فهو أفضل وقيل الاخفاء في كل صدقة من زكاة وغيرها أفضل عن الحسن وقتادة وهو
 الأشبه بعموم الآية (ونكفر عنكم من سيئاتكم) معناه ونمح عنكم خطيئاتكم ونغفرها لكم ومن قرأ

بالرفع فمعناه ونحن نكفر عنكم او يكفر الله عنكم من سيئاتكم ودخلت من للتبويض واحتج به من قال المراد بالسيئات الصغائر فاما على مذهبنا فاسقاط العقاب تفضل من الله فله أن يتفضل باسقاط بعضه دون بعض فلو لم يدخل من لافاد انه يسقط جميع العقاب وقال بعضهم ان من زيادة وقد يقال كل من طعمني وخذ من مالي ما شئت فيكون للتعميم والأول اولى ومما جاء في الحديث من صدقة السر قوله صدقة السر تطفي غضب الرب وتطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار وتدفع سبعين بابا من البلاء وقوله سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الامام العدل والشاب الذي نشأ في عبادة الله تعالى ورجل قلبه يتعلق بالمساجد حتى يعود اليها ورجلان تحابا في الله واجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لم تعلم بينه ما تصفق شماله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وقوله تعالى (والله بما تعملون خبير) معناه انه تعالى عالم بما تعملونه في صدقاتكم من اخفائها واعلانها لا يخفى عليه شيء من ذلك فيجازيكم على جميعه

قوله تعالى (٢٧٢) لَيْسَ عَلَيْكُمْ هُدَاهُمْ وَكَيِّنَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤْفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَمُونَ (آية)

✽ الإعراب ✽

ما تنفقوا من خير فلا تنفسكم شرط وجزاء . وما تنفقون إلا ابتغاء . وجه الله قيل لفظه نفي ومعناه النهي اي لا تنفقوا كقوله لا يمسه إلا المطهرون وقيل هي جملة مفيدة بنفسها معطوفة على ما قبلها وهو خبر على ظاهره وابتغاء نصب لأنه مفعول له وما تنفقوا من خير يؤف إليكم شرط كالأول ولذلك حذف النون في الموضعين - ﴿ التزول ﴾ -

كان المسلمون يمتنعون عن الصدقة على غير اهل دينهم فأزل الله تعالى هذه الآية عن ابن عباس وابن الحنفية وسعيد بن جبير وقيل كانت اسماء بنت أبي بكر مع رسول الله في عمرة القضاء فجاءتها أمها فتبعتها وجدتها تسألانها وهما مشركان قالت لا اعطيكما شيئا حتى استأذن رسول الله (ص) فإنكما ستأعلي ديني فاستأذنته في ذلك فأزل الله هذه الآية عن الكلبي

﴿ المعنى ﴾

(ليس عليكم هداهم) قيل في وجه اتصاله بما قبله وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه ليس عليكم هداهم يمنع الصدقة عنهم لتحملهم به على الايمان وهو نظير قوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعلى هذا يكون معناه الاباحة للتصدق عليهم بصدقة التطوع ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه ليس عليكم هداهم بالحمل على النفقة في وجوه البر وسبل الخير عن الحسن وأبي علي الجبائي وتقديره ليس عليكم أن تهدي الناس إلى نيل الثواب والجنة وإنما عليكم أن تهديهم إلى الايمان بأن تدلهم عليه وهذا تحسب للنبي لأنه كان يعتم بترك قبولهم منه وامتناعهم عن الايمان لعلمه بما يؤول اليه أمرهم من العقاب الدائم فسله الله تعالى بهذا القول ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد ليس عليكم ان تهدي الناس بعد ان دعوتهم وأنذرتهم وبلغتهم ما أمرت بتبليغه ونظيره ان عليك إلا البلاغ وليس المعنى ليس عليكم أن تهديهم إلى الايمان والطاعة لأنه ما بعث إلا لذلك (ولكن الله يهدي من يشاء) إنما علق الهداية بالمشيئة لمن كان المعلوم منه انه يصلح بالالطف أي بلطف الله بزيادة الهدى والتوفيق بأن يشاء . عن الزجاج وأبي القاسم البلخي واكثر اهل العلم وقيل معناه يهدي إلى طريق

الجنة عن الجبائي (وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم) أي ما تنفقوا في وجوه البر من مال فلا أنفسكم ثوابه والغرض فيه الترغيب في الانفاق لأن الإنسان إذا علم أن منفعة انفاقه عائدة إليه مختصة به كان أسبق بالانفاق وأرغب فيه وأحرص عليه وبذلك يفارق عطية الله لأن المنفعة في عطائه عائدة إلى المعطي ومختصة به دون الله ومعظم المنفعة في عطية العبد ترجع إليه وتختص به دون المعطي (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) أي إلا طلب رضوان الله وهذا اخبار من الله عن صفة انفاق المؤمنين المخلصين المستجيبين لله ولرسوله أنهم لا ينفقون ما ينفقونه إلا طلبا لرضاء الله تعالى وقيل إن معناه النهي وإن كان ظاهره الخبر أي ولا تنفقوا إلا ابتغاء مرضاة الله وفي ذكر الوجه هنا قولان ﴿احدهما﴾ ان المراد به تحقيق الاضافة لأن ذكر الوجه يرفع الابهام انه له ولغيره وذلك انك لما ذكرت الوجه ومعناه النفس دل على انك تصرف الوهم عن الاشتراك إلى تحقيق الاختصاص وكنت بذلك محققا للاضافة ومزيلا لإيهام الشركة ﴿والثاني﴾ انك إذا قلت فعلته لوجه زيد كان اشرف في الذكر من فعلته له لأن وجه الشيء في الأصل اشرف ما فيه ثم كثر حتى صار يدل على شرف الذكر من غير تحقيق وجه ألا ترى انك تقول وجه الرأي ووجه الأمر ووجه الدليل فلا تريد تحقيق الوجه وإنما تريد اشرف ما فيه من جهة شدة ظهوره وحسن بيانه (وما تنفقوا من خير يوف اليكم) أي يوفركم جزاؤه وثوابه والتوفية اكمال الشيء وإنما حسن اليكم مع التوفية لأنها تضمنت معنى التأدية وقيل معناه تعطون جزاءه وافرا وافيا في الآخرة عن ابن عباس (وانتم لا تظلمون) يمنع ثوابه ولا ينقصان جزائه كقوله آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا أي لم تنقص

قوله تعالى (٢٧٣) الْمُفْقَرَاءَ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِتْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (آية)

﴿ القراء ﴾

قرأ حمزة وعاصم وابو جعفر وابن عامر يحسبهم بفتح السين كل القرآن والباقون بكسرها

﴿ اللغة ﴾

قال ابو زيد حسبت الشيء أحسبه وأحسبه حسابا وحسبت الشيء أحسبه حسابا وحسابية وحسابانا واحسبت الرجل احسابا إذا اطعمته وسقيته حتى يشبع ويروى وتعطيه حتى يرضى والاحصار المنع عن التصرف لمرض او حاجة او مخافة والحصرو منع الغير وليس كالأول لأنه منع النفس وقد تقدم تفسيره عند قوله فإن أحصرتم والضرب المشي في الأرض والدياء العلامة التي يعرف بها الشيء وأصله الارتفاع لأنه علامة رفعت للظهور ومنه السوم في البيع وهو الزيادة في مقدار الثمن للارتفاع فيه عن الحد ومنه سوم الحسف للرفع فيه بتحميل ما يشق ومنه سوم الماشية ارسالها في المرعى والتعفف ترك السؤال يقال عف عن الشيء وتعفف عنه إذا تركه ومنه قول روية ﴿نصف عن اسرارها بعد العنق﴾ أي تركها والاحلاف الاحلاف في المسئلة قال الزجاج معنى الحف شمل بالمسئلة وهو مستغن عنها واللحاف من هذا اشتقاقه لأنه يشمل الانسان في التغطية

﴿ الإعراب ﴾

العامل في قوله للفقراء محذوف وتقديره النفقة للفقراء وقد تقدم ما يدل عليه وقال بعضهم هو مردود على اللام الأولى من قوله وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم قال علي بن عيسى وهذا لا يجوز لأن بدل الشيء من غيره

لا يكون إلا والمعنى يشتمل عليه وليس كذلك ذكر النفس ههنا لأن الاتفاق لها من حيث هو عائد اليها والفقراء من حيث هو واصل اليهم وليس من باب والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا لأن الامر لازم للمستطيع خاصة ولا يجوز أن يكون العامل فيه تنفقوا لانه لا يفصل بين العامل والمعمول فيه بالاجنبي كما لا يجوز كانت زيدا الحمى تأخذه لا يستطيعون ضربا جملة في موضع الحال من احصروا وضربا مفعول يستطيع يحسبهم الجاهل في موضع الحال ايضا وذو الحال الفقراء والخالفا مصدر وضع موضع الحال من يسألون اي لا يسألون ملحفين ويجوز أن يكون مصدرا لأن الخالف سؤال على صفة

﴿ النزول ﴾

قال ابو جعفر (ع) نزلت الآية في اصحاب الصفة وكذلك رواه الكلبي عن ابن عباس وهم نحو من اربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشاير يأوون اليهم فجعلوا انفسهم في المسجد وقالوا نخرج في كل سرية يبعثها رسول الله فحث الله الناس عليهم وكان الرجل إذا أكل وعنده فضل أتاهم به إذا امسى

﴿ المعنى ﴾

لما أمر سبحانه بالنفقة ورغب فيها ما بلغ وجوه الترغيب وبين ما يكمل ثوابها عقب ذلك ببيان أفضل الفقراء الذين هم مصرف الصدقات فقال (للفقراء الذين احصروا في سبيل الله) معناه النفقة المذكورة في هذه الآية وما قبلها للفقراء الذين حبسوا ومنعوا في طاعة الله اي منعوا انفسهم من التصرف في التجارة للمعاش اما خوف العدو من الكفار واما للمرض والفقير واما للاقبال على العبادة وقوله في سبيل الله يدل على انهم حبسوا انفسهم عن التقاب لاشتغالهم بالعبادة والطاعة (لا يستطيعون ضربا) اي ذهابا وتصرفا (في الارض) لبعض ما ذكرناه من المعاني وقيل لمنع انفسهم من التصرف في التجارة اي الزموا انفسهم الجهاد في سبيل الله فلا يقع منهم التصرف لغيره وليس معناه انهم لا يقدرون عليه كما يقال أمرني الأمير بالمقام في هذا الموضع فلا استطيع أن أبرح منه أي لا أبرح منه لالزامي نفسي طاعة الأمير (يحسبهم الجاهل) اي يظنهم الجاهل بحالهم وباطن أمورهم (اغنيا من التتغف) اي الامتناع من السؤال والتجمل في اللباس والستر لما هم فيه من الفقر وسوء الحال طلبا لرضوان الله وطمعا في جزيل ثوابه (تعرفهم بسيماهم) اي تعرف حالهم بالنظر إلى وجوههم لما يرى من علامة الفقر عن السدي والربيع وقيل لما يرى من التخشع والخضوع الذي هو شعار الصالحين عن مجاهد (لا يسألون الناس الخالفا) قيل معناه انهم لا يسألون الناس اصلا وليس معناه انهم يسألون من غير الخالف عن ابن عباس وهو قول الفراء والزجاج واكثر ارباب المعاني وفي الآية ما يدل عليه وهو قوله يحسبهم الجاهل اغنيا من التتغف في المسئلة ولو كانوا يسألون لم يكن يحسبهم الجاهل اغنيا لأن السؤال في الظاهر يدل على الفقر وقوله ايضا تعرفهم بسيماهم ولو سألو لعرفوا بالسؤال قالوا وإنما هو كقولك ما رأيت مثله وانت لم ترد أن له مثلا ما رأيت وإنما تريد انه ليس له مثل فيرى فعناه لم يكن سؤال فيكون الخالف كقول الاعشى

لا يغمز الساق من اين ومن نصب ولا يعرض علي شر سوفه الصفر

ومعناه ليس بساقها اين ولانصب فيغمزها ليس ان هناك ايننا ولا يغمز وفي الحديث ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتبؤس ويجب الحليم التتغف من عباده ويغض الفاحش البذي السائل الملحف وعنه (ع) قال ان الله كره لكم ثلاثا قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ونهي عن عقوق الامهات ووآد البنات وعن منع وهات وقال (ع) الأيدي ثلاث فيدالله العليا ويد المعطي التي تليه ويد السائل السفلى إلى يوم القيامة ومن سأل وله ما يغنيه جاءت مسئلته يوم القيامة كدوحا او خموشا او خدوشا في وجهه قيل وما غناه قال خمسون درهما أو عدلها من الذهب (وما تنفقوا من خير) من مال وقيل معناه في وجوه الخير (فإن الله به عليم) اي يجازيكم عليه

قوله تعالى (٢٧٤) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (آية)

الإعراب

سرا وعلانية حالان من ينفقون وتقديره مسرّين ومعلنين فهما اسمان وضعا موضع المصدر عند ربهم ظرف
مكان والعامل فيه ما يتعلق به اللام من لهم

النزول

قال ابن عباس نزلت الآية في علي (ع) كانت معه اربعة دراهم فتصدق بواحد نهارا وبواحد ليلا وبواحد
سرا وبواحد علانية وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وابي جعفر (ع) وروي عن ابي ذر والاوزاعي انها نزلت
في النفقة على الخيل في سبيل الله وقيل هي عامة في كل من انفق ماله في طاعة الله على هذه الصفة وعلى هذا فإنا نقول
الآية نزلت في علي (ع) وحكمها سائر في كل من فعل مثل فعله وله فضل السبق إلى ذلك

المعنى

ثم بين سبحانه كيفية الانفاق وثوابه فقال (الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) في هذه
الحالات اي ينفقون على الدوام لأن هذه الأوقات معينة للصدقات ولا وقت لها سواها (فلهم اجرهم عند ربهم)
أتى بالغاء ليدل على ان الجزاء إنما هو من اجل الانفاق في طاعة الله ولا يجوز أن يقال زيد فله درهم لأنه ليس
فيه معنى الجزاء (ولا خوف عليهم) من احوال يوم القيامة وافزاعها (ولا هم يحزنون) فيها وقيل لا خوف
من فوت الأجر وتقصانه عليهم ولا هم يحزنون على ذلك

قوله تعالى (٢٧٥) الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ
الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا
فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (آية)

اللغة

اصل الربا الزيادة من قولهم ربا الشيء يربو إذا زاد والربا هو الزيادة على رأس المال وأرني الرجل إذا عامل
في الربا ومنه الحديث من اجبي فقد اربى واصل التخبط الحبط وهو الضرب على غير استواء خبطته اخبطه خبطا
والخبط ضرب البعير الارض بيده والتخبط ايضا بمعناه يقال تخبط البعير الارض إذا ضربها بقوائمه ويقال للذي
يتصرف في امر ولا يهتدي فيه هو يخبط خبط عشواء قال زهير

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب

والتخبط المس بالجنون والتخبل لأنه كالضرب على غير استواء في الادهاش والخباط داء كالجنون لأنه
اضطراب في العقل يقال به خبطة من جنون ويقال فلان مس والس واولق اي جن والسلوف التقدم يقال سلف
يسلف سلوفا ومنه الأمم السالفة اي الماضية والسالفة أعلى العنق والاسلاف الاعطاء قبل الاستحقاق يقال اسلفته
المال اسلافا وسلافة الحمر صفوها لأنه اول ما يخرج مسن عصيرها والعود الرجوع وعبادة المريض المصير اليه

ليعرف خبره والعود من العيدان لأنه يعود إذا قطع ومنه العود الذي يتبخر به والمعاد كل شيء إليه المصير
والآخرة معاد الناس والعادة تكرر الشيء مرة بعد مرة والعيد كل يوم مجمع عظيم لأنه يعود في السنة أو
الاسبوع والعائدة الصلة لأنها تعود بالنفع على صاحبها

الإعراب

كما يقوم الكاف في محل نصب على المصدر والموصول حرف تقديره لا يقومون إلا مثل قيام الذي
يتخبطه الشيطان ومن المس يتعلق بـ يتخبط ومن للتبيين

المعنى

لما حث الله تعالى على الانفاق وبين ما يحصل للمنفق من الأجر العاجل والآجل عقبه بذكر الربا الذي ظنه
الجاهل زيادة في المال وهو في الحقيقة محق في المال فقال (الذين يأكلون الربا) في الدنيا (لا يقومون) يوم القيامة
(إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) معناه إلا مثل ما يقوم الذي يصرعه الشيطان من الجنون فيكون
ذلك اشارة لأهل الموقف على أنهم أكلة الربا عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد وقيل ان
هذا على وجه التشبيه لأن الشيطان لا يصرع الانسان على الحقيقة ولكن من غلب عليه المرة السودا وضعف عقله ربما يخيل
الشيطان اليه امورا هائلة ويوسوس اليه فيقع الصرع عند ذلك من فعل الله ونسب ذلك إلى الشيطان مجازا لما
كان ذلك عند وسوسته عن ابي علي الجبائي وقيل يجوز ان يكون الصرع من فعل الشيطان في بعض الناس دون
بعض عن ابي الهذيل وابن الاخشيد قالوا لأن الظاهر من القرآن يشهد به وليس في العقل ما يمنع منه ولا يمنع الله
تعالى الشيطان عنه امتحانا لبعض الناس وعقوبة لبعضهم على ذنب ألم به ولم يتب منه كما يتسلط بعض الناس على
بعض فيظلمه ويأخذ ماله ولا يمنعه الله تعالى منه ويكون هذا علامة لا آكلي الربا يعرفون بها يوم القيامة كما ان
على كل عاص من معصيته علامة تليق به فيعرف بها صاحبها وعلى كل مطيع من طاعته اشارة تليق به فيعرف بها
صاحبها وذلك معنى قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان وقال النبي في شهداء أحد رملوهم
بدمائهم وثيابهم وقال (ع) يبعث أمي يوم القيامة من قبورهم غرا محجلين من آثار الوضوء وروي عنه (ع)
انه لما قال أسري بي إلى السماء رأيت رجالا بطونهم كالببوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء
يا جبرائيل قال هؤلاء أكلة الربا ورواه اصحابنا عن أبي عبد الله (ع) قال قال رسول الله (ص) لما أسري بي إلى السماء
رأيت اقواما يريد احدهم أن يقوم ولا يقدر عليه من عظم بطنه فقلت من هؤلاء يا جبرائيل قال هؤلاء الذين يأكلون
الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وإذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النار
غدوا وعشيا يقولون ربنا متى تقوم الساعة والوعيد في الآية متوجه إلى كل من أربى وإن لم يأكله ولكنه تعالى
نبه بذكر الأكل على سائر وجوه الانتفاع بالربا وإنما خص الأكل لأنه معظم المقاصد من المال ونظيره قوله
ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وقوله ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما الآية والمراد بالأكل في
الموضعين سائر وجوه الانتفاع دون حقيقة الأكل (ذلك) اي ذلك العقاب لهم بأنهم (قالوا إنما البيع مثل الربا)
معناه بسبب قولهم إنما البيع الذي لا ربا فيه مثل البيع الذي فيه الربا قال ابن عباس كان الرجل منهم إذا حل
دينه على غريمه فطالبه به قال المطلوب منه له زدني في الأجل وأزيدك في المال فيتراضيان عليه ويعملان به فإذا
قيل لهم هذا ربا قالوا هما سواء يعنون بذلك ان الزيادة في الثمن حال البيع والزيادة فيه بسبب الأجل عند محل
الدين سواء فذمهم الله به والحق الوعيد بهم وخطأهم في ذلك بقوله (وأحل الله البيع وحرم الربا) اي أحل
الله البيع الذي لا ربا فيه وحرم البيع الذي فيه الربا والفرق بينهما ان الزيادة في احدهما لتأخير الدين وفي الآخر
لأجل البيع وايضا فإن البيع بدل البدل لأن الثمن فيه بدل الثمن والربا زيادة من غير بدل للتأخير في الأجل

او زيادة في الجنس والمنصوص عن النبي (ص) تحريم التفاضل في ستة اشياء الذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر والملح وقيل الزبيب قال (ع) الا مثلا بمثل يدا بيد من زاد واستراد فقد اربى لاختلاف في حصول الربا في هذه الاشياء الستة وفي غيرها خلاف بين الفقهاء وهو مقيس عليها عندهم وعندنا ان الربا لا يكون إلا فيما يكال او يوزن واما علة تحريم الربا فقد قيل هي ان فيه تعطيل المعاش والاجلاب والمتاجر إذا وجد الربى من يعطيه دراهم وفضلا بدراهم وقال الصادق (ع) إنما شدد في تحريم الربا لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف قرضا او رفدا (فن جاءه موعظة من ربه) معناه فمن جاءه زجر ونهي وتذكير من ربه (فانتهي) اي فاتزجر وتذكر واعتبر (فله ما سلف) معناه فله ما أخذ وأكل من الربا قبل النهي لايئزمه رده قال الباقر (ع) من ادرك الإسلام وتاب بما كان عمله في الجاهلية وضع الله عنه ما سلف وقال السدي معناه له ما أكل وليس عليه رد ما سلف فاما ما لم يقبض بعد فلا يجوز له اخذه وله رأس المال وقوله جاءه موعظة وقال في موضع آخر قد جاءكم موعظة لأن تأنيته غير حقيقي فإن الموعظة او الوعظ بمعنى واحد (وامره إلى الله) معناه وامره بعد مجي الموعظة والتحريم والانتهاه إلى الله إن شاء عصمه عن أكله وثبته في انتهاه عنه وإن شاء خذله وقيل معناه وامره في حكم الآخرة إلى الله تعالى إن لم يتب وهو غير مستحل له إن شاء عذبه بعدله وإن شاء عفا عنه بفضله وقيل معناه أمره إلى الله فلا يؤاخذ به ما سلف من الربا (ومن عاد) إلى أكل الربا بعد التحريم وقيل ما كان بقوله قبل مجي الموعظة من ان البيع مثل الربا (فأوثق أصحاب النارهم فيها خالدون) لأن ذلك القول لا يصدر إلا من كافر مستحل للربا فلماذا توعد بعذاب الأبد ولا خلاف بين الفقهاء ان الربا محرم في النقد والنسيئة وقال بعض من تقدم لا ربا إلا في النسيئة واما اهل الجاهلية فإنهم كانوا يربون بتأخير الدين عن محله إلى محل آخر بزيادة فيه ولا خلاف في تحريمه وما جاء في الحديث في الربا ما روي عن علي (ع) انه قال لعن رسول الله (ص) في الربا خمسة آكله وموكله وشاهديه وكتبه وعنه (ع) قال إذا أراد الله بقرية هلاكها أظهر فيهم الربا وعنه (ع) قال الربا سبعون بابا أهونها عند الله كالذي ينكح أمه وروي جميل بن دراج عن أبي عبد الله قال درهم ربا أعظم عند الله من سبعين زنية كلها بذات محرم في بيت الله الحرام

قوله تعالى (٢٧٦) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (آية)

﴿ اللغة ﴾

المحق نقصان الشيء حالا بعد حال يقال محقه الله يحقه محققا فانه حق وامتحق اي هلك وتلف بذهابه حالا بعد حال والمحاق آخر الشهر لانحاق الهلال فيه والأثيم المتأدي في الإثم والأثم الفاعل للإثم

﴿ المعنى ﴾

ثم أكد سبحانه ما تقدم بقوله (يمحق الله) اي ينقص الله (الربا) حالا بعد حال إلى أن يتلف المال كله وقال ابن عباس معناه يهلكه ويذهب ببركته وقيل للصادق (ع) وقد يري الرجل يربي فيكثر ماله فقال يمحق الله دينه وإن كثر ماله وقال ابو القاسم البلخي يمحقه الله في الدنيا بسقوط عدالته والحكم بفسقه والتسمية بالفسق (ويربي الصدقات) اي وينمي الصدقات ويزيدها بأن يشر المال في نفسه في العاجل وبالأجر عليه والثواب في الأجل وذلك بحسب الانتفاع بها وحسن النية فيها وقد روي عن النبي (ع) انه قال ان الله تعالى يقبل الصدقات ولا يقبل منها إلا الطيب ويربها لصاحبها كما يربي احدكم مهرة او فضيلة حتى ان اللقمة لتصير مثل احد والنكته في الآية ان المرئي إنما يطلب بالربى زيادة المال ومانع الصدقة إنما يمنعهما لطلب زيادة المال

فبين الله سبحانه ان الربا سبب النقصان دون النماء وان الصدقة سبب النماء دون النقصان (والله لا يجب كل كفار اثم) الكفار فعال من الكفر وهو المقيم عليه المستمسك به المعتاد له ومعناه والله يبغض كل كفار لنعمته باستحلال الربا منهمك في غوايته متاد في اثمه باكله وإنما لم يقل كل كافر لأنه اذا استحل له الربا صار كافرا لأنه اذا كثر اكله للربا مع الاستحلال فقد ضم كفرا الى كفر واذا استحل الربا ولم يعقد عقد الربا لم يلحقه من المندمة ما يلحق من جمع بين الأمرين فالجامع بين الأمرين يستدعي من غضب الله مالا يستدعيه احد الأمرين وروي عن النبي (ص) انه قال يأتي على الناس زمان لا يبقى احد الا اكل الربا فمن لم يأكله اصابه من غباره

قوله تعالى (٢٧٧) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** (آية)

﴿ المعنى ﴾

هذه الآية ظاهرة المعنى وقد مر تفسيرها فيما مضى وإنما جمع بين هذه الخصال لأن الثواب لا يستحق على كل واحدة منها اذ لو كان كذلك لكان فيه تصغير من كل واحدة منها ولكن جمع بينها للترغيب في الاعمال الصالحة والتفخيم لامرها والتعظيم لشأنها اولبيان ان الجمع بين هذه الخصال اعظم اجرا من الافراد بواحدة منها ونظيره قوله سبحانه والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الآية فجمع بين هذه الخصال في الوعيد لبيان ان الوعيد يستحق بكل واحدة منها وللتحذير عن كل خصلة منها لأن من المعلوم ان من دعاهم الله إليها آخر لا يحتاج الى شرط عمل آخر في استحقاق الوعيد اذ لو كان الوعيد انما يستحق بمجموع تلك الخصال لكان فيه تسهيل لكل واحد منها وقد ذكرنا ان امثال هذه الآية يدل على ان الايمان ليس من افعال الجوارح ولا مشتملا عليها اذ لو كان كذلك لما صار لعطفها عليه معنى لأن الشيء لا يعطف على نفسه فإن قالوا ان ذلك يجري مجرى قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله والذين كفروا وكذبوا باياتنا فنقول إن الخلاف هاهنا كالخلاف هناك لأن التكذيب عندنا ليس بالكفر نفسه وانما هو دلالة على الكفر وكذلك الصد عن سبيل الله واستدل بهذه الآية وامثالها في بطلان التجاوب لأنه تعالى ضمن الثواب بنفس هذه الخصال ولم يشترط ان لا يوتى بما يحبطها فإن قالوا لا بد من هذا الشرط كما ان الوعيد على الكفر لا بد ان يكون مشروطا بارتفاع التوبة فالجواب ان التوبة انما صارت شرطا هناك لمكان اجماع المسلمين لان التوبة مسقطه للعقاب وانما وعد الله تعالى باسقاط العقاب عندها تفضلا منه سبحانه ولا اجماع على ما ادعوه من الشرط في آيات الوعد فبان الفرق بين الأمرين

قوله تعالى (٢٧٨) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ. وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** (٢٧٩) **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ** (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم برواية أبي بكر غير ابن غالب والبرجي وحمة فاذنوا بالمد وكسر الذال والباقون فاذنوا وقرئ في الشواذ لا تظلمون ولا تظلمون

✽ الحجة ✽

قال سيويه آذنت اعلمت واذنت والتأذين النداء والتصويت بالاعلام قال وبعض العرب يجري آذنت مجرى آذنت الذي معناه التصويت والنداء قال ابو عبيدة آذنتك بحرب فآذنت به تاذن آذنا اي اعلمت فمن قرأ فآذنوا بحرب من الله فقصر والمعنى اعلمو بحرب من الله والمعنى انكم في امتناعكم من وضع ذلك حرب من الله ورسوله ومن قرأ فآذنوا بتقديره فاعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب فالمفعول محذوف على قوله واذا مروا باعلام غيرهم اعلموهم ايضا لا محالة ففي امرهم باعلام ما لم يعلموهم ايضا انهم حرب ان لم يمتنعوا عما نهوا عنه وليس في علمهم دلالة على اعلام غيرهم فهو في الابلاغ اكد

✽ الإعراب ✽

ان كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف تقديره ان كنتم مؤمنين فذروا ما بقي من الربا وموضع لا تظلمون نصب على الحال من لكم فالتقدير فلکم روؤس اموالكم غير ظالمين ولا مظلومين

✽ النزول ✽

روي عن ابي جعفر الباقر (ع) ان الوليد بن المغيرة كان يربى في الجاهلية وقد بقي له بقايا على تقيف فاراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد ان اسلم فترزت الآية وقال السدي وعكرمة ترزت في بقية من الربا كانت للعباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا الى بني عمرو بن عمير ناس من تقيف فجاهل الإسلام ولها اموال عظيمة في الربا فانزل الله هذه الآية فقال النبي (ص) على ان كل ربا من ربا الجاهلية موضوع واول ربا اضعه ربا العباس بن عبد المطلب وكل دم من دم الجاهلية موضوع واول دم اضعه دم ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب كان مرضعا في بني ليس فقتله هذيل وقال مقاتل نزلت في اربعة اخوة من تقيف مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة وهم بنو عمرو ابن عمير بن عوف الثقفي وكانوا يداينون بني المغيرة وكانوا يربون فلما ظهر النبي (ص) على الطائف وصالح تقيفا اسلم هؤلاء الاخوة الاربعة فطلبوا رباهم من بني المغيرة واختصموا الى عتاب بن اسيد عامل رسول الله على مكة فكتب عتاب الى النبي بالقصة فانزل الله الآية

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه حكم ما بقي من الربا فقال (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) في امر الربا وفي جميع ما نهاكم عنه (وذروا ما بقي من الربا) اي واتركوا ما بقي من الربا فلا تأخذوا واقتصروا على روؤس اموالكم وقوله (ان كنتم مؤمنين) معناه من كان مؤمنا فهذا حكمه فاما من ليس بمؤمن فإنه يكون حربا وقيل معناه ان كنتم مؤمنين بتحريم الربا مصدقين به وبما فيه من المفسدة التي يعلمها الله (فان لم تفعلوا) اي فإن لم تقبلوا امر الله ولم تنقادوا له ولم تتركوا بقية الربا بعد نزول الآية بتركه (فاذنوا بحرب من الله ورسوله) اي فأيقنوا واعلموا بقتال من الله ورسوله والمعنى ايقنوا انكم تستحقون القتل في الدنيا والنار في الآخرة لمخالفة امر الله ورسوله ومن قرأ فآذنوا فمعناه فاعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب ومعنى الحرب عداوة الله وعداوة رسوله وهذا اخبار بعظم المعصية وروي عن ابن عباس وقتادة والربيع أن من عامل بالربا استتابه الإمام فإن تاب وإلا قتل وقال الصادق آكل الربا يوثب بعد اليانة فإن عاد ادب وان عاد قتل (وإن تبتم) من استحلال الربا واقرتم بتحريمه (فلكم روؤس اموالكم) دون الزيادة (لا تظلمون) باخذ الزيادة على رأس المال (ولا تظلمون) بالنقصان من رأس المال

قوله تعالى (٢٨٠) **وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر عسرة بضم السين والباقون عسرة باسكانها وهما لغتان وقرأ زيد عن ابن يعقوب ميسرة بضم السين مضافا الى الهاء. وروى ذلك عن مجاهد وقرأ عاصم تصدقوا بتخفيف الصاد والباقون بتشديدها وقد تقدم الكلام في مثله فإن الاصل في القراءتين تصدقوا فخفض في احدهما بحذف احدى التاوين وفي الأخرى بالادغام

﴿ اللغة ﴾

النظرة التأخير وهو اسم قام مقام الانظار مثل الآخرة يقال بعته باخرة وبنظرة اي بنسيئة ورأيت فلانا باخرة الناس اي في آخرهم والميسرة والميسور بمعنى اليسار والغنى والسعة وما روي من قراءة من قرأ الى ميسرة فلم يجزه البصريون لأن مفعول لا يجي في الآحاد الا بالتاء وقد جاء في الجمع قال جميل

بشين الزمي لا إن لا إن لزمته على كثرة الواشين اي معون

وروي

ابلق النعمان عني مالكا انه قد طال حبسي وانتظاري

والاول جمع معونة ومالك جمع مالكة وهي الرسالة ومثل هذا الذي نقل لا يعتد به سيويه فربما اطلق القول وقال ليس في الكلام كذا وان كان قد جاء عليه حرف او حرفان

﴿ الإعراب ﴾

كان هذه هي التامة وهي التي تتم بفاعلها ويكتفى به وتقديره وان وقع ذو عسرة وقيل هي ناقصة محذوفة الخبر وتقديره وإن كان ذو عسرة غريما لكم وكان يجوز لو قرئ وان كان ذا عسرة اي وان كان الذي عليه الدين ذا عسرة وروى ذلك في الشواذ عن ابي فنظرة مرفوعة لأنها خبر مبتدأ محذوف والفاء فيه لاجزاء وتقديره فالذي تعاملونه به نظرة وان تصدقوا في موضع رفع بأنه مبتدأ وخبره خير لكم

﴿ المعنى ﴾

لما امر سبحانه باخذ رأس المال من الموسر بين بعده حال المعسر فقال (وان كان ذو عسرة) معناه وان وقع في غمائكم ذو عسرة ويجوز ان يكون تقديره وان كان غريما لكم ذو عسرة (فنظرة) اي فالذي تعاملونه به نظرة (الى ميسرة) اي الى وقت اليسار اي فالواجب نظرة صيغة الخبر والمراد به الأمر اي فانظره الى وقت يساره واختلف في حد الاعسار فروى عن ابي عبد الله (ع) انه قال هو إذا لم يقدر على ما يفضل من قوته وقوت عياله على الاقتصاد وقال ابو علي الجبائي هو التعذر بالاعدام او بكساد المتاع او نحوه واختلف في وجوب انظار المعسر على ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ انه واجب في كل دين عن ابن عباس والضحاك والحسن وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وابي عبد الله ﴿ وثانيها ﴾ انه واجب في دين الربا خاصة عن شريح وابراهيم النخعي ﴿ وثالثها ﴾ انه واجب في دين الربا بالآية وفي كل دين بالقياس عليه وقال الباقر (ع) الى ميسرة معناه الى ان يبلغ خبره الإمام فيقضي عنه من سهم الغارمين إذا كان انفق في المعروف (وأن تصدقوا خير لكم) معناه وان تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين خير لكم (ان كنتم تعلمون) الخير من الشر وتميزون ما لكم عما عليكم وما جاء في معنى الآية من الحديث قوله (ع) من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وروى بريدة عنه انه قال من انظر معسرا كان له بكل

يوم صدقة وفي هذه الآية دلالة على ان الانسان ان علم ان غريمه معسر حرم عليه حبسه وملازمته ومطالبته بما له عليه وانه يجب عليه نظاره انتظارا للسيارة وان الصدقة برأس المال على المعسر خير وافضل من انتظار يسره وروي عن ابن عباس وابن عمران آخر ما نزلت من القرآن آي الربا

قوله تعالى (٢٨١) **وَأَتَقُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (آية)**

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء والباقون بضمها

﴿ الحجة ﴾

حجة أبي عمرو قوله إن الينا إياهم فأضاف المصدر إلى الفاعل فهذا بمنزلة ترجعون واب مثل رجع ومن حجته قوله وإنا اليه راجعون فألينا مرجعهم

﴿ الإعراب ﴾

يوما منصوب لأنه مفعول به ولا ينتصب على الظرف لأنه ليس المعنى اتقوا في هذا اليوم وقوله ترجعون فيه إلى الله جملة في موضع نصب بكونه صفة لقوله يوما وتوفي كل نفس ما كسبت في موضع نصب بأنه عطف على صفة يوم إلا انه حذف منه فيه لدلالة الأول عليه

﴿ النزول ﴾

هذا آخر آية نزلت من القرآن وقال جبرائيل ضعها في رأس الثاينين والمأتين من البقرة عن ابن عباس والسدي قال المفسرون لما نزلت هذه الآية انك ميت وانهم ميتون قال رسول الله (ص) ليتني اعلم متى يكون ذلك فأنزل الله تعالى سورة النصر إذا جاء نصر الله والفتح فكان رسول الله (ص) يسكت بين التكبير والقراءة بعد نزول هذه السورة فيقول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه فقيل له انك لم تكن تقول قبل هذا فقال اما ان نفسي نعت إلي ثم بكى بكاء شديدا فقيل يارسول الله اوتبكي من الموت وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال فأين هول المطلع وأين ضيق القبر وظلمة اللحد وأين القيامة والاهوال فعاش رسول الله (ص) بعد نزول هذه السورة عاما تاما ثم نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه إلى آخر السورة وهذه السورة آخر سورة كاملة نزلت من القرآن فعاش رسول الله (ص) بعدها ستة اشهر ثم لما خرج رسول الله إلى حجة الوداع نزلت عليه في الطريق يستفتونك في النساء قل الله يفتيكهم إلى آخرها فسميت آية الصيف ثم نزل عليه وهو واقف بعرفة اليوم أكملت لكم دينكم الآية فعاش بعدها احدا وثمانين يوما ثم نزلت عليه آيات الربا ثم نزلت بعدها واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله وهي آخر آية نزلت من السماء فعاش رسول الله (ص) بعدها احدا وعشرون يوما وقال ابن جريج تسع ليال وقال سعيد بن جبير ومقاتل سبع ليال ثم مات يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول حين بزغت الشمس وروى اصحابنا لليلتين بقيتا من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة لسنة واحدة من ملك ازديشير بن شيرويه بن ابرويزن هرمز بن انوشروان بنفسه هو (ص) حيا وميتا

﴿ المعنى ﴾

ثم حذر سبحانه المكلفين من بعد ما تقدم من ذكر آي الحدود والاحكام فقال (واتقوا يوما) معناه واحذروا يوما واخشوا يوما (ترجعون فيه إلى الله) تردون جميعا إلى جزاء الله ويقال إلى ملك الله لنفعمكم وضركم دون

غيره ممن ملكه إياه في دار الدنيا وهو المراد بكل ما في القرآن من هذا اللفظ لأن الله سبحانه لا يغيب عن أحد ولا يغيب أحد عن علمه وملكه وسلطانه ويدل عليه قوله وهو معكم أيما كنتم وما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم وإنما خص يوم القيامة بهذه الصفة لأن الناس إذا حشروا انقطع أمرهم وبطل ملكهم ولا يبقى لواحد منهم أمر ولا نهي كما قال سبحانه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (ثم توفي كل نفس ما كسبت) قيل فيه وجهان أحدهما توفي جزاء ما كسبت من الأعمال والثاني توفي ما كسبت من الثواب والعقاب لأن الكسب على وجهين كسب العبد لفعله وكسبه لما ليس من فعله كما يكسب المال (وهم لا يظلمون) معناه لا يتقصون ما يستحقونه من الثواب ولا يزداد عليهم ما يستحقونه من العقاب

قوله تعالى (٢٨٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَإِيكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَأَمْتَشْهُدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (آية)

القراءة

قرأ حمزة وحده ان تضل بكسر الهمزة والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وقتيبة فتذكر بالتخفيف والنصب وقرأ حمزة تذكر بالتشديد والرفع وقرأ الباقون فتذكر بالتشديد والنصب وقرأ عاصم وحده تجارة حاضرة بالنصب وقرأ الباقون بالرفع وقرأ ابو جعفر ولا يضار بتشديد الراء وتسكينها والباقون لا يضار بالنصب والتشديد

الحجة

الوجه في قراءة حمزة إن تضل إحداها بكسر الهمزة هو انه جعل ان للجزء والفاء في قوله فتذكر جواب الجزاء وموضع الشرط وجزائه رفع بكونها وصفا للمنكورين وهما المرأتان في قوله فرجل وامرأتان فقوله رجل وامرأتان خبر مبتدئ محذوف وتقديره فمن يشهد رجل وامرأتان ويجوز ان يكون رجل مرتفعا بالابتداء وامرأتان معطوفتان عليه وخبر الابتداء محذوف وتقديره فرجل وامرأتان يشهدون وقوله ممن ترضون من الشهداء فيه ذكر يعود إلى الموصوفين الذين هم رجل وامرأتان ولا يجوز أن يكون فيه ذكر الشهيدين المتقدم ذكرهما لاختلاف اعراب الموصوفين ألا ترى ان شهيدين منصوبان ورجل وامرأتان اعرابها الرفع فإذا كان كذلك علمت ان الوصف الذي هو ظرف إنما هو وصف لقوله فرجل وامرأتان دون من تقدم ذكرهما من الشهيدين والشرط وجزاؤه وصف لقوله وامرأتان لأن الشرط جملة يوصف بها كما يوصل بها في نحو قوله الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة واللام التي هي في قوله ان تضل فيمن جعل ان جزاء في موضع جزم وإنما حركت بالفتح

لالتقاء الساكنين ولو كسرت للكسرة قبلها لكان جائزا في القياس واما قوله فتذكر فقياس قول سيبويه في قوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه والآي التي تلاها معها ان يكون بعد الفاء في فتذكر مبتدأ محذوف ولو اظهرته لكان فهما تذكر احدهما الأخرى فالذكر العائد إلى المبتدأ المحذوف الضمير في قوله احدهما واما الأصل في تذكر فهو من الذكر الذي هو ضد النسيان وذكرت فعل يتعدى إلى مفعول واحد فإذا نقلته بالهمز او ضعفت العين منه تعدى إلى مفعول آخر وذلك نحو فرحته وافرحته فمن قرأ فتذكر كان ممن جعل بالتضعيف ومن قرأ فتذكر كان ممن نقل بالهمزة وكلاهما سايب والمفعول الثاني في قوله فتذكر احدهما الأخرى محذوف والمعنى فتذكر احدهما الأخرى الشهادة التي تحملتها واما قراءة الاكثريين وهو ان تضل بفتح الالف فإن يتعلق فيها بفعل مضمحل عليه هذا الكلام وذلك احد ثلاثة أشياء الأول هو ان قوله فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان يدل على قولك واستشهدوا رجلا وامرأتين وعلى هذا فتقديره فليشهد رجل وامرأتان فتعلق ان انما هو بهذا الفعل والثاني ما قاله ابو الحسن وهو ان تقديره فليكن رجل وامرأتان وعلى هذا فيكون معناه فليحدث شهادة رجل وامرأتين فحذف المضاف واقم المضاف اليه مقامه والثالث ان يضمن خبر المبتدأ الذي هو فرجل وامرأتان اي فرجل وامرأتان يشهدون فيكون يشهدون العامل في ان وموضع اضماره فيمن فتح الهمزة من ان تضل قبل ان وفيمن كسر ان بعد انقضاء الشرط بجزائه واما موضع ان هذه نصب وتقديره لان تضل احدهما فتذكر فإن قيل فإن الشهادة إنما وقعت للذكر والحفظ لا للضلال الذي هو النسيان فجوابه ان سيبويه قد قال امر بالشهاد لأن تذكر احدهما الأخرى وانما ذكر ان تضل لأنه سبب الاذكار كما يقول القائل اعدته ان يبيل الحائض فادعمه وهو لا يطلب بذلك ميلان الحائض ولكنه اخبر بعلة الدعم وسببه وقوله فتذكر او فتذكر بالنصب معطوف على الفعل المنصوب بان واما قراءة من قرأ إلا ان تكون تجارة حاضرة بالرفع فالوجه فيها ان يكون كان بمعنى وقع وحدث فكانه قال الا ان تقع تجارة حاضرة مثل قوله وإن كان ذو عسرة وإما من نصب تجارة حاضرة فيكون على خبر كان ولم يخجل اسم كان من احد شيئين احدهما ان يكون ما يقتضيه الكلام من الاشهاد والارتهان قد علم من فحواء التبايع فاضمر التبايع لدلالة الحال عليه كما يقال إذا كان غدا فاتني والآخر ان يكون اضمر التجارة فكانه قال الا ان تكون التجارة حاضرة مثل ذلك قول الشاعر

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

اي اذا كان اليوم يوما واما قوله لا يضار ففيه قولان ﴿احدها﴾ ان اصله لا يضار فادغمت الراء في الراء وفتحت لالتقاء الساكنين فيكون معناه لا يكتب الكاتب إلا بالحق ولا يشهد الشاهد إلا بالحق ﴿الثاني﴾ ان اصله لا يضار بفتح الراء الأولى فادغمت فيكون المعنى لا يدع الكاتب على وجه يضرب به وكذلك الشاهد والأول ابيبن واما قراءة ابي جعفر بتسكين الراء مع التشديد ففيه نظر ووجهه انه اجري الوصل مجرى الوقف كقولهم ﴿ببازل وجنا او عيهل﴾ وقد تقدم امثاله

اللغة

تقول داينت الرجل مداينة إذا عاملته بدين اخذت منه او اعطيته وتداين القوم او الرجلان بمعناه قال الشاعر

داينت اروي والديون تقضى فطلت بعضا وأدت بعضا

ويقال دنت وادنت إذا اقترضت وادنت إذا اقترضت قال

أدان وانبأه الأولون بأن المدان ملي وفي

والاملال الاملاء يقال امل عليه وامل عليه بمعنى والبخس النقص ظلما يقال بخسه حقه يبخره بخسا وثمان

بخس ناقص عن حقه والبخس ققوه العين لأنه ادخال نقص على صاحبها والسفيه الجاهل واصل السفه الخفة قال الشاعر

تخاف ان تسفه احلامنا فتضمحل الدهر مع الخامل

وانما سمي الجاهل بالسفيه لخفة عقله وتقول من الاباء ابي يأتى ولم يأت مثله في اللغة لأن فعل يفعل لا يأتي الا ان يكون في موضع العين من الفعل او اللام حرف من حروف الخلق والقول فيه ان الالف من ابي اشبهت الهمة فجاء يفعل منه مفتوحا لهذه العلة والضلال اصله الهلاك تقول العرب ضل الماء في اللبن ومنه قوله ان المجرمين في ضلال وسعر وقيل اصله الذهاب بحيث لا يوجد وقيل ومنه انذا ضللتنا في الارض والسأم الملل يقال سأم يسأم سأمًا إذا مل من الشيء وضجر منه قال زهير

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا ابالك يسأم

واقسط اي اعدل والقسط العدل يقال اقسط إذا عدل وقسط يقسط تسوطا إذا جار والقسط الحصة

المعنى

لما أمر سبحانه بانظار المعسروا تأجيل دينه عقبه ببيان احكام الحقوق الموجبة وعقود المدينة فقال (يا أيها الذين آمنوا) اي صدقوا الله ورسوله (إذا تدانستم) اي تعاملتم وداين بعضكم بعضا (بدين) قيل فيه قولان (أحدهما) انه على وجه التأكيد وتمكين المعنى في النفس كقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه (والآخر) انه إذا قال بدين لأن تدانستم قد يكون بمعنى تجازيتم من الدين الذي هو الجزاء وقد يكون بمعنى تعاملتم بدين فقيده بالدين لتخليص اللفظ من الاشتراك (إلى أجل مسمى) اي وقت مذكور معلوم بالتسمية قال ابن عباس ان الآية وردت في السلم خاصة وكان يقول أشهد أن الله اباح السلم المضمون إلى اجل معلوم وانزل فيه اطول آية من كتابه وتلا هذه الآية وظاهر الآية يقع على كل دين مؤجل سلما كان او غيره وعليه المفسرون والفقهاء (فاكتبوه) معناه فاكتبوا الدين في صك لثلا يقع فيه نسيان او جحود وليكون ذلك توثقة للحق ونظرا للذي له الحق وللذي عليه الحق وللشهود فوجه النظر للذي له الحق ان يكون حقه موثقا بالصك والشهود فلا يضيع حقه ووجه النظر للذي عليه الحق ان يكون ابعده من الجحود فلا يستوجب النعمة والعقوبة ووجه النظر للشهود أنه إذا كتب بخطه كان ذلك اقوم للشهادة وابعده من السهو واقرب إلى الذكر واختلف في هذا الأمر فقيل هو مندوب اليه عن ابي سعيد الخدري والحسن والشعبي وهو الأصح وعليه الاكثر وقيل هو فرض عن الربيع وكعب وبدل على صحة القول الاول قوله فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اوتمن أمانته والمفهوم من هذا الظاهر فان ائتمنه على ماله اي يأتمنه عليه ثم بين كيفية الكتابة فقال (وليكتب بينكم كاتب بالعدل) يعني وليكتب كتاب المدينة او البيع بين المتعاقدين كاتب بالقسط والانصاف والحق لا يزيد فيه ولا ينقص منه في صفة ولا مقدار ولا يستبدل ولا يكتب شيئا يضر بأحدهما إلا بعلمه (ولا يأت كاتب) اي ولا يمنع كاتب من (ان يكتب) الصك على الوجه المأمور به (كما علمه الله) من الكتابة بالعدل وقيل كما فضله الله تعالى بتعليمه إياه فلا يبخل على غيره بالكتابة واختلف في الكتابة هل هي فرض أم لا فقيل هي فرض على الكفاية كالجهاد ونحوه عن الشعبي وجماعة من المفسرين واختاره الرماني والجبائي وجوز الجبائي ان يأخذ الكاتب والشاهد الأجرة على ذلك قال الشيخ ابو جعفر الطوسي (ره) وعندنا لا يجوز ذلك والورق الذي يكتب فيه على صاحب الدين دون من عليه الدين ويكون الكتاب في يده لأنه له وقيل واجب على الكاتب ان يكتب في حال فراغه عن السدي وقيل واجب عليه ان يكتب إذا أمر عن مجاهد وعطا وقيل ان ذلك في الموضع الذي لا يقدر فيه على كاتب غيره فيضر بصاحب الدين إن امتنع فاذا كان كذلك فهو فريضة وان قدر على كاتب غيره فهو

في سعة إذا قام به غيره عن الحسن وقيل كان واجبا ثم نسخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد عن الضحاك (فليكتب) امر للكاتب أي فليكتب الصك على الوجه المأمور به وكانت الكتابة على عهد رسول الله (ص) فيهم قلة فلذلك أكد بقوله فليكتب إذ الجمع بين الأمر بالشئ والنهي عن تركه ادعى إلى فعله من الاختصار على أحدهما ثم بين سبحانه كيفية الاملاء على الكاتب فقال سبحانه (وليمل الذي عليه الحق) يعني المديون يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه فليكتب (وليتق الله به) أي الذي عليه الحق في الاملاء (ولا يخس) أي ولا ينقص (منه) أي من الحق (شيئا) لأن قدره ولا من صفته ثم بين الله تعالى حال من لا يصح منه الاملاء فقال (فإن كان الذي عليه الحق سفيها) أي جاهلا بالاملاء عن مجاهد وقيل صغيرا فلما عن السدي والضحاك وقيل عاجز الحق عن ابن زيد (أو ضعيفا) أي ضعيف العقل من عته أو جنون وقيل شيخا خرفا (أو لا يستطيع ان يعمل هو) أي مجنوننا وقيل عيبا آخر من ابن عباس وقيل الأقرب ان يحمل على ثلاث صفات لكيلا يؤدي إلى التكرار ثم اختلف في ذلك فقيل السفيه المجنون والضعيف الصغير ومن لا يستطيع ان يعمل الآخرس ونحوه ثم يدخل في كل واحد من هو في معناه وقيل السفيه المبذر والضعيف الصبي المراهق ومن لا يستطيع ان يعمل المجنون عن القاضي (فليمل وليه بالعدل) قيل معناه فليمل ولي الذي عليه الحق إذا عجز عن الاملاء بنفسه عن الضحاك وابن زيد وقيل معناه ولي الحق وهو الذي له الحق عن ابن عباس لأنه اعلم بدينه فيملي بالحق والعدل ثم امر سبحانه بالشهاد فقال (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) يعني أطلبوا الشهود واشهدوا على المكتوب رجلين من رجالكم أي من أهل دينكم وقال مجاهد معناه من الأحرار العالمين بالدين المسلمين دون العبيد والكفار والحرية ليست بشرط عندنا في قبول الشهادة وإنما اشترط الإسلام مع العدالة وبه قال شريح والليثي وابوثور وقيل هذا امر للقضاة بأن يلتسوا عند القضاء بالحق شهيدين من المدعي عند إنكار المدعى عليه فيكون السين في الحالتين سين السؤال والطلب (فإن لم يكونا رجلين) يعني فإن لم يكن الشهيدين رجلين (فرجل وامرأتان) أي فليكن رجل وامرأتان أو فليشهد رجل وامرأتان (من ترضون من الشهداء) عدالته وهذا يدل على ان العدالة شرط في الشهود وبدل أيضا على اننا لم نعبد بالشهاد مرضيين على الاطلاق لقوله ممن ترضون ولم يقل من المرضيين لانه لا طريق لنا إلى معرفة من هو مرضي عند الله تعالى وإنما تعبدنا بالشهاد من هو مرضي عندنا في الظاهر وهو من نرضى دينه وامانته ونعرفه بالستر والصلاح (ان تضل احدهما) أي تنسى احدي المرأتين (فتذكر احدهما الاخرى) قيل هو من الذكر الذي هو ضد النسيان عن الربيع والسدي والضحاك وأكثر المفسرين والتقدير فتذكر احدهما الاخرى الشهادة التي تحملتاها ومن قرأ فتذكر بالتخفيف من الاذكار فهو بهذا المعنى أيضا أي يقول لها هل تذكرين يوم شهدنا في موضع كذا وبحضرتنا فلان او فلانة حتى تذكر الشهادة وهذا لأن النسيان يغلب على النساء أكثر مما يغلب على الرجال وقيل هو من الذكر أي يجعلها كذكر من الرجال عن سفیان بن عيينه والاول اقوى فإن قيل لم كرر لفظة احدهما وهلا قال فتذكرها الاخرى فجوابه على وجهين ﴿١﴾ احدهما ﴿٢﴾ انه انما كرر ليكون الفاعل مقاما على المفعول ولو قال فتذكرها الاخرى لكان قد فصل بين الفعل والفاعل بالمفعول وذلك مكروه ﴿٣﴾ والثاني ﴿٤﴾ ما قاله الحسين بن علي المغربي ان معناه ان تضل احدي الشهادتين أي تضعيم بالنسيان فتذكر احدي المرأتين الاخرى لتلا يتكرر لفظ احدهما بلا معنى ويؤيد ذلك انه لا يسمى ناسي الشهادة ضالا ويقال ضلت الشهادة اذا ضاعت كما قال سبحانه قالوا ضلوا عنا أي ضاعوا منا ثم خاطب سبحانه الشهود فقال (ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا) وفي معناه ثلاثة اقوال ﴿١﴾ احدها ﴿٢﴾ ان معناه ولا يمتنع الشهداء إذا دعوا لاقامة الشهادة عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وهذا إذا كانوا عالمين بالشهادة على وجه لا يرتابون فيه ولم يخافوا من ادائها ضررا ﴿٣﴾ والثاني ﴿٤﴾ ان معناه إذا دعوا لاثبات الشهادة وتحملها عن قتادة والربيع ﴿٥﴾ والثالث ﴿٦﴾ ان معناه إذا دعوا إلى اثبات الشهادة وإلى

اقامتها عن ابن عباس والحسن وعن أبي عبد الله (ع) وهو اولى لأنه أعم فائدة (ولا تسأموا) اي ولا تضجروا ولا تملوا (ان تكتبوه) أي تكتبوا الحق (صغيرا) كان الحق (أو كبيرا) وقيل ان هذا خطاب للشاهد ومعناه لا تملوا أن تكتبوا الشهادة على الحق (إلى أجله) أي إلى أجل الدين وقيل معناه إلى أجل الشاهد أي إلى الوقت الذي تجوز فيه الشهادة والأول أقوى (ذلكم) الكتاب او كتابة الشهادة والصك (اقسط) أي أعدل (عند الله) لأنه سبحانه أمر به واتباع أمره أعدل من تركه (واقوم للشهادة) أي اصوب للشهادة وابعده من الزيادة والنقصان والسهو والغلط والنسيان وقيل معناه احفظ للشهادة مأخوذ من القيام على الشيء بمعنى الحفظ (وادنى ألا ترتلوا) اي اقرب إلى أن لا تشكروا في مبلغ الحق والأجل (إلا أن تكون تجارة) معناه الا أن تقع تجارة اي مداينة ومبايعة حاضرة حالة يدا بيد ومن قرأ بالنصب فمعناه إلا ان تكون التجارة تجارة (حاضرة تدبرونها بينكم) اي تتناقلونها من يد إلى يد نقدا لا نسيئة (فليس عليكم جناح) اي حرج وضيق (ألا تكتبوها) ومعناه فليس عليكم إثم في ترك كتابتها لأن الكتابة للوثيقة ولا يحتاج الى الوثيقة إلا في النسيئة دون النقد (واشهدوا إذا تبايعتم) اي واشهدوا الشهود على بيعكم إذا تبايعتم وهذا أمر على الاستحباب والندب عن الحسن وجميع الفقهاء وقال اصحاب الظاهر الاشهدا فرض في التبايع (ولا يضار كاتب ولا شهيد) اصله يضار بكسر الراء الأولى عن الحسن وقتادة وعطاء وابن زيد فيكون النهي للكاتب والشاهد عن المضارة فعلى هذا فمعنى المضارة أن يكتب الكاتب ما لم يعل عليه ويشهد الشاهد بما لم يستشهد فيه او بأن يتنع من اقامة الشهادة وقيل الأصل فيه لا يضار بفتح الراء الأولى عن ابن مسعود ومجاهد فيكون معناه لا يكلف الكاتب الكتابة في حال عذر لا يتفرغ اليها ولا يضيق الأمر على الشاهد بأن يدعى إلى اثبات الشهادة واقامتها في حال عذر ولا يعنف عليهما قال الزجاج والأول أبين لقوله (وان تفعلوا فإنه فسوق بكم) فالفاستق أشبه بغير العدل وعن حرف الكتاب منه بالذي دعا شاهدا ليشهد أو دعا كاتباً ليكتب وهو مشغول وقال غيره معناه وان تفعلوا مضارة الكاتب والشهيد فإن المضارة في الكتابة والشهادة فسوق بكم اي خروج عما أمر الله سبحانه (واقفوا الله) فيما أمركم به ونهاكم عنه (ويعلمكم الله) ما تحتاجون اليه من أمور دينكم (والله بكل شيء عليم) اي عليم بذلك وبكل ما سواه من المعلومات وذكر علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره ان في البقرة خمسة احكام وفي هذه الآية خاصة خمسة عشر حكما

قوله تعالى (٢٨٣) وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كِتَابًا فَرِهَانَ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ ابن كثير وابو عمرو قرهن على وزن فعل والباقون فرهان على وزن فعال

✽ الحجة ✽

قال ابو علي الرهن مصدر ولما نقل فسمي به كسر كما تكسر الاسماء وجمع على بناهين من ابنية الجبوع وهو فعل وفعال وكلاهما من ابنية الكثير ويخفف العين من رهن كما خفف في رسل وكتب ومثل رهن ورهن سقف وسقف وقال الأعشى

آليت لا أعطيه من أبنائنا رهنا فيفسدهم كمن قد أفسدا

اللغة

يقال رهنت عند الرجل رهنا ورهنته رهنا وانا ارهنه إذا وضعته عنده ورهنته ضيعة وقالوا ارهنته ايضا
وفعلت فيه اكثر قال

يراهني فيرهني بنيه وارهنه بني بما أقول

قال الاصمعي من روى بيت ابن ممام

فلما خشيت أظافيرهم نجوت وارهنتم مالكا

فقد اخطأ إنما الرواية وارهنهم مالكا كما تقول وثبت اليه واصك عينه ونهضت اليه واخذ بشعره وتقول
ارهنت لهم الطعام اي ادمته لهم وارهنته بمعناه والطعام رهن وراه وقد ارهنت في ثمن السلعة إذا أسلفت فيه قال
عبيدة ارهنت فيها الدنانير واما قول النبي (ص) لا يعلق الرهن فمعناه ان يقول الراهن ان جنتك بفكاكه إلى
شهر وإلا فهو لك بالدين فهذا باطل بلا خلاف

المعنى

ثم ذكر سبحانه حكم الوثيقة بالرهن عند عدم الوثيقة بالاشهاد فقال (وان كنتم) ايها المتدانيون
المتبايعون (على سفر) اي مسافرين (ولم تجدوا كتابا) للصلك ولا شهودا تشهدونهم (فرهان مقبوضة) تقديره
فالوثيقة رهن فيكون رهن خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون التقدير فرهان مقبوضة يقوم مقام الوثيقة بالصلك
والشهود والقبض شرط في صحة الرهن فإن لم يقبض لم ينقصد الرهن بالاجماع (فإن أمن بعضكم بعضا) اي
فإن أمن صاحب الحق الذي عليه الحق ووثق به واثمنه على حقه ولم يستوثق منه بصلك ولا رهن (فليؤد
الذي ائتمن) اي الذي عليه الحق (أمانته) بأن لا يحدد حقه ولا يبخس منه شيئا ويؤديه اليه وافيا وقت محله من
غير مظل ولا تسويف وازاد بقوله امانته اي ما اوثقن فيه فهو مصدر بمعنى المفعول (وليتق الله ربه) معناه
وليتق الذي عليه الحق عقوبة الله ربه فيما ائتمن عليه بجحوده او النقصان منه (ولا تكتسوا الشهادة) يعني بعد
تحملها وهو خطاب للمشهود ونهي لهم عن كتمان الشهادة إذا دعوا اليها (ومن يكتسها) اي ومن يكتسب
الشهادة مع علمه بالمشهود به وعدم ارتيابه فيه وتمكنه من ادائها من غير ضرر بعد ما دعي إلى اقامتها (فإنه
آثم قلبه) اضاف الإثم إلى القلب وان كان الإثم هو للجملة لأن اكتساب الإثم بكتمان الشهادة يقع بالقلب لأن
العزم على الكتمان إنما يقع بالقلب ولأن اضافة الإثم إلى القلب ابلغ في الذم كما ان اضافة الايمان إلى القلب
ابلع في المدح قال تعالى أو لك كتب في قلوبهم الايمان (والله با تعملون) اي ما تسرونه وتكتمونونه (عليهم)
وروي عن النبي (ص) انه قال لا ينقضي كلام شاهد زور من بين يدي الحاكم حتى يتبوأ مقعده من النار وكذلك
من كتم الشهادة وفي قوله تعالى فإن أمن بعضكم بعضا دلالة على ان الاشهاد والكتابة في المدينة ليسا واجبين
وانما هما على سبيل الاحتياط وتضمنت هذه الآية وما قبلها من بدائع لطف الله تعالى ونظره لعباده في امر معاشهم
ومعادهم وتعليهم ما لا يسمعون جهله ما فيه بصيرة لمن تبصر وكفاية لمن تفكر

قوله تعالى (٢٨٤) اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ
تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وعاصم وابو جعفر ويعقوب فيغفر ويعذب بالرفع وقرأ الباقر بالجزم فيها

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي وجه قول من جزم انه اتبعه ما قبله ولم يقطعه منه وهذا أشبه بما عليه كلامهم ألا ترى انهم يطلبون المشاكلة ويلزمونها فمن ذلك ان ما كان معطوفا على جملة من فعل وفاعل واشتغل عن الاسم الذي من الجملة التي يعطف عليها الفعل يختار فيه النصب ولو لم يكن قبله الفعل والفاعل لاختاروا الرفع وعلى هذا ما جاء في التنزيل نحو قوله وكلا ضربنا له الأمثال وقوله فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فكذلك ينبغي أن يكون الجزم أحسن ليكون مشاكلا لما قبله في اللفظ وهذا النحو من طلبهم المشاكلة كثير ومن لم يجزم قطعه من الاول وقطعه منه على احد وجهين اما ان يجعل الفعل خبرا مبتدأ محذوف واما أن يعطف جملة من فعل وفاعل على ما تقدمها

﴿ المعنى ﴾

(الله ما في السموات وما في الأرض) اللام لام الملك اي له تصريف السموات والأرض وما فيها وتديريهما لقدرته على ذلك ولأنه الذي أبدعها وأنشأها فجميع ذلك ملكه وما ملكه يصرفه كما يشاء. (وإن تبدوا ما في أنفسكم) وتعلنوه اي تظهروا ما في أنفسكم من الطاعة والمعصية (أو تحفوه) اي تكتمونه (يخاسبكم به الله) اي يعلم الله ذلك فيجازيكم عليه وقيل منناه أن تظهروا الشهادة أو تكتموها فإن الله يعلم ذلك ويجازيكم به عن ابن عباس وجاعة وقيل انها عامة في الاحكام التي تقدم ذكرها في السورة خوفهم الله سبحانه من العمل بخلافها وقال قوم ان هذه الآية منسوخة بقوله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ورووا في ذلك خبرا ضعيفا وهذا لا يصح لأن تكليف ما ليس في الوسع غير جائز فكيف ينسخ وإنما المراد بالآية ما يتناوله الأمر والنهي من الاعتقادات والارادات وغير ذلك مما هو مستور عنا فاما ما يدخل في التكليف من الوسوس والمواجس وما لا يمكن التحفظ عنه من الخواطر فخارج عنه لدلالة العقل وقوله (ص) تجوز لهذه الأمة عن نسيانها وما حدثت به أنفسها صلى هذا يجوز أن تكون الآية الثانية مبينة الأولى وازالة توهم من صرف ذلك إلى غير وجه وظن ان ما يخاطر بالبال أو يتحدث به النفس مما لا يتعلق بالتكليف فإن الله يؤخذ به والأمر بخلاف ذلك وقوله (فيغفر لمن يشاء) اي يغفر لمن يشاء منهم رحمة وفضلا (يعذب من يشاء) منهم ممن يستحق العقاب عقلا (والله على كل شيء قدير) من المغفرة والعذاب عن ابن عباس ولفظ الآية عام في جميع الاشياء والقول فيما يخاطر بالبال من المعاصي ان الله تعالى لا يؤخذ به وإنما يؤخذ بما يعزم الانسان ويعقد قلبه عليه مع امكان التحفظ عنه فيصير من افعال القلب فيجازيه به كما يجازيه بأفعال الجوارح وإنما يجازيه جزاء العزم لا جزاء عين تلك المعصية لأنه لم يباشرها وهذا بخلاف العزم على الطاعة فان العزم على فعل الطاعة يجازى على عزمه ذلك جزاء تلك الطاعة كما جاء في الأخبار ان المنتظر للصلاة في الصلاة ما دام ينتظرها وهذا من لطائف نعم الله تعالى على عباده

﴿ النظم ﴾

ذكر في كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها وجوه ﴿ احدها ﴾ انه لما فرغ من بيان الشرائع ختم السورة بالتوحيد والموعظة والاقرار بالجزاء. ﴿ والثاني ﴾ انه لما قال والله بكل شيء عليم اتبعه بأنه لا يخفى عليه شيء لأن له ملك السموات والأرض عن أبي مسلم. ﴿ والثالث ﴾ انه لما أمر بهذه الرقائق بين انه إنما يعتد بها لأمر يرجع إلى المكلفين لا لأمر يرجع إليه فإن له ما في السموات وما في الأرض

قوله تعالى (٢٨٥) آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ
رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (آية)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم وكتابه والباقون وكتبه على الجمع وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء والباقون بالنون

الحجة

من قرأ كتابه على الواحد ففيه وجهان (١) أحدهما (٢) أنه بمعنى القرآن (٣) والثاني (٤) أنه بمعنى الجنس
فيوافق القراءة الأخرى على الجمع وقد جاء المضاف من الأسماء بمعنى الكثرة نحو قوله وإن تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وفي الحديث منعت العراق درهمها وقفيزها فهذا يراد به الكثرة كما يراد بما فيه لام التعريف
والاختيار فيه الجمع ليشاكل ما قبله وما بعده ولأن أكثر القراء عليه ومن قرأ لا يفرق فعلى تقدير لا يفرق
الرسول أو كل لا يفرق والنون على تقدير وقالوا لا نفرق كقوله ولو ترى إذ المجرمون ناكبوا رؤوسهم عند
ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا أي ويقولون ربنا

الإعراب

غفرانك نصب على أنه بدل من الفعل المأخوذ منه فكأنه قيل اللهم اغفر لنا غفرانك واستغنى بالمصدر عن
الفعل في الدعاء فصار بدلا عنه معاقب له

المعنى

لما ذكر الله تعالى فرض الصلاة والزكاة واحكام الشرع واخبار الانبياء ختم السورة بذكر تعظيمه
وتصديق نبيه (ص) بجميع ذلك فقال (آمن الرسول) أي صدق محمد (ص) (بما أنزل إليه من ربه) من الاحكام
المذكورة في السورة وغيرها (والمؤمنون كل) أي كل واحد منهم (آمن بالله) أي صدق بآبائته وصفاته
ونفي التشبيه عنه وتزيهه عما لا يليق به (وملائكته) أي وملائكته وبأنهم معصومون مطهرون (وكتبه)
أي وبأن القرآن وجميع ما أنزل من الكتب حق وصدق (ورسله) وبجميع أنبياءه (لا نفرق بين احد من
رسله) أي ويقولون لا نفرق بين احد من رسل الله في الايمان بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعله أهل
الكتاب من اليهود والنصارى (وقالوا سمعنا وأطعنا) معناه سمعنا قولك وأطعنا أمرك إذا جعلته راجعا إلى الله
أو سمعنا قوله وأطعنا أمره إذا جعلته راجعا إلى النبي (ص) وقيل معناه سمعنا قول الله وقول الرسول سماع
القائلين المطيعين وذلك خلاف ما أخبر الله تعالى عن الكفار حيث قالوا سمعنا وعصينا (غفرانك ربنا) أي يقولون
يا ربنا اغفر لنا وقيل معناه يقولون نسألك غفرانك (واليك المصير) معناه إلى جزائك المصير فجعل مصيرهم إلى
جزائه مصيرا إليه كقول ابراهيم إني ذاهب إلى ربي سيهدين ومعناه إلى ثواب ربي أو إلى ما أمرني به ربي وهذا
هو اقرار بالبعث والنشور

قوله تعالى (٢٨٦) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا
اَكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ

عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الوسع ما دون الطاقة ويسمى ذلك وسعا بمعنى انه يسع الإنسان ولا يضيق عنه واخطأنا أي كسبنا خطيئة
وقال ابو عبيدة اخطأ وخطأ لغتان والفرق بين اخطأ وخطى ان اخطأ قد يكون على وجه الائم وغير الائم فاما
خطى فلائم لا غير قال الشاعر

والناس يلحون الأمير إذا هم
والاصر في اللغة الثقل قال النابغة

يا مانع الضيم ان يغشى سراهم
وكل ما عطفك على شيء من عهد او رحم فهو اصر وجمعه اصار ويقال اصره ياصره اصرا والاسم الأصر
قال النابغة

يا ابن الحواضن والحاضنا
اي عهدك والاصرة صلة الرحم للعطف لها قال الكمي

نصحت اديم الود بيني وبينهم
واصل الباب العطف فالأصر الثقل لأنه يعطف حامله بثقله عليه

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه انه فيما أمر ونهى لا يكلف إلا دون الطاقة فقال (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) اي لا يأمر
ولا ينهى أحد إلا ما هو له مستطيع وقيل ان معنى قوله إلا وسعها إلا يسرها دون عسرها ولم يكلفها طاقتها ولو كلفها
طاقها بلغ المجهود منها عن سفيان بن عيينه وهذا قول حسن وفي هذا دلالة على بطلان قول المجبرة في تجوز تكليف
العبد ما لا يطيقه لأن الوسع هو ما يتسع له قدرة الانسان وهو فوق المجهود واستفراغ القدرة وقال بعضهم ان
معناه إلا ما يسعها ويحمل لها وهذا خطأ لأن من قال لعبده لا أمرك إلا بما اطلق لك ان تفعله لكان ذلك غيا منه
وخطأ لأن نفس امره اطلاق فكأنه قال لا اطلق لك ولا أمرك إلا بما امرك وقوله (لها ما كسبت) معناه لها
ثواب ما كسبت من الطاعات (وعليها) جزاء (ما اكتسبت) من السيئات ويجوز ايضا ان يسمى الثواب والعقاب
كسبا من حيث حصل بكسبه (ربنا لا تؤاخذنا) قيل تقديره قولوا ربنا على جهة التعليم للدعاء عن الحسن وقيل
تقديره يقولون ربنا على جهة الحكاية والثناء (ان نسينا او اخطأنا) قيل فيه وجوه احدها ان المراد بنسينا
تركنا كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم اي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه وقوله وتنسون انفسكم ومنه
قول الشاعر

ولم اك عند الجود للجود قاليا
ولا كنت يوم الروع للطعن ناسيا

اي تاركا والمراد باخطأنا اي اذنبنا لأن المعاصي توصف باخطأ من حيث انها ضد الصواب وان كان فاعلها
متممدا فكأنه تعالى امرهم ان يستغفروا مما تركوه من الواجبات ومما فعلوه من المقبحات والثاني معنى قوله ان
نسينا ان تعرضنا لاسباب يقع عندها النسيان عن الأمر والثقله عن الواجب واخطأنا اي تعرضنا لاسباب يقع عندها

الخطأ ويحسن الدعاء. بذلك كما يحسن الابتذار منه والثالث ان معناه لا تؤاخذنا ان نسينا اي ان لم نفعل فعلا يجب فعله على سبيل السهو والغفلة او اخطأنا اي فعلنا فعلا يجب تركه من غير قصد ويحسن هذا في الدعاء على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى واطهار الفقر إلى مسأته والاستعانة به وان كان مأمونا منه المواخذه بمثله ويجري ذلك مجرى قوله فيا بعد (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) على احد الأجوبة وقوله قل رب احكم بالحق وقد تقدم ذكر أمثاله والرابع ما روي عن ابن عباس وعطاء. ان معناه لا تعاقبنا ان عصينا جاهلين او متمدين وقوله (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) قيل فيه وجهان ﴿١﴾ احدهما ﴿٢﴾ ان معناه لا تحمل علينا عملا نعجز عن القيام به ولا تعذبنا بتركه ونقضه عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والربيع والسدي ﴿٣﴾ والثاني ﴿٤﴾ ان معناه لا تحمل علينا تقلا عن الربيع ومالك وعطاء. يعني لا تشدد الأمر علينا (كما حملته على الذين من قبلنا) اي على الأمم الماضية والقرون الخالية لأنهم كانوا إذا ارتكبوا خطيئة عجلت عليهم عقوبتها وحرمت عليهم بسببها ما احل لهم من الطعام كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم واخذ عليهم من العهود والمواثيق وكلفوا من انواع التكاليف ما لم يكلف هذه الأمة تخفيفا عنها (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) قيل فيه وجوه ﴿٥﴾ احدها ﴿٦﴾ ان معناه ما يشغل علينا تحمله من انواع التكاليف والامتحان مثل قتل النفس عند التوبة وقد يقول الرجل لأمر يصعب عليه اني لا يطيقه ﴿٧﴾ والثاني ﴿٨﴾ ان معناه ما لا طاقة لنا به من العذاب عاجلا وآجلا ﴿٩﴾ والثالث ﴿١٠﴾ انه على سبيل التعبد وان كان تعالى لا يكلف ولا يحمل احدا ما لا يطيقه كما ذكرنا قبل (واعف عنا) ذنوبنا (واغفر لنا) خطايانا اي استرها (وارحمنا) بانعامك علينا في الدنيا والعمرة وادخال الجنة (انت مولانا) اي ولينا واولى بالتصرف فينا وناصرنا (فانصرنا على القوم الكافرين) اي اعنا عليهم بالقهر لهم والغلبة بالحجة عليهم وقد روي عن النبي (ص) ان الله سبحانه قال عند كل فصل من هذا الدعاء فعلت واستجبت ولهذا استجب الاكثار من هذا الدعاء ففي الحديث المشهور عن النبي (ص) قال من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه اتي كفتاه قيام ليلتها وعن عبد الله بن مسعود قال لما أسري برسول الله (ص) انتهى به إلى سدرة المنتهى واعطى ثلثا الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته إلا المقدمات وعن ابن المنكدر رفعه إلى النبي (ص) قال في آخر سورة البقرة آيات انهن قرآن وانهن دعاء وانهن يرضين الرحمن وفي تفسير الكلبي باسناده ذكره عن ابن عباس قال بينا رسول الله إذ سمع نقيضا يعني صوتا فرفع رأسه فإذا باب من السماء قد فتح فنزل عليه ملك وقال ان الله يشرك بنورين لم يعطها نبيا قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لا يقرأها أحد إلا أعطيته حاجته وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال كان الرجل إذا تعلم سورة البقرة جل فينا أي عظم

سورة آل عمران

هي كلها مدنية عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وجميع المفسرين عدد آياتها مائتان إلا آية شامي ومائتان في الباقيين خلافاً في سبع آيات عد الكوفي ألم آية والانجيل الثانية آية وترك وأنزل الفرقان وعد البصري رسولا إلى بني اسرائيل آية وترك الشامي التوراة والانجيل الاول وعد مقام ابراهيم هو وابو جعفر وترك ابو جعفر مما تحبون وعد اهل الحجاز حتى تنفقوا مما تحبون

فضلها

روى ابي بن كعب عن رسول الله (ص) قال من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها اماناً من جرس جهنم، ابن عباس قال قال رسول الله (ص) من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس، بريدة قال قال رسول الله (ص) تعلموا سورة البقرة وسورة آل عمران فإنها الزهراوان وانها تظلان صاحبها يوم القيامة كأنها غمامتان او غيابتان او فرقان من طير صواف

تفسيرها

قوله تعالى (١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ألم (٢) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٣) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِمَّن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ (٤) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٥) إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ

خمس آيات بلا خلاف إلا ان الكوفي عد ألم آية وترك وأنزل الفرقان وغيرهم بالعكس من ذلك

القراءة

قرأ ابو جعفر والاعشى (?) والبرجمي عن ابي بكر عن عاصم ألم الله بسكون الميم وقطع همزة الله وقرأ الباكون موصولاً وبفتح الميم وروي في الشراذ عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وابراهيم النخعي والأعشى وعن زيد بن علي بن الحسين وعن جعفر بن محمد الصادق وعن النبي (ص) الحي القيام وروي عن الحسن الانجيل بفتح الهمزة

الحجة

قال ابو علي اتفاق الجميع على اسقاط الألف الموصولة في اسم الله تعالى دل على ان الميم ساكنة كما أن سائر حروف التهجّي مبنية على الوقف فلما التقت الميم الساكنة والام التعريف حركت الميم بالفتح للساكن الثالث الذي هو لام التعريف والدليل على ان التحريك للساكن الثالث وهو مذهب سيويوه ان حروف التهجّي يجتمع فيها الساكنان نحو حاميم عين سين قاف وذلك انها مبنية على الوقف كما ان اسماء العدد كذلك فحركت الميم للساكن الثالث بالفتح كما حركت النون في قوله من الله بالفتح لالتقاء الساكنين واما من قطع الألف فكانه قدر الوقف على الميم واستأنف فقطع الهمزة لابتدائه بها واما القيام فقد قال ابن جني انه صفة على فيعال

من قام يقوم ومثله من الصفة العيذاب وأصله من القيوم التقت الواو والياء. وسبقت الأولى بالسكون فقلبت الواو ياء. وادغم فيها الياء. وقراءة الجماعة القيوم فيعول من هذا أيضا وأما الانجيل بفتح الهمزة فتال غير معروف النظير في كلامهم لأنه ليس في كلامهم افعيل بفتح الهمزة ولو كان اعجميا لكان فيه ضرب من الحجاج لكنه عندهم عربي وهو افعيل من نجل ينجل إذا أثار واستخرج ومنه نجل الرجل لولده لأنه استخرجهم من صلبه ومن بطن امرأته قال الاعشى

انجب ازمان والداه به إذ نجلاه فنعم ما نجلا

أي انجب والداه ازمان إذ نجلاه ففصل بين المضاف الذي هو ازمان وبين المضاف اليه الذي هو إذ كقولهم حينئذ ويومئذ بالفاعل وقيل له انجيل لأن به يستخرج علم الحلال والحرام كما قيل تورا وهي فوعة من وري الزند إذا قدح وأصله ووراة فأبدلت الواو التي هي الفاء. تا. كما قالوا التجاه والتخمة والتكلان والتراث من الوجه والوخامة والوكل والوراة فهي من وري الزند إذا ظهرت ناره وذلك من نجل ينجل إذا استخرج لما في الكتابين من معرفة الحلال والحرام وكما قيل لكتاب نينا (ص) الفرقان لأنه فرق بين الحق والباطل فالمعاني كما ترى متعقبة وكلها الاظهار والابراز والفرق بين الاشياء. وقال علي بن عيسى النجل الأصل فكان الانجيل أصل من أصول العلم وقال غيره النجل الفرع ومنه قيل للولد نجل فكان الانجيل فرع على التورا يستخرج منها وقال ابن فضال هو من النجل وهو من السعة يقال عين نجلا. وطعنة نجلا. وكأنه قد وسع عليهم في الانجيل ماضيق على اهل التورا وكل محتمل

الإعراب

مصدقا نصب على الحال وقوله من قبل أي من قبل انزال الكتاب فلما قطعه عن الاضافة بناه على الضم وموضع هدى نصب على الحال من التورا والانجيل اي هاديين ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هما هدى

التزول

قال الكلبي ومحمد بن اسحاق والربيع بن أنس نزلت اوائل السورة إلى نيف وثمانين آية في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله (ص) وفيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وفي الاربعة عشر ثلاثة نفر يؤول اليهم امرهم العاقب امير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدر عن إلا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم واسمه الايهم وابو حارثة بن علقمة اسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم قد شرفوه ومولوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده فقدموا على رسول الله (ص) المدينة ودخلوا مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الخبثات جيب واردية في جمال رجال بلحرت بن كعب يقول بعض من رأهم من اصحاب رسول الله (ص) ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فأقبلوا يضربون بالناقوس وقاموا فصلوا في مسجد رسول الله (ص) فقالت الصحابة يا رسول الله هذا في مسجدك فقال رسول الله (ص) دعوهم فصلوا إلى المشرق فكلم السيد والعاقب رسول الله (ص) فقال لهما رسول الله (ص) أسلما قالوا قد أسلمنا قبلك قال كذبتما ينعكما من الإسلام دعاوكما الله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالوا إن لم يكن ولد الله فمن ابوه وخاصموه جميعا في عيسى فقال لهما النبي (ص) الستم تعلمون انه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء ويحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علم قالوا لا قال فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يتحدث قالوا بلى

قال الستم تعلمون ان عيسى حملته أمه كما تعمل المرأة ثم وضعت كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذي الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فانزل الله فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية

﴿ المعنى ﴾

ان الله تعالى لما ختم سورة البقرة بذكر التوحيد والايان افتتح هذه السورة بالتوحيد والايان ايضاً فقال (الم) وقد ذكرنا الاختلاف فيه وفي معناه وفي محله في اول سورة البقرة (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) وقد ذكرنا ما فيه في تفسير آية الكرسي وروي عن ابن عباس انه قال الحي القيوم اسم الله الاعظم وهو الذي دعا به آصف بن برخيا صاحب سليمان (ع) في حمل عرش بلقيس من سبا الى سليمان قبل ان يرتد اليه طرفة (نزل عليك) يا محمد (الكتاب) يعني القرآن (بالحق) فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ بالصدق في اخباره ﴿ والثاني ﴾ بالحق اي بما توجه به الحكمة من الارسال وهو حق من الوجهين (مصدقاً لما بين يديه) اي لما قبله من كتاب ورسول عن مجاهد وقتاده والربيع وجميع المفسرين وانما قيل لما بين يديه لما قبله لأنه ظاهره كظهور الذي بين يديه وقيل في معنى مصدقاً ههنا قولان ﴿ احدهما ﴾ ان معناه مصدقاً لما بين يديه وذلك لموافقته لما تقدم الخبر به وفيه دلالة على صحة نبوته (ص) من حيث لا يكون ذلك كذلك الا وهو عند الله علام الغيوب ﴿ والثاني ﴾ ان معناه انه يخبر بصدق الانبياء وباتوابعه من الكتب ولا يكون مصدقاً للبعض ومكذباً للبعض (وانزل التوراة) على موسى (والانجيل) على عيسى (من قبل) اي من قبل انزال القرآن (هدى للناس) مقول له اي دلالة وبيانا وقيل يعني به الكتب الثلاثة او ليهتدي اهل كل كتاب بكتابه واهل كل زمان بما انزل في زمانه وقيل ان هدى للناس حال من الكتاب اي هادياً للناس (وانزل الفرقان) يعني به القرآن وانما كرر ذلك لما اختلفت دلالات صفاته وان كانت لموصوف واحد لأن كل صفة فيها فائدة غير فائدة الاخرى فإن الفرقان هو الذي يفرق بين الحق والباطل فيما يحتاج اليه من امور الدين في الحج وغيره من الاحكام وذلك كله في القرآن ووصفه بالكتاب يفيدان من شأنه ان يكتب وروي عبدالله بن سنان عن ابي عبد الله (ع) انه قال الفرقان هو كل آية محكمة في الكتاب وهو الذي يصدق فيه من كان قبله من الانبياء وقيل المراد بالفرقان الدلالة الفاصلة بين الحق والباطل عن ابي مسلم وقيل المراد به الحجة القاطعة لمحمد (ص) على من حابه في امر عيسى وقيل المراد به النصر (ان الذين كفروا بايات الله) اي بحججه ودلالته (لهم عذاب شديد) لما بين حججه الدالة على توحيده وصدق انبيائه عقب ذلك بوعيد مسن خالف فيه وجده ليتكامل به التكليف (والله عزيز) اي قادر لا يتمكن احد ان يمنعه من عذاب من يريد عذابه واصل العزة الامتناع ومنه ارض عزازي منيعة السلوك لصعوبتها ومنه يقال من عز بزأي من غاب سلب لأن الغالب ممتنع عن الضيم فالله تعالى عزيز اي ممتنع من حيث انه قادر لنفسه لا يعجزه شي (ذو انتقام) اي ذو قدرة على الانتقام من الكفار لا يتهمياً لأحد منه والانتقام مجازاة المسي على اساءته (ان الله لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السماء) لما ذكر سبحانه الوعيد على الاخلال بعرفته مع نصب الأدلة على توحيده وصدق انبيائه اقتضى ان يذكر انه لا يخفى عليه شي فيكون في ذلك تحذير من الاعتزاز بالاستمرار بعصيته لأن المجازي لا تخفى عليه خافية فان قيل لم قال لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السماء ولم يقل لا يخفى عليه شي على وجه من الوجوه فيكون اشد مبالغة قلنا لان الغرض ان يعلمنا انه يعلم ما يستسر به في الارض او في السماء والافصح بذكر ذلك اعظم في النفس واهول في الصدر مع الدلالة على انه عالم بكل شي فان قيل لم لم يقل انه عالم بكل شي في الارض والسماء قلنا لان الوصف بانه لا يخفى عليه شي يدل على انه يعلمه من كل وجه يصح ان يعلم منه مع ما فيه من التصرف في العبارة وانما لا يخفى عليه شي لأنه عالم لنفسه فيجب ان يعلم كل ما يصح ان يكون معلوماً وما

يصح ان يكون معلوما لانهاية له فلا يجوز ان يخفى عليه شيء بوجه من الوجوه

قوله تعالى (٦) 'هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (آية)

﴿ اللغة ﴾

التصوير جعل الشيء على صورة لم يكن عليها والصورة هيئة يكون عليها الشيء في التأليف واصلا من صاده يصوره اذا اماله لانها ماثلة الى هيئة بالشبه لها والفرق بين الصورة والصفة ان الصيغة عبارة عما وضع في اللغة ليدل على امر من الامور وليس كذلك الصورة لان دلالتها على جعل جاعل شيئا على بينة والارحام جمع رحم واصله الرحمة وذلك لانها مما يتراحم به ويتعاطف يقولون وصلتك رحم والمشيمة هي الارادة

﴿ الإعراب ﴾

كيف في موضع نصب على المصدر تقديره اي نوع يشاء وجملة يشاء في موضع الحال من يصور اي يصوركم في الارحام اي يخلق صوركم في الارحام شائيا مريدا اي نوع اراده

﴿ المعنى ﴾

(هو الذي يصوركم) اي يخلق صوركم في الارحام (كيف يشاء) على اي صورة شاء وعلى اي صفة شاء. من ذكر او انثى او صبيح او دميم او طويل او قصير (لا إله الا هو العزيز) في سلطانه (الحكيم) في افعاله ودلت الآية على وحدانية الله وكمال قدرته وقام حكمته حيث صور الولد في رحم الام على هذه الصفة وركب فيه من انواع البدائع من غير آله ولا كلفة وقد تقرر في عقل كل عاقل ان العالم لو اجتمعوا على ان يخلقوا من الماء بوضوء ويصوروا منه صورة في حال ما يشاهدونه ويصرفونه لم يقدروا على ذلك ولا وجدوا اليه سبيلا فكيف يقدرون على الخلق في الارحام فتبارك الله احسن الخالقين وهذا الاستدلال مروى عن جعفر بن محمد (ع)

قوله تعالى (٧) 'هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (آية)

﴿ اللغة ﴾

المحكم ماخوذ من قولك احكمت الشيء اذا ثقفته واتقنته وام الكتاب اصله ومكة ام القرى ويقال لعلم الجيش ام واصله امهه ولذلك يجمع على امهات وقد يقال امات ايضا والمتشابه الذي يشبه بعضه بعضاً فيغض اخذ من الشبه لانه يشبه به المراد والزيج الميل وازاغه اماله والترايع التبايل في الاسنان والابتغاء الطلب والفتنة اصلها الاختبار من قولهم فتنن الذهب بالنار أي اختبرته وقيل معناه خلصته والتأويل التفسير واصله المرجع والمصير من قولهم آل امره الى كذا يقول اولوا اذا صار اليه واولته تاويلا اذا صيرته اليه قال الاعشى

على انها كانت تأول حبيها تأول ربعي السقاب فاصحبا

اي كان حبيها صغيرا فأل الى العظم كما آل السقب وهو الصغير من اولاد النوق الى الكبر والراسخون

الثابتون يقال رسخ رسوخاً اذا ثبت في موضعه وارسخه غيره

الإعراب

منه آيات جملة من مبتدأ وخبر في موضع نصب على الحال من انزل وتقديره انزل الكتاب محكما ومتشابهها أم الكتاب جملة في موضع الرفع لكونها صفة لآيات واخر عطف على آيات وهو صفة مبتدأ محذوف وتقديره ومنه آيات اخر ومتشابهات صفة بعد صفة واخر غير منصرف قال سيبويه ان اخرفارقت اخواتها والاصل الذي عليه بناء اخواتها لان اخر اصلها ان يكون صفة بالالف واللام كما يقال الصغرى والصغر فلما عدل عن مجرى الف واللام واصل افعل منك وهي مما لا تكون الا صفة منعت الصرف وقال الكسائي إنما لم تصرف لأنه صفة وهذا غلط لأن قولهم مال لبد وحطم منصرفان مع كونها صفة وابتغاء نصب لأنه مفعول له في الموضوعين وكل مسن عند ربنا مبتدأ وخبر وهو اسم دال على المضاف اليه كثير في الكلام حذف المضاف اليه منه عند البصريين ولا يميزون انا كلاً فيها على الصفة وأجازه الكوفيون لأنه إنما حذف عندهم لدلالته عليه اسما كان او صفة وإنما بني قبل على الغاية ولم بين كل وإن حذف من كل واحد منها المضاف اليه لأن قبل ظرف يعرف وينكر ففرق بين ذلك بالبناء الذي يدل على تعريفه بالمضاف اليه والاعراب الذي يدل على تنكيره بالانفصال وليس كذلك كل لأنه معرفة في الافراد دون نكرة فاما ليس غير فشبّه بحسب لما فيه من معنى الأمر

المعنى

لما تقدم بيان انزال القرآن عقبه بيان كيفية انزاله فقال (هو الذي انزل عليك) يا محمد (الكتاب) أي القرآن (منه) أي من الكتاب (آيات محكمات هن أم الكتاب) أي اصل الكتاب (وأخر متشابهات) قيل في المحكم والمتشابه اقوال **١** احدها **٢** ان المحكم ما علم المراد بظاهره من غير قرينة تقترن اليه ولا دلالة تدل على المراد به لوضوحه نحو قوله تعالى إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولا يظلم مثقال ذرة ونحو ذلك مما لا يحتاج في معرفة المراد به إلى دليل والمتشابه ما لا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدل على المراد منه لالتباسه نحو قوله وأضله الله على علم فإنه يفارق قوله وأضلهم السامري لأن اضلال السامري قبيح واضلال الله تعالى حسن وهذا معنى قول مجاهد المحكم ما لم تشبهه معانيه والمتشابه ما اشتبهت معانيه وإنما يقع الاشتباه في امور الدين كالتوحيد ونفي التشبيه والجور ألا ترى ان قوله ثم استوى على العرش يحتمل في اللغة أن يكون كاستواء الجالس على سريره وان يكون بمعنى القهر والاستيلاء والوجه الأول لا يجوز عليه سبحانه **٣** وثانيها **٤** ان المحكم الناسخ والمتشابه المنسوخ عن ابن عباس **٥** وثالثها **٦** ان المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهها واحداً والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعداً عن محمد بن جعفر بن الزبير وابي علي الجبائي **٧** ورابعها **٨** ان المحكم ما لم تتكرر الفاظه والمتشابه ما تكرر الفاظه كقصة موسى وغير ذلك عن ابن زيد **٩** وخامسها **١٠** ان المحكم ما يعلم تعيين تأويله والمتشابه ما لا يعلم تعيين تأويله كقيام الساعة عن جابر بن عبد الله وإنما وحد أم الكتاب ولم يقل هن أمهات الكتاب لوجهين **١١** احدهما **١٢** انه على وجه الجواب كأنه قيل ما أم الكتاب فقال هن أم الكتاب كما يقال من نظير زيد فيقال نحن نظيره **١٣** والثاني **١٤** ان الآيات بمجموعها أصل الكتاب وليست كل آية محكمة أم الكتاب وأصله لأنها جرت مجرى شيء واحد في البيان والحكمة ومثله قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية ولم يقل آيتين لأن شأنها واحد في انها جاءت به من غير ذكر فلم تكن الآية لها إلا به ولا له إلا بها ولو أراد ان كل واحد منها آية على التفصيل لقال آيتين (فأما الذين في قلوبهم زيغ) أي ميل عن الحق وإنما يحصل الزيغ بشك او جهل (فيتبعون ما تشابه منه) أي يحتجون به على باطلهم (ابتغاء الفتنة) أي لطلب الضلال والاضلال وافساد الدين على الناس وقيل لطلب التلذذ على ضعفاء الخلق عن مجاهد

وقيل لطلب الشرف والمال كما سمي الله المال فتنه في مواضع من كتابه وقيل المراد بالفتنة هاهنا الكفر وهو المروي عن أبي عبد الله وقول الربيع والسدي وابتغاء تأويله ولطلب تأويله على خلاف الحق وقيل لطلب مدة اكل^(١) محمد على حساب الجمل (وابتغاء) عاقبته ويدل على ذلك قوله ذلك خير واحسن تأويلا اي عاقبة وقول العرب تأول الشيء إذا انتهى وقال الزجاج معنى ابتغائهم (تأويله) انهم طلبوا تأويل بعثهم واحيائهم فاعلم الله ان ذلك لا يعلمه إلا الله ويدل على ذلك قوله هل ينظرون إلا تأويله واختلف في الذين عنوا بهذا فقيل عني به وقد نجران لما حاجوه في أمر عيسى وسألوه فقالوا أليس هو كلمة الله وروحا منه فقال بلى فقالوا حسبنا فأنزل الله فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه يعني انهم قالوا ان الروح ما فيه بقاء البدن فأجروه على ظاهره والمسلمون يحملونه على ان بقاء البدن كان في وقته به كما ان بقاء البدن بالروح وقد قامت الدلالة على ان القديم تعالى ليس بندي اجزاء واعضاء وإنما يضاف الروح اليه تشريفا للروح كما يضاف البيت اليه ثم انزل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب عن الربيع وقيل هم اليهود طلبوا علم اكل^(٢) هذه الأمة واستخراجها بحساب الجمل عن الكلبي وقيل هم المنافقون عن ابن جريج وقيل بل كان من احتج بالمتشابه لباطله فالآية فيه عامة كالحرورية والسبائية عن قتادة (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) اي الثابتون في العلم الضابطون له المتقنون فيه واختلف في نظمه وحكمه على قولين احدهما ان الراسخون معطوف على الله بالواو على معنى ان تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله والالراسخون في العلم فإنهم يعلمونه (ويقولون) على هذا في موضع النصب على الحال وتقديره قائلين (أما بالله كل من عند ربنا) كقول ابن المفرغ الحميري

الريح تبكي شجوة والبرق يلعب في غمامه

أي والبرق يبكي ايضا لامعا في غمامه وهذا قول ابن عباس والربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير واختيار أبي مسلم وهو المروي عن أبي جعفر (ع) فإنه قال كان رسول الله افضل الراسخين في العلم قد علم جميع ما انزل الله عليه من التأويل والتزويل وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله وهو اوصياؤه من بعده يعلمونه كله وما يؤيد هذا القول ان الصحابة والتابعين أجمعوا على تفسير جميع آي القرآن ولم نرهم توقفوا على شيء منه ولم يفسروه بأن قالوا هذا متشابه لا يعلمه إلا الله وكان ابن عباس يقول في هذه الآية أنا من الراسخين في العلم والقول الآخر ان الواو في قوله والراسخون واو الاستئناف فعلى هذا القول يكون تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى والوقف عند قوله وما يعلم تأويله إلا الله ويتبدى والراسخون في العلم يقولون آمنا به فيكون مبتدأ وخبرا وهذا قول عائشة وعروة بن الزبير والحسن ومالك واختيار الكسائي والفراء والجبائي وقالوا ان الراسخين لا يعلمون تأويله ولكنهم يؤمنون به فالآية راجعة على هذا التأويل إلى العلم بمدة اكل^(٣) هذه الأمة ووقت قيام الساعة وفناء الدنيا ووقت طلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى وخروج الدجال ونحو ذلك مما استأثر الله بعلمه ويكون التأويل على هذا القول بمعنى المتأول كقوله هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يعني الموعود به وقوله كل من عند ربنا معناه المحكم والمتشابه جميعا من عند ربنا (وما يذكر) أي وما يتفكر في آيات الله ولا يرد المتشابه إلى المحكم (إلا أولوا الأنساب) أي ذور العقول فإن قيل لم أنزل الله تعالى في القرآن المتشابه وهلا جعله كله محكما فالجواب انه لو جعل جميعه محكما لاتكلم الناس كلهم على الخبر واستغفروا عن النظر وكان لا يتبين فضل العلماء على غيرهم وكان لا يحصل لهم ثواب النظر واتعاب الخواطر في استنباط المعاني وقال القاضي الماوردي قد وصف الله تعالى جميع القرآن بأنه محكم بقوله أكر كتاب احكمت آياته ووصف جميعه ايضا بأنه متشابه بقوله الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها فعنى الأحكام الاتقان والمنع أي

(١) لعلها اجل امة محمد (٢) و(٣) لعلها اجل

هو ممنوع باتقائه واحكام معانيه عن اعتراض خلل فيه فالقرآن كله محكم من هذا الوجه وقوله متشابهاً أي يشبه بعضه بعضاً في الحسن والصدق والثواب والبعد عن الخلل والتناقض فهو كله متشابه من هذا الوجه

قوله تعالى (٨) رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٩) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ يَوْمَ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (آيتان)

اللغة

الهمة تمليك الشيء من غير مثامنة والهمة والنحلة والصلة نظائر وفي لدن خمس لغات لدن ولدن بضم اللام والدال ولدن بفتح اللام والدال ولدن بفتح اللام وسكون الدال وكسر النون ولدن بحذف النون والميعاد بمعنى الوعد كما ان الميقات بمعنى الوقت

الإعراب

اللام في قوله ليوم لا ريب فيه معناه في يوم وإنما جاز ذلك لما دخل الكلام من اللام فإن تقديره جامع الناس للجزء في يوم لا ريب فيه فلما حذف لفظ الجزاء دخلت على ما يليه فأغنت عن في لأن حروف الاضافة متواخية لما يجمعها من معنى الاضافة وقد كان يجوز فتح ان في قوله إن الله لا يخلف على تقدير جامع الناس ليوم لا ريب فيه لأن الله لا يخلف الميعاد ولم يقرأ به

المعنى

(ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) هذه حكاية عن قول الراسخين في العلم الذين ذكرهم الله في الآية الأولى وذكر في تأويله وجوه **أحدها** ان معناه لا تمنعنا لطفك الذي معه تستقيم القلوب فتسيل قلوبنا عن الايمان بعد إذ وفقتنا بالطافك حتى هديتنا اليك وهذا دعاء للتشبيث على الهداية والامداد بالالطاف والتوفيقات ويجري مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا والمعنى لا تحل بيننا وبين من لا يرحمنا فيسلط علينا فكانهم قالوا لا تحل بيننا وبين نفوسنا بتمك التوفيق والالطاف عنا فتزيغ ونضل وإنما يمنع ذلك بسبب ما يكتبه العبد من المعصية ويفرط فيه من التوبة كما قال فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم **وثانيها** ان معناه لا تكلفنا من الشدائد ما يصعب علينا فعله وتركه فتزيغ قلوبنا بعد الهداية ونظيره فلما كتب عليهم القتال تولوا فأضافوا ما يقع من زيغ القلوب اليه سبحانه لأن ذلك يكون عند تشديده تعالى المحنة عليهم كما قال سبحانه فزادتهم رجساً إلى رجسهم ولم يزدهم دعائي إلا فراراً **وثالثها** ما قاله ابو علي الجبائي ان المراد لا ترغ قلوبنا من ثوابك ورحمتك وهو ما ذكره الله من الشرح والسعة بقوله يشرح صدره للإسلام وذكر ان ضد هذا الشرح هو الضيق والخرج اللذان يفعلان بالكفار عقوبة ومن ذلك التطهير الذي يفعله في قلوب المؤمنين ويعتبه الكافرين كما قال تعالى أو تلك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ومن ذلك كتابته الايمان في قلوب المؤمنين كما قال أو تلك كتب في قلوبهم الايمان وضد هذه الكتابة هي سلب الكفر التي في قلوب الكافرين فكانهم سألوا الله أن لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب إلى ضده من العقاب **ورابعها** أن الآية محمولة على الدعاء بأن لا تزيغ القلوب عن اليقين والايمان ولا يقتضي ذلك انه تعالى سئل عما لولا المسئلة لجاز أن يفعله لأنه غير ممتنع ان يدعوه على سبيل الانتطاع اليه والافتقار إلى ما عنده بأن يفعل ما نعلم أن يفعله وبأن لا يفعل ما نعلم انه واجب ان لا يفعله إذا تعاق بذلك ضرب من المصلحة كما قال سبحانه قل رب احكم بالحق وقال ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك وقال حاكياً عن ابراهيم ولا تخزني يوم يبعثون فإن قيل هلا جاز على هذا أن يقول ربنا لا تظلمنا ولا

تجر علينا فالجواب إنما لم يميز ذلك لأن فيه تسخطا من السائل وإنما يستعمل ذلك فيمن جرت عادته بالجور والظلم وليس كذلك ما نحن فيه (وهب لنا من لدنك رحمة) اي من عندك لطفًا تتوصل به إلى الثبات على الإيمان إذ لا تتوصل إلى الثبات على الإيمان إلا بلطفك كما لا يتوصل إلى ابتدائه إلا بذلك وقيل نعمة (إنك أنت الوهاب) المعطي للنعمة الذي شأنه الهبة والعطية (ربنا) اي ويقولون ياسيدنا وخالقنا (انك جامع الناس للجزاء (ليوم) اي في يوم (لا ريب فيه) أي ليس فيه موضع ريب وشك لوضوحه وهذا يتضمن أقرارهم بالبعث (إن الله لا يخلف الميعاد) أي لا يخلف الوعد وقيل هو متصل بما قبله من دعاء الراسخين في العلم وإن خالف آخر الكلام اوله في الخطاب والغيبة فيكون مثل قوله حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم وتقديره فاغفر لنا إنك لا تخلف ما وعدته وقيل انه على الاستيناف وهو اختيار الجبائي فيكون اخبارا عن الله تعالى

قوله تعالى (١٠) **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

الوقود الحطب والوقود ايقاد النار

﴿ المعنى ﴾

ثم بين تعالى حال الذين في قلوبهم زيغ فقال (إن الذين كفروا) بآيات الله ورسله (لن تغني) أي لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً) قال ابو عبيدة من هنا بمعنى عند وقال المبرد وهي على اصلها لا ابتداء الغاية وتقديره لن تغني عنهم غنا ابتداء وانتهاء. وقيل معناه من عذاب الله شيئاً (وأولئك هم وقود النار) أي حطب النار تتقد النار بأجسامهم كما قال في موضع آخر حطب جهنم

قوله تعالى (١١) **كَذَّابٌ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ** **يَذُوبُهُمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

الدأب العادة يقال دأب يدأب دأبا ودأبا إذا اعتاد الشيء وتقرن عليه والدأب الاجتهاد يقال دأب في كذا دأبا ودوئوبا إذا اجتهد فيه وبالغ ونقل من هذا إلى العادة لأنه بالغ فيه حتى صار عادة له قال زهير

لارتحلن بالفجر ثم لادئبن إلى الليل إلا أن يعرجني طفل

والذنب والجرم واحد يقال أذنب فهو مذنب والذنب تلو الشيء يقال ذنبه بذنبه إذا تلاه والذنب الدلو لأنها تالية للجبل في الجذب والذنب النصيب لأنه كالداو في الانعام والذنب الفرس الوافر شعر الذنب واصل الباب التلو فالذنب الجرم لما يتلوه من استحقاق الذم كما ان العقاب سمي بذلك لأنه يستحق عقيب الذنب

﴿ الإعراب ﴾

الكاف في قوله كذاب متعلق بمحذوف وتقديره عادتهم كعادة آل فرعون فيكون الكاف في موضع رفع بأنها خبر مبتدأ ولا يجوز أن يعمل فيها كفروا لأن صلة الذين قد انقطعت بالخبر ولكن جاز أن يكون في موضع نصب بوقود النار لأن فيه معنى الفعل على تقدير تتقد النار بأجسامهم كما تتقد آل فرعون كذبوا جملة

في موضع الحال والعامل فيه المعنى في دأب آل فرعون وقد مقدره معه

المعنى

عادة هؤلاء الكفار في التكذيب بك وبما أنزل اليك (كدأب آل فرعون) أي كعادة آل فرعون في التكذيب برسولهم وما أنزل اليه عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك والسدي وقيل معناه اجتهاد هؤلاء الكفار في قهرك وابطال امرك كاجتهاد آل فرعون في قهر موسى عن الاصم والزجاج وقيل كعادة الله في آل فرعون في انزال العذاب بهم باسلاف من اجرامهم وقيل كسنة آل فرعون عن الربيع والكسائي وأبي عبيدة وقيل كامر آل فرعون وشانهم عن الاخفش وقيل كحال آل فرعون عن قطرب (والذين من قبلهم) يعني كفار الأمم الماضية (كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم) أي عاقبهم الله بذنوبهم وسمى المعاقبة مواخذة لأنها اخذ بالذنب فلاخذ بالذنب عقوبة (والله شديد العقاب) لمن يعاقبه

قوله تعالى (١٢) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَهَادِ (آية)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم سيفلبون ويحشرون بالياء فيها والباقون بالثاء.

الحجة

من اختار التاء فلعله قد كان لكم آية فاجرى الجميع على الخطاب ومن اختار الياء فالتصريف في الكلام والانتقال من خطاب المواجهة الى الخبر بلفظ الغائب وبويده قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف قل للذين آمنوا يغفروا وقيل ان الخطاب لليهود والضمير في ستغلبون للمشركين لأن اليهود اظهروا السرور بما كان من المشركين يوم احد فعلى هذا لا يكون الا بالياء لان المشركين غيب

اللغة

الحشر الجمع مع سوق ومنه يقال للنبي الحاشر لأنه يحشر الناس على قدميه كأنه يقدمهم وهم خلفه لأنه آخر الاصفياء فيحشر الناس في زمانه وملته وجهنم اسم من اسماء النار وقيل اخذ من الجهنام وهي البئر البعيدة القعر والمهاد القرار وهي الموضع الذي يتهد فيه اي ينام فيه مثل الفراش

النزول

روى محمد بن اسحاق بن يسار عن رجاله قال لما اصاب رسول الله قريشا ببدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق قينقاع فقال يامعشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان يتزل بكم ما نزل بهم وقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يعرناك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة انا والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله هذه الآية وروي ايضا عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس ورواه اصحابنا ايضا وقيل نزلت في مشركي مكة ستغلبون يوم بدر عن مقاتل وقيل بل نزلت في اليهود لما قتل الكفار ببدر وهزموا قالت اليهود انه النبي الامي الذي بشرنا به موسى ونجده في كتابنا بنعته وصفته وانه لا ترد له راية ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله شكوا وقالوا لا والله ما هو به فغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وقد كان بينهم وبين رسول الله عهد الى مدة لم تنقض فنقضوا ذلك العهد قبل اجله وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة في ستين راكباً فوافقهم واجمعوا امرهم على رسول الله لتكونن كلمتنا

واحدة ثم رجعوا الى المدينة فانزل الله فيهم هذه الآية عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر ما اصاب القرون الخالية بالتكذيب للرسول من العذاب حذر هؤلاء من ان يجلب بهم ما حل بأولئك فقال تعالى (قل للذين كفروا) اما مشركي مكة او اليهود على ما تقدم ذكره (ستغلبون) اي ستهزمون وتصيرون مغلوبين في الدنيا (وتحشرون) اي تجمعون (الى جهنم) في الآخرة وقد فعل الله ذلك فاليهود غلبوا بوضع الجزية عليهم والمشركون غلبوا بالسيف واذا قرئ سيغلبون بالياء فقد يمكن ان يكون المغلوبون والمحشورون من غير المخاطبين وانهم قوم اخرون ويمكن ان يكونوا ايهم قال الفراء. يقال قل لعبد الله انه قائم وانك قائم واذا قرئ بالتاء. فلا يجوز ان يظن هذا فلا يكونون غير المخاطبين (وبش المهاد) اي بنس ما مهد لكم وبش ما مهدتم لانفسكم عن ابن عباس وقيل معناه بش القرار عن الحسن وقيل بش الفراش المهد لهم وفي الآية دلالة على صحة نبوة نبينا (ص) لان مضمره قد خرج على وفق خبره فدل ذلك على صدقه ولا يكون ذلك على وجه الاتفاق لانه بين اخبارا كثيرة من الاستقبال فخرج الجميع كما قال فكما ان كل واحد منها كان معجزا اذ الله لا يطلع على غيبه الا من ارتضى من رسول كذلك هذه الآية واذا ثبت صدقه على احد الخبرين وهو انهم سيغلبون ثبت صدقه في الخبر الآخر وهو انهم يحشرون الى جهنم

قوله تعالى (١٣) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَةِ الْمُتَقَاتِلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ بَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل المدينة والبصرة عن ابي عمرو ترونها بالتاء. والباقون بالياء. وروي في الشواذ عن ابن عباس يرونها بضم الياء.

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي (ره) من قرأ يرونها بالياء فلأن بعد الخطاب غيبة وهو قوله فنته تقابل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونها اي ترى الفنة المقاتلة في سبيل الله الكافرة مثلهم وما يؤيد الياء قوله مثلهم ولو كان على التاء لكان مثليتكم وان كان قد جاء وما آتيتهم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ورأيت هنا هي المتعدية الى مفعول واحد ويدل على ذلك تقييده برأي العين واذا كان كذلك كان انتصاب مثلهم على الحال لا على انه مفعول ثان واما مثل فقد يفرد في موضع التثنية والجمع فمن الافراد في التثنية قوله ﴿ وساقين مثل زيد وجعل ﴾ ومن افراذه على الجمع قوله انكم اذا مثلهم ومن جمعه قوله ثم لا يكونوا امثالكم ومن قرأ ترونها فللخطاب الذي قبله وهو قوله قد كان لكم آية ترونها مثلهم فالضمير في ترونها للمسلمين والضمير المنصوب للمشركين اي ترون ايها المسلمون المشركين مثل المسلمين فاما قراءة ابن عباس يرونها فوجهه ما قاله ابن جنبي ان رأيت ورأى اقربى في اليقين من اريت وارى تقول أرى ان سيكون كذا اي هذا غالب ظني وأرى ان سيكون كذا اي اعلمه واتحققه

﴿ اللغة ﴾

قد ذكرنا معنى الفنة عند قوله كم من فنة قليلة غلبت فنة كثيرة والاتقاء والتلاقي والاجتماع واحد والايد

القوة ومنه قوله تعالى وداود ذا الأيد يقال ادته ايده اي قوته وايدته ايده تأييدا بمعناه والعبارة الآية يقال اعتبرت بالشيء اعتبارا وعبرة والعبور النفوذ من احد الجانبين إلى الآخر وسميت الآية عبرة لأنه يعبر عنها من منزل العلم إلى منزل الجهل والمعتبر بالشيء تارك جهله وواصل إلى علمه بما رأى والعبارة الكلام يعبر بالمعنى إلى المخاطب والعبارة تفسير الروايات والتعبير وزن الدراهم وغيرها والعبرة الدمعة واصل الباب النفوذ

الإعراب

قوله فئنة تحمل ثلاثة اوجه من الاعراب الرفع على الاستئناف بتقدير منهم فئنة كذا وأخرى كذا والجر على البدل والنصب على الحال كقول كثير

| | |
|---------------------------------|---------------------------|
| فكنت كذي رجلين رجل صحيحة | ورجل رمى فيها الزمان فشلت |
| أنشد بالرفع والجر وقال ابن مفرع | |
| فكنت كذي رجلين رجل صحيحة | ورجل رماها صائب الحدثان |
| فأما التي صححت فأزد شنوءة | وأما التي شلت فأزد عمان |
| وقال آخر | |

إذا مت كان الناس صنفين شامت وآخر مثن بالذي كنت أصنع ولا يجوز أن يقول مرت بثلاثة صريع وجريح بالجر لأنه لم يستوف العدة ويجوز بالرفع على تقدير منهم صريع ومنهم جريح فإن قلت مرت بثلاثة صريع وجريح وسليم جاز الرفع والجر فإن زد في اقتلوا جاز الأوجه الثلاثة والقراءة بالرفع لا غير وقوله رأى العين يجوز أن يكون مصدرا ليرى والعين في موضع الرفع بانه الفاعل ويجوز أن يكون ظرفا للمكان كما يقول ترونهم أمامكم

النزول

نزلت الآية في قصة بدر وكان المسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا على عدة اصحاب طالت الذين جاوزوا معه النهر سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وكان صاحب لواء رسول الله (ص) والمهاجرين علي بن ابي طالب (ع) وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكانت الإبل في جيش رسول الله (ص) سبعين بعيرا والحيل فرسين فرس للمقداد بن أسود وفرس لمروث بن أبي مرثد وكان معهم من السلاح ستة ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ اربعة عشر رجلا من المهاجرين وثمانية من الانصار واختلف في عدة المشركين فروي عن علي (ع) وابن مسعود انهم كانوا الفا وعن قتادة وعروة بن الزبير والربيع كانوا بين تسعمائة إلى ألف وكانت خيلهم مائة فرس ورأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان حرب بدر أول مشد شهده رسول الله (ص) وكان سبب ذلك غير ابي سفيان

المعنى

لما وعد سبحانه الظفر لأهل الايمان بين ما فعله يوم بدر بأهل الكفر والطغيان فقال (قد كان لكم آية) قيل الخطاب لليهود الذين نقضوا العهد أي كان لكم ايها اليهود دلالة ظاهرة وقيل الخطاب للناس جميعا ممن حضر الواقعة وقيل للمشركين واليهود آية أي حجة وعلامة ومعجزة دالة على صدق محمد (ص) (في فتنين التقتا) أي فرقتين اجتمعتا بدر من المسلمين والكافرين (فئنة) فرقة (تقاتل) تحارب (في سبيل الله) في دينه وطاعته وهم الرسول واصحابه (وأخرى) أي فرقة أخرى (كافرة) وهم المشركون من أهل مكة (يرونهم مثلهم) أي ضعفهم (رأى العين) أي في ظاهر العين واختلف في معناه فقيل معناه يرى المسلمون المشركين مثلي عدد أنفسهم

قلهم الله في أعينهم حتى رأوهم ستمائة وستة وعشرين رجلا تقوية لقلوبهم وذلك ان المسلمين قد قيل لهم فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مائتين فأراهم الله عددهم حسب ما حد لهم من العدد الذي يلزمهم ان يقدموا عليهم ولا يجحججوا عنهم وقد كانوا ثلاثة امثالهم ثم ظهر العدد القليل على العدد الكثير عن ابن مسعود وجماعة من العلماء وقيل ان الرواية للمشركين يعني يرى المشركون المسلمين ضعفي ما هم عليه فإن الله تعالى قبل القتال قتل المسلمين في أعينهم ليجترئوا عليهم ولا ينصرفوا فلما أخذوا في القتال كثرتهم في أعينهم ليجبنوا وقلل المشركين في أعين المسلمين ليجترئوا عليهم وتصديق ذلك قوله تعالى وإذ يريكموهم إذا التقيتم في أعينكم قليلا وقللكم في أعينهم الآية وذلك احسن اسباب النصر للمؤمنين والخذلان للكافرين وهذا قول السدي وإنما يتأتى هذا القول على قراءة من قرأ بالياء فأما قول من قرأ بالباء فلا يحتمله إلا قول الأول على أن يكون الخطاب لليهود الذين لم يحضروا وهم المعنيون بقوله قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وهم يهود بني قينقاع فكانه قال ترون ايها اليهود المشركين مثلي المسلمين مع ان الله اظهرهم عليهم فلا تغفروا بكثرتكم واختار البلخي هذا الوجه او يكون الخطاب للمسلمين الذين حضروا الواقعة أي ترون ايها المسلمون المشركين مثلي المسلمين وقال الفراء يحتمل قوله يرونهم مثليهم حتى ثلاثة امثالهم لأنك إذا قلت عندي الف واحتاج إلى مثلها فأنت تحتاج إلى الفين لأنك تريد احتياجا إلى مثلها مضافا إليها لا بمعنى بدلا منها فكانك قلت احتاج إلى مثلها وإذا قلت احتاج إلى مثلها فأنت تحتاج إلى ثلاثة آلاف فكذلك في الآية المعنى يرونهم مثليهم مضافا إليهم فذلك ثلاثة امثالهم قال والمعجز فيه إنما كان من جهة غلبة القليل الكثير وأنكر هذا الوجه الزجاج لمخالفته لظاهر الكلام وما جاء في آية الانفال من تقليل الانفال فإن قيل كيف يصح تقليل الاعداد مع حصول الروية وارتفاع الموانع وهل هذا إلا قول من جوز أن يكون عنده اجسام لا يدركها او يدرك بعضها دون بعض قلنا يحتمل أن يكون التقليل في أعين المؤمنين بأن يظنهم قليلي العدد لا أنهم ادركوا بعضها دون بعض لأن العلم بما يدركه الإنسان جملة غير العلم بما يدركه مفصلا ولأننا قد ندرك جميعا عظيميا بأسرهم ونشك في اعدادهم حتى يقع الخلاف في حزر عددهم فعلى هذا يكون الوجه تأويل تقليل الاعداد وقوله (والله يؤيد بنصره من يشاء) النصر منه سبحانه على الاعداء يكون على ضربين نصر بالغلبة ونصر بالحجة فالنصر بالغلبة إنما كان بغلبة العدد القليل للعدد الكثير على خلاف مجرى العادة وبما أمدهم الله به من الملائكة وقوى به نفوسهم من تقليل العدة والنصر بالحجة وهو وعده المتقدم بالغلبة لإحدى الطائفتين لا محالة وهذا ما لا يعلمه إلا علام الغيوب (إن في ذلك) أي في ظهور المسلمين مع قتلهم على المشركين مع كثرتهم وتقليل المشركين في أعين المسلمين وتكثرت المسلمين في أعين المشركين (لآولي الأبصار) أي لذوي العقول كما يقال لفلان بصير بالأمور ولا يراد به الابصار بالحواس الذي يشترك فيه سائر الحيوان

قوله تعالى (١٤) زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْمَنَاطِرِ الْمُقَنْطَرَةِ
 مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ
 عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَبَآئِ (آية)

— ﴿ اللغة ﴾ —

الشهوات جمع شهوة وهي توقان النفس إلى المشتبه يقال اشتهى يشتهي شهوة واشتها. والشهوة من فعل الله ولا يقدر عليها احد من البشر وهي ضرورية فينا فإنه لا يمكننا دفعها عن نفوسنا والقناطر جمع قنطار وهو

المال الكثير العظيم وأصله من الأحكام يقال قنطرت الشيء أحكمته والقنطر الداهية وقيل أصله من القنطرة وهو البناء المعقود للعبور والمقنطرة المحصلة من قناطر كقولهم دراهم مدرهمة أي مجعولة كذلك ودنانير مدززة وقيل إننا ذكر المقنطرة للتأكيد وقد يوثق بالمفعول والفاعل تأكيداً فالمفعول مثل قوله حجراً حجوراً ونسيا منسيا والفاعل كقولهم شعرشاعر وموت مائت والمراد بالجميع المبالغة والتأكيد وسميت الخيل خيلاً لاختيالها في مشيتها والاختيال من التخيل لأنه يتخيل به صاحبه في صورة من هو أعظم منه كبرا والمسومة من قولهم أسمت الماشية وسومتها إذا دعيتها والسياء الحسن والسيمايا بمعنى ما قال الشاعر

غلام رماه الله بالحسن يافعاً له سيمياء لا تشق على البصر

والسيمياء العلامة وهو أصل الباب والمآب المرجع من الأوب وهو الرجوع

المعنى

ثم أنزل الله تعالى ما أخبره به عن السبب الذي دعا الناس إلى العدول عن الحق والهدى والركون إلى الدنيا فقال (زين للناس حب الشهوات) أي حب المشتبهات ولم يرد بها نفس الشهوة ولهذا فسرها بالنساء والبنين وغيرهما ثم اختلف فيمن زينها لهم فقيل الشيطان عن الحسن قال فوالله ما أجد أذم للدنيا ممن خلقها وقيل زينها الله تعالى لهم بما جعل في الطباع من الميل إليها وبما خلق فيها من الزينة محنة وتشديداً للتكليف كما قال سبحانه إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لتبؤنهم أيهم أحسن عملاً وقيل زين الله تعالى ما يحسن منه وزين الشيطان ما يقيح عن أبي علي الجبائي ثم قدم سبحانه ذكر النساء فقال (من النساء) لأن الفتنة بهن أعظم وقال النبي (ص) ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء. وقال النساء جائل الشيطان وقال أمير المؤمنين (ع) المرأة شر كلها وشر ما فيها أنه لا بد منها وهي عقر حلوة اللسعة ثم قال (والبنين) لأن حبهم يدعو إلى جمع الحرام وقال النبي (ص) للأشعث بن قيس هل لك من ابنة حمزة من ولد قال نعم لي منها غلام ولوددت أن لي به جفنة من طعام أطعما من معي من بني جملة فقال لئن قلت ذلك انهم لشجرة القلوب وقررة الأعين وانهم مع ذلك لمحببة منجلة محزنة (والقناطر) جمع قنطار واختلف في مقداره فقيل الف ومائتا أوقية عن معاذ بن جبل وأبي بن كعب وعبد الله بن عمر وقيل الف ومائتا مثقال عن ابن عباس والحسن والضحاك وقيل الف دينار أو اثنا عشر ألف درهم عن الحسن بخلاف وقيل ثمانون ألفاً من الدراهم أو مائة رطل عن قتادة وقيل سبعون ألف دينار عن مجاهد وعطاء وقيل هو مل مسك ثور ذهباً عن أبي بصير وبه قال الفراء وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (والمقنطرة) المضاعفة عن قتادة وقيل هي تسعة قناطر عن الفراء وقيل هي الأموال المنضدة بعضها فوق بعض عن الضحاك وقيل الكاملة المجتمعة وقيل هي من الذهب والفضة عن الزجاج ولا يصح قول من قال من الذهب خاصة لأن الله ذكر القنطار فيهما جميعاً وجميع الأقوال يرجع إلى الكثرة (والخيل المسومة) قيل معناه الأفراس الراعية عن سعيد بن جبيرة وابن عباس والحسن والربيع وقيل هي الحسنة من السيمياء وهو الحسن عن مجاهد وعكرمة والسدي وقيل هي المعلمة عن قتادة وفي رواية عن ابن عباس المعدة للجهاد عن ابن زيد (والأنعام) وهي جمع النعم وهي الأوبل والبقر والغنم من الضان والمعز ولا يقال جنس منها على الانفراد نعم إلا للأوبل خاصة لأنها يغلب عليه جملة وتفصيلاً (والحراث) معناه الزرع هذه كلها محببة إلى الناس كما ذكر الله تعالى ثم بين أن ذلك كله مما يتمتع به في الحياة ثم يزول عن صاحبه والمرجع إلى الله فأجدر بالإنسان أن يزهد فيه ويرغب فيما عند ربه فقال (ذلك متاع الحياة الدنيا) يعني كل ما سبق ذكره مما يستمتع به في الحياة الدنيا ثم يفنى (والله عنده حسن المآب) يعني حسن المرجع فالمآب مصدر سمي به موضع الأوباب

قوله تعالى (١٥) قُلْ أَوْ نَبِّشْكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَمُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ ابو بكر عن عاصم ورضوان بضم الراء كل القرآن والباقون بكسر الراء

✽ الحجة ✽

الرضوان مصدر فمن كسره جعله كالريمان والحرمات ومن ضمه جعله كالرجحان والشكران والكفران

✽ الإعراب ✽

منتهى الاستفهام في أو نبشكم عند قوله عند ربهم ثم استأنف جنات تجري على تقدير الجواب كأنه قيل ما ذلك الخير قال هو جنات وقيل منتهى الاستفهام عند قوله بخير من ذلك ثم ابتداء فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات ويجوز في العربية في اعراب جنات الرفع والجر فالجر على أن يكون آخر الكلام عند ربهم ولا يجوز الجر على الوجه الآخر للفصل باللام كما لا يجوز أمرت لك بأقنين ولا أخيك مائتين حتى يقول بمائتين ولو قدمت فقلت ومائتين لأخيك لجاز وخالدين نصب على الحال

✽ المعنى ✽

لما صغر تعالى الدنيا وزهد فيها في الآية الأولى عظم الآخرة وشرفها ورغب فيها في هذه الآية فقال (قل) يا محمد لا تمتك (أو نبشكم) أخبركم (بخير من ذلكم) بأنفع لكم مما سبق ذكره في الآية المتقدمة من شهوات الدنيا ولذاتها وزهراتها (للذين اتقوا) ما حرم الله عليهم (عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار) أي من تحت أشجارها الأنهار وعلى القول الآخر أخبركم بخير مما سبق للذين اتقوا عند ربهم ثم ابتداء فقال جنات أي ذلك الخير جنات تجري من تحت أبنيتها الأنهار وبين الله بهذا ان انهار الجنة جارية ابدية ليست كأنهار الدنيا التي يجري ماؤها تارة وينقطع أخرى (خالدين فيها) أي مقيمين في تلك الجنات (وأزواج مطهرة) من الحيض والنفاس وجميع الأقدار والادناس والطبائع الذميمة والأخلاق اللثيمة (ورضوان من الله) وورا هذه الجنات رضوان من الله (والله بصير بالعباد) أي خبير بأفعالهم واحوالهم

قوله تعالى (١٦) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ
(١٧) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ [آيتان]

✽ اللسغة ✽

المغفرة هي السر المذنب برفع التبعة والذنب والجرم بمعنى واحد والفرق بينهما ان اصل الذنب الاتباع فهو مما يتبع عليه العبد من قبيح عمله كالتبعة والجرم اصله القطع فهو القبيح الذي ينقطع به عن الواجب والفرق بين القول والكلام ان القول فيه معنى الحكاية وليس كذلك الكلام والصابر الحابس نفسه عن جميع معاصي الله والمقيم على ما أوجب عليه من العبادات والصدق المخبر بالشيء على ما هو به والقانت المطيع والاسحار جمع سحر وهو الوقت الذي قبل طلوع الفجر أصله الحفاء الحفاء الشخص في ذلك الوقت والسحر منه أيضا حفاء سببه والسحر الرثة حفاء موضعها

﴿ الإعراب ﴾

يجوز في موضع الذين الرفع والنصب والجر فالجر للاتباع للذين اتقوا والرفع والنصب على المدح وكذلك باقي الصفات ويجوز أن يكون جرا على الصفة للذين اتقوا

﴿ المعنى ﴾

ثم وصف المتقين الذين سبق ذكرهم في قوله للذين اتقوا فقال (الذين يقولون) اي المتقين القائلين (ربنا إننا آمننا) صدقنا الله ورسوله (فاغفر لنا ذنوبنا) اي استرها علينا وتجاوزها عنا (وقنا) اي وادفع عنا (عذاب النار) ثم وصفهم بصفات أخر ومدحهم واثني عليهم فقال (الصابرين) اي على فعل ما أمرهم الله به وترك ما نهاهم عنه وإن شئت قلت الصابرين على الطاعة وعن المعصية (والصادقين) في إيمانهم واقوالهم (والقانتين) قيل المطيعين عن قتادة وقيل الدائنين على الطاعة والعبادة عن الزجاج وقيل القائلين بالواجبات عن القاضي (والمنفقين) اموالهم في سبيل الخير ويدخل فيه الزكاة المفروضة والتطوع بالانفاق (والمستغفرين بالاسحار) المصلين وقت السحر عن قتادة ورواه الرضا عن أبيه (ع) عن ابي عبد الله (ع) وقيل السائلين المغفرة في وقت السحر عن أنس وقيل المصلين صلاة الصبح في جماعة عن زيد بن اسلم وقيل الذين ينتهي صلاتهم إلى وقت السحر ثم يستغفرونه ويدعون عن الحسن وروي عن أبي عبد الله ان من استغفر الله سبعين مرة في وقت السحر فهو من اهل هذه الآية وروي أنس بن مالك عن النبي (ص) انه قال ان الله عز وجل يقول اني لأهم بأهل الارض عذابا فإذا نظرت إلى عمار بيوتي وإلى المهجدين وإلى المتعابين في وإلى المستغفرين بالاسحار صرفته عنهم

قوله تعالى (١٨) شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم (١٩) إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ الكسائي أن الدين بفتح الالف والباقون بالكسر قال الزجاج وروي عن ابن عباس قال انه لا إله إلا هو بكسر الالف والقراءة انه بالفتح

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الوجه الكسر في ان لأن الكلام الذي قبله قد تم ومن فتح ان جعله بدلا والبدل وإن كان في تقدير جملتين فإن العامل لما لم يظهر اشبه الصفة فإذا جعلته بدلا جاز أن تبدله من شيتين ﴿ احدهما ﴾ من قوله انه لا إله إلا هو فكان التقدير شهد الله أن الدين عند الله الإسلام فيكون البدل من الضرب الذي الشيء فيه هو هو وإن شئت جعلته من بدل الاشتغال لأن الإسلام يشتمل على التوحيد والعدل وإن شئت جعلته من القسط لأن الدين الذي هو الإسلام قسط وعدل فيكون من البدل الذي الشيء فيه هو هو وقال غيره ان الأولى والثانية يجوز في العربية فتحها جميعا وكسرهما جميعا وفتح الأولى وكسر الثانية وكسر الأولى وفتح الثانية فمن فتحها اوقع الشهادة على ان الثانية وحذف حرف الإضافة من الأولى وتقديره شهد الله انه لا إله إلا هو أن الدين عند الله الإسلام ومن كسرهما اعترض بالأولى على التعظيم لله تعالى كما قيل لبيك

إن الحمد والنعمة لك وكسر الثانية على الحكاية لأن معنى شهد بمعنى قال قال الموزج شهد بمعنى قال في لغة قيس عيلان ومن فتح الأولى وكسر الثانية وهو الأجود وعليه أكثر القراء. أوقع الشهادة على الأولى واستأنف الثانية ومن كسر الأولى أو فتح الثانية اعترض بالأولى وأوقع الشهادة على الثانية

اللغة

حقيقة الشهادة الإخبار بالشيء عن مشاهدة أو ما يقوم مقام الشهادة ومعنى الدين هاهنا الطاعة واصله الجزاء وسميت الطاعة ديناً لأنها للجزاء ومنه الدين لأنه كالجزاء في وجوب القضاء والإسلام اصله السلم معناه دخل في السلم واصل السلم السلامة لأنها انقياد على السلامة ويصلح ان يكون اصله التسليم لأنه تسليم لأمر الله والتسليم من السلامة لأنه تأدية الشيء على السلامة من الفساد فالإسلام هو تأدية الطاعات على السلامة من الإدغال والإسلام والإيمان بمعنى واحد عندنا وعند المعتزلة غير ان عندهم الواجبات من افعال الجوارح من الإيمان وعندنا الإيمان من افعال القلوب الواجبة وليس من افعال الجوارح وقد شرحناه في اول البقرة والإسلام يفيد الانقياد لكل ما جاء به النبي (ص) من العبادات الشرعية والاستسلام له وترك التكبر عليه فإذا قلنا دين المؤمن هو الإيمان وهو الإسلام فالإسلام هو الإيمان ونظير ذلك قولنا الإنسان بشر والإنسان حيوان على الصورة الإنسانية فالحيوان على الصورة الإنسانية بشر والاختلاف ذهاب احد النفسين إلى خلاف ما ذهب اليه الآخر فهذا الاختلاف في الاديان فاما الاختلاف في الأجناس فهو امتناع أحد الشيتين أن يسد مسد الآخر فيما يرجع إلى ذاته والبغي طلب الاستعلاء بالظلم واصله من بغيت الحاجة إذا طلبتها

الإعراب

قيل في نصب قائما قولان ﴿١﴾ احدهما ﴿٢﴾ انه حال من اسم الله تعالى مؤكدة لأن الحال مؤكدة يقع مع الأسماء في غير الاشارة تقول انه زيد معروفا وهو الحق مصدقا وشهد الله قائما بالقسط اي قائما بالعدل والثاني ﴿٣﴾ انه حال من هو من قول لا إله الا هو وبغيا نصب على وجهين ﴿٤﴾ احدهما ﴿٥﴾ على انه مفعول له والمعنى وما اختلف الذين اتوا الكتاب للبغي بينهم مثل حذر الشر ونحو ذلك وقيل انه منصوب بما دل عليه وما اختلف كأنه لما قيل وما اختلف الذين اتوا الكتاب دل على وما بغي الذين اتوا الكتاب فحمل بغيا عليه

المعنى

لما قدم تعالى ذكر ارباب الدين اتبعه بذكر اوصاف الدين فقال (شهد الله انه لا إله الا هو) أي اخبر الله بما يقوم مقام الشهادة على وحدانيته من عجيب صنعته وبديع حكمته وقيل معنى شهد الله قضى الله عن ابي عبيدة قال الزجاج وحقيقته علم الله وبين ذلك فإن الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه ومنه شهد فلان عند القاضي اي بين ما علمه فالله تعالى قد دل على توحيديه بجميع ما خلق وبين انه لا يقدر احد ان ينشئ شيئا واحدا ما انشأه (والملائكة) اي وشهدت الملائكة بما عاينت من عظيم قدرته (واولو العلم) أي وشهد اولو العلم بما ثبت عندهم وتبين من صنعه الذي لا يقدر عليه غيره وروي عن الحسن ان في الآية تقديما وتأخيرا والتقدير شهد الله انه لا إله الا هو (قائما بالقسط) وشهدت الملائكة انه لا إله الا هو قائما بالقسط وشهد اولو العلم انه (لا إله الا هو) قائما بالقسط والقسط العدل الذي قامت به السموات والأرض ورواه اصحابنا ايضا في التفسير واولو العلم هم علماء المؤمنين عن السدي والكافي وقيل معنى قوله قائما بالقسط انه يقوم باجراء الامور وتدبير الخلق وجزاء الأعمال بالعدل كما يقال فلان قائم بالتدبير اي يجري افعاله على الاستقامة وانما كرر قوله لا إله الا هو لأنه بين بالاول انه المستحق للتوحيد لا يستحقه سواه وبالثاني انه القائم برزق الخلق وتدبيرهم بالعدل لا ظلم في فعله

(العزيز الحكيم) مر تفسيره وتضمنت الآية الإبانة عن فضل العلم والعلماء. لأنه تعالى قرن العلماء بالملائكة وشهادتهم بشهادة الملائكة وخصهم بالذكر كأنه لم يعتد بغيرهم والمراد بهذا العلم التوحيد وما يتعلق به من علوم الدين لأن الشهادة وقعت عليه وما جاء في فضل العلم والعلماء من الحديث ما رواه جابر بن عبد الله عن النبي (ص) انه قال ساعة من عالم يتكفى على فراشه ينظر في علمه خير من عبادة العابد سبعين عاما. وروى انس بن مالك عنه (ص) قال تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وتذكرة لأهل قربة لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والنار والأنيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء والقرب عند القرباء. يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة يقتدى بهم ويقفئ آثارهم وينتهي إلى رأيهم وترغب الملائكة في خلتهم وباجنتها تمسحهم وفي صلاتهم تستغفر لهم وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حبتان البحار وهوامها وسباع الارض وانعامها والسما ونجومها الا وان العلم حياة القلوب ونور الابصار وقوة الابدان يبلغ بالعبد منازل الاحرار ومجلس الملوك والفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام وبه يعرف الحلال والحرام وبه توصل الارحام والعلم امام العمل والعمل تابعه يلهم السعداء ويمحرم الاشقياء. وما جاء في فضل هذه الآية ما رواه انس عن النبي (ص) قال من قرأ شهد الله الآية عند منامه خلق الله منها سبعين الف خلق يستغفرون له إلى يوم القيامة. الزبير بن العوام قال قلت لادنون هذه العشية من رسول الله (ص) وهي عشية عرفة حتى اسمع ما يقوله فحجبت ناقتي بين ناقة رسول الله وناقة رجل كان جنبه فسمعته يقول شهد الله انه لا إله إلا هو الآية فما زال يرددها حتى دفع. غالب القطن قال اتيت الكوفة في تجارة فنزات قريبا من الأعمش فكنت اختلفت اليه فلما كنت ذات ليلة اردت ان انحدر إلى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الآية شهد الله انه لا إله إلا هو الآية ثم قال الأعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة ان الدين عند الله الإسلام قالها مرارا قلت لقد سمع فيها شيئا فصليت معه وودعته ثم قلت آية سمعتك ترددها فما بلغك فيها قال لا احديثك بها إلى سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم واقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا محمد قد مضت السنة فقال حدثني ابو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله (ص) يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ان لعبي هذا عهدا عندي وانا احق من وفي بالعهد ادخلوا عبي هذا الجنة وقال سعيد بن جبير كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنفا فلما نزلت شهد الله انه لا إله إلا هو الآية خررن سجدا وقوله (ان الدين) اي الطاعة (عند الله) هو (الاسلام) وقيل المراد بالاسلام التسليم لله ولا وليائه وهو التصديق وروي عن امير المؤمنين (ع) في خطبة له انه قال لانسب الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الاقرار والاقرار هو الاداء والاداء هو العمل رواه علي بن ابراهيم في تفسيره قال ثم قال ان المؤمن اخذ دينه عن ربه ولم يأخذه عن رأيه ان المؤمن يعرف ايمانه في عمله وان الكافر يعرف كفرانه بانكاره ايها الناس دينكم دينكم فإن السيئة فيه خير من الحسنة في غيره ان السيئة فيه تغفر وان الحسنة في غيره لا تقبل (وما اختلف الذين اتوا الكتاب) معناه وما اختلف اليهود والنصارى في صدق نبوة محمد (ص) لما كانوا يجدونه في كتبهم بنعته وصفته ووقت خروجه (إلا من بعد ما جاءهم العلم) بعد ما جاءهم العلم ثم اخبر عن علة اختلافهم فقال (بغيا بينهم) اي حسدا وتقديره وما اختلف الذين اتوا الكتاب بغيا بينهم إلا من بعد ما جاءهم العلم والعلم المذكور يجوز ان يراد به البيئات التي هي طريق العلم فيدخل فيه المبطلون من أهل الكتاب علموا أو لم يعلموا ويحتمل ان يراد به نفس العلم فلا يدخل فيه إلا من علم بصفة محمد (ص) وكتبه عنادا وقيل المراد بالذين اتوا الكتاب اليهود والكتاب التوراة لما عهد موسى (ع) اليهم واقام فيهم يوشع بن نون ومضى ثلاثة قرون واختلفوا عن الربيع وقيل المراد بالذين اتوا الكتاب النصارى والكتاب الانجيل واختلفوا في امر عيسى (ع) عن محمد

ابن جعفر بن الزبير وقيل خرج مخرج الجنس ومعناه كتب الله المتقدمة واختلفا بعد في الدين عن الجبائي (ومن يكفر
بآيات الله) أي بجججه وقيل بالتوراة والانجيل وما فيها من صفة محمد (ص) وقيل بالقرآن وما دل عليه (فإن الله
سريع الحساب) أي لا يفوته شيء من أعمالهم وقيل معناه سريع الجزاء وحقيقة الحساب أن تأخذ مالك وتعطي ما عليك

قوله تعالى (٢٠) فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَصَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلَّمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ
وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ [آية]

﴿ القراءة ﴾

حذف عاصم وحزمة والكسائي الياء من اتبعن اجتزاء بالكسرة واتباعا للمصحف واثبتها الباقون على الاصل

﴿ الحجة ﴾

حذف الياء في اواخر الآي أحسن لأنها تشبه القوافي ويجوز في وسط الآي أيضا وأحسنها ما كان قبلها نون
مثل قوله ومن اتبعن فإن لم يكن نون جاز أيضا نحو قواك هذا غلام وما أشبه ذلك والاجود اثبات الياء وإن
سنت اسكنت الياء وإن سنت فتحتها

﴿ الإعراب ﴾

ومن اتبعن في محل الرفع عطفا على التاء في قوله أسلمت ولم يؤكّد الضمير فلم يقل أسلمت أنا ومن
اتبعت ولو قلت أسلمت وزيد لم يحسن إلا أن تقول أسلمت أنا وزيد وإنما جاز هنا لطول الكلام فصار طوله
عوضا من تأكيد الضمير المتصل بالمتنصل

﴿ المعنى ﴾

لما قدم الله سبحانه ذكر الايمان والاسلام خاطب نبيه فقال (فإن حاجوك) المعنى فإن حاجك وخاصك
النصارى وهم وفد نجران (فقل) يا محمد (أسلمت وجهي لله) وفيه وجهان ﴿ أحدهما ﴾ ان معناه
انقذت لأمر الله في اخلاص التوحيد له والحجة فيه انه الزمهم على ما اقروا من ان الله خالقهم اتباع أمره في ان
لا يعبدوا إلا اياه ﴿ والثاني ﴾ ان معناه اعرضت عن كل معبود دون الله واخلصت قصدي بالعبادة اليه
وذكر الأصل الذي يلزم جميع المكلفين الاقرار به لأنه لا يتبعض فيما يحتاج إلى العمل عليه في الدين الذي هو
طريق النجاة من العذاب إلى النعيم ومعنى وجهي هنا نفسي وأضاف الإسلام إلى الوجه لأن وجه الشيء أشرف
ما فيه لأنه يجمع الحواس وعليه يظهر آية الحزن والسرور فمن أسلم وجهه فقد أسلم كله ومنه قوله كل شيء
هالك إلا وجهه (ومن اتبعني) أي ومن اهتدى بي في الدين من المسلمين فقد أسلموا أيضا كما أسلمت (وقل)
يا محمد (للذين أوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (والأميين) أي الذين لا كتاب لهم عن ابن عباس
وغيره وهم مشركو العرب وقد مر تفسير الأمي واشتقاقه عند قوله ومنهم أميون (أسلمتم) أي أخلصتم كما
أخلصت لفظه لفظ الاستفهام وهو بمعنى الترويق والتعهد فيكون متضمنا للأمر فيكون معناه أسلموا فإن
الله تعالى أزاح العلل وأوضح السبل ونظيره فهل أنتم منتهون أي انتهوا وهذا كما يقول الانسان لغيره وقد وعظه
بمواظبة وأقبلت وعظي يدعوه إلى قبول الوعظ (فإن أسلموا فقد اهتدوا) إلى طريق الحق (وإن تولوا) أي كفروا
ولم يقبلوا وأعرضوا عنه (فإنما عليك البلاغ) معناه فإنما عليك أن تبلغ وتقيم الحجة وليس عليك أن لا يتولوا

(والله بصير بالعباد) معناه هاهنا انه لا يفوته شي من أعمالهم التي يجازيهم بها لأنه بصير بهم أي عالم بهم وبسرائرهم لا يخفى عليه خافية وقيل معناه عالم بما يكون منك في التبليغ ومنهم في الإيمان والكفر
قوله تعالى (٢١) **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** (٢٢) **أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ** [آيتان]

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة يقاتلون بالألف وقيل إننا قرأها اتباعا لمصحف عبد الله بن مسعود لأن فيه وقاتلوا الذين يأْمُرُونَ والباقون يقتلون وهي القراءة الظاهرة

﴿ الإعراب ﴾

إنما دخلت الفاء في قوله فبشرهم لشبه الجزاء وإنما لم يجز ليت الذي يقوم فيكركمك وجزاء الذي يقوم فيكركمك لأن الذي إنما دخلت الفاء في خبرها لما في الكلام من معنى الجزاء وليت تبطل معنى الجزاء وليس كذلك ان لأنها بمنزلة الابتداء.

﴿ المعنى ﴾

لما قدم سبحانه ذكر الاحتجاج على اهل الكتاب وحسن الوعد لهم ان اسلموا وشدة الوعيد ان ابوا فصل في هذه الآية كفرهم فقال (ان الذين يكفرون) اي يجحدون حجج الله تعالى وبيناته (ويقتلون النبيين) قيل هم اليهود فقد روي عن ابي عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة فقال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف او نهى عن منكر ثم قرأ (ويقتلون النبيين بغير حق) ويقتلون الذين يأْمُرُونَ بالقسط من الناس) ثم قال (ع) يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهواهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم وهو الذي ذكره الله تعالى (فبشرهم بعذاب اليم) اي اخبرهم بأن لهم العذاب الأليم وإنما قال بشرهم على طريق الاتساع والاستعارة والبشارة تكون في الخير دون الشر لأن ذلك لهم مكان البشارة للمؤمنين ولأنها مأخوذة من البشرة وبشرة الوجه تغير بالسرور في الخير وبالغم في الشر ويقال كيف قال فبشرهم وإنما قتل الأنبياء اسلافهم فالجواب لأنهم رضوا بافعالهم واقتدوا بهم فأجملوا معهم وقيل معناه بشر هولاء بالعذاب الليم لاسلافهم وقوله بغير حق لا يدل على ان قتل النبيين ما هو حق بل المراد بذلك ان قتلهم لا يكون إلا بغير حق كقوله ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به والمراد بذلك تأكيد النفي والمبالغة فيه كما يقال فلان لا يرجي خيره والغرض في ذلك انه لا خير عنده على وجه من الوجوه وكما قال ابو ذؤيب

متفلق انشاؤها عن قاني فالقرطصاء وغيره لا يرضع

اي ليس له بقية لبن فيرضع وعلى هذا فقد وصف القتل بما لا بد ان يكون عليه من الصفة وهو وقوعه على خلاف الحق وكذلك الدعاء في قوله تعالى ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به وصفه بأنه لا يكون إلا من غير برهان وقد استدلل علي بن عيسى بهذه الآية على جواز انكار المنكر مع خوف القتل وبالخبير الذي رواه الحسن عن النبي (ص) انه قال افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر يقتل عليه وهذا فيه نظر لأن من شرط حسن انكار المنكر أن لا يكون فيه مفسدة ومتى ادى إلى القتل فقد انتفى عنه هذا الشرط فيكون قبيحا

والوجه في الآية والأخبار التي جاءت في معناها ان يغلب على الظن ان انكار المنكر لا يؤدي إلى مفسدة فيحسن ذلك بل يجب وان يعقبه القتل لأنه ليس من شرطه ان يعلم ذلك بل يكفي فيه غلبة الظن (او أنك الذين كفروا بآيات الله) وقتلوا الأنبياء والأمرين بالمعروف (وحبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة) يريد باعمالهم ما هم عليه من ادعائهم التمسك بالتوراة واقامة شريعة موسى (ع) واراد ببطانها في الدنيا انها لم تحقق دماهم واموالهم ولم ينالوا بها الثناء والمدح وفي الآخرة انهم لم يستحقوا بها مشوبة فصارت كأنها لم تكن لأن حبوط العمل عبارة عن وقوعه على خلاف الوجه الذي يستحق عليه الثواب والأجر والمدح وحسن الذكر وانما تحبط الطاعة حتى تصير كأنها لم تفعل إذا وقعت على خلاف الوجه المأمور به (وما اهتم من ناصرين) يدفعون عنهم العذاب

قوله تعالى (٢٣) ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يُدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون (٢٤) ذلك بأنهم قالوا لن نمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون [آيتان]

﴿ اللغة ﴾

النصيب الحظ من الشيء وهو القسم المجعل لمن اضيف اليه والدعاء استدعاء الفعل ثم قد يكون بصيغة الامر وبالخبير وبالادلة والحكم والخبير الذي يفصل الحق من الباطل مأخوذ من الحكمة وهي المنع والغرور الاجتماع فيا لا يصح غره يغره غرور ا فهو مغرور والغرور الشيطان لأنه يغر الناس والغار الغافل لأنه كالمغتر والغرارة الدنيا تغر اهلها والغر الغمر الذي لم يجرب الامور ومصدره الغرارة لأنه من شأنه أن يقبل الغرور والغرور الحظر اخذ منه والغر آثار طي الثوب اطوه على غره اي على آثار طيه والغرزق الطائر فرخه والافتراء الكذب وفري فلان كذبا يفريه فرية والفري الشق وفرية مفرية اي مشقوقة وقد تغرى خرزها اي تشفق وفريت الارض سرتها وقطعتها

﴿ الإعراب ﴾

يدعون جملة في موضع الحال من اوتوا يتولى فريق جملة معطوفة على يدعون وهم معرضون في موضع نصب ايضا على الحال من يتولى اياما نصب على الظرف لأن مس النار يكون في تلك الايام ومعدودات صفة الايام

﴿ المعنى ﴾

لما قدم تعالى ذكر الحجاج بين انهم اذا عضتهم الحججة فروا الى الضجة واعرضوا عن الحججة فقال (ألم تر) معناه ألم ينته علمك (الى الذين اوتوا نصيباً) اي اعطوا نصيباً اي حظامن الكتاب يدعون الى كتاب الله اختلف فيه فقيل معناه التورية عن ابن عباس دعا اليها اليهود فابوا لعلمهم بلزوم الحججة لهم لما فيه من الدلالات على نبوة محمد (ص) وصدقه وانما قال اعطوا نصيباً من الكتاب لانهم كانوا يعلمون بعض ما فيه وقيل معناه القرآن عن الحسن وقتادة دعوا الى القرآن لأن ما فيه موافق لما في التورية من اصول الديانة واركان الشريعة وفي الصفة التي تقدمت البشارة بها (ليحكم بينهم) يحتمل ثلاثة اشياء احدها ان معناه ليحكم بينهم في نبوة محمد (ص) عن ابي مسلم وجماعة والثاني ان معناه ليحكم بينهم في امر ابراهيم وان دينه الاسلام والثالث معناه ليحكم بينهم في امر الرجم فقد روي عن ابن عباس ان رجلا وامرأة من اهل خيبر زنيا وكانا ذوي شرف فيهم وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمها لشرفها ورجوا ان يكون عند رسول الله رخصة في امرها فرفعوا امرها الى

رسول الله فحكّم عليها بالرحم فقال له النعمان بن اوفى وبجرى بن عمرو جرت عليها يا محمد ليس عليها الرجم فقال لهم رسول الله بيني وبينكم التوراة قالوا قد انصقتنا قال فمن اعلمكم بالتوراة قالوا رجل اعور يسكن فذك يقال له ابن صوريا فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبرائيل قد وصفه لرسول الله فقال له رسول الله انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال فدعا رسول الله بشي من التوراة فيها الرجم مكتوب فقال له اقرأ فلما اتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها فقال ابن سلام يارسول الله قد جاوزها وقام الى ابن صوريا ورفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله (ص) وعلى اليهود بان المحسن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليها البينة رجما وان كانت المرأة حبل انتظر بها حتى تضع ما في بطنها فامر رسول الله (ص) باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك فانزل الله تعالى هذه الآية (ثم يتولى فريق منهم) أي طائفة منهم عن الداعي (وهم معرضون) عن اتباع الحق (ذاك) معناه شأنهم ذلك فهو خبر مبتدأ محذوف فالله تعالى بين العلة في اعراضهم عنه مع معرفتهم به والسبب الذي جرأهم على الجحد والانكار (بانهم قالوا لن تمسنا النار) اي لن تصيبننا النار (إلا اياماً معدودات) وفيه قولان احدهما انها الايام التي عبدوا فيها العجل وهي اربعون يوماً عن الربيع وقتادة والحسن الا ان الحسن قال سبعة ايام والثاني انهم ارادوا اياما منقطعة عن الجبائي (وغرهم في دينهم) اي اصمهم في غير طمع (ما كانوا يفترون) اي افتراءهم وكذبهم واختلفوا في الافتراء الذي غرهم على قولين احدهما قولهم نحن ابنا الله واحباؤه عن قتادة والآخر قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات عن مجاهد وهذا لا يدل على خلاف ما يذهب اليه من جواز العفو واخراج المعاقبين من اهل الصلاة من اهل النار لأننا نقول ان عقاب من ثبت دوام ثوابه بايانه لا يكون الا منقطعاً وان لم يحط علماً بقدر عقابه ولا نقول ايام عقابه بعدد ايام عصيانه كما قالوا وبين القولين بون ظاهر

قوله تعالى (٢٥) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [آية]

﴿ اللغة ﴾

كيف موضوعة للسؤال عن الخال ومعناه هاهنا التنبيه بصيغة السؤال على حال من يساق الى النار وفيه بلاغة واختصار شديد لأن تقديره أي حال يكون حال من اغتر بالدعاوى الباطلة حتى اداه ذلك الى الخلود في النار ونظيره قول القائل (انا كرمك وان لم تحي فكيف اذا جتني) معناه فكيف اكرامي لك اذا جتني يريد اعظم الاكرام والتقدير فكيف حالهم اذا جمعناهم أي في وقت جمعهم لأنه خبر مبتدأ محذوف

﴿ المعنى ﴾

ثم اكد سبحانه ما تقدم فقال (فكيف) حالهم (اذا جمعناهم) اي وقت جمعهم وحشرهم (ليوم) اي لجزاء يوم (لا ريب فيه) لا شك فيه لمن نظر في الأدلة اذ ليس فيه موضع ريبه وشك ولو قال جمعناهم في يوم لم يدل على الجزاء واللام يدل على ذلك كما يقال جنته ليوم الخميس اي لما يكون في يوم الخميس ولا يعطي جنته في يوم الخميس هذا المعنى (ووفيت كل نفس ما كسبت) فيه قولان احدهما ان معناه ووفرت على كل نفس جزاء ما كسبت من ثواب او عقاب والثاني اعطيت ما كسبت اي اجتلبت بعملها من الثواب والعقاب كما يقال كسب فلان المال بالتجارة والزراعة (وهم لا يظلمون) اي لا ينقصون عما استحقوه من الثواب ولا يزدون على ما استحقوه من العقاب

قوله تعالى (٢٦) قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ
وَتُعْزِّزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلِّقُ مَنْ تَشَاءُ يُبَدِّلُ الْخَيْرُ إِنْكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٧) تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي
النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ
تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ [آيتان]

﴿ فضل الآية ﴾

روى جعفر بن محمد (ع) عن ابيه عن آباءه عن النبي (ص) انه قال لما اراد الله ان ينزل فاتحة الكتاب وآية
الكرسي وشهد الله وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب تعلقن بالعرش وليس بينهن وبين الله حجاب وقلن
بارب تهبطننا إلى دار الذنوب والى من يعصيك ونحن معلقات بالطهور وبالعرش فقال وعزتي وجلالي ما من عبد
قرأ كن في دبر كل صلاة مكتوبة إلا اسكنته حظيرة القدس على ما كان فيه وإلا نظرت اليه بعيني المكنونة
في كل يوم سبعين نظرة والاقضيت له في كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة والا اعذته من كل عدو ونصرته عليه ولا يمنع
دخول الجنة إلا ان يموت وقال معاذ بن جبل احتسبت عن رسول الله يوما لم اصل معه الجمعة فقال يا معاذ ما يمنعك
عن صلاة الجمعة قلت يا رسول الله كان ليوحنا اليهودي علي اوقية من تبر وكان علي باي يرصدني فاشقت ان
يجسني دونك قال اتحب يا معاذ ان يقضي الله دينك قلت نعم يا رسول الله قال قل اللهم مالك الملك تؤتي
الملك من تشاء إلى قوله بغير حساب يا رحمان الدنيا ورحيمها تعطني منها ما تشاء وتمنع منها ما تشاء اقض عني
ديني فإن كان عليك مل الأرض ذهباً لأداه الله عنك

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وحزمة والكسائي وحفص ويعقوب الميت بالتشديد الباقون بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

قال المبرد لا خلاف بين علماء البصرة انها سواء وأنشد لابن رعدة الغساني

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيباً كاسفاً باله قليل الرجاء

فجمع بين اللغتين وما مات وما لم يميت في هذا الباب يستويان في الاستعمال وقال بعضهم الميت بالتشديد
الذي لم يميت بعد وبالتخفيف الذي قد مات والصحيح الاول ألا ترى انه قل ما جاء

ومنهل فيه الغراب ميت سقيت منه القوم واستقيت

فهذا قد مات

﴿ اللغة ﴾

الترع قلع الشيء عن الشيء يقال ترع فلان إلى اخواله أي ترع اليهم بالشبه فصار واحدا منهم بشبهه لهم
والترع الحنين إلى الشيء والترع عن الشيء الترك له الايلاج الادخال يقال اولجه فولج ولوجا ولوجا ولوجا والوليجه
بطانة الرجل لأنه يطلعه على دخلة أمره والتولج كناس الظبي لأنه يدخله والولج والولجة شيء يكون بين
يدي فناء القوم

* الإعراب *

اللهم بمعنى يا الله والميم المشددة عند سيبويه والخليل عوض عن يا لأن يا لا يوجد مع الميم في كلامهم فعلم ان الميم في آخر الكلمة بمنزلة يا في اولها والضمة التي في اولها ضمة الاسم المنادى المفرد والميم مفتوحة لسكونها وسكون الميم التي قبلها وقال الفراء اصله يا الله ام بغير فالقيت الهجزة وطرحت حركتها على ما قبلها ومثله هلم انما اصله هل ام واعترض على قول الخليل بان الميم انما تراد مخففة في مثل قم وانهم وبانها اجتمعت مع يا في قول الشاعر وما عليك ان تقولي كلما سبحت او صليت يا الله

اردد علينا شيخنا مسلما

وقال علي بن عيسى هذا ليس بشي لأن الميم هاهنا عوض من حرفين فشددت كما قيل قمتن وضربتني لما كانت النون عوضا من حرفين في قمتوا أو ضربتموا فاما قمن وذهبن فالنون هناك عوض عن حرف واحد وأما البيت فإنما جاز ذلك فيه لضرورة الشعر واما هلم فإن الأصل فيه ان حرف التنبيه وهي ها دخلت على لم عند الخليل وقوله مالك الملك اكثر النحويين على انه منصوب بانه منادى مضافا قال الزجاج ويحتمل ان يكون صفة من اللهم لأن اللهم بمنزلة يا الله فيكون مثل قولك يا زيد ذو الجمة توتي الملك فعل وفاعل ومفعول في موضع النصب على الحال والعامل فيه حرف النداء وذو الحال اللهم او مالك ومن تشاء مفعول ثان والتقدير توتي الملك من تشاء ان توتيه وتنزع الملك ممن تشاء ان تنزعه منه وكذا الباء في بيدك الخير مبتدأ وخبر في موضع الحال ايضا والعامل فيه توتي وتنزع وتعز وتذل وذو الحال الضمير المستكن فيها

* النزول *

قيل لما فتح رسول الله (ص) مكة ووعد امته ملك فارس والروم قال المنافقون واليهود هيهات من اين لمحمد (ص) ملك فارس والروم ألم يكفه المدينة ومكة حتى طمع في الروم وفارس ونزلت هذه الآية عن ابن عباس وانس ابن مالك وقيل ان النبي (ص) خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا فاحتج المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار سلمان منافق قال النبي (ص) سلمان منا اهل البيت قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة ونعمان ابن مقرن المرني وستة من الانصار في اربعين ذراعا فحفرنا حتى إذا كنا بجنب ذي ناب اخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق إلى رسول الله (ص) واخبره خبر هذه الصخرة فإما ان نعدل عنها فإن المعدل قريب واما ان يأمرنا فيه بأمره فإننا لا نحتاج ان نجاوز خطه قال فرقي سلمان إلى رسول الله وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحتمل فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمرك فإننا لا نجب ان نجاوز خطك قال فهبط رسول الله (ص) مع سلمان الخندق والتسعة على شفة الخندق فأخذ رسول الله (ص) المعول من يد سلمان فضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتها حتى كان لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله (ص) تكبيرة فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله الثانية فكسرها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتها حتى كان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله (ص) تكبيرة فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله الثالثة فكسرها فبرق منها برق اضاء بها ما بين لابتها حتى كان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله تكبيرة فتح وكبر المسلمون واخذ بيد سلمان ورقي فقال سلمان بأني انت وامي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت منك قط فالتفت رسول الله (ص) إلى القوم وقال رأيتهم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي

الاولى فبرق الذي رأيتم اضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها انياب الكلاب فأخبرني جبرائيل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم اضاءت لي منها قصور الحمير من ارض الروم كأنها انياب الكلاب واخبرني جبرائيل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم اضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها انياب الكلاب واخبرني جبرائيل ان امتي ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون الا تعجبون يمينكم ويعدم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يشرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم إنما تحضرون الحندق من الفرق ولا تستطيعون ان تبرزوا فنزل القرآن وإذ يقول المنافقون الذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا وانزل الله في هذه القصة قل اللهم مالك الملك توثي الملك الآية رواه الثعلبي باسناده عن عمرو بن عوف

المعنى

لما ذكر سبحانه مكاييد اهل الكتاب علم رسوله حاجتهم وكيف يجيبهم إذا سألوا واجابوا فقال (قل) يا محمد (اللهم) يا الله (مالك الملك) مالك كل ملك وملك كل مالك دونك هالك وكل ملك دونك يهلك وقيل مالك العباد وما ملكوا عن الزجاج وقيل مالك أمر الدنيا والآخرة وقيل مالك النبوة عن مجاهد وسعيد بن جبير (توثي الملك من تشاء) تعطي الملك من تشاء وفيه محذوف اي من تشاء ان توثيه وتنزع الملك ممن تشاء ان تنزعه منه كما تقول غدا ما شئت ودع ما شئت ومعناه تقطع الملك عن تشاء ان تقطعه عنه على ما توجه الحكمة وتقضيه المصلحة واختلف في معناه فقيل توثي الملك واسباب الدنيا محمدا واصحابه وامته وتنزعه عن صناديد قريش ومن الروم وفارس فلا تقوم الساعة حتى يفتحها اهل الإسلام عن الكلبي وقيل توثي النبوة والإمامة من تشاء من عبادك وتوليه التصرف في خلقك وبلادك تنزع الملك على هذا الوجه من الجبارين بقهرهم وازالة ايديهم فان الكافر والفاسق وان غلب أو ملك فليس ذلك بملك يوتييه الله لقوله تعالى لا ينال الظالمين وكيف يكون ذلك من ايتاء الله وقد امر بقصر يده عنه وازالة ملكه (وتعز من تشاء) بالايان والطاعة (وتذل من تشاء) بالكفر والمعاصي وقيل تعز المؤمن بتعظيمه والثناء عليه وتذل الكافر بالجزية والسبي وقيل تعز محمدا واصحابه وتذل ابا جهل واضرابه من المقتولين يوم بدر في القليب وقيل تعز من تشاء من اوليائك بانواع العزة في الدنيا والدين وتذل من تشاء من اعدائك في الدنيا والآخرة لأن الله تعالى لا يذل اوليائه وان افقرهم وابتلاهم فإن ذلك ليس على سبيل الإذلال بل ليكرمهم بذلك في الآخرة يعزهم ويجلهم غاية الاعزاز والاجلال (بيدك الخير) اللام للجنس اي الخير كله في الدنيا والآخرة من قبلك وانما قال بيدك الخير وان كان بيده كل شيء من الخير والشر لأن الآية تضمنت ايجاب الرغبة اليه فلا يحسن في هذه الحالة إلا ذكر الخير لأن الترغيب لا يكون إلا في الخير وهذا كما يقال امر فلان بيد فلان (انك على كل شيء قدير) اي قادر على جميع الأشياء لا يعجزك شيء تقدر على ايجاد المعدوم وافناء الموجود واعادة ما كان موجودا (تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل) قيل في معناه قولان ﴿احدها﴾ ان معناه ينقص من الليل فيجعل ذلك النقصان زيادة في النهار وينقص من النهار فيجعل ذلك النقصان زيادة في الليل على قدر طول النهار وقصره عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعامة المفسرين ﴿والآخر﴾ معناه تدخل احدهما في الآخر باتيانه بدلا منه في مكانه عن ابي علي الجبائي (وتخرج الحي من الميت) اي من النطفة وهي ميتة بدليل قوله وكنتم امواتا فأحياكم (وتخرج الميت من الحي) اي النطفة من الحي وكذلك الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة والسدي وقيل ان معناه تخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن عن الحسن وروي ذلك عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) (وترزق من تشاء بغير حساب) معناه بغير تقدير

كما يقال فلان ينفق بغير حساب لأن من عادة المقتر ان لا ينفق إلا بحساب ذكره الزجاج وقيل معناه بغير مخالفة نقصان لما عنده فإنه لا نهاية لمقدوراته فما يؤخذ منها لا ينقصها ولا هو على حساب جزء من كذا كما يعطي الواحد منا العشرة من المائة والمائة من الألف وقيل ان المراد بن يشاء ان يرزقه اهل الجنة لأنه يرزقهم رزقا لا يتناوله الحساب ولا العد ولا الإحصاء من حيث انه لا نهاية له ويطابقه قوله فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب

قوله تعالى (٢٨) لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْيَةً وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ [آية]

✽ القراءة ✽

قرأ يعقوب وسهل تقية وهو قراءة الحسن ومجاهد والباقرن تقاة وامال الكسائي تقاة وقرأ نافع وحزمة بين التفخيم والإمالة والباقرن بالتفخيم

✽ الحجة ✽

الاجود في تقاة التفخيم من اجل الحرف المستعلي وهو القاف وانما جازت الإمالة لتروذن ان الالف منقلبة من الياء وتقاة وزنها فعلة نحو تودة وتحممة فهما جميعا مصدر تقي تقية وتقاة واتقاء وتقوى واصلها وقا. الا ان الواو المضمومة ابدلت يا. استثقلا لها فإنهم يفرون من ضمة الواو الى الهزة والى التاء. فاما التاء فلقربهام من الواو مع انها من حروف الزيادات وأما الهزة فلأنها نظيرتها في الطرف الآخر من مخارج الحروف مع حسن زيادتها اولا والتقية الاظهار باللسان خلاف ما ينطوي عليه القلب للخوف على النفس

✽ الاعراب ✽

معنى من ابتداء الغاية من قوله من دون المؤمنين على تقدير لا تجعلوا ابتداء الولاية مكانا دون المؤمنين لأن مكان المؤمن الاعلى ومكان الكافر الادنى كما تقول زيددونك ولست تريدان زيدا في موضع متسفل وانه في في موضع مرتفع لكن جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع والحسة كالسفال وقوله فليس من الله في شيء من في من الله يتعلق بمحذوف وهو حال والعامل فيه ما يتعلق به في وتقديره فليس في شيء من الله فن الله في موضع الصفة لشيء فلما تقدمه انتصب على الحال وقوله ان تتقوا في محل الجربياء محذوف أو في محل النصب بمحذوف الباء على ما مر امثاله

✽ المعنى ✽

لما بين سبحانه انه مالك الدنيا والآخرة والقادر على الاعزاز والإذلال نهى المؤمنين عن موالاته من لا اعزاز عندهم ولا اذلال من اعدائه ليكون الرغبة فيما عنده وعند اوليائه المؤمنين دون اعدائه الكافرين فقال (لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء) أى لا ينبغي للمؤمنين ان يتخذوا الكافرين اولياء. لنفوسهم وان يستعينوا بهم ويلتجئوا اليهم ويظهروا المحبة لهم كما قال في عدة مواضع من القرآن نحو قوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية وقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء. ولا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء. وقوله (من دون المؤمنين) معناه يجب ان يكون الموالاته مع المؤمنين وهذا نهى عن موالاته الكفار ومعاونتهم على المؤمنين وقيل نهى عن ملاطفة الكفار عن ابن عباس والاولياء جمع الولي وهو الذي يأمر من ارتضى فعله بالمعونة والنصرة

ويجري على وجهين ﴿أحدهما﴾ المعين بالنصرة ﴿والآخر﴾ المعان فقوله تعالى ولي الذين آمنوا معناه معينهم بنصرته ويقال المؤمن ولي الله أي معان بنصرته وقوله (ومن يفعل ذلك) معناه من اتخذ الكافرين اولياء من دون المؤمنين (فليس من الله في شيء) أي ليس هو من اولياء الله والله بريء منه وقيل ليس هو من ولاية الله تعالى في شيء وقيل ليس من دين الله في شيء ثم استثنى فقال إلا ان تتقوا منهم تقاة والمعنى إلا ان يكون الكفار غالبين والمؤمنون مغلوبين فيخافهم المؤمن ان لم يظهر موافقتهم ولم يحسن العشرة معهم فعند ذلك يجوز له اظهار مودتهم بلسانه ومداراتهم تقية منه ودفعاً عن نفسه من غير ان يعتقد ذلك وفي هذه الآية دلالة على ان التقية جائزة في الدين عند الخوف على النفس وقال اصحابنا انها جائزة في الأحوال كلها عند الضرورة وربما وجبت فيها لضرب من اللطف والاستصلاح وليس تجوز من الافعال في قتل المؤمن ولا يعلم او يغلب على الظن انه استفساد في الدين قال المفيد انها قد تجب أحياناً ويكون فرضاً ويجوز أحياناً من غير وجوب وتكون في وقت افضل من تركها وقد يكون تركها أفضل وان كان فاعلها معذوراً ومغفوا عنه متفضلاً عليه بترك اللوم عليها وقال الشيخ ابو جعفر الطوسي (قده) ظاهر الروايات تدل على انها واجبة عند الخوف على النفس وقد روي رخصة في جواز الافصاح بالحق عنده وروي الحسن ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين من اصحاب رسول الله (ص) فقال لأحدهما اتشهد بأن محمداً رسول الله قال نعم قال افتشهد اني رسول الله فقال نعم ثم دعا بالآخر فقال اتشهد ان محمداً رسول الله قال نعم ثم قال افتشهد اني رسول الله فقال اني اصم قالها ثلاثاً كل ذلك يجيبه بمثل الأول فضرب عنقه فبلغ ذلك رسول الله فقال اما ذلك المقتول فمضى على صدقه وبقينه واخذ فضله فهيناً له واما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه فعلى هذا تكون التقية رخصة والافصاح بالحق فضيلة وقوله (ويحذركم الله نفسه) يعني اياه فوضع نفسه مكان اياه ومعناه ويحذركم الله عقابه على اتخاذ الكافرين اولياء من دون المؤمنين وعلى سائر المعاصي وذكر (نفسه) لتحقيق الاضافة كما يقال احذر الأسد اي صولته وافتراسه دون عينه (ولي الله المصير) ومعناه وإي جزاء الله المرجع وقيل إلى حكمه

قوله تعالى (٢٩) قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [آية]

﴿ اللغة ﴾

الصدر معروف وهو اعلى مقدمة كل شيء والصدر الانصراف عن الماء بعد الري والتصدير حزام الرجل لميله إلى الصدر والصدار شبيهه بالبقيرة تلبسها المرأة لأنه قصير يغطي الصدر وما حاذاه

﴿ الاعراب ﴾

يعلمه الله جزم لأنه جواب الشرط وان كان الله يعلمه كان او لم يكن ومعناه يعلمه كائننا ولا يصح وصفه بذلك قبل ان يكون ورفع ويعلم ما في السموات على الاستئناف

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم النهي عن اتخاذ الكفار اولياء لا خوفاً من الابطان بخلاف الإظهار فيما نهوا عنه فقال سبحانه (قل) يا محمد (ان تخفوا) اي ان تستروا (ما في صدوركم) يعني ما في قلوبكم وانما ذكر الصدر لأنه محل القلب (او تبدوه) اي تظهروا (يعلمه الله) فلا ينفعكم اخفاؤه وهو مع ذلك يعلم ما في السموات وما في الأرض) وانما قال ذلك ليذكر بمعلوماته على التفصيل فيتم التحذير إذ كان من يعلم ما في السموات

وما في الأرض على التفصيل يعلم الضمير (والله على كل شيء قدير) فيقدر على اخذكم ومجازاتكم

قوله تعالى (٣٠) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُ كُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ (آية)

✽ اللغة ✽

الأمدة الغاية التي ينتهى اليها قال النابغة

الا لملك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمدة

✽ الإعراب ✽

في انتصاب يوم وجوه (٣٠) أحدها (٣٠) انه منصوب بيحذركم أي يحذركم الله نفسه يوم تجد (٣٠) والثاني (٣٠) بالمصير تقديره إلى الله المصير يوم تجد (٣٠) والثالث (٣٠) اذكر يوم تجد وقوله ما عملت ما هاهنا بمعنى الذي لأنه عمل فيه تجد فهي في موضع نصب ويحتمل أن يكون مسع ما بعدها بمعنى المصدر وتقديره يوم تجد كل نفس عملها بمعنى جزاء عملها محضرا منصوب على الحال من تجد إذا جعلته من الوجدان فإن جعلته من العلم فهو مفعول ثان وقوله وما عملت من سوء يصلح فيها معنى الذي يقويه قوله يود بالرفع ولو كان بمعنى الجزاء لكان تود مفتوحا أو مكسورا والرفع جائز على ضعف وأقول ان جواب لو هنا محذوف وتقدير الكلام تود ان بينها وبينه أمدا بعيدا لو ثبت ذلك لأن لو يقتضي الفعل ولا يدخل على الاسم وان مسع اسمه وخبره بمنزلة مصدر فيكون تقديره لو ثبت ان بينها وبينه أمدا بعيدا فيكون في ذكر فاعل الفعل المقدر بعد لو دلالة على مفعول تود المحذوف وفي لفظ تود دلالة على جواب لو هذا مما سنع لي الآن وهو واضح بحمد الله تعالى ومنه

✽ المعنى ✽

لما حذر العقاب في الآية المتقدمة بين وقت العقاب فقال (يوم تجد كل نفس ما عملت) في الدنيا (من) طاعة و (خير محضرا) ونظيره قوله ووجدوا ما عملوا حاضرا وعملت نفس ما أحضرت ثم اختلفت في كيفية وجود العمل محضرا فقبل تجد صحائف الحسنات والسيئات عن أبي مسلم وغيره وهو اختيار القاضي وقيل ترى جزاء عملها من الثواب والعقاب فأما أعمالهم فهي اعراض قد بطلت ولا يجوز عليها الإعادة فيستحيل أن ترى محضرة (وما عملت من سوء) معناه تجد كل نفس الذي عملته من معصية محضرا (تود لو أن بينها وبينه) أي بين معصيتها (أمدا بعيدا) أي غاية بعيدة أي تود انها لم تكن فعلها وقيل معناه مكانا بعيدا عن السدي وقيل ما بين المشرق والمغرب عن مقاتل (ويحذركم الله نفسه) قد مر ذكره (والله رؤوف بالعباد) أي رحيم بهم قال الحسن ومن قام رأفته بهم ان حظرهم عقابه على معاصيه

قوله تعالى (٣١) قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٢) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (آيتان)

✽ اللغة ✽

المحبة هي الإرادة إلا انها تضاف إلى المراد تارة وإلى متعلق المراد أخرى تقول أحب زيدا واحب إكرام زيد ولا تقول في الإرادة ذلك لأنك تقول أريد إكرام زيد ولا تقول أريد زيدا وإنما كان كذلك لقوة تصرف

المحبة في موضع ميل الطباع الذي يجري مجرى الشهوة فعملت تلك المعاملة في الاضافة ومحبة الله تعالى للعبد هي ارادة ثوابه ومحبة العبد لله هي ارادته اطاعته وقالوا أحببت فلانا فهو محبوب استغنوا به عن محب كما استغنوا بأحببت عن حبيت وقال عنتره

ولقد نزلت فلا تطني غيره مني بمنزلة المحب المكرم

فجاء به على الأصل وحكى الزجاج عن الكسائي حبيت من الثلاثي وقوله ويغفر لكم لا يجوز في القياس إدغام الراء في اللام كما يقال ادغام اللام في الراء في هل رأيت لأن الراء مكررة ولا يدغم الزائد في الناقص للإخلال بالطاعة واتباع الداعي فيما دعاه اليه بأمره أو إرادته ولذلك قد يكون الإنسان مطيعا للشيطان فيما يدعوه اليه وإن لم يقصد ان يطيعه لأنه إذا مال مع ما يجده في نفسه من الدعا إلى المعصية فقد أطاع الداعي اليها

﴿ النزول ﴾

قال محمد بن جعفر الزبير نزلت الآيتان في وفد نجران من النصارى لما قالوا إنا نعظم المسيح حبا لله

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ان الإيمان به لا يجدي إلا إذا قارنه الإيمان برسوله (ص) فقال (قل) يا محمد (إن كنتم تحبون الله) كما تزعمون (فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) وقيل معناه إن كنتم تحبون دين الله فاتبعوا ديني يزدد لكم حبا عن ابن عباس وقيل إن كنتم صادقين في دعوة محبة الله تعالى فاتبعوني فإنكم إن فعلتم ذلك أحبكم الله ويغفر لكم (والله غفور رحيم) اي كثير المغفرة والرحمة (قل أطيعوا الله والرسول) أي قل يا محمد إن كنتم تحبون الله كما تدعون فأظهروا دلالة صدقكم بطاعة الله وطاعة رسوله فذلك اشارة صدق الدعوى (فإن تولوا) أي فإن أعرضوا عن طاعة الله وطاعة رسوله (فإن الله لا يحب الكافرين) معناه أنه يبغضهم ولا يريد ثوابهم فدل بالنفي على الإثبات وذلك أبلغ لأنه لو قال يبغضهم لجاز أن يتوهم انه يبغضهم من وجه ويحبهم من وجه آخر كما يجوز أن يعلم الشيء من وجه ويجهل من وجه وفي هذا دلالة على بطلان مذهب المجبرة لأنه إذا لم يجب الكافرين من أجل كفرهم ولم يرد ثوابهم لذلك فلا يريد إذا كفرهم لأنه لو أراده لم يكن نفي محبته لهم لكفرهم

قوله تعالى (٣٣) **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**

(٣٤) **ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** (آيتان)

﴿ اللغة ﴾

الاصطفا. الاختيار والاجتبا. نظائر وهو افتعل من الصفوة وهذا من أحسن البيان الذي يمثل به المعلوم بالمرئي وذلك ان الصافي هو النقي من شائب الكدر فبما يشاهد فمثل الله تعالى خلوص هؤلاء القوم من الفساد بخلوص الصافي من سائر الأدناس وقد بينا معنى الآل فيما مضى عند قوله وإذ نجيناكم من آل فرعون الآية ومعنى الذرية وأصلها عند قوله ومن ذريتي

﴿ الاعراب ﴾

يحتمل نصب ذرية على وجهين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون حالا والعامل فيها اصطفي ﴿ والثاني ﴾ أن يكون على البدل من معطوف اصطفي

* المعنى *

(إن الله اصطفى) أي اختار واجتبي (آدم ونوحا) لنبوته (وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) أي على عالمي زمانهم بأن جعل الأنبياء منهم وقيل اختار دينهم كقوله واسئل القرية عن الفراء وقيل اختارهم بالفضل على غيرهم بالنبوة وغيرها من الأمور الجليلة التي رتبها الله لهم في ذلك من مصالح الخلق وقيل اختار آدم بأن خلقه من غير واسطة وأسكنه جنته واسجد له ملائكته وأرسله إلى الملائكة والإنس واختار نوحاً بالنبوة وطول العمر واجابة دعائه وغرق قومه ونجاته في السفينة واختار ابراهيم باخلة وتبريد النار واهلاك ثمود وقوله وآل ابراهيم وآل عمران قيل أراد به نفس ابراهيم ونفس عمران كقوله وبقية ما ترك آل موسى وآل هارون يعني موسى وهارون وقيل آل ابراهيم اولاده اسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وفيهم داود وسليمان ويونس وزكريا ويعيى وعيسى وفيهم نبينا لأنه من ولد اسماعيل وقيل آل ابراهيم هم المؤمنون المتمسكون بدينه وهو دين الإسلام عن ابن عباس والحسن وأما آل عمران فليلهم من آل ابراهيم ايضا كما قال (ذرية بعضها من بعض) فهم موسى وهارون ابنا عمران وهو عمران بن يصر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وقيل يعني بآل عمران مريم وعيسى وهو عمران بن هشم بن امون من ولد سليمان بن داود وهو أبو مريم لأن آل الرجل أهل البيت الذي ينتسب اليه عن الحسن ووهب وفي قراءة أهل البيت وآل محمد (ع) على العالمين وقالوا ايضا ان آل ابراهيم هم آل محمد (ص) الذين هم أهله ويجب أن يكون الذين اصطفاهم الله تعالى مطهرين معصومين منزهين عن القبائح لأنه تعالى لا يختار ولا يصطفى إلا من كان كذلك ويكون ظاهره مثل باطنه في الطهارة والعصمة فعلى هذا يختص الاصطفاء بمن كان معصوما من آل ابراهيم وآل عمران سواء كان نبيا أو إماما ويقال الاصطفاء على وجهين أحدهما أنه اصطفاه لنفسه أي جعله خالصا له يختص به والثاني أنه اصطفاه على غيره أي اختصه بالفضل على غيره وعلى هذا الوجه معنى الآية فإن قيل كيف اختصهم الله بالفضل قبل العمل فالجواب انه إذا كان المعلوم ان صلاح المكلفين لا يتم إلا بهم فلا بد من تقديم البشارة بهم والخبار بها يكون من حسن شئانهم وأفعالهم والتشويق اليهم كما يكون من جلالة اقدارهم وزكاهم خلاصهم ليكون ذلك داعيا للناس إلى القبول منهم والاتباع لهم وفي هذه الآية دلالة على تفضيل الأنبياء على الملائكة عليهم أجمعين الصلاة والسلام لأن العالمين يعم الملائكة وغيرهم من المخلوقين وقد فضلهم سبحانه واختارهم على الكل وقوله (ذرية) أي اولادا واعقابا بعضها من بعض قيل معناه في التناسل وهو الإسلام أي دين بعضها من دين بعض كما قال والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض أي في التناسل والتعاقد على الضلال وهو قول الحسن وقتادة وقيل بعضها من بعض في التناسل والتوالد فإنهم ذرية آدم ثم ذرية نوح ثم ذرية ابراهيم وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) لأنه قال الذين اصطفاهم الله بعضهم من نسل بعض واختاره ابو علي الجبائي (والله سميع عليهم) فيه قولان أحدهما أن معناه سميع لما تقوله الذرية عليهم بما يضررونه فلذلك فضلهم على غيرهم لما في معلومه من استقامتهم في اقوالهم وأفعالهم والثاني أن معناه سميع لما تقوله امرأة عمران من النذر عليهم بما تضرره ونبه بذلك على استحسان ذلك منها

* النظم *

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما وقعت المنازعة في ابراهيم وعيسى واختلف اقوال النصارى واليهود فيها فبين تعالى بأن من أطاع الرسول قال فيها ما يقوله هو وقيل انه لما أمر بطاعة نبيه (ص) وأبى ذلك المشركون بين تعالى انه كما اصطفاه لرسالته اصطفى من قبله من الأنبياء فلا وجه لإنكارهم رسالته

قوله تعالى (٣٥) إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً
 فتقبل مني إنك أنت السميع العليم (٣٦) فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى
 والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأُنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك
 وذريتها من الشيطان الرجيم (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب بما وضعت بضم التاء وروي عن علي (ع) وقرأ الباقون وضعت
 على الحكاية

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بضم التاء جعله من كلام أم مريم ومن قرأ بوسكان التاء جعل ذلك من قول الله تعالى ويقوي قول
 من اسكن التاء قوله والله أعلم بما وضعت ولو كان من قول أم مريم لقات وانت اعلم بما وضعت لأنها
 تخاطب الله تعالى

﴿ اللغة ﴾

معنى المحرر في اللغة يحتمل أمرين ﴿ احدهما ﴾ المعتق من الحرية يقال حررتة تحريراً اعتقته اي
 جعلته حراً ﴿ والآخر ﴾ من تحرير الكتاب يقال حررت الكتاب تحريراً اي أخلصته من الفساد واصلحته
 والتقبل اخذ الشيء على الرضا به كتقبل الهدية واصل التقبل المقابلة واصل الوضع الحط وضعت المرأة الولد بمعنى
 ولدت والموضع مكان الوضع والضة الحساسة لأنها تضع من قدر صاحبها والإيضاع في السير الرفق فيه لأنه
 حط عن شدة الاسراع والشيطان الرجيم مر تفسيرهما في اول الكتاب

﴿ الإعراب ﴾

في موضع إذ قالت اقوال ﴿ احدها ﴾ انه نصب با ذكر عن الاخفش والمبرد ﴿ والثاني ﴾
 انه متعلق باصطفى آل عمران عن الزجاج ﴿ والثالث ﴾ انه متعلق بسميع عليهم فيعمل فيه معنى الصفتين
 تقديره والله مدرك لقولها ونيتها إذ قالت عن علي بن عيسى ﴿ والرابع ﴾ ان إذ زائدة فلا موضع لها من
 الإعراب عن ابي عبيدة وهذا خطأ عند البصريين ومحرراً نصب على الحال من ما وتقديره نذرت لك الذي في
 بطني محرراً والعامل فيه نذرت وقوله انثى نصب على الحال

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه واصطفى آل عمران عقبه بذكر مريم بنت عمران فقال (إذ قالت امرأة عمران) وقد
 مضى القول فيه واسمها حنة جدة عيسى وكانتا اختين احدهما عند عمران بن الهشم من ولد سليمان بن داود
 وقيل هو عمران بن ماثان عن ابن عباس ومقاتل وليس بعمران ابي موسى وبينها الف وثلاثمائة سنة وكان بنو
 ماثان رؤوس بني اسرائيل والأخرى كانت عند زكريا واسمها اشيع واسم ابيها قاقود بن قبيل فيحسي ومريم
 ابنا خالة (رب إني نذرت لك ما في بطني) اي اوجبت لك بأن اجعل ما في بطني (محرراً) أي خادماً للبيعة
 يخدم في متعباتنا عن مجاهد وقيل محرراً للعباد مخلصاً لها عن الشهي وقيل عتيقاً خالصاً لطاعتك لا استعمله في
 منافع ولا اصرفه في الحوائج عن محمد بن جعفر بن الزبير قالوا وكان المحرر إذا حرر جعل في الكنيسة يقوم

عليها ويكنسها ويخدمها لا يبرح حتى يبلغ الحلم ثم يبخر فإن أحب أن يقيم فيه أقام وإن أحب أن يذهب ذهب حيث شاء قالوا وكانت حنة قد أمسك عنها الولد حتى أيست فبينما هي تحت شجرة إذ رأت طائرا يزق فرخا له فتحوكت نفسها للولد فدعت الله أن يرزقها ولدا فحملت بمريم وروي عن أبي عبد الله قال أوحى الله تعالى إلى عمران إني واهب لك ذكرا مباركا يبني الأكمة والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله وجاعله رسولا إلى بني إسرائيل فحدث امرأته حنة بذلك وهي أم مريم فلما حملت بها قالت رب إني نذرت لك ما في بطني محررا (فتقبل مني) أي نذري قبول رضا (إنك انت السميع) لما أقوله (العليم) بها أنوي فلماذا صحت الثقة لي (فلما وضعتها) قيل إن عمران هلك وهي حامل فوضعت بعد ذلك يعني ولدت مريم وكانت ترجو أن يكون غلاما فلما وضعتها خجلت واستحييت و (قالت) منكسة رأسها (رب إني وضعتها أنثى) وقيل فيه قولان أحدهما أن المراد به الاعتذار من العدول عن النذر لأنها أنثى والآخر أن المراد تقديم الذكر في السؤال لها بأنها أنثى لأن سعيها اضعف وعقلها انقص فقدم ذكرها ليصح القصد لها في السؤال بقولها وإني أعينها بك (والله أعلم بما وضعت) أخبار منه تعالى بأنه أعلم بوضعها لأنه هو الذي خلقها وصورها وعلى القراءة الأخرى وانت يارب أعلم مني بما وضعت (وليس الذكر كالأنثى) لأنها لا تصلح لما يصلح الذكر له وإنما كان يجوز لهم التحرير في الذكور دون الإناث لأنها لا تصلح لما يصلح له الذكر من التحرير لخدمة بيت المقدس لما يلحقها من الحيض والنفاس والضيافة عن التبرج للناس وقال قتادة لم يكن التحرير إلا في الغلمان فيما جرت به العادة وقيل أرادت أن الذكر أفضل من الأنثى على العموم وأصلح للأشياء والماء في قوله وضعتها كناية عن ما في قوله ما في بطني وجاز ذلك لوقوع ما على مؤنث ويحتمل أن يكون كناية عن معلوم دل عليه الكلام (وإني سميتها) أي جعلت اسمها (مريم) وهي باعتمهم العابدة والخادمة فيما قيل وكانت مريم أفضل النساء في وقتها واجهلهم وروى الثعلبي بإسناده عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال حسبك من نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد (وإني أعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) خافت عليها ما يغلب على النساء من الآفات فقالت ذلك وقيل إنما استعاذتها من طمنة الشيطان في جنبها التي لها يستهل الصبي صارخا فوقها الله تعالى وولدها عيسى منه بحجاب فقد روى أبو هريرة أن النبي (ص) قال ما من مولود إلا والشيطان يمه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها وقيل إنها استعاذت من اغواء الشيطان الرجيم إياها عن الحسن

قوله تعالى (٣٧) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (آية)

القراءة

قرأ أهل الكوفة كلها بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر زكريا مقصورا والباقون بالمد ونصب زكريا مع المد أبو بكر وحده والباقون بالرفع

الحجة

قال أبو علي حجة من خفف كفلها قوله تعالى أيهم يكفل مريم وزكريا مرتفع لأن الكفالة مسندة إليه ومن شدد كفلها ففاعله الضمير العائد إلى ربها من قوله فتقبلها ربها وصار زكريا مفعولا بعد تضعيف العين والمد

والقصر في زكريا لغتان

اللغة

انما جاء مصدر تقبلها على القبول دون التقبل لأن فيه معنى قبلها كما يقال تكرم كرما لأن فيه معنى كرم ومثله وأنبثها نباتا حسنا لأن فيه معنى فتنبت وقال ابو عمرو ولا نظير لقبول في المصادر بفتح فاء الفعل والباب كله مضموم الفاء كالدخول والخروج وقال سييبويه جاءت خمس مصادر على فعول بالفتح قبول ووضوء وظهور وولوغ ووقود إلا ان الأكثر في وقود الضم اذا اريد المصدر واجاز الزجاج في قبول الضم والقيل الكفيل وهو الضامن يقال كفلته اكفله كفلا وكفولا وكفالا فأنا كافل وإذا تكفلت موثته ومنه الحديث وانت خير المكفولين اي أحق من كفل في صغره وارضع حتى نشأ والمكفول عنه في الفقه هو الذي عليه الدين والمكفول له هو الذي له الدين والمكفول به هو الدين والكفيل هو الذي ثبت عليه الدين والمحراب مقام الإمام من المسجد وأصله أكرم موضع في المجلس وأشرفه وقال الزجاج هو المكان العالي الشريف قال

ربة محراب إذا جثتها
لم القها أو أرتقي سلما

ويقال للمسجد ايضا محراب ومنه ما يشاء من محاريب اي مساجد وقيل انه اخذ من الحرب لانه يحارب فيها الشيطان

المعنى

(فتقبلها ربها) مع انوثتها ورضي بها في النذر الذي نذرتة حنة للعبادة في بيت المقدس ولم يقبل قبلها انشى في ذلك المعنى وقيل معناه تكفل بها في تربيتها والقيام بشأنها عن الحسن وقبوله اياها انه ما عرتها علة ساعة من ليل او نهار (بقبول حسن) أصله بتقبل حسن ولكنه محمول على قوله فتقبلها قبولاً حسناً وقيل معناه سلك بها طريق السعداء عن ابن عباس (وانبثها نباتاً حسناً) اي جعل نشوها نشواً حسناً وقيل سوى خلقها فكانت تنبت في يوم ما ينبت غيرها في عام عن ابن عباس وقيل انبتها في رزقها وغذائها حتى تمت امرأة بالغة تامة عن ابن جريج وقال ابن عباس لما بلغت تسع سنين صامت النهار وقامت الليل وتبتلت حتى غلبت الاجبار (وكفلها زكريا) بالتشديد معناه ضمها الله إلى زكريا وجعله كفيلها فيقوم بها وبالتخفيف معناه ضمها زكريا إلى نفسه وضمن القيام بأمرها وقالوا ان أم مريم اتت بها ملفوفة في خرقة إلى المسجد وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الاجبار لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا احق بها لأن خالتها عندي فقالت له الاجبار انها لو تركت لأحق الناس بها لتركت لأما التي ولدتها ولكنها نعتت عليها فتكون عند من خرج سهمه فانطلقوا وهم تسعة وعشرون رجلاً إلى نهر جار فألقوا اقلامهم في الماء فبرز قلم زكريا وارتفع فوق الماء ورسبت اقلامهم عن ابن اسحق وجماعة وقيل بل ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء كأنه في طين وجرت اقلامهم مع جرية الماء فذهب بها الماء عن السدي فسهمهم زكريا وقرعهم وكان رأس الاجبار بينهم فذلك قوله وكفلها زكريا وزكريا كان من ولد سليمان بن داود وفيه ثلاث لغات المد والقصر وزكريى مشدد قالوا فلما ضم زكريا مريم إلى نفسه بنى لها بيتاً واسترضع لها فقال محمد بن اسحاق ضمها إلى خالتها ام يحيى حتى إذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محراباً في المسجد وجعل بابها في وسطها لا يرقى اليها إلا بسلم مثل باب الكعبة ولا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا) يعني وجد زكريا عندها فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف غضا طرياً عن ابن عباس وفتادة ومجاهد والسدي وقيل انها لم ترضع قط وانما كان يأتيها رزقها من الجنة عن الحسن (قال يا مريم انى لك هذا) يعني قال لها زكريا كيف لك ومن اين لك هذا كالمعجب منه (قالت هو من عند الله) اي من الجنة وهذه تكريمة من الله تعالى لها وان كان ذلك خارقاً للعادة فإن عندنا يجوز ان تظهر الآيات الخارقة للعادة على غير الانبياء من

الأولياء والأصفياء. ومن منع ذلك من المعتزلة قالوا فيه قولين ﴿أحدهما﴾ ان ذلك كان تأسيسا لنبوة عيسى عن البلخي ﴿والآخر﴾ انه كان بدعا. زكريا لها بالرزق في الجملة وكانت معجزة له عن الجبائي (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) تقدم تفسيره

﴿النظم﴾

ووجه اتصالها بما تقدم ان يكون حكاية لقول مريم وعلى هذا يكون معنى قوله بغير حساب الاستحقاق على العمل لأنه تفضل بابتدئ به من يشاء من خلقه ويحتمل ان يكون اخبارا من الله تعالى على الاستئناف

قوله تعالى [٣٨] 'هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ كَدُّكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَمَسَدًّا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (آيتان)

﴿القراءة﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم فناداه الملائكة على التذكير والإمالة والباقون فنادته على التأنيث وقرأ ابن عامر وحمزة إن الله بكسر الهمزة والباقون بفتحها وقرأ حمزة والكسائي يبشرك بفتح الياء والتخفيف والباقون بضم الياء والتشديد

﴿الحجة﴾

من قرأ فنادته بالتاء فلموضع الجماعة كما تقول هي الرجال ومن قرأ فناداه فعلى المعنى ومن فتح ان كان المعنى فنادته بأن الله فحذف الجار وأصل الفعل في موضع نصب على قياس قول الخليل في موضع الجر ومن كسر اضمر القول كأنه نادته فقالت ان الله فحذف القول كما حذف في قول من كسر في قوله فدعا ربه اني مغلوب واضمار القول كثير واما يبشرك فقال ابو عبيدة يبشرك ويبشرك واحد وقال الزجاج هذا من بشر يبشر إذا فرح واصل هذه كله ان بشرة الانسان تنبسط عند السرور

﴿اللغة﴾

الهيئة تملك الشيء من غير ثمن والسيد مأخوذ من سواد الشخص فقيل سيد القوم بمعنى مالك السواد الاعظم وهو الشخص الذي يجب طاعته لما لكه هذا إذا استعمل مضافا او مقيدا فاما اذا اطلق فلا ينهني الا الله والحصور الممتنع عن الجماع ومنه قيل للذي يمتنع ان يخرج مع ندهائه شيئا للنفقة حصورا قال الأخطل وشارب مرتح بالكأس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسواد ويقال للذي يكتم سره حضور

﴿الإعراب﴾

هنالك الاصل فيه الظرف من المكان نحو رأته هنا وهناك وهنالك والفرق ان هنالك للتقريب وهنالك للتبعيد وهناك لما بينها قال الزجاج ويستعمل في الحال كقولك من هاهنا قلت كذا اي من هذا الوجه وفيه معنى الاشارة كقولك ذا وذاك وزيدت اللام لتأكيد التعريف وكسرت لالتقاء الساكنين كما كسرت في ذلك والغابني ادن ولم يبن عند وان كان بمعناه لانه استبهم استبهم الحروف لأنه لا يقع في جواب اين كما يقع عند في نحو قولهم اين زيد فيقال عندك ولا يقال لندك وهو قائم جملة في موضع الحال من الهاء في نادته وقوله يصلي في المحراب جملة في موضع الحال من الضمير في قائم وقوله مصدقا نصب على الحال من يحيى وقوله من الصالحين من هاهنا

لتبيين الصفة وليس المراد التبويض لأن النبي (ص) لا يكون إلا صالحا

المعنى ﴿﴾

(هناك) أي عند ذلك الذي رأى من فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف على خلاف ما جرت به العادة (دعا زكريا ربه) قال (رب هب لي من لدنك ذرية طيبة) أي طمع في رزق الولد من العاقر على خلاف مجرى العادة فسأل ذلك وقوله طيبة أي مباركة عن السدي وقيل صالحة تقية نقية العمل وإنما أنت طيبة وإنما سأل ولدا ذكرا على لفظ الذرية كما قال الشاعر

ابوك خليفة ولدته أخرى و أنت خليفة ذلك الكمال

(إنك سميع الدعاء) بمعنى قابل الدعاء. ومجيب له ومنه قول القائل سمع الله لمن حمده أي قبل الله دعاءه وإنما قيل السامع للقابل المجيب لأن من كان أهلا أن يسمع منه فهو أهل أن يقبل منه ومن لا يعتد بكلامه فكلامه بمنزلة ما لا يسمع (فنادته الملائكة) قيل ناداه جبرائيل عن السدي فعلى هذا يكون المعنى إن النداء أتاه من هذا الجنس كما يقال ركب فلان السفن وإنما ركب سفينة واحدة والمراد جاءه النداء من جهة الملائكة وقيل نادته جماعة من الملائكة (وهو قائم يصلي في المحراب) أي في المسجد وقيل في محراب المسجد (إن الله يبشرك بيحيى) ساء الله بهذا الاسم قبل مولده واختلف فيه لم سمي بيحيى فقيل لأن الله أحيا به عقرامه عن ابن عباس وقيل إنه تعالى أحياه بالإيمان عن قتادة وقيل لأنه تعالى أحيا قلبه بالنبوة ولم يسم قبله أحد يحيى (مصدقا بكلمة من الله) أي مصدقا بعبسى وعليه جميع المفسرين وأهل التأويل إلا ما حكى عن أبي عبيدة أنه قال بكتاب الله كما يقولون انشدت كلمة فلان أي قصيدته وأنطالت وإنما سمي المسيح كلمة الله لأنه حصل بكلام الله من غير أب وقيل إنما سمي به لأن الناس يهتدون به كما يهتدون بكلام الله كما سمي روح الله لأن الناس كانوا يجيرون به في أديانهم كما يجيرون بارواحهم وكان يحيى أكبر سنا من عيسى بستة أشهر وكلف التصديق به فكان أول من صدقه وشهد أنه كلمة الله وروحه وكان ذلك إحدى معجزات عيسى (ع) وأقوى الأسباب لإظهار أمره فإن الناس كانوا يقبلون قول يحيى لمعرفتهم بصدقه وزهده (وسيدا) في العلم والعبادة عن قتادة وقيل في الحلم والتقوى وحسن الخلق عن الضحاك وقيل كريما على زبه عن ابن عباس وقيل فقيها عالما عن سعيد بن المسيب وقيل مطيعا لربه عن سعيد بن جبير وقيل مطاعا عن الخليل وقيل سيدا للمؤمنين بالرئاسة عليهم عن الجبائي والجميع يرجع إلى أصل واحد وهو أنه أهل لتعليمه تدبير من يجب عليه طاعته لما هو عليه من هذه الأحوال (وحصورا) وهو الذي لا يأتي النساء عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقاتدة وهو المروي عن ابن عباس ومعناه أنه يحصر نفسه عن الشهوات أي يمنعها وقيل الحصور الذي لا يدخل في اللعب والباطيل عن المبرد وقيل هو العنين عن ابن المسيب والضحاك وهذا لا يجوز على الأنبياء لأنه عيب وذم ولأن الكلام خرج مخرج المدح (ونبيا من الصالحين) أي رسولا شريفا رفيع المنزلة من جملة الأنبياء لأن الأنبياء كلهم كانوا صالحين وفي هذه الآية دلالة على أن زكريا إنما طمع في الولد لما رأى تلك المعجزات وهو إن كان عالما بأنه تعالى يقدر على أن يخلق الولد من العاقر فقد كان يجوز أن يفعل ذلك لبعض التدبير فلما رأى خرق العادة بخلق الفاكهة في غير وقتها قوي ظنه في أنه يفعل ذلك إذا اقتضته المصلحة كما أن إبراهيم وإن كان عالما بأنه تعالى يقدر على أحيا الموتى سأل ذلك مشاهدة ليتأكد معرفته وفيها دلالة على أن الولد الصالح نعمة من الله تعالى على العبد فلذلك بشره به

قوله تعالى (٤٠) قَالَ رَبِّ انى يَكُونُ لى غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِى الكِبَرُ وَأَمْرَاتى عَاقِرٌ

قَالَ كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (آية)

﴿ اللغة ﴾

العافر من الرجال الذي لا يولد له ومن النساء التي لا تلد يقال عقرت تعقر عقرا فهي عافر قال عبيد

أعافر مثل ذات رحم أم غانم مثل من يخيب

والعقردية فرج المرأة إذا غضبت نفسها وبيضة العقر آخر بيضة والعقر محلة القوم والعقر اصل كل شيء ويقال غلام بين الغلومية والغلومة وهو الشاب من الناس والغلومة والاعتلام شدة طلب النكاح وسمي الغلام غلاما لأنه في حال يطلب في مثلها النكاح والغليم يمنع الماء من الآبار لأنه طلب الظهور

﴿ المعنى ﴾

(قال) زكريا (يارب) لله عز وجل لا لجبرائيل (أنى يكون) أي من أين يكون وقيل كيف يكون (لي غلام) أي ولد (وقد بلغني الكبر) أي أصابني الشيب ونالني الهرم وإنما جاز أن يقول بلغني الكبر لأن الكبر بمنزلة الطالب له فهو يأتيه بحدوثه فيه والإنسان أيضا يأتي الكبر بمرور السنين عليه ولو قلت بلغني البلد بمعنى بلغت البلد لم يجوز لأن البلد لا يأتيك أصلا وقال ابن عباس كان زكريا يوم بشر بالولد ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة (وامرأتي عافر) أي عقيم لا تلد فإن قيل لم راجع زكريا هذه المراجعة وقد بشره الله بأن يهب له ذرية طيبة بعد أن سأل ذلك قيل إنما قال ذلك على سبيل التعرف عن كيفية حصول الولد أي عطياها الله إياه وهما على ما كانا عليه من الشيب أم بصرفهما إلى حال الشباب ثم يرزقهما الولد عن الحسن ويحتمل أن يكون اشتبه الأمر عليه أي عطياها الولد من امرأته العجوز أم من امرأة أخرى شابة فقال الله (كذلك) وتقديره كذلك الأمر الذي انتما عليه وعلى تلك الحال (الله يفعل ما يشاء) معناه يرزقك الله الولد منها فإنه هين عليه كما انشأ كما ولم تكونا شيئا فإنه تعالى قادر يفعل ما يشاء. وقيل فيه وجه آخر وهو أنه إنما قال ذلك على سبيل الاستعظام لمقدور الله والتعجب الذي يحصل للإنسان عند ظهور آية عظيمة كمن يقول لغيره كيف سمحت نفسك بإخراج ذلك المال النفيس من يدك تعجبا من جوده وقيل أنه قال ذلك على وجه التعجب من أنه كيف أجابه الله إلى مراده فيما دعا وكيف استحق ذلك ومن زعم أنه إنما قال ذلك للوسوسة التي خالطت قلبه من قبل الشيطان وخيلت إليه أن النداء كان من غير الملائكة فقد أخطأ لأن الأنبياء لا بد أن يعرفوا الفرق بين كلام الملك ووسوسة الشيطان ولا يجوز أن يتلاعب الشيطان بهم حتى يحتلط عليهم طريق الإفهام

قوله تعالى (٤١) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا ذُرِّيًّا وَادُّعُكَ رَبُّكَ كَثِيرًا وَسَمِّحَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (آية)

﴿ الإعراب ﴾

في وزن آية فيه ثلاثة اقوال ﴿ أحدها ﴾ فعلة إلا أنه شد من جهة اعلال العين مع كون اللام حرف علة وإنما القياس في مثله اعلال اللام نحو حياة ونواة ونظيرها راية وغاية وطاية ﴿ والثاني ﴾ فعلة وتقديره آية إلا أنها قلبت كراهة التضعيف نحو طائي من طي ﴿ والثالث ﴾ فاعلة منقوصة قال علي بن عيسى وهذا ضعيف لأن تصغيرها الية ولو كانت فاعلة لقالوا آوية إلا أنه يجوز على ترخيم التصغير نحو قطيعة والرمز الإيماء بالشتين وقد يستعمل في الإيماء بالحاجب والعين واليد والأول أغلب وقال جوبسة بن عابد

كأن تكلم الأبطال رمزا وغمغمة لهم مثل الهرير

والعشي من حين زوال الشمس إلى غروبها في قول مجاهد قال الشاعر

فلا الظل من برد الضحى يستطيعه ولا الفيء من برد العشي يذوق
والعشاء من لدن غروب الشمس إلى أن يولي صدر الليل والعشاء طعام العشي والعشاء مقصور ضعف العين
وأصل الباب الظلمة والابكار من حين طلوع الشمس إلى وقت الضحى وأصله التعجيل بالشئ يقال ابكر وبكر
بكوراً ومنه الباكورة

✽ المعنى ✽

ثم سأل الله تعالى زكريا علامة يعرف بها وقت حمل امرأته ليزيد في العبادة شكراً وقيل ليتعجل السرور
به عن الحسن (قال رب اجعل لي آية) أي علامة لوقت الحمل والولد فجعل الله تعالى تلك العلامة في امسك
لسانه عن الكلام إلا إيماء من غير آفة حدثت فيه بقوله (قال آيتك) أي قال الله ويحتمل أن يكون المراد قال
جبرائيل آيتك أي علامتك (ان لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا) أي إيماء عن قتادة وقيل الرمز تحريك
الشفتين عن مجاهد وقيل أراد به صوم ثلاثة أيام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رمزا عن عطاء (واذكر
ربك كثيرا) أي في هذه الأيام الثلاثة ومعناه انه لما منع من الكلام عرف انه لم يمنع من الذكر لله تعالى والتسبيح
له وذلك أبلغ في الإعجاز (وسبح) أي تزه الله وأراد التسبيح المعروف وقيل معناه صل كما يقال فرغت من
سبحتي أي صلاتي (بالعشي والابكار) في آخر النهار وأوله

قوله تعالى (٤٢) وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ
عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٣) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (آياتان)

✽ المعنى ✽

قدم تعالى ذكر امرأة عمران وفضل بنتها على الجملة ثم ذكر تفصيل تلك الجملة فقال (وإذ قالت الملائكة)
إذ هذه معطوفة على إذ في قوله إذ قالت امرأة عمران أو يكون معناه إذ ذكر إذ قالت الملائكة وقيل يعني جبريل
وحده (يا مريم إن الله اصطفيك) أي اختارك والطف بك حتى تفرغت لعبادته واتباع مرضاته وقيل معناه اصطفيك لولادة
المسيح عن الزجاج (وطهرك) بالإيمان عن الكفر وبالطاعة عن المعصية عن الحسن وسعيد بن جبير وقيل طهرك
من الأدناس والأقذار التي تعرض للنساء من الحيض والنفاس حتى صرت صالحة لخدمة المسجد عن الزجاج وقيل
طهرك من الأخلاق الذميمة والطبائع الردية (واصطفيك على نساء العالمين) أي على نساء عالمي زمانك لأن
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليها وعلى آبيها وبعلمها وبنيتها سيدة نساء العالمين وهو قول أبي جعفر (ع) وروي
عن النبي (ص) انه قال فضلت خديجة على نساء أمي كما فضلت مريم على نساء العالمين وقال أبو جعفر معنى الآية
اصطفيك من ذرية الأنبياء وطهرك من السفاح واصطفيك لولادة عيسى (ع) من غير فعل وخرج بهذا من أن
يكون تكريرا إذ يكون الاصطفاء على معنيين مختلفين (يا مريم اقنتي لربك) أي اعبديه واخلصي له العبادة
عن سعيد بن جبير وقيل معناه أدبني الطاعة له عن قتادة وقيل أطبني القيام في الصلاة عن مجاهد (واسجدي
واركعي مع الراكعين) أي كما يعمل الساجدون والراكعون لأن يكون ذلك أمرا لها بأن تعمل السجود
والركوع معهم في الجماعة وقدم السجود على الركوع لأن الواو لا توجب الترتيب فإنها في الأشياء المتغايرة
نظيرة التثنية في المتأثلة وإنما توجب الجمع والاشتراك وقيل معناه واسجدي لله شكرا واركعي أي وصلي مع
المصلين وقيل معناه صلي في الجماعة عن الجبائي

قوله تعالى (٤٤) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَارِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ

أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (آية)

اللغة

الانبياء الاخبار الواحد نبأ والإيعاء هو القاء المعنى الى الغير على وجه ينجي والإيعاء الارسال الى الانبياء تقول اوحى الله اليه اي ارسل اليه ملكا والإيعاء الالهام ومنه قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل وقوله بأن ربك أوحى لها معناه القى اليها معنى ما اراد منها قال العجاج

أوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت

والإيعاء الإيعاء قال ﴿ فأوحى اليها والأنامل رسلا ﴾ ومنه قوله تعالى فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا اي أشار اليهم والوحي الكتابة قال روية «تقدر كان وجاء الواحي» وقال ﴿ في سور من ربنا موحية ﴾ والقلم الذي يكتب فيه والقلم الذي يجال بين القوم كل انسان وقلمه وهو القدح والقلم قص الظفر ومقام الروح كعوبه واصله قطع طرف الشيء

الإعراب

قال ابو علي إذ في قوله إذ يلقون متعلق بكنت و إذ في قوله إذ قالت الملائكة بعد يختصمون متعلق بيختصمون ويجوز ايضا أن يكون متعلقا بكنت كأنه قال وما كنت لديهم إذ قالت الملائكة وهذا إنما يجوز عندي إذا قدرت إذ الثانية بدلا من الأولى فإن لم تقدره هذا التقدير لم يجز وانما يجوز البدل في هذا إذا كان وقت اختصاصهم وقت قول الملائكة ليكون البدل المبدل منه في المعنى

المعنى

(ذلك) إشارة إلى ما تقدم ذكره من حديث مريم وزكريا ويحيى (من انباء الغيب) اي مسن اخبار ما غاب عنك وعن قومك (نوحية اليك) اي نلقيه عليك معجزة وتذكيرا وتبصرة وموعظة وعبرة ووجه الاعجاز فيه ان ما غاب عن الانسان يمكن ان يحصل علمه بدراسة الكتب او التعلم او الوحي والنبى (ص) لم يشاهد هذه القصص ولا قرأها من الكتب ولا تعلمها إذ كان نشوءه بين اهل مكة ولم يكونوا اهل كتاب فوضح الله ان اوحى اليه بها وفي ذلك صحة نبوته (وما كنت) يا محمد (لديهم) عندهم (إذ يلقون اقلامهم) التي كانوا يكتبون بها التوراة في الماء على ما تقدم ذكره قبل وقيل اقلامهم اقتراحهم للاقتراع جعلوا عليها علامات يعرفون بها من يكفل مريم على جهة القرعة (أيهم يكفل مريم) وفيه حذف اي لينظروا ايهم تظهر قرعته ليكفل مريم وهذا تعجيب من الله نبيه (ص) من شدة حرصهم على كفالة مريم والقيام بأمرها عن قتادة وقيل هو تهجيب من تدافعهم لكفالتها لشدة الازمة التي لحقتهم حتى وفق لها خير الكفلاء لها زكريا (وما كنت لديهم إذ يختصمون) فيه دلالة على انهم قد بلغوا في التشاح عليها إلى حد الخصومة وفي وقت التشاح قولان ﴿ أحدهما ﴾ حين ولادتها وحملها اياها إلى الكنيسة تشاحوا في الذي يحضنها ويكفل تربيتها وهذا قول الأكثر وقال بعضهم كان ذلك وقت كبرها وعجز زكريا عن تربيتها وفي هذه الآية دلالة على ان القرعة مدخلا في تميز الحقوق وقد قال الصادق (ع) ما تقارع قوم فقوضوا أمورهم إلى الله تعالى إلا خرج بينهم المحق وقال اي قضية أعدل من القرعة إذا فوض الأمر إلى الله تعالى يقول فساهم فكان من المدحضين وقال الباقر اول مسن سوهم عليه مريم ابنة عمران ثم تلا وما كنت لديهم إذ يلقون اقلامهم الآية والسهم ستة ثم استهموا في يونس ثم كان عبد المطلب ولد له تسعة بنين فنذر في العاشر ان يوزقه الله غلاما ان يذبحه فلما ولد له عبد الله لم يقدر أن يذبحه ورسول الله في صلبه فجاء بعشرة من الإبل فساهم عليها وعلى عبد الله فخرجت السهام على عبد الله فزاد عشرها فلم تزل السهام

تخرج على عبد الله ويزيد عشرا فلما ان اخرجت مائة خرجت السهام على الإبل فقال عبد المطلب ما أنصفت ربي فأعاد السهام ثلاثا فخرجت على الإبل فقال الآن علمت ان ربي قد رضي بها فنحرتها

قوله تعالى (٤٥) إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٦) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (آيتان)

✽ القراءة ✽

ذكرنا القراءة في يبشرك والقول فيه

✽ اللغة ✽

المسيح فعيل بمعنى مفعول واصله انه مسح من الاقدار وطهر والمسيح الذي احد شقي وجهه ممسوح لآعين له ولا حاجب ولذلك سمي الدجال به وقيل المسيح عيسى بفتح الميم والتخفيف وهو الصديق والمسيح بكسر الميم وتشديد السين نحو الشري والدجال عن ابراهيم النخعي وانكره غيره قال الشاعر « إذ المسيح يقتل المسيحا » والوجه الكريم على من يسأله فلا يردده لكرم وجهه عنده خلاف من يبذل وجهه للمساءلة فيرد يقال وجه الرجل يوجهه وجاهة قوله وجاهة عند الناس ووجهه اي منزلة رفيعة والكمال ما بين الشاب والشيخ ومنه اكتمل النبات اذا طال وقوي والمرأة كهلة قال الشاعر

ولا أعود بعدها كريا أمارس الكهلة والصيبا

ومنه الكاهل ما فوق الظهر الى ما يلي العنق وقيل الكهولة بلوغ اربع وثلاثين سنة

✽ الاعراب ✽

وجيها منصوب على الحال المعنى يبشرك الله بهذا الولد وجيها ويكلم في موضع النصب ايضا على الحال عطفا على وجيها وجائز أن يعطف بلفظ يفعل على فاعل المضارعة يفعل فاعلا قال الشاعر

بات يغشيها بعضبٍ باتر يقصد في اسوقها وجائر

اي قاصد اسوقها وجائر وكهلا حال من يكلم

✽ المعنى ✽

(إذ قالت الملائكة) قال ابن عباس يريد جبرائيل (يا مريم ان الله يبشرك) يخبرك بها يسرك (بكلمة منه) فيه قولان احدهما انه المسيح سماه كلمة عن ابن عباس وقادة وجماعة من المفسرين وانا سمي بذلك لأنه كان بكلمة من الله من غير والد وهو قوله كن فيكون يدل عليه قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه الآية وقيل سمي بذلك لان الله بشر به في الكتب السالفة كما تقول الذي يخبرنا بالأمر اذا خرج موافقا لأمره قد جاء كلامي فيما جاء من البشارة به في التوراة اتانا الله من سيناء وشرق من ساعير واستعان من جبال فاران وساعير هو الموضوع الذي بعث منه المسيح وقيل لأن الله يهدي به كما يهدي بكلمته والقول الثاني ان الكلمة بمعنى البشارة كانه قال ببشارة منه ولد (اسمه المسيح) فالاول اقوى ويؤيده قوله انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وانما ذكر الضمير في اسمه وهو عائد الى الكلمة لأنه واقع على مذكر فذهب إلى المعنى واختلف في انه لم سمي بالمسيح فقيل لانه مسيح بالبركة واليمن عن الحسن وقادة وسعيد وقيل لأنه مسح بالتطهير من الذنوب وقيل لأنه مسح بذهن زيت بورك فيه وكانت الانبياء تمسح به عن الجبائي وقيل لأنه مسحه جبرائيل بجناحه وقت ولادته ليكون عوذة من الشيطان وقيل لأنه كان يمسح رأس اليتامى

الله وقيل لأنه كان يمسح عين الأعمى فيبصر عن الكلي وقيل لأنه كان لا يمسح ذاعاهة بيده الأبرى عن ابن عباس فى رواية عطا والضحاك وقال ابو عبدة هو بالسريانية مشيحا فعربته (العرب عيسى بن مريم) نسبة الى امه ردا على النصارى قولهم انه ابن الله (وجيها) اذا جاءه وقدر وشرف (فى الدنيا والآخرة ومن المقربين) الى ثواب الله وكرامته (ويكلم الناس فى المهد) أى صغيرا والمهد الموضع الذى يهد لنوم الصبي ويعنى بكلامه فى المهد قوله انى عبد الله آتاني الكتاب الآية ووجه كلامه فى المهد انه تبرئة لأمه مما قذفت به وجلالة له بالمعجزة التي ظهرت فيه (وكهلا) اي ويكلمهم كهلا بالوحي الذى ياتيه من الله اعلمها الله تعالى انه يبقى الى حال الكهولة وفى ذلك اعجاز لكون المخبر على وفق الخبر وقيل ان المراد به الرد على النصارى بما كان فيه من التقلب فى الاحوال لأن ذلك مناف لصفة الإله (ومن الصالحين) اي ومن النبيين مثل ابراهيم وموسى وقيل ان المراد بالآية ويكلمهم فى المهد دعاء إلى الله وكهلا بعد نزوله من السماء ليقتل الدجال وذلك لأنه رفع الى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وذلك قبل الكهولة عن زيد بن اسلم وفى ظهور المعجزة فى المهد قولان ﴿احدهما﴾ انها كانت مقرونة بنبوته المسيح لأنه تعالى اكمل عقله فى تلك الحال وجعله نبيا وأوحى اليه بما تكلم به عن الجبائي وقيل كان ذلك على التأسيس والإرهاص لنبوته عن ابن الأخشيد ويجوز عندنا الوجهان ويجوز ايضا أن يكون معجزة لمريم تدل على طهارتها وبرائة ساحتها إذا لا مانع من ذلك وقد دلت الأدلة الواضحة على جوازه وإنما جحدت النصارى كلام المسيح فى المهد مع كونه آية ومعجزة لأن فى ذلك ابطالا لمذهبهم لأنه قال إني عبد الله وهذا ينافى قولهم انه ابن الله فاستمروا على تكذيب من اخبر انه شاهده كذلك

قوله تعالى (٤٧) قَالَتْ رَبِّ اَنْى يَكُونُ لى وَلَدٌ وَّلَمْ يَمَسِّنِى بَشْرًا قَدْ كَذَلِكُ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ اِذَا قَضَىٰ اَمْرًا فَاِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (آية)

﴿الاعراب﴾

فىكون هاهنا لا يجوز فيه غير الرفع لانه لا يصلح ان يكون جوابا للأمر الذى هو كن لأن الجواب يجب بوجود الاول نحو اتنى فاكرمك وقم فاقوم معك ولا يجوز قم فتنقوم لانه يكون على تقدير قم فإنك ان قم قم وهذا لا معنى له ولكن الوجه الرفع على الإخبار بأنه سيقوم ويجوز فى قوله ان يقول له كن فىكون النصب عطفا على يقول

﴿المعنى﴾

(قالت) مريم يا (رب انى يكون) اي كيف يكون (لى ولد ولم يمسني بشر) لم تقل ذلك استبعادا واستنكارا بل انما قالت استفهاما واستعظاما لقدرة الله لأن فى طبع البشر التعجب مما خرج عن المعتاد وقيل انما قالت ذلك لتعلم ان الله تعالى يرزقها الولد وهي على حالتها لم يمسه بشر او يقدر لها زوجها ثم يرزقها الولد على وجه العادة (قال كذلك الله يخلق ما يشاء) اي يخلق ما يشاء. مثل ذلك وهو حكاية ما قال لها الملك اي يرزقك الولد وانت على هذه الحالة لم يمسه بشر (اذا قضى امرا) اي خلق امرا وقيل إذا قدر أمرا (فإنما يقول له كن فىكون) وقيل فى معناه قولان ﴿احدهما﴾ انه اخبار بسرعة حصول مراد الله فى كل شىء اراد حصوله من غير مهلة ولا معاناة ولا تكلف وسبب ولاداة وانما كنى بهذا اللفظ لانه لا يدخل فى وهم العباد شىء اسرع من كن فىكون ﴿والآخر﴾ ان هذه الكلمة كلمة جعلها الله علامة للملائكة فيما يريد احداثه وايجاده لما فيه من المصلحة والاعتبار وانما استعمل لفظة الامر فيما ليس بأمرهنا ليدل بذلك على ان فعله بمنزلة فعل المأمور فى أنه لا كلفة فيه على الأمر

قوله تعالى (٤٨) وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
(٤٩) أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ
بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (آيتان)

عد اهل الكوفة التوراة والانجيل آية ولم يعدوا بني إسرائيل لتنكر الاستئناف بأن المفتوحة وعد غيرهم
بني إسرائيل ولم يعدوا الانجيل طلبوا تمام صفة المسيح لأن تقديره ومعلمه ورسولا

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل المدينة وعاصم ويعقوب وسهل ويعلمه بالياء والباقون بالنون وقرأ نافع اني اخلق بكسر الالف
والباقون اني بالفتح وقرأ اهل المدينة ويعقوب طائرا ومثله في المائدة وابو جعفر كهيئة الطائر فيهما والباقون
طيورا بغير الف

﴿ الحجة ﴾

من قرأ ويعلمه عطفه على قوله ان الله يبشرك ومن قرأ ونعلمه جعله على نحو نحن قدرنا بينكم الموت ومن
فتح اني اخلق جعلها بدلا من آية كانه قال وجئتكم بانني اخلق لكم ومن كسر احتمل وجهين ﴿١﴾ احدهما ﴿٢﴾
الاستئناف وقطع الكلام ما قبله ﴿٣﴾ والآخر ﴿٤﴾ انه فسر الآية بقوله اني اخلق كما فسر الوعد في قوله وعد
الله الذين آمنوا بقوله لهم مغفرة وفسر المثل في قوله كمثل آدم بقوله خلقه من تراب وهذا الوجه احسن لانه
في المعنى كمن فتح وأبدل من آية ومن قرأ طائرا اراد فيكون ما انفخ فيه او ما اخلقه طائرا فأفرد لذلك فسر
او اراد يكون كل واحد من ذلك طائرا كما قال فاجلدوهم ثمانين جلدة اي اجلدوا كل واحد منهم

﴿ اللغة ﴾

الحكمة والحكم بمعنى ونظيره الذلة والذل والطين معروف وطنت الكتاب جعلت عليه طينا لأن ختمه به
وطينت البيت تطينا والهيئة الحال الحاضرة هاء فلان يها هيئة والنفخ معروف نفخ ينفخ نفخا والنفخة للماء
والكهم العمى قال سويد بن ابى كاهل

كهمت عيناه حتى ابيضتا فهو يلحي نفسه لما نزع

والادخار الافتعال من الدخر وجوز النحويون يذخرون بالذال

﴿ الإعراب ﴾

موضع يعلمه يحتمل أن يكون نصبا بالعطف على وجبها ويحتمل ان يكون لاموضع له من الإعراب لأنه
عطف على جملة لا موضع لها من الإعراب وهي قوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقيل هو عطف على نوحيه اليك
وهذا لا يجوز لأنها تخرج من معنى البشارة لمريم ورسولا نصب على تقدير ونجعله رسولا فحذف لدلالة البشارة
عليه ويجوز ان يكون نصبا على الحال عطفًا على وجبها إلا انه في ذلك الوقت يكبرن رسولا بل بمعنى انه يرسل
رسولا وقال الزجاج المعنى يكلمهم رسولا يأتي قد جئتكم ولو قرأت بالكسر إني قد جئتكم لكان صوابا
والمعنى يقول إني قد جئتكم وموضع أني اخلق لكم يحتمل أن يكون خفضا ورفعًا فالحذف على البدل من آية
والرفع على ما ذكرناه قبل وبما تأكلون جائز ان يكون ما هنا بمعنى الذي أي بما تأكلونه وتذخرونه ويجوز
أن يكون بمعنى المصدر أي أنبئكم بأكلكم وادخاركم والأول اجوز

﴿ المعنى ﴾

(ويعلمه الكتاب) اراد الكتابة عن ابن جريج قال اعطى الله عيسى تسعة اجزاء من الخط وسائر الناس جزء وقيل اراد به بعض الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه سوى التوراة والإنجيل مثل الزبور وغيره عن ابي علي الجبائي وهو اليق بالظاهر (والحكمة) اي الفقه وعلم الحلال والحرام عن ابن عباس كما روي عن النبي (ص) انه قال أوتيت القرآن ومثليه قالوا اراد به السنن وقيل اراد بذلك جميع ما علمه من أصول الدين (والتوراة والإنجيل) ان قيل لم افردهما بالذكر مع دخولهما في الحكمة قيل تبينها عن جلاله موقعها كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وقطع هاهنا قصة مريم وولادتها ويأتي تمام قصتها في سورة مريم وابتدأ بقصة عيسى فقال (ورسولا إلى بني إسرائيل) وقد ذكرنا تقديره ومعناه يدور عليه (اني قد جئتكم) أي قال لهم وكلمهم لما بعث اليهم بأني قد جئتكم (بأية) اي بدلالة وحجة (من ربكم) دالة على نبوتي ثم حذف الباء فوصل الفعل (اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير) معناه وهذه الآية اني اقدر لكم واصور لكم من الطين مثل صورة الطير (فأنفخ فيه) اي في الطير المقدر من الطين وقال في موضع آخر فيها اي في الهيئة المقدرة (فيكون طيرا بإذن الله) وقدرته وقيل بأمر الله تعالى وإنا وصل قوله بإذن الله بقوله فيكون طيرادون ما قبله لأن تصور الطين على هيئة الطير والنفخ فيه مما يدخل تحت مقدور العباد فاما جعل الطين طيرا حتى يكون لحما ودما وخلق الحياة فيه فمما لا يقدر عليه غير الله فقال بإذن الله ليعلم انه من فعله تعالى وليس بفعل عيسى وفي التفسير انه صنع من الطين كهيئة الخفاش ونفخ فيه فصار طائرا (وأبرئ الأكمه) اي الذي ولد اعمى عن ابن عباس وقتادة وقيل هو الأعمى عن الحسن والسدي (والأبرص) الذي به وضع وقال وهب وربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم خمسون الفا من اطاع منهم أن يبلغه بلغه ومن لم يطق آتاه عيسى يمشي اليه وإنا كان يداويهم بالدعاء على شرط الإيمان (وأحي الموتى بإذن الله) إنا اضاف الإحياء إلى نفسه على وجه المجاز والتوسع ولأن الله تعالى كان يحيي الموتى عند دعائه وقيل انه أحي اربعة أنفس عازر وكان صديقا له وكان قد مات منذ ثلاثة ايام فقال لاخته انطلقيني بنا إلى قبره ثم قال اللهم رب السموات السبع ورب الأرضين السبع إنك ارسلتني إلى بني اسرائيل ادعهم إلى دينك واخبرهم بأني أحيي الموتى فأحيي عازر فخرج من قبره وبقي وولد له وابن العجوز مر به ميتا على سريرته فدعا الله عيسى (ع) فجلس على سريرته ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه ورجع إلى اهله وبقي وولد له وابنة العاشر قيل له أتحيها وقد ماتت أمس فدعا الله فعاشت وبقيت وولدت وسام بن نوح دعا عليه باسم الله الأعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه فقال قد قامت القيامة قال لا والكني دعوتك باسم الله الأعظم قال ولم يكونوا يشيرون في ذلك الزمان لأن سام بن نوح قد عاش خمس مائة سنة وهو شاب ثم قال له مت قال بشرط أن يعيدني الله من سكرات الموت فدعا الله ففعل وقال الكلبي كان يحيي الأموات بياحي يا قيوم وإنا خص عيسى (ع) بهذه المعجزات لأن الغالب كان في زمانه الطب فأراهم الله الآيات من جنس ما هم عليه لتكون المعجزة اظهر كما ان الغالب لما كان في زمن موسى السحر أتاهم من جنس ذلك بما أعجزهم عن الإتيان بمثله وكان الغالب في زمان نبينا (ص) البيان والبلاغة والفصاحة فأراهم الله تعالى المعجزة بالقرآن الذي بهرهم ما فيه من عجائب النظم وغرائب البيان ليكون أبلغ في باب الإعجاز بأن يأتي كلامن أمم الأنبياء بمثل ما هم عليه ويعجزون عن الإتيان بمثله إذ لو أتاهم بما لا يعرفونه لكان يجوز أن يخطر ببالهم ان ذلك مقدور للبشر غير انهم لا يهتدون اليه (وأنبتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) اي اخبركم بالذي تأكلونه وتدخرونه كأن يقول للرجل تعديت بكذا وكذا ورفعت إلى الليل كذا وكذا (إن في ذلك) اي فيما ذكرت لكم (لآية) اي حجة ومعجزة ودلالة (لكم إن كنتم مؤمنين) بالله

إذ كان لا يصح العلم بمدلول المعجزة إلا لمن آمن بالله لأن العلم بالمرسل لا بد أن يكون قبل العلم بالرسول وفي الآية دلالة على أن عيسى (ع) كان مبعوثا إلى جميع بني إسرائيل وقوله أني أخلق لكم يدل على أن العبد يحدث ويفعل ويخلق خلافا لقول المجبرة لكن الخالق على الإطلاق هو الله تعالى

قوله تعالى (٥٠) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (٥١) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (آيتان)

﴿ اللغة ﴾

الفرق بين التصديق والتقليد ان التصديق لا يكون إلا فيما تبرهن عند صاحبه والتقليد قد يكون فيما لا يتبرهن ولهذا لا نكون مقلدين للشيء (ص) وإن كنا مصدقين له والاحلال هو الاطلاق للفعل بتحسينه والتحریم هو حظر الفعل بتقييده والاستقامة خلاف الاعوجاج

﴿ الإعراب ﴾

مصداقا نصب على الحال وتقديره وجئتمكم مصدقا لأن اول الكلام يدل عليه ونظيره جئته بما يجب ومعرفة له ولا يكون عطفا لا على وجيها ولا رسولا لقوله لما بين يدي ولم يقل لما بين يديه وقال ابو عبيدة اراد بقوله بعض الذي حرم كل الذي حرم ويستشهد بقول لبيد

تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يعلتق بعض النفوس حمامها

قال معناه أو تعلق كل النفوس وانكر الزجاج ذلك وقال معناه أو تعلق نفسي حمامها وخطأ ابو عبيدة من وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان البعض لا يكون بمعنى الكل ﴿ والثاني ﴾ انه لا يجوز تحليل جميع المحرمات لأنه يدخل الكذب والظلم والقتل في ذلك

﴿ المعنى ﴾

(ومصداقا لما بين يدي) اي لما انزل قبلي من التوراة وما فيه البشارة بي ومن ارسل قبلي من الانبياء (ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم) هذا معطوف على معنى قوله مصدقا وتقديره ولأصدق ما بين يدي من التوراة ولا حل لكم كما تقول جئته معذرا ولاجتلب عطفه وقيل ان الذي أحل لهم لحوم الإبل والشروب وبعض الطيور والحيتان ما كان قد حرم على بني إسرائيل عن قتادة والربيع وابن جريج ووهب وقيل أحل لكم الست عن الكلبي (وجئتمكم بآية من ربكم) اي بحجة تشهد بصدقني (فاتقوا الله) في مخالفتي وتكذبي (وأطيعوني) كما أمركم الله به (إن الله ربي وربكم) أي مالكي ومالككم وإنما قال ذلك ليكون حجة على النصارى في قولهم المسيح ابن الله والمعنى لا تنسبوني إليه فأنا عبده كما انكم عبيد له (فاعبدوه) وحده (هذا صراط مستقيم) أي دين الله أي عبادته دين مستقيم وقد استوفينا الكلام في الرب وفي الصراط المستقيم في سورة الحمد

قوله تعالى (٥٢) فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٣) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَأَتَّبِعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٤) وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرًا اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (ثلاث آيات)

اللغة

الإحساس الإدراك بالحاسة والحس القتل لأنه يحس بألمه والحس العطف لإحساس الرقة على صاحبه والأنصار جمع نصير كالأشراف جمع شريف وأصل الحواري الحور وهو شدة البياض ومنه الحواري من الطعام لشدة بياضه قال الحرث بن حلزة

فقل للحواريات تبكين غيرنا ولا تبكنا إلا الكلاب النوايح

يعني النساء لبياضهن والشاهد هو المخبر بالشيء عن مشاهدة هذا حقيقة وقد يتصرف فيه فيقال البرهان شاهد بحق أي هو بمنزلة المخبر به عن مشاهدة ويقال هذا شاهد أي معد للشهادة والمكر الالتفاف ومنه قولهم لضرب من الشجر مكر لالتفافه والمسكورة من النساء المتلفة الخلق وحده المكرحب يمتدح به العبد لإيقاعه في الضر والفرق بين المكر والحيلة أن الحيلة قد تكون لإظهار ما يعسر من الفعل من غير قصد إلى الإضرار بالعبد والمكر حيلة على العبد توقعه في مثل الوهق

الإعراب

قيل إن إلى بمعنى مع كقولهم الذود إلى الذود إبل أي مع الذود قال الزجاج لا يجوز أن يقال إن بعض الحروف من حروف المعاني بمعنى الآخر وإنما معنى هذا أن اللفظ لو عبر عنه بجمع أفاد هذا المعنى لا أن إلى بمعنى مع لو قلت ذهب زيد إلى عمرو لم يجوز أن يقول ذهب زيد مع عمرو لأن إلى غاية ومع يضم الشيء إلى الشيء والحروف قد تتقارب في الفائدة فيظن الضعيف العلم باللغة أن معناه واحد من ذلك قوله تعالى ولا صلبنكم في جذوع النخل ولو كانت على هاهنا لأدت هذه الفائدة وأصل في إنما هو للوعاء وأصل على لما علا الشيء فقولك التمر في الجراب لو قلت على الجراب لم يصح ذلك ولكن جاز في جذوع النخل لأن الجذع مشتمل على المصلوب لأنه قد أخذه من أقطاره ولو قلت زيد على الجبل أو في الجبل يصلح لأن الجبل قد اشتمل على زيد فعلى هذا مجاز هذه الحروف

المعنى

(فلما احس) أي وجد وقيل ابصر ورأى وقيل علم (عيسى منهم الكفر) وانهم لا يزدادون إلا إصراراً على الكفر بعد ظهور الآيات والمعجزات امتحن المؤمنين من قومه بالسؤال والتعريف عما في اعتقادهم من نصرته (قال من انصاري إلى الله) وقيل إنه لما عرف منهم العزم على قتله قال من انصاري إلى الله وفيه أقوال * أحدها * أن معناه من اعواني على هؤلاء الكفار مع معونة الله عن السدي وابن جريح * والثاني * أن معناه من انصاري في السبيل إلى الله عن الحسن لأنه دعاهم إلى سبيل الله * والثالث * أن معناه من اعواني على إقامة الدين المؤدي إلى الله أي إلى نيل ثوابه كقوله أني ذاهب إلى ربي سيهدين ومما يسأل على هذا أن عيسى إنما بعث للوعظ دون الحرب فلم استنصر عليهم فيقال لهم للجماعة من الكافرين الذين أرادوا قتله عند إظهار الدعوة عن الحسن ومجاهد وقيل أيضاً يجوز أن يكون طلب النصرة للتمكين من إقامة الحجة ولتمييز الموافق من المخالف (قال الحواريون) واختلف في سبب تسميتهم بذلك على أقوال * أولها * أنهم سموا بذلك لبقاء ثيابهم عن سعيد بن جبير * وثانيها * أنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب عن ابن أبي نجیح عن أبي ارضاة * وثالثها * أنهم كانوا صيادين يصيدون السمك

عن ابن عباس والسدي * وابعها * انهم كانوا خاصة الانبياء عن قتادة والضحاك وهذا أوجه لأنهم مدحوا بهذا الاسم كأنه ذهب إلى نقاء قلوبهم كتنقاء الثوب الأبيض بالتحوير ويروى عن النبي (ص) أنه قال الزبير ابن عمتي وحواريي من امتي وقال الحسن الحواري الناصر والحواريون الأنصار وقال الكلبي وابو روق الحواريون أصفياء عيسى وكانوا اثني عشر رجلا وقال عبد الله بن المبارك سموا حواريين لأنهم كانوا نورانيين عليهم أثر العبادة ونورها وحسنها كما قال تعالى سيأمنهم في وجوههم من أثر السجود (نحن أنصار الله) معناه نحن اعوان الله على الكافرين من قومك أي أعوان رسول الله «ص» أو أعوان دين الله (آمننا بالله) أي صدقنا بالله انه واحد لا شريك له (واشهد) يا عيسى (بأننا مسلمون) أي لنا كن شهيدا عند الله اشهدوه على اسلامهم لأن الانبياء شهداء على خلقه يوم القيامة كما قال تعالى ويوم نبعث من كل أمة شهيدا (ربنا) أي يا ربنا (آمننا بما أنزلت) على عيسى (واتبعنا الرسول) أي اتبعناه (فاكتبنا مع الشاهدين) أي في جملة الشاهدين بجميع ما نزلت لنفوز بما فازوا به وننال ما نالوا من كرامتك وقيل معناه واجعلنا مع محمد (ص) وامته عن ابن عباس وقد ساهم الله شهداء بقوله لتكونوا شهداء على الناس أي من الشاهدين بالحق من عندك هذا كله حكاية قول الحواريين وروي أنهم اتبعوا عيسى وكانوا إذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده على الأرض سهلا كان أو جبلا فيخرج لكل إنسان منهم رغيفين يأكلها وإذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب بيده على الأرض سهلا كان أو جبلا فيخرج ماء فيشربون قالوا يا روح الله من أفضل منا إذا شئنا اطعمتنا وإذا شئنا سقيتنا وقد آمننا بك واتبعنا قال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالكراء وقوله (ومكروا) يعني كفار بني اسرائيل الذين عناهم الله بقوله فلما احس عيسى منهم الكفر الآية ومعناه دبوا لقتل عيسى (ع) (ومكر الله) أي جازاهم على مكروهم وسى المجازاة على المكر مكرًا كما قال الله تعالى الله يستهزئ بهم وجاء في التفسير ان عيسى بعد اخراج قومه اياه من بين اظهرهم دعا اليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطأوا على الفتك به فذلك مكروهم به ومكر الله بهم القاؤه الشبه على صاحبهم الذي أراد قتل عيسى حتى قتل وصلب ورفع عيسى إلى السماء وقال ابن عباس لما أراد ملك بني اسرائيل قتل عيسى (ع) دخل نحوخته وفيها كوة فرفعه جبرائيل من الكوة إلى السماء وقال الملك لرجل منهم خيبت ادخل عليه فاقتله فدخل الخوذة فألقى الله عليه شبه عيسى فخرج إلى أصحابه يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وظنوا انه عيسى وقال وهب اسروه ونصبوا له خشبة ليصلبوه فأظلمت الأرض وارسل الله الملائكة فحالوا بينه وبينهم فأخذوا رجلا يقال له يهوذا وهو الذي دلهم على المسيح وذلك ان عيسى جمع الحواريين تلك الليلة وأوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك وبيعني بدينار يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأتى أحد الحواريين اليهم فقال ما جعلوا لي ان أدلكم عليه فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه فألقى الله عليه شبه عيسى (ع) لما دخل البيت ورفع عيسى فأخذ فقال أنا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا إلى قوله وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب شبه عيسى (ع) واتى على ذلك سبعة أيام قال الله عز وجل لعيسى اهبط على مريم لتجمع لك الحواريين وتبشهم في الأرض دعاة فيبسط اشتعل الجبل نورا فجاءت له الحواريين فبشهم في الأرض دعاة ثم رفعه الله سبحانه وتلك الليلة هي الليلة التي تدخل فيها النصارى فلما أصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغته من ارسله عيسى «ع» اليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين أي افضل المعاونين وقيل

انصف الماكرين وأعد لهم لأن مكرهم ظلم ومكره عدل وانصاف وإنما اضاف الله المكر الى نفسه على مزاجه الكلام كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم والثاني ليس باعتداء وإنما هو جزاء وهذا احد وجوه البلاغة كالمجانسة والمطابقة والمقابلة فالمجانسة كقوله تغلب فيه القلوب والأبصار والمطابقة كقوله ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً بالنصب على مطابقة السؤال والمقابلة نحو قوله وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ بأسرة تظن أن يفعل بها فاقرة

قوله تعالى (٥٥) اذ قال الله يا عيسى ايني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا واولئك الذين أتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون (آية)

الإعراب

العامل في إذ قوله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين إذ قال ويحتمل ان يكون تقديره ذلك إذ قال الله وتمثيله ذلك واقع إذ قال الله ثم حذف واقع وهو العامل في إذ واقیمت إذ مقامه وعيسى في موضع الضم لأنه منادى مفرد لكن لا يتبين فيه الإعراب لأنه منقوص وهو لا ينصرف لاجتماع العجمة والتعريف

المعنى

المابين سبحانه ما هم فيه قوم عيسى من المكره وقتله عقبه بما انعم عليه من لطف التدبير وحسن التقدير فقال (اذ قال الله يا عيسى ايني متوفيك) وقيل في معناه اقوال **أحدها** ان المراد به ايني قابضك برفعك من الأرض إلى السماء من غير وفاة يموت عن الحسن وكعب وابن جريج وابن زيد والكاسبي وغيرهم وعلى هذا القول يكون للمتوفى تأويلان **أحدهما** ايني رافعك الي وافيا لم ينالوا منك شيئا من قولهم توفيت كذا واستوفيته أي أخذته تاما **والآخر** ايني متسلمك من قولهم توفيت منه كذا اي تسلمته **وثانيها** ايني متوفيك وفاة نوم ورافعك الي في النوم عن الربيع قال رفعه نائما وبدل عليه قوله وهو الذي يتوفاكم بالليل اية يمتكم لأن النوم اخو الموت وقال الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الآية **وثالثها** ايني متوفيك وفاة نوم عن ابن عباس ووهب قال امامته الله ثلاث ساعات فأما النحويون فيقولون هو على التقديم والتأخير أي ايني رافعك ومتوفيك لأن الواو لا توجب الترتيب بدلالة قوله فكيف كان عذابي ونذر والنذر قبل العذاب بدلالة قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهذا مروى عن الضحاك وبدل عليه ما روي عن النبي (ص) أنه قال انت عيسى بن مريم لم يمت وانه راجع اليكم قبل يوم القيامة وقد صرح عنه (ص) انه قال كيف انتم إذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم رواه البخاري ومسلم في الصحيح فعلى هذا يكون تقديره ايني قابضك بالموت بعد نزولك من السماء وقوله (ورافعك الي) فيه قولان **أحدهما** ايني رافعك إلى سمائي وسمي رفعه إلى السماء رفعا اليه تفخيا لأمر السماء يعني رافعك لموضع لا يكون عليك الا امري **والآخر** أن معناه رافعك الى كرامتي كما قال حكاية عن ابراهيم (ع) ايني ذاهب إلى ربي سيهدين أي إلى حيث أمرني ربي سعى ذهابه الى الشام ذهابا إلى ربه وقوله

(ومطهرك من الذين كفروا) وفيه قولان ﴿ احدهما ﴾ مطهرك باخراجك من بينهم وانجاثك منهم فانهم أرجاس جعل مقامه فيما بينهم كملاقاة النجاسة من حيث كان يحتاج إلى مجاورتهم ومجاراتهم ﴿ والآخر ﴾ ان تطهيره منعه من كفر بفعلونه بالقتل الذي كانوا هموا به لأن ذلك رجس طهره الله منه عن الجبائي وقوله (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) معناه وجاعل الذين آمنوا بك فوق الذين كذبوا عليك و كذبوك في العز والغلبة والظفر والنصرة وقيل في البرهان والحجة والمعنى به النصارى قال ابن زبد ولهذا لا ترى اليهود حيث كانوا الا اذل من النصارى ولهذا ازال الملك عنهم وابن كان ثابتا في النصارى على بلاد الروم وغيرها فهم أعز منهم وفوقهم الى يوم القيامة وقال الجبائي فيه دلالة على انه لا يكون لليهود مملكة الى يوم القيامة كما للروم وقيل المعنى به أمة محمد (ص) وإنما ساءهم تبعاً وان كانت لهم شريعة على حدة لأنه وجد فيهم التبعية صورة ومعنى أما صورة فإنه يقال فلان يتبع فلانا اذا جاء بعده واما معنى فلان نبينا (ص) كان مصداقاً بعيسى وبكتابه ويقال لمن يصدق غيره انه يتبعه على ان شريعة نبينا وسائر الانبياء متحدة في أبواب التوحيد فعلى هذا هو متبع له اذ كان معتقداً باعتقاده وقائلاً بقوله وهذا القول أوجه لأن فيه ترغيباً في الاسلام ودلالة على ان أمة محمد (ص) يكونون ظاهرين إلى يوم القيامة ولأن من دعاه إلهاً لا يكون في الحقيقة تابعا له (ثم الي مرجعكم) أي مصيركم (فأحكم بينكم) فأقضي بينكم (فيما كنتم فيه تختلفون) من امر عيسى

قوله تعالى (٥٦) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٥٧) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٥٨) ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (ثلاث آيات)

-(القراءة)-

قرأ حفص ورويس عن يعقوب فيوفيههم بالياء والباقون بالنون

-(الحجة)-

من قرأ بالنون فهو مثل فأعذبهم ويحسنه قوله ذلك نتلوه عليك من الآيات ومن قرأ بالياء فلأن ذكر الله قد تقدم في قوله اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك أو صار من لفظ الخطاب إلى الغيبة كقوله فأولئك هم المضعفون بعد قوله وما آتيتم من زكاة

-(الاعراب)-

نتلوه عليك في موضع رفع بأنه خبر ذلك ويجوز أن يكون صلة لذلك ويكون ذلك بمعنى الذي فعلى هذا لا موضع لقوله نتلوه وتقديره الذي نتلوه وقوله من الآيات في موضع رفع بأنه خبره وانشدوا في مثله
عدس ما لعباد عليك إمارة نجوت وهذا تحمليين طليق
تقديره والذي يحمليين طليق

﴿ المعنى ﴾

(فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة) عذابهم في الدنيا اذلالهم بالقتل والأسر

والسبي والخسف والجزية وكل ما فعل بهم على وجه الاستخفاف والإهانة وفي الآخرة عذاب الأبد في النار (وما لهم من ناصرين) اي اعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى (واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم) اي يوفى عليهم ويتمم «اجورهم» اي جزاء اعمالهم (والله لا يحب الظالمين) اي لا يريد تعظيمهم واثابتهم ولا يرحمهم ولا يثني عليهم وهذه الآية حجة على من قال بالإحباط لأنه سبحانه وعد بتوفية الاجر وهو الثواب والتوفية منافية للاحباط (ذلك) اشارة الى الاخبار عن عيسى وزكريا ويحيى وغيرهم (تلوه عليك) نقرأ عليك ونكلمك به وقيل تأمر جبرائيل أن يتلوه عليك عن الجبائي (من الآيات) أي من جملة الآيات والحجج الدالة على صدق نبوتك اذا علمتهم بما لا يعلمه الا قارى كتاب او معلم ولست بواحد منها فلم يبق الا انك قد عرفته من طريق الوحي (والذكر الحكيم) القرآن المحكم وانما وصفه بأنه حكيم لأنه بما فيه من الحكمة كأنه ينطق بالحكمة كما تسمى الدلالة دليلاً لأنها بما فيها من البيان كأنها تنطق بالبيان والبرهان وان كان الدليل في الحقيقة هو الدال

قوله تعالى (٥٩) إِنْ مَثَلْ عَيْسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٦٠) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦١) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (ثلاث آيات)

اللغة

المثل ذكر سائر يدل على ان سبيل الثاني سبيل الاول وتعالوا اصله من العلو يقال تعاليت اتعالى اي جئت واصله المجي الى ارتفاع الا انه كثر في الاستعمال حتى صار بمعنى هلم وقيل في الابتهاج قولان * احدهما * انه بمعنى الالتعان وافتعلوا بمعنى تفاعلوا كقولهم اشتوروا بمعنى تشاوروا بهله الله اي لعنه الله وعليه بهله الله اي لعنه الله * والآخر * انه بمعنى الدعاء بالهلاك قال لبيد «نظر الدهر اليهم فابتهل» اي دعا عليهم بالهلاك فالبهل كالعن وهو المباعدة عن رحمة الله عقابا على معصيته ولذلك لا يجوز ان يلعن من ليس بعاص من طفل او بهيم او نحوهما

الإعراب

قوله خلقه من تراب لا موضع له من الإعراب لأنه لا يصلح أن يكون صفة لآدم من حيث هو نكرة ولا يكون حالاً له لأنه ماض فهو متصل في المعنى غير متصل في اللفظ بعلامة من علامات الاتصال فيكون الرفع على تقدير فهو يكون والحق رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف وتقديره ذلك الاخبار في أمر عيسى الحق من ربك فحذف ذلك لدلالة شاهد الحال عليه كما يقال الهلال والله أي هذا الهلال وقيل الحق مبتدأ وخبره قوله من ربك

النزول

قيل نزلت الآيات في وفد نجران العاقب والسيد ومن معها قالوا لرسول الله هل رأيت ولدا من غير ذكر فنزل إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم الآيات فقرأها عليهم عن ابن عباس وقتادة والحسن فلما دعاهم رسول

الله أولى المباهلة استنظروه الى صبيحة غد من يومهم ذلك فلما رجعوا الى رجالهم قال لهم الأسقف انظروا محمدا في غد فإن غدا بولده واهله فأحذروا مباهاتته وان غدا بأصحابه فبأهلوه فإنه على غير شيء فلما كان الغد جاء النبي (ص) آخذا بيد علي بن ابي طالب (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) بين يديه ميثيان وفاطمة (ع) تمشي خلفه وخرج النصارى يقدمهم أسقفهم فلما رأى النبي (ص) قد أقبل بمن معه سأل عنهم فقيل له هذا ابن عمه وزوج ابنته وأحب الخلق اليه وهذان ابنا بنته من علي (ع) وهذه الجارية بنته فاطمة أعز الناس عليه واقربهم الى قلبه وتقدم رسول الله فجثا على ركبتيه قال ابو حارثة الاسقف جثا والله كما جثا الأنبياء للمباهلة فرجع ولم يقدم على المباهلة فقال السيد ادن يا ابا حارثة للمباهلة فقال لا اني لارى رجلا جريئا على المباهلة وانا خاف أن يكون صادقا ولئن كان صادقا لم يحل والله علينا الحول وفي الدنيا نصراني بطعم الماء فقال الأسقف يا ابا القاسم إننا لا نباهلك ولكن نصالحك فصالحنا على ما ينهض به فصالحهم رسول الله (ص) على الفتي حلة من حلال الاواقى قسمة كل حلة اربعون درهما فما زادا ونقص فعلى حساب ذلك وعلى عارية ثلاثين درعا وثلاثين رحما وثلاثين فرسا ان كانت باليمن كيد ورسول الله ضامن حتى يؤديها وكتب لهم بذلك كتابا وروي ان الاسقف قال لهم اني لا ارى وجوها لو سألو الله أن يزيل جبلا من مكانه لا زاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة وقال النبي والذي نفسي بيده لو لاعنوني لمسخوا قرده وخنزير ولا ضطرم الوادي عليهم نارا ولما حال الحول على النصارى حتى بهلكوا كلهم قالوا فلما رجع وفد نجران لم يلبث السيد والعاقب إلا يسيرا حتى رجعا الى النبي وأهدى العاقب له حلة وعصا وقدحا ونعلين واسلما

—* المعنى *—

ثم رد الله تعالى على النصارى قولهم في المسيح انه ابن الله فقال (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم) أي مثل عيسى في خلق الله اياه من غير أب كمثل آدم في خلق الله اياه من غير أب فليس هو بأبدع ولا اعجب من ذلك فكيف أنكروا هذا واقروا بذلك ثم بين سبحانه كيف خلقه فقال (خلقته) اي انشأه (من تراب) وهذا اخبار عن آدم ومعناه خلق عيسى من الريح ولم يخلق قبل احدا من الريح كما خلق آدم من التراب ولم يخلق قبله احدا من التراب (ثم قال له) أي لا آدم وقيل لعيسى (كن) اي كن حيا بشرا سويا (فيكون) أي فكان في الحال على ما اراد وقد مر تفسير هذه الكلمة فيما قبل في سورة البقرة مشروحا وفي هذه الآية دلالة على صحة النظر والاستدلال لأن الله احتج على النصارى ودل على جواز خلق عيسى من غير أب كخلق آدم من غير أب ولا أم (الحق من ربك) أي هذا هو الحق من ربك اضافة الى نفسه تأكيدا وتعليلًا أي هو الحق لأنه من ربك (فلا تكن) ايها السامع (من المعتزين) وقد مر تفسيره في سورة البقرة (فمن حاجك) معناه فمن خاصمك وجادلك يا محمد (فيه) اي في قصة عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) أي من البرهان الواضح على أنه عبدي ورسولي عن قتادة معناه وقيل فمن حاجك في الحق والهاء في فيه عائدة الى قوله الحق من ربك فقل يا محمد هو لاء النصارى (تعالوا الى كلمة) أي هلموا الى حجة أخرى ماضية فاصلة تميز الصادق من الكاذب (ندع ابناؤنا وابناؤكم) اجمع المفسرون على ان المراد بأبنائنا الحسن والحسين قال ابو بكر الرازي هذا يدل على ان الحسن والحسين ابنا رسول الله وان ولد الابنة ابن في الحقيقة وقال ابن ابي علان وهو احد أئمة المعتزلة هذا يدل على ان الحسن والحسين كانا مكلفين في تلك الحال لأن المباهلة

لا تجوز إلا مع البالغين وقال اصحابنا ان صغر السن ونقصانها عن حد بلوغ الحلم لا ينافي كمال العقل وانما جعل بلوغ الحلم حدا لتعلق الاحكام الشرعية وقد كانت تلك الحال حسنا لا يمتنع معها ان يكونا كاملتي العقل على ان عندنا يجوز ان يخرق الله العادات للأئمة ويخصهم بما لا يشر كهم فيه غيرهم فلو صح ان كمال العقل غير معتاد في تلك السن لجاز ذلك فيهم ابانته لهم عن سواهم ودلالة على مكانهم من الله تعالى واختصاصهم وبما يؤيده من الاخبار قول النبي (ص) ابناي هذان امامان قاما او قعدا (ونسائنا) اتفقوا على ان المراد به فاطمة (ع) لأنه لم يحضر المباهلة غيرها من النساء وهذا يدل على تفضيل الزهراء على جميع النساء وبعضه ما جاء في الخبر ان النبي (ص) قال فاطمة بضعة مني يربيني مارا بها وقال إن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضائها وقد صح عن حذيفة انه قال سمعت النبي (ص) يقول اتاني ملك فبشرني ان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة ونساء امتي وعن الشعبي عن مسروق عن عائشة قال اسر النبي إلى فاطمة شيئا فضحكت فسألتهما فقالت قال لي ألا ترضين ان تكوني سيدة نساء هذه الأمة ونساء المؤمنين فضحكت لذلك (ونسائكم) اي من شتم من نسائكم (وانفسنا) يعني عليا خاصة ولا يجوز ان يكون المعني به النبي (ص) لأنه هو الداعي ولا يجوز ان يدعو الانسان نفسه وانما يصح ان يدعو غيره واذا كان قوله وانفسنا لا بد ان يكون اشارة الى غير الرسول وجب ان يكون اشارة الى علي لأنه لا احد يدعي دخوله غير امير المؤمنين علي وزوجته وولديه في المباهلة وهذا يدل على غاية الفضل وعلو الدرجة والبلوغ منه الى حيث لا يبلغه احد اذ جعله الله نفس الرسول وهذا ما لا يدانيه فيه احد ولا يقاربه وبما بعضه من الروايات ما صح عن النبي انه سئل عن بعض اصحابه فقال له قائل فلي فقال ما سألتني عن الناس ولم تسألني عن نفسي وقوله لبريدة الاسلمي يا بريدة لا تبغض عليا فإنه مني وانا منه ان الناس خلقوا من شجرتي وخلقنا انا وعلي من شجرة واحدة وقوله (ع) بأحد وقد ظهرت نكايته في المشركين ووقايته اياه بنفسه حتى قال جبرائيل ان هذا هي المواساة فقال يا جبرائيل انه مني وانا منه فقال جبرائيل وانا منك (وانفسكم) يعني من شتم من رجالكم (ثم نبه) اي تنزع في الدعاء عن ابن عباس وقيل نلتمن فنقول لعن الله الكاذب (فجعل لعنة الله على الكاذبين) منا وفي هذه الآية دلالة على انهم علموا ان الحق مع النبي لأنهم امتنعوا عن المباهلة واقروا بالذل والخزي لقبول الجزية فلو لم يعلموا ذلك لباهلوه فكان يظهر ما زعموا من بطلان قوله في الحال ولو لم يكن النبي (ص) متيقنا بنزول العقوبة بعده ودونه لما ادخل اولاده وخواص اهله في ذلك مع شدة اشفاقه عليهم

قوله تعالى (٦٢) **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (٦٣) **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ** (آيتان)

اللغة

القصص القصة وفعل بمعنى مفعول كالنقص والقبض والقصص جمع القصة ويقال اقتصصت الحديث وقصصته قصا وقصصا ورويته على جهته وهو من اقتصصت الأثر اي اتبعته ومنه اشتق القصاص والقصص الخبر الذي يتابع فيه المعاني والتولي عن الحق اعتقاد خلافه لأنه كالإدبار عنه بعد الاقبال عليه واصل التولي كون الشيء يلي غيره من غير فصل بينه وبينه والافساد ايقاع الشيء على خلاف ما توجه الحكمة والإصلاح ايقاعه

على ما توجه الحكمة والفرق بين الفساد والقيح ان الفساد تغيير عن المقدار الذي تدعو اليه الحكمة وليس كذلك القبيح لأنه ليس فيه معنى المقدار وإنما هو ما تزجر عنه الحكمة كما ان الحسن ما تدعو اليه الحكمة

﴿ الاعراب ﴾

ما من إله إلا الله دخول من فيه لعموم النفي لكل إله غير الله وإنما افادت من هذا المعنى لأن اصلها لا ابتداء الغاية فدل على استغراق النفي لا ابتداء الغاية الى انقائها وقوله هو يجوز أن يكون هو فصلاً ويسميه الكوفيون عمادا فلا يكون له موضع من الاعراب ويكون القصص خبر إن ويجوز ان يكون مبتدأ والقصص خبره والجملة خبر إن

﴿ المعنى ﴾

(ان هذا هو القصص الحق) معناه ان هذا الذي اوحينا اليك في امر عيسى (ع) وغيره هو الحديث الصدق فمن خالفك فيه مع وضوح الأمر فهو معاند (وما من إله إلا الله) وما لكم أحد يستحق إطلاق اسم الإلهية الا الله وان عيسى ليس بإله كما زعموا وإنما هو عبد الله ورسوله ولو قالوا ما إله إلا الله بغير من لم يفد هذا المعنى (وان الله هو العزيز) أي القادر على الكمال (الحكيم) في الأقوال والأفعال والتقدير والتدبير (فإن تولوا) أي فإن أعرضوا عن اتباعك وتصديقك وعماتيت به من الدلالات والبيئات (فإن الله عليم بالمفسدين) أي بمن يفسده من خلقه فيجازيهم على افسادهم وإنما ذكر ذلك على جهة الوعيد وإلا فإنه تعالى عليم بالمفسد والمصلح جميعاً ونظيره قول القائل لغيره أنا عالم بشرك وفسادك وقيل معناه انه عليم بهؤلاء المجادلين بغير حق وبأنهم لا يقدمون على مباهلتك لمعرفةهم بنبوتك

قوله تعالى (٦٤) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

قال الزجاج معنى كلمة كلام فيه شرح قصة وان طال ولذلك تقول العرب للقصيدة كلمة يروي ان حسان بن ثابت كان إذا قيل له انشدنا قال هل انشد كلمة الحويردة يعني قصيدته التي أولها «بكرت سمية غدوة فتمتع» ومعنى سواء أي عدل وسوى بمعناه قال زهير

أروني خطة لا ضيم فيها يسوي بيننا فيها السواء

فإن ترك السواء فليس بيني وبينكم بني حصن بقاء

وقيل سواء مستور هو مصدر وضع موضع اسم الفاعل ومعناه إلى كلمة مستوية وهو عند الزجاج اسم ليس بصفة وإنما جر بتقدير ذات سواء وجوز نصبه على المصدر

﴿ الاعراب ﴾

موضع ان لا نعبد فيه وجهان - « احدهما » - ان يكون في موضع جر على البدل من كلمة فكأنه قال تعالوا الى أن لا نعبد الا الله « والآخر » ان يكون في موضع رفع على تقدير هي ان لا نعبد الا الله

ولو قرئ ان لا نعبد بالرفع كان ان هي المخففة من المثقلة فكانه قال انه لا نعبد الا الله كقوله أفلا يرون
ألا يرجع اليهم قولا وعلى هذا يثبت النون في الخط ويكون ان من العوامل في الأسماء وعلى الأول يكون من
العوامل في الأفعال ولا يثبت في الخط النون ولو قرئ أن لا نعبد الا الله بالإسكان فإن مفسرة كالتى
في قوله ان امشوا ولا نعبد نهي

— (النزول) —

قيل في سبب نزول الآية اقوال « احدها » انها نزلت في نصارى نجران عن الحسن والسدي وابن زيد
ومحمد بن جعفر بن الزبير « وثانيها » انها نزلت في يهود المدينة عن قتادة والربيع وابن جريج وقد رواه اصحابنا
ايضا « ثالثها » انها نزلت في الفريقيين من اهل الكتاب على الظاهر عن أبي علي الجبائي وهذا اولي لعمومه

— (المعنى) —

لما تم الحجاج على القوم دعاهم تعالى الى التوحيد والى الاقتداء بمن اتفقوا انه كان على الحق فقال
(قل) يا محمد (يا اهل الكتاب تعالوا) أي هلموا (الى كلمة سواء) اي عدل (بيننا وبينكم) اي عادلة
لا ميل لها كما يقال رجل عدل اي عادل لا ميل فيه وقبل معناه كلمة مستوية بيننا وبينكم فيها ترك العبادة
لغير الله وهي (أن لا نعبد الا الله) لأن العبادة لا تحقق إلا له (ولا نشرك به) في العبادة (شيئا ولا
يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) اختلف في معناه فقيل معناه ولا يتخذ بعضنا عيسى ربا فإنه كان بعض
الناس وقيل معناه ان لا نتخذ الاحبار اربابا بأن نطيعهم طاعة الارباب كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله وروي عن ابي عبد الله انه قال ما عبدوهم من دون الله ولكن حرموا لهم حلالات وأحلوا
لهم حراما وكان ذلك اتخاذهم اربابا من دون الله وقد روي ايضا انه لما نزلت هذه الآية قال عددي بن
حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال (ص) اما كانوا يحلون لكم ويمحرون فتأخذون بقولهم نعم فقال
النبى (ص) هو ذلك (فإن تولوا) اي عرضوا عن الإقرار بالعبودية وان احدا لا يستحق العبادة غيره
(فقولوا) انتم ايها المسلمون مقابلة لإعراضهم عن الحق وتجديدا للإقرار ومخالفتهم (اشهدوا باننا مسلمون)
اي مخلصون مقرون بالتوحيد وقيل مستسلمون منقادون لما أتى به النبى والآنبيا من الله وقيل مقيمون
على الإسلام وهذا تأديب من الله لعبده المؤمن وتعليمه كيف يفعل عند اعراض المخالف بعد ظهور الحجة
ليعلم المبطل ان مخالفته لا يؤثر في حقه وليدل على ان الحق يجب اتباعه من غير اعتبار بالقلة والكثرة

قوله تعالى (٦٥) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَتَتْهُ التَّوْرَةُ
وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٦) هَا أَنْتُمْ هُوَ لَا حَاجَّ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ
فَلِمَ تَحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (آيتان)

﴿ القراءه ﴾

قرأ اهل الكوفة ها انتم بالمد والهمز وقرأ اهل المدينة ابو عمرو بغير مد ولا همز إلا بقدر خروج الالف
الساكنة وقرأ ابن كثير ويعقوب بالهمز والقصر من غير مد على وزن هئنتم وقرأ ابن عامر بالمد دون الهمز

الحجة

الكلام في المد والهمز كثير والوجه ان من حقق فعلی الأصل لأنها حرفان ها وأنتم ومن لم يمد ولم يهمز فالتخفيف من غير إخلال

اللغة

الفرق بين الحجاج والجدال ان الحجاج يتضمن اما حجة او شبهة في صورة الحجة والجدال هو قتل المخصم الى المذهب بحجة او شبهة او ايها في الحقيقة لأن اصله من الجدال وهو شدة القتل والحجة هي البيان الذي شهد بصحة المقال وهو والدلالة بمعنى واحد

الإعراب

ها أنتم ها للتثنية وقد كثر التثنية في هذا ولم يكثر في هانت لأن ذا مبهم من حيث يصلح لكل حاضر والمعنى فيه واحد بعينه مما يصلح له فقوي بالتنبيه لتحريك النفس على طلبه بعينه وليس كذلك أنت لأنه لا يصلح لكل حاضر في الجملة وإنما هو للمخاطب وخبر أنتم يجوز ان يكون حاججتم على ان يكون هو لا عطف بيان ويجوز ان يكون خبره هو لا على ان اولى بمعنى الذين وما بعده صلة له

النزول

قال ابن عباس والحسن وقتادة ان احبار اليهود ونصارى نجران اجتمعوا عند رسول الله فتنازعوا في ابراهيم فقالت اليهود ما كان إلا يهوديا وقالت النصارى ما كان إلا نصرانيا فانزل الله هذه الآية

المعنى

(يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم) اي لم تنازعون وتجادلون فيه وتدعون انه على دينكم (وما انزلت التوراة والانجيل إلا من بعده) اي من بعد ابراهيم (افلا تعقلون) ان الإقامة على الدعوى من غير برهان غير جائزة في العقل فكيف يجوز الإقامة على الدعوى بعد ما ظهر فسادها فان قيل لودل نزول التوراة والانجيل بعد ابراهيم على انه لم يكن على اليهودية والنصرانية لوجب أن يدل نزول القرآن بعده على انه لم يكن على الإسلام فالجواب ان الكل متفقون على انه منسب باسم الإسلام غير ان اليهود ادعوا أن الإسلام هو اليهودية والنصارى ادعوا أنه هو النصرانية والتوراة والانجيل انزلتا من بعد ابراهيم واسمه فيها اسم الإسلام وليس في واحد منها انه كان على دين اليهودية والنصرانية واما القرآن إن كان منزلا بعده ففيه وصف ابراهيم بدين الإسلام ونفي اليهودية والنصرانية عنه في هذا اوضح حجة على انه كان مسلما وأن محمدا (ص) وامته الذين لهم اسم الإسلام اولى به منهم وقد قيل ان اليهود اعتقدوا ان اليهودي اسم لمن تمسك بالتوراة واعتقد شريعته والنصارى اعتقدوا ان النصراني اسم لمن تمسك بالانجيل واعتقد شريعته فرد الله تعالى دعوى الفرقين واخبر أن التوراة والانجيل ما انزل الله إلا من بعد ابراهيم فكيف يكون متمسكا بحكمها واما نحن فلم ندع ان المسلم هو المتمسك بحكم القرآن إذ الإسلام عبارة عن الدين دون احكام الشريعة فوصفناه بالإسلام كما وصفه الله به فإن قيل فهل كان ابراهيم متمسكا بشرائع الإسلام كلها التي نحن عليها قلنا انه كان متمسكا بدين الإسلام وبعض احكام شريعة نبينا (ص) لا يجمعها لأن

من حكم الشريعة قراءة القرآن في الصلاة ولم يكن ذلك في شريعته وانما قلنا أنه مسلم وان كان متمسكا ببعض احكام الشريعة لأن اصحاب النبي (ص) في بدو الإسلام كانوا مسلمين قبل استكمال الشرع وقبل نزول تمام القرآن والواحد منا مسلم على الحقيقة وان لم يعمل بجميع احكام الشريعة (ها انتم) يا معشر اليهود والنصارى وهو في الظاهر تنبيهه على انفسهم والمراد به التنبيه على حالمه اذ التنبيه انما يكون فيما قد يغفل عنه الانسان دون ما يعلمه (حاججتم) جادتم وخاصتم (فيما لكم به علم) معناه حاججتم ولكم به علم لوجود اسمه في التوراة والانجيل (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) أي فلم تحاجون في دينه وشرعه وليس لكم به علم لم ينكر الله تعالى عليهم محاجتهم فيما علموه وانما أنكر عليهم محاجتهم فيما لم يعلموا (والله يعلم) شأن ابراهيم ودينه وكل ما ليس عليه دليل لأنه العالم بجميع المعلومات (وانتم لا تعلمون) ذلك فلا تتكلموا فيه ولا تضيفوا اليه ما لا تعلمونه واطلبوا علم ذلك ممن يعلمه

قوله تعالى (٦٧) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٨) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَليُّ الْمُؤْمِنِينَ (آيتان)

اللغة

قد ذكرنا الاصل في اليهود والنصارى والحنيف في سورة البقرة واولى الذي هو بمعنى افعل من غيره لا يثنى ولا يجمع لأنه لا يتضمن معنى الفعل والمصدر على تقدير يزيد فضله على فضله في افضل منه ومعنى قولنا هذا الفعل أولى من غيره اي بأن يفعل وقولنا زيد أولى من غيره معناه انه على حال هو أحق بها من غيره والاتباع جريان الثاني على طريقة الأول من حيث هو عليه كالدلول الذي يتبع الدليل في سلوك الطريق او في التصحيح لأنه إن صح الدليل صح المدلول عليه بصحته وكذلك المأموم الذي يتبع طريقة الإمام

المعنى

ثم كذب الله اليهود والنصارى فقال (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) نزهة ابراهيم وبراه عن اليهودية والنصرانية لأنها صفتا ذم قد دل القرآن والاجماع على ذلك وهذا يدل على ان موسى ايضا لم يكن يهوديا ولم يكن عيسى نصرانيا فإن الدين عند الله الإسلام واليهودية ملة محرقة عن شرع موسى والنصرانية ملة محرقة عن شرع عيسى فها صفتا ذم جريا على فرقتين ضاليتين (ولكن كان حنيفا) اي مائلا عن الأديان كلها الى دين الإسلام وقيل معناه مستقيما في دينه (مسلم) اي كائنا على دين الإسلام (وما كان من المشركين) قيل ان هذا يتضمن كون اليهودية والنصرانية شركا وقيل ان معناه لم يكن مشركا على ما يدعيه مشركو العرب (إن أولى الناس بإبراهيم) يعني ان احق الناس بنصرة ابراهيم بالحجة او بالمعونة (الذين اتبعوه) في وقته وزمانه وتولوه بالنصرة على عدوه حتى ظهر أمره وعلت كلمته (وهذا النبي والذين آمنوا) يتولون نصرته بالحجة لما كان عليه من الحق وتبرئة كل عيب عنه أي هم الذين ينبغي

لم أن يقولوا انا على دين ابراهيم ولهم ولايته (والله ولي المحسنين) لأنه يتولى نصرتهم والمؤمن ولي الله لهذا المعنى بعينه وقيل لأنه يتولى نصرته ما أمر الله به من الدين وانما افرد الله النبي (ص) بالذكر تعظيما لأمره واجلالا لقدره كما افرد جبرائيل وميكائيل وقيل ليدخل في الولاية وتعود اليه الكناية فان التقدير والذين آمنوا به وفي هذه الآية دلالة على ان الولاية تثبت بالدين لا بالنسب ويعضد ذلك قول امير المؤمنين ان اولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤا به ثم تلا هذه الآية وقال ان ولي محمد من أطاع الله وان بعدت حلتة وان عدو محمد من عصى الله وان قربت قربته وروى عمر بن يزيد قال قال ابو عبد الله انتم والله من آل محمد قلت من انفسهم جعلت فذاك قال نعم والله من انفسهم قالها ثلاثا ثم نظر اولي ونظرت اليه فقال يا عمر وان الله يقول في كتابه ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه الآية رواه علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن ابي عمير عن منصور بن يونس عنه

قوله تعالى (٦٩) وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

ودت أي تمت فلما كان بمعنى تمنى صالح للماضي والحال والاستقبال فذلك جاز بلو وليس كذلك المحبة والارادة لأنها لا تتعلق الا بالمستقبل فلا يجوز أن يقال ارادوا لو يضلونكم لأن الارادة مجرى مجرى الاستدعاء الى الفعل او مجرى العلة في ترتيب الفعل فأما التمني فهو تقرير شيء في النفس يستمتع بتقريره والفرق بين ود لو تضله وبين ود ان تضله ان إن للاستقبال وليس كذلك لو

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ان هؤلاء كما ضلوا دعوا الى الضلال فقال (ودت) أي تمت وقيل ارادت (طائفة) أي جماعة (من أهل الكتاب) أي من اليهود والنصارى وقيل من اليهود خاصة (لو يضلونكم) أي يهلكونكم بإدخالكم في الضلال ودعائكم اليه ويستعمل الضلال بمعنى الهلاك نحو قوله إذا ضللتنا في الارض ومعناه هلكنا وبطلت صورنا (وما يضلون إلا انفسهم) معناه لا يرجع وبال اضلالهم الا على انفسهم ولا يلحق ضرره الا بهم فإن المسلمين لا يجيبونهم الى ما يدعونهم اليه من ترك الإسلام الى غيره من الاديان فيبقى عليهم إثم الكفر وبال الدعاء الى الكفر وقيل معناه وما يهلكون الا انفسهم أي لا يعتد بما يحصل لغيرهم من الهلاك في جنب ما يحصل لهم (وما يشعرون) أي وما يعلمون ان وبال ذلك يعود اليهم وقيل وما يشعرون ان الله تعالى يدل المؤمنين على ضلالهم واضلالهم وقيل وما يشعرون انهم ضلال لجهلهم عن ابي علي الجبائي

قوله تعالى (٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٧١) يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (آيتان)

﴿ الاعراب ﴾

لم اصله لما حذفت الالف لاتصالها بالحرف الجار مع وقوعها ظرفا ولدلالة الفتحة عليها وكذلك هم وهم

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب الله الفريقين فقال (يا اهل الكتاب لم تكفرون) بما يتلى عليكم من (آيات الله) يعني القرآن (وانتم تشهدون) اي تعلمون وتشاهدون ما يدل على صحتها ووجوب الاقرار بها من التوراة والانجيل اذ فيها ذكر النبي والاخبار بصدق نبوته وبيان صفته وقيل يعني آيات الله ما في كتبهم من البشارة بنبوته وانتم تشهدون الحجج الدالة على نبوته وقيل يعني الآيات ما في كتبهم ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وان الدين هو الاسلام وانتم تشهدون ذلك وقيل يعني بها ما يتلى عليكم من غرائب اخبارهم التي علموا انها في كتبهم عن ابي مسلم وقيل يعني بالآيات الحجج الدالة على نبوة محمد (ص) وانتم تشهدون ان الأول لمعجزة يدل على صدق الرسالة وثبوت النبوة وقيل وانتم تشهدون اذا خلوتهم بصحة دين الاسلام (يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) معناه لم تخلطون الحق بالباطل وفيه اقوال « احدها » ان المراد به تحريفهم التوراة والانجيل عن الحسن وابن زيد « وثانيها » ان المراد به اظهارهم الاسلام وابطالهم النفاق في قلوبهم من اليهودية والنصرانية لانهم تداعوا إلى اظهار الاسلام في صدر النهار والرجوع عنه في آخره تشكيكا للناس عن ابن عباس وقتادة « وثالثها » ان المراد به الايمان بوسى وعيسى والكفر بمحمد « ورابعها » ان المراد ما يعلمونه في قلوبهم من ان محمدا حق بما يظهره من تكذيبه عن الجبائي وابي مسلم (وتكتمون الحق) أي نبوة محمد (ص) وما وجدتموه في كتبكم من نعمته والبشارة به (وانتم تعلمون) انه حق وإنما نزلت هذه في طائفة من علمائهم لأن الكتاب إنما يجوز على الطائفة القليلة دون الكثيرة وقيل معناه وانتم تعلمون الأمور التي تصح بها التكليف والأول أصح لما في الآية من الذم على الكتمان

قوله تعالى (٧٢) وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٣) وَلَا تَوَدُّونَ إِلَّا أَلَمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٤) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير أن يؤتى احد ممدود والباقون أن يؤتى بغير مد واستفهام

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ أن يؤتى احد فتقديره لا تؤمنوا بأن يؤتى احد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم وقوله قل إن الهدى هدى الله أعترض بين المفعول وفعله واذا حذفت الجار من إن كان على الخلاف يكون في قول الخليل جراً وفي قول سيبويه نصبا فأما اللام في قوله لمن تبع دينكم فلا يسهل أن تعلقه بتؤمنوا وانتم قد أوصلته بحرف آخر جار فتعلق بالفعل جارين كما لا يستقيم ان تعديه إلى مفعولين إذا كان يتعدى إلى مفعول واحد

ألا ترى ان تعدية الفعل بالجار كتعديته بالهمز وتضعيف العين فكما لا يتكرر هذان كذلك لا يتكرر الجار فإذا لم يسهل تعليق المفعولين به حملته على المعنى والمعنى لا تقروا بأن يوتى احد مثل ما أوتيتهم إلا لمن تبع دينكم كما تقول أفررت لزيد بالف فيكون اللام متعلقا بالمعنى ولا تكون زائدة على حد ان كنتم للرويا تعبرون ولكن يتعلق بالإقرار وإن شئت عملت الكلام على معنى الجحود فكأنه قال اجحدوا الناس إلا لمن تبع دينكم فيكون اللام على هذا زائدة وقد تعدى آمن باللام في غير هذا قال الله تعالى فما آمن لموسى إلا ذريته وقال آمنت له قبل ان آذن لكم وقال يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين فتعدى مرة بالباء ومرة باللام ووجه قراءة ابن كثير ان في موضع رفع بالابتداء لأنه لا يجوز أن يحمل على ما قبله من الفعل بقطع الاستفهام بينها وخبره تصدقون به وتعتفون به ونحو ذلك بما دل عليه قوله ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم هذا على قول من قال ازيد ضربته ومن قال أزيديا ضربته كان ان عنده في موضع نصب ويجوز أن يكون موضع ان نصبا على معنى تذكرون أن يوتى احد مثل ما أوتيتهم او تشيعون ويدل على ذلك قوله تعالى أتحدثونهم بما فتح الله عليكم فحديثهم بذلك إشاعة منهم وانشاء ويخ بعضهم بعضا بالحديث لما علموه من أمر النبي (ص) وعرفوه من وصفه فهذه الآية في معنى قراءة ابن كثير ولعله اعتبرها في قراءة

✽ اللغة ✽

الطائفة الجماعة وفي أصلها قولان **✽** احدهما **✽** انه كالرفعة التي من شأنها أن تطوف البلاد في السفر الذي يقع عليه الاجتماع **✽** والآخر **✽** انها جماعة يستوي بها حلقة يطاف حولها ووجه النهار اوله وسمي وجها لأنه اول ما يواجهك منه كما يقال لأول الثوب وجه الثوب وقيل لأنه كالوجه في انه أعلاه واشرف ما فيه قال الربيع بن زياد

من كان مسرورا بمقتل مالك فليات نسوتنا بوجه نهار

✽ النزول ✽

قال الحسن والسدي توطأ اثنا عشر رجلا من احبار يهود خيبر وقرى عرينه وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار باللسان دون الاعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك وظهر لنا كذبه في بطلان دينه فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينه وقالوا انهم اهل الكتاب وهم أعلم به منا فيرجعون عن دينهم إلى دينكم وقال مجاهد ومقاتل والكلبي كان هذا في شأن القبلة لما حوت إلى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الأشرف لأصحابه آمنوا بالله وبما أنزل على محمد (ص) من أمر الكعبة وصلوا إليها اول النهار وارجعوا إلى قبلكم آخره لعالم يشكون

✽ المعنى ✽

لما ذكر تعالى صدرا من كبار القوم عقبه بذكر هذه المكيدة الشديدة فقال (وقالت طائفة) أي جماعة (من أهل الكتاب) أي بعضهم لبعض (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا) يعنون النبي واصحابه (وجه النهار واكفروا آخره) واختلف في معناه اقوال «احدها» اظهروا الإيمان لهم اول النهار وارجعوا عنه في آخره فانه أخرى أن ينقلبوا عن دينهم عن الحسن وجماعة «وثانيها» آمنوا بصلاتهم إلى الكعبة اول النهار واكفروا آخره ليرجعوا بذلك عن دينهم عن مجاهد «وثالثها» اظهروا الإيمان في صدر النهار بما سلف لكم من الاقرار بصفة محمد (ص) ثم ارجعوا في آخره لتوهموهم انه كان قد وقع غلط في صفته (لعالم يرجعون) عن دينهم الإسلام عن ابن عباس وجماعة (ولا تؤمنوا) أي ولا تصدقوا (إلا لمن تبع دينكم) اليهودية وقام بشرائعكم وهو

عطف على ما مضى واختلف في معنى الآية على اقوال « احدها » ان معناه ولا تصدقوا بان يوتى احد مثل ما أوتيتهم من العلم والحكمة والبيان والحجة إلا لمن تبع دينكم من اهل الكتاب وقيل إنا قال ذلك يهود خبير ليهود المدينة لئلا يعترفوا به فيلومونهم به لا قرارهم بصحته وقيل معناه لا تعترفوا بالحق إلا لمن تبع دينكم وقوله (او يحاجوكم عند ربكم) لأنكم أصبح ديناً منهم فلا تكون لهم الحجة عليكم عند الله فيكون هذا كله من كلام اليهود وقوله (قل إن الهدى هدى الله وقل ان الفضل بيد الله يؤتية من يشاء) كلام الله جواباً لليهود وردا عليهم أي قل يا محمد ان الهدى هدى الله وقل ان الفضل بيد الله فلا ينبغي لهم أن ينكروا أن يوتى أحد مثل ما أوتوا وهذا معنى قول الحسن وأبي علي الفارسي « وثانيها » أن يكون قوله ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كلام اليهود وما بعده من الله ويكون المعنى قل ان الهدى هدى الله أن يوتى احد مثل ما أوتيتهم أيها المسلمون كقوله بين الله لكم أن تضلوا أي أن لا تضلوا وان لا يحاجوكم عند ربكم وهذا قول السدي وابن جريج وقال ابو العباس المبرد أن لا ليست مما تحذف ها هنا ويكون هدى بدلا من الهدى والخبر أن لا يوتى احد مثل ما أوتيتهم ولكن الإضافة هنا معلومة فحذفت الأول واقبست الثانية مقامه والمعنى قل ان الهدى هدى الله كراهة (أن يوتى احد مثل ما أوتيتهم) أي ممن يخالف دين الله لأن لا يهدي من هو كاذب كفار فهدى الله بعيد من غير المؤمنين وكذلك تقدير قوله بين الله لكم كراهة أن تضلوا وقال قوم ان تقديره قل يا محمد ان الهدى إلى الخير هدى الله فلا تجحدوا ايها اليهود أن يوتى احد مثل ما أوتيتهم من النبوة (او ان) يحاجوكم بذلك (عند ربكم) إن لم تقبلوا ذلك منهم عن قتادة والربيع والجياثي وقيل ان الهدى هدى الله معناه ان الحق ما أمر الله ثم فسر الهدى فقال أن يوتى احد مثل ما أوتيتهم او يحاجوكم فلموتى هو الشرع وما يحتاج به هو العقل وتقدير الكلام ان هدى الله ما شرع او ما عهد به في العقل فهذه اربعة اقوال « وثالثها » ان يكون الكلام من اول الآية إلى آخرها لله تعالى وتقديره ولا تؤمنوا ايها المؤمنون إلا لمن تبع دينكم وهو دين الإسلام ولا تصدقوا بان يوتى احد مثل ما أوتيتهم من الدين فلا نبي بعد نبيكم ولا شريعة بعد شريعتكم إلى يوم القيامة ولا تصدقوا بان يكون لأحد حجة عليكم عند ربكم لأن دينكم خير الأديان وان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله فتكون الآية كلها حظاً للمؤمنين من الله تعالى عند تلبس اليهود عليهم لئلا يزولوا ويدل عليه ما قاله الضحاك ان اليهود قالوا إنا نحاج عند ربنا من خالفنا في ديننا فبين الله تعالى انهم هم المدحضون المغلوبون وان المؤمنين هم الغالبون وقوله (قل ان الفضل بيد الله) قيل يريد به النبوة وقيل الحجج التي أوتيتها محمد (ص) ومن معه وقيل نعم الدين والدنيا وقوله بيد الله أي في ملكه وهو القادر عليه العالم بمجمله (يوتيه من يشاء) وفي هذه دلالة على ان النبوة ليست بمستحقة وكذلك الإمامة لأن الله سبحانه علقه بالمشية (والله واسع) الرحمة جواد وقيل واسع المقدور يفعل ما يشاء (عليم) بمصالح الخلق وقيل يعلم حيث يجعل رسالته (يختص برحمته من يشاء) والله ذو الفضل العظيم (مر تفسيره في سورة البقرة في العشر التي بعد المائة وفي هذه الآيات معجزة باهرة لنبينا إذ فيها اخبار عن سرائر القوم التي لا يعلمها إلا علام الغيوب وفيها دفع لمكائدهم ولطف للمؤمنين في الثبات على عقائدهم

قوله تعالى (٧٥) وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِعْ إِيَّاكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِعْ إِيَّاكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٦) نَبِيُّ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِمْ أَوْفَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (آيتان)

✽ القراءة ✽

قرأ حمزة و أبو بكر عن عاصم يؤده بسكون الهاء. وروي نحوه عن أبي عمرو وقرأ أبو جعفر ويعقوب بكسر الهاء. مع الاختلاس وهو الصحيح من مذهب أبي عمرو والباقون بالكسر والإشباع

✽ الحجة ✽

أما سكون الهاء فإن أكثر النحويين على أنه لا يجوز وغلط الزجاج الرازي فيه عن أبي عمرو قال وحكى سيبويه عنه وهو ضابط لمثل هذا أنه كان يكسر كسرا خفيفا قال الفراء هذا مذهب لبعض العرب يسكنون الهاء إذا تحرك ما قبلها يقاون ضربته كما يسكنون ميم انتم وقتمم وأما الاختلاس فإنه للاكتفاء بالكسرة عن الياء وأما الإشباع فعلى الأصل

✽ اللغة ✽

القنطار قد ذكرنا الخلاف في مقداره في اول السورة والدينار اصله دينار بنونين فقلبت احدى النونين ياء لكثرة الاستعمال طلبا للخفة وجمعه دنانير ودمت ودمت لقتان مثل متومت ولكن من كسر الدال والميم قال في المضارع غات وتدام وهي لغة ازد السراة ووفى ووفى لقتان واهل الحجاز يقولون اوفيت واهل نجد يقولون وفيت

✽ الإعراب ✽

الفرق بين ان تقول تأمنه بقنطار وبين ان تقول على قنطار ان معنى الباء الصاق الامانة ومعنى على استعلاء. لأنامنة وهما يتعاقبان في هذا الموضع لتقارب المعنى كما تقول مررت به ومررت عليه وبلى يحتمل معنيين (احدهما) الاضراب عن الاول على جهة الانكار للاول وعلى هذا الوجه يكون من اوفى بعهده مكثفيه نحو قولك ما قدم زيد فيقال بلى اي بلى قد قدم زيد قال الزجاج هاعنا وقف تام ثم استأنف من اوفى الى الآخرة لأنهم لما قالوا ليس علينا في الأميين سبيل قيل بلى عليهم وسبيل (الثاني) الاضراب عن الاول والاعتماد على البيان الثاني وعلى هذا الوجه لا تكون مكثفية والفرق بين بسلى ونعم ان بلى جواب النبي ونعم جواب الإثبات انما جاز امالة بلى لمشابهتها الأوسم من وجهين **✽ احدهما ✽** انه توقف عليها كما توقف على الإسم **✽ والآخر ✽** على ثلاثة احرف ولذلك خالفت لا في الامالة

✽ النزول ✽

عن ابن عباس قال يعني بقوله من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك عبد الله بن سلام اودعه رجل الفا ومائتي اوقية من ذهب قاداه اليه فمدحه الله سبحانه يعني بقوله من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك فخاص بن عازوزاء وذلك ان رجلا من قريش استودعه دينارا فخانه وفي بعض التفاسير ان الذي يؤدي الامانة النصارى والذين لا يؤدونهم اليهود

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه معائب القوم وان فيهم من تخرج عن العيب فقال (ومن اهل الكتاب من ان تأمنه) اي تجعله امينا على قنطار اي مال كثير على ما قيل فيه من الاقوال التي مضى ذكرها في اول السورة (يؤده اليك) عند المطالبة ولا يخون فيه (ومنهم من إن تأمنه بدينار) اي على ثمن دينار والمراد تجعله امينا على قليل من المال (لا يؤده اليك) عند المطالبة وهم كفار اليهود بالإجماع (الاما دمت عليه قائما) معناه الا ان تلازمه وتتقاضاه عن الحسن وابن زيد وقيل الا ان تدوم قائما بالتقاضي والمطالبة عن قتادة ومجاهد وقيل الا ما دمت عليه قائما بالاجتماع معه

والملازمة عن السدي قال ما دمت عليه قائما اي ملجأ عن ابن عباس (ذلك) اي ذلك الاستحلال والخيانة (بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل) هذا بيان العلة التي كانوا لأجلها لا يؤدون الأمانة ويميلون الى الخيانة اي قالت اليهود ليس علينا في اموال العرب التي اصبناها سبيل لأنهم مشركون عن قتادة والسدي وقيل لأنهم تحولوا عن دينهم الذي عاملناهم عليه وذلك انهم عاملوا جماعة منهم ثم اسلم من له الحق وامتنع من عليه الحق من اداء الحق وقالوا إنما عاملناكم وانتم على ديننا فإذا فارقتوه سقط حقكم وادعوا ان ذلك في كتبهم فاكذبهم الله في ذلك بقوله (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) انهم يكذبون لأن الله امرهم بخلاف ما قالوا عن الحسن وابن جريح وإفاسوهم اميين لعدم كونهم من اهل الكتاب او لكونهم من مكة وهي ام القرى ثم الله تعالى رد عليهم قولهم فقال (بلى) وفيه نفي لما قبله واثبات لما بعده كأنه قال ما امر الله بذلك ولا احبه ولا اراده بل اوجب الوفاء بالعهد واداء الامانة (من اوفى بعهد) يحتمل ان يكون الهاه في عهده عائدة على اسم الله في قوله ويقولون على الله الكذب فيكون معناه بعهد الله وعهد الله الى عباده امره ونهيه ويحتمل ان يكون عائدة الى من ومعناه من اوفى بعهد نفسه لأن العهد يضاف تارة الى العاهد وتارة الى المعهود له واتقى الخيانة ونقض العهد فإن الله يحب المتقين معناه فإن الله يجب الا انه عدل الى ذكر المتقين لبيان الصفة التي يجبها محبة الله وهذه صفة المؤمن فكانه قال والله يحب المؤمنين ولا يجب اليهود وروي عن النبي انه قال لما قرأ هذه الآية قال كذب اعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الأمانة فانها موداة الى البر والفاجر وعنه قال ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مؤمن من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا التفتن خان وعنه (ص) قال من اتتمن على الامانة فاداهوا ولو شاء لم يؤدها زوجها الله من الحور العين ماشاء

قوله تعالى (٧٧) **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (آية)**

الزول

نزلت في جماعة من احابار اليهود ابي رافع وكنانة بن ابي الحقيق وحي بن الاخطب وكعب بن الاشرف كتبوا ما في التوراة من امر محمد وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لثلاث قوتهم الرياسة وما كان لهم على اتباعهم عن عكرمة وقيل نزلت في الاشعث بن قيس وخصم له في ارض قام ليحلف عند رسول الله فلما نزلت الآية نكل الاشعث واعترف بالحق ورد الارض عن ابن جريح وقيل نزلت في رجل حلف يمينا فاجرة في تنفيق سلعة عن مجاهد والشعبي

المعنى

ثم ذكر تعالى الوعيد لهم على افعالهم الخبيثة فقال (ان الذين يشترون بعهد الله) أي يستبدلون بعهد الله أي بأمر الله وما يلزمهم الوفاء به وقيل معناه ان الذين يحصلون بنكث عهد الله ونقضه وأيمانهم أي وبالأيمان الكاذبة (ثمنا قليلا) أي عوضا نذرا وساء قليلا لأنه قليل في جنب ما يفوتهم من الثواب ويحصل لهم من العقاب وقيل العهد وما أوجبه الله على الإنسان من الطاعة والكف عن المعصية وقيل هو ما في عقل الإنسان من الزجر عن الباطل والالتقياد للحق (أو لئلا لا خلاق لهم) أي لانصيب وافر لهم في نعيم الآخرة (ولا يكلمهم الله) فيه قولان ﴿١﴾ أحدهما ﴿٢﴾ انه لا يكلمهم بما يسرهم بل بما يسوؤهم وقت الحساب لهم عن الجبائي

والآخر (٧٦) انه لا يكلمهم اصلا وتكون المحاسبة بكلام الملائكة لهم بأمر الله اياهم استهانة بهم (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) معناه لا يعطف عليهم ولا يرحمهم كما يقول القائل للغير انظر إلي يريد ارحمني وفي هذا دلالة على ان النظر إذا عدي بحرف إلى لا يفيد الروية لأنه لا يجوز حملها هنا على انه لا يراهم بلا خلاف (ولا يذكهم) أي لا يطهرهم وقيل لا ينزلهم منزلة الازكيا عن الجبائي وقيل لا يطهرهم من دنس الذنوب والأوزار بالمغفرة بل يعاقبهم وقيل لا يحكم بأنهم أذكيا ولا يسميهم بذلك بل يحكم بأنهم كفره فجرة عن القاضي (ولهم عذاب أليم) مؤلم موجه وفي تفسير الكلبي عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله يقول من حلف على يمين كاذبة ليقطع بها مال أخيه المسلم لقي الله تعالى وهو عليه غضبان وتلا هذه الآية وروى مسلم بن الحجاج في الصحيح بإسناده من عدة طرق عن ابي ذر الغفاري عن النبي (ص) قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر لهم ولا يذكهم ولهم عذاب اليم المنان الذي لا يعطي شيئا إلا مئة والمنفق سلعته بالخلف الفاجر والمسبل ازاره وعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله (ص) قال من حلف على يمين صبير يقطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان أورده مسلم أيضا في الصحيح

قوله تعالى (٧٨) وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (آية)

اللغة

أصل اللي القتل من قولك لويت يده اذا قتلها ومنه لويت الغريم لوبا وليانا إذا مطلته حقه قال الشاعر
تطيلين لياني وأنت مليه واحسن يا ذات الوشاح التقاضيا
ومنه الحديث لي الواجد ظلم والألسنة جمع اللسان على التذكير كحجر واحمرة ويقال السن على التأنيث
كعناق واعنق والفرق بين حسبت وزعمت ان يحتمل ان يكون يقينا وطانا وحسبت لا يحتمل
اليقين أصلا

الإعراب

لفريقا نصب بأنه اسم ان واللام للتأكيد دخلت على اسم ان إذا كان مؤنثا ولا يجوز ان لزيدا في
الدار لتلا يجتمع حرفا تأكيد كما لا يجوز دخول التعريف على التعريف فأما قولهم جاءني القوم كلهم اجمعون
فكلهم تأكيد للقوم وأجمعون تأكيد للكل

الزول

قيل نزلت في جماعة من احبار اليهود كتبوا بأيديهم ما ليس في كتاب الله من بعث النبي (ص) وغيره
وأضافوه إلى كتاب الله وقيل نزلت في اليهود والنصارى حرقوا التوراة والإنجيل وضربوا كتاب الله بعضه ببعض
وألقوا به ما ليس منه وأسقطوا منه الدين الحنيف عن ابن عباس

المعنى

(وان منهم) أي من أهل الكتاب وهو عطف على قوله وان من أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار
(لفريقا) أي طائفة (يلوون ألسنتهم بالكتاب) معناه يجرفون الكتاب عن جهته ويعدلون به عن القصد

بالسنتهم فجعل الله تحريف الكتاب عن الجهة ليا بالاسان وهذا قول مجاهد وقتادة وابن جريج والربيع وقيل يفسرونه بخلاف الحق (لتحسبه من الكتاب) أي لتظنوه ايها المسلمون من كتاب الله تعالى وما هو من الكتاب المزل على موسى ولكنهم يخترعونه ويبتدعونه ويقولون هو من عند الله (وما هو من عند الله) وفي هذا دليل على ان المعاصي ليست من عند الله ولا من فعله لأنها لو كانت من فعله لكانت من عنده على أكد الوجوه فلم يجوز اطلاق النفي بأنها ليست من عند الله وكما لا يجوز ان يكون من الكتاب على وجه من الوجوه لا إطلاق النفي بأنه ليست من الكتاب كله لا يجوز ان يكون من عند الله لا إطلاق النفي بأنه ليس من عند الله (ويقولون على الله الكذب) في نسبتهم ذلك إلى الكتاب (وهم يعلمون) ان ذلك كذب وقيل وهم يعلمون ما عليهم من العقاب

قوله تعالى (٧٩) مَا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٨٠) وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (آيَاتَان)

-(القراءة)-

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة تعلمون بالتشديد والباقون تعلمون وقرأ عاصم غيره وعن الاعشى والبرجمي وحزمه وابن عامر ويعقوب ولا يأمركم بنصب الراء والباقون بالرفع

-(الحجة)-

حجة من قال تعلمون بالتشديد ان التعليم ابلغ في هذا الموضع لأنه إذا علم الناس ولم يعمل بعلمه كان مع استحقاق الذم يترك علمه داخلا في جملة من وبخ بقوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وحجة من قرأ تعلمون ان العالم الدارس قد يدرك بعلمه ودرسه مما يكون داعيا إلى التمسك بعلمه والعمل به ما لا يدركه العالم المعلم في تدريسه ومن قرأ يأمركم فعلى القطع من الأول اراد ولا يأمركم الله ومن نصبه فعلى قوله وما كان لبشر ان يأمركم ان تتخذوا ومما يقوي الرفع ما روي في حرف ابن مسعود يأمركم فهذا يدل على الانقطاع من الأول وما يقوي النصب ما جاء في السير ان اليهود قالوا للنبي (ص) يا محمد أتريد ان نتخذك ربا فقال الله عز وجل ما كان لبشر ان يؤتية الله الكتاب ولا ان يأمركم

اللغة

البشر يقع على القليل والكثير فهو بمنزلة المصدر مثل الخلق تقول هذا بشر وهو لا بشر كما تقول هذا خلق وهو لا خلق وإنما وقع المصدر على القليل والكثير لأنه جنس الفعل فصار كأسماء الأجناس مثل الماء والتراب ونحوه والرباني هو الرب يرب أمر الناس بتدبيره واصلاحه إياه يقال رب فلان امره ربانة وهو ربان إذا دبره واصلحه ونظيره نعل ينعل وهو نعلان وأكثر ما يجيء فلان من فعل يفعل فيكون العالم ربانيا لأنه بالعلم يلبي الأمر ويصلحه وقيل انه مضاف إلى علم الرب وهو علم الدين الذي يأمره به إلا انه غير في الإضافة ليدل على هذا المعنى كما قيل في الإضافة إلى البحرين بحراني وكما قيل للعظيم الرقبة رقباني وللعظيم اللحية لحياني فقيل لصاحب علم الدين الذي أمر به الرب رباني

* النزول *

قيل ان ابا رافع القرظي من اليهود ورئيس وفد نجران قال يا محمد أتريد ان نعبدك ونتخذك إلهًا فقال معاذ الله أن اعبد غير الله أو أمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فأنزل الله الآية عن ابن عباس وعطا وقيل نزلت في نصارى نجران عن الضحاك ومقاتل وقيل ان رجلا قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لأحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله فأنزل الله الآية

* المعنى *

لما تقدم ذكر أهل الكتاب وانهم أضافوا ما يتدينون به إلى الأنبياء نزههم الله عن ذلك فقال (ما كان بشر) يعني ما ينبغي لبشر كقوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا وما كان لنا أن نتكلم بهذا أي لا ينبغي وقيل لا يجوز معناه لبشر ولا يحل له (أن يوتييه الله) ان يعطيه الله (الكتاب والحكمة والنبوة) أي العلم أو الرسالة إلى الخلق (ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) أي اعبدوني من دونه أو اعبدوني معه عن الجبائي وقيل معناه ليس من صفة الأنبياء الذين خصهم الله لرسالته واجتباهم لنبوته وانزل عليهم كتبه وجعلهم حكما. علماء ان يدعوا الناس إلى عبادتهم وانما قال ذلك على جهة التنزيه للنبي (ص) عن مثل هذا القول لا على وجه النهي وقوله عبادا هو من العبادة قال القاضي وعبيد بخلافه لأنه بمعنى العبودية ولا يمتنع ان يكونوا عبيدا لغير الله ويمتنع ان يكونوا عبادا لغيره (ولكن كونوا ربانيين) فيه حذف أي لا ينبغي لهذا النبي ان يقول للناس اعبدوني ولكن ينبغي ان يقول لهم كونوا ربانيين وفيه اقوال **احدها** أن معناه كونوا علماء فقهاء عن علي وابن عباس والحسن **وثانيها** كونوا علماء حكما. عن قتادة والسدي وابن أبي ذر **وثالثها** كونوا حكما. اقباء عن سعيد بن جبیر **ورابعها** كونوا مدبري امر الناس في الولاية بالإصلاح عن ابن زيد **وخامسها** كونوا معلمين للناس من علمكم كما يقال أنفق بمالك أي أنفق من مالك عن الزجاج وروي عن النبي انه قال ما من مؤمن ولا مؤمنة ولا حر ولا مملوك إلا والله عليه حق واجب أن يتعلم من العلم ويتفقه فيه وقال ابو عبيدة سمعت رجلا عالما بقول الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر بالنهي وما كان وما يكون وقال ابو عبيدة لم تعرف العرب الرباني وهذا فاسد لأن القرآن نزل بلغتهم وروي عن محمد بن الحنفية انه قال يوم مات ابن عباس مات رباني هذه الأمة وقد ذكرنا اشتقاقه قبل (بما كنتم تعلمون الكتاب) أي القرآن (وبما كنتم تدرسون) أي الفقه ومن قرأ بالتشديد اراد تعلمونه لسواكم فيفيد انهم يعلمون ويعلمون غيرهم والتخفيف لا يفيد اكثر من كونهم عالمين ودخلت الياء في قوله بما كنتم تعلمون لأحد ثلاثة أشياء اما ان يريد كونوا معلمي الناس بعلمكم كما يقال أنفقوهم بمالك ويريد كونوا ربانيين في علمكم ودراستكم ووقعت الباء موقع في او يريد كونوا ممن يستحق أن يطلق له صفة عالم بعلمه على جهة المدح بأن تعلموا ما علمتم وذلك الإنسان انما يستحق الوصف بأنه عالم إذا عمل بعلمه ويدل عليه قوله انما يخشى الله من عباده العلماء (ولا يأمركم) أي ولا يأمركم الله عن الزجاج وقيل ولا يأمركم محمد عن ابن جريج وقيل ولا يأمركم عيسى ومن نصب الرأ عطفه على أن يوتييه الله فعناه ولا كان لهذا النبي أن يأمركم (أن تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا) أي آلهة كما فعله الصابئون والنصارى (أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) الف انكار اصله الاستفهام وانما استعمل في الانكار لأنه مما لو

أقربه المخاطب لظهرت فضيخته فلذلك جاء على السؤال وان لم يكن الغرض تعرف الجواب ومعناه ان الله تعالى إنما يبعث النبي (ص) ليدعو الناس الى الإيمان فلا يبعث من يدعو المسلمين الى الكفر

قوله تعالى (٨١) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨٢) فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة وحده لما آتيتكم بكسر اللام والباقون بفتحها وقرأ نافع آتيناكم على الجمع والباقون آتيتكم

﴿ الحجة ﴾

الوجه في قراءة حمزة لما آتيتكم بكسر اللام انه يتعلق بالأخذ كأن المعنى أخذ ميثاقهم لهذا ويكون ماعلى هذا موصولة والعائد الى الموصول من الجملة المعطوفة على صائمه وهي قوله جاءكم رسول مصدق لما معكم مظهر بمنزلة المضمر وهي قوله مامعكم لأنه بمنزلة ما أتوه من الكتاب والحكمة فهذا يكون مثل قوله انه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين لأنه في معنى لا يضيع أجرهم ويجوز أن يكون ماعلى هذه القراءة حرفا فيكون بمعنى المصدر قال ابو علي ومن فتح اللام فقال لما آتيتكم فإن ما فيه يحتمل تأويلين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون موصولة ﴿ والآخر ﴾ ان يكون للجزاء فمن قدر ما موصولة فالقول فيما يقتضيه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم من الراجع الى الموصول ما تقدم ذكره في قراءة حمزة وأما الراجع الى الموصول من الجملة الأولى فالضمير المحذوف من الصلة تقديره لما آتيتكموه واللام في لما فيمن قدر ماموصولة لام ابتداء وهي المتلقبة لما اجري مجرمة القسم من قوله واذا أخذ الله ميثاق النبيين وموضع ما رفعه بالابتداء والخبر لتؤمنن به وتؤمنن متعلق بقسم محذوف المعنى والله لتؤمنن به والذكر الذي في به يعود الى الذي آتيتكموه الذي هو المبتدأ ونحوه قولك لعبد الله والله لتأتينه والذكر الذي في لتنصرنه يعود الى رسول الله المتقدم ذكره واذا قدرت ما للجزاء كانت ما في موضع نصب بآتيتكم وآتيتكم في موضع جزم بالشرط وجاءكم في موضع جزم بالعطف على آتيتكم واللام الداخلة على ما لا يكون المتلقبة للقسم ولكن يكون بمنزلة اللام في لئن لم يتن المنافقون والمتلقية قوله لتؤمنن به كما انها في قوله لئن لم يتن المنافقون وقوله لنغربنك بهم وهذه اللام الداخلة على ان لا يعتمد القسم عليها فلذلك جاز حذفها تارة وثباتها تارة كما قال وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا فيلحق هذه اللام ان مرة ولا تالحق أخرى كما ان كذلك في قوله والله لو فعلت لفعلت ووالله لو فعلت لفعلت

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر النبيين عقبه سبحانه بذكر نبينا وما اخذ من عهده عليهم اجمعين فقال (واذا أخذ الله ميثاق النبيين) العامل في إذ محذوف وتقديره واذا ذكر إذ أخذ الله وقيل هو عطف على ما تقدم من قوله واذا قالت

الملائكة وروي عن أمير المؤمنين (ع) وابن عباس وقتادة ان الله أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبينا (ص) أن يخبروا أممهم ببعثه ورفعته ويأمرهم به ويأمرهم بتصديقه وقال طاووس أخذ الله الميثاق على الأنبياء (ع) على الأول والآخ فأخذ الله ميثاق الأول لتؤمنن بما جاء به الآخر وقال الصادق تقديره واذ أخذ الله ميثاق أمم النبيين بتصديق نبيها والعمل بما جاء بهم به وانهم خالفوه مما بعد وماوفوا به وتركوا كثيرا من شريعته وحرفوا كثيرا منها وقوله (لما آتيتكم) بفتح اللام اذا كانت ما موصولة فتقديره للذي آتيتكموه أي اعطيتكموه (من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول) أي نبي وقيل يعني محمد (ص) (مصدق لما معكم) أي لما آتيتكم من الكتب (لتؤمنن به) أي لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه او يريد لتؤمنن بالذي آتيتكموه ولتنصرن الرسول وعلى هذا يكون المعنى انه إنما أخذ الميثاق على الأنبياء ليصدق بعضهم بعضا ويأمر بعضهم بالإيمان ببعض ويكون النصرة بالتصديق والحجة وهو المروي عن الحسن وسعد بن جبير وطاووس وإذا كانت ما للجزء فتقديره أي شيء آتيتكم ومها آتيتكم من كتاب لتؤمنن فالشرط آتائه اياهم الكتاب والحكمة ومعنى الرسول والجزء القسم والمقسم عليه وهو قوله لتؤمنن به فأغنى جواب القسم عن الجزاء كقوله لئن اشركت ليحطن عملك وقوله من كتاب من هذه للتبيين لما نحو قولك ما عندك من ورق وعين وهذا خاتم من فضة ويكون على هذا تقديره ان الله تعالى قال لهم مها أوتيتكم كتابا وحكمة ثم يجيئكم به رسول مصدق لما معكم من ذلك الكتاب والحكمة والله لتؤمنن به ولتنصرنه فأقروا بذلك واعطوا عليه موثقتهم وهذا أشبه بما ذكر ان الميثاق اخذ على الأنبياء ليأخذوا على أممهم بتصديق محمد إذا بعث ويأمرهم بنصرته على أعدائه ان ادركوه وهو المروي عن علي وابن عباس وقتادة والسدي واختاره ابو علي الجبائي وابو مسلم ويكون معنى قوله جاءكم جاء أممكم واتباعكم وإنما خرج الكلام على النبيين لأن ما لزمهم لزم أممهم ومن قرأ لما آتيتكم بكسر اللام فالمعنى أخذ الله ميثاقهم لما أوتوه أي لأجل ما أوتوه من الكتاب والحكمة ولأنهم الافاضل وخيار الناس ويكون اللام للتعليل فيقتضي أن يكون الإتياء سابقا لأخذ الميثاق وقوله لتؤمنن متعلق بأخذ الميثاق وهو في الحاصل راجع الى معنى الشرط والجزء وقوله ولتنصرنه أي البشارة للأمم به قال ابي قال الله لأنيبائه (أقررتم به) وصدقتموه (وأخذتم على ذلكم إصري) معناه وقبلتم على ذلكم عهدي ونظيره فإن أوتيتهم هذا فعذوه وقيل معناه وأخذتم العهد بذلك على أممكم (قالوا) أي قال الأنبياء وأمهم (أقرنا) بما امرتنا بالإقرار به (قال) الله (فاشهدوا) بذلك على أممكم (وانامعكم من الشاهدن) عليكم وعلى أممكم عن علي وقيل فاشهدوا أي فاعلموا بذلك انامعكم اعلم عن ابن عباس وقيل معناه ليشهد بعضكم على بعض وقيل قال الله للملائكة اشهدوا عليهم فيكون ذلك كناية عن غير مذكور عن سعيد بن المسيب وهذه الآية من مشكلات آيات القرآن وقد غاص النحويون في وجوه اعرابها وتحقيقها وشقوا الشعر في تدقيقها ولا تراها في موضع اوجز لفظا واكثر فائدة وأشد تهديبا ما ذكرته هنا وباللغة التوفيق (فمن تولى بعد ذلك) أي فمن اعرض عن الإيمان بمحمد بعد هذه الدلالات والحجج وبعد أخذ الميثاق على النبيين الذين سبق ذكرهم والمقصود بهذا الأمم دون النبيين لأنه قد مضى ازمانهم وجاز ذلك لأن اخذ الميثاق على النبيين يتضمن الأخذ على أممهم وقد روي عن علي (ع) انه قال لم يبعث الله نبيا آدم ومن بعده الا اخذ عليه العهد لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره بأن أخذ العهد بذلك على

قومه (فأولئك هم الفاسقون) ولم يقل الكافرون لأن المراد الخارجون في الكفر الى افحش مراتب الكفر بتمردهم وذلك ان اصل الفسق الخروج عن أمر الله الى حال توقفه وفي الكفر ما هو اكبر كما ان فيما دون الكفر من المعاصي ما هو اكبر وما هو اصغر بالاضافة اليه

قوله تعالى (٨٣) أَغْيَرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَآهَ اسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِذْ يُرْجَعُونَ (٨٤) قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٥) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (ثلاث آيات)

— * القراءة * —

قرأ أبو عمرو يبغون بالياء واليه ترجعون بالتاء مضمومة وقرأ بالياء فيها ابن عباس وحفص ويعقوب وسهل والباقون بالتاء فيها جميعا

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالتاء فهما فلأن اول الآية خطاب للنبي ومن قرأ بالياء فعلى تقدير قل لهم أغير دين الله يبغون فجاء على لفظ الغيبة لأنه غيب وقد تقدم القول في يرجعون وترجعون

﴿ الإعراب ﴾

أغير دين الله يبغون عطف جملة على جملة كما لو قيل او غير دين الله يبغون الا ان الفاء رُبَّتْ فكأنه قيل أبعثتلك الآيات غير دين الله يبغون وطوعا وكرها مصدران وقع موقع الحال وتقديره طائعين وكارهين كما يقال أتاني ركضاي راكضا ولا يجوز ان تقول اتاني كلاما اي متكلما لأن الكلام ليس بضرب من الأوتيان والركض ضرب منه

﴿ النزول ﴾

عن ابن عباس قال اختصم اهل الكتاب الى رسول الله (ص) فيما اختلفوا بينهم من دين ابراهيم كل فرقة زعمت أنهم اولى بدينه فقال النبي (ص) كلا الفرقتين بري من دين ابراهيم فغضبوا وقالوا والله ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فأنزل الله أغير دين الله يبغون

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه بطلان اليهودية وسائر الملل غير الإسلام بين عظيمه ان من يتبع غير دينه فهو ضال لا يجوز القبول منه فقال أغير دين الله يبغون اي فبعد هذه الآيات والحجج يطلبون ديننا غير دين الله (وله اسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها) قيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه اسلم من في السماوات والأرض بحاله الناطقة عنه الدالة عليه عند اخذ الميثاق عليه عن ابن عباس — « وثانيها » — اسلم اي

أقر بالعبودية وإن كان فيهم من اشرك بالعبادة كقوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ومعناه ما ركب الله في عقول الخلائق من الدعاء إلى الإقرار له بالربوبية ليتنبهوا على ما فيه من الدلالة عن مجاهد وابي العالية - « وثالثها » - أسلم المؤمن طوعاً والكافر كرهاً عند موته كقوله فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا عن قتادة واختاره البلخي ومعناه التخفيف لهم من التأخر عما هذه سبيله - « ورابعها » - ان معناه استسلم له بالانقياد والذكر كقوله قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا أي استسلمنا عن الشعبي والجبائي والزجاج - « وخامسها » - ان معناه اكره أقوام على الإسلام وجاء أقوام طائعين عن الحسن وهو المروي عن ابي عبد الله قال كرها أي فرقامن السيف وقال الحسن والمفضل الطوع لأهل السماوات خاصة وأما أهل الأرض فمنهم من أسلم طوعاً ومنهم من أسلم كرهاً (واليه ترجعون) أي إلى جزائه تصيرون فبادروا إلى دينه ولا تخالفوا الإسلام (قل آمنا بالله) خطاب للنبي (ص) وأمر له بأن يقول عن نفسه وعن أمته آمنا بالله (وبما انزل علينا) الآية كما يخاطب رئيس القوم بأن يقول عن نفسه وعن رعيته وقد سبق معنى الآية في سورة البقرة فإن قيل ما معنى قوله ونحن له مسلمون بعد ما سبق من الإقرار بالإيمان على التفصيل قلنا معناه ونحن له مسلمون بالطاعة والانقياد في جميع ما أمر به ونهى عنه وأيضا فإن أهل الملل المخالفة للإسلام كانوا يقولون كأنهم بالإيمان ولكن لم يقولوا بللفظ الإسلام فهذا قال ونحن له مسلمون (ومن يتبع غير الإسلام) أي يطلب (ديناً) يدين به (فلن يقبل منه) بل يعاقب عليه ويدل عليه قوله (وهو في الآخرة من الخاسرين) أي من المهلكين لأن الخسران ذهاب رأس المال وفي هذه الآية دلالة على ان من ابغى الإسلام ديناً يقبل منه فذلك على ان الدين والإسلام والإيمان واحد وهي عبارات من معبر واحد

قوله تعالى (٨٦) كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين (٨٧) أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (٨٨) خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون (٨٩) إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم (أربع آيات)

✽ اللغة ✽

الخلود في اللغة طول المكث ولذلك يقال خلد فلان في السجن وقبل للثاني خوالد ما دامت في مواضعها وإذا زالت لا يسمى خوالد والفرق بين الخلود والدوام ان الخلود يقتضي طول المكث في نحو قولك خلد فلان في الحبس ولا يقتضي ذلك الدوام ولذلك وصف سبحانه بالدوام دون الخلود إلا أن خلود الكفار المراد به التأييد بلا خلاف بين الأمة والإنتظار التأخير للعبد لينظر في امره والفرق بينه وبين الإمهال ان الإمهال هو تأخيره لتسهيل ما يتكلف من غير عمله

- (الإعراب) -

كيف أصله الاستفهام والمراد به هنا الإنكار لأنه لا تقع هذه الهداية من الله أي لا يهديهم الله كقوله

كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله أي لا يكون قال الشاعر

كيف توما على الفراش ولا يشعل الشام غارة شعواء

وأما دخله معنى الإنكار مع أن أصله الاستفهام لأن المسوؤل يسأل عن أغراض مختلفة فقد يسأل للتعجيز عن إقامة البرهان وقد يسأل للتوبيخ مما يظهر من معنى الجواب في السؤال وقد يسأل لما يظهر فيه من الإنكار وأما عطف قوله شهدوا وهو فعل على إيمانهم وهو اسم لأن الإيمان مصدر والمراد به الفعل والتقدير بعد أن آمنوا وشهدوا وأجمعين تأكيد للناس ودخلت الفاء في قوله فإن الله غفور رحيم لأنه يشبه الجزاء إذا كان الكلام قد تضمن معنى أن تابوا فإن الله يغفر لهم ولا يجوز أن يكون في موضع خبر الذين لأن الذين في موضع نصب بالاستثناء من الجملة التي هي قوله أو أنك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله ولا يحمل على المنقطع مع حسن الاتصال لأنه الأصل في الكلام وإلا سبق إلى الألفاظ

= [النزول] =

قيل نزلت الآيات في رجل من الأنصار يقال له حارث بن سويد بن الصامت وكان قتل المحذرين زياد البلوي غدرا وهرب وارتد عن الإسلام ولحق بمكة ثم ندم فأرسل إلى قومه أن يسألوا رسول الله (ص) هل لي من توبة فسألوا فنزلت الآية إلى قوله إلا الذين تابوا فحملها إليه رجل من قومه فقال اني لأعلم أنك لصدوق ورسول الله اصدق منك وإن الله اصدق الثلاثة ورجع إلى المدينة وتاب وحسن إسلامه عن مجاهد والسدي وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وقيل نزلت في أهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبي (ص) قبل مبعضه ثم كفروا بعد البعثة حسداً وبغياً عن الحسن والجائي وأبي مسلم

✽ المعنى ✽

لما بين تعالى أن الإسلام هو الدين الذي به النجاة بين حال من خالفه فقال (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم) فيه وجوه - « أحدها » - أن معناه كيف يسلك الله بهم سبيل المهتدين بالإجابة لهم والثناء عليهم وقد كفروا بعد إيمانهم - « وثانيها » - أنه على طريق التبعية كما يقال كيف اهتديت إلى الطريق وقد تركته أي لا طريق يهديهم به إلى الإيمان إلا من الوجه الذي هداهم به وقد تركوه ولا طريق غيره - « وثالثها » - أن المراد كيف يهديهم الله إلى الجنة ويشيهم والحال هذه وقوله (وشهدوا أن الرسول حق) عطف على قوله بعد إيمانهم دون قوله كفروا وتقديره بعد أن آمنوا وشهدوا أن الرسول حق (وجاءهم البينات) أي البراهين والحجج وقيل القرآن وقيل جاءهم ما في كتبهم من البشارة لمحمد (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يسلك بالقوم الظالمين مسلك المهتدين ولا يشيهم ولا يهديهم إلى طريق الجنة لأن المراد الهداية المختصة بالمهتدين دون الهداية العامة المرادة في قوله فاما ثمود فهديناهم والمراد بالإيمان هاهنا إظهار الإيمان دون الإيمان الذي يستحق به الثواب وليس في الآية ما يدل على أنهم قد كانوا في باطنهم مؤمنين مستحقين الثواب فزال ذلك بالكفر فلا متعلق للمخالف به (أو أنك جزاؤهم) على أعمالهم (أن عليهم لعنة الله) وهي إبعاده إياهم من رحمته ومغفرته (والملائكة والناس أجمعين) وهي دعاؤهم عليهم باللعنة وبأن يبعدهم الله من رحمته (خالدون فيها) أي في اللعنة لخلودهم فيها استحقوا باللعنة وهو العذاب (لا يخفف عنهم العذاب) لا يسهل عليهم (ولا هم ينظرون) أي ولا يميلون للتوبة ولا يؤخر عنهم العذاب من وقت

الى وقت آخر وانما نفى انظارهم للتوبة والانابة لما علم من حالهم انهم لا ينجبون ولا يتوبون كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه على ان التوبة ليست بواجبة وان علم انه لو ابقاه لثاب واناب عندا اكثر المتكلمين (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) أي تابوا من الكفر ورجعوا إلى الإيمان وأصلحوا ضمائرهم وعزموا على ان يشتوا على الإسلام وهذا أحسن من قول من قال وأصلحوا أهلهم بعد التوبة وصلوا وصاموا فإن ذلك ليس بشرط في صحة التوبة إذ لو مات قبل فعل الصالحات مات مؤمناً بالإجماع (فإن الله غفور) يفر ذنوبهم (رحيم) يوجب الجنة لهم وذكر المغفرة دليل على ان اسقاط العقاب بالتوبة تفضل منه سبحانه وان ما لا يجوز المواخذة به اصلاً ولا يجوز تعليقه بالمغفرة وان ما يعاقب بالمغفرة ما يكون له المواخذة به

قوله تعالى (٩٠) **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقْبِلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ [آية]**

= [النزول] =

قيل نزلت في أهل الكتاب الذين آمنوا برسول الله (ص) قبل مبعثه ثم كفروا به بعد مبعثه عن الحسن وقيل نزلت في اليهود كفروا ببعثي والانجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم وكتبهم ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بحمد القرآن عن قتادة وعطاء وقيل نزلت في احد عشر من اصحاب الحرث بن سويد لما رجع الحرث قالوا نقيم بمكة على الكفر ما بدا لنا فتمت ما اردنا الرجعة رجعتنا فنزل فينا ما نزل في الحرث فلما افتتح رسول الله (ص) مكة دخل في الإسلام من دخل منهم فقبلت توبته فنزل فيمن مات منهم كافراً إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية

= [المعنى] =

لما تقدم ذكر التوبة المقبولة عقبه الله بما لا يقبل منها فقال (إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً) قد ذكرنا الاختلاف في سبب نزوله وعلى ذلك يدور معناه وقيل كما نزلت آية كفروا بها فزدادوا كفراً الى كفرهم (لن تقبل توبتهم) لأنها لم تقع على وجه الإخلاص وبدل عليه قوله وأولئك هم الضالون ولو حققوا في التوبة لكانوا مهتدين وقيل لن تقبل توبتهم عند روية اليأس لأنها تكون في حال الإلحاح ومعناه انهم لا يتوبون إلا عند حضور الموت والمعانة عن الحسن وقاتادة والجبائي وقيل لأنها اظهرت الإسلام توبة فاطلع الله تعالى ورسوله على سرائرهم عن ابن عباس وقد دل السمع على وجوب قبول التوبة إذا حصلت شرائطها وعليه اجماع الأمة (وأولئك هم الضالون) عن الحق والصواب وقيل اها لكون المعذبون

قوله تعالى (٩١) **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا قَلْبًا يُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلٌّ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَكَوْرًا فَتُدْى بِهِ أُولَئِكَ أَهْمُ عَذَابِ أَلِيمٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ [آية]**

= [اللغة] =

الميل أصله الميل وهو تطفيح الإبناء ومنه الملا الشراف لأنهم يملون العين هنية وجلالة ومنه رجل ملى بالأمر وهو املاً به من غيره فالملى اسم للمقدار الذي يملأ والملو المصدر والفدية البدل من الشيء في

ازالة الأذية ومنه فداء الأسير لأنه بدل منه في ازالة القتل والأسر عنه اذا كسر مد واذا فتح قصر تقول فدى لك او فداء لك ويجوز قصر هذا الممدود بالضرورة والافتداء افعال من الفدية

الاعراب

ذهبا منصوب على التمييز وإنما استحق النصب لاشتغال العامل بالإضافة او ما عاقبها من النون الزائدة فجرى ذلك مجرى الحال في اشتغال العامل بصاحبها ومجرى المفعول في اشتغال العامل عنه بالفاعل وقوله ولو افتدى به قال الفراء هذه الواو زائدة وغلطه الزجاج لأن الكلام اذا امكن حمله على فائدة يحمل عليها ولا يحمل على الزيادة وقال اذا دخلت الواو في مثل هذا كان ابلغ في التأكيذ كقولك لا آتيك وإن اعطيني لأنها دخلت لتفصيل نفي القبول بعد الإجمال ولو جعلنا الواو زائدة لأوهم ذلك انه لا يقبل منه ملء الارض ذهباً في الافتداء ويقبل في غيره

= [المعنى] =

(إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار) اي على كفرهم (فلن يقبل من احدكم ملء الارض ذهباً) اي مقدار ما يملأ الارض من الذهب (ولو افتدى به) بذاه عوضاً ومعناه ان الكافر الذي يعتقد الكفر وان أظهر الإيمان لا ينفعه الانفاق بمعنى انه لا يوجب له الثواب وقيل معناه انه لا يقبل منه في الآخرة لو وجد اليه السبيل قال قتادة يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أرايت لو كان لك ملء الارض ذهباً لكنك تفتدي به فيقول نعم فيقال له لقد سئلت إيسر من ذلك فلم تفعل ورواه ايضاً أنس عن النبي (أو لك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) قد ذكرنا معناه

قوله تعالى (٩٢) لَنْ تَتَّالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (آية)

= [اللغة] =

البر اصله من السعة ومنه البر خلاف البحر والفرق بين البر والخير ان البر هو النفع الواصل الى الغير مع مقصد الى ذلك والخير يكون خيراً وان وقع عن سهو وضد البر العقوق وضد الخير الشر

= [المعنى] =

(لن تناولوا البر) اي لن تدركوا بر الله تعالى بأهل طاعته واختلف في البر هنا فقيل هو الجنة عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو الطاعة والتقوى عن مقاتل وعطاء وقيل معناه لن تكونوا ابرارا اي صالحين اتقياء عن الحسن (حتى تنفقوا مما تحبون) أي حتى تنفقوا المال وإنما كني بهذا اللفظ عن المال لأن جميع الناس يحبون المال وقيل معناه ما تحبون من نفائس اموالكم دون ارضاها كقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقيل هذا الزكاة الواجبة وما فرضه الله في الاموال عن ابن عباس والحسن وقيل هو جميع ما ينفقه المرء في سبيل الخيرات عن مجاهد وجماعة وقد روي عن أبي الطفيل قال اشترى علي ثوباً فأعجبه فتصدق به وقال سمعت رسول الله يقول من آثر على نفسه آثره الله يوم القيامة بالجنة ومن أحب شيئاً فجعله لله قال الله تعالى يوم القيامة قد كان العباد بكافون فيما بينهم بالمعروف وانا اكافيك اليوم بالجنة وروي ان ابا طلحة قسم

حائطا له في اقرابه عند نزول هذه الآية وكان أحب امواله اليه فقال له رسول الله (ص) بخ بخ ذلك مال رابع لك وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله (ص) اسامة بن زيد فكان زيد اوجد في نفسه وقال انما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله اما ان الله قد قبلها منك واعتق ابن عمر جارية كان يحبها وتلا هذه الآية وقال لولا اني لا اعود في شيء جعلته الله تعالى لنكحتها و اضاف أبو ذر الغفاري ضيفا فقال للضيف اني مشغول وان لي ابلا فاخرج وآتيني بخيرها فذهب فجاء بناقة مهزولة فقال له ابو ذر خنتني بهذه فقال وجدت خير الابل فحلمها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ابو ذر ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي مع ان الله يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقال ابو ذر في المال ثلاثة شركاء القدر لا يستأمن أن يذهب بخيرها او شرها من هلك او موت والوارث ينتظر ان تضع رأسك ثم يستاقها وانت ذميم وانت الثالث فان استطعت أن لا تكون اعجز الثلاثة فلا تكن ان الله يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان هذا الجمل كان مما أحب من مالي فأحببت ان اقدمه لنفسي وقال بعضهم دلم بهذه الآية على الفتوة فقال لن تنالوا البر أي بري بكم إلا ببركم باخوانكم والانفاق عليهم من مالكم وجاهكم وما تحبون فاذا فعلتم ذلك نالكم بري وعطفي (وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم) جاء بالفاء على جواب الشرط وإن كان الله يعلم ذلك على كل حال وفيه وجهان * احدهما * ان تقديره وما تنفقوا من شيء فان الله يجازيكم به قل او كثير لانه عليم لا يخفى عليه شيء منه * والاخر * ان تقديره فانه يعلمه الله موجودا على الحد الذي تفعلونه من حسن النية او قبحها فان قيل كيف قال سبحانه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والفقير ينال الجنة وان لم ينفق قيل الكلام خرج مخرج الحث على الانفاق وهو مقيد بالإمكان وإنما أطلق على سبيل المبالغة في الترغيب والأولى ان يكون المراد لن تنالوا البر الكامل الواقع على اشرف الوجوه حتى تنفقوا مما تحبون وزوي عن ابن عمر ان النبي (ص) سأل عن هذه الآية فقال هو أن ينفق العبد المال وهو شحيح بأمل الدنيا ويخاف الفقر

- [النظم] -

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما ذكر في الآية الأولى لن يقبل من احدكم ملء الأرض ذبها وصل ذلك بقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا للتأنيدي امتناع غناء الغنية الى الفتور في الصدقة وما جر من مجراها من وجوه الطاعة

قوله تعالى (٩٣) كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلَوْهَا إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (آيتان)

اللغة

الافتراء افتراء الكذب وأصله قطع ما قدر من الأديم يفريه فريا اذا قطعه وعلى الاستعلاء ومعناه هنا اضافة الكذب إلى النبي (ص) من جهة انه أمر بالم بأمر به الله وأوجب ما لم يوجبه الله وفرق بين من كذب عليه وكذب له لأن من كذب عليه يفيد انه كذب فيما يكرهه وكذب له يجوز أن يكون فيما يريد

التزول

انكر اليهود تحليل النبي لحوم الإبل فقال كل ذلك كان حلالاً لإبراهيم فقالت اليهود كل شيء تحرمه فإنه محرم على نوح وإبراهيم وهلم جرّاً حتى انتهى البنا فنزلت الآية عن الكلبي وأبي روق

(- المعنى -)

(كل الطعام) أي كل المأكولات (كان حلالاً) أي كان حلالاً (لبني إسرائيل) وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (إلا ما حرم إسرائيل) أي يعقوب (على نفسه) اختلفوا في ذلك الطعام فقيل أن يعقوب أخذه وجع العرق الذي يقال له عرق النساء فنذر إن شفاه الله أن يحرم العروق ولحم الإبل وهو أحب الطعام إليه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل حرم إسرائيل على نفسه لحم الجزور تعبداً لله تعالى وسأل الله أن يجيز له فحرم الله ذلك على ولده عن الحسن وقيل حرم زائدي الكبد والكليتين والشحم إلا ما حملته الظهور عن عكرمة واختلف في أنه عرق - كيف حرمه على نفسه فقيل بالاجتهاد وقيل بالندرو وقيل بنص ورد عليه وقيل حرمه كما يحرم المستظهر في دينه من الزهاد الذمة على نفسه (من قبل أن تنزل التوراة) معناه أن كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل قبل أن تنزل التوراة على موسى فإنها تضمنت تحريم بعض ما كان حلالاً لبني إسرائيل واختلفوا فيما حرم عليهم وحالها بعد نزول التوراة فقيل أنه حرم عليهم ما كانوا يحرمونه قبل نزولها اقتداءً بأبيهم يعقوب (ع) عن السدي وقيل لم يحرم الله عليهم في التوراة وإنما حرم عليهم بعد التوراة بظلمهم وكفرهم وكانت بنو إسرائيل إذا أصابوا ذنباً عظيماً حرم الله عليهم طعاماً طيباً وصب عليهم رجلاً وهو الموت وذلك قوله بظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم عن الكلبي وقيل لم يكن شيء من ذلك حراماً عليهم في التوراة وإنما هو شيء حرموا على أنفسهم اتباعاً لأبيهم وأضافوا تحريمه إلى الله تعالى عن الضحاك فكذبهم الله وقال قل يا محمد (فأتوا بالتوراة فاتلوها) حتى يتبين أنه كما قلت لا كما قلتم (إن كنتم صادقين) في دعواكم فاحتج عليهم بالتوراة وأمرهم بالإتيان بها وإن لم يقرأوا ما فيها فإن كان في التوراة أنها كانت حلالاً للأنبياء وإنما حرمها إسرائيل فلم يجسروا على إتيان التوراة لعلمهم بصدق النبي (ص) وبكذبهم وكان ذلك دليلاً ظاهراً على صحة نبوة نبينا محمد إذ علم بأن في التوراة ما يدل على كذبهم من غير تعلم التوراة وقراءتها (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك) أي فمن افترى الكذب على الله تعالى من بعد قيام الحجة وظهور البينة (فأولئك) هم المفترون على الله الكذب وهم الظالمون لأنفسهم بفعل ما أوجب العقاب عليهم وإنما قال من بعد ذلك مع أنه يستحق الوعيد بالكذب على الله على كل حال لأنه أراد البيان إنه إنما يؤخذ به بعد إقامة الحجة عليه ومن كذب فيما لبس بمحجوج فيه جرى مجرى الصبي الذي لا يستحق الوعيد بكذبه

(- النظم -)

ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه تفصيل الجملة المتقدمة فإنه ذكر الترغيب في الإنفاق من المحبوب والطعام بما يجب فرغب فيه وذكر حكمه عن علي بن عيسى وقيل أنه لما تقدم محاجتهم في ملة إبراهيم وكان فيما انكروا على نبينا (ص) تحليل لحم الجزور وادعوا تحريمه على إبراهيم (ع) وأن ذلك مذكور في التوراة فأنزل الله هذه الآية تكذيباً لهم

قوله تعالى (٩٥) قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (آية)

اللغة

الاتباع لحاق الثاني بالأول لما له به من التعلق فالقوة للأول والثاني يستمد منه والتابع ثان متدبر له بتدبير الأول متصرف بتصريفه في نفسه واصل الحنيف الاستقامة وإنما وصف المائل القدم بالحنف تفاءلا وقيل أصله المبل فالحنيف هو المائل إلى الحق فيما كان عليه إبراهيم من الشرع

المعنى

ثم بين تعالى أن الصدق فيما أخبر به فقال (قل صدق الله) في أن كل الطعام كان حلالا لبني اسرائيل إلا ما حرم اسرائيل على نفسه وفي أن محمدا (ص) على دين إبراهيم وأن دينه الاسلام (فاتبعوا ملة إبراهيم) في استباحة لحوم الإبل والبانها (حنيفا) أي مستقيما على الدين الذي هو شريعته في حجه ونسكه وطهيب ما كاله وتلك الشريعة هي الحنيفية وقيل ماثلا عن سائر الأديان الباطلة إلى دين الحق (وما كان من المشركين) برأ الله تعالى إبراهيم مما كان ينسبه اليهود والتصارى إليه بزعمهم أنهم على دينه وكذلك مشركو العرب واخبر أن إبراهيم كان بريئا من المشركين ودينهم والصحيح ان نبينا (ص) لم يكن متعبدا بشريعته من تقدم من الأنبياء ولكن وافقت شريعته شريعة إبراهيم فذلك قال فاتبعوا ملة إبراهيم والا فالله تعالى هو الذي اوحى بها إليه واوجبها عليه وكانت شريعة له وإنما رغب الله في شريعة الإسلام بانها ملة إبراهيم لأن المصالح إذا وافقت ما تسكن إليه النفس ويقبله العقل بغير كلفة كانت احق بالرغبة فيها وكان المشركون يميلون إلى اتباع ملة إبراهيم «ع» فذلك خوطبوا بذلك

قوله تعالى (٩٦) إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٧) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَنَحْنُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (آيتان)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير ابي بكر وابي جعفر حج البيت بكسر الحاء والباقون بفتحها

الحجة

قال سيويه حج حجا مثل ذكر ذكر فحج على هذا مصدر فهذا حجة لمن كسر الحاء وقال ابو زيد الحجج السنون واحدها حجة قال ابو علي يدل على ذلك قوله ثمانى حجج قال الحجة من حج البيت الواحدة قال سيويه قالوا حجة ارادوا عمل سنة ولم يجيئوا بها على الأصل ولكنه اسم له فقوله يجيئوا بها على الأصل اراد انه للدفعة من الفعل ولكن كسروه فجعلوه اسما لهذا المعنى كما قالوا غزاة لعمل وجه واحد ولم يجيئ فيه وكان القياس الغزوة

﴿ اللقمة ﴾

أول الشيء ابتداءه ويجوز أن يكون المبتدأ له آخر ويجوز أن لا يكون آخر له لأن الواحد اول العدد ولا نهاية لآخره ونعيم أهل الجنة له اول ولا نهاية له واصل بكة البك هو الزحم يقال بكه بكه بكه بكا اذا زحمه وتباك الناس اذا ازدحموا فبكة مزدحم الناس للطواف وهو ما حول الكعبة من داخل المسجد الحرام وقيل سميت بكة لأنها تبك اعناق الجبابرة اذا الحدوا فيها بظلم ولم يمهلوا والبك دق العنق واما مكة فيجوز ان يكون اشتقاقها كاشتقاق بكة وابدال الميم من الباء كقوله ضربة لازب ولازم ويجوز أن يكون من قولهم امتك الفصيل ما في ضرع الناقة اذا مص مصاً شديداً حتى لا يبقى منه شيء ومك المشاش مكا اذا تمشش بفيه فسميت مكة بذلك لقلة مائها وأصل البركة الثبوت من قولهم برك بروكا أو بركا اذا ثبت على حاله فالبركة بثبوت الخير بنموه ومنه البركة شبه الحوض يسك الماء لثبوته فيه ومنه قول الناس وتبارك الله لثبوته لم يزل ولا يزال وحده

﴿ الإعراب ﴾

قوله تعالى مباركا نصب على الحال بالظرف من بكة على معنى الذي استقر بيكته مباركا ويجوز أن يكون من الضمير في وضع كأنه قيل وضع مباركا وعلى هذا يجوز أن يكون قد وضع قبله بيت ولا يجوز في التقدير الأول واما رفع مقام ابراهيم فلأنه خبر مبتدأ محذوف وتقديره هي مقام ابراهيم عن الاخفش وقيل هو بدل من آيات عن ابي مسلم ومن استطاع اليه سبيلا في موضع جر بدلا من الآيات وهو بدل البعض من الكل

﴿ النزول ﴾

قال مجاهد تفاخر المسلمون واليهود فقالت اليهود بيت المقدس افضل واعظم من الكعبة لأنه مهاجر الأنبياء والارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة افضل فأنزل الله تعالى ان اول بيت

﴿ المعنى ﴾

(إن أول بيت وضع للناس) أي بني للناس ولم يكن قبله بيت مبني وإنما دحيت الارض من تحتها وهو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الله تعالى السماء والارض من تحتها وهو خلقه الله قبل الارض بألفي عام وكانت زبدة بيضاء على الماء عن مجاهد وقتادة والسدي وروى عن ابي عبد الله (ع) قال انها كانت مهة بيضاء يعني درة بيضاء وروى ابو خديجة عنه (ع) قال ان الله انزله لآدم من الجنة وكان درة بيضاء فرفعه الله تعالى الى السماء وبقي أسه وهو بجبال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يرجعون اليه ابدا فأمر الله تعالى ابراهيم (ع) واسماعيل (ع) بينان البيت على القواعد وقيل معناه ان اول بيت وضع للعبادة ولم يكن قبله بيت يحج اليه البيت الحرام وقد كانت قبله بيوت كثيرة ولكنه أول بيت مبارك وهدى وضع للناس عن علي (ع) والحسن وقيل اول بيت رغب فيه وطالب منه البركة مكة عن الضحاك وروى اصحابنا ان اول شيء خلقه الله من الارض موضع الكعبة ثم دحيت الارض من تحتها وروى ابو ذرأنه سئل النبي (ص) عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس (الذي بيكته) قيل بكة المسجد ومكة الحرم كأنه يدخل فيه البيوت عن الزهري وضمرة بن ربيعة وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وقيل بكة بطن مكة عن ابي عبيدة وقيل مكة موضع البيت والمطاف ومكة اسم البلدة وعليه الاكثر وقيل بكة هي مكة والعرب

تبدل الباء ميمًا مثل سبد رأسه وسمده عن مجاهد والضحاك (مباركا) يعني كثير الخير والبركة وقيل مباركا
لثبوت العبادة فيه دائما حتى يحكى على ان الطواف به لا ينقطع ابدا وقيل لأنه يضاعف فيه ثواب العبادة
عن ابن عباس ورووا فيه حديثا طويلا وقيل لأنه يغفر فيه الذنوب ويجوز حمله على الجميع اذ لا تنافي (وهدى
للعالمين) أي دلالة لهم على الله تعالى لا هلاكه كل من قصده من الجابرة كأصحاب الفيل وغيرهم
وباجتماع الظبي في حرمه مع الكلب والذئب فلا ينفر عنه مع نفرتة عنه في غيره من البلاد وبالحاق الجمار على
كثرة الرماة فلولا انها ترفع لكان يجتمع هناك من الحجارة مثل الجبال باستئناس الطيور فيه بالناس وباستشفاء
المريض بالبيت وبأن لا يعلوه طير إعظاما له إلى غير ذلك من الدلالات وقيل معناه انهم يهتدون به إلى جهة
صلاتهم او يهتدون إلى الجنة بحجه وطوافه (فيه آيات بينات) أي دلالات واضحات والها. في فيه عائدا إلى
البيت وروي عن ابن عباس أنه قرأ فيه آية بيته (مقام ابراهيم) فجعل مقام ابراهيم وحده هو الآية وقال أثر
قدميه في المقام آية بيته والأول عليه القراء والمفسرون ارادوا مقام ابراهيم والحجر الأسود والحطيم وزمزم
والمشاعر كلها واركنا البيت وازدحام الناس عليها وتعظيمهم لها وقد مضى ذكر مقام ابراهيم في سورة البقرة
وسئل الصادق (ع) عن الحطيم فقال هو ما بين الحجر الأسود والباب قيل ولم سمي الحطيم قال لأن الناس
يحطم بعضهم بعضا وهو الموضع الذي فيه تاب الله على آدم وقال (ع) إن تبيها لك أن تصلي صلاتك كلها الفرائض
وغيرها عند الحطيم فافعل فإنه افضل بقعة على وجه الارض وبعده الصلاة في الحجر افضل وروي عن ابي حمزة
الثالي قال قال لنا علي بن الحسين اي البقاع افضل فقلنا الله تعالى ورسوله وابن رسوله اعلم فقال لنا افضل البقاع
ما بين الركن والمقام ولو ان رجلا عمر ما عمر نوح في قومه الف سنة إلا خمسين عاما يصوم النهار ويقوم الليل في
ذلك المكان ثم لقي الله تعالى بغير ولايتنا لا ينفعه ذلك شيئا وقال الصادق (ع) الركن اليماني بابنا الذي ندخل
منه الجنة وروي انه من روي من ما. زمزم احث له به شفاء. وصرف عنه دا. قال المفسرون ومن تلك الآيات
مقام ابراهيم (ع) وأمن الداخل فيه وأمن الوحوش من السباع الضارية وانه ما علا عبد على الكعبة إلا اعتق
وإذا كان الغيث من ناحية الركن اليماني كان الخصب باليمن وإذا كان من ناحية الركن الشامي كان الخصب
بالشام وإذا عم البيت كان في جميع البلدان وسائر ما ذكرناه قبل من الآيات وقوله (ومن دخله كان آمنا)
عطف على مقام ابراهيم وفي مقام ابراهيم دلالة واضحة لأنه حجر صلد يرى فيه أثر قدميه ولا يقدر احد أن يجعل
الحجر كالتابن إلا الله وروي عن ابن عباس انه قال ان الحرم كله مقام ابراهيم ومن دخل مقام ابراهيم
يعني الحرم كان آمنا وقيل فيه أقوال **أحدها** **﴿﴾** ان الله عطف قلوب العرب في الجاهلية على ترك التعرض
لمن لاذ بالحرم والتجأ اليه وإن كثرت جريته ولم يزد الإسلام إلا شدة عن الحسن **﴿﴾** وثالثها **﴿﴾** انه خبر
والمراد به الأمر ومعناه ان من وجب عليه حد فلاذ بالحرم لا يبايع ولا يشارى ولا يعامل حتى يخرج من الحرم
فيقام عليه الحد عن ابن عباس وابن عمر وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وأبي عبد الله (ع) وعلى هذا يكون تقديره
ومن دخله فأمنوه **﴿﴾** وثالثها **﴿﴾** ان معناه من دخله عارفا بجميع ما أوجه الله عليه كان آمنا في الآخرة من
العذاب الدائم وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وأجمت الأمة على ان ما اصاب فيه ما يوجب الحد أقيم عليه الحد
فيه ثم لما بين الله فضيلة بيته الحرام عقبه بذكر وجوب حجة الإسلام فقال (والله على الناس حج البيت من
استطاع اليه سبيلا) ومعناه والله على من استطاع إلى حج البيت سبيلا من الناس حج البيت أي من وجد اليه
طريقا بنفسه وماله واختلف في الاستطاعة فقيل هي الزاد والراحلة عن ابن عباس وابن عمر وقيل ما يمكنه معه
بلوغ مكة بأي وجه يمكن عن الحسن ومعناه القدوة على الوصول اليه والمروي عن أئمتنا انه وجود الزاد والراحلة
ونفقة من يلزمه نفقته والرجوع إلى كفاية إما من مال او ضياع او حرمة مع الصحة في النفس وتحلية السرب

من الموانع وامكان السير (ومن كفر) معناه ومن جحد فرض الحج ولم يره واجبا عن ابن عباس والحسن (فان الله غني عن العالمين) لمن يتعبدهم بالعبادة حاجته اليها وإنما تعبدهم بها لما علم فيها من مصالحهم وقيل ان المعنى به اليهود فإنه لما نزل قوله ومن يبتغ غير الإسلام ديننا فلن يقبل منه قالوا نحن مسلمون فأمروا بالحج فلم يججوا وعلى هذا يكون معنى من كفر من ترك الحج من هؤلاء فهو كافر والله غني عن العالمين وقيل المراد به كفران النعمة لأن امتثال أمر الله شكر لنعمة وقد روي عن ابي امامة عن النبي (ص) انه قال من لم يجسه حاجة ظاهرة من مرض حابس أو سلطان جائر ولم يجح فليست إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا وروي عن ابي عبد الله (ع) قال قال رسول الله (ص) الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد وفي هذه الآية دلالة على فساد قول من قال ان الاستطاعة مع الفعل لأن الله أوجب الحج على المستطيع ولم يوجب على غير المستطيع وذلك لا يمكن إلا قبل فعل الحج

« النظم »

وجه اتصال الآية بما قبلها ان الله تعالى أمر أهل الكتاب اتباع ملة ابراهيم ومن ملته تعظيم بيت الله الحرام فذكر تعالى البيت وفضله وحرمة وما يتعلق به في قوله ان أول بيت وضع للناس

قوله تعالى (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (٩٩) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مِن آمَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (آيتان)

﴿ اللغة ﴾

البغية الطلب يقال بغيت الشيء أبغيه قال عبد بنى الحساس

بغاك وما تبغيه حتى وجدته كأنك قد واعدته أمس موعدا

أي طلبك وما تطلبه ويقال ابغني بكذا بكسر الهمزة أي اطلبه لي واصله ابغ لي فحذفت اللام لكثرة الاستعمال وإذا قلت أبغني بفتح الهمزة فمعناه أعني على طلبه ومثله احماني واحمل لي واحلبني اي اعني على الحلبه والعرج بفتح العين ميل كل شيء منتصب نحو القناة والحائط وبكسر العين هو الميل عن طريق الاستواء في طريق الدين وفي القول وفي الأرض ومنه قوله لا ترى فيه عوجا ولا أمنا

﴿ الإعراب ﴾

من آمن في موضع نصب بأنه مفعول تصدون والكناية في قوله تبغونها راجعة إلى السبيل

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد سبحانه الكلام إلى حجاج أهل الكتاب فقال مخاطبا للنبي يأمره بنخطاب اليهود والنصارى وقيل اليهود خاصة (قل يا أهل الكتاب) أي قل يا محمد لهم (لم تكفرون بايات الله) أي بالمعجزات التي آتاهها محمد (ص) والعلامات التي وافقت في صفته ما تقدمت البشارة به وسأهم أهل الكتاب وان لم يعملوا به ولم يجزم مثل ذلك في أهل القرآن لوجهين ﴿ أحدهما ﴾ ان القرآن اسم خاص لكتاب الله تعالى واما الكتاب فلا يبنى عن ذلك بل يجوز أن يراد به يا أهل الكتاب المحرف عن وجهته ﴿ والثاني ﴾ الاحتجاج عليهم بالكتاب لإقرارهم به فكأنه قيل يا من يقر بأنه من أهل كتاب الله لم تكفرون بايات الله واللفظ لفظ الاستفهام والمراد

به التوبيخ وإنما جاز التوبيخ على لفظ الاستفهام من حيث أنه سؤال يعجز عن إقامة العذر فكأنه قال هاتوا العذر في ذلك إن أمكنكم (والله شهيد على ما تعملون) أي حفيظ على أعمالكم محص لما ليجازيكم عليها وقيل معناه مطلع عليها عالم بها مع قيام الحجية عليكم فيها وقال عز اسمه في هذا الموضع قل يا أهل الكتاب وفي موضع آخر يا أهل الكتاب لأنه تعالى خاطبهم في موضع على جهة التلطف في استدعائهم إلى الإيمان واعرض عن خطابهم في موضع آخر وأمر سبحانه نبيه استخفافا بهم لصددهم عن الحق (قل) يا محمد (يا أهل الكتاب) لم تصدون عن سبيل الله من آمن (أي لم تمنعون المؤمنين عن دين الإسلام الذي هو دين الله وسبيله واختلف في كيفية صددهم عن سبيل الله فليل الله قليل انهم كانوا يغزون بين الأوس والخزرج بتذكيرهم الحروب التي كانت بينهم في الجاهلية حتى تدخلهم الحمية والعصبية فينسلخون عن الدين عن زيد بن اسلم فعلى هذا يكون الآية في اليهود خاصة وقيل الآية في اليهود والنصارى ومعناه لم تصدون بالتكذيب بالنبي (ص) وإن صفته ليست في كتبكم عن الحسن وقيل بالتحريف والبهت عن الأصم (تبغونها عوجا) أي تطلبون لسبيل الله عوجا عن سمت الحق وهو الضلال فكأنه قال تبغونها ضلالا بالشبه التي تدخلونها على الناس وقيل معناه تطلبون ذلك السبيل لا على وجه الاستقامة أي على غير الوجه الذي ينبغي أن يطلب وقوله (وانتم شهداء) فيه قولان - «احدها» - ان معناه انتم شهداء بتقديم البشارة بحمد في كتبكم فكيف تصدون عنه من يطلبه وتريدون عدوله عنه - «والآخر» - المراد وانتم عقلاء كما قال والقي السمع وهو شهيد أي عاقل وذلك انه يشهد الذي يميز به بين الحق والباطل فيما يتعلق بالدين (وما الله بغافل عما تعملون) هذا تهديد لهم على الكفر

قوله تعالى (١٠٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠١) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (آيتان)

❖ اللغة ❖

الطاعة موافقة الإرادة الجاذبة للفعل بالترغيب فيه والواجبة موافقة الإرادة الداعية إلى الفعل ولذلك يجوز ان يكون الله مجيبا إلى عبده إذا فعل ما دعا العبد به ولم يجز ان يكون مطيعا له وأصل الاعتصام الامتناع وعصمه يعصمه إذا منعه ولا عاصم اليوم من أمر الله أي ولا مانع والعصام الجبل لأنه يعتصم به والعصم الاوعال لامتناعها بالجبال

❖ النزول ❖

نزلت في الأوس والخزرج لما أغرى قوم من اليهود بينهم بذكر حروبهم في الجاهلية ليفتنوهم عن دينهم عن زيد بن اسلم والسدي وقيل نزل قوله وكيف تكفرون في مشركي العرب عن الحسن

❖ المعنى ❖

ثم حذر المؤمنين عن قبول قولهم فقال (يا أيها الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله وهو خطاب للأوس والخزرج ويدخل غيرهم من المؤمنين في عموم اللفظ (ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) معناه ان تطيعوا هؤلاء اليهود في قبول قولهم واحياء الضغائن التي كانت بينكم في الجاهلية (يردوكم بعد إيمانكم كافرين) أي يرجعوك كفارا بعد إيمانكم ثم أكد تعالى الأمر وعظم الشأن فقال (وكيف تكفرون) أي وعلى أي حال يقع منكم الكفر (وانتم تتلى عليكم آيات الله) وهذا استبعاد ان يقع منهم الكفر مع معرفتهم بآيات الله

وفيهم داع يدعوهم إلى الايمان وقيل هو على التعجيب اي لا ينبغي لكم ان تكفروا مع ما يقرأ عليكم في القرآن المجيد من الآيات الدالة على وحدانية الله ونبوة نبيه (ص) وفيكم رسوله يعني محمدا ترون معجزاته والكفر وان كان فظيحا في كل حال فهو في مثل هذه الحالة افظع ويجوز ان يكون المراد بقوله وفيكم رسوله القوم الذين كان النبي (ص) بين اظهرهم خاصة ويجوز ان يكون المراد به جميع امته لأن آثاره وعلاماته من القرآن وغيره فينا قائمة باقية وذلك بمنزلة وجوده فينا حيا (ومن يعتصم بالله) اي يتمسك بكتابه وآياته وبدينه قبل أن يمتنع بالله عن سواء بأن يعبد لا يشرك به شيئا وقيل من يمتنع عن الكفر والهلاك بالايمان بالله وبرسوله (فقد هدي إلى صراط مستقيم) اي إلى طريق واضح قال قتادة في هذه الآية علمان بينان كتاب الله ونبي الله فأما نبي الله فقد مضى وأما كتاب الله فأبقاه الله بين اظهركم رحمة منه ونعمة فيه حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وقيل انهم قد شاهدوا في نفسه (ص) معجزات كثيرة منها انه كان يرى من خلفه كما يرى من قدامه ومنها انه كان ينام عينه ولا ينام قلبه ومنها ان ظله لم يقع على الأرض ومنها ان الذباب لم يقع عليه ومنها ان الأرض كانت تبتلع ما يخرج منه وكان لا يرى له بول ولا غائط ومنه انه كان لا يطوله أحد وإن طال ومنها انه كان بين كتفيه خاتم النبوة ومنها انه كان إذا مر بموضع يعلمه الناس لطيبه ومنها انه كان يسطع نور من جبهته في الليلة المظلمة ومنها انه قد ولد مختونا إلى غير ذلك من الآيات

قوله تعالى (١٠٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تُمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٣) وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ أَلَمْ تَكُونُمْ تَهْتَدُونَ (آيتان)

— (اللغة) —

تقاة من وقيت قال الزجاج يجوز فيه ثلاثة اوجه تقاة ووقاة واقاة حملة على قياس وجوه واجوه وان كان هذا المثال لم يجز منه شيء على الأصل نحو تخمة وتكاة غير انه حملة على الأكثر من نظائره والجلل السبب الذي يوصل به إلى البغية كالجلل الذي يتمسك به لانتجاة من بشر او نحوها ومنه الجبل للأمان لأنه سبب النجاة قال الاعشى

إذا تجوزها حبال قبيلة أخذت من الأخرى اليك حبالها

ومنه الجبل للحمل في البطن واصل الجبل المقول قال ذو الرمة

هل جبل خرقاء بعد اليوم مرموم أم هل لها آخر الأيام تكليم

وشفا الشيء مقصور حرفه ويشى شفوان وجمعه اشفاء واشفى على الشيء اشرف عليه واشفى المريض

على الموت من ذلك

﴿ الإعراب ﴾

قوله وانتم تعلمون جملة في موضع الحال وقوله جميعا نصب على الحال ايضا اي واعتصموا في حال اجتماعكم اي كونوا مجتمعين على الاعتصام لا تفرقوا اصله أي لا تفرقوا فحذف احد الثامنين كراهة لاجتماع المثليين والمحدوفة الثانية لأن الاولى علامة للاستقبال وهو مجزوم بالنهي وعلامة الجزم سقوط النون وقوله تعالى فانقذكم منها الكناية في منها عادت إلى الحفرة وترك شفا ومثله قول العجاج

طوين طوي وطوين عرضي

طول الليالي أسرع في تقضي

فترك الطول واخبر عن الليالي

- (الزول) -

قال مقاتل افتخر رجلان من الأوس والحزرج ثعلبة بن غنم من الأوس وسعد بن زرارة من الحزرج فقال الأوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن افلح حمي الدين ومنا سعد ابن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريضة وقال الحزرجي منا اربعة احكموا القرآن أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وايو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الأنصار ورئيسهم فجري الحديث بينها فغضبا وتفاخرا وناديا فجاء الأوس إلى الأوسي والحزرج إلى الحزرجي ومعهم السلاح فبلغ ذلك النبي (ص) فركب حمارا وأتاهم فأنزل الله هذه الآيات فقرأها عليهم فاصطلحوا

﴿ المعنى ﴾

لما نهى تعالى عن قبول اقوال الكافرين بين في هذه الآية ما يجب قبوله فقال (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) معناه واتقوا عذاب الله أي احترسوا وامتنعوا بالطاعة من عذاب الله كما يحق فكما يجب أن يتقى ينبغي أن يحترس منه وذكر في قوله حق تقاته وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) ﴿ وثانيها ﴾ انه اتقا جميع معاصيه عن أبي علي الجبائي ﴿ وثالثها ﴾ انه المجاهدة في الله تعالى وان لا تأخذه فيه لومة لائم وان يقام له بالقسط في الخوف والأمن عن مجاهد ثم اختلف فيه ايضا على قولين ﴿ احدهما ﴾ انه منسوخ بقوله فاتقوا الله ما استطعتم عن قتادة والربيع والسدي وهو المروي عن ابي جعفر وأبي عبد الله ﴿ والآخر ﴾ انه غير منسوخ عن ابن عباس وطاووس وأنكر الجبائي نسخ الآية لما فيه من اباحة بعض المعاصي قال الرماني والذي عندي انه إذا وجه قوله واتقوا الله حق تقاته على ان يقوموا له بالحق في الخوف والأمن لم يدخل عليه ما ذكره ابو علي لأنه لا يستمع أن يكون أوجب عليهم أن يتقوا الله على كل حال ثم أباح ترك الواجب عند الخوف على النفس كما قال إلا من اكراه وقلبه مطمئن بالإيمان وقوله (ولا تتون إلا وانتم مسلمون) وقد ذكرنا في سورة البقرة أن معناه لا تتركوا الإسلام وكونوا عليه حتى إذا ورد عليكم الموت صادفكم عليه وانما كان بلفظ النهي عن الموت من حيث ان الموت لا بد منه وإنما النهي في الحقيقة عن ترك الإسلام لأن لا يهلكوا بالانقطاع عن التمسك منه بالموت إلا انه وضع كلام موضع كلام على جهة التصرف والإبدال بحسن الاستعارة وزوال اللبس وروي عن ابي عبد الله (ع) وانتم مسلمون بالتشديد ومعناه مستسلمون لما أتى به النبي (ص) متقادون له (واعصموا بجبل الله) أي تمسكوا به وقيل امتنعوا به من غيره وقيل في معنى جبل الله اقوال ﴿ احدها ﴾ انه القرآن عن ابي سعيد الخدري وعبد الله وقتادة والسدي وروي ذلك مرفوعا ﴿ وثانيها ﴾ انه دين الله الإسلام عن ابن عباس وايو زيد ﴿ وثالثها ﴾ ما رواه ابا بن ثعلب عن جعفر ابن محمد (ع) قال نحن جبل الله الذي قال واعصموا بجبل الله (جميعا) والاولى حمله على الجميع والذي يؤيده ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي (ص) انه قال ايها الناس إني قد تركت فيكم جبلين ان اخذتم بهما لن تضلوا بعدي احدهما اكبر من الآخر كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي اهل بيتي الا وانها لا يفترقا حتى يردا على الحوض ولا تفرقوا معناه ولا تفرقوا عن دين الله الذي امركم فيه بلزوم الجماعة والاتلاف على الطاعة واثبتوا عليه عن ابن مسعود وقتادة وقيل معناه لا تفرقوا عن رسول الله (ص) عن الحسن وقيل عن القرآن بترك العمل به (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم) قيل اراد ما كان بين الأوس

والخروج من الحروب التي تطاوت مائة وعشرين سنة إلى ان الف الله بين قلوبهم بالإسلام فزال تلك الاحقاد عن ابن عباس وقيل هو ما كان بين مشركي العرب من الطوائف عن الحسن والمعنى احفظوا نعمة الله ومنتبه عليكم بالإسلام وبالائتلاف ورفع ما كان بينكم من التنازع والاختلاف فهذا هو النفع الحاصل لكم في العاجل مع ما أعد لكم من الثواب الجزيل في الآجل اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم بجمعكم على الإسلام ورفع البغضاء والشحناء عن قلوبكم (فأصبحتم بنعمته) أي بنعمة الله (إخوانا) متواصلين واحبايا متحابين بعد ان كنتم متحاربين متعادين وصرتم بحيث يقصد كل واحد منكم إخوا الآخرين لأن اصل الاغ من توخيت الشيء إذا قصدته وطلبته (وكنتم على شفا حفرة من النار) أي وكنتم يا اصحاب محمد (ص) على طرف حفرة من جهنم لم يكن بينها وبينكم إلا الموت فأنقذكم الله منها بأن ارسل اليكم رسولا وهداكم للإيمان ودعاكم اليه فنجوتم بإجابته من النار وإنما قال فأنقذكم منها وإن لم يكونوا فيها لأنهم كانوا بمنزلة من هو فيها من حيث كانوا مستحقين لدخولها قال ابو الجوزاء قرأ ابن عباس وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها واعرابي يسمع فقال والله ما انقذهم منها وهو يريد ان يفهمهم فيها فقال ابن عباس اكتبوها من غير فقيهه (كذلك بين الله) أي مثل البيان الذي تلي عليكم بين الله لكم الآيات أي الدلالات والحجج فيما امركم به ونهاكم عنه لعلكم تهتدون أي لكي تهتدوا إلى الحق والصواب

قوله تعالى (١٠٤) وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٥) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (آيتان)

اللغة

الامة اشتقاقها من الام الذي هو القصد في الامة تستعمل على ثمانية أوجه منها الجماعة ومنها اتباع الأنبياء لاجتماعهم على مقصد واحد ومنها القدوة لأنه يأتي به الجماعة ومنها الدين والملة كقوله إنا وجدنا آباءنا على أمة ومنها الحين والزمان كقوله تعالى وادكر بعد أمة وإلى أمة معدودة ومنها القامة بمعنى الام يقال رجل حسن الامة أي القامة

الإعراب

منكم أمة من هاهنا للتبويض على قول اكثر المفسرين لأن الأمر بالمعروف وإنكار المنكر ليسا بفرضين على الأعيان وهما من فروض الكفايات فأبي فرقة قامت بها سقطا عن الباقيين ومن قال انها من فروض الاعيان قال ان من هاهنا للتبيين ولتخصيص المخاطبة دون سائر الأجناس كقوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان وقول الشاعر

أخو رغائب يعطيها ويسلبها يأي الظلامة منه التوفل الزفر

لأنه وصفه باعطاء الرغائب والتوفل الكثير الإعطاء والزفر الذي يحمل الانتقال

المعنى

(ولتكن منكم أمة) أي جماعة (يدعون إلى الخير) أي إلى الدين (ويأمرون بالمعروف) أي بالطاعة (وينهون عن المنكر) أي عن المعصية (وأولئك هم المفلحون) أي الفائزون وقيل كل ما أمر الله ورسوله به فهو معروف وما نهى الله ورسوله عنه فهو منكر وقيل المعروف ما يعرف حسنه عقلا او شرعا والمنكر ما ينكره

العقل او الشرع وهذا يرجع في المعنى إلى الأول ويروى عن أبي عبد الله (ع) ولتكن منكم أئمة وكنتم خير أئمة أخرجت للناس وفي هذه الآية دلالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعظم موقعها ومحلها من الدين لأنه تعالى علق الفلاح بها واكثر المتكلمين على انها من فروض الكفايات ومنهم من قال انها من فروض الأعيان واختاره الشيخ ابو جعفر (ره) والصحيح ان ذلك إنما يجب في السمع وليس في العقل ما يدل على وجوبه إلا إذا كان على سبيل دفع الضرر وقال ابو علي الجبائي يجب عقلا والسمع يؤكد وما ورد فيه ما رواه الحسن عن النبي (ص) قال من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسول الله وخليفة كتابه وعن درة ابن ابي لمب قال جاء رجل إلى النبي (ص) وهو على المنبر فقال يا رسول الله من خير الناس قال أمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأرضاهم وقال ابو الدرداء لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر او لیسلمن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجمل كبيركم ولا يرحم صغيركم وتدعو خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغيثون فلا تغاثون وتستغفرون فلا تغفرون وقال حذيفة يأتي على الناس زمان لأن يكون فيهم جيفة حمار أحب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ثم أمر سبحانه بالجماعة وترك التفرق فقال سبحانه (ولا تكونوا كالذين تفرقوا) في الدين وهم اليهود والنصارى (واختلفوا) قيل معناه تفرقوا ايضا وذكرهما للتأكيد واختلاف اللفظين كقول الشاعر «متى ادن منه ينأ عني ويبعد» وقيل معناه كالذين تفرقوا بالعبادة واختلفوا في الديانة (من بعد ما جاءهم البينات) اي الحجج والكتب وبين لهم الطرق (وأولئك لهم عذاب عظيم) عقوبة لهم على تفرقهم واختلافهم بعد مجي الآيات والبيئات والآية تدل على تحريم الاختلاف في الدين وان ذلك مذموم قبيح منهي عنه

قوله تعالى (١٠٦) **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** (١٠٧) **وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** (آيتان)

الإعراب

العامل في قوله يوم قوله عظيم وتقديره عظيم عذابهم يوم تبيض وجوه ولا يجوز ان يكون العامل فيه عذاب لأنه موصوف قد فصلت صفة بينه وبين معموله لكن يجوز أن تعمل فيه الجملة لأنها في معنى يعذبون كما يقال المال لزيد يوم الجمعة فالعامل الفعل والجملة خلف منه وجواب اما في قوله فاما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم اكفرتم فحذفت لدلالة اسوداد الوجوه على حال التوبيخ حتى كأنه ناطق به وقد يحذف القول في مواضع كثيرة استغناء بما قبله من البيان كقوله ولوترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا اي يقولون ربنا ابصرنا لدلالة تنكيس الرأس من المجرمين على سؤال الإقالة ومثله كثير

المعنى

(يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) اخبر سبحانه بوقت ذلك العذاب أي ثبت لهم العذاب في يوم هذه صفته وإنما تبيض فيه الوجوه للمؤمنين ثوابا لهم على الايمان والطاعة وتسود فيه الوجوه للكافرين عقوبة لهم على الكفر والسيئات بدلالة ما بعده وهو قوله (فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم) أي يقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم واختلف فيمن عنوا به على اقوال **﴿١﴾** احدها **﴿٢﴾** انهم الذين كفروا بعد اظهار الايمان بالنفاق عن الحسن **﴿٣﴾** وثانيها **﴿٤﴾** انهم جميع الكفار لا عرضهم مما وجب عليهم الاقرار به من التوحيد حين اشهدهم على أنفسهم

الست بربكم قالوا بلى فيقول اكفرتم بعد إيمانكم يوم الميثاق عن أبي بن كعب (ع) وثالثها (ع) انهم اهل الكتاب كفروا بالنبي (ص) بعد إيمانهم به أي بنعته وصفته قبل مبعثه عن عكرمة واختاره الزجاج والجبائي (ع) ورابعها (ع) انهم اهل البدع والاهواء من هذه الأمة عن علي (ع) ومثله عن قتادة انهم الذين كفروا بالارتداد ويروي عن النبي (ص) انه قال والذي نفسي بيده ليردن علي الحوض ممن صحبني اقوام حتى إذا رأيتهم اختلجوا دوني فلاقولن اصحابي اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعد إيمانهم ارتدوا على اعقابهم القمري ذكره الثعلبي في تفسيره فقال ابو امامة الباهلي هم الخوارج ويروي عن النبي (ص) انهم يعرقلون من الدين كما يعرقل السهم من الرمية والأف في اكفرتم اصله الاستفهام والمراد به هنا التقرير اي لم كفرتم وقيل المراد التقرير اي قد كفرتم (فدوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) التي بلفظ الذوق على التوسع ومعناه انظروا ما صار اليه عاقبتكم من عذاب الله بما كنتم تكفرون اي بكفركم (واما الذين ابضت وجوههم) وهم المؤمنون (ففي رحمة الله) اي ثواب الله وقيل جنة الله (هم فيها خالدون) اعاد كلمة الظرف وهي قوله فيها تأكيداً لتمكين المعنى في النفس وقيل إنما أعادها لأنه دل بقوله ففي رحمة الله على ادخاله إياه في الرحمة وبقوله هم فيها خالدون على خلودهم فيها وسمى الله تعالى الثواب رحمة والرحمة نعمة يستحق بها الشكر وكل نعمة تفضل والوجه في ذلك ان سبب الثواب الذي هو التكليف تفضل فيكون الثواب على هذا الوجه تفضلاً وقيل إنما جاز أن يكون تفضلاً لأنه بمنزلة إنجاز الوعد في انه تفضل مستحق لأن المبتدئ به قد كان له أن لا يفعله فلما فعله وجب عليه الرقاب به لأن الخلف قبيح وهو مع ذلك تفضل لأنه جر اليه تفضل وقال بعضهم المراد ببيضاض الوجوه اشراقها واسفارها بالسرور ونيل البغية والظفر بالنية والاستبشار بما يصير اليه من الثواب كقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة والمراد بأسودادها ظهور أثر الحزن عليها لما يصير اليه من العقاب كقوله وجوه يومئذ بأسرة ووجوه يومئذ عليها غبرة وفي هذا القول عدول عن حقيقة اللفظ من غير ضرورة والأصح الأول

قوله تعالى (١٠٨) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ

(١٠٩) وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (آيتان)

المعنى

(تلك آيات الله) اي تلك التي قد جرى ذكرها حجج الله وعلاماته وبياناته (نتلوها عليك بالحق) نقرأها عليك بالحق يا محمد (ص) وعلى أمتك ونذكرها لك ونعرفك إياها ونقصها عليك (بالحق) اي بالحكمة والصواب (وما الله يريد ظلماً للعالمين) معناه لا يظلمهم بأن يحملهم من العقاب ما لم يستحقوه او ينقصهم من الثواب عما استحقوه وإنما يظلم من يظلم لجهله بقبح الظلم او حاجة إليه من دفع ضرر وجر نفع وتعالى الله عن صفة الجهل والحاجة وسائر صفات النقص علواً كبيراً وكيف يجوز أن يظلم احداً وهو الذي خلقهم وأنشأهم وابتدعهم وآتاهم من النعم ما لا تسو اليه همهم وعرضهم بها لما هو أعظم منها قدراً وأجل خطراً وهو نعيم الآخرة ثم ذكر سبحانه وجه غناه عن الظلم فقال (ولله ما في السماوات وما في الأرض) ملكاً وخلقاً (وإلى الله ترجع الأمور) اختلفوا في كيفية رجوع الأمور إلى الله تعالى فقيل ان الأمور تذهب بالفناء ثم يعيدها الله للمجازاة وقيل ان الله تعالى قد ملك عباده في الدنيا أموراً وجعل لهم تصرفاً ويزول جميع ذلك في الآخرة ويرجع اليه كله كما قال لمن الملك اليوم وفي وقوع المظهر موقع المضمر في قوله وإلى الله ترجع الأمور وقولان (ع) احدهما (ع) ليكون كل واحد من الكلامين مكفياً بنفسه (ع) والآخر (ع) ليكون أفخم في الذكر والموضع موضع التفضيح وليس كقول الشاعر

لا أرى الموت يسبق الموت شي
نقض الموت ذو الغنى والفقير
لأن البيت مقتدر إلى الضمير والآية مستغنية عنه

قوله تعالى (١١٠) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَكَوْا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (آية)

—* المعنى *

لما تقدم ذكر الأمر والنهي عقبه تعالى بذكر من تصدى للقيام بذلك ومدحهم ترغيباً في الاقتداء بهم فقال (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قيل فيه اقوال ^(١) أحدها ^(٢) أن معناه انتم خير أمة وإنما قال كنتم لتقدم البشارة لهم في الكتب الماضية عن الحسن وبعضه ما روي عن النبي (ص) انه قال انتم زينتم ستين أمة انتم خيرها واكرمها على الله ^(٣) وثانيها ^(٤) ان المراد كنتم خير أمة عند الله في اللوح المحفوظ عن الفراء والزجاج ^(٥) وثالثها ^(٦) أن كان ما هنا تامة وخير أمة نصب على الحال ومعناه وجدتم خير أمة وخلقتهم خير أمة ^(٧) ورابعها ^(٨) أن كان مزيدة دخولها كخروجها إلا ان فيها تأكيداً لوقوع الأمر لا محالة لأنه بمنزلة ما قد كان في الحقيقة فهي بمنزلة قوله تعالى واذكروا إذ انتم قليل وفي موضع آخر ان كنتم قليلاً فكثرتكم ونظيره قوله وكان الله غفورا رحيماً لأن مغفرته المستأنفة كالماضية في تحقيق الوقوع ^(٩) وخامسها ^(١٠) أن كان بمعنى صار كما في قول الشاعر فخر على الآلاء يوسده (?) وقد كان الدماء له خماراً

ومعناه صرتم خير أمة خلقت لأمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر وإيمانكم بالله فيصير هذه الخصال على هذا القول شرطاً في كونهم خيراً وقد روي عن بعض الصحابة انه قال من أراد أن يكون خير هذه الأمة فليؤد شرط الله فيه من الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واختلف في المعنى بالخطاب فقيل هم المهاجرون وخاصة عن ابن عباس والسدي وقيل تزات في ابن مسعود والبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابي حذيفة عن عكرمة وقيل اراد بهم اصحاب رسول الله (ص) خاصة عن الضحاك وقيل هو خطاب للصحابة ولكنه يعبر سائر الأمة ثم ذكر مناقبهم فقال تأمرون بالمعروف بالطاعات وتنهون عن المنكر عن المعاصي ويسأل فيقال ان القبيح ايضا يعرف انه قبيح فلم خص الحسن باسم المعروف وجوابه ان القبيح جعل بمنزلة ما لا يعرف تخموله وسقوطه وجعل الحسن بمنزلة النبيه الجليل القدر يعرف لنباهته وعلو قدره وتؤمنون بالله أي بتوحيده وعدله ودينه (ولو آمن اهل الكتاب) أي لو صدقوا بالنبي (ص) وبما جاء به (لكان خيراً لهم) أي لكان ذلك الإيمان خيراً لهم في الدنيا والآخرة لأنهم ينجون بها في الدنيا من القتل وفي الآخرة من العذاب ويفوزون بالجنة (منهم) أي من اهل الكتاب (المؤمنون) أي المعترفون بما دلت عليه كتبهم من صفة نبينا والبشارة به كعبد الله بن سلام واصحابه من اليهود والنجاشي واصحابه من النصاري (واكثرهم الفاسقون) أي الخارجون عن طاعة الله تعالى وإنما وصفهم بالفاسقون الكفر الذي هو اعظم لأن الغرض الايذان بأنهم خرجوا عما يوجب كتابهم من الاقرار بالحق في نبوة نبينا وقيل لأنهم في الكفار بمنزلة الفاسق العصاة لخروجهم إلى الحال الفاحشة التي هي اشنع وأفظع

قوله تعالى (١١١) لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أذى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمُ الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ

(١١٢) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَمَّنْ مَا تَفْقَهُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاوُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْآثِيَاءَ يُغَيِّرُ حَقِّ ذَلِكَ مَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (آيتان)

الإعراب

إلا أذى استثنا. متصل وقوله أذى في تقدير النصب ومعناه ان يضروكم إلا ضررا يسيرا فالأذى وقع موقع المصدر وقيل هو استثنا. منقطع لأن الأذى ليس من الضرر كقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميا وغساقا قال علي بن عيسى هذا ليس بصحيح لأن الكلام إذا أمكن قبله الاستثنا. الحقيقي لم يجز حمله على المنقطع وإن يقاتلوكم شرط ويولوكم جزاء. وعلامة الجزم فيهما سقوط النون وقوله ثم لا ينصرون رفع على الاستثنا ولم يجزم على العطف لأن سبب التولية القتال وليس كذلك منع النص لأن سببه الكفر ولأن الرفع اشكل برووس الآي المتقدمة وهو مع ذلك عطف جملة على جملة والعامل في الباء من قوله بحبل من الله ضربت على معنى ضربت عليهم الذلة بكل حال إلا بحبل وقال الفراء العامل فيه محذوف وتقديره إلا أن يعتصموا بحبل من الله وأنشد

رأني بجلبها فصدت مخافة
وفي الجبل ذرعا الفؤاد فروق
أراد رأني اقبلت بجلبها فحذف الفاعل في الباء. وقال آخر

قصير الخطو يحسب من رأني
ولست مقيدا اني بقيد

أراد انني قيدت بقيد قال علي بن عيسى ما ذكره الفراء ضعيف من وجوب ﴿احدهما﴾ ان حذف الموصول عند البصريين لا يجوز لأنه إذا احتاج إلى الصلة تبين عنه فالحاجة إلى البيان عنه بذكره أشد وإنما يجوز حذف الشيء للاستغناء عنه بدلالة غيره عليه واد دل عليه حذف مع صلته لأنه معها بمنزلة شيء واحد والوجه ﴿الآخر﴾ ان الكلام إذا صح معناه من غير حذف لم يجز تأويله على الحذف وقيل في هذا الاستثنا. انه منقطع لأن الذلة لازمة لهم على كل حال فجري مجرى قوله وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ فعامل الإعراب موجود المعنى على الانقطاع ومثله لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما فكل انقطاع ففيه ازالة الإيهام الذي يلحق الكلام فقوله لا يسمعون فيها لغوا قد توهم انهم من حيث لا يسمعون فيها لغوا لا يسمعون كلاما فليل لذلك الا خطأ إلا سلاما وكذلك قوله وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا قد يتوهم انه لا يقتل مؤمنا على وجه فقيل لذلك إلا خطأ وكذلك ضربت عليهم الذلة قد توهم انه من غير جواز موادة فقيل إلا بحبل من الله قيل إن الاستثنا. متصل لأن عز المسلمين عز لهم بالذمة وهذا لا يخرجهم من الذلة في أنفسهم

التزول

قال مقاتل ان رونس اليهود مثل كعب واني رافع واني يلسر وكنانة وابن صوريا عمدوا إلى مؤمنينهم كعبد الله بن سلام واصحابه فأنبوهم لإسلامهم فزلت الآية

المعنى

(لن يضروكم إلا أذى) وعد الله المؤمنين انهم منصورون وان اهل الكتاب لا يقدرون عليهم ولا ينالهم من جهتهم مضرة إلا أذى من جهة القول ثم اختلفوا في هذا القول فقيل هو كذبهم على الله وتحريفهم كتاب الله وقيل هو ما كانوا يسمعون المؤمنين من الكلام المرذوي (وان يقاتلوكم) اي وان يجاوزوا عن الإيذاء باللسان

إلى القتال والمحاربة (يولونم الادبار) منهزمين (ثم لا ينصرون) أي ثم لا يعاونون لكفرهم ففي هذه الآية دلالة على صحة نبوة نبينا (ص) أو قوع مخبره على وفق خبره لأن يهود المدينة من بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر الذين حاربوا النبي والمسلمين لم يثبتوا لهم قط وانهمزوا ولم ينالوا من المسلمين إلا بالسب والظعن (ضربت عليهم الذلة) أي أثبت لهم الذلة وانزلت بهم وجعلت محيطة بهم وهو استعارة في ضرب القباب والحيام عن أبي مسلم قيل معناه الزموا الذلة فثبتت فيه من قولهم ضرب فلان الضريبة على عبده أي الزمها ياءه قال الحسن ضربت الذلة على اليهود فلا يكون لها منعة أبدا وقيل معناه فرضت عليهم الجزية والهوان فلا يكونون في موضع إلا بالجزية ولقد ادركهم الإسلام وهم يؤدون الجزية إلى المجوس (أربنا ثقوا) أي وجدوا ويقال اخذوا وظفر بهم (إلا بجبل من الله) أي بعهد من الله (وحبل من الناس) أي وعهد من الناس على وجه الذمة وغيرهما من وجوه الأمان عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وسبي العهد جبلا لأنه يعقد به الأمان كما يعقد الشيء بالحبل (وبأوا بغضب من الله) أي رجعوا بغضب الله الذي هو عقابه ولعنه وقيل معناه استرجعوا غضبا من الله (وضربت عليهم المسكنة) أي الذلة لأن المسكين لا يكون إلا ذليلا فسمى الذلة مسكنة عن أبي مسلم وقيل المراد به الفقر لأن اليهود أبدا يتفارقون وإن كانوا اغنيا. وقد ذكرنا تفسير ما بقي من الآية في سورة البقرة

- [النظم] -

وجه اتصال الآية بما قبلها اتصال البشارة بالظفر لما تقدم امر المحاربة لأن الأمر قد تقدم بإنكار المنكر وقيل انه لما تقدم ان أكثرهم الفاسقون اتصل به ما يسكن قلوب المؤمنين من عاديتهم ويؤمن مضرتهم

قوله تعالى (١١٣) لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٤) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآيَاتُ مَرُوفٍ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (آيتان)

✽ اللغة ✽

قيل في واحد اناء قولان ✽ احدهما ✽ اني مثل نحي والآخر اني مثل معي قال الشاعر
 حلو ومر كعطف القدح مرته بكل إني قضاك الليل ينتعل
 وحكي الأخفش انو بالواو والمسارة المبادرة وهي من السرعة والفرق بين السرعة والعجلة ان السرعة هي التقدم فيما يجوز أن يتقدم فيه وهي محمودة وضدها الإبطاء وهو مذموم والعجلة هي التقدم فيما لا ينبغي ان يتقدم فيه وهي مذمومة وضدها الأناة وهي محمودة

✽ النزول ✽

قيل سبب نزول هذه الآية أنه لما أسلم عبد الله بن سلام وجماعة قالت احبار اليهود ما آمن بمحمد (ص) إلا شرارنا فانزل الله ليسوا سواء إلى قوله من الصالحين عن ابن عباس وقتادة وابن جريح وقيل إنها نزلت في اربعين من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على عهد عيسى (ع) فصدقوا بمحمد (ص) عن عطاء

المعنى

(ليسوا سواء) اختلفوا في تقديره والقول الصحيح ان هذا وقف تام وقوله (من اهل الكتاب) ابتداء

كلام ومعناه ليس الذين ذكرنا من أهل الكتاب سواء أي ليس الذين آمنوا من أهل الكتاب (أمة قائمة) كعبد الله بن سلام وأصحابه والذين لم يؤمنوا سواء في الدرجة والمنزلة ثم استأنف وبين افتراقهم فقال من أهل الكتاب أمة قائمة فحصل بهذا بيان الافتراق وهذا كما لو أخبر القائل عن قوم بخبر فقال بنو فلان يعملون كذا وكذا ثم قال ليسوا سواء فإن منهم من يفعل كذا وكذا وكذلك لو ذم قبيلة بالبخل والجبن فقال غيره ليسوا سواء منهم الجواد ومنهم الشجاع فيكون منهم الجواد ومنهم الشجاع ابتداء كلام وقال أبو عبيدة هو على لغة اكلوني البراغيث ومثله قوله تعالى ثم عموا وصموا كثير منهم وقال الشاعر

رأيت الغواني الشيب لاح بعارضي فأعرضن عني بالحدود النواضر

قال الزجاج والرماني وليس الأمر كما قال لأن ذكر أهل الكتاب قد جرى فأخبر الله أنهم غير متساويين ولأن هذه اللغة رديئة في القياس والاستعمال وقال الفراء المعنى منهم أمة قائمة وأمة غير قائمة اكتفاء بذكر أحد الفريقين كما قال أبو ذؤيب

عصيت إليها القلب إني لأمرها مطيع فما أدري ارشد طلابها
ولم يقل أم غي وقال آخر

أراك فلا أدري أهم همته وذوهم قدما خاشع متضائل

ولم يقل أم غيره لأن حاله في التغيير ينبي أن أهم غيره أم غيره فعلى هذا يكون رفع أمة على معنى الفعل وتقديره لا يستوي أمة هادية وأمة ضالة على القول الأول رفع بالابتداء وانكر الزجاج هذا القول وقال ما بنا حاجة هنا إلى محذوف لأن ذكر الفريقين قد جرى في قوله منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ثم قال ليسوا سواء ولا يحتاج إلى أن يقدر أمة غير قائمة وقد تقدم صفتهم في قوله ويكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء وقوله أمة قائمة فيه وجوه * أحدها * أن معناها جماعة ثابتة على أمر الله عن ابن عباس وقتادة والربيع * وثانيها * عادلة عن الحسن ومجاهد وابن جريج * وثالثها * قائمة بطاعة الله عن السدي - « ورابعها » - أن التقدير ذو أمة قائمة أي ذو طريقة مستقيمة عن الزجاج وانشد للناطقة (وهل ياتم ذو أمة وهو طائع) أي ذو طريقة من طرائق الدين قال علي بن عيسى وهذا القول ضعيف لأنه عدول عن الظن وحكم بالحذف من غير دلالة (يتلون آيات الله) يقرأون كتاب الله وهو القرآن (آناه الليل) ساعاته وأوقاته عن الحسن والربيع وقيل يعني جوف الليل عن السدي وقيل أراد به وقت صلاة العتمة لأن أهل الكتاب لا يصلونها يعني أنهم يصلون صلاة العتمة عن ابن مسعود وقيل إنه الصلاة ما بين المغرب والعشاء الآخرة عن الثوري وهي الساعة التي تسمى ساعة الغفلة (وهم يسجدون) قيل أراد السجود المعروف في الصلاة فعلى هذا يكون معناه وهم مع ذلك يسجدون ويكون الواو لعطف جملة على جملة وقيل معناه يصلون بغير السجود فغير بالسجود عن الصلاة لأن السجود بلغ الأركان في النواضع عن الزجاج والفراء والبلخي قالوا لأن القراءة لا تكون في السجود ولا في الركوع وعلى هذا يكون الواو للحال أي يتلون آيات الله بالليل في صلاتهم وهو قول الجبائي أيضا (يؤمنون بالله) أي بتوحيده وصفاته (واليوم الآخر) المتأخر عن الدنيا يعني البعث يوم القيامة (ويأمرون بالمعروف) بالإقرار بنبوة محمد (ص) (وينهون عن المنكر) عن إنكار نبوته (ويسارعون في الخيرات) أي يبادرون إلى فعل الخيرات والطاعات خوف الفوات

بالموت وقيل معناه يعملون الأعمال الصالحة غير متتالين فيها لعلهم بجلاله موقمها وحسن عاقبتها (وأولئك من الصالحين) أي من جملة من جملتهم وفي عدادهم وهذا نفي لقولهم ما آمن به الا شرارنا وفي هذه الآية دلالة على عظم موقع صلاة الليل من الله تعالى وقد صح عن النبي (ص) انه قال ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الأخير خير له من الدنيا وما فيها ولولا اني اشق على امتي لفرضتها عليهم وقال ابو عبد الله ان البيوت التي يصلى فيها بالليل بتلاوة القرآن تضيء لأهل السماء كما تضيء نجوم السماء لأهل الأرض وقال (ع) عليكم بصلاة الليل فإنها سنة نبيكم ودأب الصالحين قبلكم ومطرده الداء عن اجسادكم

قوله تعالى (١١٥) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (آية)

-(القراة)-

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر بالياء فيها والباقون بالتاء إلا أبا عمرو فإنه كان يخير

-(الحجة)-

وجه القراءة بالياء ان يكون كتابة عن تقدم ذكره من أهل الكتاب ليكون الكلام على طريقة واحدة ووجه التاء انه خلطهم بغيرهم من المكلفين ويكون خطابا للجميع في أن حكمهم واحد

-(الإعراب)-

وما فعلوا ما للمجازاة وتفعلوا مجزوم بالشرط وانما جازى بما ولم يجاز بكيف لأن ما أمكن من كيف لأنها تكون معرفة ونكرة لأنها للجنس وكيف لا تكون إلا نكرة لأنها للحال والحال لا يكون إلا نكرة لأنها للفائدة

﴿ المعنى ﴾

(وما يفعلوا من خير) أي من طاعة (فلن يكفروه) أي لم يمنع عنكم جزاؤه وسمي منع الجزاء كفرا على الاتساع لأنه بمنزلة الجحد والستر له ومعناه لا تجحد طاعتكم ولا تستر بمنع الجزاء وهذا كما يوصف الله تعالى بأنه شاكر وحقيقة انه يثيب على الطاعة ثواب الشاكرين على النعمة فلما استعير الثواب الشكر استعير لينقضه من منع الثواب الكفر لأن الشكر في الأصل هو الاعتراف بالنعمة والكفر ستر النعمة في المنعم عليه بتضييع حقها (والله عليم بالمتقين) أي بأحوالهم فيجازيهم وإنما خص المتقين بالذكر وان كان عليا بالكل لأن الكلام اقتضى ذكر جزاء المتقين فنه بذلك على انه لا يضيع شي من عملهم قل أم كثير لأن المجازي عليم بكل ذلك وهذه الآية تدل على ان شيئا من أعمال الخير والطاعة لا يبطل البتة خلافا لقول من قال بالاحباط

قوله تعالى (١١٦) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٧) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (آيتان)

اللغة

يقال اغنى عنه إذا دفع عنه ضرر الولا النازل به وإذا قيل اغناه كذا عن كذا أفاد أن أحد الشئيين صار بدلا من الآخر في نفي الحاجة والمعنى الاختصاص بما ينفي الحاجة فإن اخص بال ينفي الحاجة فذلك غني وكذلك الغنى بالجاء والأصحاب وغير ذلك فأما المعنى في صفات الله فهو اختصاصه بكونه قادرا على وجه لا يعجزه شيء وقولنا فيه انه غني معناه انه لا تجوز عليه الحاجة أصحاب النار إنما سموا بذلك لملازمتهم فيها كما يقال هؤلاء أصحاب الصحراء إذا كانوا ملازمين لها وقد يقال أصحاب العقار بمعنى ملاكهم وأصحاب الرجل أتباعه وأعدوانه وأصحاب العالم المتعلمون منه فالإضافات مختلفة وأصل المصاحبة الصحابة الملازمة والنار أصله من النور وهو جسم لطيف فيه حرارة ونور وامتداد علوي والريح واحدة الرياح ومنه الروح لدخول الريح الطيبة على النفس وكذلك الارتياح والروح والراحة من التعب ومنه الروح لأنها كالريح في اللطافة ومنه الرائحة لأن الريح تحملها إلى الحس والصر البرد الشديد وأصله من الصرير وهو الصوت قال الزجاج الصر صوت لهب النار التي كانت في تلك الريح ويجوز ان يكون الصر صوت الريح الباردة الشديدة وكذلك من صفات الشمال فإنها توصف بأن لها قمعة والصر شدة الصباح

- (المعنى) -

لما تقدم وصف المؤمنين عقبه سبحانه بيان حال الكافرين فقال (إن الذين كفروا بالله ورسوله لن تغني عنهم) أي لن تدفع عنهم (أموالهم ولا أولادهم من) عذاب (الله شيئا) وإنما خص الأموال والأولاد بالذكر لأن هذين معتمد الخلق وأعز الأشياء عليهم فإذا لم يغنيا عن الإنسان شيئا فغيرهما غناؤه أبعده (وأولئك أصحاب النار) أي ملازموها (هم فيها خالدون) أي دائمون ثم ضرب مثلا للإتفاقهم فقال (مثل ما ينفقون) أي شبه ما ينفقون من أموالهم (في هذه الحياة الدنيا) قبل هو ما ينفقون على الكفار في عداوة الرسول وقيل هو ما انفق أبو سفيان وأصحابه بيد واحد لما تظاهروا على النبي (ص) وقيل هو ما انفقته سفلة اليهود على علمائهم وقيل هو مثل لجميع صدقات الكفار ونفقاتهم في الدنيا عن مجاهد وفي الآية حذف وتقديره مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ربح فيها صر فحذف الاهلاك للدلالة آخر الكلام عليه وفيه تقدير آخر مثل ما ينفقون كمثل مهلك ربح فيكون تشبيه ذلك الإتفاق من الحرث بالربح فيها صر قيل برد شديد عن ابن عباس والحسن وقتادة وجماعة وقيل السموم الحارة القاتلة عن ابن عباس أيضا (أصاب حث قوم) أي زرع قوم (ظلموا أنفسهم) بالمعاصي فظلمهم اقتضى هلاك حرثهم عقوبة لهم وقيل ظلموا أنفسهم بأن زرعوا في غير موضع الزراعة او في غير وقتها فجاءت الريح (فأهلكته) تأديبا لهم من الله في وضع الشيء غير موضعه الذي هو حقه (وما ظلمهم الله) في اهلاك زرعهم لأنهم استحقوا ذلك بظلمهم وقيل في قتلهم وسببهم لأنهم استحقوا بكفرهم (ولكن أنفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما استحقوا به ذلك

قوله تعالى (١١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (آية)

اللغة

البطانة خاصة الرجل الذين يستبطنون أمره مأخوذ من بطانة الثوب الذي يلي البدن لقربه منه وهو نقيض الظهارة ويسمى بها الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الشاعر

أوأثك خلصاني نعم وبطانتي وهم عيبي من دون كل قريب
لا يألونكم أي لا يقصرون في أمركم خبالا ولا يتركون جهدهم يقال ألا يألوا إذا فتر وضعف وقصر وما الوته خيرا وشرا أي ما قصرت في فعل ذلك وقال امرؤ القيس

وما المرء ما دامت حشاشة نفسه بمدرك أطراف الخطوب ولا ألي
أي مقصر في الطلب والخبال الشر والفساد ومنه الخبل بفتح الباء وسكونها للجنون لأنه فساد العقل ورجل مخبل الرأي أي فاسد الرأي ومنه الاستخبال طلب إعادة المال لفساد الزمان قال زهير

هناك ان يستخبلوا المال يخبلوا وان يسألوا يعطوا وان يسروا يغلوا
واصل العنت الشقة عنت الرجل يعنت عنتا دخلت عليه المشقة واكمة عنوت صعبة المسلك لمشقة السلوك فيها واعنت فلان فلانا حمله على المشقة الشديدة فيما يطالبه فيه ومنه قوله تعالى ولو شاء الله لاعتنكم

الإعراب

من دونكم من للتبعية والتقدير لا تتخذوا بعض المخالفين من الدين بطانة ويجوز ان يكون لتبيين الصفة فكأنه قال لا تتخذوا بطانة من المشركين وهذا أولى لأنه أعم ولا يجوز ان يتخذ المؤمن الكافر بطانة على كل حال وقيل ان من هاهنا زائدة وهذا غير حسن لأن الحرف إذا صح حمله في الفائدة لا يحكم فيه بالزيادة وقوله خبالا نصب بأنه المفعول الثاني لأن الألو يتعدى إلى مفعولين ويجوز أن يكون مصدر الألو المعنى يخبلونكم خبالا وموضع قوله ودوا ما عتتم يجوز أن يكون نصبا لأنه صفة لبطانة ويجوز ان يكون لا موضع له من الإعراب لأنه استئناف جملة وما في قوله ما عتتم مصدرية وتقديره ودوا ما عتتمكم

= [النزول] =

نزلت في رجال من المسلمين كانوا يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الصداقة والقرابة والجوار والحلف والرضاع عن ابن عباس وقيل نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصادقون المنافقين ويخالطونهم عن مجاهد

= [المعنى] =

نهى الله المؤمنين عن موالة الكفار ومخالطتهم خوف الفتنة منهم عليهم فقال (يا أيها الذين آمنوا) أي صدقوا (لا تتخذوا بطانة من دونكم) أي لا تتخذوا الكافرين أولياء وخواص من دون المؤمنين نقشون اليهم اسراركم وقوله من دونكم أي من غير أهل ملتكم ثم بين تعالى العلة في المنع من مواصلتهم فقال (لا يألونكم خبالا) أي لا يقصرون فيما يوذي إلى فساد امركم ولا يدعون جهدهم في مضرتكم وقال الزجاج لا يتقون في القائكم فيما يضركم قال واصل الخبال ذهاب الشيء وقوله (ودوا ما عتتم) معناه تمنوا إدخال المشقة عليكم وقيل تمنوا إضلالكم عن دينكم عن السدي وقيل تمنوا ان يعتوكم في دينكم أي يحملونكم على المشقة فيه عن ابن عباس

وقوله (قد بدت البغضاء من افواههم) معناه ظهرت إمارة العداوة لكم على ألسنتهم وفي فحوى اقوالهم وقلوبهم (وما تخفي صدورهم من البغضاء اكبر) مما يبدون بألسنتهم (قد بينا لكم الآيات) اي اظهرنا لكم الدلالات الواضحات التي بها يتميز الولي من العدو (ان كنتم تعلمون) اي تعلمون الفضل بين الولي والعدو وقيل ان كنتم تعلمون مواضع الله ومنافعها وقيل ان كنتم عقلاء فقد آتاكم الله من البيان الشافي

قوله تعالى (١١٩) ها أنتم أولاء تجبونهم ولا يجبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم إلا تأمل من الغيظ قل مؤثا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور (آية)

= [اللغة] =

العض بالأسنان معروف ومنه العض علف الأمصار لأن له مضغة في العض يسمن عليها المال ورجل عض لزاز الخضم لأنه يعضه بالخصومة والأنامل اطراف الأصابع واصله النمل المعروف فهي مشبهة به في الدقة والتصرف بالحركة ومنه رجل غل اي غام لأنه ينقل الأحاديث الكرهة كتنقل النملة في الخفاء والكثرة

* الإعراب *

قال الأزهرى يحتمل ان يكون اولاء منادى كأنه قال يا اولاء وقال غيره ها للتنبيه وانتم مبتدأ واولاء خبره وتجبونهم حال وقال الزجاج جائز ان يكون اولاء في معنى الذين كأنه قال ها أنتم الذين تجبونهم ولا يجبونكم وجائز ان يكون تجبونهم حالا وتؤمنون عطف على يجبون ولا يجوز ان يقول ها قومك اولاء لأن المضر أحق بالهاء التي للتنبيه لأنه كآبهم في عموم ما يصلح له وليس كذلك الظاهر

= [المعنى] =

ثم بين سبحانه ما هم عليه من عداوة المؤمنين تأكيداً للنهي عن مصافاتهم فقال (ها أنتم اولاء تجبونهم) وقدم ذكر معناه في الإعراب وتقديره ها أنتم الذين تجبونهم او ها أنتم اولاء محبين إذا قلنا انه بمعنى الحال اي تنبهوا في حال محبتكم ايهم ولا يجبونكم هم لما بينكم من مخالفة الدين وقيل تجبونهم لأنكم تريدون لهم الإسلام وتدعونهم إلى الجنة (ولا يجبونكم) لأنهم يريدون لكم الكفر والضلال وفيه الهلاك (وتؤمنون بالكتاب) كاه الكتاب واحد في معنى الجمع لأنه أراد الجنس كما يقال كثر الدرهم في ايدي الناس ويجوز ان يكون مصدرًا من قولك كتبت كتابا والمراد به كتب الله التي انزلها على انبيائه وفي افراده ضرب من الإيجاز وأشعار بالتفصيل في الاعتقاد ومعناه انكم تصدقون بها في الجملة والتفصيل من حيث تؤمنون بما انزل على ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ص) وعليهم وعلى سائر الأنبياء وهم لا يصدقون بكتابكم (وإذا لقوكم قالوا آمنا) معناه إذا رأوكم قالوا صدقنا (وإذا خلوا) مع انفسهم (عضوا عليكم) اي اطراف الأصابع (من الغيظ) اي من الغضب والحنق لما يرون من إئتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم ونصرة الله إيهم وهذا مثل وليس هناك عض كقول الشاعر

إذا رأوني أطال الله غيظهم
 عضوا من الغيظ أطراف الأباهيم
 وقول ابي طالب (يعضون غيظا خلفنا بالانامل) (قل) يا محمد لهم (موتوا بغيظكم) صبغته صبغة الامر
 والمعنى الدعاء عليهم فكأنه قال امانكم الله بغيظكم وفيه معنى الذم لهم لأنه لا يجوز ان يدعى عليهم هذا الدعاء
 إلا وقد استحقوه بما اتوه من القبيح وقيل معناه دام لكم هذا الغيظ لما ترون من علو كلمة الإسلام إلى ان
 تموتوا (ان الله عليهم بذات الصدور) أي بما يضمرونه من النفاق والغيظ على المسلمين

قوله تعالى (١٢٠) **إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً تَسْوُوهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرُحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابن كثير وابوعمر و يعقوب لا يضر كم خفيفة مكسورة الضاد والباقون مشددة مضمومة الضاد
 والراء وقرأ الحسن وابو حاتم يعملون بالتاء على الخطاب والقراءة المشهورة بالياء

﴿ الحجة ﴾

من قرأ لا يضر كم فهو من ضاره يضيره ضيرا ومن قرأ لا يضر كم فهو من ضره يضره ضرا والضير
 والضر بمعنى واحد وقد جاء في القرآن لا ضير وإذا مسكم الضر ولا يضركم أصله لا يضر كم نقلت ضمة
 الراء الأولى إلى الضاد وأدغمت في الراء الثانية بعد ان ضمت إبتاعا لأقرب الحركات اليها والعرب
 تدغم في موضع الجزم واهل الحجاز يظرون التضعيف قال الزجاج وهذه الآية جاءت فيها اللغتان جميعا فقوله
 إن تمسككم على لغة اهل الحجاز وقوله يضر كم على لغة غيرهم من العرب ويجوز لا يضر كم ولا يضر كم فمن قال
 بالفتح فلأن الفتح خفيف يستعمل في التقاء الساكنين في التضعيف ومن قال بالكسر فعلى اصل التقاء الساكنين

﴿ اللغة ﴾

الكيد والمكيدة المكر الذي يغتال به صاحبه من جهة حيلة عليه ليقع في مكروه به وأصله المشقة يقال
 رأيت فلانا يكيد بنفسه أي يقاسي المشقة في سياق المنية ومنه المكائدة لا يراد ما فيه من المشقة

﴿ المعنى ﴾

ثم أخبر سبحانه عن حال من تقدم ذكرهم فقال (إن تمسككم حسنة) أي تصبكم ايها المؤمنون نعمة
 من الله تعالى عليكم بها مؤلفة أو اجتماع كلمة أو ظفر بالاعداء (تسوهم) أي تخزهم (وإن تصبكم سيئة)
 أي محنة بإصابة العدو منكم لا اختلاف الكلمة وما يؤدي إليه من الفرقة يفرحوا بها هذا قول الحسن وقتادة
 والربيع وجماعة من المفسرين (وان تصبروا) على أذيابهم وعلى طاعة الله تعالى وطاعة رسوله والجهاد في
 سبيله (وتتقوا) . الله بالامتناع عن معاصيه وفعل طاعته (لا يضركم) ايها الموحدون (كيدهم) أي مكر
 المنافقين وما يجتالون به عليكم (شيئا) أي لا قليلا ولا كثيرا لأنه تعالى ينصركم ويدفع شرهم عنكم (إن
 الله بما تعملون محيط) أي عالم بذلك من جميع جهاته مقتدر عليه لأن اصل المحيط بالشيء هو المضيف به
 من حوالبه وذلك من صفات الاجسام فلا يليق به سبحانه

قوله تعالى (١٢١) وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢٢) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَابِعُهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (آياتان)

﴿ اللغة ﴾

التبوءة اتخاذ الموضع للغير يقال بوءت القوم منازلهم وبوءت لهم أيضا أي اوطنتهم واسكنتهم إياها وتبؤواهم أي توطنوا ومنه المباءة المراح لأنه رجوع إلى المستقر المتخذ ومنه بوءت بالذنب أي رجعت به محتملا له والفشل الجبن يقال فشل فشل فشلا والفشل الرجل الضعيف

﴿ الأعراب ﴾

العامل في إذا محذوف وتقديره واذا كراذ غدوت وقيل هو عطف على ما تقدم في السورة من قوله قد كان لكم آية في فتنين التقتا أي في نصرته تلك الطائفة القليلة على الطائفة الكثيرة إذ غدا النبي (ص) عن أبي مسلم وقيل العامل فيه قوله محيط وتقديره والله عالم بأحوالكم وأحوالهم إذ غدوت من اهلك وتبوى حال من غدوت

﴿ المعنى ﴾

واذ كرايا محمد (إذ غدوت من اهلك) أي خرجت من المدينة غدوة (تبوى المؤمنون مقاعد) أي تهبى للمؤمنين مواطن (للقبال) وقيل معناه تجلسهم وتقدمهم في مواضع القتال ليقفوا فيها ولا يفارقوها واختلف في أي يوم كان ذلك فقيل يوم أحد عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع والسدي وابن أبي اسحاق وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقيل كان يوم الأحزاب عن مقاتل وقيل يوم بدر عن الحسن (والله سميع) أي يسمع ما يقوله النبي (ص) (عليه) بما يضمرونه لأنهم اختلفوا فمنهم من أشار بالخروج ومنهم من أشار بالمقام وفيه تزكية للزكي وتهديد للغاوي وقيل سميع بقول المشيرين على النبي (ص) عليهم بضائرهم وقيل سميع بجميع المسموعات عليهم بجميع المعلومات (إذ همت) أي قصدت وعزمت (طائفتان) أي فرقتان (منكم) أي من المسلمين (ان تفشلا) أي تجبنا والطائفتان هما بنو سلمة وبنو حارثة حيان من الانصار عن ابن عباس وجابر بن عبد الله والحسن وقتادة ومجاهد والربيع وأبي جعفر (ع) وأبي عبد الله (ع) وقال الجبائي نزلت في طائفة من المهاجرين وطائفة من الانصار وكان سبب همهم بالفشل ان عبد الله بن أبي سلول دعاهم إلى الرجوع إلى المدينة عن لقاء المشركين يوم أحد فها به ولم يفعلوا (والله وليها) أي ناصرها روي عن جابر بن عبد الله انه قال فينا نزلت وما أحب انها لم تكن لقوله والله وليها وقال بعض المحققين هذا هم خطرة لا هم عزيمة لأن الله تعالى مدحها واخبر انه وليها ولو كان هم عزيمة وقصد لكان ذمهم أولى من مدحهم (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) في جميع احوالهم وأمورهم

ذكر غزوة أحد * عن أبي عبد الله (ع) انه قال كان سبب غزوة أحد ان قريشا لما رجعت من بدر إلى مكة وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر لأنه قتل منهم سبعون وأسر سبعون قال أبو سفيان يامعشر

قريش لا تدعوا نساءكم تبكين على قتلاكم فإن الدمعة اذا خرجت اذهبت الحزن والعداوة لمحمد فلما غزوا رسول الله (ص) يوم أحد اذنوا لنسائهم في البكاء والنوح وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف فارس والني راجل واخرجوا معهم النساء فلما بلغ رسول الله (ص) ذلك جمع اصحابه وحثهم على الجهاد فقال عبد الله ابن ابي سلول يا رسول الله لا نخرج من المدينة حتى نقاتل في أزقتها فنقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والأمة على افواه السكك وعلى السطوح فما ارادها قوم قط فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودروبنا وما خرجنا الى عدولنا قط إلا كان الظفر لهم علينا فقام سعيد بن معاذ وغيره من الاوس فقالوا يا رسول الله ما طمع فينا احد من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام فكيف يطعمون فينا وانت فينا لا حتى نخرج اليهم فنقاتلهم فمن قتل منا كان شهيداً ومن نجا منا كان قد جاهد في سبيل الله فقبل رسول الله رأيه وخرج مع نفر من اصحابه يتبوؤن موضع القتال كما قال تعالى واذ غدوت من اهلك الآية وقعد عنه عبد الله بن ابي سلول وجماعة من الخزرج اتبعوا رأيه ووافقت قريش الى احد وكان رسول الله عباً اصحابه وكانوا سبع مائة رجل ووضع عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب واشفق ان يأتي كمينهم من ذلك المكان فقال لعبد الله بن جبير واصحابه ان رايتمونا قد هزمناهم حتى ادخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان وان رايتموهم قد هزمونا حتى ادخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مرا كزكم ووضع ابو سفيان خالد ابن الوليد في مائتي فارس كميناً وقال اذا رايتمونا قد اختلفنا فاجروا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا وراهم وعباً رسول الله اصحابه ودفع الراية الى امير المؤمنين (ع) وحمل الأنصار على مشركي قريش فانهزموا هزيمة قبيحة ووضع اصحاب رسول الله (ص) في سوادهم وانخط خالد بن الوليد في مائتي فارس على عبد الله بن جبير فاستقبلوهم بالسهام فرجع ونظر اصحاب عبد الله بن جبير الى اصحاب رسول الله (ص) ينتهبون سواد القوم فقالوا لعبد الله بن جبير قد غنم اصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمة فقال لهم عبد الله اتقوا الله فإن رسول الله (ص) قد تقدم اليها ان لا نبرح فلم يقبلوا منه واقبلوا ينسل رجل فرجل حتى اخلوا مرا كزهم وبقي عبد الله بن جبير في اثني عشر رجلاً وكانت راية قريش مع طلحة بن ابي طلحة العبدي من بني عبد الدار فقتله علي (ع) واخذ الراية ابو سعيد بن ابي طلحة فقتله علي وسقطت الراية فأخذها مسافع بن ابي طلحة فقتله علي حتى قتل تسعة نفر من بني عبد الدار حتى صار لواهم الى عبد له اسود يقال له ثواب فاتهم اليه علي (ع) فقطع يده اليمنى فأخذ اللواء باليسرى فضرب يسراه فقطعها فاعنتها بالجذماوين الى صدره ثم التفت الى ابي سفيان فقال هل غدرت في بني عبد الدار فضربه علي على رأسه فقتله وسقط اللواء فأخذتها غمرة بنت علقمة الكنانية فرفعتها وانخط خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير وقد فر اصحابه وبقي في نفر قليل فقتلهم على باب الشعب ثم أتى المسلمين من ادبارهم ونظرت قريش في هزيمتها الى الراية قد رفعت فلاذوا بها وانهزم اصحاب رسول الله هزيمة عظيمة واقبلوا يصعدون في الجبال وفي كل وجه فلما رأى رسول الله الهزيمة كشف البيضة عن رأسه وقال ايلي انا رسول الله ايلي ابن نفرون عن الله تعالى وعن رسوله وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر فكما انهزم رجل من قريش دفعت اليه ميلاً ومكحلة وقالت انما انت امرأة فاكتحل بهذا وكان حمزة بن عبد المطلب يعمل على القوم فاذا راوه انهزموا ولم يشب له احد وكان هند قد اعطت وحشياً عهداً لئن قتلت محمداً او علياً او حمزة لا اعطيتك كذا وكذا وكان وحشي عبداً لجبير بن

مطعم حبشيا فقال وحشي اما محمد فلم اقدر عليه واما علي فرأيته حذرا كثير الالتفات فلا مطعم فيه فكمنت
لحزة فرأته يهد الناس هداه فري فوطى على جرف نهر فسقط واخذت حربتي فهزتها ورميته بها فوقعت
في خاصرته وخرجت من ثنته فسقط فأتته فشقت بطنه واخذت كبده وجئت به الى هند فقلت هذه كبد
حزة فأخذتها في فما فلا كتبها فجعله الله في فما مثل الداعضة وهي عظم رأس الركة فلفظتها ورمت بها
فقال رسول الله (ص) فبعث الله ملكا فحملة ورده الى موضعه قال فجاءت اليه فقطعت مذا كبره وقطعت
أذنيه وقطعت يده ورجله ولم يبق مع رسول الله إلا ابو دجانه وساك بن خرشة وعلي فكلما حملت طائفة علي
رسول الله (ص) استقبلهم علي فدفعهم عنه حتى تقطع سيفه فدفع اليه رسول الله (ص) سيفه ذو الفقار وانحاز
رسول الله (ص) الى ناحية احد فوقف وكان القتال من وجه واحد فلم يزل علي (ع) يقاتلهم حتى اصابه
في رأسه ووجهه وبديه وبطنه ورجليه سبعون جراحة كذا اورده علي بن ابراهيم في تفسيره فقال جبرائيل
ان هذه هي المواساة يا محمد فقال محمد انه مني وانا منه فقال جبرائيل وانا منك قال ابو عبد الله نظر رسول
الله (ص) الى جبرائيل بين السماء والارض على كرسي من ذهب وهو يقول لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى
الا علي وروى ابن ابي اسحاق والسدي والواقدي وابن جرير وغيرهم قالوا كان المشركون نزلوا بأحد يوم
الاربعاء في شوال سنة ثلاث من الهجرة وخرج رسول الله اليهم يوم الجمعة وكان القتال يوم السبت للنصف
من الشهر وكسرت ربيعة رسول الله (ص) وشج في وجهه ثم رجع المهاجرون والانصار بعد الهزيمة وقد قتل
من المسلمين سبعون وشد رسول الله بن معه حتى كشفهم وكان الكفار مثلوا بجماعة وكان حزة اعظم
مثلة وضربت يد طلحة فشلت وسعد بن ابي وقاص كان يرمي بين يديه وهو (ع) يقول ارم فداك ابي وأمي

- [النظم] -

لما امر تعالى بالصبر في قوله وان تصبروا وتتقوا عقبه بنصرة المسلمين يوم بدر وصبرهم على القتال ثم
ذكر امتحانهم يوم احد لما تركوا الصبر وقيل نظمه وان تصبروا ينصركم كما نصركم يوم بدر وان لم تصبروا
نزل بكم ما نزل يوم احد حيث خالفتم امر رسول الله (ص) وذكروا ابو مسلم انه منصل بقوله قد كان لكم آية
في فتبين كما تقدم ذكره

قوله تعالى (١٢٣) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
(١٢٤) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَ كُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ
(١٢٥) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُبَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٦) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا
النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (اربع آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر منزليين مشددة الزاي وقرأ الآخرون منزليين مخففة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم
مسموئين بكسر الواو وقرأ الباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ منزليين بالتخفيف قوله وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا ولأن الانزال يعمر التنزيل وغيره وحجة ابن عامر ما أنزل الملائكة وتنزل الملائكة والروح فيها لأن تنزل مطاوع نزل ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة فقال ابو الحسن من قرأ مسومين بالكسر فلا أنهم سوموا الخيل ومن قرأ مسومين فلا أنهم سوموا وقال مسومين معلمين ويكون مرسلين من سوم الخيل إذا أرسلها ومنه السائمة وقال علي بن عيسى ان اختيار الكسر لتظاهر الأخبار بأنهم سوموا خيلهم بعلمة وقال رسول الله (ص) سوموا فإن الملائكة قدسومت

= [اللغة] =

بدر ما بين مكة والمدينة وقال الشعبي سمي بدر لأن هناك ماء لرجل يسمى بدر فسمي الموضع باسم صاحبه وقال الواقدي هو اسم للموضع وكل شي تم فهو بدر وسمي بدر السماء بدر تلمه وامتلانه وعين بدرة ممتلئة يقال استكفيتها الامر فكفاني وكفاك هذا الامر اي حسبك والفرق بين الاكفاء والاستغناء ان الاكفاء هو الاقتصار على ما ينفي الحاجة والاستغناء الاتساع فيما ينفي الحاجة والإمداد هو اعطاء الشيء حالا بعد حال والمد في السير هو الاستمرار عليه وامتد بهم السير اذا طال واستمر وامتدت الجيش بمدد وامتد الجرح فهو بمدد اذا صارت فيه المدة ومد النهر إذا جرى يقال مد النهر ومدته نهر آخر ويقال مدته في الشر وامتد في الخير واصل الفور فور القدر فهو غليانها عند شدة الحمى ومنه فورة الغضب لانه كفور القدر ومنه فارت العين بالماء اذا جاشت به ومنه الفواره لأنها تفور بالماء كما تفور القدر بما فيها ومنه جاء على الفور أي على ابتداء الحمى قبل ان تبرد عنه نفسه وقيل الفور القصد الى الشيء بحدة

﴿ الإعراب ﴾

وانتم اذلة في موضع نصب على الحال وان يدكم ربكم في موضع رفع بانه فاعل الن يكفيكم امدادكم وقوله من فورهم هذا في موضع جز صفة لفورهم وقوله وتطمئن قلوبكم به معطوف على قوله بشري لكم لأن تقديره تبشروا به وتطمئن

﴿ المعنى ﴾

ثم بين الله تعالى ما فعله بهم من النصر يوم بدر فقال (ولقد نصركم الله ايها المؤمنون) بيدروا بتقوية قلوبكم وبما امدكم به من الملائكة وباللقاء الرعب في قلوب اعدائكم (وانتم اذلة) اي ضعفاء عن المقاومة قليلو العدد قليلو العدة جمع ذليل وروي عن ابن عباس انه قال كان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلا والانصار مائتين وستة وثلاثين رجلا الجميع ثلاثمائة وثلاث عشر رجلا وكان المشركون نحو من الف رجل وروي عن بعض الصادقين انه قرأ وانتم ضعفاء وقال لا يجوز وصفهم بأنهم اذلة وفيهم رسول الله (ص) وكان صاحب راية رسول الله يوم بدر امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) وصاحب راية الانصار سعد بن عباد وقيل سعد بن معاذ (فاتقوا الله) اي اجتنبوا معاصيه واعملوا بطاعته (لعلمكم تشكرون) اي لتقوموا بشكر نعمته (اذ تقول) خطاب للنبي (ص) اي اذ تقول يا محمد للمؤمنين من اصحابك (ان يكفيكم ان يدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة) هو اخبار بأن النبي (ص) قال لقومه ان يكفيكم يوم بدر ان جعل ربكم ثلاثة آلاف من الملائكة مددا لكم قال ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم ان الإمداد بالملائكة كان يوم بدر وقال ابن عباس لم تقا تل الملائكة الا يوم بدر وكانوا في غيره من الايام عدة ومددا وقال الحسن كان جميعهم خمسة آلاف فمعناه يدكم ربكم بتمام خمسة آلاف وقال غيره كانوا ثمانية آلاف فمعناه خمسة آلاف اخر وقيل

ان الوعد بالإمداد بالملائكة كان يوم احد وعدهم الله المدد ان صبروا عن عكرمة والضحاك (مزيلين) انزلهم الله من السماء الى الارض لنصرتكم (بلى) تصديق للوعد اي يفعل كما وعدكم ويزيدكم (ان تصبروا) معناه ان صبرتم على الجهاد وعلى ما امركم الله (تعالى) (وتتقوا) معاصي الله ومخالفة رسوله (ص) (وياأتوكم) يعني المشركين ان رجعوا اليكم (من فورهم هذا) اي من وجههم هذا عن ابن عباس والحسن وقتادة والربيع والسدي على هذا فإنها هو من فور الابتدار لهم وهو ابتداؤهم وقيل معناه من غضبهم هذا عن مجاهد والبي صالح والضحاك وكانوا قد غضبوا يوم احد ليوم بدر بما لقوا فهو من فور الغضب وهو غليانه (يمدكم بنجمة آلاف من الملائكة) اي يعطكم مددا لكم ونصرة وانما قال ذلك لأن الكفار في غزوة احد ندموا بعد انصرفهم لم يعبروا المدينة وغموا بالرجوع فأوحى الله الى نبيه (ص) ان يأمر أصحابه بالتهي للرجوع اليهم وقال لهم ان يسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ثم قال ان صبرتم على الجهاد وراجعتكم الكفار امدكم الله بنجمة آلاف من الملائكة مسومين واخذوا في الجهاد وخرجوا يتبعون الكفار على ما كان بهم من الجراح فاخبر المشركين من مر برسول الله انه خرج يتبعكم فخاف المشركون ان رجعوا ان تكون الغلبة للمسلمين وان يكون قد التام اليهم من كان تأخر عنهم وانضم اليهم غيرهم ففسر انعيم بن مسعود الاشجعي حتى يصددهم بتعظيم امر قريش واسرعوا في الذهاب الى مكة وكفى الله المسلمين امرهم والقصة معروفة ولذلك قال قوم من المفسرين ان جميعهم ثمانية آلاف وقال الحسن خمسة آلاف جميعهم منهم ثلاثة آلاف المزلين على ان الظاهر يقتضي ان الإمداد بثلاثة آلاف كان يوم بدر لأن قوله اذ تقول للمؤمنين الآية يتعلق بقوله ولقد نصركم بيدر الآية ثم استأنف حكم يوم احد فقال بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا اي ان يرجعوا اليكم بعد انصرفهم امدكم ربكم بنجمة آلاف من الملائكة مسومين وهذا قول البلخي رواه عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال لم يدعوا يوم احد ولا بلك واحد وعلى هذا فلا تنافي بين الآيتين فمتى يسأل كيف لم يمدوا بالملائكة في سائر الحروب فالجواب ان ذلك تابع المصلحة فإذا علم الله في إمدادهم المصلحة امددهم وقوله (مسومين) بالكسر اي معلمين اعلموا انفسهم ومسومين بالفتح سومهم الله اي اعلمهم قال ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم كانوا اعلموا بالصوف في نواصي الخيل واذنابها وقال عروة نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلق وعليهم عمائم صفر وقال علي وابن عباس كانت عليهم عمائم بيض وارسلوا اذنابها بين اكتافهم قال السدي معنى مسومين بالفتح مرسلين من الناقة السائمة الى المرسل في المرعى (وما جعله الله الا بشري لكم) اي وما جعل الله الإمداد والوعد به فالهاء عائدة على غير المذكور باسمه وهو معلوم بدلالته عليه لأن يمدد يدل على الإمداد وبشري لكم اي بشارة لكم لتستبشروا به ولتطمئن قلوبكم به اي واتسكن قلوبكم فلا تخافوا كثرة عدد العدو وقلة عددكم (وما النصر) أي وما المعونة (الامن عند الله) ومعناه ان الحاجة الى الله تعالى لازمة في المعونة وان امدكم بالملائكة فلا استغناء لكم عن معونة طرفه عين في تقوية قلوبكم وخذلان عدوكم بضعف قلوبهم الى غير ذلك وقيل ان معناه وما هذا النصر الا بالإمداد الملائكة الا من عند الله (العزير) اي القادر على انتقامه من الكفار بايدي المؤمنين (الحكيم) في تدبيره للمؤمنين العالمين وانما قال ذلك ليعلمهم ان حربهم للمشركين انما هو لاوعاز الدين وقيل العزيز المنيع باقتداره والحكيم في تدبيره للخلق

فصل وجيز في ذكر مغازي رسول الله (ص)

قال المفسرون جميع ما غزا رسول الله بنفسه ستة وعشرون غزاة وأول غزاة غزاها غزوة الايوا. ثم غزوة بواط ثم غزوة العشيرة ثم غزوة بدر الاولى ثم غزوة بدر الكبرى ثم غزوة بني سليم ثم غزوة سويق ثم غزوة ذي مر ثم غزوة احد ثم غزوة الاسد ثم غزوة بني النضير ثم غزوة ذات الرقاع ثم غزوة بدر الاخيرة ثم غزوة

دومة الجندل ثم غزوة بني قريظة ثم غزوة بني لحيان ثم غزوة بني قرد ثم غزوة بني المصطلق ثم غزوة الحديبية ثم غزوة خيبر ثم غزوة الفتح فتح مكة ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك قاتل منها في تسع غزاة غزوة بدر الكبرى وهو يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة واحد من شوال سنة ثلاث من الهجرة والخندق وبني قريظة في شوال سنة اربع وبني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس وخيبر سنة ست والفتح في رمضان ثمان وخيبر والطائف في شوال سنة ثمان فاول غزوة غزاها بنفسه فقاتل فيها بدر وآخرها تبوك واما عدد سراياه فستة وثلاثون سرية على ما عد في مواضعه

قوله تعالى (١٢٧) لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْتُمِبَهُمْ فَيَنْقَلِبُواْ خَائِبِينَ
(١٢٨) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (آيتان)

— (اللغة) —

الكبت الحزى وهو مصدر كبت الله العدو أي اخزاه واذله وقال الخليل الكبت صرع الشيء على وجهه كبتهم الله فانكبتوا وحقيقة الكبت شدة الوهن الذي يقع في القلب وربما صرع الانسان لوجهه للغور الذي يدخله والخائب المنقطع عما امل ولا يكون الحية الا بعد الامل لأنها امتناع نيل ما امل والياس قد يكون قبل الأمل وقد يكون بعده والياس والرجاء نقيضان يتعاقبان كتعاقب الحية والظفر

﴿ الإعراب ﴾

نصب او يتوب عليهم على وجهين احدهما ان يكون عطفا على ليقطع ويكون قوله ليس لك من الامر شيئا اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فافهم ذلك وعمرا والآخر ان يكون او بمعنى الا ان فكأنه قال ليس لك من الامر شيئا الا ان يتوب الله عليهم او يعذبهم فيكون امرك تابعا لأمر الله لرضاك بتدبيره فيهم

﴿ المعنى ﴾

(ليقطع طرفا من الذين كفروا) اختلف في وجه اتصاله بما قبله فقيل يتصل بقوله (وما النصر الا من عند الله) ومعناه اعطاكم الله هذا النصر وخصكم به ليقطع طائفة من الذين كفروا بالأسر والقتل وقيل هو متصل بقوله ولقد نصركم الله ببدر اي واعد نصركم الله ببدر ليقطع طرفا وقيل معناه ذلك التدبير ليقطع طرفا اي قطعة منهم والمعنى ليهلك طائفة منهم وقيل ليهدم ركننا من اركان الشرك بالقتل والاسر واما اليوم الذي قطع الله فيه الطرف من الذين كفروا فيوم بدر قتل فيه صناديدهم وروساهم وقادتهم الى الكفر في قول الحسن والربيع وقتادة وقيل هو يوم احد قتل فيه منهم ثمانية عشر رجلا وانما قال ليقطع طرفا منهم ولم يقل ليقطع وسطا منهم لانه لا يوصل الى الوسط منهم الا بقطع الطرف ولأن الطرف اقرب الى المؤمنين فهو كما قال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار (او يكبتهم) معناه او يحزبهم بالحية مما املوا من الظفر بكم عن قتادة والربيع وقيل معناه يردهم عنكم منهزمين عن الجبابي والكليبي وقيل بصرعهم الله على وجوههم وقيل يظفركم عليهم عن المبرد وقيل يلعنهم عن السدي وقيل يهلكهم عن ابي عبيدة فينقلبوا (خائبين) لم ينالوا مما املوا شيئا (ليس لك من الامر شيئا) قيل هو متصل بقوله وما النصر الا من عند الله فيكون معناه نصركم الله ليقطع طرفا منها ويكبتهم وليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شيئا عن ابي مسلم وقيل انه اعتراض بين الكلامين وقوله او يتوب عليهم متصل بقوله ليقطع طرفا فيكون التقدير ليقطع طرفا منهم او يكبتهم او يتوب عليهم

او يعذبهم فإنهم قد استحقوا العذاب وليس لك اي ليس لك من هذه الاربعة شي وذلك الى الله تعالى واختلف في سبب نزوله فروي عن انس بن مالك وابن عباس والحسن وقتادة والربيع انه لما كان من المشركين يوم احد ما كان من كسر رباعية الرسول وشجه حتى جرت الدماء على وجهه قال كيف يفاح قوم نالوا هذا من نبهم (ص) وهو مع ذلك حريص على دعائهم الى ربهم فاعلمه الله انه ليس اليه فلاحهم وانه ليس اليه الا ان يبلغ الرسالة ويجاهد حتى يظهر الدين وإنما ذلك الى الله تعالى وكان الذي كسر رباعيته وشجه في وجهه عتبة بن ابي وقاص فدعا عليه بأن لا يحول عليه الحول حتى يموت كافراً فمات كافراً قبل ان يحول الحول وادعى وجهه رجل من هذيل يقال له عبد الله بن قية فدعا عليه فكان حنفة ان ساط الله عليه تيساً فنطحه حتى قتله وروي انه كان يسح الدم على وجهه ويقول اللهم اهد قومي فإنيهم لا يعلمون فعلى هذا يمكن ان يكون على وجل من عنادهم واصرارهم على الكفر فاخبره تعالى انه ليس اليه الا ما امر به من تبليغ الرسالة ودعائهم الى الهدى وذلك مثل قوله فالعلك باع نفسك الا يكونوا مومنين وقيل انه استأذن ربه في يوم احد في الدعاء عليهم فنزلت الآية فلم يدع عليهم بعذاب الاستيصال وانما لم يؤذن له فيه لما كان في المعلوم من توبة بعض عن ابي علي الجبائي وقيل اراد رسول الله (ص) ان يدعوا على المنهزمين عنه من اصحابه يوم احد فنهاه الله عن ذلك وناب عليهم ونزلت الآية ليس لك من الأمر شي اي ليس لك ان تلعنهم وتدعو عليهم عن عبد الله بن مسعود وقيل لما رأى رسول الله (ص) والمسلمون ما فعل باصحابه وبعمه حمزة من المثلة من جدد الانوف والآذان وقطع المذاكير قالوا لئن ادانا الله منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا بنا ولنمثلن بهم مثله لم يمثها احد من العرب باحد قط فنزلت الآية عن محمد بن اسحاق والشعبي وقيل نزلت في اهل بئر معونة وهم سبعون رجلاً من قراء اصحاب رسول الله واميرهم المنذر بن عمرو بعثهم رسول الله (ص) الى بئر معونة في صفر سنة اربع من الهجرة على رأس اربعة اشهر من احد ليعلموا الناس القرآن والعلم فقتلهم جميعاً عامر بن الطفيل وكان فيهم عامر بن فهيرة مولى أبي بكر فوجد رسول الله (ص) من ذلك وجداً شديداً وقتت عليهم شهراً فنزل ليس لك من الأمر شي عن مقاتل والاصح انها نزلت في احد لأن اكثر العلماء عليه ويقتضيه سياق الكلام وانما قال ليس لك من الأمر شي مع ان له (ص) ان يدعوهم الى الله ويؤدي اليهم بتبليغهم لأن معناه ليس لك شي من امر عقابهم واستيصالهم او الدعاء عليهم او لعنهم حتى تقع انابتهم فجاء الكلام على الایجاز لأن المعنى مفهوم لدلالة الكلام عليه وايضا فانه لا يعتد بما له (ص) في تدبيرهم مع تدبير الله لهم فكانه قال ليس لك من الأمر شي على وجه من الوجوه وقوله (او يتوب عليهم) قيل في معناه وجهاً احدهما او يلطف لهم بما يقع معه توبتهم فيتوب عليهم بلطفه لهم والاخر او يقبل توبتهم اذا تابوا كقوله غافر الذنب وقابل التوب ولا يصح هذه الصفة الا لله تعالى لأنه يملك الجزاء بالثواب والعقاب (او يعذبهم) اي يعذبهم الله تعالى ان لم يتوبوا (فإنهم ظالمون) اي مستحقون للعذاب بظلمهم وفي هذه الآية دلالة على ان ما يتعلق بالنصر والظفر وقبول التوبة والتعذيب فإنما هو الى الله وليس للنبي (ص) من ذلك شي وانما اليه الهداية والدعاء فكانه قال لا ترفع عنهم السيف الى ان يتوبوا فيتوب عليهم أو يقوموا على كفرهم فيعذبهم بظلمهم

قوله تعالى (١٢٩) وَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ
مَن يَشَاءُ وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ (آية)

اللغة

انما ذكر لفظ ما لأنها اعم من من فإنها تتناول ما يعقل وما لا يعقل لانها تفيد الجنس ولو قال من في السموات لم يدخل فيه الا العقلاء إلا ان يحتمل على التعليل وذلك ليس بحقيقة

* المعنى *

لما قال تعالى ليس لك من الامر شيء عقب ذلك بأن الامر كله له فقال (والله ما في السماوات وما في الارض) ملكا وملكا وخلقا واقتدارا على الجميع يصرفهم كيف يشاء. ويجادا وافناء. واعادة (يغفر لمن يشاء) من المؤمنين ذنوبهم فلا يؤاخذهم بها ولا يعاقبهم عليها رحمة منه فضلا (ويعذب من يشاء) اي ويعذب الكافرين ومن يشاء من مذنبي المؤمنين ان مات قبل التوبة عدلا ويدل عليه مفسرا قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. ولولا ذلك لكتنا نجوز العفو على الجميع عقلا وقيل انما ابهم الله الأمر بالتعذيب والمغفرة فلم يبين من يغفر له ومن يشاء تعذيبه ليقف المكلف بين الخوف والرجاء فلا يأمن من عذاب الله تعالى ولا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون ويلتفت الى هذا قول الصادق لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا وقيل لتعلق الغفران او العذاب بالمشيئة لأن المشيئة مطابقة للحكمة فلا يشاء الا ما تقتضي الحكمة مشيئة وسئل بعضهم كيف يعذب الله عباده بالأجرام مع سعة رحمته فقال رحمته لاتغلب حكمته إذ لا تكون رحمته بركة القلب كما تكون الرحمة منا وعن ابن عباس قال معنى الآية يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ممن لم يتب

قوله تعالى (١٣٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣١) وَآتَقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣٢) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (ثلاث آيات)

* المعنى *

لما ذكر سبحانه ان له التعذيب لمن يشاء والمغفرة لمن يشاء وصل ذلك بالنهي عما لو فعلوا لاستحقوا عليه العذاب وهو الربا فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا) اي صدقوا الله ورسوله (لا تأكلوا الربا) ذكر الاكل لأنه معظم الانتفاع وان كان غيره من التصرفات ايضا منهيًا عنه والربا. الزيادة على اصل المال بالتأخير عن الاجل الحال وقيل هو ربا الخاهلية عن عطا ومجاهد اضعافا (مضاعفة) قيل في معناه قولان احدهما ان يضاعف بالتأخير اجلا بعد اجل كلما اخر عن اجل الى غيره زيد زيادة على المال والثاني معناه تضاعفون به اموالكم ويدخل فيه كل زيادة محرمة في المعاملة من جهة المضاعفة ووجه تحريم الربا هو المصلحة التي علمها الله وذكر فيه وجوه على وجه التقريب منها انه للفصل بينه وبين البيع ومنها انه يدعو الى العدل ويحض عليه ومنها انه يدعو الى مكارم الاخلاق بالاقراض وانظار المعسر من غير زيادة وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وانا اعاد تحريم الربا مع ما سبق ذكره في سورة البقرة لأمرين احدهما التصريح بالنهي عنه بعد الاخبار بتحريمه لما في ذلك من تصريف الخطر له وسددة التحذير منه والثاني لتأكيد النهي عن هذا الضرب منه الذي يجري على الاضعاف والمضاعفة (واتقوا الله) اي اتقوا معاصيه وقيل اتقوا عقابه بترك معاصيه (لعلكم تفلحون) لكي تنجحوا بادراك ما تاملونه وتفوزوا بشواب الجنة (واتقوا النار) اي اتقوا الافعال الموجبة لدخول النار التي (أعدت للكافرين) أي هيئت وانحنت للكافرين والوجه في تخصيص الكفار باعداد النار لهم انهم معظم أهل النار فهم العمدة في اعداد النار لهم وغيرهم من الفاسقين يدخلونها على وجه التبعية فهو كقولهم أعدت للمتقين ومعلوم انه قد يدخلها غير المتقين من الاطفال والمجانين وقال الحسن تخصيص الكفار باعداد النار لهم لا يمنع من مشاركة غيرهم اياهم كما ان تخصيص المرتدين باعداد الوجوه لا يمنع من مشاركة سائر الكفار اياهم ومثله في القرآن كثير والاصل ان تخصيص الشيء بالذكر

لا يدل على ان ما عده بخلافه (واطيعوا الله) فيما امركم به واطيعوا الرسول فيما شرع لكم (لعلكم ترحمون) اي لكي ترحموا فلا يعذبكم ومما يسأل على هذا ان يقال اذا كانت طاعة الرسول طاعة الله فما وجه التكرار فالجواب عنه شيان ﴿ احدهما ﴾ ان المقصد بها طاعة الرسول فيادعا اليه مع القصد بطاعة الله ﴿ والثاني ﴾ انما قال ذلك ليعلم ان من اطاعه فيما دعا اليه فهو كمن اطاع الله فيسارع إلى ذلك بأمر الله

« النظم »

وقد قيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها قولان ﴿ احدهما ﴾ الاتصال الامر بالطاعة بالنهي عن اكل الربا فكانه قال واطيعوا الله فيما نهاكم عنه من اكل الربا وغيره ﴿ والثاني ﴾ ما قاله محمد بن اسحاق بن يسار انه معاتبه للذين عصوا رسول الله لما امرهم به يوم احد من لزوم مراكزهم فخالفوا واشتغلوا بالنعيمه وكان ذلك سبب هزيمة اصحاب رسول الله (ص)

قوله تعالى (١٣٣) وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين (١٣٤) الذين ينفقون أموالهم في السرار والضرار والكاذمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين (آيتان)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة والشام سارع بغير واو وكذلك هو في مصاحفهم والباقون بالواو وكذلك هو في مصاحف مكة والعراق

﴿ الحجة ﴾

والفرق بينهما استئناف الكلام إذا كان بغير واو ووصلها بما تقدم إذا قرئ بواو لأنه يكون عطفا على ما تقدم ويجوز أيضاً ترك الواو لأن الجملة الثانية ملتبسة بالأولى مستغنية بذلك عن عطفها بالواو كما جاء في التنزيل ثلاثة رابعهم كلهم وقال سبعة وثامنهم كلهم

﴿ اللغة ﴾

اصل الكظم شد رأس القربة عن ملتها تقول كظمت القربة اذا ملاتها ماء ثم شددت رأسها وفلان كظم ومكظوم إذا كان ممتلئاً حزناً وكذلك إذا كان ممتلئاً غضباً لم ينتقم وكظم البعير إذا لم يجرد الكظامة القنائة التي تجري تحت الارض سميت بذلك لامتلأها تحت الأرض وفي غريب الحديث لأبي عبيدة عن اوس بن ابي اوس انه رأى النبي (ص) اتى كظامة قوم فترواً ومسح على قدميه ويقال أخذ بكظمه اي مجرى نفسه لأنه موضع الامتلاء بالنفس والفرق بين الغيظ والغضب ان الغضب ضد الرضا وهو ارادة العقاب المستحق بالمعاصي ولعنه وليس كذلك الغيظ لأنه هيجان الطبع بكثرة ما يكون من المعاصي ولذلك يقال غضب الله على الكفار ولا يقال اغتاظ منهم

(المعنى) -

لما حذر الله تعالى عن الأفعال الموجبة للعقاب عقبه بالحث على الأفعال الموجبة للثواب فقال (وسارعوا) اي بادروا (إلى مغفرة من ربكم) باجتنباب معاصيه ومعناه إلى الأعمال التي توجب المغفرة واختلف في ذلك فقيل سارعوا إلى الإسلام عن ابن عباس وقيل إلى اداء الفرائض عن علي بن ابي طالب (ع) وقيل إلى الهجرة عن ابي العالية وقيل إلى التكبيرة الأولى عن انس بن مالك وقيل إلى اداء الطاعات عن سعيد بن جبير وقيل إلى الصلوات

الحُمس عن يمان وقيل إلى الجهاد عن الضحاك وقيل إلى التوبة عن عكرمة (وجنة) اي وإلى جنة (عرضها السهوات والأرض) واختلف في معناه على اقوال احدها ان المعنى عرضها كعرض السهوات السبع والارضين السبع إذا ضم بعض ذلك إلى بعض عن ابن عباس والحسن واختاره الجبائي والبخاري وإنما ذكر العرض بالعظم دون الطول لأنه يدل على أن الطول أعظم من العرض وليس كذلك لو ذكر الطول دون العرض ومثل الآية قوله ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ومعناه إلا كخلق وبعث نفس واحدة وقال الشاعر

كأن غدیرهم یجنوب سلمی نعمام فاق فی بلد قفار
أي غدیر نعمام وقال آخر

حسبت نعمام راحلتي عناقا وما هي ويب غيرك بالعناق

اي صوت عناق وثانيها ان معناه ثمنها لو بيعت كسمن السهوات والأرض لو بيعتا كما يقال عرضت هذا المتاع للبيع والمراد بذلك عظم مقدارها وجلالة قدرها وانه لا يساويها شيء وان عظم عن ابي مسلم الاصفهاني وهذا وجه مליح إلا أن فيه تعسفا وثالثها ان عرضها لم يرد به العرض الذي هو خلاف الطول وإنما اراد سعتها وعظمها والعرب إذا وصفت الشيء بالسعة وصفته بالعرض قال امرؤ القيس

بلاد عريضة وارض عريضة (?) مواقع غيث في فضاء عريض

وقال ذو الرمة (فاعرض في المكارم واستظلا) اي توسع فيها ويسأل فيقال إذا كانت الجنة عرضها كعرض السماء والأرض فاین تكون النار فيجوابه أنه روي ان النبي (ص) سئل عن ذلك فقال سبحان الله إذا جاء النهار فاین الليل وهذه معارضة فيها اسقاط المسألة لأن القادر على أن يذهب بالليل حيث شاء قادر على أن يخلق النهار حيث شاء ويسأل أيضاً فيقال إذا كانت الجنة في السماء فكيف يكون لها هذا العرض والجواب أنه قيل أن الجنة فوق السهوات السبع تحت العرش عن أنس بن مالك وقيل إن الجنة فوق السهوات السبع والنار تحت الأرضين السبع عن قتادة وقيل إن معنى قولهم أن الجنة في السماء أنها في ناحية السماء ووجه السماء لأن السماء تحويها ولا ينكر ان يخلق الله في العلو امثال السماوات والارضين وان صح الخبر انها في السماء الرابعة كان كما يقال في الدار بستان لاتصاله بها وكونه في ناحية منها او يشرع اليها بابها وان كان اضعاف الدار وقيل ان الله يريد في عرضها يوم القيامة فيكون المراد عرضها السهوات والارض يوم القيامة لا في الحال عن ابي بكر احمد بن علي مع تسليم انها في السماء وقوله (اعدت للمتقين) أي المطيعين لله ولرسوله لاجتنابهم المقبحات وفعلمهم الطاعات ويمجوز لاحتجازهم بالطاعة عن العقوبة وإنما اضيف للمتقين لأنهم المقصودون بها وان دخلها غيرهم من الاطفال والمجانين فعلى وجه التبعية وكذلك حكم الفساق لو عفا عنهم وقيل معناه انه لولا المتقون لما خلقت الجنة كما يقال وضعت المائدة للأمير وهذا يدل على ان الجنة مخلوقة اليوم لأنها لا تكون معدة إلا وهي مخلوقة (الذين ينفقون في السراء والضراء) صفة للمتقين وفي معنى السراء والضراء قولان ﴿ احدهما ﴾ ان معناه في اليسر والعسر عن ابن عباس اي في حال كثرة المال وقلته ﴿ والثاني ﴾ في حال السرور والاعتماد اي لا يقطعهم شيء من ذلك عن انفاق المال في وجوه البر (والكاظمين الغيظ) أي المتجرعين للغيظ عند امتلاء نفوسهم منه فلا ينتقمون ممن يدخل عليهم الضر بل يصبرون على ذلك (والعافين عن الناس) يعني الصافحين عن الناس المتجاوزين عما يجوز العفو والتجاوز عنه مما لا يؤذي إلى الاخلال بحق الله تعالى وقيل العافين عن المملوكين (والله يحب المحسنين) اي من فعل ذلك فهو محسن والله يجبه بإيجاب الثواب له ويحتمل ان يكون الإحسان شرطاً مضموماً إلى هذه الشرائط قال الثوري الإحسان ان تحسن إلى من أساء اليك فأما من احسن اليك فإنه متاجرة كنفق السوق خذ مني وهات

﴿ فصل ﴾

فأول ما عدد الله من أخلاق أهل الجنة السخاء وما يؤيد ذلك من الأخبار ما رواه انس بن مالك عن النبي (ص) انه قال السخاء شجرة في الجنة أغصانها في الدنيا من تعلق بغصن من أغصانها قادت إلى الجنة والبخل شجرة في النار اغصانها في الدنيا فمن تعلق بغصن من اغصانها قادت إلى النار وقال علي (ع) الجنة دار الأسخياء. وقال (ع) السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ثم عدّ تعالى بعد ذلك من اخلاق أهل الجنة كظم الغيظ ومما جاء فيه من الأخبار ما رواه ابوامامة قال قال رسول الله من كظم غيظه وهو قادر على انفاذه ملأه الله يوم القيامة رضا وفي خبر آخر ملأه الله يوم القيامة أمناً وإيماناً وقال أيضاً كظم الغيظ كضارب السيف في سبيل الله في وجه عدوه وملأ الله قلبه رضى وفي خبر آخر ملأ الله قلبه يوم القيامة أمناً واماناً وقال (ع) ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ثم ذكر العافين عن الناس وروى ان رسول الله (ص) قال ان هولاء في امتي قليل إلا من عصم الله وقد كانوا كثيراً في الأمم التي مضت وفي هذا دليل واضح على ان العفو عن المعاصي مرغّب فيه مندوب اليه وإن لم يكن واجباً وقال النبي (ص) ما عفا رجل عن مظلمة قط إلا زادته الله بها عزا ثم ذكر سبحانه انه يحب المحسنين والمحسن هو المنعم على غيره على وجه عار من وجوه القبح ويكون المحسن ايضاً الفاعل للأفعال الحسنة من وجوه الطاعات والقربات وروى ان جارية لعلي بن الحسين جعلت تسكب عليه الماء ليتيها للصلاة فسقط الابريق من يدها فشجه فرفع رأسه اليها فقالت له الجارية ان الله تعالى يقول والكاظمين الغيظ فقال لها قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قال قد عفا الله عنك قالت والله يحب المحسنين قال اذهبى فانت حرة لوجه الله

قوله تعالى (١٣٥) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الْإِلَهَ وَالْمُصْرُواتُ عَلَيَّ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٦) أُولَئِكَ جِزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (آيَاتان)

= [اللغة] =

اصل الفاحشة الفحش وهو الخروج الى عظيم القبح او رأي العين فيه ولذلك قيل للطويل المفرط انه لفاحش الطول وافحش فلان اذا افصح بذكر الفحش والاصرار اصله الشد من الصرة والصرشدة البرد فكانت هوارتباط الذنب بالإقامة عليه وقيل اصله الثبات على الشيء وقال الخطيمية يصف الخيل

عوابس بالشعث الكفاة إذا انتفوا غلاتها بالمحصدات اصرت (٩)

اي إذا اختاروا بقية جريها بالسياط ثبتت على جريها

﴿ الإعراب ﴾

والذين عطف على المتقين وقيل رفع على الاستئناف كأنه عطف جملة على جملة فعلى القول الأول هم فرقة واحدة وعلى القول الثاني هم فرقتان ويجوز ان يكون راجعاً الى الأولين ويكون محله رفعاً على المدح وقوله إلا الله يرتفع الله حملاً على المعنى لا على اللفظ إذ ليس قبله جحد وتقديره وهل يغفر الذنوب احد إلا الله او هل رأى احد يغفر الذنوب الا الله ومعناه لا يغفر الذنوب إلا الله لأن الاستفهام قد يقع موقوع النفي ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف وتقديره ونعم اجر العاملين اجرهم

﴿ النزول ﴾

روي أن قوما من المؤمنين قالوا يا رسول الله بنو إسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع انفك او اذنك افعل كذا فسكت رسول الله (ص) فنزلت الآية فقال الا اخبركم بخير من ذلكم وقرأ عليهم هذه الآية عن ابن مسعود وفي ذلك تسهيل لما كان قد شدد فيه على بني إسرائيل اذ جعل الاستغفار بدلا منه وقيل نزلت في نهان التمار اتته امرأة تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه وذهب بهالى بيته فضعها الى نفسه فقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم واتى النبي (ص) وذكروه ذلك فنزلت الآية عن عطاء

﴿ المعنى ﴾

(والذين إذا فعلوا فاحشة وظلموا أنفسهم) اختلفوا في الفاحشة وظلم النفس قليل الفاحشة الزنا وظلم النفس سائر المعاصي عن السدي وجابر وقيل الفاحشة الكبائر وظلم النفس الصغائر عن القاضي عبد الجبار ابن احمد الهمداني وقيل الفاحشة اسم لكل معصية ظاهرة وباطنة الا انها لا تنكاد تقع الاعلى الكبيرة عن علي بن عيسى وقيل فعلوا فاحشة فعلا وظلموا أنفسهم قولاً (ذكروا الله) اي ذكروا وعيد الله فانزجر عن المعصية واستغفروا لذنوبهم فيكون من الذكر بعد النسيان وانما مدحهم لانهم تعرضوا للذكر وقيل ذكروا الله بأن قالوا اللهم اغفر لنا ذنوبنا فاننا نأتينا نادمين عليها مقلعين عنها وقوله ومن يغفر الذنوب الا الله من لطيف فضل الله تعالى وبلغ كرمه وجزيل منته وهو الغاية في ترغيب العاصين في التوبة وطلب المغفرة والنهاية في تحسين الظن للمذنبين وتقوية رجاء المجرمين وهذا كما يقول السيد لعبداه وقد اذنب ذنباً اعتذر الي ومن يقبل عذرك سواي واذا سئل ان العباد قد يغفر بعضهم لبعض الاساءة فالجواب ان الذنوب التي يستحق عليها العقاب لا يغفرها الا الله وايضا فإنه اراد سبحانه غفران الكبائر العظام والاساءة من بعضنا الى بعض صغيرة بالاضافة اليها (ولم يصروا على ما فعلوا) اي لم يقيموا على المعصية ولم يواظبوا عليها ولم يلزموها وقال الحسن هو فعل الذنب من غير توبة وهو قريب من الاول وذلك لا يكفي ان التوبة مجرد الاستغفار مع الاصرار وذلك ان الاستغفار انما يوثر عند ترك الاصرار وقد روي عن النبي (ص) انه قال لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار يعني لا تبقى الكبيرة كبيرة مع التوبة والاستغفار ولا تبقى الصغيرة صغيرة مع الاصرار وفي تفسير ابن عباس الاصرار السكون على الذنب بترك التوبة والاستغفار منه وقوله (وهم يعلمون) يحتمل وجوهاً ﴿ احدها ﴾ ان معناه وهم يعلمون الخطيئة ذا كرين لها غير ساهين ولا ناسين لانه تعالى يغفر للعبد ما نسيه من ذنوبه وان لم يتب منه بعينه عن الجبائي والسدي ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه وهم يعلمون الحجة في انها خطيئة فاذا لم يعلموا ولا طريق له الى العلم به وكان الاثم موضوعاً عنهم كمن تزوج امة من الرضاع والنسب وهو لا يعلم به فإنه لا ياثم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد وهم يعلمون ان الله يملك مغفرة ذنوبهم عن الضحاك (او لك) اشارة الى من تقدم وصفهم من المتقين الذين ينتقون في السراء والضراء الى آخر الكلام اي هؤلاء (جزاؤهم) على اعمالهم وتوبتهم (مغفرة من ربهم) اي ستر لذنوبهم (وجنات تجري من تحتها الانهار خالدون فيها) قد مر تفسيرها في سورة البقرة (ونعم اجر العاملين) هذا يعني ما وصفه من الجنات وانواع الثواب والمغفرة

يستر الذنوب حتى يصير كأنها لم تعمل في زوال العار بها والعقوبة عليها والله تعالى متفضل بذلك لأن اسقاط العقاب عند التوبة تفضل منه واما استحقاق الثواب بالتوبة فواجب لا محالة عقلا لأنه لو لم يكن مستحقا بالتوبة لقبح تكليفه التوبة لما فيها من المشقة

- [النظم] -

قيل إن الآية اتصلت بما قبلها لأنها من صفة المتقين وقيل بل هنا فرقان بين تعالى ان الجنة للمتقين المنفقين في السراء والضراء الى آخر الآية ولمن عشر ثم تاب ولم يصر

قوله تعالى (١٣٧) قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَاسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (١٣٨) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (آيتان)

✽ اللغة ✽

السنة الطريقة المجعولة ليقضى بها ومن ذلك سنة رسول الله (ص) قال لبيد

من معشر سنت لهم آباؤهم
ولكل قوم سنة وامامها
وقال سليمان بن قتيبة

وان الأولى بالطف من آل هاشم
تأسوا فسنوا للكرام التأسيما

وأصل السنة الاستمرار في جهة يقال سن الماء إذا صبه حتى يفيض من الإناء وسن السكين بالسن إذا أمره عليه لتحديدته ومنه السن واحد الأسنان لاستمرارها على منهاج والسنان لاستمرار الطعن به والسنن استمرار الطريق والعاقبة ما يؤدي إليها السبب المتقدم وليس كذلك الآخرة لأنه قد كان يمكن أن تجعل هي الأولى في العدة والموعظة ما يدين القلب ويدعو إلى التمسك بما فيه من الزجر عن القبيح والدعاء إلى الجميل وقيل الموعظة هو ما يدعو بالرغبة والرغبة إلى الحسنه بدلا من السيئة

✽ المعنى ✽

لما بين سبحانه ما يفعله بالمؤمن والكافر في الدنيا والآخرة بين ان ذلك عادته في خلقه فقال (قد خلت) أي قد مضت (من قبلكم) يا اصحاب محمد (ص) وقيل هو خطاب لمن انهزم يوم أحد (سنن من الله) في الأمم السالفة إذا كذبوا رسله وجحدوا نبوتهم بالاستيصال وتبعية آثارهم في الديار للاعتبار والاتعاظ عن الحسن وابن اسحاق وقيل سنن أي أمثال عن ابن زهد وقيل سنن أم والسنة الامة عن المفضل وقال الشاعر

ما عاين الناس من فضل كفضلكم
ولا رأوا مثلكم في سالف السنن

وقيل معناه أهل سنن وقيل معناه قد مضت لكل أمة سنة ومنهاج إذا اتبعوها رضي الله عنهم عن الكلبي (فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أي تعرفوا أخبار المكذبين وما نزل بهم لتعظوا بذلك وتنتهوا عن مثل ما فعلوه ولا تسلكوا في التكذيب والانكار طريقهم فيحل بكم من العذاب ما حل بهم وأراد بالمكذبين الجاحدين للبعث والنشور والثواب والعقاب جازاهم الله تعالى في الدنيا بعذاب الاستيصال وفي الآخرة باليم العذاب وعظيم النكال (هذا) إشارة إلى القرآن (بيان للناس) أي دلالة

وحجة لهم كافة عن الحسن وقتادة وقيل إشارة إلى ما تقدم من قوله قد خلت من قبلكم سنن أي هذا الذي عرفتمكم بيان للناس عن ابن أبي اسحاق واختاره البلخي والطبري (وهدي) قال علي بن عيسى الفرق بين البيان والهدى ان البيان اظهار المعنى للغير كأننا ما كان والهدى بيان لطريق الرشد ليسلك دون طريق النقي (وموعظة للمتقين) وإنما خص المتقين به مع كونه بياناً وهدى وموعظة للناس كافة لأن المتقين هم المستفعمون به والمهتدون بهداه والمتعظون بمواعظه

قوله تعالى (١٣٩) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
(١٤٠) إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوَاهَا بَيْنَ النَّاسِ
وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (آيتان)

-(القراة)-

قرأ أهل الكوفة غير حفص قرح بضم القاف فيهما وكذلك قوله من بعد ما أصابهم القرح والباقون بفتح القاف

-(الحجة)-

قال ابو علي قرح وقرح مثل ضعف وضعف والكره والكره والدف والدف والشهد والشهد قال ابو الحسين قرح يقرح قرحاً وقرحاً فهذا يدل على انها مصدران ومن قال ان القرح الجراحات باعابانها والقرح ألم الجراحات قبل ذلك منه إذا أتى فيه برواية لأن ذلك مما لا يعلم بالقياس

✽ اللغة ✽

الوهن الضعف والوهن والموهن ساعة تمضي في الليل الأعلون واحده الأعلى وموتته العليا وجمعه العليات والعلى والفرق بين المس والمس ان المس لصوق بإحساس والمس لصوق فقط والدولة الكرة لفرق بنيل المراد وادال الله فلانا من فلان إذا جعل الكرة له عليه وتداول القوم الشيء إذا صار من بعضهم إلى بعض وضم الدال في الدولة وفتحها لغتان وقيل الضم في المال والفتح في الحرب

-(الإعراب)-

وأنتم الأعلون جملة في موضع الحال كأنه قال لا تحزنوا عالين أي منصورين على الأعداء ويحتمل أن يكون لاموضعها في الإعراب لأنها اعتراض بوعده مؤكداً وتقديره ولا تهنوا ولا تحزنوا إن كنتم مؤمنين وأنتم الأعلون مع ذلك وقوله ليعلم الله العامل في اللام محذوف يدل عليه أول الكلام وتقديره وليعلم الله الذين آمنوا تداولها ويجوز أن يعمل فيه نداولها الذي في اللفظ وتقديره نداولها بين الناس بضروب من التدبير وليعلم الله الذين آمنوا

✽ النزول ✽

قيل نزلت الآية تسلية للمؤمنين لما نالهم يوم أحد من القتل والجراح عن الزهري وقتادة وابن أبي نجیح وقيل لما انهزم المسلمون في الشعب وأقبل خالد بن الوليد بجيحه من المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال

النبي اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا إلا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البداة إلا هو لا اله الا هو فأنزل الله تعالى الآية وثاب نفر رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله وأنتم الأعلون عن ابن عباس وقيل نزلت الآية بعد يوم أحد حين أمر رسول الله (ص) اصحابه بطلب القوم وقد أصابهم من الجراح ما أصابهم وقال (ص) لا يخرج إلا من شهد معنا بالأمس فاشتد ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية عن الكاظمي ودليله قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم الآية

= [المعنى] =

ثم حث الله تعالى المسلمين على النجدة ونهاهم عن الوهن والحزن ووعدهم الغلبة في الحال وحسن العاقبة في المآل فقال (لا تهنوا) أي لا تضعفوا عن قتال عدوكم ولا تحزنوا بما يصيبكم في أموالكم وأبدانكم وقيل لا تضعفوا بما نالكم من الجراح (ولا تحزنوا) على ما نالكم من المصائب بقتل الاخوان وقيل لا تهنوا بما نالكم من الهزيمة ولا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة (وأنتم الأعلون) أي الظافرون المنصورون الغالبون عليهم في العاقبة وقيل أراد وأنتم الأعلون في المكان (إن كنتم مؤمنين) معناه ان من كان مؤمنا يجب أن لا يهن ولا يحزن لثقتة بالله ويحتمل أن يكون معناه إن كنتم مصدقين بوعدني لكم بالنصرة والظفر على عدوكم فلا تهنوا ولا تحزنوا ثم أخذ سبحانه في تسلية المؤمنين فقال (إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) معناه إن يصيبكم جراح فقد أصاب القوم جراح مثله عن ابن عباس وقيل إن يصيبكم ألم وجراح يوم أحد فقد أصاب القوم ذلك يوم بدر وقال أنس بن مالك أتى رسول الله (ص) بعلي (ع) يومئذ وفيه نيف وستون جراحة من طعنة وضربة ورمية فجعل رسول الله (ص) يمسحها وهي تلتئم بإذن الله كأن لم تكن وعن ابن عباس قال لما كان يوم أحد صعد ابو سفيان الجبل فقال رسول الله (ص) اللهم انه ليس لهم أن يعلونا فمكث ابو سفيان ساعة وقال يوما بيوم وان الأيام دول وان الحرب سجال فقال (ع) أجيوبه فقالوا لا سواء قتالنا في الجنة وقتلناكم في النار فقال لنا عزي ولا عزي لكم فقال النبي (ص) والله مولانا ولا مولى لكم فقال ابو سفيان اهل هبل فقال (ص) الله تعالى أعلى وأجل (وتلك الأيام نداؤها بين الناس) أي نصر فهاجرة لفرقة ومرة عليها عن الحسن وقتادة والربيع والسدي وابن اسحاق وإنما يصرف الله الأيام بين المسلمين وبين الكفار بتخفيف المحنة عن المسلمين احيانا وتشديدها عليهم احيانا لا بنصرة الكفار عليهم لأن الله لا ينصر الكفار على المسلمين لأن النصره تدل على المحبة والله تعالى لا يحب الكافرين وإنما جعل الله الدنيا متقلبة لكيلا يطمئن المسلم اليها ولتقل رغبته فيها او حرصه عليها إذ تفنى لذاتها ويطعن مقيمها ويسعى للآخرة التي يدوم نعيمها وإنما جعل الدولة مرة للمؤمنين ومرة عليهم ليدخل الناس في الايمان على الوجه الذي يجب الدخول فيه كذلك وهو قيام الحججة فإنه لو كانت الدولة أبدا للمؤمنين لكان الناس يدخلون في الايمان على سبيل اليمن والقال على ان كل موضع حضره النبي (ص) لم يخل من ظفر اما في ابتداء الأمر واما في انتهائه وإنما لم يستمر ذلك لما بيناه وقوله (وليعلم الله الذين آمنوا) المفعول الثاني ليعلم محذوف وتقديره وتلك الأيام نداؤها بين الناس لوجوه من المصالح وضروب من الحكمة وليعلم الله الذين آمنوا متميزين بالايمان من غيرهم وعلى هذا لا يكون يعلم بمعنى يعرف لأنه ليس المعنى انه يعرف الذوات بل المعنى انه يعلم تميزها بالايمان ويجوز أن يكون المعنى ليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد

عدوهم أي يعاملهم معاملة من يعرفهم بهذه الحال وإذا كان الله تعالى يعلمهم قبل اظهارهم الايمان كما يعلمهم بعده فإنما يعلم قبل الاظهار انهم سيميزون فإذا أظهره عليهم متميزين ويكون التغير حاصلًا في المعلوم لا في العالم كما ان أحدنا يعلم الغد قبل مجيئه على معنى انه سيجي فإذا جاء علمه جائيا وعلمه يوما لا غدا فإذا انقضى فإنما يعلمه الأمس لا يوما ولا غدا ويكون التغير واقعا في المعلوم لا في العالم وقيل معناه وليعلم أولياء الله الذين آمنوا وإنما أضاف إلى نفسه تفخيا وقيل معناه ليظهر المعلوم من صبر من يصبر وجزع من يجزع وإيمان من يؤمن وقيل ليظهر المعلوم من الإخلاص والنفق ومعناه ليعلم الله المؤمن من المنافق فاستغنى بذكر احدهما عن الآخر وقوله (ويتخذ منكم شهداء) قيل فيه قولان * احدهما * ان معناه ليكرم بالشهادة من قتل يوم أحد عن الحسن وقتادة وابن اسحاق * والآخر * ويتخذ منكم شهداء على الناس بما يكون منهم من العصيان لما لكم في ذلك من جلالة القدر وعلو المرتبة والشهداء يكون جمع شاهد وجميع شهيد عن أبي علي الجبائي وإنما سموا شهداء لمشاهدتهم الأعمال التي يشهدون بها وأما في جمع الشهيد فلأنهم بذلوا الروح عند شهود الواقعة ولم يفروا (والله لا يحب الظالمين) ظاهر المعنى وفائدته انه تعالى بين انه لا يمكن الظالمين منهم لمحبته لهم ولكن لا أحد المعاني التي ذكرها ولیمحص ذنوب المؤمنين كما قاله فيما بعد

قوله تعالى (١٤١) وَلِيْمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (آية)

اللغة

أصل التمحيص التخليص قال الخليل المحص الخلو من العيب ومحصته احصه محصاً إذا خلصته من كل عيب ويقال اللهم محص عنا ذنوبنا أي اذهبها عنا لأنه تخليص الحسنة بتكفير السيئات وأصل المحق فناء الشيء حالاً بعد حال ولهذا دخه معنى التقصان وانحق الشيء انحقا وامتحق الشيء وتمحق إذا ذهبت بر كنهه حالاً بعد حال والمحاق آخر الشهر لذهاب ضوء الهلال حالاً بعد حال

المعنى

ثم بين تعالى وجه المصلحة في مداولة الأيام بين الناس فقال (وليمحص الله الذين آمنوا) قيل في معنى الآية أقوال * احدها * ولیمحص الله أي وليبتلي الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ينقصهم عن ابن عباس ومجاهد والسدي * وثانيها * ليخلص الله ذنوب المؤمنين عن الزجاج - «وثالثها» - ينجي الله الذين آمنوا من الذنوب بالابناء ويهلك الكافرين بالذنوب عند الابتلاء عن علي بن عيسى وإنما قابل بين التمحيص والمحق لأن محص هو لاء بإهلاك ذنوبهم نظير محق أو لئلك بإهلاك أنفسهم وهذه مقابلة في المعنى وفي هذه الآية دلالة على انه تعالى إنما يداول بين الناس لتمحيص ذنوب المؤمنين ومحق الكافرين وإنما يحصهم بالمداولة لشبهتين - «احدهما» - ان في تخليصهم وتمكين الكافرين منهم تعريضا لهم للصبر الذي يستحقون به عظيم الأجر ويحبط به عنهم كثيرا من اثقال الوزر - «والثاني» - ان في ذلك لطفًا لهم يعصمهم عن اقتراف نفوسهم الإثم

قوله تعالى (١٤٢) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ

وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٣) وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ
وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (آيَاتان)

اللغة

الفرق بين التمني والإرادة ان الإرادة من أفعال القلوب والتمني قول القائل ليت كان كذا او ليت
لم يكن وقيل إن التمني معنى في القول يطابق هذا القول والصحيح هو الأول

الاعراب

ام في قوله ام حسبتم هي المنقطعة وتقديره بل احسبتم وهل استفهام على وجه الانكار والفرق بين
لم ولما ان لما جواب لقول القائل قد فعل فلان يريد به الحال واذا قال فعل فجوابه لم يفعل لما كان اصلها لم
مؤكدة بحرف كانت جوابا لما هو مؤكدة بحرف وقوله ويعلم الصابرين نصب على الظرف الصرف عن العطف
اذ ليس المعنى على نفي الثاني والأول وانما هو على نفي اجتماع الثاني والأول وتقديره وان يعلم فيكون منصوبا
بإضمار ان والمعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين وروي عن الحسن انه قرأ ويعلم الصابرين بالكسر
عطفًا على الأول

المعنى

لما حدث الله على الجهاد ورغب فيه زاد في البيان والأخبار بأن الجنة لا تنال إلا بالبلو والاختبار
فقال (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة) المراد به الانكار أي أظننتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة (ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) أي ولما يعلم يجاهد المجاهدون منكم فيعلم الله جهادهم ويصبر
الصابرون منكم فيعلم صبرهم على القتال وانما اجاز ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم على معنى نفي الجهاد دون
العلم لما في ذلك من الايجاز في انتفاء جهادهم لأنه لو كان لعلمه وتقديره ولما لم يكن المعلوم من الجهاد الذي
أوجب عليكم لأن المعنى مفهوم لا يشبهه (ولقد كنتم) يا اصحاب محمد (ص) (تمنون الموت) أي تمنون
الموت فحذف إحدى النائين للتخفيف وذلك ان قوما ممن فاتهم شهود بدر كانوا يتمنون الموت بالشهادة
بعد بدر قبل احد فلما رأوه يوم احد عرض كثير منهم عنه فانهزموا فعاقبهم الله على ذلك عن الحسن ومجاهد
والربيع وقتادة والسدي (من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه) الهاء في تلقوه ورأيتموه راجعة إلى الموت أي
من قبل ان تلقوا أسباب الموت وهو الحرب فقد رأيتموها لأن الموت لا يرعى ونحو ذلك قول الشاعر
(والموت تحت لواء مثلك محلم) أي أسباب الموت وقيل الهاء راجعة إلى الجهاد وانتم تنظرون وقيل انه تأكيد
للروية كما يقال رأيت عيانا فرأيت بعيني وسمعت بأذني لأن لا يتوهم رؤية القلب وسمع العلم وقيل معناه
وانتم تأملون الحال في ذلك كيف هي فعلى هذا يكون النظر بمعنى الفكر وقيل معناه وانتم تنظرون إلى
محمد (ص) وفيه حذف أي فلم انهزمتم لأنه موضع عتاب فإن قيل كيف يتمنى قتل المشركين لهم لينالوا
منزلة الشهادة وهل يجوز ذلك قلنا ذلك لا يجوز لأن قتل المشركين لهم معصية ولا يجوز تمني المعاصي كما
لا يجوز ارادتها ولا الأمر بها فإذا ثبت ذلك فإنما تمنوا الشهادة بالصبر على الجهاد إلى أن يقتلوا

قوله تعالى (١٤٤) وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ

أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنَ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ
الشَّاكِرِينَ [آية]

﴿ اللغة ﴾

محمد أخذ من الحمد والتحميد فوق الحمد فمعناه المستغرق لجميع المحامد لأن التحميد لا يستوجب
إلا المستولي على الأمر في الكمال فأكرم الله عز اسمه نبيه وحببيه (ص) بأسمين مشتقين من اسمه تعالى
محمد (ص) واحمد واليه أشار حسبان بن ثابت في قوله

نبي أتانا بعد بأس وفترة من الدين والأوثان في الأرض يعبد
ألم تر أن الله أرسل عبده يبرهانه والله أعلى وأمجّد
وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد

﴿ الإعراب ﴾

إنما دخل حرف الاستفهام على حرف الشرط وتقدره انقلبون ان مات او قتل لأن الشرط لما انعقد
به صار جملة واحدة وخبراً واحداً فكان بمنزلة تقديم الاسم على الفعل في الذكر إذا قيل أزيد قام فكذلك
تقديمه في القسم والاكتفاء بجواب الشرط عن جواب القسم كما قال الشاعر

حلقت له ان تدلج الليل لا يزل أمامك بيت من بيوتي سائر

﴿ النزول ﴾

قال اهل التفسير سبب نزول هذه الآية انه لما ارجف بأب النبي (ص) قد قتل يوم احد واشيع ذلك
قال الناس لو كان نبيا لما قتل وقال آخرون نقاتل على ما قاتل عليه حتى نلحق به وارتد بعضهم وانهم
بعضهم وكان سبب انهزامهم وتضعفهم اخلال الرماة لمكانهم من الشعب وكان رسول الله (ص) نهاهم عن
الاخلال به وأمر عبد الله بن جبير وهو اخو خوات ابن جبير على الرماة وهم خمسون رجلا وقال لا تبرحوا
مكانكم فإننا لا نزال غالبين ما ثبتتم بمكانكم وجاءت قريش على ميمتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة
بن ابي جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف وينشدن الأشعار فقالت هند

نحن بنات طارق نمشي على التمارق ان تقبلوا نعانق او تدبروا نفارق

فراق غير وامق

وكان ابو عامر عبد عمرو بن الصيفي اول من لقبهم بالأحباش وعبيد اهل مكة فقاتلهم قتالا
شديدا وحميت الحروب فقال رسول الله من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو أو العبيد حتى ينحني
فأخذه ابو دجانة ساك بن خرشة الأنصاري فلما أخذ السيف اعتم بعامة حمراء وجعل يفتخر بتبخرها ويقول

أنا الذي عاهدني خيلي أن لا أقيم الدهر في الكبول

أضرب بسيف الله والرسول

فقال رسول الله (ص) انها لمشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموضع ثم حمل النبي (ص) واصحابه

على المشركين فهزمهم وقتل علي بن ابي طالب (ع) اصحاب اللواء كما تقدم بيانه وانزل الله نصرته على المسلمين قال الزبير فرأيت هندا وصواحبها هاربات مصعدات في الجبال نادية خدامهن ما دون أخذهن شيئا فلما نظرت الرماة إلى القوم قد انكشفوا ورأوا النبي واصحابه ينتهبون الغنيمة اقبلوا يريدون النهب واختلفوا فقال بعضهم لا تتركوا امر الرسول وقال بعضهم ما بقي من الأمر شيئا ثم انطلق عامتهم ولاحقوا بالأسكر فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله من المشركين وحمل على اصحاب النبي (ص) من خلفهم فهزمهم وقتلوه ورمى عبد الله بن قمية الحارثي رسول الله بحجر وكسر انفه ورباعيته وشجه في وجهه فأنقله وتفرق عنه اصحابه واقبل يريد قتله فذبح مضعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله يوم بدر ويوم احد وكان اسم رايته العقاب عن رسول الله (ص) حتى قتل مضعب بن عمير قتله ابن قمية فرجع وهو يرى ان قتل رسول الله (ص) وقال إني قتلت محمدا وصاح صائح ألا ان محمدا قد قتل ويقال ان ذلك الصائح كان ابليس لعنه الله فانكف الناس وجعل رسول الله (ص) يدعو الناس ويقول إلى عبادة الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن ابي وقاص حتى اندقت سية قوسه واصيبت يد طلحة بن ابي عبيد الله فيست واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجهه فردها رسول الله مكانها فعادت كما حسن ما كانت فلما انصرف رسول الله (ص) أدركه ابي بن خلف الجمحي وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله ألا يعطف عليه احد منا فقال دعوه حتى إذا دنا منه وكان ابي قبل ذلك يلتقي رسول الله فيقول عندي رمكة أعلقها كل يوم فرق ذرة أقتلك عليها فقال رسول الله بل أنا أقتلك ان شاء الله فلما كان يوم احد ودنا منه تناول رسول الله الحربة من الحرث بن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه وخذشه خدشة فتدهدا عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور وهو يقول قتلني محمد فاحتمله اصحابه وقالوا ليس عليك بأس قال بلى لو كانت هذه بريئة ومضر لقتلهم اليس قال لي اقتلك فلو برز علي بعد تلك المقاتلة لقتلني فلم يلبث إلا يوما حتى مات قال وفشا في الناس ان رسول الله قد قتل فقال بعض المسلمين لبت لنا رسولا إلى عبد الله بن ابي فياخذ لنا أمانا من ابي سفيان وبعضهم جلسوا والقوا بأيديهم وقال أناس من أهل النفاق ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الأول فقال أنس بن نضر عم أنس بن مالك يا قوم ان كان قد قتل محمد فرب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء يعني المسلمين وابرء اليك مما جاء به هؤلاء يعني المنافقين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله انطلق إلى الصخرة وهو يدعو الناس فأول من عرف رسول الله كعب بن مالك قال عرفت عينيه تحت المغفر تزهران فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أشيروا فهذا رسول الله فأشار إلي أن أسكت فأنحازت اليه طائفة من أصحابه فلما همم النبي على الفرار فقالوا يا رسول الله فدينك بآبائنا وامهاتنا أتانا الخبر بأنك قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فأنزل الله تعالى وما محمد إلا رسول الآيات

= [المعنى] =

ثم بين سبحانه انه لا ينبغي أن يترك امر الله تعالى كان الرسول بين اظهروهم ولم يكن فقال (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) يعني انه بشر اختاره الله لرسالته إلى خلقه قد مضت قبله رسل بعثوا فأدوا الرسالة

ومضوا وماتوا وقتل بعضهم وانه يموت كما ماتت الرسل قباه فليس الموت بمستحيل عليه ولا القتل وقيل اراد ان اصحاب الانبياء لم يرتدوا عند موتهم أو قتلهم فاقتدوا بهم ثم أكد ذلك فقال (أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم) معناه أفان أماته الله أو قتلته الكفار ارتددتم كفارا بعد إيمانكم فسمي الارتداد انقلابا على العقب وهو الرجوع القهقري لأن الردة خروج إلى أقبح الأديان كما ان الانقلاب خروج إلى أقبح ما يكون من المشي والآف في قوله أفان مات الف انكار صورت صورة الاستفهام ومثله المختار الفساد على الصلاح والخطأ على الصواب وفي قوله مات أو قتل دلالة على ان الموت غير القتل لأن الشيء لا يعطف على نفسه فالقتل هو نقض بنية الحياة والموت افساد البنية التي تحتاج إليها الحياة وقيل الموت معنى يضاد الحياة والصحيح الأول (ومن ينقلب على عقبيه) يعني من يرتد عن دينه (فان يضر الله شيئا) لأنه لا يجوز عليه الضار بل مضرتة عائدة عليه لأنه مستحق للعقاب الدائم (وسيجزى الله الشاكرين) أي يثيب الله الشاكرين على شكرهم لنعم الله واعترافهم بها وقيل المراد بالشاكرين المطيعين لأن الطاعات هي شكر الله على نعمه وهذا يتصل بما قبله اتصال الوعد بالوعد لأن قوله فان يضر الله شيئا دليل على معنى الوعد فكأنه قال من يرتد عاد ضرره عليه ومن شكر وآمن فنفعه يعود اليه

﴿ فصل في ذكر ما جاء في اسم محمد (ص) ﴾

كانت كفار قريش يشتمون مذمما يعنون اسم النبي (ص) فروى ابو هريرة عن النبي قال ألم تروا كيف صرف الله عني لعن قريش وشتمهم يشتمون مذمما وأنا محمد وفي مسند علي بن موسى الرضا عن آبائه عن النبي (ص) انه قال إذا سميتم الولد محمدا فأكرموه واوسعوا له في المجلس ولا تقبحوا له وجهه وما من قوم كان لهم مشورة فحضر معهم من اسمه محمدا واحمد فأدخلوه في مشورتهم إلا خير لهم وما من مائدة وضعت فحضرها من اسمه محمدا أو احمد الا قدس في كل يوم ذلك المنزل مرتين وعن انس بن مالك قال كان النبي في السوق فقال رجل يا أبا القاسم فالتفت اليه رسول الله فقال الرجل انما ادعوك فقال رسول الله لا تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي وعن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي أنا ابو القاسم الله يعطي وانا أقسم ثم رخص في ذلك لهي (ع) وابنه وعن علي بن ابي طالب قال قال لي رسول الله ان ولد لك غلام نحلته اسمي وكنيتي

قوله تعالى (١٤٥) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (آية)

﴿ الإعراب ﴾

كتابا نصب على المصدر لقعل محذوف دل عليه أول الكلام مع العلم بأن كل ما يكون فقد كتبه الله فتقديره كتب الله ذلك كتابا وقال الأخفش اللام في قوله وما كان لنفس ان تموت إلا بإذن الله منقولة عما دخل عليه في غيره وتقديره وما كان لنفس لتموت أي لأن تموت

﴿ المعنى ﴾

(وما كان لنفس ان تموت إلا بإذن الله) ومعناه ما كان نفس لتموت إلا بإذن الله ومثله وما كان

الله ان يتخذ من ولد أي وما كان الله ليتخذ ولداً وقوله وما كان لكم ان تنبتوا شجرها ومعناه ما كنتم لتنبتوا شجرها لأن انبات الشجر لا يدخل تحت قدرة البشر ففي الآية أخبار بأن الموت لا يكون إلا بإذن الله وهذا تسلية عما لحق النفوس بموت النبي (ص) من جهة انه بإذن الله ومعناه انه إن مات فإنما يموت بإذن الله وعلمه كغيره من الناس فلا عذر لأحد في ترك دينه بعد موته وقيل ان فيه حضا على الجهاد من حيث لا يموت احد إلا بإذن الله اي لا تتركوا الجهاد خشية القتل فإن ذلك لا يؤخر أجلا قد حضر ولا يقدم الجهاد اجلا لم يحضر فلا معنى للانزمام وقوله بإذن الله يحتمل أمرين * احدهما * يعلم الله - « والثاني » - بأمر الله وقال ابو علي الجبائي فيه دلالة على انه لا يقدر على الموت غير الله كما لا يقدر على ضده من الحياة غير الله ولو كان من مقدور غيره لم يكن باذنه وقوله (كتابا موجلا) معناه كتب الله لكل حي اجلا ووقتا لحياته ووقتا لموته لا يتقدم ولا يتأخر وقيل حتما موقتا وحكما لازما مبرما (ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها) قيل في معناه اقوال - « احدها » - ان المراد من عمل للدنيا لم نخرمه ما قسمنا له فيها من غير حظ في الآخرة عن ابن اسحاق أي فلا يغتر بحاله في الدنيا - « وثانيها » - من أراد بجهاده ثواب الدنيا وهو النصيب من الغنيمة نوته منها فينب ان حصول الدنيا للإنسان ليس بموضع غبطة لأنها مبذولة للبر والفاجر عن ابي علي الجبائي - « وثالثها » - من تعرض لثواب الدنيا بعمل النوافل مع موازنة الكبائر جوزي بها في الدنيا دون الآخرة لا بحباط عمله بنفسه وهذا على مذهب من يقول بالاحباط (ومن يرد ثواب الآخرة نوته منها) أي ومن يرد بالجهاد وأعماله ثواب الآخرة نوته منها فلا ينبغي لأحد ان يطلب بطاعته غير ثواب الله ومثله قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وقريب منها قول النبي من طلب الدنيا بعمل الآخرة فما له في الآخرة من نصيب ومن في قوله منها يحتمل ان تكون زائدة ويحتمل ان تكون للتبعيض لأنه انما يستحق الثواب على قدر العمل (وسيجزى الشاكرين) أي يعطيهم جزاء الشكر وفي تكراره قولان - « احدهما » - انه للتأكيد وللتنبية على عظم منزلة الشاكرين « والثاني » ان معناه وسيجزى الشاكرين من الرزق في الدنيا لثلاثتهم ان الشاكر يحرم ما يعطى الكافر من نعم الدنيا عن ابن اسحاق وروى ابان بن عثمان عن ابي جعفر (ع) انه أصاب عليا (ع) يوم احد ستون جراحة وان النبي (ص) أمر أم سليم وأم عطية ان تدواياه فالتانانا لا نعالج منه مكانا الا انفتق مكان آخروقد خفنا عليه فدخل رسول الله (ص) والمسلمون يعودونه وهو قرحة واحدة فجعل يمسحه بيده ويقول ان رجلا لقي هذا في الله فقد ابى واعذر وكان القرح الذي يمسحه رسول الله (ص) يلتئم فقال علي (ع) الحمد لله إذ لم افر ولم اولي الدبر فشكر الله له ذلك في موضعين من القرآن وهو قوله وسيجزى الله الشاكرين من الرزق في الدنيا وسيجزى الشاكرين قال ابو علي الجبائي وفي هذه الآية دلالة على ان اجل الانسان انما هو اجل واحد وهو الوقت الذي يموت فيه لأنه لا ينقطع بالقتل عن الأجل الذي اخبر الله بأنه أجل لموته وقال ابن الاخشيد لا دليل فيه على ذلك لأن للإنسان اجلين أجلا يموت فيه لا محالة واجلا هو هوبة من الله ومع ذلك فلن يموت إلا عند الأجل الذي جعله الله أجلا لموته والأقوى الأول

- [النظم] -

اتصل قوله وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله بما قبله لأنه حث على الجهاد وقيل لأنه تسلية عما

لحقى النفوس من الوجوم بموت النبي (ص) وقيل للبيان بأن حالهم لا تختلف في التكليف بأن يموت النبي (ص) فنبغي ان يتمسك بأمره في حياته وبعد وفاته

قوله تعالى (١٤٦) وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٧) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٨) فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (ثلاث آيات)

القراءة

قرأ ابن كثير كائن على وزن كاعن وابو جعفر يلبث الهمزة وهو قراءة الحسن والباقون كائين على وزن كمين وقرأ اهل البصرة وابن كثير ونافع قتل بضم القاف بغير الهمزة وهي قراءة ابن عباس والباقون قاتل بالالف وهي قراءة ابن مسعود

الحجة

اصل كائين اي دخلت عليه كاف التشبيه كما دخلت على ذا من كذا وعلى ان من كان وكثير استعمال الكلمة فصارت ككلمة واحدة فقلبت قلب الكلمة الواحدة فصار كياءين فحذفت الياء الثانية كما حذفت في كينونة فصار كيان مثل كين ثم ابدلت من الياء الالف كما ابدلت من طائي فصار كائن ثم لبنت الهمزة على قراءة ابي جعفر قال الشاعر

و كائن رددنا عنكم من مدجج
يحيي أمام القوم يردي مقبعا
وقال آخر

و كائن اليكم قاد من رأس فتية
وقد حذفت الياء من اي في قول الفرزدق

تنورت نصرا والسماكين ايها
علي من الغيث استهلت مواطره

واما قتل فيجوز ان يكون مسندا إلى ضمير بني واذا اسند هذا إلى الضمير احتمل هذا معه ربيون امرين «أحدهما» ان يكون صفة لنبي فاذا قدرته هذا التقدير كان قوله ربيون مرتفعا بالظرف بلا خلاف لأن الظرف اذا اعتمد على ما قبله جاز ان يرفع على مذهب سيبويه ايضا «والآخر» الا تجعله صفة ولكن حالا من الضمير في قتل والاحسن ان يكون الاسم الذي اسند اليه قتل قوله ربيون فيكون على هذا التقدير قوله معه متعلقا بقتل وعلى القبلتين الآخرين اللذين هما الصفة والحال متعلقا في الأصل بمحذوف وكذلك من قرأ قاتل معه ربيون فهو يجوز فيه ما جاز في قراءة من قرأ قتل وحجة من قرأ قتل قوله أفان مات او قتل وحجة من قرأ قاتل ان القاتل قد مدح كما يمدح المقتول قال تعالى وقاتلوا وقتلوا ومن جعل قوله معه ربيون صفة ضمير للمبتدأ الذي هو كائين خيرا وموضع الكاف الجارة هي في كائين مع المجرور رفع كما ان موضع الكاف في قوله كذا وكذا رفع ولا معنى للتشبيه فيها كما انه لا معنى للتشبيه في كذا وكذا

[اللغة] =

الوهن الضعف وقال وما ضعفوا من حيث ان انكسار الجسم بالخوف وغيره والضعف نقصان القوة والاستكانة اصلها من الكنية وهي الحالة السيئة يقال فلان بات بكنية أي بنيت سوءه والاسراف مجاوزة المقدار والافراط بمعناه وضدهما التقدير وقيل الاسراف مجاوزة الحق إلى الباطل بزيادة او نقصان والأول اظهر يقال اسرفت الشيء أي نسيته لأنه جاوزه إلى غيره بالسهو عنه

-(المعنى)-

ثم أكد سبحانه ما تقدم بقوله (وكأين من نبي) أي ولم من رسول (قاتل) أي حارب او قتل معه (ربيون كثير) ذكرنا بقديره في الحجة وقيل في ربيون اقوال ﴿﴾ احدها ﴿﴾ انهم علماء فقهاء صبر عن ابن عباس والحسن ﴿﴾ وثانيها ﴿﴾ انهم جموع كثيرة عن مجاهد وقتادة ﴿﴾ وثالثها ﴿﴾ انهم منسوبون إلى الرب ومعناه المتمسكون بعبادة الله عن الأخفش وقال غيره انهم منسوبون إلى علم الرب ﴿﴾ ورابعها ﴿﴾ ان الربيون عشرة آلاف عن الزجاج وهو المروي عن أبي جعفر ﴿﴾ وخامسها ﴿﴾ ان الربيون الاتباع والربانيون الرواة عن ابن زيد ومن أسند الضمير الذي في قتل إلى نبي فالمعنى كم من نبي قتل ذلك النبي وكان معه جماعة كثيرة فقاتل اصحابه بعده (وما وهنوا) وما فتروا ومن أسند قتل إلى الربيين دون ضمير نبي فالمعنى ما وهن بآيتهم بعد ما قتل كثير منهم في سبيل الله إلى هذا ذهب الحسن لأنه كان يقول لم يقتل النبي قط في معركة وإلى الأول ذهب ابن اسحاق وقتادة والربيع والسدي فعلى هذا يكون النبي المقتول والذين معه لا يهتون بين الله سبحانه لو كان قتل النبي كما اوجب بذلك يوم أحد لما اوجب ذلك ان يضعفوا ويهتوا كما لم يهين من كان مع الأنبياء يقتلهم وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقيل معناه فما وهنوا يقتل نبيهم ولا ضعفوا عن عدوهم ولا استكانوا لما اصابهم في الجهاد عن دينهم عن ابن عباس وقيل فما وهنوا أي فما جبنوا عن قتال عدوهم وما ضعفوا أي ما فتروا (وما استكانوا) أي وما خضعوا لعدوهم عن الزجاج (والله يحب الصابرين) في الجهاد قال ابن الانباري أي فقد كان واجبا عليكم ان تقاتلوا على أمر نبيكم او قتل كما قاتل أمم الأنبياء بعد قتلهم ولم يرجعوا عن دينهم (وما كان قولهم) عند لقاء العدو (إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) والمعنى ما كان قولهم إلا استغفارهم أي إلا قولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا وقولهم ان قالوا اسم كان وقولهم خبره والضمير يعود إلى النبي ومن معه على احد القواين وإلى الربيين في قول الآخر وقوله اغفر لنا ذنوبنا أي استرنا علينا بترك عقابنا ومجازاتنا عليها (واسرافنا في أمرنا) أي تجاوزنا الحد وتفريطنا وتصويرنا رغب الله تعالى اصحاب الرسول في ان يقولوا هذا القول ولا يقولوا قولاً يدل على الضعف فيطمع الأعداء فيهم (وثبت اقدامنا) في جهاد عدوك بتقوية القلوب وفعل اللطاف التي معها تثبت الاقدام فلا تزول للانهازم وقيل معناه ثبتنا على الدين فثبتت به اقدامنا (وانصرنا على القوم) وأعنا على القوم (الكافرين) بالقاء العرب في قلوبهم وامدادنا بالملائكة ثم بين تعالى ما آتاهم عقيب دعائهم فقال (فآتاهم الله) يعني الذين وصفهم اعطاهم الله (ثواب الدنيا) وهو نصرهم على عدوهم حتى ظفروا بهم وقهرهم وغلبوهم ونالوا منهم الغنيمة وحسن ثواب الآخرة وهو الجنة والمغفرة ولا يجوز أن يكون ما آتاهم في الدين من الظفر والفتح والنصر وأخذ الغنيمة ثواباً مستحقاً لهم على طاعتهم لأن في ذلك التعظيم لهم والاحلال ولذلك تقول ان المدح على فعل الطاعة والتسمية بالأسماء الشريفة بعض الثواب ويجوز أن يكون اعطاهم الله ذلك تفضلاً منه تعالى أو لما لهم فيه من اللطف فيكون تسمية بأنه ثواب مجاز أو توسعاً والثواب هو النفع الخالص المستحق المقارن للتعظيم والتبجيل (والله يحب المحسنين) في أقوالهم وأفعالهم والمحسن فاعمل الحسن وقيل المحسن الذي يحسن إلى نفسه وطاعة ربه وقيل الذي يحسن إلى غيره

قوله تعالى (١٤٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ فَتَقْلِبُوا خَاسِرِينَ (١٥٠) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (آيتان)

﴿ اللغة ﴾

الطاعة موافقة الإرادة المرغبة في الفعل وبالتغيب ينفصل عن الإجابة وإن كان موافقة الإرادة حاصلة وفي الناس من قال الطاعة هي موافقة الأمر والأول أصح لأن من فعل ما يقتضي العقل وجوبه او حسنه كان مطيعا لله وإن لم يكن هناك أمر

﴿ الإعراب ﴾

يردوكم جزم لأنه جواب الشرط فتقلبوا عطف عليه وخاسرين نصب على الحال وبل حقيقته الاضراب عن الأول إلى الثاني

﴿ النزول ﴾

قيل نزلت في المنافقين إذ قالوا للمؤمنين يوم أحد يوم الهزيمة ارجعوا إلى اخوانكم وارجعوا إلى دينهم عن علي (ع) وقيل هم اليهود والنصارى عن الحسن وابن جريح

﴿ المعنى ﴾

ثم أمر سبحانه بترك الائتار لمن تبطهم عن الجهاد من الكفار وقال (يا ايها الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله (إن تطيعوا الذين كفروا) أي إن صغيتم الى قول اليهود والمنافقين ان محمدا (ص) قتل فارجعوا الى عشائركم (يردوكم على اعقابكم) أي يرجعوكم كفارا كما كنتم (فتقلبوا) أي ترجعوا (خاسرين) لأنفسكم فلا خسران أعظم من أن تبدلوا الكفر بالإيمان والنار بالجنة (بل الله مولاكم) أي هو أولى بأن تطيعوه وهو أولى بنصرتكم (وهو خير الناصرين) إنما قال ذلك وإن كان نصر غيره لا يعتد به مع نصره استظهارا في الحجية أي إن اعتد بنصرة غيره فهو خير ناصر لأنه لا يجوز أن يغلب وغيره يجوز أن يغلب وإن نصر فهو الناصر في الحقيقة إن شاء. أمدمكم بأهل الأرض وإن شاء. نصركم بل لقاء الرعب في قلوب اعدائكم

قوله تعالى (١٥١) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوِيَهُمُ النَّارُ وَيَسْ مَشْوَى الظَّالِمِينَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وابو جعفر والكسائي ويعقوب وأبو حاتم الرعب بضمين والآخرين بتسكين العين وقد تقدم القول في مثله

﴿ اللغة ﴾

السلطان هنا معناه الحجية والبرهان وأصله القوة فسلطان الملك قوته والسلطان والبرهان لقوته على دفع الباطل والتسليط على الشيء التقوية على الشيء مع الاغراء به والسلطة حدة اللسان مع شدة الصجب للقوة على ذلك مع ايثار فعله والسليط الزيت لقوة استعماله بحدته واللقاء أصله في الإعياء. يدل عليه قوله ونلقى الأرواح والقوا

حبا لهم واستعمل في غير عين اتساعا إذ ليس الرعب بعين وكذلك قوله والقيت عليك محبة مني ومثل الإلقاء في ذلك الرمي قال سبحانه الذين يرمون أزواجهم أي بالزنا فهذا اتساع لأنه ليس بعين وكذلك قوله

رماني بأمر كنت منه ووالدي بريا ومن حول الطوي رماني

والمثوى المنزل وأصله من الثواء وهو طول الإقامة وأم المثوى ربة البيت والمثوى الضيف لأنه مقيم مع القوم

= ﴿ التزول ﴾ =

قال السدي لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين إلى مكة قالوا بنس ما صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القي الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به وستأتي هذه القصة فيما بعد إن شاء الله فترت الآية

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه أن من جملة نصرته للمؤمنين القائم الرعب في قلوب المشركين فقال (سنلقي) أي سنخذف (في قلوب الذين كفروا الرعب) أي الخوف والفرع (بما أشركوا بالله) أي بشركهم بالله وقولهم عليه مالا يجوز من التند والشريك (ما لم ينزل به سلطانا) أي برهانا وحجة يعني لم يجعل لهم في ذلك حجة (وأوبهم) أي مستقرهم النار ويعذبون بها (وبس مشوى الظالمين) معناه وبس مقام الظالمين النار وروي أن الكفار دخلوا مكة كاللهزمين مخافة أن يكون لرسول الله وأصحابه الكرة عليهم وقال رسول الله (ص) نصرت بالرعب مسيرة شهر

قوله تعالى (١٥٢) وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أُرِيكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ تَمَّ صَرْفَكُم عَنْهُمْ رَيْبَتِيلِيكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (آية)

— (اللفظة) —

الحس القتل على وجه الاستئصال وأصله من الإحساس ومنه هل تحس منهم من أحد وسمي القتل حسا لأنه يبطل الحس والفشل الجبن

﴿ الإعراب ﴾

صدق يتعدى إلى مفعولين وجواب إذا في قوله حتى إذا فشلتم قيل فيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ أنه محذوف وتقديره حتى إذا فشلتم امتحنتم ﴿ والثاني ﴾ أنه على زيادة الواو والتقديم والتأخير وتقديره حتى إذا تنازعت في الأمر فشلتم عن الفراء وقال هذا كقوله فلما أسلما وتله للجبين وناديناه ومعناه ناديناه والواو زيادة وحتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وأنشد

حتى إذا قلت بطونكم ورأيتم أبناءكم شبوا

وقلبتم ظهر الجبن لنا إن اللئيم العاجز الحب

والبصريون لا يميزون هذا ويؤولون جميع ما استشهد به على الحذف لأنه أبلغ في الكلام وأحسن

[النزول]

ذكر ابن عباس والبراء بن عازب والحسن وقتادة ان الوعيد المذكور في الآية كان يوم أحد لأن المسلمين كانوا يقتلون المشركين حتى إذا أهل الرماة بمكانهم الذي أمرهم الرسول بالمقام عنده فأتاهم خالد من ورائهم وقتل عبد الله بن جبير ومن معه وتراجع المشركون وقتل من المسلمين سبعون رجلا ونادى مناد قتل محمد ثم من الله على المسلمين فرجعوا وفي ذلك تزلت الآية

المعنى

ثم بين تعالى انه صدقهم وعده فقال (ولقد صدقكم الله وعده) معناه وفي الله لكم بما وعدكم من النصر على عدوكم في قوله بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الآية وقيل كان الوعيد قول رسول الله للرماة لا تبرحوا هذا المكان فإنما النزول غالبين ما تبتم مكانكم (إذ تحسونهم) أي تقتلونهم (بإذنه) أي بعلمه وقيل بلفظه لأن أصل الإذن هو الاطلاق في الفعل واللفظ تيسير للفعل كما ان الإذن كذلك فحسن اجراء اسمه عليه (حتى إذا فشلتم) معناه جبنتم عن عدوكم وكفتمتم (وتنازعتم في الأمر) أي اختلفتم (وعصيتم) أمر نبيكم في حفظ المكان (من بعد ما أراكم ما تحبون) من النصر على الكفار وهزيمتهم والظفر بهم والغنيمة واكثر المفسرين على ان المراد بالجميع يوم أحد وقال ابو علي الجبائي معناه ان تحسونهم يوم بدر حتى إذا فشلتم يوم أحد وتنازعتم وعصيتهم يوم أحد من بعد ما أراكم ما تحبون يوم بدر والأولى أن يكون حكاية عن يوم أحد على ما بيناه وجواب إذا هاهنا محذوف يدل الكلام عليه وتقديره حتى إذا فعلتم ذلك ابتلاكم وامتحنكم ورفع النصر عنكم (منكم من يريد الدنيا) يعني الغنيمة وهم الذين أهلوا المكان الذي رتبهم النبي (ص) فيه وأمرهم بلزومه (ومنكم من يريد الآخرة) أراد عبد الله بن جبير ومن ثبت مكانه أي يقصد بجهاذه إلى ما عند الله وروي عن ابن مسعود قال ما كنت أدري ان احدا من اصحاب رسول الله (ص) يريد الدنيا حتى تزلت فينا هذه الآية يوم أحد (ثم صرفكم عنهم) قد ذكرنا في اضافة انصرفهم إلى الله سبحانه وجوه ^(١) ^(٢) احدها ^(٣) انهم كانوا فريقين منهم من عصى بانصرافه ومنهم من لم يعص لانهم قالوا بعد انهزام تلك الفرقة فانصرفوا بإذن الله لثلاثي يقتلوا لأن الله تعالى أوجب ثبات المائة للمأتين فإذا نقصوا لا يجب عليهم ذلك فجاز أن يذكر الفريقين بأنه صرفهم وعفا عنهم يعني صرف بعضهم وعفا عن بعض عن أبي علي الجبائي ^(٤) ^(٥) وثانيها ^(٦) ان معناه رفع النصر عنكم ووكلكم إلى أنفسكم بخلافكم للنبي (ص) فانهم متم عن جعفر بن حرب ^(٧) ^(٨) وثالثها ^(٩) ان معناه لم يأمركم بمعاودتهم من فورهم لئيتليكم بالمظاهرة في الانعام عليكم والتخفيف عنكم عن البلخي وقوله (لئيتليكم) معناه ليختبركم أي يعاملكم معاملة المحتر مظهرة في العدل وذلك انه تعالى إنما يجازي عباده على ما يفعلونه دون ما قد علمه منهم ولقد عفا عنكم أي صفح عنكم بعد أن خالفتهم أمر الرسول وقيل عفا عنكم تبهم بعد ان أمركم بالتبعية لهم عن البلخي قال لما بلغوا حراء الأسد عفا عنهم من ذلك وقال ابو علي الجبائي وهو خاص بمن لم يعص الله بانصرافه والأولى أن يكون عاما في الجميع فإنه لا يمتنع أن يكون الله تعالى قد عفا لهم عن المعصية (والله ذو فضل على المؤمنين) اي ذو من ونعمة عليهم بنعم الدنيا والدين وقيل بغفران ذنوبهم وقيل بأن لا يستأصلهم كما فعل بن كان قبلهم وروى الواحدي باسناده عن سهل بن سعد الساعدي قال خرج رسول الله يوم أحد وكسرت ربايته وهشمت البيضة على رأسه فكانت فاطمة بنته تغسل عنه الدم وعلي بن ابي طالب (ع) يسكب عليها بالمجن فلما رأت فاطمة ان الماء لا يزيد الدم إلا كثرة اخذت قطعة حصير فأحرقته حتى إذا صار رمادا الزمته الجرح فاستمسك الدم

قوله تعالى (١٥٣) اذ تصعدون ولا تلوّن على احد والرّسول يدعوكم في اخر اكم فانابكم غمّا نعم اكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خير بما تعملون (١٥٤) ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة ناعسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهتمهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم ما لا يبذون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبلي الله ما في صدوركم ويمحص ما في قلوبكم والله علم بذات الصدور (آيات)

= [القراءة] =

قرأ اهل الكوفة غير عاصم تغشى طائفة بالياء والباقون يغشى بالياء وقرأ اهل البصرة كله الله بالرفع والباقون بالنصب

- « الحجة » -

قال ابو علي حجة من قرأ يغشى بالياء قوله اذ يغشيكم النعاس امنة والنعاس هو الغاشي ولأن يغشى اقرب إلى النعاس فإسناد الفعل اليه أولى ويقال غشيني النعاس وغلب علي النعاس ولا يسهل غشيتي الامنة وحجة من قرأ بالياء ان النعاس وإن كان بدلا من الامنة فليس المبدل منه في طريق ما يسقط من الكلام بذلك على ذلك قولهم الذي مررت به زيد ابو عبد الله وقال

وكانه لهق السراة كأنه ما حاجبيه معين بسواد

فجعل الخبر على الذي ابدل منه وحجة من نصب كله ان كله بمنزلة اجمعين في انه بالإحاطة والعموم فالوجه أن لا يلي العوامل كما لا يليها اجمعون وحجة ابي عمرو في رفعه كله وابتدائه به انه وإن كان في اكثر الامر بمنزلة اجمعين لعمومها فقد ابتدئ بها كما ابتدئ بسائر الأسماء نحو قولهم وكلهم آتية يوم القيامة فردا فابتدأ به في الآية

- * اللغة * -

الفرق بين الإصعاد والصعود ان الإصعاد في مستوى من الأرض والصعود في ارتفاع يقال اصعدنا من مكة إذا ابتدأنا السفر منها ومنه قول الشاعر

هو اي مع الركب اليماني مصعد جنيب وجثماني بمكة موثق

وروي عن الحسن انه قرأ تصعدون بفتح التاء والعين وقال إنهم صعدوا في الجبل فرارا وقال القراء الإصعاد الابتداء في كل سفر والانهيار الرجوع عنه ولا تلوّن اي لا تعرجون على احد كما يفعله المنهزم ولا يذكر هذه إلا في النقي لا يقال لويت على كذا واصله من لي العنق للالتفات والنعاس الوسن وناقعة نعوس يوصف بالسباحة في الدر

- * الإعراب * -

قوله اذ تصعدون العامل في اذ قوله ولقد عفا عنكم واللام في قوله لكيلا تحزنوا يتعلق به ايضا وقيل يتعلق بقوله فانابكم ولا تحزنوا منصوب بكسي وامنة مفعول انزل وناعسا بدل منها وطائفة الأولى مفعول يغشى وطائفة الثانية مرفوعة بالابتداء وخبرها يظنون وقد اهتمهم انفسهم في موضع رقع بالصفة ويجوز ان يكون قد اهتمهم انفسهم خبرا والواو في وطائفة واو الحال على تقدير يغشى النعاس طائفة في حال ما اهتم طائفة منهم

انفسهم فالجملة في موضع الحال ويجوز النصب على ان يجعل الواو واو العطف كما تقول ضربت زيدا وعمرا
اكرمه فيكون منصوبا على اضرار فعل الذي قد ظهر تفسيره

المعنى

ثم ذكر تعالى المنهزمين من اصحاب رسول الله يوم احد فقال (إذ تصعدون) معناه ولقد عفا عنكم إذ
تذهبون في وادي احد للانهمزام فرارا من العدو عن قتادة والربيع (ولا تلوون على احد) أي لا تقيمون على من
خلفتم في الحرب ولا تلتفتون اليهم ولا يقف احد منكم على احد (والرسول) يعني محمدا (ص) (يدعوكم في
أخركم) أي يناديكم من ورائكم فيقول ارجعوا إلي عباد الله ارجعوا إلي أنا رسول الله يقال فلان جاء في آخر
الناس وآخرة الناس وأخرى الناس إذا جاء خلفهم (فثابكم بما بعم) اختلف فيه على أقوال **أحدها** **أحدها**
ان معناه جعل مكان ما ترجونه من الثواب ان غمكم بالهزيمة وظفر المشركين بكم بغمكم رسول الله إذ
عصيتوه وضيعتم أمره فالغم الأول لهم والثاني للنبي (ص) واختاره الزجاج **وثانيها** **أحدها** ان معناه غم على
غم او غم بغم أو غم بعد غم كما يقال نزلت بفلان وعلى فلان حتى فعل كذا ويقال ما نزلت بزيد حتى فعل
أي مع زيد و اراد به كثرة الغم بالندم على ما فعلوا وبما أصابهم من الشدائد وانهم لا يدرون ما استحقوا به
من عقاب الله **وثالثها** **أحدها** ان الغم الأول القتل والجراح والثاني الارجاف بقتل محمد (ص) عن قتادة
والربيع **ورابعها** **أحدها** اثابكم غم يوم احد بغم لحق المشركين يوم بدر عن الحسن وفي هذا القول نظر لأن
ما لحق المشركين من الغم يوم بدر من جهة المسلمين انما توجب المجازاة بالكرامة دون الغم **وخامسها**
ان المراد غم المشركين بما ظهر من قوة المسلمين على طلبهم وخروجهم إلى حراء الأسد فجعل هذا الغم عوضا
عن غم المسلمين بما نيل منهم عن الحسن بن علي المغربي وإنما قيل في الغم ثواب لأن اصله ما يرجع إلى المجازاة
على الفعل طاعة كان او معصية ثم كثر في جزاء الطاعة فهو كما قال الشاعر

وأراني طربا في إثرهم طرب الواله او كالمختبل

وقيل انه مما وضع مكان غيره كقوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم أي ضعه موضع البشارة فهو
كما قال الشاعر

أخاف زيادا ان يكون عطاؤه أداهم سوداً أو مدرجة سمر

(لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم) معناه فعل بكم هذا الغم اثلا تحزنوا على ما فاتكم
من الغنيمة ولا تتركوا أمر النبي (ص) ولثلا تحزنوا على ما أصابكم من الشدائد في سبيل الله وليكن غمكم
بان خالفتهم النبي فقط وتقديره ليشغلكم حزنكم على سوء ما صنعتهم عن الحزن على غيره وقيل معناه ولقد عفا
عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم فإن عفو الله تعالى يذهب كل حزن (والله خير بما تعملون) فيه ترغيب
في الطاعة وترهيب عن المعصية ثم ذكر ما انعم به عليهم بعد ذلك حتى تراجعوا وأقبلوا يعتذرون إلى رسول الله
(ص) فأنزل النعاس عليهم في تلك الحالة حتى كانوا يسقطون على الأرض وكان المنافقون لا يستقرون حتى طارت
عقولهم فقال (ثم انزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاسا) لفظ الانزال توسع ومعناه ثم وهب الله لكم ايها
المؤمنون بعد ما نالكم من يوم احد من الغم امانة يعني أمانة نعاساً أي نوماً وهو بدل الاشتغال عن امانة لأن النوم
يشتمل على الأمن لأن الخائف لا ينام ثم ذكر سبحانه ان تلك الأمانة لم تكن عامة بل كانت لأهل الاخلاص
وبقي لأهل النفاق الخوف والسهر فقال (يغشى طائفة منكم) يعني المؤمنين التي عليهم النوم وكان السبب
في ذلك توعد المشركين لهم بالرجوع إلى القتال فعد المسلمون تحت الجحف متهينين للحرب فأنزل الله الأمانة
على المؤمنين فناموا دون المنافقين الذين ازعجهم الخوف بأن يرجع الكفار عليهم او يغيروا على المدينة لسوء

الظن فظير عنهم النوم عن ابن اسحاق وابن زيد وقتادة والربيع (وطائفة قد اهتمهم انفسهم) أي وجاعة قد شغلتهم انفسهم وقيل حملتهم على الهم ومنه قول العرب همك ما أهمك ومعناه كان همهم خلاص انفسهم والعرب تطلق هذا اللفظ على كل خائف وجل شغله هم نفسه عن غيره (فيظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) أي يتوهمون ان الله لا ينصر محمدا وأصحابه كظنهم في الجاهلية وقيل كظن أهل الجاهلية وهم الكفار والمكذوبون بوعد الله ووعيده فكان ظن المنافقين كظنهم وقيل ظنهم ما ذكر بعده من قوله (يقولون هل لنا من الأمر من شيء) فهذا تفسير لظنهم يعني يقول بعضهم لبعض هل لنا من النصر والفتح والظفر نصيب قالوا ذلك على سبيل التعجب والانكار أي أنطمع أن يكون لنا الغلبة على هؤلاء أي ليس لنا من ذلك شيء وقيل ان معناه انا اخرجنا كرها ولو كان الأمر الينا ماخرجنا عن الحسن وكان هذا القائل عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير واصحابها عن الزبير بن العوام وابن جريح (قل يا محمد ان الأمر كله لله) ينصر من يشاء ويخذل من يشاء لا خاذل لمن نصره ولا ناصر لمن خذله وربنا عجل النصر وربنا أخره اضرب من الحكمة ولا يكون لوعده خلف والمراد بالأمر في الموضوعين النصر (يخفون في انفسهم ما لا يبديون لك) أي يخفون في انفسهم الشك والنفاق وما لا يستطيعون اظهاره لك (يقولون لو كان لنا من الأمر أي من الظفر كما وعدنا شيء ماقتلنا هاهنا) أي ماقتل اصحابنا شكمانهم فيما وعده الله تعالى نبيه من الاستعلاء على أهل الشرك وتكذيبا به (قل يا محمد لهم في جواب ذلك) لو كنتم في بيوتكم) ومنازلكم (لبرز الذين كتب عليهم القتال إلى مضاجعهم) قيل فيه قولان ﴿احدها﴾ ان معناه لو لزمتم منازلكم ايها المنافقون والمرتابون وتحلفتم عن القتال خرج إلى البراز المؤمنون الذين فرض عليهم القتال صابرين محتسبين فيقتلون ويقتلون والتقدير ولو تحلفتم عن القتال لما تخلف المؤمنون ﴿والثاني﴾ ان معناه لو كنتم في منازلكم خرج الذين كتب عليهم القتال أي كتب آجالهم وموتهم وقتلهم في اللوح المحفوظ في ذلك الوقت إلى مصارعهم وذلك ان ما علم الله كونه فإنه يكون كما علمه لا محالة وليس في ذلك ان المشركين غير قادرين على ترك القتال من حيث علم الله ذلك منهم وكتبه لأنه كما علم انهم لا يختارون ذلك علم انهم قادرين ولو وجب ذلك لوجب ان يكون تعالى قادرا على ما علم انه لا يفعله والقول بذلك كفر (وليبتلي الله ما في صدوركم) أي يبتبر الله ما في صدوركم بأعمالكم لأنه قد علمه غيبا فيعلمه شهادة لأن المجازاة إنما تقع على ما علم مشاهدة لا على ما هو معلوم منهم غير معمول عن الزجاج وقيل معناه ليعاملكم معاملة المبتلين مظهرة في العدل عليكم وقيل انه عطف على قوله ثم صرفهم عنكم ليبتيكم وليبتلي ما في صدوركم (وليمحص ما في قلوبكم) أي يخلص وقيل هذا خطاب للمنافقين أي يأمرهم بالخروج فلا يخرجون فيظهر للمسلمين معاداتكم لهم وثنكشف اسراركم فلا يعدكم المسلمون من جملتهم وقيل معناه ليبتي اولياء الله ما في صدورهم كما في قوله الذين يجارون الله ورسوله ويؤذون الله ورسوله وقيل انه عطف على قوله امانة نعاسا ليظهر عند هذه أي الأحوال موافقة باطنكم ظاهركم وليمحص ما في قلوبكم أي يظهرها من الشك بما يريكم من عجائب صنعه ويخلص نياتكم وهذا التمهيص خاص للمؤمنين دون المنافقين (والله عليم بذات الصدور) معناه ان الله لا يبتيكم ليعلم ما في صدوركم فإن الله عليم بذلك وإنما ابتلاكم ليظهر اسراركم فيقع الجزاء على ما ظهر

قوله تعالى (١٥٥) **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّمَيِّ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** (آية)

(المعنى) -

ثم ذكر الله الذين انهزموا يوم أحد ايضا فقال (إن الذين تولوا منكم) اي إن الذين ولوا الدبر على المشركين بأحد منكم ايها المسلمون عن قتادة والربيع وقيل هم الذين هربوا إلى المدينة في وقت الهزيمة عن السدي (يوم التقى الجمعان) جمع المسلمين وسيدهم رسول الله وجمع المشركين ورئيسهم ابو سفيان إنما استزلهم الشيطان اي طلب زلتهم عن القتيبي وقيل ازل واستزل بمعنى (بعض ما كسبوا) من معاصيهم السالفة فلحقهم شوهمها وقيل استزلهم بمحبتهم للغنيمة مع حرصهم على تبقية الحياة عن الجبائي قال وفي ذلك الزجر عما يؤدي إلى الفتور فيما يلزم من الأمور وقيل استزلهم بذكر خطايا سلفت لهم فكروها القتل قبل إخلاص التوبة منها والخروج من المظلمة فيها عن الزجاج (ولقد عفا الله عنهم) أعاد تعالى ذكر العفو تأكيدا لطمع المذنبين في العفو منعا لهم عن اليأس وتحسينا لظنون المؤمنين (إن الله غفور حلیم) قد مر معناه وذكر ابو القاسم البلخي انه لم يبق مع النبي (ص) يوم أحد إلا ثلاثة عشر نفسا خمسة من المهاجرين وثمانية من الأنصار فأما المهاجرون فعلي (ع) وابو بكر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وقد اختلف في الجميع إلا في علي (ع) وطلحة وقد روي عن عمر بن الخطاب انه قال ورأيتني اصعد في الجبل كأنني اروي ولم يرجع عثمان من الهزيمة إلا بعد ثلاث فقال له النبي (ص) لقد ذهبت فيها عريضة

قوله تعالى (١٥٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى أَوْ كَانُوا عِدَّةً نَا مَا تَوَّأَوْا وَمَا قَتَلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٧) وَإِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٨) وَإِن مِّمُّم أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (ثلاث آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ ابن كثير واهل الكوفة غير عاصم بما يعملون بالياء والباقون بالتاء. وقرأ نافع واهل الكوفة غير عاصم متم بالكسر ووافقهم حفص في سائر المواضع إلا هاهنا وقرأ الباقر متم بضم الميم وقرأ مما يجمعون بالياء. حفص عن عاصم والباقرن تجمعون بالتاء.

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من قرأ بالتاء. قوله ولا تكونوا كالذين كفروا وحجة من قرأ بالياء. ان قبلها ايضا غيبة وهو قوله وقالوا لاخوانهم وما بعده فحمل الكلام على الغيبة والاشهر الاقيس في متم ضم الميم والكسر شاذ في القياس ونحوه مما شذ فضل بفضل في الصحيح وانشدوا

ذكرت ابن عباس بدار ابن عامر وما مر من عمري ذكرت وما فضل

واما تجمعون بالتاء فالمعنى على تجمعون ايها المقتولون في سبيل الله والماتون ومعنى الياء انه لمغفرة من الله خير مما يجمعه غيركم

﴿ اللغة ﴾

الضرب في الأرض السير فيها واصله الضرب باليد وقيل هو الايغال في السير وغزى جمع غاز نحو ضارب وضرب وطالب وطلب

* الإعراب *

قوله وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض وضع إذا موضع إذا لأحد أمرين أما لأنه متصل بلا تكونوا كهؤلاء إذا ضرب إخوانهم في الأرض وأما لأن الذي إذا كان مبهما غير موقت يجري مجرى ما في الجزاء فيقع الماضي فيه موضع المستقبل نحو إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله معناه يكفرون ويصدون ويجوز لأكرم من الذي أكرمك إذا زرته لأبهم الذي ولا يجوز لأكرم من هذا الذي أكرمك إذا زرته لتوقيت الذي من أجل الإشارة إليه بهذا وقوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم اللام فيه يتعلق بلا تكونوا أي لا تكونوا كهؤلاء الكفار في هذا القول ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم دونكم وقيل انه يتعلق بقوله وقالوا لإخوانهم فيكون لام العاقبة عن أبي علي الجبائي وقوله لأن قتلتم استغنى عن جواب الجزاء فيه بجواب القسم في قوله لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون وقد اجتمع شيئان كل واحد منهما يحتاج إلى جواب وكان جواب القسم أولى بالذكر لأن له صدر الكلام مما يذكر في حشوه واللام في قوله وإن متم يحتمل أمرين * أحدهما * أن يكون خلفا من القسم ويكون اللام في قوله لا أولى الله جوابا كقولك والله إن متم أو قتلتم لتحشرون إلى الله * والثاني * أن تكون مؤكدة لما بعدها كما تؤكد أن ما بعدها وتكون الثانية جوابا لقسم محذوف والنون لا بد منها في الفعل المضارع مع لام القسم لأن القسم أحق بالتأكيد من كل ما يدخله النون من جهة أن ذكر القسم دليل على أنه من مواضع التأكيد فإذا جازت في غيره من الأمر والنهي والاستفهام والعرض والجزاء مع ما لزمته في القسم لأنه أحق بها من غيره والفرق بين لام القسم ولام الابتداء أن لام الابتداء يصرف لاسم إليه فلا يعمل فيه ما قبلها نحو قد علمت زيدا خير منك وقد علمت أن زيدا ليقوم وليس كذلك لام القسم لأنها لا تدخل على الاسم ولا يكسر لها أن نحو قد علمت أن زيدا ليقوم ويلزمها النون في المستقبل

* المعنى *

ثم نهى الله سبحانه المؤمنين عن الاقتداء بالمنافقين في أقوالهم وأفعالهم فقال (يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) يريد عبد الله بن أبي سلول وأصحابه من المنافقين عن السدي ومجاهد وقيل هو عام (وقالوا لإخوانهم) من أهل النفاق (إذا ضربوا في الأرض) أي سافروا فيها لتجارة أو طلب معاش فأتوا عن السدي وابن اسحاق وإنما خص الأرض بالذكر لأن أكثر أسفارهم كان في البر وقيل اكفى بذكر البر عن ذكر البحر كقوله تعالى سراويل تقيكم الحر وقيل لأن الأرض تشتمل على البر والبحر (أو كانوا غزى) أي غزاة محاربين للعدو فقتلوا (لو كانوا) مقيمين (عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) معناه قالوا هذا القول ليثبطوا المؤمنين عن الجهاد فلم يقبل المؤمنون ذلك وخرجوا ونالوا العز والغنيمة فصار حسرة في قلوبهم واللام على هذا في ليجعل لام العاقبة وقيل معناه ولا تكونوا كهؤلاء الكفار في هذه المقالة لكي يجعل الله تلك المقالة سببا لازما للحسرة والحزن في قلوبهم لما يحصل لهم من الحمية فيما أملوا من الموافقة ولما فاتهم من عز الظفر والغنيمة والله يخيي ويميت أي هو الذي يخيي ويميت في السفر والحضر عند حضور الأجل لا مقدم لما أخر ولا مؤخر لما قدم ولا راد لما قضى ولا محيص عما قدر وهذا يتضمن منع الناس عن التخلف في الجهاد خشية القتل فإن الأحياء والإمامة بيد الله سبحانه فلا حياة لمن قدر الله موته ولا موت لمن قدر الله حياته (والله بما تعملون بصير) أي مبصر وقيل علم وهذا يتضمن الترغيب في الطاعة والترهيب عن المعصية ثم حث سبحانه على الجهاد وبين أن الشهادة خير من أموال الدنيا المستفادة بأن قال (ولئن قتلتم) أيها المؤمنون (في سبيل الله) أي في الجهاد (أو متم) قاصدين مجاهدة الكفار استوجبتم (لمغفرة) من الله (ورحمة) والمغفرة الصفرح عن الذنوب والرحمة الثواب والجنة وهاتان (خير مما يجمعون) من الأموال والمقاصد الدنيوية وهذا يتضمن تعزية المؤمنين

وتسلبتهم عما أصابهم في سبيل الله وفيه تقوية لقلوبهم وتهوين للموت والقتل عليهم ثم قال (ولئن متم أو قتلتم
 لإبى الله تمحشرون) أي سوا. متم أو قتلتم فإن مرجعكم إلى الله فيجزى كلامكم كما يستحقه المحسن على
 إحسانه والمسي على إساءته فاثروا ما يقربكم منه ويوجب لكم رضا من العمل بطاعته والجهاد في سبيله ولا
 تركنوا إلى الدنيا وفي هذا المعنى البيت الذي ينسب إلى الإمام الحسين بن علي

فإن تكن الأبدان للموت أنشئت فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل

﴿سؤال﴾ إن قيل كيف عادل بين مغفرة الله ورحمته وبين حطام الدنيا مع تفاوت ما بينها ولا يقول
 احد الدرر خير من البعرة ﴿فجوابه﴾ ان الناس يوثرون الدنيا على الآخرة حتى انهم يتركون الجهاد في سبيل
 الله محبة للاستكثار من الدنيا أو إشارا للمقام فيها فعلى هذا جاز ذلك

قوله تعالى (١٥٩) فِيمَا رَحِمَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّتَ لَهُمْ وَ أَوْ كُنْتَ تَطَّأ غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُوا
 مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (آية)

اللغة

الفظ الغليظ الجافي القاسي القلب يقال منه فظظت تفظ فظاظة وأنت فظ علي وزن فعل إلا انه أدغم
 كصب والفظاظه خشونة الكلام والافظاظ شرب ماء الكرش لجفائه على الطبائع فإن أصل الفظاظه الجفوة
 والفظ ماء الكرش والفض بالضاد تفريق الشيء والانفضاض التفريق وشاورت الرجل مشاورة وشوارا والاسم
 المشورة وقيل المشورة وفلان حسن الشورة والصورة أي الهيئة واللباس وانه لصبر شير وهو حسن الشارة
 ومعنى قولهم شاورت فلانا أظهرت في الرأي ما عندي وما عنده وشرت الدابة أشورها إذا منحتها لتعرف
 هيئتها في سيرها وشرت العسل وأشرته إذا أخذته من مواضع النحل وعسل مشور ومشار قال الشاعر

كَأَنَّ الْقُرْنِفَلَ وَالزَّنَجِيلَ بَاتَا بِفِيهَا وَأَرِيَا مَشُورَا

وقال عدي بن زيد

وقناع يأذن الشيخ له وحديث مثل ماذي مشار

والعزم عقد القلب على الشيء تريد أن تفعله والعزيمة كذلك قال ابن دريد يقال عزم عليك يعني
 أقسمت عليك والتوكل إظهار العجز والاعتماد على الغير والتوكل على الله هو تفويض الأمر إليه والثقة بحسن
 تديره وأصله الاتكال وهو الاكتفاء في فعل ما يحتاج إليه من يستند إليه ومنه الوكالة لأنه عقد على الكفاية
 بالنيابة والوكيل هو المنكّل عليه بتفويض الأمر إليه

-(الإعراب)-

فبما رحمة ما زائدة بإجماع المفسرين ومثله قوله عما قيل جاءت مامو كدة الكلام ودخولها تحسن النظم
 كدخولها لاتزان الشعر في نحو قول عنترة

ياشاة ما قنص لمن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم

وقال الفرزدق

ناديت انك ان نجوت فبعدها بأس وقد نظرت إلي شعوب
وذلك ليتمكن المعنى في النفس فجرى مجرى التكرير
- * المعنى * -

ثم بين سبحانه ان مساهلة النبي (ص) اياهم ومجاورته عنهم من رحمته تعالى حيث جعله لين العطف
حسن الخلق (فبأرحمة) أي فبرحمة (من الله لنت لهم) معناه ان لينك لهم مما يوجب دخولهم في
الدين لأنك تأتبهم مع سماحة اخلاقك وكرم سجيتك بالحجج والبراهين (ولو كنت) يا محمد (فظا) أي
جافيا سيء الخلق (غليظ القلب) أي قاسي الفؤاد غير ذي رحمة ولا رأفة (لانفضوا من حولك) أي
لتفرق اصحابك عنك ونفروا منك وقيل انا جمع بين الغظظة والغلظة وان كانتا متقاربتين لأن الغظظة في
الكلام فغى الجفاء عن لسانه والقسوة عن قلبه (فاعف عنهم) ما بينك وبينهم (واستغفر لهم) ما بينهم وبينني
وقبل معناه فاعف عنهم فرارهم من أحد واستغفر لهم من ذلك الذنب (وشاورهم في الأمر) أي استخرج
آراءهم واعلم ما عندهم واختلفوا في فائدة مشاورته اياهم مع استئذنه بالوحي عن تعرف صواب الرأي من
العبادة على أقوال «احدها» ان ذلك على وجه التطيب انفسهم والتألف لهم والرفع من أقدارهم ليعين انه
من يوثق بأقوالهم ويرجع الى آرائهم عن قتادة والربيع وابن اسحاق «وثانيها» ان ذلك لتقتدي به امته
في المشاورة ولولم يروها نقيصة لما مدحوا بأن أمرهم شورى بينهم عن سفيان بن عيينه «وثالثها» ان ذلك
لأمرين لا لجلال أصحابه ولتقتدي امته في ذلك عن الحسن والضحاك «ورابعها» ان ذلك ليمتنعهم
بالمشاورة ليشير الناصح من العاش «وخامسها» ان ذلك في أمور الدنيا ومكائد الحرب ولقاء العدو وفي مثل
ذلك يجوز ان يستعين بآرائهم عن ابي علي الجبائي (فاذا عزمت) أي فاذا عقدت قلبك على الفعل وامضائه
ورووا عن جعفر بن محمد وعن جابر بن يزيد فاذا عزمت بالضم فعلى هذا يكون معناه فاذا عزمت لك
وروقتك وارشدتك (فتوكل على الله) أي فاعتمد على الله وثق به وفوض امرك اليه (ان الله يحب المتوكلين)
يعني الواثقين به والمعتمدين عليه والمنقطعين اليه الواكبين أمرهم إلى لطفه وتديبره وفي هذه الآية دلالة
على تخصيص نبينا بكمال الأخلاق وبجاسن الأفعال ومن عجب أمره (ص) انه كان أجمع الناس لدواعي
الترفع ثم كان أدناهم إلى التواضع وذلك انه كان أوسط الناس نسبا وأوفرهم حسبا وأسخاهم وأشجعهم
وأزكاهم وأفصحهم وهذه كلها من دواعي الترفع ثم كان من تواضعه انه كان يرفع الثوب ويخفف النعل
ويركب الحمار ويعلف الناضح ويعجيب دعوة المملوك ويجلس في الأرض ويأكل على الأرض وكان يدعو
الى الله من غير زور ولا كهر ولا زجر ولقد أحسن من مدحه في قوله

فأحملت من ناقة فوق ظهرها أبر وأوفى ذمة من محمد

وفي الآية أيضا ترغيب للمؤمنين في العفو عن المسيئين وحثهم على الاستغفار لمن يذنب منهم وعلى
مشاورة بعضهم بعضا فيما يعرض لهم من الأمور ونهيمهم عن الغظظة والغلظة والجفاء في الفعل ودعائهم
إلى التوكل عليه وتفويض الأمر اليه وفيها أيضا دلالة على ما نقوله في اللطف لأنه سبحانه نبه على أنه لولا
رحمته لم يقع اللين والتواضع ولو لم يكن كذلك لما أجابوه فبين ان الأمور المنفرة منفية عنه وعن سائر الأنبياء
ومن يجري مجراهم في انه حجة على الخلق وهذا يوجب تنزيلهم أيضا عن الكبار لأن التنفير في ذلك أكثر

قوله تعالى (١٦٠) **إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** (آية)

= [المعنى] =

لما أمر الله سبحانه نبيه بالتوكل بين معنى وجوب التوكل عليه فقال (ان ينصركم الله) على من ناوأكم (فلا غالب لكم) أي فلا يقدر واحد على غلبتكم وإن أكثر عدد من يناوتكم وقل عددكم (وإن يخذلكم) أي يمنعكم معونته ويحل بينكم وبين أعدائكم بمعصيتكم إياه (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) الهاء عائدة إلى اسم الله على الظن والمعنى على حذف المضاف وتقديره من بعد خذلانه يعني انه لا ناصر لكم ينصركم بعد خذلان الله إياكم ومن هاهنا معناه التقرير بالنفي في صورة الاستفهام أي لا ينصركم احد من بعده وإنما تضمن حرف الاستفهام معنى النفي لأن جوابه يجب ان يكون بالنفي فصار ذكره يعني عن ذكر جوابه وكان ابلغ لتقرير المخاطب فيه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ظن المراد وتضمنت الآية الترغيب في طاعة الله التي يستحق بها النصرة والتحذير من معصية الله التي يستحق بها الخذلان مع ايجاب التوكل عليه الذي يؤمن معه ان يكلمهم الى انفسهم فيهلكوا قال ابو علي الجبائي وفي الآية دليل على ان من غلبه أعداء الله من الباغين لم ينصره الله لأنه لو نصره لما غلبوه وذلك بحسب ما في المعلوم من مصالح العباد مع تعريض المؤمنين لمنازل الابرار بالصبر على الجهاد مع خوف القتل من حيث لم يجعل على امان من غلبة الفجار وهذا إنما هو في النصرة بالغلبة فأما النصرة بالحجة فإن الله نصر المؤمنين من حيث هداهم الى طريق الحق بما نصب لهم من الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة ولولا ذلك لما حسن التكليف وقال ابو القاسم البلخي المؤمنون منصورون ابدأ إن غلبوا فهم المنصورون بالغلبة وإن غلبوا فهم المنصورون بالحجة ولا يجوز ان ينصر الله الكافر على وجه وقال الجبائي النصرة بالغلبة ثواب لأنه لا يجوز ان ينصر الله الظالمين من حيث لا يريد استعلاءهم بالظلم على غيرهم وقال ابن الاخشيد ليس يجواب كيف تصرفت الحال لأن الله تعالى امرنا ان ننصر الفئة المبغية عليها وقد لا تكون مستحقة للثواب فأما الخذلان فلا خلاف انه عقاب والخذلان هو الامتناع من المعونة على عدو في وقت الحاجة اليها لأنه لو امتنع انسان من معونة من يستغني عن معونته لم يكن خاذلاً له

قوله تعالى (١٦١) **وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُولَ وَمَنْ يَغْلِبْ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** (آية)

-(القراة)-

قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ان يغلب بفتح الياء وضم العين وقرأ الباقون بضم الياء وفتح العين

-(الحجة)-

من قرأ يغلب فمعناه يخون . يقال غلب في الغنمة يغلب اذا خاف فيها واغلب بمعناه . وقال النمر بن تولب

جزى الله عنا جمرة بنت نوفل
 بما سألت عني الوشاة ليكذبوا
 علي وقد أوليتها في النوائب
 ومن قرأ يغفل فمعناه على وجهين * أحدهما * ما كان لنبي أن يخون أي ينسب إلى الخيانة أي يقال له غفلت كقولك أسقيته أي قلت له سقاك الله قال ذو الرمة
 واسقيه حتى كاد مما أبشه
 تكلمني أحجاره وملاعبه
 وقال الكمي

وطائفة قد أكرتني بحبكم
 وطائفة قالت مسي ومذنب
 أي نسبتني إلى الكفر * والآخر * ما كان لنبي أن يخان بمعنى يسرق منه ويؤخذ من الغنيمة التي حازها ويكون تخصيص النبي بذلك تعظيماً للذنب قال أبو علي الفسوي الحجة لمن قرأ أن يغفل إنما جاء في التنزيل من هذا النحو اسند الفعل فيه إلى الفاعل نحو ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء وما كان ليأخذ أخاه وما كان لنفس أن تموت وما كان الله ليضل قوماً وما كان الله ليطلعم على الغيب ولا يكاد يقال ما كان لزيد أن يضرب وما كان لزيد ليضرب فيسند الفعل فيه إلى المفعول به فكذلك قوله وما كان لنبي أن يغفل يسند الفعل فيه إلى الفاعل وروي عن ابن عباس أنه قرأ يغفل قيل له إن عبد الله قرأ يغفل فقال ابن عباس بلى والله ويقتل وروي عن ابن عباس أيضاً أنه قال وقد كان النبي يقتل فكيف لا يخون

[اللغة] =

أصل المغلول من الغل وهو دخول الماء في خلل الشجر يقال انغل الماء في أصول الشجر والغلول الخيانة لأنها تجري في الملك على خفاء من غير الوجه الذي يحل كالغل ومنه الغليل حرارة العطش فالغلة الخيانة لأنها تجري في الملك على جفاء من غير الوجه والغل الحسد لأنه يجري في النفس كالغل ومنه الغليل حرارة العطش والغلة كأنها تجري في الملك من جهات مختلفة والغلالة لأنها شعار تحت البدن

* النزول *

روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير أنها نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من المغنم فقال بعضهم لعل النبي (ص) أخذها وفي رواية الضحاك عنه أن رجلاً غل بمخيطة أي بآبرة من غنائم هوازن يوم حنين فنزلت الآية وعن مقاتل أنها نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز طلباً للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله من أخذ شيئاً فهو له ولا يقسم كما لم يقسم يوم بدر ووقعوا في الغنائم فقال رسول الله أظننتم أن انغل ولا تقسم لكم فأنزل الله الآية وقيل إنه قسم المغنم ولم يقسم للطلائع فلما قدمت الطلائع قالوا أقسم النبي ولم يقسم لنا فعرفه الله الحكم فنزلت الآية وقيل نزلت في أداء الوحي كان النبي (ص) يقرأ القرآن وفيه غيب دينهم وسب آلهتهم فسألوه أن يطوي ذلك فأنزل الله الآية

* المعنى *

لما قدم تعالى أمر الجهاد وذكر بعده ما يتعلق به من حديث الغنائم والنهي عن الخيانة فيها فقال (وما كان لنبي أن يغفل) وتقديره وما كان لنبي الخيانة لأن ان مع الفعل بمعنى المصدر أي لا تجتمع

النبوة والحيانة وقيل معناه ما كان له ان يكتم شيئا من الوحي عن ابن اسحاق وتقديره ما كان له ان يغفل
 امته فيما يؤدى اليهم وقيل اللام منقولة وتقديره ما كان النبي ليغفل كقوله ما كان الله ليتخذ من ولد معناه
 ما كان الله ليتخذ ولدا وعلى القراءة الأخرى ما كان لنبي أن يخون أي يخونه اصحابه أو بمعنى يكتمونه
 شيئا من المغنم على ما مضى القول فيه وخصه بالذكر وان كان لا يجوز ان يغفل غيره من إمام أم امير
 للمسلمين لوجهين * أحدهما * لعظم خيانه وانها أعظم من خيانة غيره وهذا كقوله فاجتنبوا الرجس
 من الأوثان وإن كان اجتناب جميع الأرجاس واجبا * والآخر * ان النبي إنما خص بالذكر لأنه
 القائم بأمر الغنائم فإذا حرمت الخيانة عليه وهو صاحب الأمر فحرمتها على غيره أولى وأجدر وقوله (ومن
 يغفل أت بما غل يوم القيامة) معناه انه يأتي حاملا على ظهره كما روي في حديث طويل الا لا يغفل أحد
 بعير فيأتي به على ظهره يوم القيامة له رغاء الا لا يغفل أحد فرسا فيأتي به على ظهره له حمحمة فيقول يا محمد
 يا محمد فأقول قد بلغت قد بلغت لا أملك لك من الله شيئا عن ابن عباس وابي حميد احمد الساعدي وابن
 عمر وقتادة وقال الجبائي وذلك ليفضح به على رؤوس الأشهاد وقال البخاري فيجوز ان يكون ما تضمنه
 الخبر على وجه المثل كان الله اذا فضحه يوم القيامة جر من ذلك مجرى ان يكون حاملا له وله صوت وقد
 روي في خبر آخر ان النبي (ص) كان يأمر مناديا فينادي في الناس ردوا الخيط والمخيط فإن الغلول عار
 وشار يوم القيامة فجاء رجل بكبة شعر فقال اني اخذتها لا خيط بردة بعيري فقال النبي (ص) اما نصيبي منها
 فهو لك فقال الرجل اما إذا بلغ الأمر هذا المبلغ فلاحاجة لي فيها والأولى ان يكون معناه ومن يغفل يوافي بما غل
 يوم القيامة فيكون حمل غلوله على عنقه اماره يعرف بها وذلك حكم الله تعالى في كل من وافى يوم القيامة بمعصيته
 لم يتب منها او أراد الله تعالى ان يعامله بالعدل اظهر عليه من معصيته علامة تليق بمعصيته ليعلمه اهل القيامة
 بها ويعلموا سبب استحقاقه العقوبة كما قال تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وهكذا حكمه تعالى
 في كل من وافى القيامة بطاعة فإنه تعالى يظهر من طاعته علامة يعرف بها (ثم توفي كل نفس ما كسبت) اي
 يعطي كل نفس جزاء ما عملت تماما وافي (وهم لا يظلمون) اي لا ينقص احد مقدار ما يستحقه من الثواب
 ولا يزداد احد عن مقدار ما استحقه من العذاب وفي هذه الآية دلالة على فساد قول المجبرة ان الله لو عذب
 اوليائه لم يكن ذلك منه ظلما لأنه قد بين انه لو لم يوفها ما كسبت لكان ظلما

قوله تعالى (١٦٢) **أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ**
وَيَسَّ الْمَصِيرُ (١٦٣) هُمْ ذَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (آياتان)

اللغة

باء اي رجع يقال باء بذنبه يوبوء اي اذا رجع به وبوأنه منزلا اي هياته له لأنه يرجع اليه والسخط من
 الله هو ارادة العقاب لمستحقه ولعنه وهو مخالف للغيظ لأن الغيظ هو هيجان الطبع وانزعاج النفس فلا يجوز
 اطلاقه على الله تعالى المصير المرجع ويفرق بينهما بأن المرجع هو انقلاب الشيء الى حال قد كانت عليها
 والمصير انقلاب الشيء الى خلاف الحال التي هو عليها نحو مصير الطين خزفا ولا يقال رجع الطين خزفا لأنه

لم يكن قبل خرفا والدرجة الرتبة والدرجات مشي الصبي لتقارب الرتب والترقي في العلم ودرجة بعد درجة
اي منزلة بعد منزلة كالدرجة المعروفة

✽ النزول ✽

لما امر رسول الله (ص) بالخروج إلى أحد قعد عنه جماعة من المنافقين واتبعه المؤمنون فانزل الله
تعالى هذه الآية

= [المعنى] =

لما بين تعالى ان كل نفس توفي جزاء ما كسبت من خير وشر عقبه ببيان من كسب الخير والشر فقال
(أفمن اتبع رضوان الله) وفيه أقوال ✽ احدها ✽ ان معناه أفمن اتبع رضوان الله في العمل بطاعته كمن باء
بسخط منه في العمل بمعصيته عن ابن اسحاق ✽ وثانيها ✽ أفمن اتبع رضوان الله في ترك الغلول كمن باء
بسخط من الله في فعل الغلول عن الحسن والضحاك واختاره الطبري لأنه اشبه بما تقدم ✽ وثالثها ✽ أفمن
اتبع رضوان الله بالجهاد في سبيله (كمن باء بسخط من الله) في الفرار منه رغبة عنه عن الزجاج والجبائي
وهذا الوجه يطابق ما سبق ذكره من سبب النزول (وماواه جهنم) أي مصيره مرجعه جهنم (وبئس المصير)
أي المكان الذي صار إليه والمستقر والألف استفهام والمراد به التقرير والفرق بين الفريقين أي ليس من
اتبع رضوان الله أي رضاه كمن باء بسخطه (هم درجات) أي هم ذوو درجات (عند الله) فالؤمنون ذوو
درجة رفيعة والكافرون ذوو درجة خسيصة وقيل في معناه قولان ✽ احدهما ✽ ان المراد اختلاف مراتبي
أهل الثواب والعقاب بما هو لاء من النعيم والكرامة ولا ولئك من العقاب والمهانة وعبر من ذلك بدرجات
مجازا وتوسعا - « والثاني » - ان المراد اختلاف مراتب كل من الفريقين فإن الجنة طبقات بعضها أعلى
من بعض كما جاء في الخبر ان أهل الجنة ليزون أهل عليين كما يرى النجم في افق السماء والتاردركات
بعضها أسفل من بعض ومثله في حذف المضاف قول ابن هرمة انشده سيبويه

أنصب للمنية تعتر بهم رجالي أم هم درج السيول

أي هم ذوو درج (والله بصير بما يعملون) أي عليم وفي هذا ترغيب للناس في اتباع مرضاة الله تعالى
وتحذيرهم عما يوجب سخطه واعلام بأن اسرار العبادة عنده علانية وفيه توثيق بأنه لا يضيع عمل عامل
لديه إذ لا يخفى شي من ذلك عليه فيثيب على الطاعة ويعاقب على المعصية

قوله تعالى (١٦٤) لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْل لَفِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ (آية)

﴿ اللغنة ﴾

أصل المن النطم يقال منه إذا قطعه والمن النعمة لأنه يقطع بها عن البلية يقال من فلان علي بكذا
أي استغذني به وما أنا فيه والمن تكدير النعمة لأنه قطع لها عن وجوب الشكر عليها والمنلة القوة لأنه يقطع
بها الأعمال

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه عظيم نعمته على الخلق ببعثه نبينا فقال (لقد من الله) أي انعم الله (على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا) منهم خص المؤمنين بالذكر وان كان (ص) مبعوثا الى جميع الخلق لأن النعمة عليهم اعظم لا هتدائهم به وانتفاعهم ببيانه ونظير ذلك ما تقدم بيانه من قوله هدى للمتقين وقوله (من أنفسهم) فيه اقوال « احدها » ان المراد به من رهطهم يعرفون منشأه وصدقه وأمانته وكونه أميا لم يكتب كتابا ولم يقرأه ليعلموا ان ما أتى به وحي منزل ويكون ذلك شرفا لهم وداعيا إليهم الى الإيمان « وثانيها » ان المراد به انه يتكلم بلسانهم فيسهل عليهم تعلم الحكمة منه فيكون خاصا بالعرب « وثالثها » انه عام لجميع المؤمنين والمراد بأنفسهم انه من جنسهم لم يبعث ملكا ولا جنيا وموضع المنة فيه انه بعث فيهم من عرفوا أمره وخبروا شأنه وقوله (يتلو عليهم آياته) يعني القرآن (ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) مضى بيانه في سورة البقرة (وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) يعني انهم كانوا في ضلال ظاهر بين اي كفاروا وكفرهم هو ضلالهم فأنقذهم الله بالنبي (ص)

قوله تعالى (١٦٥) **أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِيهَا قُلْتُمْ أَنِي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (آية)

﴿ الإعراب ﴾

إنما دخلت الواو في اولما لعطف جملة على جملة الا انه تقدمها الف الاستفهام لأن له صدر الكلام وإنما وصلت هذه الواو الكلام الثاني بالأول ليدل على تعلقه به في المعنى وذلك انها وصلت التفرع على الخطيئة بالتذكير بالنعمة لفرقة واحدة

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد الكلام إلى ذكر الجهاد فقال (اولما اصابتمكم مصيبة قد اصبتم مثلها) اي حين اصابكم القتل والجرح وذلك ما اصاب المسلمين يوم أحد فإنه قتل من المسلمين سبعون رجلا وكانوا هم اصابوا من المشركين يوم بدر مثليها فإنهم كانوا قتلوا من المشركين سبعين رجلا وأسروا سبعين عن قتادة وعكرمة والربع والسدي وقد اصبتم ايها المسلمون يوم بدر مثليها وقيل قتلتم منهم ببدر سبعين وبأحد سبعين عن الزجاج وهذا ضعيف لأنه خلاف ما ذكره اهل السير فإنه لا خلاف بينهم انه قتل منهم بأحد نفر يسير فقوله خلاف الجمهور (وقلتم أني يكون هذا) أي من اي وجه اصابنا هذا ونحن مسلمون وفينا رسول الله (ص) وينزل عليه الوحي وهم مشركون وقيل انهم إنما استنكروا ذلك لأنه وعدمهم بالنصر من الله إن أطاعوه عن الجبائي وقوله (قل هو من عند أنفسكم) أي قل يا محمد ما اصابكم من الهزيمة والقتل من عند أنفسكم أي بخلافكم امر ربكم وتركم طاعة الرسول (ص) وفيه اقوال « احدها » ان ذلك بمخالفتم الرسول في الخروج من المدينة القتال يوم أحد وكان النبي (ص) دعاهم إلى ان يتحصنوا بها ويدعوا المشركين الى أن يقصدوهم فيها فقالوا كئنا نمتنع من ذلك في الجاهلية ونحن الآن في الإسلام وأنت يا رسول الله نبينا أحق بالامتناع وأعز

عن قتادة والربيع « وثانيها » ان ذلك باختيارهم الفداء من الاسرى يوم بدر وكان الحكم فيهم القتل وشرط عليكم انكم ان قبلتم الفداء قتل منكم في القابل بعدتهم فقالوا رضينا فاننا نأخذ الفداء او ننتفع به واذا قتل منا فيما بعد كنا شهداء عن علي (ع) وعبيدة السلماني وهو المروي عن الباقر (ع) « وثالثها » ان ذلك بخلاف الرماة يوم أحد لما أمرهم رسول الله (ص) به من ملازمة مراكزهم (ان الله على كل شيء قدير) اي فهو قادر على نصركم فيما بعد وإن لم ينصركم في الحال لمخالفتم

قوله تعالى (١٦٦) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقِي الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَاعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٧) وَاعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ الْقِتَالَ لَا تَبْعَانَا كُمْ هُمْ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِ بَيْدِ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (آيتان)

﴿ الإعراب ﴾

الفاء إنما دخلت في قوله فبإذن الله لأن خبر ما الذي بمعنى الذي يشبه جواب الجزاء. لأنه معلق بالفعل في الصلة كتنعليقه بالفعل في الشرط كقولك الذي قام فمن أجل انه كريم اي لأجل قيامه صح انه كريم ومن أجل كرمه قام

﴿ المعنى ﴾

(وما اصابكم) ايها المؤمنون (يوم التقي الجمعان) جمع المسلمين وجمع المشركين يعني يوم أحد من النكبة بقتل من قتل منكم (فبإذن الله) اي بعلم الله ومنه قوله واذان من الله اي اعلام وقيل بتولية الله بينكم وبينهم التي تقوم مقام الاطلاق في الفعل برفع الموانع والتمكين من الفعل الذي يصح معه التكليف وقيل بعقوبة الله فإن الله تعالى جعل لكل ذنب عقوبة وكان ذلك عقوبة لهم من الله على ترك أمر رسول الله ولا يجوز أن يكون المراد بالاذن هاهنا الاباحة والاطلاق كما يقتضيه اللفظ لأن الله لا يبيح المعاصي ولا يطلقها وقتل الكافر المسلم من أعظم المعاصي فكيف يأذن فيه (واعلم الله المؤمنين الذين نافقوا) معناه وليميز المؤمنين من المنافقين لأن الله عالم بالأشياء قبل كونها فلا يجوز أن يعلم عند ذلك ما لم يكن عالما به إلا ان الله أجر على المعلوم لفظ العلم مجازا اي ليظهر المعلوم من المؤمن والمنافق (وقيل لهم) أي للمنافقين (تعالوا قاتلوا في سبيل الله) قالوا إن عبد الله بن أبي والمناقين معه من اصحابه انخذلوا يوم أحد نحو من ثلاثمائة رجل وقالوا اعلام نقتل أنفسنا وقال لهم عبد الله عمرو بن حزام الأنصاري تعالوا قاتلوا في سبيل الله واتقوا الله ولا تحذلوا نبيكم (وادفعوا) عن حريمكم وأنفسكم إن لم تقاتلوا في سبيل الله وقيل معناه اقيموا معنا كثروا سوادنا وهذا يدل على ان تكثير سواد المجاهدين معدود في الجهاد وبمنزلة القتال (قالوا لو نعلم قتالا لا تبعناكم) يعني قال المنافقون لو علمنا قتالا لقاتلناهم قالوا ذلك بلا لعدوهم في ترك القتال والرجوع إلى المدينة فقال لهم أبعدكم الله الله يعني عنكم وقيل إنما القائل لذلك رسول الله يدعوهم إلى القتال عن الأعداء (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) يعني بإظهار هذا القول صاروا أقرب إلى الكفر إذ كانوا

قبل ذلك في ظاهر احوالهم اقرب إلى الإيمان حتى هتكوا السر فعلم المؤمنون منهم ما لم يعلموه واللام بمعنى إلى يعني هم إلى الكفر اقرب منهم إلى الإيمان كقوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا اي الى هذا يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) ذكر الأفواه تأكيذا لأن القول قد يضاف اليها وقيل إنما ذكر الأفواه فرقا بين قول اللسان وقول الكتاب والمراد به قولهم لو نعلم قنالا لاتبعناكم واضرارهم انه لو كان قتال لم يقتلوا معهم ولم ينصروا النبي (ص) وقيل معناه (يقولون بأفواههم) من التقرب الى الرسول والإيمان (ما ليس في قلوبهم) فإن في قلوبهم الكفر (والله أعلم بما يكتمون) أي بما يضمرونه من النفاق والشرك

قوله تعالى (١٦٨) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرؤْا
عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (آية)

✽ اللغة ✽

الدرء الدفع يقال دره عنه اي دفع عنه قال الشاعر

نقول إذا درأت لها وضيئي أهذا دينه أبدا وديني

✽ الاعراب ✽

موضع الذين يحتمل أن يكون نصبا على البدل من الضمير في تكتمون ويحتمل ان يكون رفعا على خبر الابتداء على تقديرهم الذين قالوا

-(المعنى)-

(الذين قالوا) يعني المنافقين (لاخوانهم) في النسب لا في الدين يعني عبد الله بن أبي واصحابه قالوا في قتلى أحد (وقعدوا) هم يعني هؤلاء القائلون عن جابر وقتادة والسدي والربيع (لو أطاعونا) في القعود في البيت وترك الخروج الى القتال (ما قتلوا) قل لهم يا محمد (ص) (فادروا) اي فدعوا (عن انفسكم الموت) ان كنتم صادقين في هذه المقالة ولا يمكنهم دفع الموت لأنه يجوز ان يدخل عليهم العدو فيقتلهم في قعر بيوتهم وانما الزمهم الله دفع الموت عن انفسهم بمقاتلتهم انهم لو لم يخرجوا لم يقتلوا لأن من علم الغيب في السلامة من القتل يحسب ان يمكنه ان يدفع عن نفسه الموت فينبغي ان يدفعه هذا القائل فإنه اجدى عليه وفي هذا ترغيب في الجهاد وبيان ان كل احد يموت باجله فلا ينبغي ان يجعل ذلك عذرا في القعود عن الجهاد لأن المجاهد ربما يسلم والقاعد ربما يموت فيجب ان يكون على الله التكلان .

قوله تعالى (١٦٩) وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٧٠) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧١) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (ثلاث آيات بلاخلاف يرزقون آية ويحزون آية)

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ الكسائي وحده ان الله لا يضيع بكسر الالف والباقون بالفتح

﴿ الحجة ﴾

من قرأ قتلوا بالتخفيف فالوجه فيه ان التخفيف يصلح القليل والكثير ووجه الفتح في أن ان المعنى ويستبشرون بأن الله لا يضع اجرهم ويتوفر ذلك عليهم ويوصله اليهم من غير نقص ونجس ووجه الكسر على الاستئناف = [اللغة] =

أصل البشارة من البشارة لظهور السرور فيها ومنه البشر لظهور بشرته والمستبشر من طلب السرور في البشارة فوجهه ولحقت الشيء والحقته غيري وقيل لحقت والحقت لغتان بمعنى واحد وجاء في الدعاء ان عذابك بالكفار ملحق بكسر الحاء أي لاحق والنعمة هي المنفعة التي يستحق بها الشكر إذا كانت خالصة من وجود القبح لأن المنفعة على ضربين - «أحدهما» - منفعة اغترار وحيلة - «والآخر» - منفعة خالصة من شائبة الإساءة والنعمة تعظم بفعل غير المنعم كنعمة النبي (ص) على من دعاه إلى الإسلام فاستجاب له لأن دعاؤه انفع من وجهين - «أحدهما» - حسن النية في دعائه إلى الحق ليستجيب له «والآخر» بقصده الدعاء إلى حق يعلم ان يستجيب له المدعو وإنما يستدل بفعل غير المنعم على موضع النعمة في الجلالة وعظمة المنزلة

﴿ الإعراب ﴾

أحياء رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف أي بل أحياء ولا يجوز نصب فيه بحال لأنه يصير التقدير فيه بل احسبهم أحياء والمراد بل اعلمهم أحياء ويرزقون في موضع رفع صفة لأحياء وفرحين نصب على الحال من يرزقون وهو أولى من رفعه عطفه على بل أحياء لأن النصب ينبئ عن اجتماع الرزق والفرح في حال واحدة ولو رفع على الاستئناف كان جائزاً وقال الخليل موضع أن لا خوف عليهم جز بالياء على تقدير بأن لا خوف عليهم وقال غيره موضعه نصب على انه بدل من قوله الذين لم يلحقوا وهو بدل الاشتغال مثل قوله يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه

﴿ النزول ﴾

قبل نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلاً ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين وقيل نزلت في شهداء احد وكانوا سبعين رجلاً أربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان ابن شماس وعبد الله بن جحش وسائرهم من الأنصار عن ابن مسعود والربيع وقتادة وقال الباقر (ع) وكثيرون من المفسرين انها تتناول قتلى بدر وأحد معا وقيل نزلت في شهداء بئر معونة وكان سبب ذلك ما رواه محمد بن اسحاق بن يسار بإسناده عن انس بن مالك وغيره قالوا قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بني عامر بن صعصعة على رسول الله المدينة واهدى له هدية فأبى رسول الله (ص) ان يقبلها وقال يا ابا براء لا اقبل هدية مشرك فأسلم إن أردت أن اقبل هديتك وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يعد وقال يا محمد ان أمرك هذا الذي تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجلاً من اصحابك إلى اهل نجد فدعوهم إلى امرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله (ص) اني أخشى عليهم اهل نجد فقال ابو براء انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس إلى امرك فبعث رسول الله (ص) المنذر ابن عمرو واخا بني ساعدة في سبعين رجلاً من خيار المسلمين منهم الحارث بن الصمه وخزام بن ماجان وعزوة

ابن اسما بن صلت السلمي ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة على رأس اربعة أشهر من احد فساروا حتى نزلوا بئر معونة فلما نزلوا قال بعضهم من منكم يبلغ رسالة رسول الله اهل هذه الماء فقال خزّام بن ملجان انا فخرج بكتاب رسول الله (ص) الى عامر بن الطفيل فلما اتاهم لم ينظر عامر في كتاب رسول الله فقال خزّام يا اهل بئر معونة اني رسول رسول الله اليكم واشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فآمنوا بالله تعالى ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فأبوا ان يجيبوه على ما دعاهم اليه وقالوا لن نظفر ابا براء قد عقد لم عقدآ وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم عضبة ودعلا وذكوانا فأجابوه الى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالمهم فلما رأوهم اخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث بين القتلى فعاشر حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن امية الضمري ورجل من الأنصار احد بني عمرو بن عوف فلم ينسبهما بمصاب اصحابهما الا الطير يحوم حول العسكر فقالوا والله ان لهذا الطير لشأنا فأقبلا لينظرا اليه فاذا القوم في دماهم واذا الخيل التي أصابتهم واقفة فقال الأنصاري لعمر بن امية ما ذا ترى قال ارى أن نلحق برسول الله فنخبره الخبر فقال الأنصاري لكنني ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذوا عمرو بن امية أسيرا فلما اخبرهم انه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم انها كانت على أبيه فقدم عمرو بن امية على رسول الله واخبره الخبر فقال رسول الله (ص) هذا عمل ابي براء وقد كنت لهذا كارها متخوفا فلنغ ذلك ابا براء فشق عليه اخفار عامر اياه وما اصاب رسول الله بسببه فقال حسان بن ثابت يجرض ابا براء على عامر بن الطفيل

| | |
|---------------------------|--------------------------|
| بنو ام البنين ألم يرعكم | وأنتم من ذوائب أهل نجد |
| تهكم عامر بأبي براء | لنخفره وما خطأ كعمد |
| إلا أبلغ ربيعة ذا المساعي | فما حدثت في الحدائث بعدي |
| ابوك ابو الحروب ابو براء | وخالك ماجد حكم بن سعد |

وقال كعب بن مالك

| | |
|-------------------------|-------------------------|
| لقد طارت شعاعا كل وجه | خفارة ما اجار ابو براء |
| بنو أم البنين أما سمعتم | دعاء المستغيث مع النساء |
| وتنويه الصريخ بلي ولكن | عرفتم انه صدق اللقاء |

فلما بلغ ربيعة ابن ابي براء قول حسان وقول كعب حمل على عامر بن الطفيل وطعنه فخر عن فرسه فقال هذا عمل ابي براء ان مت فدمي لعمي ولا يتبعن سواي وان عشت فسأرى فيه الرأي قال فأنزل الله في شهداء بئر معونة قرآنا بلغوا قومنا عنابانا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه ثم نسخت ورفعت بعد ما قرأناها وانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية

- [المعنى] -

لما حكى الله سبحانه قول المنافقين في المقتولين الشهداء تشبيها للمؤمنين عن جهاد الأعداء ذكر بعده ما أعد الله للشهداء من الكرامة وخصهم به من النعيم في دار المقامة فقال (ولا تحسبن) والخطاب للنبي أو يكون على معنى لا تحسبن أيها السامع أو أيها الإنسان (الذين قتلوا في سبيل الله) أي في الجهاد وفي نصرته دين الله (أمواتا) أي موتي كما مات من لم يقتل في سبيل الله في الجهاد (بل أحياء) أي بل هم أحياء وقد مر تفسيره في سورة البقرة عند قوله ولا تقولن لمن يقتل في سبيل الله أموات الآية وقوله (عند ربهم) فيه وجهان «أحدهما» أنهم بحيث لا يملك لهم أحد نفعا ولا ضرا إلا ربهم وليس المراد بذلك قرب المسافة لأن ذلك من صفة الأجسام وذلك مستحيل على الله تعالى «والآخر» أنهم عند ربهم أحياء من حيث يعلمهم كذلك دون الناس عن أبي علي الجبائي وروي عن ابن عباس وابن مسعود وجابر أن النبي (ص) قال لما أصاب أخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في حواصل طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وروي عنه أنه قال لجعفر بن أبي طالب وقد استشهد في غزاة موته رايته وله جناحان يطير بهما مع الملائكة في الجنة وانكر بعضهم حديث الأرواح وقال الروح عرض لا يجوز أن يتنعم وهذا لا يصح لأن الروح جسم رقيق هوائي مأخوذ من الريح ويدل على ذلك أنه يخرج من البدن ويرد إليه وهي الحساسة الفعالة دون البدن وليست من الحياة في شيء لأن ضد الحياة الموت وليس كذلك الروح وهذا قول علي بن عيسى (يرزقون) من نعيم الجنة غدوا وعشيا وقيل يرزقون النعيم في قبورهم (فرحين بما آتاهم الله من فضله) أي يسرون بما أعطاهم الله من ضروب نعمه في الجنة وقيل في قبورهم وقيل معناه فرحين بما نالوا من الشهادة وجزائها (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) أي يسرون بأخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء في الدنيا على مناهجهم من الإيمان والجهاد لعلهم بأنهم ان استشهدوا لحقوا بهم وصاروا من كرامة الله إلى مثل ما صارواهم إليه يقولون أخواننا يقتلون كما قتلنا فيصيبون من النعيم مثل ما أصبنا عن ابن جريح وقيادة وقيل أنه يوثق الشهيد بكتاب فيه ذكر من تقدم عليه من أخوانه فيسر بذلك ويستبشركم ويستبشرون أهل الغائب بقدمه في الدنيا عن السدي وقيل معناه لم يلحقوا في الفضل إلا أن لهم فضلا عظيما بتصديقهم وإيمانهم عن الزجاج (أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي يستبشرون بأن لا خوف عليهم وذلك لأنه بدل من قوله الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم لأن الذين يلحقون بهم مشتملون على عدم الحزن فالاستبشار هنا إنما يقع بعدم خوف هؤلاء اللاحقين ومعناه لا خوف عليهم فيمن خلفوه من ذريتهم لأن الله تعالى يتولاهم ولا هم يحزنون على ما خلفوا من أموالهم لأن الله قد أجزل ما عوضهم وقيل معناه لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه لأن الله محص ذنوبهم بالشهادة ولا هم يحزنون على مفارقة الدنيا فرحا بالآخرة (يستبشرون) يعني هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله الذي وصفهم الله بأنهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله بنعمة من الله وفضل الفضل والنعمة عبارتان يعبر بهما عن معنى واحد قيل في تكراره قولان ﴿أحدهما﴾ ان المراد أنها ليست نعمة على قدر الكفاية من غير مضاعفة السرور واللذة فالنعمة ما استحقوه بطاعتهم والفضل ما زادهم من المضاعفة في الأجر ﴿والآخر﴾ للتأكيد وتمكين المعنى في النفس والمبالغة (وان الله لا يضيع أجر المؤمنين) أي يوفى جزاءهم وإنما ذكر ذلك وان كان غيرهم يعلم ذلك لأنهم يعلمونه بعد

الموت ضرورة وإنما يعلمونه في دار التكليف استدلالا وليس الاستدلال كالمشاهدة ولا الخبر كالمعاينة فإن مع
الضرورة والعيان يتضاعف سرورهم ويشد ارتباطهم وفيه دلالة على ان الثواب مستحق وان الله لا يبطله البتة
وان الاثابة لا تكون إلا من قبله تعالى واذك أضاف نفي الإضاعة إلى نفسه وما روي في الأخبار من ثواب
الشهداء أكثر من ان يحصى أعلاها اسنادا ما رواه علي بن موسى الرضا (ع) عن الحسين بن علي (ع) قال بينا
أمير المؤمنين يخطب ويحضهم على الجهاد إذ قام اليه شاب فقال يا امير المؤمنين أخبرني عن فضل الغزاة في سبيل
الله فقال كنت رديف رسول الله (ص) على ناقته الغضباء ونحن منقلبون عن غزوة ذات السلاسل فسأته عما سألتني
عنه فقال الغزاة إذا هموا بالغزو كتب الله لهم براءة من النار فإذا تجهزوا لغزورهم باهى الله بهم الملائكة فإذا
ودعهم اهلهم بكت عليهم الحيطان والبيوت ويخرجون من الذنوب كما تخرج الحية من سلعها ويوكل الله
بكل رجل اربعين ملكا يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ولا يعمل حسنة إلا ضعف له
ويكتب له كل يوم عبادة الف رجل يعبدون الف سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما مثل عمر الدنيا وإذا
صاروا بحضرة عدوهم انقطع علم اهل الدنيا عن ثواب الله إياهم فإذا برزوا لعدوهم وأشرعت الأسته وفوقت
السهام وتقدم الرجل إلى الرجل حفتهم الملائكة بأجنحتها يدعون الله بالنصرة والتثبيت فينادي مناد الجنة تحت
ظلال السيوف فتكون الطعنة والضربة على الشهيد أهون من شرب الماء البارد في اليوم الصائف وإذا زال الشهيد
من فرسه بطعنة أو ضربة لم يصل إلى الأرض حتى يبعث الله اليه زوجته من الحور العين فتبشره بما أعد الله له من
الكرامة فإذا وصل إلى الأرض تقول له الأرض مرحبا بالروح الطيبة الذي اخرج من البدن الطيب أبشر فإن
لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويقول الله عز وجل أنا خليفته في أهله من أرضاهم
فقد ارضاني ومن اسخطهم فقد اسخطني ويجعل الله روحه في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث يشاء تأكل
من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة بالعرش ويعطى الرجل منهم سبعين غرفة من غرف الفردوس سلوك
كل غرفة ما بين صنعاء والشام علا نورها ما بين الحافقين في كل غرفة سبعون بابا على كل باب سبعون مصراعاً من
ذهب على كل باب سبعون غرفة مسبلة في كل غرفة سبعون خيمة في كل خيمة سبعون سريراً من ذهب قوائمها
الدر والبرجد مرمولة بقضبان الزمرد على كل سرير اربعون فراشا غلظ كل فراش اربعون ذراعاً على كل فراش
زوجة من الحور العين عربا اترابا فقال أخبرني يا امير المؤمنين عن العروبة فقال هي الغنجة الرضية الشهية لها سبعون
الف وصيف وسبعون الف وصيفة صفر الحلى بيض الوجوه عليهن تيجان اللؤلؤ على رقابهم المناديل بأيديهم
الأكوبة والأباريق فإذا كان يوم القيامة فالذي نفسي بيده لو كان الأنبياء على طريقهم لترجلوا لهم لما يرون
من بهائمهم حتى يأتوا إلى موائد من الجواهر فيقعدون عليها ويشفع الرجل منهم في سبعين الف من اهل بيته وجيرانه
حتى ان الجارين يتخاصمان ايها اقرب جوارا فيقعدون معي ومع ابراهيم على مائدة الخلد فينظرون إلى الله عز
وجل في كل يوم بكرة وعشيا

قوله تعالى (١٧٢) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا اَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ
اَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا اَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٣) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ
فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ اِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٤) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ
إِلَى اَرْضِهِمْ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوٌّ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (ثلاث آيات)

اللغة

استجاب وأجاب بمعنى وقيل استجاب طلب الإجابة وأجاب فعل الإجابة والقرح الجرح واصله الخلوص من

الكدر ومنه ماء قراح أي خالص والقراح من الأرض ما خلص طينه من النبع وغيره والقريحة خالص الطبيعة واقترحت عليه كذا أي اشتهمته عليه خلوصي على ما تتوق نفسه إليه كأنه قال استخلصته وفرس قارح طلع نابه خلوصه عن نقص الصغار ببلوغ تلك الحال والقرح الجراح خلوص ألمه إلى النفس والاحسان هو النفع الحسن والافضال النفع الزائد على أقل المقدار حسبنا الله أي كافينا الله وأصله من الحساب لأن الكفاية بحسب الحاجة وبحساب الحاجة ومنه الحساب وهو الظن والوكيل الحفيظ وقيل هو الولي وأصله القيام بالتدبير فمعنى الوكيل في صفات الله هو المتولي للقيام بتدبير خلقه لأنه مالكمهم الرحيم بهم وهو في صفة غيره وإنما يعتقد بالتوكيل

-(الاعراب)-

موضع الذين يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب الخبر على ان يكون نعتا للمؤمنين والأحسن والأشبه بالآية ان يكون في موضع الرفع على الابتداء وخبره الجملة التي هي للذين أحسنوا منهم واتقوا اجر عظيم ويجوز النصب على المدح وتقديره اعني الذين استجابوا اذا ذكروا وكذلك القول في موضع الذين في الآية الثانية لانها نعت لموصوف واحد قوله لم يسسهم سوء في موضع نصب على الحال وتقديره فانقلبوا بنعمة من الله وفضل سالمين والعامل فيه فانقلبوا

=[النزول]=

لما انصرف ابو سفيان واصحابه من احد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرفهم عن المسلمين وتلاوموا فقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى إذ لم يبق منهم إلا الشريدتر كتموهم فارجموا فاستأصلوهم فبلغ ذلك الخبر رسول الله (ص) فأراد أن يهرب العدو ويريهم عن نفسه واصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال الاعصاب تشدد لأن امر الله تطلب عدوها فإنها أنسكا للعدو وأبعد للسمع فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من القراح والجراح الذي أصابهم يوم احد ونادي منادي رسول الله الا لا يخرجن احد إلا من حضر يومنا بالأمس وإنما خرج رسول الله (ص) ليرهب العدو وليبلفهم انه خرج في طلبهم فيظنونوا به قوة وان الذي أصابهم لم يرهونهم من عدوهم فينصرفوا فخرج في سبعين رجلا حتى بلغ حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وذكر علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره ان رسول الله (ص) قال هل من رجل يأتينا بجبر القوم فلم يجب احد فقال أمير المؤمنين أنا أتيتك بجبرهم قال اذهب فإن كانوا ركبوا الخيل وجنبوا الابل فإنهم يريدون المدينة وإن كانوا ركبوا الابل وجنبوا الخيل فإنهم يريدون مكة فمضى أمير المؤمنين (ع) على ما به من الألم والجراح حتى كان قريبا من القوم فرآهم قد ركبوا الابل وجنبوا الخيل فرجع وأخبر رسول الله (ص) بذلك فقال أرادوا مكة فلما دخل رسول الله المدينة نزل جبرائيل فقال يا محمد (ص) إن الله عز وجل يأمرك ان تخرج ولا يخرج معك إلا من به جراحة فأقبلوا يكمدون جراحاتهم ويداوونها فأنزل الله تعالى على نبيه (ص) ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون فخرجوا على ما بهم من الألم والجراح حتى بلغوا حمراء الأسد وروى محمد بن اسحاق بن يسار عن عبد الله بن خارجه بن زيد بن ثابت عن ابي السائب ان رجلا من أصحاب النبي (ص) من بني عبد الأشهل كان شهد أحدا قال شهدت احدا أنا وأخ لي فرجعنا جريحين فلما أذن مؤذن رسول الله (ص) بالخروج في طلب العدو قلنا لا تقوتنا غزوة مع رسول الله فوالله ما لنا دابة تزكها وما منا إلا جريح يقتل فخرجنا مع رسول الله (ص) وكنت ايسر جرحا من أخي فكنت إذا غلب حملته عقبه ومشى عقبه حتى انتهينا مع رسول الله (ص) إلى حمراء الأسد فمر برسول الله معبد الخزاعي بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله بتهمته صفتهم معه لا يصفون عنه شيئا ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد (ص) والله لقد عز علينا ما أصابك في قومك واصحابك ولوددنا ان الله كان اعفأك فيهم ثم خرج

من عند رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أتى ابا سفيان ومن معه بالروحاء واجمعا الرجعة إلى رسول الله (ص) وقالوا قد أصبنا أحد اصحابه وقادتهم وأشرفهم ثم رجعنا قبل ان نستأصلهم فلما رأى ابا سفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال محمد (ص) قد خرج في اصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع عليه من كان تخلف عنه في يومكم وندوا على صنيعهم وفيه من الحق عليكم ما لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال فانا والله ما أراك تترجل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم قال فانا والله انهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رأيت على ان قلت ابياتا من شعر قال وما قلت قال قلت

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| كادت تهد من الأصوات راحتي | إذ سالت الأرض بالجرد الأبايل |
| تردى بأسد كرام لا تنابلة | عند اللقاء ولا خرق معازيل |
| فطلت عدوا أظن الأرض مائلة | لما سموا برئيس غير مخذول |
| وقلت ويل لابن حرب من لقائكم | إذا تغططت البطحاء بالخيل |
| إني نذير لأهل السبل ضاحية | لكل ذي اربة منهم ومعقول |
| من جيش أحمد لا وحش تنابلة | وليس يوصف ما أثبت بالقيـل |

قال فثنى ذلك ابا سفيان ومن معه ومر به ركب من عبد قيس فقال أين تريدون فقالوا زيد المدينة قال فهل انتم مبلغون عني محمدا رسالة أرسلكم بها اليه واحمل لكم إبلكم هذه زيبا بمعاظ غدا إذا وافيتونا قالوا نعم قال فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد اجمعنا الكرة عليه وعلى اصحابه لنستأصل بقيتهم وانصرف ابا سفيان إلى مكة ومر الراكب برسول الله وهو بحمراء الأسد فأخبره بقول ابي سفيان فقال رسول الله واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله إلى المدينة بعد الثالثة وقد ظفر في وجهه ذلك بمعونة ابن المغيرة بن العاص وابي عرة الجمحي وهذا قول اكثر المفسرين وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآيات في غزوة بدر الصغرى وذلك ان ابا سفيان قال يوم احد حين أراد أن ينصرف يا محمد موعد بيننا وبينك موسم بدر الصغرى القابل إن شئت فقال رسول الله ذلك بيننا وبينك فلما كان العام المقبل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى مجنة من ناحية الظهران ثم القى الله عليه الرعب فبدا له فلقى نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان إني واعدت محمدا واصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى وان هذه عام جذب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ان لا اخرج اليها واكره ان يخرج محمدا ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك جرأة فالحق بالمدينة فبسطهم والك عندي عشرة من الاوبل أضعها على يد سهيل بن عمرو فأتى نعيم المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابي سفيان فقال لهم بش الرأي رأيكم أتوكم في دياركم وقراركم فلم يقلت منكم إلا شريد فتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يقلت منكم أحد فكره رسول الله وقال والذي نفسي بيده لا اخرجن ولو وحدي فأما الجبان فلونه رجوع واما الشجاع فلونه تأهب للقتال وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله في اصحابه حتى وافوا بدر الصغرى وهو ماء لبني كنانة وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها في كل عام ثمانية أيام فأقام بيدي ينتظر ابا سفيان وقد انصرف ابو سفيان من مجنة إلى مكة فسأهم اهل مكة جيش السويق ويقولون إنما خرجتم تشربون السويق ولم يلق رسول الله واصحابه احدا من المشركين ببدر ووافق السوق وكانت لهم تجارات فباعوا وأصابوا للدرهم درهمين وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين وقد روى ذلك ابو الجارود عن الباقر (ع)

المعنى

(الذين استجابوا لله والرسول) اي اطاعوا الله في أوامره وأطاعوا رسوله (من بعد ما اصابهم القرح) اي نالهم الجراح يوم أحد (للذين أحسنوا منهم) بطاعة رسول الله وإجابته إلى الغزو (واتقوا) معاصي الله (لهم أجر عظيم) اي ثواب جزيل (الذين قال لهم الناس) في المعنى به بالناس الأول ثلاثة اقوال (أحدها) انهم الركب الذين دسهم ابو سفيان إلى المسلمين ليحبسهم عند منصرفهم من أحد لما أرادوا الرجوع اليهم عن ابن عباس وابن اسحاق وقد مضت قصتهم (والثاني) انه نعيم بن مسعود الأشجعي وهو قول أبي جعفر وأبي عبد الله (والثالث) انهم المنافقون عن السدي (ان الناس قد جمعوا لكم) المعنى به ابو سفيان واصحابه عند اكثر المفسرين اي جمعوا جموعا كثيرة لكم وقيل جمعوا الإيثار والرجال وإنما عبر بلفظ الواحد عن الجميع في قوله قال لهم الناس لامرين (أحدهما) انه قد جاءهم من جهة الناس فأقيم كلامه مقام كلامهم وسمي باسمهم (والآخر) انه لتفخيم الشأن فخشوهم اي خافوهم ثم بين (ص) ان ذلك القول زادهم إيمانا وثباتا على دينهم واقامة على نصرته نبيهم بأن قال (فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) اي كافينا الله وولينا وحفيظنا والمتولي لأمرنا ونعم الوكيل اي نعم الكافي والمعتمد والملجأ الذي يوكل اليه الأمور (فانقلبوا) اي فرجع النبي ومن معه من اصحابه (بنعمة من الله وفضل) اي بعافية من السوء وتجارة رابعة (لم يسهم سؤ) اي قتل عن السدي ومجاهد وقيل النعمة هاهنا الثبوت عن الإيمان في طاعة الله والفضل الربح في التجارة عن الزجاج وقيل ان أقل ما يفعله الله فهو نعمة وما زاد على ذلك فهو الموصوف بأنه فضل والفرق بين النعمة والمنفعة ان النعمة لا تكون نعمة إلا إذا كانت حسنة والمنفعة قد تكون حسنة وقد تكون قبيحة وهذا لأن النعمة يستحق بها الشكر ولا يستحق الشكر بالقبيح (واتبعوا رضوان الله) بالخروج إلى لقاء العدو (والله ذو فضل عظيم) على المؤمنين وقد تضمنت الآية التنبية على ان كل من دهمه امره فينبغي ان يفرغ الى هذه الكلمة وقد صحت الرواية عن الصادق (ع) انه قال عجب لمن خاف كيف لا يفرغ إلى قوله (حسبنا الله ونعم الوكيل) فإني سمعت الله يقول بعقبها (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يسهم سؤ) وروي عن ابن عباس انه قال آخر كلام ابراهيم (ع) حين القي في النار حسبنا الله ونعم الوكيل وقال نبيكم مثلها وتلا هذه الآية

قوله تعالى (١٧٥) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (آية)

الإعراب

كم من ذلکم للخطاب لا للضمير فلا موضع لها من الاعراب وقوله يخوف يتعدى إلى مفعولين يقال خاف زيد القتال وخوفته القتال

المعنى

ثم ذكر ان ذلك التخويف والتشيط عن الجهاد من عمل الشيطان فقال (إنما ذلك الشيطان يخوف أولياءه) والمعنى إنما ذلك التخويف الذي كان من نعيم بن مسعود من فعل الشيطان وباغوائه وتسويله يخوف أولياءه المؤمنين قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يخوف المؤمنين بالكافرين وقال الزجاج وابو علي الفارسي وغيرهما أن تقديره ويخوفكم اولياءه اي من اوليائه بدلالة قوله (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) اي إن كنتم

مصدقين بالله فقد أعلمتكم اني أنصركم عليهم ومثله قوله لينذر بأساً شديداً اي لينذركم بأساً شديداً فلما حذف الجار نصبه وقيل معناه ان الشيطان يخوف المنافقين الذين هم أولياؤه وانهم هم الذين يخافون من ذلك التخويف بأن يوسوس اليهم ويهيبهم ويعظم أمر العدو في قلوبهم فيقعدها عن متابعة الرسول والمسلمون لا يخافونه لأنهم يشقون بالنصر الموعود ونظيره قوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والأول أصح

قوله تعالى (١٧٦) وَلَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطَاءً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٧) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (آيتان)

✽ القراءة ✽

قرأ نافع في جميع القرآن يحزن بضم الياء وكسر الزاي إلا قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر فإنه فتحها وضم الزاي وقرأ الباقون في جميع القرآن بفتح الياء وضم الزاي وقرأ ابو جعفر عكس ما قرأ نافع فإنه فتح الياء في جميع القرآن إلا قوله لا يحزنهم فإنه ضم الياء.

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي قال سيبويه تقول فتن الرجل وقتته وحزن الرجل وحزنته وزعم الخليل انك حيث قلت فتنته وحزنته لم ترد ان تقول جعلته حزينا وجعلته فاتنا كما انك حين تقول ادخلته جعلته داخلا ولكنك أردت أن تقول جعلت فيه حزنا وفتنة كما تقول كحلته جعلت فيه كحلا ودهنته جعلت فيه دهنا فجئت بفعلته على حدة ولم ترد بفعلته هاهنا تغيير قولك حزن وفتن ولو اردت ذلك لقلت أحزنته وأفتنته قال وقال بعض العرب أفنت الرجل وأحزنته إذا جعلته فاتنا وحزينا فغيروا فعل قال ابو علي فهذا الذي حكيتته عن بعض العرب حجة نافع فأما قراءة لا يحزنهم الفزع الأكبر فيشبه أن يكون اتبع فيه أثرا واجب الأخذ بالوجهين

﴿ الإعراب ﴾

قوله شيئا نصب على انه وقع موقع المصدر ويحتمل ان يكون نصبا بحذف الياء كأنه قال بشي مما يضر به كما يقال ما ضررت زيدا شيئا من نقص مال ولا غيره

﴿ المعنى ﴾

لما علم الله تعالى المؤمنين ما يصلحهم عند تحويف الشيطان بإمام خص رسوله بضرب من التعليم في هذه الآية فقال (ولا يحزنك) ايها الرسول (الذين يسارعون في الكفر) يعني المنافقين عن مجاهد وابن اسحاق وقوم من العرب ارتدوا عن الإسلام عن أبي علي الجبائي (انهم لن يضروا الله شيئا) بكفرهم ونفاقهم وارتدادهم لأن الله تعالى لا يجوز عليه المنافع والمضار وإنما قال ذلك على جهة التسلية لئيبه (ص) لأنه كان يصعب عليه كفر هؤلاء ويعظم عليه امتناعهم عن الإيمان ولا يبعد انه ربما كان يخطر بباله ان مسارعتهم إلى الكفر وامتناعهم عن الإيمان لتفريط حصل من قبله فأمنه الله من ذلك واخبر ان ضرر كفرهم راجع اليهم ومقصود عليهم (يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة) اي نصيبا في الجنة وإذا كانت الإرادة تتعلق بما يصح حدوثه ولا يتعلق بأن لا يكون الشيء فلا بد من حذف في الكلام ومعناه انه يريد أن يحكم بحرمان ثوابهم الذي عرضوا له في تكليفهم وان يعاقبهم في الآخرة على سبيل الجزاء لكفرهم ونفاقهم (ولهم عذاب عظيم) هذا ظاهر المعنى وهذا يدل على بطلان مذهب المجبرة لأنه تعالى نسب اليهم المسارعة إلى الكفر وإذا كان ذلك

قد خلقه فيهم فكيف يصح نسبه اليهم ثم استأنف تعالى الاخبار بأن من اشترى الكفر بالايمان وهم جميع الكفار بهذه الصفة فقال (إن الذين اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوا الكفر بالايمان وقد بينا فيما تقدم ان اطلاق لفظ الشراء على ذلك مجاز وتوسع وإنما شبه استبدالهم الكفر بالايمان بشراء السلعة بالثمن (لن يضروا الله شيئا) وإنما كرر هذا لأنه إنما ذكر في الآية الأولى على طريقة العلة لما يجب من التسلية عن المسارعة إلى الضلالة وذكر في هذه الآية على وجه العلة لاختصاص المضرة بالعاصي دون المعصي والفرق بين المضرة والاساءة ان الاساءة لاتكون إلا قبيحة والمضرة قد تكون حسنة إذا كانت مستحقة او على وجه اللطف او فيها نفع يوفي عليها او دفع ضرر اعظم منها (ولهم عذاب أليم) اي مؤلم

قوله تعالى (١٧٨) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُؤَمِّلِي لَهُمْ خَيْرًا لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُؤَمِّلِي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (آية)

القراءة

قرأ ابن كثير وابو عمرو ولا يحسبن الذين كفروا ولا يحسبن الذين يبخلون ولا يحسبن الذين يفرحون كلهن بالياء وكسر السين وكذلك فلا يحسبنهم بضم الباء وبالياء وكسر العين وقرأ حمزة كلها بالياء وفتح السين وفتح الباء من يحسبنهم وقرأ اهل المدينة والشام ويعقوب كلها بالياء إلا قوله فلا تحسبنهم بالياء وفتح الباء إلا ان اهل المدينة ويعقوب كسروا السين وفتحها الشامي وقرأ عاصم والكسائي وخلف كل ما في هذه السورة بالياء إلا حرفين ولا يحسبن الذين كفروا ، ولا يحسبن الذين يبخلون فإنها بالياء غير ان عاصم فتح السين وكسرها الكسائي

« الحجة والاعراب » -

من قرأ بالياء فالذين في هذه الآية في موضع الرفع بانه فاعل وإذا كان الذين فاعلا ويقتضي حسب مفعولين او مايسد مسد المفعولين نحو حسبت ان زيداً منطلق وحسبت أن يقوم عمرو فقوله تعالى إنما نملي لهم خيراً لانفسهم قد سد مسد مفعولين اللذين يقتضيه يحسبن وما يحتمل امرين ﴿ أحدهما ﴾ ان يكون بمعنى الذي فيكون تقديره لا يحسبن الذين كفروا ان الذي نمليه لهم خيراً لانفسهم ﴿ والآخر ﴾ ان يكون ما نملي بمنزلة الاملاء فيكون مصدراً وإذا كان مصدراً لم يقتض راجعاً اليه وقال المبرد من قرأ يحسبن بالياء فتح ان ويقبح الكسر مع الياء وهو جائز على قبحه لأن الحسبان ليس بفعل حقيقي فهو يبطل عمله مع ان المكسورة كما يبطل مع اللام كما يجوز حسبت لعبد الله منطلق يجوز على بعد حسبت ان عبد الله منطلق وقال ابو علي الوجه فيه ان يتلقى بها القسم كما يتلقى بلام الابتداء وتدخل كل واحد منهما على الابتداء والخبر فكانه قال لا يحسبن الذين كفروا للآخرة خيراً لهم واما قراءة حمزة بالياء من تحسبن ويقبح ان فقد خطأه البصريون في ذلك لأنه يصير المعنى ولا تحسبن الذين كفروا املاءنا وذلك لا يصح غير ان الزجاج قال يجوز على البدل من الذين والمعنى ولا تحسبن املاءنا الذين كفروا خيراً لهم ومثله في الشعر

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

قال ابو علي لا يجوز ذلك لأنك إذا ابدلت إن من الذين كفروا لزمك ان تنصب خيراً من حيث كان المفعول الثاني ولم ينصب احد من القراء وإذا لم يصح البدل لم يجز فيه الاكسران على ان يكون ان وخبرها في موضع المفعول الثاني من تحسبن

اللغة

الإملاء اطالة المدة والملي الحين الطويل والملا الدهر والمملوان الليل والنهار لطول تعاقبهما

الزول

نزلت في مشركي مكة عن مقاتل وفي قريظة والنضير عن عطاء

المعنى

ثم بين سبحانه ان امهال الكفار لا ينفعهم إذا كان يؤدي إلى العقاب فقال (ولا يحسبن) أي لا يظنن (الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم) أي ان اطالنا لأعمارهم وامهالنا اياهم خير لهم من القتل في سبيل الله بأحد لأن قتل الشهداء اداهم إلى الجنة وبقاء هؤلاء في الكفر يؤديهم إلى العقاب ثم ابتداء سبحانه فقال (إنما نملي لهم) أي انما نطيل عمرهم ونترك المعالجة لعقوبتهم فيزدادوا اثماً أي لتكون عاقبة امرهم بازديادهم الاثم فيكون اللام لام العاقبة مثل اللام في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزناً وهم إنما أخذوه ليكون لهم سرورا وقرّة عين ولكن لما علم الله انه يصير في آخر عمره عدوا وحزناً قال كذلك ومثله في قول الشاعر

أموالنا لذوي الميراث نجتمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها

وقول الآخر

أم سماك فلا تجزعي فلموت ما تلد الوالده

وقول الآخر

فلموت تغزو الوالدات مسخاها كما لخراب الدهر تبني المساكن

وقول الآخر (لدوا للموت وابنوا للخراب) ولا يجوز أن يكون اللام لام الارادة والغرض لوجهين ﴿١﴾ احدهما ﴿٢﴾ ان ارادة القبيح قبيحة وتلك عنه سبحانه منفية «والآخر» لو انها كانت لام الارادة لوجب أن يكون الكفار مطيعين لله تعالى من حيث فعلوا ما وافق ارادته وذلك خلاف الاجماع وقد قال عز اسمه وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون وما ارسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله وما أمروا إلا ليعبدوا الله والقرآن يصدق بعضه بعضا وعلى هذا فلا بد من تخصيص الآية فيمن علم منه انه لا يؤمن لأنه لو كان فيهم من يؤمن لما توجه اليهم هذا الوعيد المخصوص وقال ابو القاسم البلخي معناه ولا يحسبن الذين كفروا ان املائنا لهم رضا بأفعالهم وقبول لها بل هو شر لهم لأننا نملي لهم وهم يزدادون اثماً يستحقون به العذاب الأليم ومثله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس اي ذرأنا كثيرا من الخلق سيصرون إلى جهنم بسوء افعالهم وقد يقول الرجل لغيره وقد نصحه فلم يقبل نصحه ما زادك نصحي إلا شرا ووعظي الافسادا ونظيره قوله حتى انسوك ذكري ومعلوم ان الرسل ما أنسوهم ذكر الله على الحقيقة وما بعثوا إلا للتذكير والتنبيه دون الانساء مع ان الانساء ليس من فعلهم فلا يجوز اضافته اليهم ولكنه إنما أضيف اليهم لأن دعاهم إياهم لما كان لا ينجع فيهم ولا يردهم عن معاصيهم فأضيف الانساء اليهم وفي هذا المعنى قوله حكاية عن نوح فلم يزدتهم دعائي إلا فرارا وروي عن أبي الحسن الأخفش والاسكافي انها قالوا ان في الآية تقديما وتأخيرا وتقديره ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً إنما نملي لهم خيرا لأنفسهم وهذا بعيد لأنه لو كان كذلك لوجب أن يكون انها الأخيرة مفتوحة الهمزة لأنها معمول ليحسبن على هذا القول وان يكون انها الأولى مكسورة الهمزة لأنها مبتدأ على هذا القول والتقديم والتأخير لا يغيران الاعراب عن استحقاقه وذلك خلاف ما عليه القراءة لأن القراء قد أجمعوا على كسر الثانية واكثرهم على فتح الأولى (ولهم عذاب مهين) يهينهم في نار جهنم

قوله تعالى (١٧٩) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَاٰمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تَوَلَّوْا فَتَنَّاوْا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (آية)

= [القراءة] =

قرأ أهل الحجاز والشام وابو عمرو وعاصم حتى يميز وليميز بالتخفيف والباقون بالتشديد وضم الياء الأولى
- [الحجة] -

ماز يميز فعل متعد إلى مفعول واحد كما ان ميز فعل متعد إلى مفعول واحد ويقال ميزته فلم يتميز وزلته فلم يزل والتضعيف في ميز ليس للتعدي والنقل كما ان التضعيف في عوض ليس للنقل من عاض لأن عاض متعد إلى مفعولين كما في قول الشاعر

عاضها الله غلاماً بعد ما شابت الأصداع والضرس فقد

فلو كان التضعيف في عوض للنقل لتعدى إلى ثلاثة مفاعيل فعوض وعاض لغتان في معنى واحد مثل ميزوماز

﴿ النزول ﴾

قيل ان المشركين قالوا لاني طالب ان كان محمدا صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فإن وجدنا مخبره كما اخبر آمنا به فذكر ذلك للنبي (ص) فأنزل الله هذه الآية عن السدي والكلبي وقيل سأل المؤمنون أن يعطوا علامة ليفرقون بها بين المؤمن والمنافق فنزلت الآية عن ابي العالية والضحاك

- (المعنى) -

(ما كان الله ليذر المؤمنين) اي ليدع ومعناه لا يدع الله المؤمنين على ما انتم عليه يا أهل الكفر من الابهام واشتباه المخلص بالمنافق اي لم يكن يجوز في حكم الله ان يذرهم على ما كنتم عليه قبل مبعث النبي بل يتعبدكم حتى يميز الخبيث من الطيب أي الكافر من المؤمن عن قتادة والسدي وقيل حتى يميز المنافق من المخلص يوم احد على ما مضى شرحه عن مجاهد وابن اسحاق وابن جريج وقيل هو خطاب للمؤمنين وتقديره ما كان الله ليذرکم يا معشر المؤمنين على ما انتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق وعلى هذا فيكون قد رجع من الخبر إلى الخطاب كقوله حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم واختلف في انه بأي شيء يميز بين الخبيث والطيب فقيل بالامتحان وتكليف الجهاد ونحوه بما يظهر به الحال كما ظهر يوم احد بأن ثبت المؤمنون وتخلف المنافقون عن الجيائي وقيل بالآيات والدلالات التي يستدل بها عليهم وقيل بأن ينصر الله المؤمنين ويكشرهم ويعز الدين ويذل الكافرين والمنافقين عن ابي مسلم وقيل بأن يفرض الفرائض فيثبت المؤمن على إيمانه ويتميز ممن ينقلب على عقبيه (وما كان الله ليظلمكم على الغيب) أي ما كان الله ليظهر على غيبه أحدا منكم فتعلموا ما في القلوب ان هذا مؤمن وهذا منافق (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) اي يختار من يشاء فيظلمه على الغيب اي يوقفه على علم الغيب ويعرفه إياه (فآمنوا بالله ورسوله) كما أمرکم (وان تؤمنوا) أي تصدقوا (وتتنقوا) عقابه بلزوم امره واجتناب نهيه (فلکم) في ذلك (اجر عظیم) وقيل معناه يصطفي من رسله من يشاء ممن يصلح له ولا يظلمه على الغيب عن السدي وفي هذه الآية دلالة على انه يجوز ان يصلح جماعة لرسائله فيختار منهم من يشاء اما لانه اصلح وبالتأدية اقوم وعن المنفرات ابعده واما لانهم قد تساووا في جميع الوجوه فيختار من يشاء من بينهم لأن النبوة ليست مستحقة ولا جزاء وفيها دلالة على ان الثواب مستحق بالايمان والتقوى خلافا لمن قال انه تفضل

قوله تعالى (١٨٠) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ
بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (آية)

— (القراءة) —

ذكرنا اختلاف القراءة فيه فمن قرأ يحسبن بالياء فالذين يبخلون فاعل يحسبن والمفعول الأول محذوف من اللفظ لدلالة اللفظ عليه وهو مثل قولك من كذب كان شرا له اي كان الكذب شرا له وكذلك في الآية لا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله البخل هو خير لهم فدخلت هو فضلا لأن تقدم يبخلون بمنزلة تقدم البخل ومن قرأ بالتاء فالفاعل للمخاطب وهو النبي والذين يبخلون مفعول أول لتحسبن وخير لهم المفعول الثاني وفي الكلام حذف تقديره ولا تحسبن يا محمد بخل الذين يبخلون خير لهم وهو فصل وإنما احتجت إلى هذا المحذوف ليكون المفعول الثاني هو الأول في المعنى لأن هذه الأفعال انما تدخل على المبتدأ والخبر وإذا كان الخبر مفردا فيجب أن يكون هو المبتدأ في المعنى والبخل هو منع الواجب لأنه توعد عليه وذم به واصله في اللغة المشقة في الاعطاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب يعلمون بالياء كناية عن الذين يبخلون والباقون بالتاء على الخطاب

﴿ المعنى ﴾

(ولا يحسبن) الباخلون (الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله) اي اعطاهم الله من الأموال فيبخلون باخراج الحقوق الواجبة فيها ذلك البخل هو خير لهم بل هو شر لهم وعلى القراءة الأخرى لا تحسبن ايها السامع اولاً تظن يا محمد فخطاب له والمراد غيره بخل الذين يبخلون خير لهم بل هو شر لهم أي ليس كذلك كما يظنون بل ذلك البخل شر لهم (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) اختلف في معناه فقيل يجعل ما بخل به من المال طوقاً في عنقه والآية نزلت في مانعي الزكاة وهو المروزي عن ابي جعفر وهو قول ابن مسعود وابن عباس والسدي والشعبي وغيرهم وروي عن النبي انه قال ما من رجل لا يؤدي الزكاة إلا جعل في عنقه شجاع يوم القيامة ثم تلا هذه الآية وقال ما من ذي رحم يأتي داره من يسأله من فضل اعطاه الله إياه فيبخل به عنه إلا اخرج الله له من جهنم شجاعاً يتلظ بلسانه حتى يطوقه وتلا هذه الآية وقيل معناه يجعل في عنقه يوم القيامة طوقاً من نار عن النضعي وقيل معناه يكلفون يوم القيامة ان يأتوا بما بخلوا به من أموالهم عن مجاهد وقيل هو كقوله يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فمعناه انه يجعل طوقاً فيعذب بها عن الجبائي وقيل معناه انه يعود عليهم وباله فيصير طوقاً لأنعاقهم كقوله وكل انسان الزمناه طائره في عنقه عن ابن مسلم قال والعرب يعبر بالرقبة والعنق عن جميع البدن الا ترى الى قوله فتحري رقة ويروي عن ابن عباس ايضاً ان المراد بالآية الذين يبخلون ببيان صفة محمد (ص) والفضل هو التوراة التي فيها صفته والاول اليتق بسياق الآية (ولله ميراث السماوات والارض) معناه يموت من في السماوات والارض ويبقى تعالى هو جل جلاله لم يزل ولا يزال فيبطل ملك كل مالك إلا ملكه وقد تضمنت الآية الحث على الانفاق والمنع عن الإمساك من قبل ان الأموال إذا كانت تعرض الزوال اما بالموت او بغيره من الآفات فأجدر بالعاقل ان لا يبخل بانفاقه ولا يحرص عن إمساكه فيكون عليه وزره وغيره نفعه (والله بما تعملون خبير) هذا تأكيد للوعد والوعيد في انفاق المال لأحراز الثواب والأجر والسلامة من الأثم والوزر

« النظم »

الوجه في اتصال الآية بما قبلها هو انهم كما يجلوا بالجهاد يجلوا بالانفاق والزكاة عن علي بن عيسى وقيل انهم مع ما تقدم من احوالهم كتبوا أمر محمد (ص) ويجلوا ببيانهم

قوله تعالى (١٨١) لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨٢) ذَلِكَ يَوْمًا كَدَمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (آيتان)

— (القراة) —

قرأ حمزة سيكتب بضم الياء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء وقرأ الباقون سنكتب بالنون وقتلهم بالنصب ونقول بالنون

— (الحجة) —

الوجه في قراة من قرأ سنكتب ان النون هاهنا بعد الاسم الموضوع للغيبة فهو مثل قوله بل الله مولاكم ثم قال سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب واو قال سيكتب بالياء اكان في الافراد كقوله وقذف في قلوبهم الرعب وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقوله ونقول معطوف على سنكتب والوجه في قراة حمزة وقتلهم انه عطف على ما قالوا وهو في موضع رفع ومن قال وقتلهم فلانه عطفه على ما قالوا ايضا وهو في موضع نصب بانه مفعول به

— « اللغة » —

يقال سمع يسمع سمعا إذا أدرك بحاسة الاذن والله يسمع من غير ادراك بحاسة والسميع من هو على حالة يسمع لأجلها السموعات إذا وجدت والسماع المدرك لذلك وقال المحققون ان الله تعالى سميع فيما لم يزل وسماع عند وجود السموع وكونه سميعا بصيرا ليس بصفة زائدة على كونه حيا وكونه مذكورا بصفة زائدة على كونه حيا وكونه سامعا مبصرا عالما بمعناه وقال ابو القاسم البلخي فائدة كونه سميعا بصيرا انه يعلم السموعات والمبصرات وهو لا يثبت للقديم تعالى صفة الادراك وقال الخليل كل ما نزل بإنسان من مكروه فقد ذاقه إلا انه توسع وجاء في الخبر حتى تذوق من عسيلته ويزوق من عسيلتك كنى بذلك عن الجماع وهذا من الكنيات المليحة والحريق النار وكذلك الحرق بفتح الراء والحرق بسكونه المصدر لقولهم حرقت الشيء اذا بردته بالمبرد

﴿ الإعراب ﴾

موضع الباء في قوله بما قدمت ايديكم رفع لأنها في موضع خبر المبتدأ وهو ذلك وهي متصلة بالاستقرار كأنه قيل ذلك استقر بما قدمت ايديكم وان الله إنما فتح ان لأنه معطوف على ما عمل فيه الباء وتقديره بان الله موضعه فهو جر

✽ النزول ✽

لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء وقائله حي ابن اخطب عن الحسن ومجاهد وقيل كتب النبي (ص) مع أبي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى اقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل أبو بكر بيت مدارسهم فوجد ناسا كثيرا منهم اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فتاح بن عازورا فدعاهم الى الإسلام والصلاة والزكاة فقال فتاح ان كان

ما تقول حقا فان الله اذا لفقير ونحن اغنياء ولو كان غنيا لما استقرضنا اموالنا فغضب ابو بكر وضرب وجهه فانزل الله هذه الآية عن عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحاق

المعنى

ثم ذكر سبحانه خصلة اخرى من خصالهم الذميمة فقال (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير) قيل معناه ادرك قولهم وقيل علم ذلك عن البلخي (ان الله فقير) أي ذو حاجة لأنه يستقرض منا (ونحن اغنياء) عن الحاجة وقد علموا أن الله لا يطلب القرض وإنما ذلك لتلطيف في الاستدعاء الى الإنفاق وإنما قالوه تليسا على اعوامهم وقيل معناه قالوا ان الله فقير لأنه يضيق علينا الرزق ونحن اغنياء لأننا نوسع الرزق على أهلينا (سنكتب ما قالوا) قيل معناه سنحفظ ما قالوا وكنى بالكتابة عن الحفظ لأنه طريق الى الحفظ وقيل تأمر بكتب ذلك في صحائف اعمالهم وإنما يفعل ذلك مبالغة في الزجر عن المعصية لأن المكلف إذا علم ان افعاله واقواله مكتوبة في الصحائف وانه لا بد من عرضها عليه ومن قراءته على رونس الأشهاد يوم التناد كان ذلك أبلغ له في الزجر عن المآثم وامنع عن ارتكاب الجرائر (وقتلهم الأنبياء بغير حق) أي وسنكتب قتل اسلافهم الأنبياء ورضى هؤلاء به فيجازي كلا بفعله وفيه دلالة على ان الرضا بفعال القبيح يجري مجراه في عظم الجرم لأن اليهود الذين وصفوا بقتل الأنبياء لم يتولوا ذلك بأنفسهم وإنما ذموا بذلك لأنهم بمنزلة من تولاه في عظم الإثم (ونقول ذوقوا عذاب الحريق) يعني المحرق وإنما الفائدة فيه ان يعلم ان العذاب بالنار التي تحرق وهي المتهبة لأن ما لم يلهب لا يسمى حريقا وقد يكون العذاب بغير النار ويفيد قوله ذوقوا انكم لا تخلصون من ذلك ويقال ذق هذا البلاء أي انك لست بناج منه (ذلك) إشارة الى ما سبق أي ذلك العقاب (بما قدمت ايديكم) معناه بما كنتم عملتموه وجنينتموه على أنفسكم (وان الله ليس بظلام للعبيد) أي بأن الله لا يظلم احدا من عباده وإنما أضافه الى اليد وإن كانت تكتسب الذنوب بجميع الجوارح لأن عامة ما يكسبه الانسان إنما يكسبه بيده ولأن العادة قد جرت باضافة الاعمال التي يلبسها الانسان الى اليد وان كانت اكتسبها بجارحة أخرى فجرى خطاب القديم تعالى على عاداتهم وفي هذا دلالة على بطلان مذهب المجبرة لأنه يدل على انه لو وقع العقاب من غير جرم سلف من العبد لكان ظلما وذلك على خلاف ما يذهبون اليه من انه سبحانه يعذب الكفار من غير جرم سلف منهم وانه يخلق فيهم الكفر ثم يعذبهم عليه لأنه لا ظلم أعظم من ذلك وإنما ذكر لفظ الظلام وهو للتكثير تأكيذا لنفي الظلم عنه

قوله تعالى (١٨٣) الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا آلا نُوَدِّعَ مِنْ رَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَيَأْتِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨٤) فَإِنْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ كَذَّبْتُمْ كَذِبًا وَسَوْفَ يَعْذَّبُكُمْ اللَّهُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (آيتان)

القراءة

قرأ ابن عامر وحده وبالزبر بالباء وكذلك هي في مصاحف الشام كما في فاطر والباقون بغير باء

الحجة

من حذف فلان واو العطف أغنت عن تكرار العامل ومن أثبتها فإنما كرر العامل تأكيدا وكلاهما حسن

اللغة

القربان مصدر على وزن عدوان وخسران تقول قربت قربانا وقد يكون اسما كالبرهان والسلطان وهو كل ير يقرب به العبد الى الله والزر جمع زبور وكل كتاب فيه حكمة فهو زبور قال امرؤ القيس

لمن طلل أبصرته فشحجاني كخط زبور في عسيب يمان

تقول زبرت الكتاب إذا كتبه وزبرت الرجل إذا زجرته والزريرة مجتمع الشعر على كنف الأسد وزبرت البئر إذا أحكمت طيها بالحجارة فهي مزبورة والزر العقل وإنما جمع بين الزبر والكتاب ومعناها واحد لأن أصلها يختلف فهو كتاب بضم حروف بعضها الى بعض وزبور لما فيه من الزجر على خلاف الحق وإنما سمي كتاب داود زبوراً لكثرة ما فيه من المواعظ والزواجر

الإعراب

الذين قالوا عمه جر ردا على الذين قالوا ان الله فقير على تقدير وسمع قول الذين

النزول

قيل نزلت الآية في جماعة من اليهود منهم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وفتحاص بن عازورا قالوا يا محمد (ص) ان الله عهد الينا في التوراة ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار فان زعمت ان الله بعثك الينا فنجئنا به نصدقك فانزل الله هذه الآية عن الكاظمي وقيل ان الله أمر بني اسرائيل في التوراة من جاءكم يزعم انه نبي فلا تصدقوه حتى يأتي بقربان تأكله النار حتى يأتيكم عيسى ومحمد فإذا أتياكم فآمنوا بها بغير قربان

المعنى

ثم ذكر قولهم الآخر فقال (الذين قالوا) لنبيهم (ان الله عهد الينا) أي أمرنا وقيل اوصانا في كتبه وعلى السن رسله (أن لا نؤمن لرسول) أي لا نصدق رسولا فيما يقول من انه جاء به من عند الله تعالى (حتى يأتينا بقربان) أي حتى يبيئنا بما يقرب به إلى الله من صدقة او بر تتقبل منه وقوله تأكله النار بيان لعامة التقبيل فإنه كان علامة قبول قربانهم أن تنزل النار من السماء فتأكله وكان يكون ذلك دلالة على صدق المقرب فيما ادعاه عن ابن عباس (قل) يا محمد لهؤلاء اليهود (قد جاءكم رسل من قبلي) يعني جاء اسلافكم (بالبينات) أي بالحجج الدالة على صدقهم وصحة رسالتهم وحقيقة قولهم كما كنتم تقترحون وتطلبون منهم (وبالذي قلتم) معناه وبالقربان الذي قلتم (فلم قتلتموهم) أراد بذلك زكريا ويحيى وجميع من قتلهم اليهود من الأنبياء يعني لم قتلتموهم وانتم مقرون بأن الذي جاؤوكم به من ذلك كان حجة لهم عليكم (ان كنتم صادقين) فيما عهد إليكم مما ادعيتموه وهذا تكذيب لهم في قولهم ودلالة على عنادهم وعلى ان النبي (ص) لو أتاهم بالقربان المتقبل كما ارادوه لم يؤمنوا به كما لم يؤمن آباؤهم بالأنبياء الذين اتوا به وبغيره من المعجزات وإنما لم يقطع الله عذرهم بما سألوه من القربان الذي تأكله النار ولعله تعالى بأن في

الإتيان به مفسدة لهم والمعجزات تابعة للمصالح ولأن ذلك اقتراح في الأدلة على الله والذي يلزم في ذلك أن يزبح علتهم بنصب الأدلة فقط (فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك) هذاتسلية للنبي (ص) في تكذيب الكفار اياه وذلك بأنه تعالى أخبر بأنه ليس بأول مكذب من الرسل بل كذب قبله رسل (جاؤوا بالبينات) أي المعجزات الباهرات (والزبير) أي الكتب التي فيها الحكم والزواجر (والكتاب المنير) قيل المراد به التوراة والانجيل لأن اليهود كذبت عيسى وما جاء به من الانجيل وحرفت ما جاء به موسى من صفة النبي (ص) وبدلت عهده اليهم فيه والنصارى أيضا جحدت ما في الانجيل من نعمته وغيرت ما أمرهم به فيه والمنير الذي ينير الحق لمن اشتبه عليه وقيل المنير الهادي إلى الحق

قوله تعالى (١٨٥) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (آية)

= [اللغة] =

يقال لكل من نجا من هلكة وكل من لقي ما يفيظ به فقد فاز وتأويل فاز تباعد عن المكروه ولقي ما يجب ومعنى قولهم مفازة للمهلكة التغال وانما المفازة المنجاة كما سموا اللذيع سليما والأعمى بصيرا

= [المعنى] =

ثم بين سبحانه ان مرجع الخلق اليه فيجازي المكذبين رسله على اعالمهم من حيث حتم الموت على جميع خلقه فقال (كل نفس ذائقة الموت) أي ينزل فيها الموت لا محالة فكانها ذائقة وقيل معناه كل نفس ذائقة مقدمات الموت وشدائده وسكرته كقوله تعالى حتى إذا جاء احدهم الموت وعلى هذا جاء قوله (ع) لقنوا أمواتكم شهادة أن لا إله إلا الله وهذا الظاهر يدل على ان كل نفس تذوق الموت وان كانت مقتولة وان القتل لا ينفك من الموت الذي هو فعل الله وقيل ان المراد بالموت هنا انتفاء الحياة والقيل قد انتفت الحياة منه والقيل فهو داخل في الآية (وإنما توفون أجوركم) معناه وانما تعطون جزاء اعمالكم وافيال (يوم القيامة) ان خيرا فخيرها وثوابا وان شرا فشرها وعقابا فإن الدنيا ليست بدار جزاء وإنما هي دار عمل والآخرة دار جزاء وليست بدار عمل (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة) أي بوعده عن نار جهنم ونجى عنها وأدخل الجنة (فقا. فاز) نال المنية وظفر بالبغية ونجا من الهلكة (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) ومعناه ما لذات الدنيا وشهواتها وزينتها إلا متعة متمكوها الغرور والخداع المضمحل الذي لا حقيقة له عند الاختبار لأنكم تلتذون بها ثم انها تعود عليكم بالرزايا والفجائع ولا تركنوا اليها ولا تغتروا بها فإنها هي غرور صاحبها مغرور وقيل متاع الغرور القوارير وهي في الأصل ما لا بقاء له عن عكرمة وفي الآية دلالة على ان اقل نعيم من الآخرة خير من نعيم الدنيا بأسره ولذلك قال (ع) موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها وفيها دلالة على ان كل حي سيموت ولولا ورود السمع بذلك لكان يجوز في العقل ان يتصل حياتهم إلى وقت المجازاة وإذ قيل أليس من قولكم لا بد من القطع بين حال التكليف وحال المجازاة فجوابه ان ذلك القطع كان يجوز ان يحصل مع بقاء الحياة وفيها دلالة على ان المقتول يحصل فيه الموت وقد اختلف في الموت قول ابي علي وابي هاشم فعند ابي علي الموت معنى يصاد الحياة وعند ابي هاشم عدم الحياة فعلى كلا المذهبين يجوز حصوله في المقتول

قوله تعالى (١٨٦) لَتَبْلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَتَسْمَعُونَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (آية)

﴿ الإعراب ﴾

اللام في قوله لتبلون لام التأكيدي وفيه معنى القسم والنون تأكيد كيد للقسم وإنما ضمت الواو في لتبلون ولم تكسر لالتقاء الساكنين لأنها واو الضمير حركت بما كان يجب لما قبلها من الضم ومثله اشتروا الضلالة بالهدى ولو كانت الواو حرف الإعراب لفتحت نحو هل تغزون زهدا

﴿ النزول ﴾

نزلت الآية في كعب بن الأشرف وكان بهجو النبي (ص) والمؤمنين ويحرض المشركين عليهم ويشبب بنساء المسلمين فقال (ص) من لي بابن الأشرف فقال محمد بن سلمة أنا يا رسول الله فخرج هو وأبو نائلة مع جماعة فقتلوه غيلة وأتوا برأسه إلى النبي (ص) آخر الليل وهو قائم يصلي عن الزهري وقيل نزلت في فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع لما بعث رسول الله أبا بكر إليه ليستمده وكتب إليه كتابا فلما قرأه قال قد احتاج ربكم إلى أن غده فهم أبو بكر بضربه ثم ذكر قول النبي (ص) لا تفتانني بشيء حتى ترجع فكف عن عكرمة ومقاتل

= [المعنى] =

ثم بين تعالى أن الدنيا دار محنة وإبتلاء، وأنها إنما زويت عن المؤمنين ليصبروا فيؤجروا فقال (لتبلون) أي لتوقع عليكم المحن وتلحقكم الشدائد (في أموالكم) بذهايبها ونقصانها (وفي أنفسكم) أيها المؤمنون بالقتل والمصاب مثل ما نالكم يوم أحد ويقال بفرض الجهاد وغيره من الفرائض والقرب التي أمرنا بها وإنما سماه بلوغا مجازا فإن حقيقة الاختبار والتجربة لا يجوز على الله لأنه العالم بالأشياء قبل كونها وإنما يفعل ذلك لتمييز المحق من المبطل عن أبي علي الجبائي (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني اليهود والنصارى (ومن الذين أشركوا) يعني كفار مكة وغيرهم (أذى كثيرا) يعني ما سمعوه من تكذيب النبي (ص) ومن الكلام الذي يفهمه «وان تصبروا وتتقوا» يعني ان صبرتم على ذلكم وتمسكنم بالطاعة ولم تجزعوا عنده جزعا يبلغ الإثم «فإن ذلك من عزم الأمور» أي مما بان رشده وصوابه ووجب على العاقل العزم عليه وقيل من محكم الأمور

قوله تعالى (١٨٧) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ أَنُبَيِّتَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم لبيته بالياء ولا يكتُمونه بالياء أيضا والباقون بالياء فيها

- (الحجة) -

حجة من قرأ بالتاء قوله واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم والاتفاق عليه وكذلك قوله واذا أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلا الله وقد تقدم القول في ذلك وحجة من قرأ بالياء ان الكلام حمل على الغيبة لأنهم غيب

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه عنهم تقص الميثاق والعهود بعد حكايتهم عنهم التكذيب بالرسول فقال (واذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب) قيل اراد به اليهود خاصة وقيل اراد اليهود والنصارى وقيل اراد به كل من اوتي علما بشي من الكتب (لتبينه للناس) أي لتظهره للناس والهاء عائدة إلى محمد (ص) في قول سعيد ابن جبير والسدي لان في كتابهم ان محمدا رسول الله (ص) وان الدين هو الاسلام وقيل الهاء عائدة إلى الكتاب فيدخل فيها بيان أمر النبي (ص) لأنه في الكتاب عن الحسن وقتادة (ولا تكتمونه) أي ولا تخفونه عند الحاجة (فنبذوه وراء ظهورهم) ومعناه ضيعوه وتركوه وراء ظهورهم فلم يعملوا به وإن كانوا مقرين به عن ابن عباس ويقال لمن يطرح الشي ولا يعبا به رماه بظهره قال الفرزدق

ميم بن قيس لا تكونن حاجتي بظهر ولا يعبا علي جوابها

(واشتروا به ثمنا قليلا) أي استبدلوا بهد الله عليه ومخالفته وميثاقه عوضا يسيرا من حطام الدنيا يعني ما حصلوه لأنفسهم من المأكلة والرشا والهدايا التي اخذوها من شيوخهم (فبئس ما يشترون) أي بئس الشي ذلك اذ يستحقون به العذاب الأليم وان كان نفعا عاجلا ودلت الآية على وجوب اظهار الحق وتحريم كتبه فيدخل فيه بيان الدين والأحكام والفتاوى والشهادات وغير ذلك من الأمور التي يختص بها العلماء وروى الثعلبي في تفسيره بإسناده عن الحسن بن عمار قال أتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فألقيته على بابي فقلت ان رأيت ان تحدثني فقال او ما علمت اني تركت الحديث فقلت اما ان تحدثني واما ان احديثك فقال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عيينة عن نجرم الجزار قال سمعت علي بن ابي طالب (ع) يقول ما اخذ الله على اهل الجبل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال فحدثني اربعين حديثا

قوله تعالى (١٨٨) لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون ان يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم (آية)

- (القراءة) -

قد ذكرنا اختلاف القراءة في تحسبن وتحسبنهم فيما قبل

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ لا يحسبن بالياء فلا يحسبنهم فالذين في موضع رفع بأنه فاعل يحسبن ولم يوقع يحسبن على شي قال ابو الحسن لا يعجبني قراءة من قرأ الأولى بالياء لأنه لم يوقعه على شي وبرى انه لم يستحسن ان لا يعدي حسب لأنه قد جرى مجرى اليميت في نحو علم الله لافعلن ولقد علمت لتأتين

منيتي وظنوا ما لهم من محيص فكأن القسم لا يتكلم به حتى يعلق بالمقسم عليه فكذلك ظننت وعلمت في هذا الباب وايضا فقد جرى في كلامهم لغوا وما جرى لغوا لا يكون في حكم الجمل المغيدة ومن ثم جاء نحوه وما خلت ابقي بيننا من مودة عراض المذاكي المستغاث القلايصا وانما هو وما ابقي بيننا فالوجه في هذه القراءة انه لم يعد حسب إلى مفعوليه اللذين يقتضيهما لأن حسبت في قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب لما جعل بدلا من الأول وعدي إلى مفعوليه استغنى بهما عن تعدية الأول اليهما كما استغنى في قوله

بأي كتاب أو بأية سنة ترى جبههم عارأعلي وتحسب

بتعدية أحد الفعلين إلى المفعولين عن تعدية الآخر اليها والقاء زيادة التقدير لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا بمفازة من العذاب واما قراءة فلا تحسبنهم بضم الباء فإن فعل الفاعل الذي هو يحسبن تعدى إلى ضميره وحذفت واو الضمير لدخول النون الثقيلة فإن قيل هلا لم تحذف الواو من تحبون وأثبتها كما ثبتت في ثمود واتحاجوني ونحو ذلك مما يثبت فيه التقاء الساكنين لما في الساكن الأول من زيادة المد التي تقوم مقام الحركة فالتقول فيه انه حذفت كما حذفت مع الخفيفة ألا ترى انك لو قلت لا تحسبن زيدا ذاهب لم يلزمك الحذف فاجرى الثقيلة مجرى الخفيفة في هذا وقوله بمفازة من العذاب في موضع المفعول الثاني وفيه ذكر للمفعول الأول وفعل الفاعل في هذا الباب يتعدى إلى ضمير نفسه نحو ظننتني أخاك لأن هذه الأفعال لما كانت تدخل على المبتدأ والخبر اشبهت ان واخواتها في دخولها على المبتدأ والخبر كدخول هذه الأفعال عليهما وذلك قولك ظننتني ذاهبا كما تقول اني ذاهب وبما يدل على ذلك قبج دخول النفس عليهما لو قلت اظن نفسي تفعل كذا لم يحسن كما يحسن اظنني فاعلا فأما قراءة نافع وابي جعفر وابن عامر لا يحسبن بالياء فلا تحسبنهم بالتاء وفتح الباء فمثل قراءة ابن كثير وابي عمرو إلا في قوله فلا تحسبنهم والمفعولان اللذان يقتضيهما الحسبان في قوله لا يحسبن الذين يفرحون محذوفان لدلالة ما ذكر من بعد عليهما ولا يجوز البدل هنا كما جاز هناك لاختلاف الفعلين باختلاف فاعليهما وأما قراءة حمزة بالتاء فيهما فحذف المفعول الثاني الذي يقتضيه تحسبن لأن ما يجيء من بعد قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب يدل عليه ويجوز ان يجعل تحسبنهم بدلا من تحسبن والقاء زائدة كما في قوله (فإذا هلكت فعند ذلك فاجرعي)

التزول

نزلت في اليهود حيث كانوا يفرحون باجلال الناس لهم ونسبتهم اياهم إلى العلم عن ابن عباس وقيل نزلت في اهل النفاق لأنهم كانوا يجمعون على التخلف عن الجهاد مع رسول الله (ص) فإذا رجعوا اعتذروا وأحبوا أن يقبل منهم العذر ويحمدوا بما ليسوا عليه من الايمان عن ابي سعيد الخدري وزيد بن ثابت وقيل أنت يهود خبير إلى النبي (ص) فقالوا نحن نعرفك ونؤمن بك وليس ذلك في قلوبهم فحمدهم المسلمون فنزلت فيهم الآية عن قتادة

المعنى

ثم بين سبحانه خصلة اخرى ذميمة من خصال اليهود فقال (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) أي الفارحون الذين يفرحون بالنفاق (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) أي بالايان وقيل هم اليهود الذين فرحوا بكتان

أمر النبي (ص) واحبوا ان يحمدا بأنهم أئمة وليسوا كذلك وقد عرفت المعنى في القراءة بالتاء والياء في الحجية
فلا معنى لاعادته وقال ابو القاسم الباخي ان اليهود قالوا نحن ابناء الله واحبائه وأهل الصلاة والصوم وليسوا اولياء
الله ولا أحبائه ولا أهل الصلاة والصوم ولكنهم أهل الشرك والنفاق وهو المروي عن ابي جعفر الباقر «ع»
وقيل معناه انهم يحبون ان يحمدا على ابطالهم امر محمد وتكذيبهم به والأقوى ان يكون المعنى بالآية من
اخبر الله عنهم انه اخذ ميثاقهم في ان يبينوا أمر محمد ولا يكتُمونه وعليه أكثر أهل التأويل وقوله فلا تحسبنهم
بمفازة من النار اي تظننهم بمنجاة وبعد من النار (ولهم عذاب اليم) أي مؤلم موجه

قوله تعالى (١٨٩) **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (آية)

— ﴿ المعنى ﴾ —

لما ذكر سبحانه في الآية المتقدمة من فرح بمعصية ركبها وأحب أن يحمدا بما لم يفعله وأخبر انه لا نجاة
لهم من عذابه قال (ولله ملك السماوات والأرض) أي هو مالك ما في السماوات والأرض بمعنى انه
يملك تدبيرها وتصرفها على ما يشاء من جميع الوجوه ليس لغيره الاعتراض عليه فكيف يطمع والحال هذه
في الخلاص منه (والله على كل شيء قدير) فيه تنبيه على انه قادر على اهلاك من أراد اهلاكه وعلى الانشاء
والافناء كما يشاء

قوله تعالى (١٩٠) **إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**
لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩١) **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ**
فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ
(١٩٢) **رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنصَارٍ** (١٩٣) **رَبَّنَا**
إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَن آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ
عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْآبِرَارِ (١٩٤) **رَبَّنَا وَإِنَّا مَأْمُونُونَ عَدْتْنَا عَلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تُخْزِنَا**
يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (خمس آيات)

— ﴿ فضلها ﴾ —

روى الثعلبي في تفسيره بإسناده عن محمد بن الحنفية عن علي بن ابي طالب (ع) ان رسول الله (ص) كان
إذا قام من الليل استاك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السماوات والأرض الى قوله فقنا عذاب
النار وقد اشتهرت الرواية عن النبي (ص) انه لما نزلت هذه الآيات قال ويل لمن لا كما بين فكيفه ولم يتأمل
ما فيها وورد عن الأئمة من آل محمد (ص) الأمر بقراءة هذه الآيات الخمس وقت القيام بالليل للصلاة وفي
الضحمة وبعد ركعتي الفجر وروى محمد بن علي بن محبوب عن العباس بن معروف عن عبد الله بن المغيرة عن
معوية بن وهب قال سمعت أبا عبد الله (ع) وذكر ان النبي قال كان يوتى بطهور فيخمر عند رأسه ويوضع

سواك تحت فراشه ثم ينام ما شاء الله فاذا استيقظ جالس ثم قلب بصره الى السماء وتلا الآيات من آل عمران إن في خلق السماوات والارض الآيات ثم يستاك ويتطهر ثم يقوم الى المسجد فيركع اربع ركعات على قدر قراءته ركوعه يركع حتى يقال متى يرفع رأسه ويسجد حتى يقال متى يرفع رأسه ثم يعود الى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلى الآيات من آل عمران ويقاب بصره في السماء ثم يستاك ويتطهر ويقوم الى المسجد فيصلي اربع ركعات كما ركع قبل ذلك ثم يعود الى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلى الآيات من آل عمران ويقاب بصره في السماء ثم يستاك ويتطهر ويقوم الى المسجد فيوتر ويصلي ركعتين ثم يخرج الى الصلاة

﴿ اللغة ﴾

اللب العقل سمي به لأنه خير ما في الانسان واللب من كل شيء خيره وخالصه سبحانه معناه تنزيها لك من أن تكون خلقتهما باطلا وبراءة مما لا يليق بصفاتك قال الشاعر

سبحانه ثم سبحانا يعود له

والأبرار جمع بر وهو الذي بر الله بطاعته إياه حتى ارضاه واصل البر الاتساع فالبر الواسع من الارض خلاف البحر والبرصلة الرحم والبر العمل الصالح والبر الحنطة وأبر الرجل على اصحابه أي زاد عليهم

﴿ الإعراب ﴾

الذين يذكرون في موضع جر صفة لأولي الألباب قياما وقعودا نصب على الحال وعلى جنوبهم أيضا في موضع نصب على الحال ولذلك عطف على قياما وقعودا أي ومضطجعين لأن الظرف يكون حالا للمعرفة كما يكون نعنا للنكرة لما فيه من معنى الاستقرار تقول مررت برجل على الحائط أي مستقر على الحائط وكذا مررت برجل في الدار وتقول انا اصير الى فلان ما ثيا وعلى الفرس فيكون موضع على الفرس نصبا على الحال من الضمير في اصير وقوله ما خلقت هذا باطلا أي يقولون ما خلقت هذا الخلق ولذلك لم يقل هذه ولا هؤلاء وباطلا نصب على انه المفعول الثاني وقيل تقديره بالباطل والباطل ثم نزع الحرف فوصل الفعل وخبر ان في قوله إنك من تدخل النار فقد أخزيتة جملة مركبة من الشرط والجزاء والأصل فيها جملتان كل واحدة منها من فعل وفاعل لأن موضع من نصب بتدخل على انه مفعول به وقوله ان آمنوا يحتمل أن يكون ان هذه هي المفسرة بمعنى أي ويحتمل ان يكون الناصبة للفعل لأنه يصلح في مثله دخول الباء نحو ينادي بأن آمنوا

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه بأن له ملك السماوات والارض عقبه ببيان الدلالات على ذلك فقال (إن في خلق السماوات والارض) أي في إيجادها بما فيها من العجائب والبدائع (واختلاف الليل والنهار) أي تعاقبها ومحيط كل واحد منهما خلف الآخر (آيات) أي دلالات على توحيد الله وصفاته العلى (لأولي الأسباب) أي لذوي البصائر والعقول ووجه الدلالة في خلق السماوات والارض ان وجودها متضمن باعراض حادثه ومالا ينفك عن الحادث فهو حادث مثله والمحدث لا بد له من محدث يحدثه وموجد يوجده فدل وجودها وحدوثها على ان لها محدثا قادرا ودل ابداعها بما فيها من البدائع والأمر الجارية على غاية الانتظام والاتساق على ان مبدعها عالم لأن الفعل المحكم المنتظم لا يصح إلا من عالم

كما ان الابدان لا يصح الا من قادر ودل ذلك ايضا على ان صانعهما قديم لم يزل لأنه لو كان محدثا لاحتاج الى محدث فيؤدي الى التسلسل ووجه الدلالة في تعاقب الليل والنهار ان في ترادفهما على مقدار معلوم لا يزيدان عليه ولا ينقصان منه ونقصان كل واحد منهما عن الآخر في حال زيادته عليه في حال وازدياد احدهما بقدر نقصان الآخر دلالة ظاهرة على ان لها صانعا قادرا حكما لا يدركه عجز ولا يلحقه سهو ثم وصف سبحانه اولي الألباب فقال (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) أي هؤلاء الذين يستدلون على توحيد الله بخلق السماوات والارض هم الذين يذكرون الله قائمين قاعدين ومضطجعين اي في سائر الأحوال لأن احوال المكلفين لا تخلو من هذه الاحوال الثلاثة وقد أمر بذكر الله تعالى في جميعها وقيل معناه يصلون لله على قدر امكانهم في صحتهم وسقمهم فالصحيح يصلي قائما والسقيم يصلي جالسا وعلى جنبه أي مضطجعا فسمى الصلاة ذكرا رواه علي بن ابراهيم في تفسيره ولا تنافي بين التفسيرين لأنه غير ممتنع وصفهم بالذكر في هذه الاحوال وهم في الصلاة وهو قول ابن جريح وقتادة (ويتفكرون في خلق السماوات والارض) أي ومن صفة اولي الألباب ان يتفكروا في خلق السماوات والارض ويتدبروا في ذلك ليستدلوا به على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته ثم يقولون (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه) أي ما خلقت هذا الخلق عبثا وقيل بالباطل والباطل بل خلقته لغرض صحيح وحكمة ومصلحة ليكون دليلا على وحدانيتك وحجة على كمال حكمتك ثم بنزهونه عن كل ما لا يليق بصفاته او يلحق نقصا بذاته فيقولون (سبحانك) اي تنزيها لك عما لا يجوز عليك فلم تخلقها عبثا ولا لعبا بل تعريضا للشواب والأمن من العقاب (فقناعذاب النار) بلطفك الذي يتمسك معه بطاعتك وفي هذه الآية دلالة على ان الكفر والقبائح والضلال ليست خلقا لله لأن هذه الأشياء كلها باطلة بلا خلاف وقد نفى الله تعالى ذلك بحكاية عن اولي الألباب الذين رضي اقوالهم بأنه لا باطل فيما خلقه فيجب بذلك القطع على ان القبائح كلها غير مضافة اليه ومنفية عنه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم حكى عن اولي الألباب الذين وصفهم بأنهم ايضا يقولون (ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته) قبل فيه وجوه * احدها * ان معناه فضحته وأهنته فيكون منقولا من الخزي ونظيره قوله ولا تخزون في ضيفي * وثانيها * قول المفضل ان معناه أهلكته وأنشد

أخزي الآله من الصليب إلهه واللابسين ملابس الرهبان
* وثالثها * ان معناه أحلته محلا ووقفته موقفا يستنجبا منه فيكون منقولا من الخزية التي معناها الاستحياء
وقال ذو الرمة

خزية أدركته بعد جولته من جانب الدف مخلوطا به الغضب
واختلف اهل التأويل في المعنى بهذه الآية فروي عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وقتادة وابن جريح ان الاخزاء يكون بالتأييد في النار وهي خاصة بمن لا يخرج منها وقال جابر بن عبد الله ان الخزي يكون بالدخول فيها وروى عنه عمرو بن دينار وعطاء انه قال وما أخزاه حين أحرقه بالنار وان دون ذا الخزيان وهذا هو الأقوى لأن الخزي إنما هو هتك المخزي وفضيحه ومن عاقبه الله على ذنوبه فقد فضحه وهذا غير مناف لما نذهب اليه من جواز العفو عن المذنبين لأن على قول من قال ان الخزي هو الخلود في النار

فمن عفا الله عنه لا يكون أخزاه إن أدخله النار ثم أخرجه منها بعد استيفاء العقاب على قول من أثبت الخزي بنفس الدخول فإنه وإن كان خزيا فليس كمثل خزي الكفار ويحوز حمل قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه على كلا الوجهين وعلى قول من جمعه من الخزي التي هي الاستحياء فيكون أخزاه المؤمنون محمولة على الاستحياء وأخزاه الكافرين على الإهانة والخلود في النار وقوله (وما للظالمين من أنصار) أي ليس لهم من يدفع عنهم عذاب الله على وجه المغالبة والقهر لأن الناصر هو الذي يدفع عن المنصور على وجه المغالبة ولا ينافي ذلك ما صحح من شفاعته النبي (ص) والأولياء لأهل الكبار لأن الشفاعة على سبيل المسألة والخضوع والتضرع إلى الله وليست من النصرة في شيء وصح عن النبي (ص) انه قال ليصين اقواماً شفع بذنوب أصابوها ثم يخرجون فيسميهم أهل الجنة الجهنميين رواه البخاري بإسناده في الصحيح عن أنس بن مالك وفيما رواه أبو سعيد الخدري عنه (ع) قال فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمماً قال فيلقون في نهر يقال له نهر الحياة قال فينبتون فيه كما تنبت الحبة في جمبل السيل ورواه البخاري ومسلم أيضاً في الصحيح وما روي في مثل ذلك من الأخبار لا يحصى وهذا كما تراه صريح في وقوع العفو عن مرتكبي الكبائر (ربنا إنما سمعنا منادياً) قيل المنادي محمد عن ابن عباس وابن مسعود وابن جريج واختاره الجبائي وقيل انه القرآن عن محمد بن كعب القرظي وقناة واختاره الطبري قال لأنه ليس يسمع كل أحد قول النبي (ص) ولا يراه والقرآن سمعه من رآه ولم يره كما قال مخبراً عن الجن إنما سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشدين ولمن نصر القول الأول أن يقول من بلغه قول النبي (ص) ودعوته جاز أن يقول سمعنا منادياً وإن كان فيه ضرب من التجوز ومعنى قوله سمعنا منادياً نداء مناد لأن المنادي لا يسمع وقوله (ينادي بالإيمان) معناه إلى الإيمان كقوله الحمد لله الذي هدانا لهذا ومعناه إلى هذا وكقول الراجز

أوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الشيت

ومثله قوله بأن ربك أوحى لها فالمعنى ربنا اننا سمعنا داعياً يدعو إلى الإيمان والتصديق بك والاقرار بوحدانيتك واتباع رسولك واتباع امره ونهيه وقوله أن آمنوا بربكم معناه بأن آمنوا بربكم فحذف الباء وقيل معناه قال لنا آمنوا بربكم فآمننا أي فصدقنا الداعي فيما دعا إليه من التوحيد والدين واجبناه فأغفر لنا ذنوبنا معناه استرها علينا ولا تفضحنا بها يوم القيامة على رؤوس الأشهاد بعقوبتك وكفرنا سيئاتنا معناه امحها بفضلك ورحمتك ايانا وتوفنا مع الابرار معناه واقبضنا اليك في جملة الابرار واحشرنا معهم فإن قيل ما معنى قوله وكفرنا سيئاتنا وقد اغنى عنه قوله فأغفر لنا فالجواب عنه من وجهين احدهما ان معناه اغفر لنا ذنوبنا ابتداءً بلا توبة وكفرنا ان تبنا والثاني ان معناه اغفر لنا ذنوبنا بالتوبة وكفرنا باجتباب الكبائر من السيئات لأن الغفران قد يكون ابتداءً ومن سبب والتكفير لا يكون الا عند فعل من العبد والأول اليق بمذهبننا (ربنا آتانا وعدتنا على رسلك) هذه حكاية عن تقدم وصفهم بأنهم يقولون اعطنا ما وعدتنا على لسان رسلك من الثواب (ولا تخزنا) أي لا تفضحنا او لا تهلكنا (يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) وهو كلام مستأنف بدلالة انه كسر إن والمعنى انك وعدت الجنة لمن آمن بك وأنت لا تخلف وعدك فإن قيل ما وجه المسألة في انجاز الوعد والمعلوم انه يفعله لا محالة فالجواب عنه من وجوه

أحدها ﴿ ان ذلك على وجه الانقطاع إلى الله والتضرع له والتعبد كما قال وقل رب احكم بالحق واختاره

علي بن عيسى والجبائي رضي الله عنه والثاني رضي الله عنه ان الكلام خرج مخرج المسألة والمراد الخبر أي توفنا مع الأبرار لتوتينا ما وعدتنا به على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انهم علموا ان ما وعد الله به حق ولا بد أن ينجزه رضي الله عنه والثالث رضي الله عنه معناه السؤال والدعاء بأن يجعلهم ممن أتاهم ما وعدهم من الكرامة على السن رسله لأنهم اقد استحقوا منزلة الكرامة عند الله في انفسهم وشهدوا ثم سألوه ان يوتيهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند انفسهم لأنه لو كان كذا لكانوا قد ذكروا انفسهم وشهدوا بأنهم استوجبوا كرامة الله ولا يليق ذلك بصفة اهل الفضل من المؤمنين رضي الله عنه والرابع رضي الله عنه انهم انما سألوا ذلك على وجه الرغبة منهم إلى الله في أن يوتيهم ما وعدهم من النصر على أعدائهم من أهل الكفر وإعلاء كلمة الحق على الباطل ليعجل ذلك لهم لأنه لا يجوز ان يكونوا مع ما وصفهم الله به غير واثقين ولا على غير يقين ان الله لا يخلف الميعاد فرغبوا اليه في تعجيل ذلك ولكنهم كانوا وعدوا النصر ولم يوقت لهم في ذلك وقت فرغبوا اليه في تعجيل ذلك لهم لما لهم في ذلك من السرور بالظفر وهو اختيار الطبري وقال الآية محتصة بن هاجر من اصحاب النبي الذين رغبوا في تعجيل النصر على أعدائهم وقالوا لا صبر لنا على اناتك وحلمك وقوي ذلك بما بعد هذه الآية من قوله فاستجاب لهم ربهم الآيات وإلى هذا أومى ابو القاسم البلخي ايضا

قوله تعالى (١٩٥) فاستجاب لهم ربهم أي لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخروا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لا كفر عنهم سيئاتهم ولا دخلت عليهم جنات تجري من تحتهما الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ حمزة والكسائي وخلف قتلوا وقتلوا بتقديم الفعل المبني للمفعول به على الفعل المبني للفاعل والتخفيف وقرأ الباقون بتقديم قاتلوا على قتلوا وشدد الناء من قتلوا ابن كثير وعامر

✽ الحجة ✽

أما تقديم قاتلوا على قتلوا فلأن القتال قبل القتل وحسن التشديد لتكرار الفعل فهو مثل مفتحة لهم الابواب ومن خفف قتلوا فلأن فعلوا يقع على الكثير والقليل والتشديد يختص بالكثير واما تقديم قتلوا على قاتلوا فلأن المظروف بالواو يجوز أن يكون اولاً في المعنى وإن كان مؤخراً في اللفظ ويمكن ان الوجه فيه ان يكون لما قتل منهم قاتلوا ولم يهنوا ولم يضعفوا للقتل الذي وقع بهم كقوله فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله

✽ اللفظة ✽

الإضاءة الإهلاك ضاع الشيء يضيع ضياعاً اذا هلك واضاع وضع بمعنى ومنه الضيعة للقرية واما قولهم كل رجل وضيعته فان الضيعة ههنا بمعنى الحرفة هاجروا فاعل من الهجر وهو ضد الوصل يقال هاجر القوم من دار الى دار اي ترك الأولى للثانية وتهجر الرجل اي تشبه بالمهاجرين

✽ الإعراب ✽

من في قوله من ذكر أو أنثى للتبيين والتفسير عن قوله منكم أي لا أضيع عمل عامل منكم من الذكور والإناث فهو بيان جنس من أضيف اليه العمل ويقال انها مؤكدة بمعنى النفي في لا أضيع اي لا أضيع عمل

ذكر وأنشئ منكم وبعضكم مبتدأ. وقوله من بعض في موضع رفع بأنه خبره وثوابا مصدر مؤكد لأن معنى ولا دخلتهم جنات ولا ثيبنتهم ومثله قوله كتاب الله عليكم لأن معنى قوله حرمت عليكم أمهاتكم كتب الله عليكم هذا فكتاب الله مصدر مؤكد

﴿ النزول ﴾

روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله ما بال الرجال يذكرون في الهجرة دون النساء فأنزل الله هذه الآية قال البخاري نزلت الآية وما قبلها في المتبعين للنبي (ص) والمهاجرين معه ثم هي في جميع من سلك سبيلهم وحذا حذوهم من المسلمين

﴿ المعنى ﴾

ثم عقب سبحانه دعوة المؤمنين بذكر الإجابة فقال (فاستجاب لهم ربهم) أي أجاب المؤمنين الذين تقدم الخبر عنهم (اني لا اضيع) أي بأني لا ابطل (عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) رجل أو امرأة (بعضكم من بعض) في النصرة والدين والموالاتة فحكمت في جميعكم حكماً واحداً فلا اضيع عمل واحد منكم لاتفاقكم في صفة الايمان وهذا يتضمن الحث على مواظبة الأدعية التي في الآيات المتقدمة والاشارة إلى انها مما تعبد الله تعالى بها وندب اليها وذلك لأنه تضمن الإجابة لمن دعا بها (فالذين هاجروا) إلى المدينة وفارقوا قومهم من أهل الكفر (واخرجوا من ديارهم) أخرجهم المشركون من مكة (وأوذوا في سبيلي) أي في طاعتي وعبادتي ودينني وذلك هو سبيل الله فتحملوا الأذى لأجل الدين (وفاتلوا) في سبيل الله (وقتلوا) فيها (لا كفرون عنهم سيناتهم) يعني لا يحونها عنهم ولا تفضلن عليهم بعفوي ومغفرتي ورحمتي وهذا يدل على ان اسقاط العقاب تفضل من الله (ولا دخلتهم جنات تجري من تحتها الأنهار) أي من تحت ابنتها وأشجارها (ثوابا) أي جزاء لهم (من عند الله) على أعمالهم (والله عنده حسن الثواب) أي عنده من حسن الجزاء. على الأعمال مالا يبلغه وصف واصف ولا يدركه نعت ناعت مما لا رأت عين ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل حسن الثواب في دوامه وسلامته عن كل شوب من النقصان والتكدير

قوله تعالى (١٩٦) وَلَا يَغْرُنَّكَ تَلْقَابُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٧) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْأَهَادُ (١٩٨) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب برواية رويس وزيد لا يغرنك ولا يحطمنكم ولا يستخفذك واما نذهبن بك أو ترينك خفيفة في الجميع والباقون بالتشديد وقرأ ابو جعفر لكن الذين اتقوا بتشديد النون والباقون لكن بالتخفيف

= [اللغة] =

الغرور ايهام حال السرور فيما الأمر بخلافه في المعلوم وليس كل ايهام غرورا لأنه قديتوهمه تخوفا فيحذر منه فلا يقال غره والغرر نظير الخطر والفرق بينهما ان الغرر قبيح كله لأنه ترك الحزم فيما يمكن ان يتوثق منه والخطر قد يحسن على بعض الوجوه لأنه من العظم من قولهم رجل خطير أي عظيم والمتاع النعم الذي يتعجل

به اللذة اما بوجود اللذة او بما يكون به اللذة بنحو المال الجليل والملك والاولاد والاخوان والمهاد الذي يسكن فيه الإنسان ويفترشه وواحد الابرار تقول بررت والذي فأننا بر واصله برر ولكن الرأ ادغمت للتضعيف

✽ الإعراب ✽

بني المضارع مع نون التأكيد لأنه بمنزلة ضم اسم إلى اسم كخمسة عشر ونحوه ومتاع خبر مبتدأ محذوف وتقديره تغلبهم متاع قليل حذف المبتدأ لدلالة ما تقدم عليه ونزلنا مصدر مؤكد ايضاً مثل ما تقدم ذكره في قوله ثوابا من عند الله لأن خلودهم في الجنة انزالهم فيها فصار كأنه قال نزلوها نزلوا وهو بمعنى نزلوها انزالاً وقيل هو نصب على التفسير كما يقال هو لك هبة او صدقة عن الفراء خالدين فيها منصوب على الحال أي مقدراً لهم الخلود فيها

= [النزول] =

نزات في مشركي العرب وكانوا يتجرون ويتنعمون بها فقال بعض المسلمين ان اعداء الله في العيش الرخي وقد هلكنا من الجوع فنزات الآية وقال الفراء كانت اليهود تضرب في الأرض فتصيب الأموال فأنزل الله تعالى لا يغرنك الآية

✽ المعنى ✽

(لا يغرنك) يا محمد الخطاب له والمراد غيره وقيل معناه لا يغرنك ايها الإنسان او ايها السامع (تغلب الذين كفروا) اي تصرفهم (في البلاد) سالمين غانمين غير . واخذين بأجرهم أعلم الله تعالى ان ذلك مهال ينبغي أن يغبطوا به لأن مأواهم ومصيرهم إلى النار بكفرهم ولا خير بخير بعده النار وقوله (متاع قليل) معناه تصرفهم في البلاد والنعم متاع قليل اي يتنعمون بذلك قليلاً ثم يزول وسأهم متاعاً لأنهم متعوا به في الدنيا (ثم مأواهم) أي مصيرهم ومرجعهم جهنم (وبئس المهاد) اي ساء المستقر هي ثم أعلم تعالى ان من اراد الله او اتقاه فله الجنة فقال (لكن الذين اتقوا ربهم) لكن للاستدراك فيكون بخلاف المعنى المتقدم فمعناه ليس للكفار عاقبة خير إنما هي للمؤمنين المتقين الذين اتقوا ربهم بفعل الطاعات وترك المعاصي (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلوا من عند الله) بين سبحانه ما يصيرون اليه من النعيم المقيم في دار القرار المعدة للأبرار والنزل ما يعد للضيف من الكرامة والبر والطعام والشراب (وما عند الله) من الثواب والكرامة (خير للأبرار) مما يتقلب فيه الذين كفروا لأن ذلك عن قريب سيذول وما عند الله تعالى دائم لا يزول ويروى عن عبد الله ابن مسعود انه قال ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها من الحياة فأما الأبرار فقد قال الله وما عند الله خير للأبرار واما الفجار فقال تعالى ولا تحسبن الذين كفروا انما نعلمي لهم خيراً لأنفسهم الآية وقوله في النفس الفاجرة ان الموت خير لها انما يعني بذلك إذا كانت تدوم على فجورها

قوله تعالى (١٩٩) وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (آية)

✽ اللغة ✽

أصل الخشوع السهولة من قولهم الخشعة وهي السهولة في الرمل كاربوة والخاشع من الأرض الذي لا يهتدي

لأن الرمل يعني آثاره والخاشع الخاضع يبصره والخشوع هو التذلل خلاف التصعب

- (الإعراب) -

خاشعين نصب على الحال من الضمير في يؤمن وهو عائد إلى من وقيل هو حال من الضمير في أنزل اليهم
المجرور بإولى والأول احسن

- (النزول) -

اختلفوا في نزولها فقيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة وهو بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعام جبرائيل لرسول الله في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير ارضكم قالوا ومن قال النجاشي فخرج رسول الله إلى البقيع وكشف له من المدينة إلى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علع نصراني حبشي لم يره قط وليس على دينه فأنزل الله هذه الآية عن جابر بن عبد الله وابن عباس وانس وقتادة وقيل نزلت في أربعين رجلا من أهل نجران من بني الحرث بن كعب واثنين وثلاثين من ارض الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فآمنوا بالنبي (ص) عن عطاء وقيل نزلت في جماعة من اليهود كانوا أسلموا منهم عبد الله بن سلام ومن معه عن ابن جريح وابن زيد وابن اسحاق وقيل نزلت في مؤمني أهل الكتاب كلهم لأن الآية قد تنزل على سبب وتكون عامة في كل ما يتناوله عن مجاهد

- [المعنى] -

لما ذم تعالى أهل الكتاب فيما تقدم وصف طائفة منهم بالإيمان وإظهار الحق والصدق فقال (وإن من أهل الكتاب) أي من اليهود والنصارى (لمن يؤمن بالله) أي يصدق بالله ويقر بوحدانيته (وما أنزل اليكم) أيها المؤمنون وهو القرآن (وما أنزل اليهم) وهو التوراة والانجيل (خاشعين لله) أي خاضعين له مستكينين له بالطاعة متذللين بها قال ابن زيد الخاشع المتذلل الخائف وقال الحسن الخشوع الخوف اللازم للقلب من الله (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) أي لا يأخذون عوضا يسيرا على تحريف الكتاب وكتمان الحق من الرشى والمأكل كما فعله غيرهم ممن وصفهم تعالى في قوله أو لتلك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ولكن ينقادون إلى الحق يعملون بما أمرهم الله به ويتنهون عما نهاهم عنه ثم قال (أو لتلك) يعني هؤلاء الذين وصفناهم (لهم اجرهم عند ربهم) معناه لهم ثواب أعمالهم وأجر طاعتهم عند الله مذكورة حتى يوفيهم الله يوم القيامة (إن الله سريع الحساب) وصف الحساب بالسرعة لأنه تعالى لا يؤخر الجزاء عن يستحقه بطول الحساب لأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم قبل أن يعملوها وبعد أن عملوها فلا حاجة به إلى إحصاء عدد فيتع في الاحصاء إبطاء وقيل معناه انه يحاسب كل الخلق معا فإذا حاسب واحدا فقد حاسب الجميع لأنه قادر على أن يكلمهم في حالة واحدة كل واحد بكلام يخصه لأنه القادر لنفسه عن أبي علي الجبائي وإنما خص الله تعالى هذه الطائفة بالوعد ليعين ان جزاء أعمالهم موفر عليهم ولا يضرهم كفر من كفر منهم

قوله تعالى (٢٠٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (آية)

※ اللغة ※

أصل الرباط ارتباط الخيل للعدو والربط الشد ومنه قولهم ربط الله على قلبه بالصبر ثم استعمل في كل مقم

في نعر يدفع عن وراءه ممن ارادهم بسوء. والرباط ايضا اسم لما يشد به

✽ المعنى ✽

لما حكى الله تعالى أقوال المؤمنين والكافرين فيما تقدمت بعد ذلك على الصبر على الطاعة ولزوم الدين في الجهاد في سبيل الله فقال (يا أيها الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله (اصبروا وصابروا ورابطوا) اختلف في معناه على وجوه **أحدها** ان المعنى اصبروا على دينكم أي اثبتوا عليه وصابروا الكفار ورابطوهم في سبيل الله عن الحسن وقتادة وابن جريح والضحاك فعلى هذا يكون معناه اصبروا على طاعة الله وعن معاصيه وقاتلوا العدو وصابروا على قتالهم في الحق كما يصبرون على قتالكم في الباطل وإنما أتى بلفظ صابروا هاهنا لأن فاعل إنما يأتي لما يكون بين اثنين والرباط هو المرابطة فيكون بين اثنين أيضا يعني اعدوا لهم من الخيل ما يعدونه لكم كقوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة **وثانيها** ان المراد اصبروا على دينكم وصابروا وعدي إياكم ورابطوا عدوي وعدوكم عن محمد بن كعب القرظي **وثالثها** أن المراد اصبروا على الجهاد عن زيد بن اسلم وقيل ان معنى رابطوا أي رابطوا الصلوات ومعناه انتظروها واحدة بعد واحدة لأن المرابطة لم تكن حينئذ روي ذلك عن علي بن ابي طالب عليه أفضل الصلوات واكمل التحيات عن جابر بن عبد الله وابي سلمة ابن عبد الرحمن وروي عن النبي (ص) انه سئل عن أفضل الأعمال فقال اسباغ الوضوء في السبرات ونقل الاقدام إلى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط وروي عن ابي جعفر الباقر (ع) انه قال معناه اصبروا على المصائب وصابروا على عدوكم ورابطوا عدوكم وهو قريب من القول الأول وقوله (واتقوا الله لعلكم تفلحون) معناه واتقوا ان تخالفوا الله فيما يأمركم به لكي تفلحوا بنعيم الأبد وقيل معناه اتقوا عذاب الله بلزوم امره واجتناب نهيه لكي تظفروا وتفوزوا بنيل المنية ودرك البغية والوصول إلى النجح في الطلبة وذلك حقيقة الفلاح وهذه الآية تتضمن جميع ما يتناوله المكلف لأن قوله اصبروا يتناول لزوم العبادات واجتناب المحرمات وصابروا يتناول ما يتصل بالغير كمجاهدة الجن والانس وما هو اعظم منها من جهاد النفس ورابطوا يدخل فيه الدفاع عن المسلمين والذب عن الدين واتقوا الله يتناول الانتهاز عن جميع المناهي والزواج والانتهاز بجميع الأوامر ثم يتبع جميع ذلك الفلاح والنجح

هذا آخر المجلدة الثانية من كتاب مجمع البيان لعلوم القرآن

من المجلدات العشر من الأصل

| صفحة | صفحة | صفحة |
|----------------------------------|---------------------------------|----------------------------------|
| ٢١٢ | ١٧٩ | ١٤٣ |
| اذ قال له ربه اسلم | ما ننسخ من آية او ننسها | تفسير ومنهم اميون لا يعلمون |
| ٢١٣ | ١٨٢ | الكتاب |
| ووصى بها ابراهيم بنيه | ألم تعلم ان الله له ملك | ١٤٥ |
| ٢١٤ | السموات والارض | فويل للذين يكتبون الكتاب |
| ام كنتم شهداء اذ حضر | ١٨٣ | وقالوا لن تمسنا النار إلا |
| يعقوب الموت | ام تريدون أن تسألوا رسولكم | اياما معدودة |
| ٢١٤ | ١٨٤ | ١٤٧ |
| تلك امة قد خلت | وذكثير من اهل الكتاب | بلى من كسب سيئة وأحاطت |
| ٢١٥ | ١٨٥ | به خطيئته |
| وقالوا كونوا هودا او نصارى | واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة | ١٤٨ |
| ٢١٧ | ١٨٥ | واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل |
| قولوا آمنا بالله وما انزل الينا | وقالوا لن يدخل الجنة | و إذ اخذنا ميثاقكم |
| ٢١٨ | ١٨٦ | ١٥١ |
| فإن آمنوا ببئله ما آمنتم به | بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن | ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم |
| ٢١٩ | ١٨٧ | ١٥٤ |
| صبغة الله ومن احسن من الله صبغة | وقالت اليهود ليست النصارى | او انك الذين اشتروا الحياة |
| ٢١٩ | على شي | الدنيا بالآخرة |
| قل اتحاجوننا في الله | ١٨٩ | ١٥٤ |
| ٢٢٠ | ومن اظلم ممن منع مساجد | وقد آتينا موسى الكتاب |
| ام تقولون ان ابراهيم واسماعيل | الله ان يذكر فيها اسمه | وقالوا قلوبنا غلف |
| ٢٢٢ | ١٩٠ | ١٥٧ |
| تلك امة قد خلت | ولله المشرق والمغرب | ولما جاءهم كتاب من عند الله |
| ٢٢٢ | ١٩٢ | مصدق لما معهم |
| سيقول السفهاء من الناس | وقالوا اتخذ الله ولداسبحانه | بئسما اشتروا به انفسهم |
| ٢٢٣ | ١٩٢ | ١٦١ |
| وكذلك جعلناكم امة وسطا | بديع السموات والارض | وإذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله |
| ٢٢٦ | ١٩٥ | ١٦٢ |
| قد نرى تقلب وجهك في السماء | وقال الذين لا يعلمون اولا | ولقد جاءكم موسى بالبينات |
| ٢٢٨ | يكلمنا الله | و إذ اخذنا ميثاقكم |
| ولئن اتيت الذين اتوا الكتاب | ١٩٦ | ١٦٣ |
| الذين آتيناهم الكتاب | إننا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا | قل إن كانت لكم الدار الآخرة |
| ٢٢٩ | ١٩٧ | ١٦٤ |
| الذين آتيناهم الكتاب | ولن ترضى عنك اليهود | ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم |
| ٢٢٩ | ١٩٨ | ١٦٤ |
| الحق من ربك | الذين آتيناهم الكتاب | ولتجدنهم احرص الناس على حياة |
| ٢٣٠ | ١٩٨ | ١٦٦ |
| ولكل وجهة هو موليها | يا بني اسرائيل اذكروا | قل من كان عدوا لجبريل |
| ٢٣١ | نعمتي التي انعمت عليكم | الى قوله فإن الله عدو للكافرين |
| ومن حيث خرجت فول | واتقوا يوما لا تجزي نفس عن | وقد انزلنا إليك آيات بينات |
| وجهك شطر المسجد الحرام | نفس شيئا | ١٦٨ |
| ٢٣١ | ١٩٩ | ١٦٨ |
| ومن حيث خرجت فول وجهك | وإذا تبلى إبراهيم ربه بكلمات | او كلها عاهدوا عهدا |
| شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم | فأتهمن | ١٦٩ |
| ٢٣٣ | ٢٠٢ | ١٧٠ |
| كما ارسلنا فيكم رسولا منكم | و إذ جعلنا البيت مثابة للناس | ولما جاءهم رسول من عند الله |
| ٢٣٤ | ٢٠٥ | واتبعوا ما تتلوا الشياطين |
| فاذكروني اذ كركم | و إذ قال إبراهيم رب اجعل | على ملك سليمان |
| ٢٣٤ | هذا بلدا آمنا | ١٧٧ |
| يا ايها الذين آمنوا | ٢٠٦ | ولو انهم آمنوا واتقوا |
| ٢٣٥ | و إذ يرفع ابراهيم القواعد | ١٧٨ |
| ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله | من البيت | يا ايها الذين آمنوا اتقوا راعنا |
| ٢٣٧ | ٢٠٩ | ١٧٨ |
| ولنبلونكم بشي من الخوف | ربنا واجعلنا مسلمين لك | ما يورد الذين كفروا من |
| ٢٣٨ | ٢١٠ | اهل الكتاب |
| الذين إذا أصابتهم مصيبة | ٢١١ | |
| ٢٣٨ | ومن يرغب عن ملة ابراهيم | |
| ان الصفا والمروة من شعائر الله | | |
| ٢٤١ | | |
| ان الذين يكتمون ما انزلنا | | |
| ٢٤١ | | |
| من البينات | | |
| ٢٤١ | | |
| إلا الذين تابوا واصلحوا | | |
| ٢٤٢ | | |
| ان الذين كفروا وواتوا م كفار | | |

| صفحة | صفحة | صفحة |
|----------------------------------|-------------------------------|----------------------------------|
| ٢٤٣ | ٢٧٧ | ٢٤٣ |
| وإلهكم إله واحد | وإذا سألك عبادي عني | وإلهكم إله واحد |
| ٢٤٤ | ٢٧٩ | ٢٤٤ |
| ان في خلق السماوات والارض | احل لكم ليلة الصيام الرفث | ان في خلق السماوات والارض |
| ٢٤٧ | | ٢٤٧ |
| ومن الناس من يتخذ من دون الله | إلى نسائكم | ومن الناس من يتخذ من دون الله |
| ٢٥٠ | ٢٨٢ | ٢٥٠ |
| إذ تبرأ الذين اتبعوا الى قوله | ولا تأكلوا اموالكم بينكم | إذ تبرأ الذين اتبعوا الى قوله |
| وما هم بخارجين من النار | بالباطل | وما هم بخارجين من النار |
| ٢٥١ | ٢٨٢ | ٢٥١ |
| يا ايها الناس كلوا مما في الارض | يسألونك عن الأهله | يا ايها الناس كلوا مما في الارض |
| ٢٥٣ | ٢٨٤ | ٢٥٣ |
| انما يأمركم بالسوء والفحشاء | وقاتلوا في سبيل الله الذين | انما يأمركم بالسوء والفحشاء |
| ٢٥٣ | | ٢٥٣ |
| وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله | يقاتلونكم | وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله |
| ٢٥٤ | ٢٨٥ | ٢٥٤ |
| ومثل الذين كفروا | واقتلوهم حيث ثقتموهم | ومثل الذين كفروا |
| ٢٥٥ | ٢٨٦ | ٢٥٥ |
| يا ايها الذين آمنوا كلوا من | فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم | يا ايها الذين آمنوا كلوا من |
| طيبات ما رزقناكم | وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة | طيبات ما رزقناكم |
| ٢٥٦ | ٢٨٧ | ٢٥٦ |
| انما حرم عليكم الميتة | الشهر الحرام بالشهر الحرام | انما حرم عليكم الميتة |
| ٢٥٨ | ٢٨٨ | ٢٥٨ |
| إن الذين يكتُمون ما انزل | وأنفقوا في سبيل الله | إن الذين يكتُمون ما انزل |
| الله من الكتاب | وأثروا الحج والعمرة لله | الله من الكتاب |
| ٢٥٩ | ٢٩٢ | ٢٥٩ |
| أو تلك الذين اشتروا الضلالة | الحج أشهر معلومات | أو تلك الذين اشتروا الضلالة |
| بالمهدي | | بالمهدي |
| ٢٦٠ | ٢٩٤ | ٢٦٠ |
| ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق | ليس عليكم جناح ان تبتغوا | ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق |
| ٢٦٠ | ٢٩٦ | ٢٦٠ |
| ليس البر أن تولوا وجوهكم | فضلا من ربكم | ليس البر أن تولوا وجوهكم |
| قبل المشرق والمغرب | ثم افيضوا من حيث افاض الناس | قبل المشرق والمغرب |
| ٢٦٤ | ٢٩٦ | ٢٦٤ |
| يا ايها الذين آمنوا كتب | فاذا قضيت مناسككم | يا ايها الذين آمنوا كتب |
| عليكم القصص في القتلى | فاذكروا الله | عليكم القصص في القتلى |
| ٢٦٦ | ٢٩٧ | ٢٦٦ |
| ولكم في القصص حياة | ومنهم من يقول ربنا آتسنا | ولكم في القصص حياة |
| ٢٦٦ | ٢٩٨ | ٢٦٦ |
| كتب عليكم إذا حضر | أو آتلك لهم نصيب مما كسبوا | كتب عليكم إذا حضر |
| احدكم الموت | واذكروا الله في ايام معدودات | احدكم الموت |
| ٢٦٨ | ٢٩٩ | ٢٦٨ |
| فمن بدله بعد ما سمعه | ومن الناس من يعجبك قوله | فمن بدله بعد ما سمعه |
| ٢٦٨ | | ٢٦٨ |
| فمن خاف من موص جنفا | في الحياة الدنيا | فمن خاف من موص جنفا |
| | ٣٠٠ | |
| | | ﴿تم الجزء الأول﴾ |
| ٢٧١ | ٣٠١ | ٢٧١ |
| يا ايها الذين آمنوا كتب | ومن الناس من يشري | يا ايها الذين آمنوا كتب |
| عليكم الصيام | نفسه ابتغاء مرضاة الله | عليكم الصيام |
| ٢٧٢ | ٣٠١ | ٢٧٢ |
| اياما معدودات فمن كان | يا ايها الذين آمنوا ادخلوا | اياما معدودات فمن كان |
| مريضا او على سفر | في السلم كافة | مريضا او على سفر |
| ٢٧٤ | ٣٠٢ | ٢٧٤ |
| شهر رمضان الذي انزل فيه | فإن زلتم من بعد ما جاءكم | شهر رمضان الذي انزل فيه |
| القرآن | البيّنات | القرآن |

| صفحة | صفحة | صفحة |
|---|---|--|
| ٣٣٧ | ٣٦٨ | ٣٩٣ |
| ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء | او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها | وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة |
| ٣٣٩ | ٣٧١ | ٣٩٤ |
| لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن | واذ قال ابراهيم رب اني كيف تحيي الموتى | واتقوا يوم اترجعون فيه الى الله |
| ٣٤١ | ٣٧٣ | ٣٩٥ |
| وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن | مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله | يا ايها الذين آمنوا اذا تدانيتهم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه |
| ٣٤٢ | ٣٧٤ | ٣٩٩ |
| حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى | الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله | وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة |
| ٣٤٣ | ٣٧٥ | ٤٠٠ |
| فان خفتهم فرجالا او ركباناً | قول معروف ومغفرة | لله ما في السموات وما في الارض |
| ٣٤٤ | ٣٧٥ | ٤٠٢ |
| والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لأزواجهم | يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى | آمن الرسول بما انزل اليه من ربه |
| ٣٤٥ | ٣٧٧ | ٤٠٢ |
| وللمطلقات متاع بالمعروف الى قوله لعلكم تعقلون | مثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله | لا يكلف الله نفسا إلا وسعها |
| ٣٤٦ | ٣٧٨ | ٤٠٥ |
| لم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف | أيد أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب | الم لله لا إله إلا هو الحي القيوم |
| ٣٤٧ | ٣٧٩ | ٤٠٨ |
| وقاتلوا في سبيل الله | يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم | هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء |
| ٣٤٧ | ٣٨١ | ٤٠٨ |
| من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا | الذي يقرض الله قرضا حسنا | هو الذي انزل عليك الكتاب |
| ٣٤٩ | ٣٨٢ | ٤١١ |
| لم تر الى الملا من بني اسرائيل وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا | ويأمركم بالفحشاء | ربنا لاترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا |
| ٣٥١ | ٣٨٢ | ٤١٢ |
| وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا | يوثي الحكمة من يشاء | ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم |
| ٣٥٢ | ٣٨٢ | ٤١٢ |
| وقال لهم نبيهم إن آية ملكه | وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر | كذاب آل فرعون والذين |
| ٣٥٤ | ٣٨٣ | ٤١٣ |
| فلما فصل طالوت بالجنود | ان تبدوا الصدقات فنعما هي | من قبلهم |
| ٣٥٥ | ٣٨٥ | ٤١٣ |
| ولما برزوا لجالوت وجنوده | ليس عليك هدامه ولكن الله يهدي من يشاء | قل للذين كفروا ستغلبون |
| ٣٥٦ | ٣٨٦ | ٤١٤ |
| فهمزموهم باذن الله | الله يهدي من يشاء | لقد كان لكم آية في فتنتنا |
| ٣٥٧ | ٣٨٦ | ٤١٦ |
| تلك آيات الله تتلوهما عليك بالحق | للفقراء الذين أحصروا | زين للناس حب الشهوات |
| ٣٥٨ | ٣٨٦ | ٤١٨ |
| تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض | الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار | قل او نبشكم بغير من ذلكم |
| ٣٥٩ | ٣٨٨ | ٤١٨ |
| يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم | الذين يأكلون الربى لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس | الذين يقولون ربنا آمنا الى قوله والمستغفرين بالاسحار |
| ٣٦٠ | ٣٩٠ | ٤١٩ |
| الله لا إله إلا هو الحي القيوم | يجحق الله الربى ويربي الصدقات | شهد الله انه لا إله الا هو الى قوله ان الله سريع الحساب |
| ٣٦٣ | ٣٩٠ | ٤٢٢ |
| لا اكراه في الدين | ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات | فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله |
| ٣٦٤ | ٣٩١ | ٤٢٣ |
| الله ولي الذين آمنوا | يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله | ان الذين يكفرون بايات الله |
| ٣٦٦ | ٣٩١ | |
| الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه | وذروا ما بقي من الربى | الى قوله وما لهم من ناصرين |

﴿سورة آل عمران﴾

| صفحة | صفحة | صفحة | صفحة |
|-----------------------------------|-------------------------------------|-----------------------------------|-----------------------------|
| ٤٢٤ | ٤٤٦ | ٤٦٩ | ٤٢٤ |
| ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا | ومصدقا لما بين يدي من التوراة | أفغير دين الله يبغون إلى قوله | من الكتاب إلى قوله ما كانوا |
| يفترون | إذ قال الله يا عيسى اني متوفيك | وهو في الآخرة من الخاسرين | كيف يهدي الله قوما كفروا |
| ٤٢٥ | ٤٥٠ | ٤٧٠ | ٤٢٥ |
| فكيف اذا جمعناهم ليوم | فأما الذين كفروا فاعذبهم | بعد إيمانهم إلى قوله فإن الله | لا ريب فيه |
| عذابا شديد إلى قوله والذكر الحكيم | ٤٥١ | ٤٧٢ | ٤٢٧ |
| ٤٢٧ | ٤٥١ | ٤٧٢ | ٤٢٧ |
| قل اللهم مالك الملك إلى قوله | ان مثل عيسى عند الله كمثل | إن الذين كفروا بعد إيمانهم | وترزق من تشاء بغير حساب |
| ٤٢٩ | ٤٥٣ | ٤٧٣ | ٤٢٩ |
| لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء | ان هذا هو القصص الحق إلى | إن الذين كفروا وماتوا وهم | ٤٢٩ |
| ٤٣٠ | ٤٥٣ | ٤٧٣ | ٤٣٠ |
| قل إن تحفوا ما في صدوركم | قوله فإن الله عليهم بالمفسدين | كفار | ٤٣٠ |
| او تبدوه يعامه الله | ٤٥٤ | ٤٧٤ | ٤٣١ |
| ٤٣١ | ٤٥٤ | ٤٧٤ | ٤٣١ |
| يوم تجد كل نفس ما عملت | قل يا اهل الكتاب | كل الطعام كان حلا لبني | ٤٣١ |
| من خير محضرا | يا اهل الكتاب لم تحاجون | إسرائيل إلى قوله فأولئك | هم الظالمون |
| ٤٣١ | ٤٥٥ | ٤٧٦ | ٤٣١ |
| قل إن كنتم تحبون الله | في ابراهيم إلى قوله والله | قل صدق الله فاتبعوا ملة | لا يحب الكافرين |
| فانبعوني إلى قوله فإن الله | يعلم وانتم لا تعلمون | إبراهيم حنيفا | ٤٣٢ |
| ٤٣٢ | ٤٥٧ | ٤٧٦ | ٤٣٢ |
| إن الله اصطفى آدم ونوحا | ما كان ابراهيم يهوديا ولا | إن اول بيت وضع للناس | إلى قوله والله سميع عليم |
| ٤٣٤ | ٤٥٨ | ٤٧٦ | ٤٣٤ |
| إذ قالت امرأة عمران رب اني | نصرانيا إلى قوله والله ولي المؤمنين | إلى قوله فإن الله غني عن العالمين | ٤٣٤ |
| نذرت لك ما في بطني محررا | ودت طائفة من اهل الكتاب | قل يا اهل الكتاب لم تكفرون | بآيات الله وما الله |
| ٤٣٥ | ٤٥٨ | ٤٨٠ | ٤٣٥ |
| من الشيطان الرجيم | بآيات الله إلى قوله وانتم | بعاقل عما تعملون | ٤٣٥ |
| ٤٣٥ | ٤٥٩ | ٤٨٠ | ٤٣٥ |
| فتقبلها ربها بقبول حسن | تعلمون | يا ايها الذين آمنوا إلى قوله | ٤٣٥ |
| ٤٣٧ | ٤٥٩ | ٤٨٠ | ٤٣٧ |
| هنالك دعا زكريا ربه إلى | وقالت طائفة من اهل الكتاب | فقد هدي إلى صراط مستقيم | ٤٣٧ |
| قوله ونبيا من الصالحين | إلى قوله والله ذو الفضل العظيم | يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله | ٤٣٧ |
| ٤٣٨ | ٤٦١ | ٤٨١ | ٤٣٨ |
| قال رب انى يكون لي غلام | ومن اهل الكتاب من ان | حق تقاته إلى قوله لعلكم | ٤٣٨ |
| ٤٣٩ | ٤٦١ | ٤٨١ | ٤٣٩ |
| قال رب اجعل لي آية | تأمنه بقطار يؤده اليك إلى | تهتدون | ٤٣٩ |
| ٤٤٠ | ٤٦٣ | ٤٨٣ | ٤٤٠ |
| واذ قالت الملائكة يا مريم | قوله فإن الله يحب المتقين | ولكن منكم امة يدعون | ٤٤٠ |
| ان الله اصطفاك | ان الذين يشترون بهد الله | إلى الخير إلى قوله وأولئك | ٤٤٠ |
| ٤٤٠ | ٤٦٤ | ٤٨٤ | ٤٤٠ |
| ذلك من انبىاء الغيب نوحيه اليك | وايمانهم ثمنا قليلا | لهم عذاب عظيم | ٤٤٠ |
| ٤٤٢ | ٤٦٤ | ٤٨٤ | ٤٤٢ |
| اذ قالت الملائكة يا مريم ان | وان منهم لفريقا يلوون | يوم تبيض وجوه وتسود وجوه | ٤٤٢ |
| الله يشرك بكلمة منه | أسنتهم بالكتاب | إلى قوله هم فيها خالدون | ٤٤٢ |
| ٤٤٣ | ٤٦٥ | ٤٨٥ | ٤٤٣ |
| قالت رب انى يكون لي ولد | ما كان لبشر أن يوتيه الله | تلك آيات الله نتلوها عليك | ٤٤٣ |
| ٤٤٤ | ٤٦٧ | ٤٨٥ | ٤٤٤ |
| ويعلمه الكتاب والحكمة | الكتاب والحكم والنبوة | بالحق إلى قوله وإلى الله ترجع | ٤٤٤ |
| إلى قوله ان كنتم موثمين | إلى قوله بعد اذ انتم مسلمون | الأمور | ٤٤٤ |
| ٤٤٤ | ٤٦٧ | ٤٨٦ | ٤٤٤ |
| إلى قوله ان كنتم موثمين | وإذ اخذ الله ميثاق النبيين | كنتم خير امة أخرجت للناس | ٤٤٤ |
| ٤٤٤ | ٤٦٧ | ٤٨٦ | ٤٤٤ |
| إلى قوله فأولئك هم الفاسقون | إلى قوله فأولئك هم الفاسقون | | ٤٤٤ |

| صفحة | صفحة | صفحة |
|-----------------------------------|--------------------------------------|--|
| لا يضيع اجر المؤمنين | ٥١٠ | ٤٨٦ |
| الذين استجابوا لله والرسول | ٥١٠ | قوله وكانوا يعتقدون |
| الى قوله والله ذو فضل عظيم | الى قوله وانتم تنظرون | ٤٨٨ |
| انما ذلكم الشيطان يخوف | ٥١٢ | الى قوله وأولئك من الصالحين |
| اولياؤه | خلت من قبله الرسل | ٤٩٠ |
| ولا يجزئك الذين يسارعون | ٥١٤ | ان الذين كفروا لن تغني |
| في الكفر الى قوله ولهم عذاب اليم | بإذن الله | عنهم أموالهم الى قوله ولكن |
| ولا يحسبن الذين كفروا انما | ٥١٦ | انفسهم يظلمون |
| غلي لهم خير لأنفسهم | كثير إلى قوله والله يجب المحسنين | ٤٩١ |
| ما كان الله ليذر المؤمنين | ٥١٨ | يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا |
| على ما انتم عليه | يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا | بطانة من دونكم |
| ولا يحسبن الذين يبخلون بما | الذين كفروا الى قوله والله | ٤٩٣ |
| آتاهم الله من فضله هو خير لهم | خير الناصرين | ها أنتم أولاء تحبونهم |
| لقد سمع الله قول الذين قالوا | ٥١٨ | ولا يحبونكم |
| ان الله فقير ونحن أغنياء الى | سنلتقي في قلوب الذين كفروا | ٤٩٤ |
| قوله وأن الله ليس بظلام للعبيد | الربع | إن تمسكم حسنة تسوهم |
| الذين قالوا إن الله عهد الينا | ٥١٩ | وإذ غدوت من اهلك إلى قوله |
| الى قوله والكتاب المنير | ولقد صدقكم الله وعده | وعلى الله فليتوكل المؤمنون |
| كل نفس ذائقة الموت | ٥٢١ | ولقد نصركم الله بيد الى قوله |
| تتبلون في أموالكم وأنفسكم | إذ تصعدون ولا تلوون على | وما النصر الا من عند الله |
| وإذ اخذ الله ميثاق الذين | احد الى قوله والله عليهم بذات الصدور | العزيز الحكيم |
| اوتوا الكتاب | ٥٢٣ | ليقطع طرفا من الذين كفروا |
| لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا | التقى الجمعان | الى قوله فإنهم ظالمون |
| ولله ملك السموات والارض | ٥٢٤ | والله ما في السموات وما في |
| إن في خلق السموات والارض | يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا | الارض |
| إلى قوله إنك لا تحلف الميعاد | كالذين كفروا الى قوله لا يؤمنون | ٥٠٢ |
| فاستجاب لهم ربهم أني لا | ٥٢٦ | يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا |
| أضيع عمل عامل منكم | فبما رحمة من الله لنت لهم | الربني أضعافا مضاعفة الى قوله |
| ولا يغرنك تقلب الذين كفروا | ٥٢٨ | لعلكم ترحمون |
| الى قوله وما عند الله خير للأبرار | إن ينصركم الله فلا غالب لكم | ٥٠٣ |
| وإن من أهل الكتاب لمن | ٥٢٨ | وسارعوا الى مغفرة من ربكم |
| يؤمن بالله | وما كان لنبي ان يفعل | الى قوله والله يجب المحسنين |
| يا ايها الذين آمنوا اصبروا | ٥٣٠ | والذين إذا فعلوا فاحشة أو |
| وصابروا | افمن اتبع رضوان الله | ظلموا انفسهم الى قوله ونعم |
| | ٥٣١ | اجر العالمين |
| | ٥٣٢ | ٥٠٧ |
| | ٥٣٣ | قد خلت من قبلكم سنن |
| | ٥٣٤ | إلى قوله وموعظة للمتقين |
| | ٥٣٤ | ٥٠٨ |
| | | ولا تهنوا ولا تجزوا وانتم |
| | | الاعلون إلى قوله والله لا يجب الظالمين |

تنبيه وتصحيح

لا يعرف مقدار ما قاسيناه في تصحيح هذا التفسير إلا من يراجع الطبقات العجيبة
وسقمها وكثرة اغلاطها وقد بذلنا الجهد في أن يخرج الكتاب خالياً من الاغلاط لكن تلك غاية
لا تدرك لذلك لم نر بداً من التنبيه لما وقع من الاغلاط الطفيفة لتصحيح بالقلم وعلى الله الاتكال

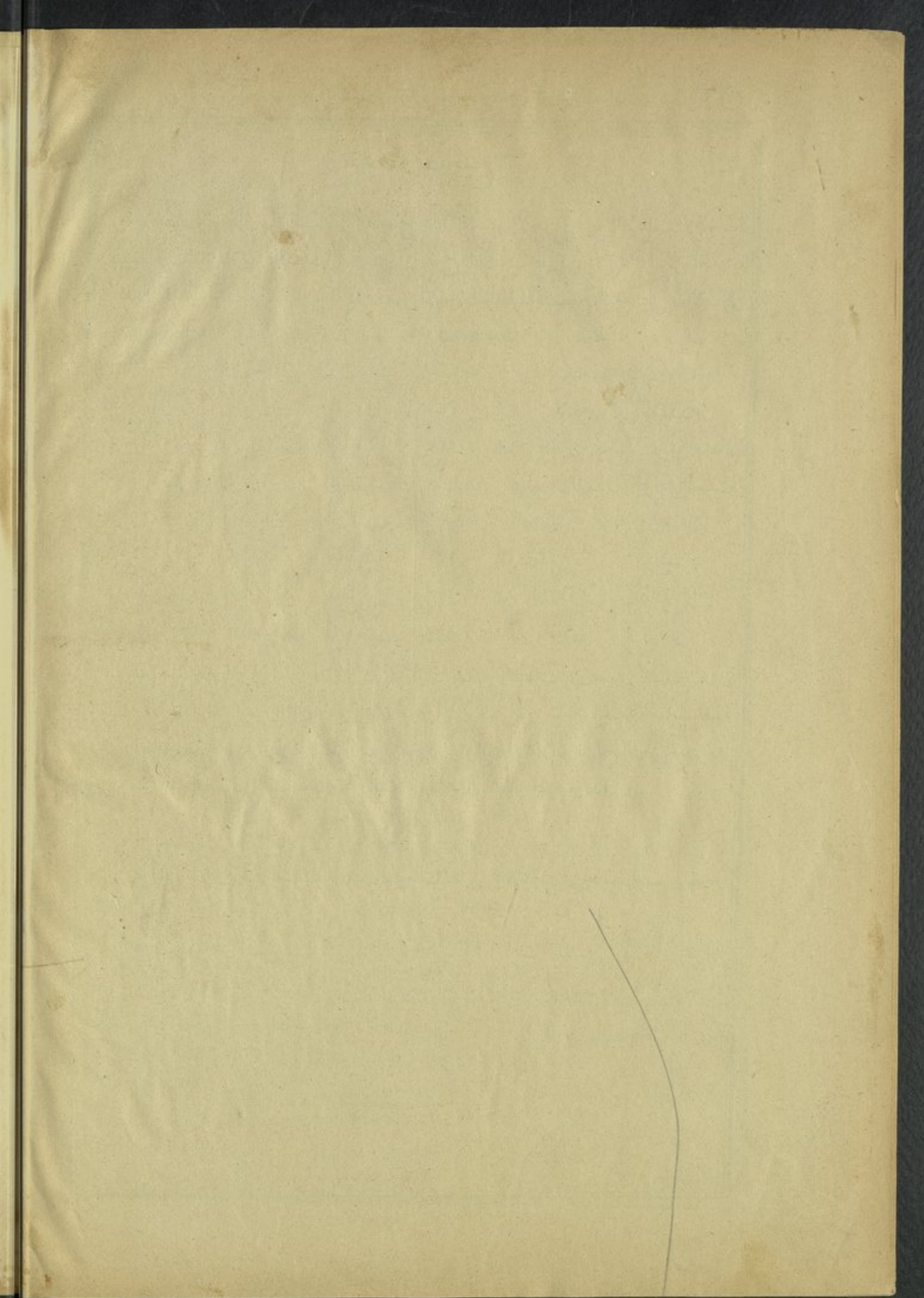
| صفحة | سطر | خطأ | صواب | صفحة | سطر | خطأ | صواب |
|------|-----|---------------|---------------|------|-----|--------------------|--------------------|
| ١٢ | ١٨ | زَرِين حَبِيش | زَرِين حَبِيش | ١١٨ | ٢ | مِجْتَمِعِينَ | مِجْتَمِعِينَ |
| ٣٨ | ٢٨ | ° | ° | ١١٨ | ٣٢ | لأَرْض | الأرض |
| ٤٨ | ٨ | كِدْبَ | كِدْبَ | ١٢٩ | ١٢ | كائِنِينَ مِنْكُمْ | كائِنِينَ مِنْكُمْ |
| ٩٠ | ١ | اهِطُوا | اهِطُوا | | | في قوله في السبت | قوله في السبت |
| ٩٢ | ١٠ | فَارْهَبُونَ | فَارْهَبُونَ | | | متعلق | متعلق |
| ٩٨ | ٣ | وَحَقِيقَتَهُ | وَحَقِيقَتَهُ | ١٣١ | ٢٣ | يَلْبَسُ | يَلْبَسُ |
| ١١١ | ١٨ | تَفْقَأُ | تَفْقَأُ | ١٣٢ | ١٨ | لِلأَزْدَاعِ | للأزدراع |
| ١١٧ | ٥١ | المُحْسِنِينَ | المُحْسِنِينَ | ١٥٢ | ٣٠ | فَادِي | فادٍ |

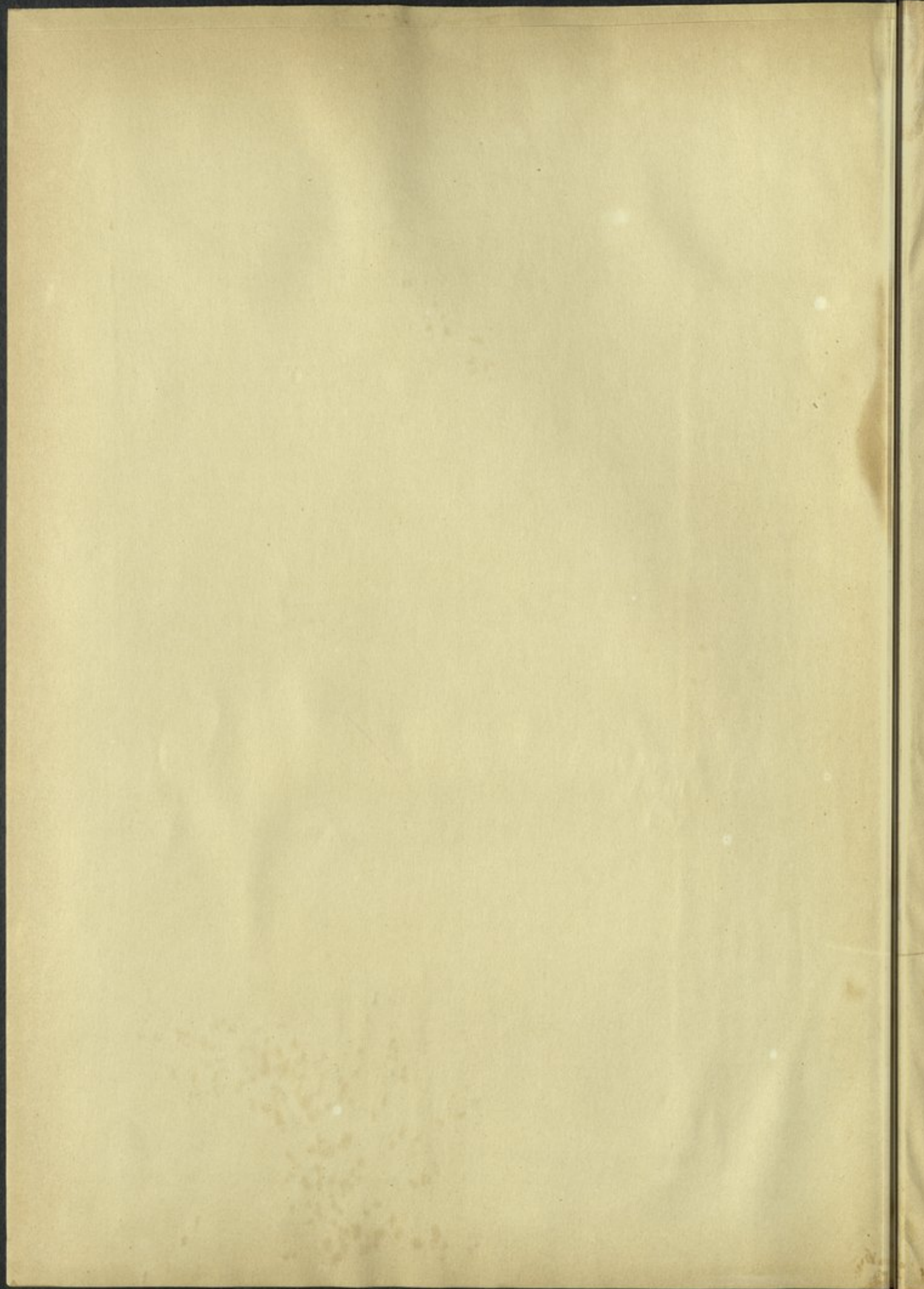
هذا ما عثرنا عليه في الجزء الأول وربما كانت بعض الغلطات في بعض النسخ دون
البعض الآخر . اما الجزء الثاني وهو الذي صدر الآن فلم يتسن لنا مراجعته ومقابلته بدفة
وقد رأينا في صفحة ٤٣ سطر ٢٤ وشارب مرتح والصواب (وشارب مريح) ومتى تيسر لنا
مراجعته ننبه لغلطاته في صفحة خاصة والذي نرجحه ان غلطاته طفيفة جدا

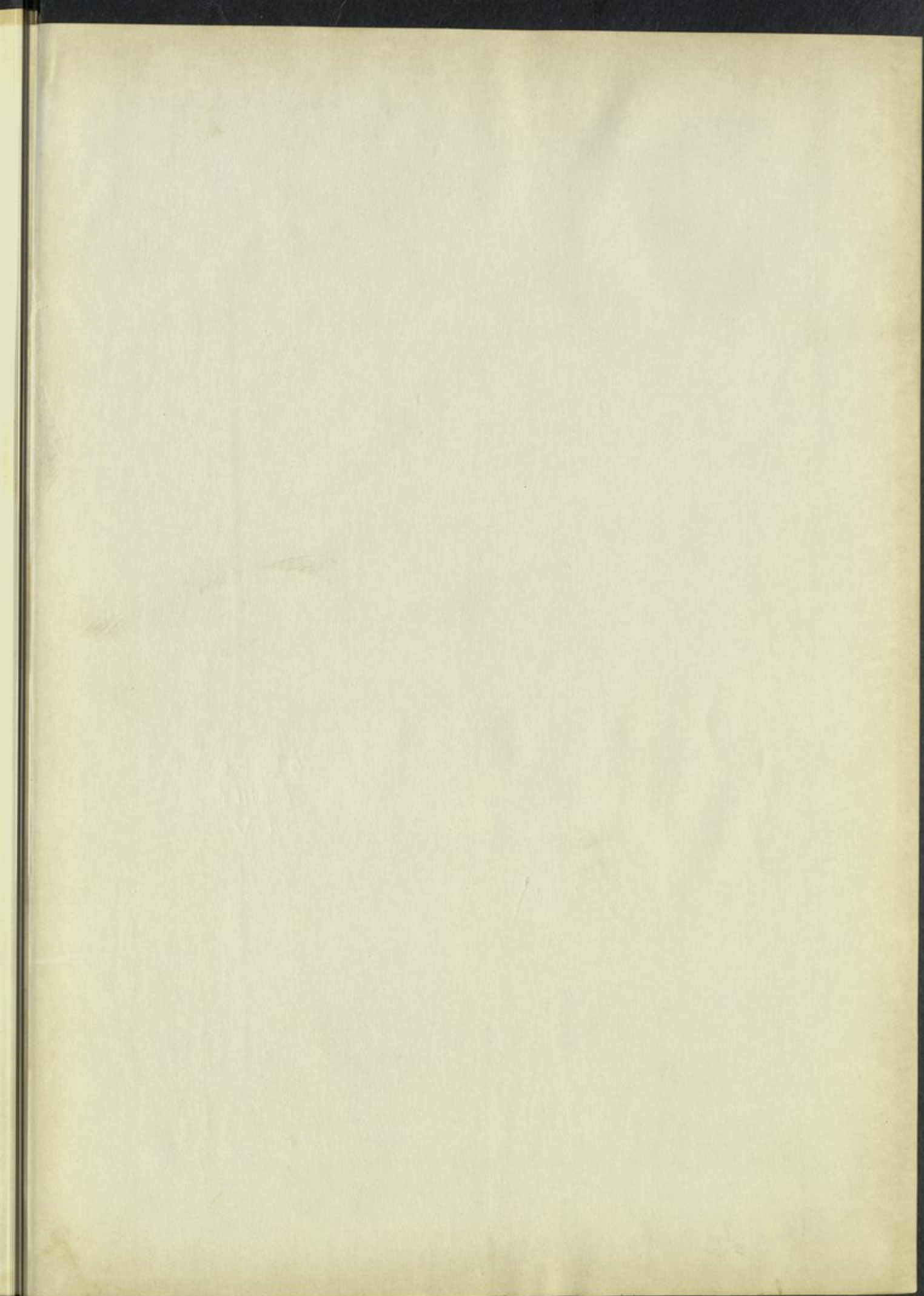
بيان

في الجزء الأول من هذا المجلد عدا المقدمات تفسير الفاتحة وهي سبع آيات وتفسير
١٨٢ آية من سورة البقرة

وفي الجزء الثاني تفسير بقية سورة البقرة وهي ١٠٣ آيات وتفسير سورة آل عمران
وهي مائتا آية فمجموع المفسر ٤٩٣ آية أو اربعة اجزاء إلا انصف حزب من ثلاثين جزءاً
لكنها تقدر بخمس مجموع التفسير







10141
10141
IV

297.207:T111mA V.1-2
الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن
مجمع البيان في تفسير القرآن
XI

297.207
T111mA
V.1-2
~~30 Dec 65~~ ~~Jun 71~~
JAFET LIB.
~~30 MAR 1976~~ JAFET LIB.
1 OCT 1994

الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن
مجمع البيان في تفسير القرآن...
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01010480

AUB Libraries